بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القادر العليم، الفاطر الحي القديم، الذي خلق العالَم بغير تعليم وسلك به في منهج الحكمة المستقيم.

الظاهرِ لعقول ذوي المعرفة، الباطن عن أوهام ذوي التِّيهِ والسفه، الذي كُفّتْ لهيبته كَفُّ كَيْفَ، وقَطَعتْ شُبَهَ التصوير له براهينُ التوحيد بالسيف؛ فلايجوز عليه الكيف، ولا الأينُ، ولا الحيثُ، ولا البَيْنُ. تَنَزَّهَ عن المشاركة في الصَّمَدِيَّة، فاختَصَّ بالوحدانيَّةِ والإلهيَّةِ، لايُعرفُ بالحواس؛ فترشقَه قوسُ الآفات بالانتقاص، ولايُقاس بالناس فينتظمَ في سلك العامَّة والخواص[1]، لايعرفه المكلفون بالعيان، فتحويه الجهةُ والمكانُ، ولكن يعرفه أهلُ الإيمان بما ابتدعه من خَلْقِهِ وأبَانَ، وجعله على ذاته أعظم برهان، الغنيُّ فلا تجوز عليه الفاقةُ، والمكلِّفُ لعباده دونَ الطاقةِ، العدلُ الحكيمُ فلا يجُورُ، ولا يَقْضِي بالفسادِ في أَمْرٍ مِنَ الأمُورِ، يَكْرَهُ القبيحَ ولا يُريدُه، ويتعالى عن أنْ يُنسَبَ إليه شيءٌ مِمَّا يفعله عبيدُه، المختصُّ للمكلَّفين منهم بهداهُ، مَنْ أطَاعهُ ومن عصاه ؛ كما قال عز وعلا فيمن أطاع:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧][2] وقال فيمن عصى:﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَىَ عَلَى الْهُدَىَ﴾ [فصلت:١٧].

لا

---

(١) في (ب):الخاص .

(٢) في (ب) فيمن أطاع وعصى فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى .

يُضِلُّ المؤمنين بعقابه، ولا يَهدي المجرمينَ بتوفيقه وثوابه، رَكَّـبَ العقـولَ في قلوب المكلفين لإقامة حُجَجِهِ، وأرسلَ الرُّسلَ لإيضاح الدين ومنهجه، ﴿لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ﴾ [النسآء:١٦٥].

وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لاشريكَ له، وأشهَدُ أنَّ مُحَمَّـدًاﷺعبـدُه ورسولُه، ابتعثه على حينِ فترةٍ من الرُّسل، وانقطاعٍ من السُّبُلِ، وطُمُـوسٍ مـن الْهُدَى، وظهورٍ من الكفر والردى، فقام بنَصرِ الحقِّ وَحِزْبِه، وأعلن بإهانةِ الباطل وسَبِّه، وجاهدَ في الله حقَّ جهادِه، وبَلَّغَ ما أمره الله بتبليغه إلى عباده؛ ﴿لّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيّنَةٍ وَيَحْيَىَ مَنْ حَيّ عَن بَيّنَةٍ وَإِنّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢] ؛ فَبَـانَ الحقُّ وظَهَر، وتلألأ نورُ شُمُوسِهِ وانتشر، وصار حِنْدِسُ[١] الكفر زائـلا، ونجـمُ الضلالة بعد طلوعه[٢] آفلاً، وقَدمُ الإسلام لِقَمَّةِ الكفرِ عاليا[٣]. وخَـصَّنا باتِّبَاعِـهِ ومَحَبَّتِهِ، كما اختصَّنا بِوِلادَتِه[٤] وبُنُوَّتِه[٥].

شهادةً ثابتةَ الأعمادِ، راسيةَ الأوتادِ، باقيةً إلى يوم التنادِ، صحيحةً في القـول والعمل والاعتقاد.

---

(١) الحِنْدس-بكسر الحاء والدال-: الليل المظلم. القاموس ص٦٩٥.

(٢) عبارة الإمام رحمه الله في قوله: ونجم الضلالة جرى على غير المشهور؛ إذ الضلالةُ تناسـبها الظلمـة ، تَمَّت من هامش الأصل.

(٣) في (ب):وربع الدين عن أهليه خاليًا. وهو ساقط في الأصل . ولهذا لم نثبته.

(٤) في هامش (ب) تعليق هذا نَصُّه: بولايته ، وقال:كذا في نسخة ، وهي الأصح؛ لأنه لا يستقيم بولادته، إلا ويكون الضمير لآل محمد صلى الله عليهم، وهو لا يستقيم مع قوله:وخصنا باتِّباعـه ومحبتـه، إذ الضميرُ فيه للأمة ؛ فتأمل والله ولي التوفيق. تَمَّت .

(٥) في (ب): بالوجهين وبنويته ، وبولايته ونبوته.

وَلَمَّا قَبَضَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ وعلى الأئمة من ولده الكرام–خَتَمَ النبوةَ بالإمامةِ، وجعلَها عِوضًا منها إلى يوم القيامة؛ فَجَعَلَ الإمامَ بعدَ رسول اللهﷺ عليًّا، واجتباه أخًا ووليًّا، واصطفاه وزيرًا ووصيًّا. **شهد** بذلك خبرُ الولاية يومَ الغدير[1]، كما لاينكره الطَّبُّ البصير .وما خبرُ المترلةِ بمَغْمُورٍ، بل هو عند جميع الرُّوَاةِ مشهُور . وهل يعتري الشكُّ فيمن شهدت له آيةُ الولاية في التتريل .وَخَدَمَهُ في قصَّةِ السطل جبريل .ورُدَّتْ له الشمسُ بعد المغيب .وقَتَلَ الْجِنَّ في وسَطِ القليب .أين يُتَاهُ بالعقول عمن زُوِّجَ في السمآء بفاطمة الزهرآء. وحملته الريح وصَحْبَهُ[2] في الهوآء، وكلَّمَتْهُ دونهم الموتى .وليتأمل الناظرُ ما في سورة هل أتى، ولايكن ممن عانَدَ وعتى . وليتبين ما في قِصَّةِ الرايةِ، إن عرف تلك الرواية؛ فإن لم؛ فليسأل أهلَ المعرفةِ والدرايةِ؛ إن كان يطلب الهدايةَ .وأين أنت أيها السامع عما أخبر به ربُّ الأرباب في مباهلة أهل الكتاب .وابحث عن قصة سورة البرآءة[3]، ومن خُصَّ دون الخلق بالتبليغ لها والقرآءة، وهكذا خبر تحية الرحمن الغني، وما في خبر القِطْفِ يُغني.

كَمْ ذَا أُعَدِّدُ مِنْ مَنَاقِبِ حَيْدَرٍ ... رَبِّ الفضآئلِ والمقامِ الأكْبَرِ

مَا إِنْ أَتَيْتُ بِعُشْرِ عُشْرِ عَشيرها ... قَولاً صحيحًا لستُ فيه بمفتري

ونصَّ النبيُّ ﷺ على إمامة الحسن والحسين، وعصمتهما وأبويهما من السفه والشَّيْنِ، شَهِدَتْ بذلك آيةُ التطهيرِ، في تتريل اللطيف الخبير، فكان النص على

(١) جاء في المقدمة فضائل جمة . وسيأتي تخريجها في مكانها.
(٢) صحبة لا توجد في (ب).
(٣) في (ب):براءة .

إمامتهما من الرسول نصا جليا غيرَ مجهول، صلوات الله عليهم أجمعين وعلى أبنآئهم الأكرمين .**وأشهدُ** أن الإمامةَ في أولاد[(١)] الحسن والحسين محصورةٌ، وعلى من سواهم ما بقي التكليفُ محظورةٌ، والمخصوصُ بذلك من عترتهما من سار بسيرتهما[(٢)] وانتمى بأبيه إليهما، متى جمع شرآئطَ الإمامة، وكان ضليعًا[قويًّا] بحمل أثقال الزَّعَامة .

وَأَشْهَدُ لِمُبْدِئِ الْخَلْقِ ومعيدِه، بصدقه في وعده ووعيده.

أما بعد:فقد سألني بعض مَنْ زَكَتْ مَحَاتِدُهُ[(٣)] وعناصرُه، وَسَمَتْ على العَيُّوق[(٤)] مناقبه ومفاخره-أن أرسُمَ له في العقيدةِ زُبَدًا كافيةً، ونُتَفًا[(٥)] من البراهين شافيةً، وأنْ أُوْرِدَ من الأدلةِ الشرعيةِ ما يكونُ مؤكِّدا للأدلة العقليَّة، وأن أذكُرَ جُملةً من متشابه الأخبار والآيات، التي تَعَلَّقَ بظاهرها أهلُ الجهالات، وَأُبَيِّنَ ما صحّحه العلمآءُ من معانيها، ووجوهها التي تجوزُ فيها، وأُشيرَ له إلى جملةٍ من فروضِ الخمسِ الصلوات، وتمييزها مما يتخللها من السنن والهيئات، مُجَرَّدَةً عن ذكرِ جميع الأدلة والخلافات.

فأجبتُه إلى ما سألَ، رغبة في ثواب الله عز وجل، وسأقصد في ذلك عينَ

---

(١) في (ب):ولد .

(٢) في (ب):سيرتهما .

(٣) الْمَحْتِدُ:الأصل والطبع . ينظر القاموس ٣٥٢.

(٤) نجم بعيد في السماء .

(٥) النتفة ما تنتفه بإصبعك من النبت وغيره، والجمع كصُرَدٍ وهمز: من ينتف من العلم شيئا ولا يستقصيه. القاموس ص١١٠٤. وفي (ب): نثفا، وليس لها معنى.

محبوبه، وأقفُ على حد مطلوبه، فإنَّ تعدِّيَ المراد مملولٌ، والاقتصارَ على الغــرض مقبولٌ، بمشيئةِ الله ذي الجلال، وتوفيقه في جميع الأحوال .وقد جعلتُ ما أوردتُـــه من الأخبار، وذكرتُه من الآثار، مما سمعتُه بالأسانيد الصحيحة[(١)]، وقصدتُ بذلك بابَ الهداية والنصيحة، واتبعت في ذلك قــولَ الله تعــالى:﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ❖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٧،١٨] وقولَ أبينا ونبيّنا صلى الله عليه وعلى آله الهداة:((بلغوا عني ولو آية[(٢)])). وقولهﷺ:((مَنْ كَتَبَ العلمَ لله ، وأراد به صلاح نفسه وصــلاح المسلمين، و لم يُرِدْ بــذلك عوضًــا مــن الــدنيا، فأنــا كفيلُــه بالْجَنَّــة))[(٣)]. وقولَهﷺ:((ولَمُذاكرةُ العِلْمِ ساعةً أحبُّ إلى الله تعالى من عبادة عشرين ألــفَ سنةٍ))[(٤)]. وقوله ﷺ:((مَنْ تَعَلَّمَ بابًا من العِلْم لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أُعْطِيَ ثوابَ ســبعين

---

(١) يحمل هذا على ما ورد في العقيدة ، أما أحاديث الفضائل ففي بعضها تسامح؛ ولعل المؤلــف اكتفــى بنقلها من كتب الحديث، وبعضها من أصول الكافي وعمدة ابن البطريق بدون تمحيص، فالعهدة علــى القارئ.

(٢) أخرجه المرشد بالله في أماليه الخميسية ١ /٦٥. والبخاري ١٢٧٥/٣ رقم ٣٢٧٤. والترمــذي ٣٩/٥ رقم ٢٦٦٩. وابن حنبل ٥٥٣/٢ رقم ٦٤٩٦ في المسند.

(٣) السفينة ٩/٣.

(٤) في السفينة ٩/٣. ومسند شمس الأخبار ٢٢٤/١ عن ابن مسعود أنه قال:أيِّمَا مؤمن مات وترك أربعين حديثًا مما ينتفع به المؤمنون جعل الله مكافأته الجنة، وكتب له بكل حديث ثواب ألف شهيد. والمــؤمنُ إذا سمع أربعين حديثًا وقَفَ يومَ القيامة مقامَ العالم ، وأعطاه الله ثوابَ اثني عــشر شــهيدًا . والمــؤمنُ والمؤمنةُ إذا أنفقا درهمًا أو دانقًا في سبيل العِلْمِ أعطاهم الله ثواب أجْرَ ستين حجــةً وعمــرة. وتعلــيمُ حَرْفٍ من العلم خيرٌ من عبادة ألفَ سنة. وَتَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة ألفِ سنة)).

نبيًا[1])) .وقولَه ﷺ:((من يُسْأَلْ[2] عن عِلْمٍ يعلمه فكتمه أُلْجم بلجامٍ من نارٍ[3])).

فَشَرَعْتُ لأجل جميع ما تقدمَ في الكتابة، وأنا أسأل الله التوفيقَ للإصابة. وأنا أُقَدِّمُ من ذلك ما يَجِبُ تقديمُه:وهو علمُ التوحيد والْعَدْل؛ فإنه يجب تقديمُه على الصلوات؛ لأن بالتوحيد والعدلِ يُعْرَفُ اللهُ تعالى ورسولُه دونَ غيرهما من العلوم . وما لم يَعْرفِ العابدُ المعبودَ لم يصح كونُه عابدًا له .ولا إشكال في أن العلمَ بصحةِ الفروعِ مبنيٌّ على تقدم[4] العلم بالأصول؛ فمن لم يعرفِ الأصولَ-التي هي التوحيدُ والعدلُ-كان هالكًا لكفره عند أهل العلم والفضل، وكانت صلاتُه وصيامُه عليه وبالاً، وذَهَبَتْ سآئرُ عباداتِه ضلالاً، كما قال تبارك وتعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [الكهف:١٠٣،١٠٤] فلهذا المعنى قلنا بوجوب تقديم الكلام في العقيدة، ثم نُتْبِعُه الكلامَ في العبادة بمشيئة الله .ومِنْهُ تعالى نستمد التوفيقَ والتسديدَ والإعانةَ والتأييدَ، ونسأله أن يأخذَ بأزمَّةِ قلوبنا إلى الهدى، وأن يعصمَنا عن الضلالةِ والردى، إنه وليٌّ ذلك والقادرُ علي ما هنالك .**فنقول** وبالله التوفيق:((**أما عقيدتُنا**

---

(١) سلوة العارفين للموفق بالله ص١٥٧، وفي الترغيب والترهيب ٩٨/١ بلفظ:سبعين صديقًا، وعزاه إلى الديلمي في مسند الفردوس.

(٢) في (ب):من سُئِلَ .

(٣) رواه المرشد بالله في أماليه ج١ ص٤٦. وأبو طالب في الأمالي ص١٤٠. وسلوة العارفين ١٥٦، وَرُوِيَ بلفظ:((مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)) . أحمد ٥٨٢/٣ رقم ١٠٦٠٢، وأبو داود رقم ٦٨/٤ رقم ٣٦٥٨، والترمذي ٣٠/٥، ورقم ٢٦٥١، وابن ماجة ٩٦/١ رقم ٢٦١.

(٤) في (ب):تقديم .

أهلَ البيت فنحن نوردُها على الوجه الذي يَصْلُحُ)).

فصلٌ: فَأَوَّلُ ذلك أنا نعتقدُ أَنَّ أَوَّلَ ما يجبُ على البالغ العاقل من الأفعال الواجبات التي لايَعْرَى عن وجوبها مُكَلَّفٌ–هو التفكر في الأدِلَّة والبراهين الْمُوْصِلَةِ إلى معرفة رب العالمين. **والواجبُ:** هو ما للإخلالِ به مَدْخَلٌ في استحقاق الذم على بعض الوجوه. **فإن قيل:** دُلُّوا على أنه واجبٌ، ثم دلُّوا على أنه أولُ الواجبات . **قلنا:** الذي يدل على ذلك أنَّ العِلْمَ بالثوابِ والعقابِ واجبٌ، والعِلْمُ بهما لا يَتِمُّ إلا بعد العِلْمِ بالله تعالى، وسآئر المعارفِ الْمُعَبَّرِ عنها بأصول الدين .والعلمُ بالله تعالى وسائرِ المعارفِ المذكورةِ متقدمةٌ على سآئر الواجبات سوى التفكر فيما ذكرناه. ومعرفتُه تعالى، والعِلْمُ بهذه المعارف لايَتِمُّ إلا بالتفكر فكان واجبا، وثبت أنه أَوَّلُ الواجبات.

فإن قيل: ما الدليلُ على أنَّ العِلْمَ بالثواب والعقاب واجبٌ؟–**قلنا:** الذي يدل على ذلك أنه لُطْفٌ للمكلفين في القيام[(١)] بما كُلِّفوه من الواجبات[(٢)]؛ لأن اللُّطْفَ هو ما يكون المكَلَّفُ معه أقربَ إلى فعلِ ما كُلِّفَ فِعْلُه، وتَرْكِ ما كُلِّفَ تَرْكُه، أو إلى أحدهما مع تمكنه في الحالين جميعا[(٣)]. وهذا المعنى حاصلٌ في العلم بالثواب

(١) في (ب):بالقيام .

(٢) الظاهر أن هذا يترتب على كون الثواب والعقاب واجبين، وهو خلاف ما عليه البغدادية ومن تابعهم في كون الواجبات شكرا. فينظر. فالبغدادية تقول:يجب الثواب والعقاب . وقد حكى الإمام يحيى إجماع العدلية على الوجوب ، والبغدادية توجب الأصلح فهم أزيد في الوجوب.

(٣) في هامش نسخة المنصور:**فائدة** هذا فيه قول بثبوت الألطاف، وهو الذي ذكره وهو اللطف المطلق. وأما لطف التوفيق فهو ما يفعل عنده الواجب لا محالة. ولطف العصمة ما يترك عنده القبيح لا محالة، كما ذكر مقرر في مواضعه. تمت إملاء.

والعقاب؛ فإنَّ من عَلِمَ بأن النفعَ العظيمَ وهو الثوابُ الدآئمُ مُتَعَلِّقٌ بالطاعة-دعـــاه ذلك إلى فِعْلها طلبًا لملآذِّ الثواب. ومَنْ عَلِمَ بأن الضررَ العظيمَ وهو العقابُ الدآئمُ متَعَلِّقٌ بالمعصية-صَرَفَهُ ذلك عن فعلها حَذَرًا من ضرر العقاب، كما أنَّ مَنْ عَلِمَ أنَّ في التجارةِ رِبْحًا عظيمًا، وفي الطريق خوفًا شديدًا؛ فإنه يكون أقربَ إلى التمسكِ بالتجارةِ والتجنُّبِ للطريق ممن لم يعلم ذلك .كذلك في مسألتنا .ولاشك أن تحصيلَ ما هو لُطْفٌ في الواجبِ واجبٌ؛ لأنه يجري مجرى دَفْعِ الضرر عن النفس .ومعلومٌ بضرورة العقل أن دفعَ الضررِ عن النفس واجـــبٌ إذا كـــان المـــدفوعُ بـــه دونَ المدفوع[1]؛ فإن العقلآءِ يسارعون إلى الفصْدِ والحجامة[2] ليدفعوا بهما[3] مضارَّ هي أعظمُ منها[4]. وسوآء كان الضررُ مظنونًا أو معلومًا؛ فإنه لا فرق عند العقلآءِ بين أنْ يُخْبِرَهم مُخْبِرٌ ظاهرُه العدالةُ بأنَّ في الطعام سُمًّا، وبين أن يُشاهدوه في أنه يجب عليهم اجتنابُهُ في الحالين جميعا-وإن كان خبرُ الواحد يقتضي الظن، والمـــشاهدةُ توجب العلم -فثبت بذلك أن العلمَ بالثواب والعقاب واجبٌ.

فإن قيل:ولِمَ قلتم بأن العِلْم بهما لايتم من دون العلم بهذه المعارف؟، **قلنا**:لأن العِلْمَ بالثوابِ والعقابِ فرعٌ على العلم بالْمُثِيبِ والمعاقِبِ، وعلى كونه قادرا على

---

(١) يريد أن دفع الهلاك يجوز إذا حصل بضرر أقل. أما دفع الهلاك عن النفس بإهلاك نفس أخـــرى فـــلا يجوز.

(٢) معالجة قديمة لإخراج الدم عندما يَتَبَيَّغ بصاحبه .

(٣) في (ب):بها .

(٤) الضمير عائدٌ إلى الفَصْدِ والحجامة. والمعنى أن الفَصْدَ والحجامةَ مُضِرَّانِ؛ لكنهما دفعا مَضَرة أكبر، وهي تَبَيُّغ الدم وبَثرَ الفم.

الثوابِ والعقابِ، وعالِمًا بمقاديرهما وبكيفية إيصالهما إلى مستحقِّهِمَا[1]، وعلى جميع هذه المعارف (الْمُعَبَّرِ عنها بأصول الدين)؛ فإذا كان العلمُ بالثوابِ والعقابِ واجبًا بما تقدم تحقيقُه–وهو لايتم إلا بمعرفة الله تعالى وبسائر هذه المعارِف–كانت واجبةً لوجوبه؛ لما نعلمه من مُقَدِّمَاتِ قضآء الدَّين، وردِّ الوديعة؛ فإنها واجبةٌ لَمَّا لم يتم الواجبُ إلاَّ بِهَا، وقد شاركتْها هذه المعارفُ في أنه لايتم الواجبُ إلا بها، فيجبُ أن تشاركَها في الوجوبِ، لأن الاشتراكَ في العلةِ يوجبُ الاشتراكَ في الْحُكْمِ، وإِلاَّ عادَ على أصلِ تلك العلة بالنقضِ والإبطالِ.

فإن قيل:وَلِمَ قلتم بأنها أولُ الواجبات سوى التفكر؟ .قلنا:لأنا قد دَلَلْنَا على أن العلم بالثواب والعقاب لُطْفٌ في واجبٍ، ومِنْ حق اللطف أن يتقدم على الملطوف فيه؛ لأنَّ الغَرَضَ باللطفِ هو التقرُّبُ من الملطوفِ فيه، وقد بَيَّنَّا أنَّه لايَتِمُّ من دون هذه المعارف، وكانتْ متقدِّمَةً على ما عدا التفكرِ من الواجبات .

فإن قيل:دُلُّوا على وجوب التفكر؟ .ثم دُلُّوا على أنه أولُ الأفعال الواجبة التي لايَعْرَى عن وجوبها مُكَلَّفٌ ليصح ما ذكرتموه؟ .**قلنا**:الذي يدلُّ على وجوبِ التفكرِ في الأدلةِ والبراهين الْمُوْصِلَةِ إلي معرفةِ ربِّ العالمين، وإلى سآئرِ المعارِف الْمُعَبَّرِ عنها بأصول الدين–أنَّه لا طَرِيْقَ للمكلفين إلى العِلْمِ باللهِ تعالى وبهذه

---

(١) في (ب):إلى مستحقيها .

المعارف سوى التفكر في الأدلةِ والبراهينِ؛ لأنه تعالى لايعرفه المكلفون ضرورةً[1] مع بقآء التكليف[2]؛ إذ لو عُرِفَ ضرورةً لما اختلف العقــلآءُ فيــه[3]؛ لأن العقــلآء لايختلفون فيما هذه حالُهُ. ومعلومٌ أنهم قد اختلفوا فيه، فإنَّ منهم مَنْ أثبتَ الصانع، ومنهم مَنْ نفاه، ومنهم مَنْ وحَّده، ومنهم مَنْ ثنَّاه، وكذلك الكــلامُ في هــذه المعارف.

فإن قيل:ومِنْ أين أنَّ التَفَكُّرَ طريقٌ إلى العِلْمِ بهذه المعارف؟، **قيل**:لأنه مُوْصِلٌ إليها، فإنَّ مَنْ نظر في دليل إثباتِ الصانع حَصَلَ له العلمُ بالصانع دونَ ما عــدى ذلك من المسآئل متى تكاملت له شروط النَّظَر، وهي أربعةٌ:**أحدُها**:أن يكون الناظرُ عاقلاً؛ لأن مَنْ لاعقلَ له لايمكنه اكتسابَ شيءٍ مِنْ العلوم أصلاً. **والثاني**:أن يكونَ

(١) الضرورة:في اللغة الإلجاء، قال تعالى:﴿إِلاّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ وفي العرف:يستعمل فيما يحصل فينا لا من قبلنا، بشرط أن يكون جنسه داخلا تحت مقدورنا. وخالف في ذلك أصحاب المعارف كالجاحظ وأبي علي الأسواري، فقالوا:إنه يعرف ضرورة. ينظر الأصول الخمسة ٥٢، وشرح الأساس ٦٢/١.

(٢) لأن المحتضر وأهل الآخرة يعرفون الله ضرورة، وخالف في ذلك أبو القاسم البلخي، وقال:إنــه كمــا يعرف دلالة في الدنيا فكذلك في دار الآخرة؛ لأن ما يعرف دلالة لا يعرف إلا دلالــة، كمــا أن مــا يعرف ضرورة لا يعرف إلا ضرورة. ينظر:شرح الأصول الخمسة ٥٢، وشرح الأساس ٦٢/١.

(٣) ليس نَفْيُ من نفى الله سبحانه يدل على أنه تعالى لا يُعرف ضرورة؛ لأن النافي له لا ينفي إلا بلــسانه لا بالاعتقاد، ولا أعظم في النفي له سبحانه من قول عدوه فرعون لعنه الله:ما علمت لكم من إله غــيري فهذا قوله في الظاهر وهو في الباطل معترف بالله سبحانه ، وعالم أنه خالق. ويُروى أنه أصاب النــاس قحطٌ شديد فدخلوا عليه فقالوا:يا رَبَّنَا أَمْطِرْنَا؛ فوعدهم بالمطر إلى غدهم، ثم خرج في ليلته منفــردًا إلى البَرِيَّة؛ فعفر خديه في التراب وسأل الله سبحانه أن يُمطرهم؛ فأمطرهم الله سبحانه أ.هــ من هــامش هــ. **أقول**:وفي أمطارهم تلبية لطلب فرعون إغواء لقومه إن صحت الرواية، أو فتنــة وابــتلاء. والله أعلم .

عالِمًا بالدليلِ؛ لأنَّ مَنْ لَم[1] يعلمه لم يُمْكِنْهُ أنْ يتوصل بنظره إلى العلم بالمـــدلولِ عليه. **والثالثُ**:أن يكون عالما بوجه دلالة الدليل، وهو التعلُّق بين الدليل والمدلول عليه، فيكون الدليل بأنْ يَدُلَّ عليه أولى من أن يدل على غيره، وأولى مـــن أن لا يدل؛ لأن من لم يعلم ذلك لم يحصل له العلم بالمدلول عليه .**والرابـــعُ**:أن يكـــون مُجَوِّزًا غير قاطع؛ لأن من قَطَعَ على صحةِ شيءٍ أو فسادِه لم يُمْكِنُه أن ينظرَ فيه.

فثبت أن التفكرَ في الأدلةِ والبراهينِ مُوْصِلٌ إلى معرفةِ ربِّ العالمين، وإلى العلمِ بسآئرِ المعارفِ الْمُعَبَّرِ عنها بأصول الدين .ولاشُبْهَةَ في أنَّ ما يُوْصِلُ إلى الشيء فهو طريقٌ له، فإن ذلك مما هو معلومٌ ضرورةً؛ فإذا ثَبَتَ كونُه طريقًا إلى ذلك؛ فطريقُ الشيء يتقدمه .وهذا معلوم ضرورةً.

فثبت أنَّ التفكرَ أَوَّلُ الأفعالِ الواجبةِ التي لا يَعْرَى مـــن وجوبِهـــا مكلـــف. **واحترزنا** بقولنا:أَوَّلُ الأفعالِ، عن التُّروكِ، فإن وجوبَ التَّرْكِ قد يُقَارِنُ وجـــوبَ النظر في معرفة الله تعالى، ألا ترى أن المكلف متى توجه عليه التكليفُ وهو في زَرْعِ الغير، فكما أنه يَجِبُ عليه التفكُّر فإنه يجب عليه الكفُّ عن اغتـــصاب الـــزرع، والخروجُ منه، وكذلك فإنه قد يجبُ عليه الكفُّ من الكذبِ[2] والظلمِ في حالِ ما يجبُ عليه النظرُ في معرفة الله تعالى. **واحترزنا** بقولنا:التي لايعرى عـــن وجوبهـــا مكلف–عن ردِّ الوديعةِ وقضآءِ الدين وشُكْرِ المنعِمِ[3] فإنهما وإن شاركا النظـــرَ في

---

(١) في (ب):من لا يعلمه

(٢) في كل النسخ:من الكذب ، والأوجه: عن الكذب .

(٣) في (ب):وكشر النعمة .

كونهما فِعْلَينَ واجبين. فإنهما يفارقان النظر من حيث إنَّ المكلف يَعْرَى عنـــهما، بخلاف النظر الذي هو التفكُّر؛ فلهذا قلنا:بأنَّه[1] أوَّلُ الأفعال الواجبة التي لايعرى عن وجوبها مكلف .وبذلك يثبت الكلامُ في وجوب التفكر، وأنه أولُ الواجبـــات على الوجه الذي بيَّنَّاه.

فصل :فيما يلآئمُ ذلك من السَّمْعِ:

قال الله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيَ أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقّ ﴾ الآية [الروم:٨] .وقـــال تعـــالى:﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ الآية [ق:٦] .ونظآئرهما في القرآن كثير .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((تَفَكَّرُوا في آلآءِ اللهِ، ولا تَتَفَكَّرُوا في اللهِ))[2]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((تَفَكَّرُوا في المخلوق، ولا تَتَفَكَّرُوا في الخالِقِ))[3]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((لا تَتَفَكَّرُوا في عَظَمَةِ رَبِّكُمْ، وَلَكِنْ تَفَكَّرُوا فيما خلَقَ، فـــإنَّ فيمـــا خلَـــقَ مُتَفَكَّرًا؛ فإنَّ خَلْقًا مِنَ الملآئكةِ يُقَالُ له:إسرافيلُ. زاويةٌ من زوايا العَـــرْشِ علـــى كَاهِلِهِ، وقَدَمَاهُ في الأرضِ السُّفْلَى، وَقَد مَرَقَ رأسُه من السمآءِ السَّابِعَةِ، وَمِنْ سَبْعِ

---

(١) في (ب):أنه .

(٢) مجمع الزوائد ١ / ٨١. وابن كثير في تفسيره ج٧ ص٤٤١. وابن عدي في الضعفاء ٩٥/٧. والطـــبراني في الأوسط ٢٥٠/٦ برقم: ٦٣١٩ . وفي كشف الخفاء للعجلوني أحاديث حول هذا ٣١٠/١ بـــرقم ١٠٠٤ وما بعده.

(٣) الدر المنثور ج٦. وتفسير ابن كثير ج٧ ص٤٤٢. وكنز العمال ١٠٦/٣ برقم:٥٧٠٥، ٥٧٠٨.

سَمَوَاتٍ)) [1]، وألزمَ اللهُ تعالى معرفتَه فقال عز قآئلا:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إلا اللّـهُ﴾ [محمد:١٩] .وروى ابنُ عباس عن النبي ﷺ أنه قال:((خمسٌ لايُعْذَرُ أن يَجْهَلَهُنَّ أحدٌ:أن يَعْرِفَ اللهَ ولا يُشَبِّهَ [2] به شيئا. ومَنْ شَبَّه اللهَ بشيءٍ، أو زَعَمَ أنَّ اللهَ يُشبِهُ شَيْئًا فهو مِنَ الْمُشْرِكِينَ [3])) الخبر بطوله .وقال ﷺ لرجل:((هل عَرَفْتَ رَبَّكَ؟، فقال:يا رسولَ الله وكيفَ أعرفُه؟، قال:اعْرِفْهُ ولا تَعَرَّفْهُ بالأعضاءِ)) يعني لايعتقد أنه جسم، إلى غير ذلك من الأخبار.

فصل:فإن قيل:فهل يجوز [4] التقليدُ في أصولِ الدين؟، قلنا:إن ذلك عندنا لايجوز .فإن قيل:بيِّنوا أوَّلا:ما معنى التقليد، ثم بيِّنوا أنه لايجوزُ، لأنه لايحسُنُ الكلام في أحكام أمر ولَمَّا يُعْرَفْ ذلك الأمر.

---

(١) كنز العمال ٣ / ١٠٧ برقم ٥٧١٤. ولفظه:((لا تفكروا في الله، وتفكروا في خلق الله؛ فإن ربنا خلق ملكا ، قدماه في الأرض السابعة السفلى، ورأسه قد جاوز السماء العلياء. ما بين قدميه إلى كعبيه مسيرة ستمائة عام .والخالق أعظم من المخلوق. وأعجب من هذا ما نسمع من علماء الفلك في هذا العصر الذي توفرت فيه المناظير والتلسكوبات الضخمة والسفن الفضائية والوسائل التي قرَّبت وكشفت من عظمة الخالق ما يشيب له العقل؛ فقد سمعنا أن بعض النجوم أو المجرَّات تبعد عنَّا مسافة مائة مليون سنة ضوئية علما أن الضوء يقطع في الثانية ثلاثمائة ألف كيلو متر أو ١٨٦٠٠٠ ألف ميل . والساعة ثلاثة آلاف وستمائة ثانية؛ فيقطع الضوء في الساعة الواحدة مليارا وثمانين مليون كيلو متر؛ فكم في اليوم؟ وكم في الشهر؟ وكم في السنة؟ وكم في مائة مليون سنة؟ إنه فوق مستوى تصور العقول. وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النّجُومِ (٧٥) وَإِنّهُ لَقَسَمٌ لّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ **حقا** إنه لعظيم لا يقدر أن يسافر في ملكوته الخيال؛ فجل الكبير المتعال.

(٢) في (ب):لا يشبهه بشيءٍ. وأمالي أبي طالب ص٣٣٢:أن تعرف اله ولا تشبهه بشئ.

(٣) في أمالي أبي طالب ص٣٣٢:بجهلهن، وبقية الخبر:((وَالحبُّ في اللهِ وَالْبُغْضُ في اللهِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ ، واجتنابُ الظُّلْمِ)).

(٤) في (ب):تُجَوِّزُونَ التقليد .

قلنا:أما معناه فهو اعتقادُ صحةِ قولِ الغيرِ من غير اعتمادٍ على حُجةٍ ولابصيرة . والذي يدل على صحة هذا الحدِّ أنه يكشف عن معنى المحدود على جهة المطابقة، ولا يسبق من معنى التقليد سواه؛ ولهذا يطرد المعنى وينعكس وهذه هي دلائل صحة الحد[1].

وأما الذي يدل على قبحه فالعقل والسمع:أما العقل فهو أنه ليس مُقَلَّدٌ أولى من مُقَلِّدٍ، فلم نكن بتقليد أسلافنا في مذاهبنا أولى من تقليد اليهود والنصارى وغيرهم من فرق الكفر لأسلافهم في مذاهبهم، و لم يكن الْمُقَلِّدُ بتقليد المحق أولى من تقليد المبطل؛ لأن المقلِّد لايَفْصِلُ بين مُحِقٍّ ومبطل، لأنه غيرُ عارف بالحق والباطل، ولا[2] يخلو أن يُقَلِّدَ جميع أهل المذاهب كلها-وفي ذلك الوقوعُ في الكفر والضلال، والاعتقاد المتعارض[3] الأقوال-**أو** لا يقلِّد أحدًا منهم وهو الذي نقول، **أو** يقلد البعض من دون البعض من غير مُخَصِّصٍ فذلك محال؛ وبذلك يبطل القولُ بتقليد الزاهد، فإن في كل فرقة زاهد، ويبطل القولُ بتقليد الأكثر أيضا لأنه يجوز أن يصيرَ الأكثرُ أقلَّ والأقلُّ أكثرَ[4].

وأما السمع:فالكتابُ والسنة والإجماع.

أما الكتابُ فقولُه تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ

(١) فنقول:التقليد اعتقاد صحة قول الغير ..الخ ، ونعكس فنقول:اعتقاد صحة قول الغير ..الخ، هوالتقليد.
(٢) في (ب):فلا .
(٣) في (ب):لمتعارض .
(٤) هذا يشبه السبر والتقسيم في البحث عن الأصلح، حيث اختبر أكثر من جهة لينظر هل يصح تقليدها أولا؛ فيعتمد ما يصح ويلغي ما لا يصح.

أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠] وقوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣] وقوله تعالى:﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ❖ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة١٦٦:،١٦٧] .وقوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان:٢١] وقولُه عز وجلَّ:﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ❖ رَبَّنَآ آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ [الأحزاب:٦٧،٦٨] ((يقرأ بالبآء بواحدةٍ من أسفل، وبثلاثٍ من أعلى)) أي كبيرا .إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة:فما أخبرني به والدي وسيدي بدرُالدين[(١)] عمادُ المحقين شيخ آلِ رسول الله ﷺ محمد بن أحمد نوَّر الله قبره، بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام عن

(١) هو محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن الإمام المنتصر بالله محمد بن الإمام القاسم المختار بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام. ولد٥٢٩هـ. وت٦١٤هـ. وهو أصغر من أخيه يحيى شمس الدين وقرأ هو وأخوه على القاضي جعفرٍ جميع العلوم وحدث عنه. وكان ممن يؤهل للإمامة، وكان هو وأخوه أفضل أهل زمانهما علمًا وعملاً وورعًا وزهدًا. وروي أن الإمام عبدالله بن حمزة كان يحثه وأخاه على القيام بالإمامة. وقبره بهجرة قطابر من نواحي صعدة. مشهور مزور . ينظر تراجم رجال الأزهار للجنداري ٣٢/١ . والتحف شرح الزلف ٢٤١ .

رسول الله ﷺ أنه قال:((مَنْ أخذ دينَه عن التفكر في آلآء الله، والتَّدَبُّرِ لكتابـــه، والتفهُّمِ لسنتي-زالت الرواسي و لم يَزُلْ .ومَنْ أخذ دينَه عن أفواه الرجالِ وقلَّدهم فيه، ذهب به الرجالُ من يمين إلى شمالٍ، وكان مِنْ دينِ اللهِ على أعْظَمِ زوالٍ)) [(١)] .

وكفى بذلك باعثًا على التفكُّر في الأدلة والبراهين، وزاجرا عن الدخول في زُمرة المقلِّدين الهالكين. وعن حذيفةَ بنِ اليمانِ عن النبي صلواتُ الله عليـــه وآلـــه أنـــه قال:((لاتكونوا إمَّعةً [(٢)] :تقولوا:إن أَحْسَنَ الناسُ أحْسَنَّا، وإن أسآؤا أسأْنا، ولكـــن وَطِّنُوا أنفُسَكم إنْ أحسَن الناسُ أن تُحْسِنُوا، وإن أسآؤا فلا تظلِمُوا)) [(٣)] .

وعن علي عليه السلام أنه قال:((إيَّاك والاستنانَ بالرجال، يَقُولُ الرجلُ:أصنعُ مـــا يصنعُ فلانٌ وأنتهي عَمَّا ينتهي عنه فلان)).

ومما يختصُّ إبطالَ تقليد الأكثرِ أنْ يُقَالُ:إنَّ الْكَثْرَةَ ليستْ بدلالةٍ للحـــق، ولا القِلَّةُ علامةً للباطل؛ لما يشهدُ له الكتاب والسنة.

أما الكتاب:فلأنَّ الله تعالى قد ذَمَّ الأكثرين عددا، فقال عزَّ قآئلا:﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ﴾ الآيـــة [الأنعـــام:١١٦] وقـــال تعالى:﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقّ كَارِهُونَ ﴾ [المؤمنـــون:٧٠]. وقـــال:﴿وَمَآ أَكْثَرُ النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال تعالى:﴿وَإِنّ كَثِيراً مّنَ النّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾

---

(١) رواه أبو طالب في أماليه ص١٤٨.

(٢) قال في النهاية [١ / ٦٧] في حديث:((اغدُ عالِمًا ومتعلمًا ، ولا تَكُنْ إمَّعَةً)): الإمّعة بكـــسر الهمـــزة وتشديد الميم:الذي لا رأيَ له فهو يُتابع كل أحدٍ على رأيه. والهاء فيه للمبالغة . وقيل:هو الذي يقـــول لكل أحد: أنا معك.

(٣) أبو طالب ص٣٩٥ . والترمذي ٤/ ٣٢٠ رقم ٢٠٠٧ .

[المآئدة:٤٩] وقال:﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المآئدة:٦٦] إلى غير ذلك من الآيات.

ومَدَحَ الأقلين فقال في كتابه المبين:﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[1] وقال:﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ [سبأ:١٣] وقال:(**ومآ آمن معه إلا قليل**) [هود:٤٠] إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة[2]: فما روي عن الحارث بن حوط، قال لعلي عليه السلام :أَتُرى يا أميرَ المؤمنين أنَّ أهلَ الشامِ مع كثرتهم على الباطل؟، فقال له أميرُ المؤمنين عليه السلام:((إنَّه لَمَلْبُوسٌ عليك، إن الحق لايُعرفُ بالرجال، وإنما الرجالُ يعرفون بالحقِّ، فاعْرِف الحقَّ تَعْرِفْ أهلَه قلُّوا أم كثُروا، واعرفِ الباطلَ تَعرف أهلَه قلُّوا أم كثُرُوا))[3].

ومن جِهَةِ النَّظر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤمنْ به في أوَّل الإسلام سوى عليٍّ عليه السلام من الرجال، وخديجة من النساء[4]. وهم الأقلُّون عددا .فلو كانت القِلَّةُ دلالةً

---

(١) قبلها قوله تعالى:﴿إِلاّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ ﴾ [ص: ٢٤].

(٢) لم يورد المؤلف حديثا في استدلاله بالسنة وإنما أثرا لعلي(ع) فلعله تجوز أو اعتبر كلام الإمام علي في حكم السماع عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) انظر نهج البلاغة ص٧٤٠. واليعقوبي ١١٦/٢ والسؤال فيهما عن أهل الجمل.

(٤) أجمع أهل السير والتواريخ أن عليًّا أسلم بعد خديجة بيوم واحدٍ، وهي يوم الأثنين ، وعليّ يوم الثلاثآء. ينظر المستدرك ١٣٣/٣ وصححه الذهبي. وسيرة ابن هشام ٢٤٥/١. وطبقات ابن سعد ٢١/٣. والإصابة ٥٠١/٢. والترمذي ٥٩٨/٥ رقم٣٧٩٨. ومجمع الزوائد ١٠٣/٩. وأسد الغابة ٨٩/٤. والاستيعاب ٢٠٠/٣. والطبري ٣٠٩/٢ وما بعدها. وابن الأثير ٣٧/٢. والمنتظم ٦٧/٥. وتاريخ الخلفاء للذهبي ص٦٢٤. **أما كتب الزيدية** والإمامية والمعتزلة فبالإجماع أن الإمام علي أول من أسلم بعد خديجة؛ لكن خصوم علي لم يَرُقْهُم ذلك فالتفوا على هذه المزيَّة ، وقالوا:عليٌّ أول من أسلم من الصبيان ، وزيد بن حارثة من العبيد، وأبو بكر من الرجال، وهكذا قُسمَت فضيلة السبق. غير أن هذا الالتواء لا يقوى على معارضة المتواتر، وهو أنه أول المسلمين على الإطلاَق ما عدا خديجة ، وماذا لو فضل الله عليًّا فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، أم يحسدون الناس على ما آتاهم

للباطل لكانوا على الباطل، وكانتْ قريشٌ لكثرتها[1] على الحق، ومعلومٌ خــلافَ ذلك .وقال الله تعالى:﴿كَانَ النّاسُ أُمّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النّبِيّينَ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة:٢١٣]؛ فدل ذلك[2] على ما قلناه، فثبت أن التقليد لايجوز.

فصل:فإن قيل:قد دللتم على إبطالِ التقليد وعلى وجوب التفكر ففيمَ يتفكرُ المكلَّفُ؟. **قلنا:**يتفكر في العالم وما فيه من عجآئبِ التركيبِ وبــدآئعِ الترتيـب، فيحصل له العلمُ بالمرتَّبِ والمركَّبِ، وقد قال تعـالى:﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوَاْ إِلَى السّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ [ق:٦] ، وقال النبي ﷺ:((تفكروا في آلآء الله، ولاتتفكروا في الله)) .

فإن قيل:ما العالَم؟، قلنا:العالَمُ واحد العالَمين، وهم أصنافُ الْخَلْق[3]. هذا هو

الله من فضله، وأنا لا أستغرب هذا فلو كان بإمكان بني أمية أن ينكروا أن عليًّا من المسلمين مطلقًا لما ترددوا ؛ ولكن أنَّى لهم ذلك ، فالأكف لا تحجُب الشمس. والصديق لا يمانع من تقديم علي ولا ضير عليه في ذلك.

(١) في (ب) ، (ج):لكفرتهم .

(٢) أي كون الناس كانوا أمة كافرة مجمعة على الكفر .

(٣) قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: العالَم عالمان كبيرٌ هو الفلكُ بما فيه ، وصغير وهو الإنسان؛ لأنه على هيئة العالَمِ الكبير، وفيه كل ما فيه. وإليه أشار القائل:

أتحسب أنك جرْمٌ صغيـــرٌ وفيك انطوى العالم الأكــبرُ

ينظر:تاج العروس ١٧/ ٤٩٨ .

معناه اللُّغَوي، ذكره صاحبُ ديوانِ الأدب[(١)]. وقد قيل:بأن العالَم هو النوعُ مِمَّـــا يَعْقِل، وهم الملآئكة والإنس والجن .وقيل:بأن أهل كل زمانٍ عالَمٌ. وقيل:هو اسمٌ لِمَا حواه الفَلَك، ولفظُ الواحد منه عالَمٌ، وإذا جَمَعْت، قلتَ:العالَمِينَ. وهذا الْفَرْقُ في اللفظ دون المعنى؛ لأنَّ اللفظين يُنبِئَان عن معنى واحد.

وهو في اصطلاح المتكلمين ينطلق على السموات السبع، والأرَضِين الـــسبع، وما فوقهن وما تحتهن، وما فيهن من الأعراض التي لاتدخل تحت مقدورات العباد . واختلف العلمآء في اشتقاقُه، فمنهم من قال:اشتقاقُه من العِلْمِ؛ لأنه اسم يقع على ما يُعْلَمُ .وقيل:لأنه عَلَمٌ ودَلِيْلٌ على صانعه. وقيل:من العلامة؛ لأنه عند النظر يُعْلَمُ ويُفْهَمُ ويدلُّ على صانعه، وهو يَعُمُّ مَنْ يَعْقِلُ وما لايعقل .وإذْ فرغنا[(٢)] من هـــذا الفصل فَلْنَتكلمْ في المسآئل مَسْأَلَةً مَسْأَلَةً إن شآء الله تعالى .فنقول:

المسألة الأولى:

أنَّا نعتقد أنَّ لهذا العالم صَانِعًا صَنَعَهُ وَمُبْتَدِعًا ابْتَدَعَهُ

خلافًا للفلاسفة والدَّهرية[(٣)] وغيرهم من الكفار الجهلة الأشرار. ونحن نستدلُ

---

(١) هو الأديب إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي وهو غير الفيلسوف ، وقد اغترب في اليمن (زبيد)، وصنف كتابه المذكور، ووصفه بقوله:هو ميزان اللغة ومعيار الكلام، وت٣٥٠هـــــ. ينظـــر معجــم الأدباء ٦١/٦. والأعلام ٢٩٣/١. وصبح الأعشى ٥٣٩/١.

(٢) في (ب):وإذا قد فرغنا .

(٣) **الدهرية**:هم من أهل الغلو، نفوا الربوبية، وجحدوا الخالقَ العَالِمَ المدبرَ القادر، وزعموا أن العـــالَم لم يَزَلْ موجودًا كذلك بنفسه لا بصانعٍ و لم يَزَلِ الحيوانُ من النطفة، والنطفة من الحيوان. كـــذلك يُنْكِرُونَ النبوةَ والبعث والحساب. انظر موسوعة الفِرَق والجماعـــات ص٢٢٥. والملـــل والنحـــل

عليه تعالى بفعله؛ لأن كلَّ ما لا يُدْرَكُ بالحواسِّ فالطريقُ إلى معرفته حُكْمُـــهُ[(١)] أو فِعْلُهُ، والحكمُ معلولُ العِلَلِ، وهو تعالى ليس بعلةٍ على مانبينه، فلم يبق إلا أن يكونَ الطريقُ فِعْلَه، فنقول وبالله التوفيق:

الذي يدل على ذلك أن الأجسامَ كلَّها قد اشتركتْ في كونها أجسامًا متحَيِّزَةً موجودةً، ثم افترقتْ في صورها، فكان بعضُها جبالاً، وبعضُها ســهولاً وبعــضُها سمآءً، وبعضُها أرضًا، وبعضُها مآءً، وبعضُها هوآءً، وبعضُها نارًا، وبعضُها أشجارًا، إلى غير ذلك مما يطول ذِكْرُه من الهيئات، والصور المختلفات، من أنواع الحيوانات، وغيرها من المرئيات؛ فلايخلو اختلافُها وافتراقُها في صورها وهيئاتها أن يَثْبُتَ لأَمْــرٍ أو لا لأَمْرٍ. **باطلٌ** أنْ يثبت ذلك لا لأمْرٍ؛ لأنه لم يكنِ المآءُ بأن يكونَ مآءً والهــوآءُ هوآءً أَوْلَى مِنْ أنْ لاَ يَخْتَلفَ أصلاً، وكذلك سآئرُها. فلم يبقَ إلا أن يثبت لأمرٍ، ثم ذلك الأمرُ لايخلو[(٢)] أن يَثْبُتَ لذواتها كما تقوله الدهرية، أولا لذواتها بــل لأمــرٍ غيرِها. **باطلٌ** أن يثبت لذواتها؛ ولا لِمَا هي عليه في ذواتها[(٣)]؛ لأنهــا مــشتركةٌ في ذواتها وما يختصها من الذاتيَّات وما يُقتضى عنها، فلم يكن بعضُها بأن يكون مآءً والآخَرُ نارًا أولى من العكس، وكذلك سآئرُها، بل كان يجب أن يكونَ المآءُ مــآءً

للإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى ص٦٢. أَوْ هُمُ القَائلون:بِقِدَمِ العالَم. واختلفــوا في المؤثر:فمنهم مَنْ نفاه مطلقا، ومنهم مَنْ أثبته علةً قديمة .

(١) ينظر تعريف الحكم في الأساس الكبير١/٢٤٦، وسأضرب له مثالا فقط فأقول:إذا لاحظت شــيئا محكما فإن الإحكام حكم يدل على أن فاعل ذلك الشيء عالم، ووجوده يدل على أنــه قــادر. وهكذا..

(٢) في (ب):لا يخلو إما .

(٣) في (ب):من ذواتها .

ونارًا وأرضًا وسمآءً وجبالاً وأشجارًا وهوآءً إلى غير ذلك من الهيئات والصور؛ لاشتراكها في الموجِبِ لذلك. ومعلومٌ خلافُ ذلك، فلم يبق إلا أن يكون اختلافُها ثابتًا لغيرها، وذلك الغيرُ لا يخلو أَنْ[1] يكون مؤثِّرًا على سبيل الإيجاب وهو العِلَّة، أو لاعلى سبيل الإيجاب، بل على سبيل الصحة والاختيار وهو الفاعل. **ومحالٌ** أن يكونَ اختلافُها لعلةٍ أثَّرت في ذلك كما يقُوله الفلاسفة، أو طَبْعٍ أو مادةٍ أو فَلَكٍ أو هَيُولَى[2] أو صُورَةٍ أو عَقْلٍ أو نَفْسٍ أو غير ذلك من الموجِبَات التي يُثبتها أهلُ الجهالات،لأن ذلك الموجب لايخلو أن يكون واحدًا أو أكثر. **ومحالٌ** أن يكون واحدًا؛ لأن العلةَ الواحدةَ لايجوز أن تؤثِّرَ في أمورٍ كثيرةٍ، وإلاَّ وجب أن تكونَ مماثلةً لنفسها إنْ كانتْ موجَبَاتُها متماثلةً، أو مخالِفةً لنفسها إن كانت موجَباتُها مختلفة وذلك محال؛ لأن المماثلةَ والمخَالَفةَ فرعٌ على الشَّبَهيَّةِ والغيريَّةِ، وليس هناك غيرُ شيء واحد، فلايجوز أن يكون مماثلاً لنفسه ولامخالفًا، فبطل أن يكون الموجبُ واحدًا. ومحالٌ أن يكون أكثرَ من واحدٍ؛ لأنه لا يخلو أن تكونَ متماثلةً أو مُخْتَلِفَةً. ومحالٌ أن تكون متماثلةً؛ لأن العِلَلَ المتماثلة لايجوز أن توجِبَ أمورًا مختلفةً، وإلا لزم ما تقدم من كونها مُتَمَاثِلَةً مُخْتَلِفَةً معًا؛ لاختلاف موجَبها. ومحالٌ أن تكونَ

---

(١) في (ب):إما إن .

(٢) **الْهَيُولَى**:لفظٌ يوناني بمعنى الأصل والمادة، واصطلاحًا الجوهر الذي لا ينقسم، ويتألف منه الجسم؛ لأن الجسم يتألف من ستة جواهر:أمام ووراء وفوق وتحت ويمين وشمال. [تاج العروس ١٥/٨٢٢]. وقيل:أربعة، وعند **الأشعرية** اثنان. وقيل:ما اجتمع فيه:الطول والعرض والعمق، وإنما يحصل بالثمانية. [مقدمة البحر الزخار ص١٠٠ ، وإرشاد الجويني ص٣٩]. **والزيدية** ترى أن الجوهر غير معقول ولا ثابت وأن العالم ليس إلا جسما أو عرضا [الأساس الكبير ١/١٢٢].

مختلفةً؛ لأنها حينئذ تكون قد شاركت الأجسام فيما لأجله احتاجت إلى علَّـــةٍ أو علل، وهو الاختلاف، فكان يجب أن تحتاج إلى عِلَلٍ أُخْرَى مختلفة. ثم الإلزامُ ثابت في احتياج هذه العلل إلى علل أخرى حتى يتصل الأمر في ذلك بما لايتناهى وذلـــك باطل؛ لأنه قد وقف وجودُ هذه المختَلِفَاتِ على وجود ما لايتناهى. وكلُّ ما وقف وجودُه على وجود ما لانهاية له استحال وجودُه؛ وفي عِلْمِنَا بوجود العالَمِ بما فيـــه دَلالَةٌ على خلاف ذلك؛ فإنَّ وجودَه معلوم ضرورة، فبان أنه إنما حـــصل العـــالم ووجد بفاعل مختار يفعل ما يشآء ،ويحكم مايريد، وهو الله رب العالمين. **فثبت** أن لهذا العالَمِ صانعًا صنعه ومبتدعا ابتدعه، تبارك وتعالى عما يقول المبطلون.

فصل فيما يلآئم ذلك ويؤكده من السنة:

روي عن أنس بن مالك أن رجلا قال:يارســـول الله أيُّ الأعمـــال أفـــضل؟، قال:((العلمُ بالله)) [(١)] ثلاثًا، وعنه ﷺ أنه قال:((التوحيدُ ثمنُ الجنة)) [(٢)] وفي بعض الأخبار((ثَمَرُ الجنة)).

وعنه ﷺ:((كَفَى بالتوحيدِ عبادةً، وكفى بالجنة ثوابًا [(٣)])). وعن ابن عباس أنه قال:جآء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال:يانبيَّ الله عَلِّمْنِي مـــن غرآئـــبِ

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١/٨٥، كما في موسوعة الأطراف ٤/١٢٦.
(٢) أخرجه في شمس الأخبار ١/٦١. ولفظه:((التوحيد ثَمَنُ كل جنة، والشكر وفآء كل نعمة)). وفي أمالي المرشد بالله ١ / ٤٢ ، بلفظ:((التوحيد ثَمَنُ الجنة، والحمدلله وفاءُ شُكْرِ كل نعمة ، وخشيةُ الله مفتاحُ كل حكمة، والإخلاصُ مِلاك كل طاعة)) . ومسند الفردوس ٢ / ٧٤ برقم ٢٤١٥ . والدر المنثور ١ / ٣٥ .
(٣) أخرجه المرشد بالله في أماليه ١/ ٤٢ .

العلمِ؟، فقال له رسول الله ﷺ:((وماذا صنعتَ في رأس العلم حتى تسألَني عن غرآئبه؟))، فقال الرجل يارسولَ الله:ومارأسُ العِلْمِ؟، قال:((معرفَةُ اللهِ حَقَّ مَعرفَتِه)) [١]. الخبرَ إلى آخره، وسيأتي ذِكْرُ آخره إن شآء الله تعالى [٢].

المسألة الثانية

ونعتقد أنه تعالى قادرٌ. وفيها فصلان:

أحدُهما في معنى القادر:وهو الْمُختصُّ بصفةٍ، لكونه عليها يَصِحُّ منه الفعلُ مع سلامة الأحوال. **وقلنا:**مَعَ سلامةِ الأحوال احترازًا من الموانع الثلاثة وهي:الحبسُ، والقيدُ، وإحداثُ ضدِّ الفعلِ [٣].

والثاني في الدليل على أنه تعالى قادرٌ:والذي يدلُّ على ذلك أنَّ الفعلَ قَدْ صَحَّ منه، والفعلُ لايصح إلا من قادرٍ، وإنما قلنا بأن الفعل قد صح منه [والفعلُ لايصحُّ إلا من قادر] [٤]؛ لأنا قد بيَّنَّا أنه تعالى قد أوجد العالَمَ على سبيلِ الصحة والاختيار [٥]، بمعنى أنه كان يمكنه قبلَ إيجاده أن يوجدَه وأن لايُوجِدَه، وأنَّه [أي

---

(١) رواه أبو طالب ص ١٤٣. وشمس الأخبار عن ابن عباس ٦١/١ وعزاه إلى السمان في أماليه.

(٢) سيأتي في آخر المسألة الثانية .

(٣) أي إن وجود أحد هذه الموانع تجعل القادر غير قادر، مثال: ضد الفعل كالسير قدام ووراء في نفس اللحظة.

(٤) ما بين القوسين محذوف في ((ب)) و((ج)) و((د)) وأشار في الأصل إلى أنه زائد في الأم.

(٥) الصحيح هو الذي لا تنافر فيه ولا استحالة، والمراد بالصحة:هي التي تقابل الإمكان كما صرح به ابن حابس في المصباح، وكما فسرها الأمير رحمه الله بقوله:بمعنى.. إلخ. قال ابن حابس:وليس المراد بالصحة الإمكان الذي هو مقابل الاستحالة، وإنما المراد بالصحة والاختيار: هي التي تقابل الإيجاب فإنه الصحة الأولى لا تدل على القادرية. اهـ. والاختيار مقابل العلة والمعلول كالشمس

الله] ليس بمؤثّر على سبيل الإيجاب، وإلا كان يَجِبُ ثبوتُهـــا [أي الكائنـــات] في الأزَل، وذلك محال، وقد ثَبَتَ أنه أوجده وأوقعه، والوقوعُ فرعٌ على الصحة. وإنما قلنا:بأن مَنْ صَحَّ منه الفعلُ فهو قادرٌ؛ لأنا وجدنا في الشاهد رَجُلَيْنِ:أحدَهما يصح منه المشيُ الكثيرُ وَنَقْلُ الشيء العظيم كالصحيح السليم، والآخَرَ يتعذر عليه ذلـــك كالمريض الْمُدْنِفِ[1] من غيرمانع يمنعه من ذلك، فدل ذلك بأن من صح منه الفعل لابد أن يفارق من تعذر عليه ذلك بمفارقة، وإلا لم يكن أحدُهما بأنْ[2] يصح منـــه الفعل أو يتعذرَ عليه أولى من الآخر، وتلك المفارقةُ هي التي عبَّر عنها أهلُ اللغـــة بكونه قادرًا. فإذا كان الله تعالى قد صح منه، بل قد وُجِدَ-والوجودُ فـــرعٌ علـــى الصحة-وجبَ أن نَصِفَهُ بكونه قادرًا؛ لأنَّ الدليلَ يطَّرد شاهدًا وغآئبًا.

فصل :فيما يوافق ذلك من جهة الشرع:

قال الله تعالى:﴿وَاللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤]، فاقتضى ذلـــك أنـــه تعالى قادرٌ على جميع أجناس المقدورات وأعيانها[3]؛ لعموم الخطاب، غيرَ أنَّ بعضَ

لما كانت علة للضوء فلا يصدر عنها غيره لكن الباري لما لم يكن علة للكون بل هو خالق مختـــار صدر عنه المخلوقات المتنوعة.

(١) الدَّنَفُ بفتح الدال والنون المرض الملازم. يقال:مدنَف ومُدنِف ((المختار ٢١٢)).

(٢) بأن محذوف في (ب) ، (ج) .

(٣) قال في شرح الأصول الخمسة ١٥٦:وأما الذي يدل على أنه عز وجـــل قـــادر علـــى أجنـــاس المقدورات، فهو أن أجناس المقدورات لا تخلو؛ إما أن تدخل تحت مقدورنا أو لا تـــدخل تحـــت مقدورنا. فإن لم تدخل تحت مقدورنا وجب أن يختص القديم تعالى بها، وإلا خرجت عن كونهـــا مقدورة، وإن دخلت تحت مقدورنا فالله تعالى بأن يكون قادرًا عليها أولى؛ لأن حاله في القـــدرة على الأجناس إن لم يزد على حالنا لم ينقص عنه.

العدلية قد ذهب إلى أنَّ ذلك مخصوصٌ بدليل العقل[1]، قال:لأن دليل العقل قد دلَّ على أنَّ أفعالَ العبادِ منهم لا مِنْهُ عز وجل؛ لأن ذلك يؤدي إلى مقدورٍ بين قَادِرَيْن. وسيأتي بيانُه مفصلاً فيما بعد إن شآء اللهُ تعالى. فكان دليلُ العقل في ذلك مُخَصِّصًا للآية، إلى غير ذلك من الآيات[2].

ومن السنة:قولُ النبي ﷺ لما سأله السآئل عن معرفة الله حقَّ معرفته، فقال:((أن تَعرِفَه بِلاَ مَثَلٍ ولاشبيهٍ، وأنْ تعرفَه إلهًا واحدًا عالِمًا قادرًا أولاً آخرًا ظاهرًا باطنًا لاكفؤَ لَهُ ولامِثْلَ)).

---

(١) وهو النَّظَّام فقد قال:إن الله لا يستطيع ولا يقدر على فعل القبيح؛ لأنه لو كان قادرًا عليه لصدر عنه. **وأقول**:والأولى أن يقال:إنَّ الله من ناحية القدرة لا يعجزُهُ شيء، ومن ناحية الحكمة والعدل لا يفعل القبيح كالوالد الشفيق يقدر على ذبح ولده الصغير لكنه لا يفعل ذلك ، والله أعلم. **وقال عبَّاد** بن سليمان الصَّيْمَري والأشعري من الجبرية:لا يقدر على خلاف معلومه. **وأقول**:هو يقدر على خلاف معلومه لكن الحكمة تمنع ذلك. **وقال البلخي**:لا يقدر على مثل مقدور عبده، **وأقول**:الأولى أنه يقدر على مقدور عبده؛ إلا أن الفعل لا يصدر عن فاعِلَين؛ لأن الفعل إذا صدر عن العبد فهو مخصوص به؛ لأنهم قرروا بعدم إمكان فعل بين فاعِلَين، وَحَمْلُ الخشبة من مجموعة من الناس ليس فعلا بين فاعلين؛ لأن كل واحد يحمل حصته. والمستَحيلات هي التي ركبها الله في العقول أنها مستحيلة كخلق جسم لا متحرك ولا ساكن أو لا مجتمع ولا مفترق. وقال أبو هاشم ووالده أبو علي:لا يقدر على عين مقدور العبد. ينظر شرح الأصول الخمسة ٣١٢، والمعالم الدينية في العقائد الإلهية ٦١، والمغني ١٢٧/٦، وشرح المواقف للجرجاني ٩٢/٢، والإلهيات ١٤٦/١.

(٢) وكونُ أفعال العباد منهم لا يعني أنه سبحانه غير قادر عليها؛ لأن قدرتهم على أفعالهم إنما هي بالقدرة التي خلقها الله فيهم، وتركهم أحرارا في فعلهم ليترتب على ذلك الثواب والعقاب، وهو قادر على خلق الأفعال فيهم إلا أنه متره عن ذلك، إذ لو فعل لكان أولى باللوم على المعاصي من العباد، فافهم ولا تنخدع بوسوسة المبطلين الذين يهولون بأن لا خالق إلا الله لأنا نقول:هذا صحيح فيما فيه تمجيد وتبجيل لله، لكن الزنى والكفر خارج عن هذا، وقوله سبحانه:﴿**اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ إنما أتى بعد تعداد الآيات الكونية، فانظر أول سورة الرعد ، والأنعام ٩٤.

المسألة الثالثة

ونعتقد أنه تعالى عَالِمٌ. وفيها فصلان:

أحدُهما في معنى العَالِمِ: ومعناه أنه المختصُّ بصفةٍ لكونه عليها [أي الصفة] يصحُّ منه إيجادُ مَعْلُومِه، أو ما يَجري مَجْرى معلومه مُحْكَمًا إذا كان مقدُورًا له، ولم يكن هناك مَنْع ولا مايجري مجرى المنع. **ونريد** بالمعلوم الذواتَ، وبما يجري مجرى المعلوم ماعدا الذوات، ونريد بالمنع ما تقدم ذكره في معنى القادر، وبما يجري مجراه نحوَ استحالةِ الإحكامِ في الجوهر الفرد[1] وأجناسه [نحو التحيز].

والفصل الثاني في الدلالة على أنه تعالى عَالِمٌ:

والذي يدل على ذلك أنَّ الفعلَ الْمُحْكَمَ قد صح منه ابتدآءً، والفعلُ الْمُحْكَمُ لايصح ابتدآءً إلا مِنْ عالم.

وإنما قلنا: إنَّ الفعلَ المحكمَ قد صح منه ابتدآءً لأنَّا قد بَيَّنَّا أَنَّه أَوْجَدَ العالَمَ، ولاشكَ أنَّه متقَنٌ مُحْكَمٌ، وجميعَ أجزآئه مُتْقَنَةٌ محكمَةٌ؛ فإنَّ فيها من الترتيب والنظام ما يزيد على كلِّ صناعةٍ مُحْكَمَةٍ في الشاهدِ: مِنْ بنَآءٍ وَكِتَابَةٍ.

ومَنْ نَظَرَ في الهوآء وما فيه من السَّعةِ والرِّقَّةِ والصَّفآءِ، وكونُه مكانًا للَّطِيف والكثيف من الأشيآء، فَيَحْمِلُ الأصواتَ والروآئحَ الطيبةَ والخبيثةَ، ثم تُمْحَى وتزول

---

(١) الجوهر الفرد ليس له حكم فلا يقال هو فوق أو تحت؛ لأن الجسم يحتاج إلى ست جهات، والجوهر له جهة واحدة؛ لأنه أصغر شيء فإذا أضفت له مثله من فوق صار له فوق ثم أضف له من تحت تصير له تحت وفوق ثم أضف يمينًا وشمالاً، وهكذا ؛ فالجوهر الفرد ليس له في نفسه جهات حتى يحيط به جواهر يكتمل بها جسمًا فيكون كل واحد من الجواهر جهة للجوهر الأخر؛ لأن المراد بالجهات من المواد وليس من الفراغ.

ويعود نَقيًّا، وتخرجُ فيه الرياح بالسحابِ والترابِ والدخانِ والغبارِ، ثم تزولُ منـــه بِقُدْرة الواحد القهار- عَلِمَ صحةَ ما ذكرناه، وكذلك مَنْ نَظَرَ فيمـــا يُـــشَاهَدُ في السمآءِ الدنيا:من ارتفاعها وصفآئها واتساعها وبهآئها، وما فيها من النيِّرات الـــتي ملأ ضيآؤها ما بين الأَرَضِين والسموات:من الشمس والقمر والنجوم المختلفـــات، وكفى في الدلالة خَلْقُ الشمس والقمر، وخَلْقُ النورِ والضيآءِ فيهما، وَدَورانُهمـــا، ورِفعتُهما، وإمساكُهما، وقُرْبُهما، ومنازلُهما، ومشارِقُهما، ومغارِبُهمـــا، وزيـــادةُ القمر ونقصانُه وكسوفُهما. قال الكلبي[(١)]:يُضيء وجهُها لأهل السموات الـــسبع وظهرُها لأهل الأَرَضِين السبع[(٢)].

وقد ذكر بعضُ الأئمة الهداة من أسباط الهادي إلى الحق يحيى بـــن الحـــسين (ع)[(٣)]:((أنَّ مَثَل هذا العالَمِ كَمَثَل بيت قد أُعِدَّ فيه كلُّ ما يُحْتَاجُ إليه، وَوُضع كلُّ شيء منه في موضعه، فالسمآء[(٤)] سقفه، والأرضُ فراشه، والشمسُ والقمـــرُ مِثْـــلُ الشمعتين في البيت، والنجومُ مثلُ القناديل، وما أُعِدَّ في الأرض من العيون والفواكه

---

(١) محمد بن السائب ، كان عالِمًا بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم ، جرح بالتشيع تـــوفي ســـنة ١٤٦هـــ. تهذيب التهذيب ج٩ص١٨٠. وأعيان الشيعة ج٩ص٣٤٠.

(٢) هذا تفسير قديم، والواقع حسب العلم المعاصر أنَّ القمر كوكب مظلم وإنما يضيءُ بسبب انعكاس نور الشمس عليه، فما وقع عليه شعاع الشمس أضاء؛ لأنه ليس جسمًا نورانيًا أما الشمس فهـــي تضيء، ولكن ليس للأرضين السبع والسموات السبع؛ لأن الفضاء مكتظ بالمجرات ، وكل مجـــرة فيها مليارات النجوم لا يقاس البعد الشاسع بينها بالأرقام، وإنما بألوف السنوات الضوئية، ولعـــل الشمس تضيء للمجموعة الشمسية. والله أعلم.

(٣) ذكره في حقائق المعرفة المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام. (خ).

(٤) في (د):والسمآء .

والزرع والمعادن مثلُ مايكون في البيت من الآلـة والمتـاع والـذخائر، والعبـدُ كالْمُخَوَّلِ ذلك البيتَ وما فيه)). هذا آخر كلامه عليه السلام. ولاشبهة في كون جميـع ذلك مُحْكَمًا.

وكذلك مَنَ نَظَرَ في خلقِ الإنسانِ وفي مبتدئه ومنتهاه، فَأَوَّلُه نُطْفَةٌ، ثم يـصير علقةً، ثم مضغةً، ثم يصير عظامًا، ثم تُكسى تلك العظامُ لحمًا، ثم يَخْرُجُ من بطـن أمه لا يعلمُ شيئًا، كما قال تعالى:﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمـون شيئا**﴾ [النحل:٧٨] ، ثم يخرج الولدُ مع كِبَرِه وَصِغَرِ ما يخرج منه، فيصيرُ رضيعًا، ثم طفلاً، ثم غلامًا، ثم بالغًا، ثم شَابًّا، ثم كهلاً، ثم شيخًا، فَيُـرَدُّ إلى أرذل العُمُـر، ويتغيرُ شَعَرُه وبشرُه وأعضآؤه وعروقُه، وتسقطُ أسنانُه حتى يصيرَ إلى قريب مـن حالِ الطفولية، بل إلى حالِ الرضاع فتنبتُ أسنانُه بعد سقوطها[١]، ويسيلُ لُعَابُـه، ويختلُ عقلُه، ولايصبرُ على الجوعِ والعطشِ، ويبكي إن أصاباه كحال الصغير.

وعند خروجه أوَّلاً من بطن أمَّه يُحْدِثُ اللهُ له رزقًا في ثدي أمه، لبنًا خالـصًا موافقًا للطفل، يتغذى به حَارًّا في وقت البرد، باردًا في وقت الحر[٢] ويُلقي اللهُ لـه الرحمةَ[٣] في قلبِ أمهِ وقلب أبيه، فَيَصْبِران لأجلها على القيام بحاله، وقَدْ أعدَّ اللهُ فيه

---

(١) في (ب): وتسقط أسنانه بعد ثبوتها . وهو الأظهر؛ لأن الشيخ الكبير لا تنبت له أسنان، ولعلـه في الأصل يشير إلى قصة غريبة لأحد المعمرين وهو نصر بن دهمان الغطفاني جـاهلي عـاش مائـة وتسعين سنة فاسود شعره، ونبتت أضراسه، وعاد شابا، ولا يعرف في العرب أعجوبة مثله. [ينظر الأعلام للزركلي ٨/٢٢].

(٢) أكد الأطباء أن حليب الأم يبقى في حالة متوازنة من الحرارة والبرودة ولا يتأثر بـالأحوال حـرا وبردا.

(٣) في (ب):رحمةً .

جميعَ ما يُصْلِحُ دينَه ودنياه قَبْلَ حاجته إليه، من الجوارح والقُدْرَة، وجعل كلِّ جارحةٍ تصلُح لِمَا لاتصلح له الجارحةُ الأخرى، فركَّب فيه للسماع أذنَين، وللبصر عينين، وللشم أنفًا، وجعل الفَمَ مشتملاً على اللسان والأسنان. وَجعل له آلَةَ الذَّوْق، والطعام، والانبعاق[1] في جميع أنواع الكلام، وسبيلين لإخراج الأذى، ويدين للبطشِ واللمس، ورجلين للمشي، مع اشتمال جسمه على عروقٍ كثيرةٍ مختلفةِ المنافع.

وعن جعفر الصادق عليه السلام[2] أنه قال:((جعل الله المرارة في الأذنين؛ لئلا تدخلُ الهوآمُّ في خروقهما إلى الدماغ، وجعل الْمُلُوحَةَ في العينين؛ لأنهما شحمتان فأمسكهما بالملوحة؛ لئلا تذوبا، وجعل الرطوبَةَ في الْمَنْخِرَينِ؛ لأنْ يجد بهما الإنسانُ ريحَ الأشيآء، فلولا رطوبتُهما كانا كسآئر جسده، وجعلَ الحلاوةَ في اللسان والشفتين؛ لأنْ يجد به الإنسانُ طعمَ الأشيآء، وجعل بطنَ الراحةِ لا شَعَرَ فيه؛ لِيَحُسَّ اللمس))[3]، ثم قال الصادقُ:أخبرني بهذا أبي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم. فانظر إلى هذه الحكمة البالغة.

---

(١) بَعَقَ في الحديث انْصَبَّ فيه بشدة. وفي الحديث:((إنَّ الله يكره الانبعاق في الكلام، فرحم الله عبدًا. أوجز في كلامه))، [مختار الصحاح ص٨٥].

(٢) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ولد سنة ٨٠هـ وقيل ٨٣هـ وتوفي ١٤٨هـ ، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، وإليه ينتسب المذهب الجعفري الإمامي، وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه أبو حنيفة ومالك، وقال فيه:ما رأت عيني أفضل منه فضلاً وعلمًا وورعًا. وهو أشهر من نار على علم. ينظر أعيان الشيعة ج١ص٦٦٠.

(٣) ربما ذكر هذا في كتابه:خلق الإنسان وتركيبه .

وكذلك مَنْ نَظَرَ في خلق الطاووس وحدَه اكتفى، وقد وصفها أميرُ المـــؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه[1] بما فيه كفايـــةٌ، ومـــن جملتـــه قولُـــه فيها:((فإذا تصفحت شعرةً من شعره أرتك حمرةً وردية، وتارةً خضرةً زَبَرْجَدِيَّـــة، وأحيانًا تريك[2] صُفْرَةً عسجدية)).

وعلى الجملة فَمَنْ نَظَرَ في أقل قليلٍ من خَلْقِ العَالَمِ عَلِمَ أنَّـــه مُحْكَـــمٌ غايـــةَ الإحكامِ، ومتقنٌ نهايةَ الإتقان، على حدٍّ يَعْجِزُ عنه الخلقُ كلُّهم. فثبت أنه قد صح منه الفعلُ المحكم. ولاشبهة في كونه ابتدآءً؛ لأنه خالقُ الفـــاعِلينَ، وإلـــهُ الأوَّلـــينَ والآخِرين.

وإنما قلنا: بأن الفعلَ المحكمَ لايصحُ ابتدآءً إلا من عَالِمٍ ؛ بدليل أنَّ مَنْ صح منه ذلك لابد أنْ يُفَارِقَ مَنْ تعذَّر عليه بمفارقةٍ لولاها لَمَا صَح منه ما تعذر على الآخَر، على نحو ما تقدم. وتلك المفارقةُ هي التي عبَّر عنها أهلُ اللغة بكونه عالما، وقد بَيَّنا أنه تعالى أوجدَ العالَمَ على نهاية الإحكام؛ فوجب وصفُه بأنه عـــالِمٌ، لأنَّ الـــدليل يَطَّرِدُ شاهدًا وغآئبًا.

فصل فيما يوافق ذلك ويؤكده من الشرع:

قال الله تعالى:﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغـــابن:١١]، وهذا يقتضي أنه تعـــالى عالم بجميعِ المعلوماتِ، لأنَّ الخطابَ عامٌّ لا تخصيصَ فيه، وقال تعـــالى في صـــفة

(١) رقم الخطبة: ١٦٣. ص ٣٩٨. من نهج البلاغة . وبعض النسخ رقم١٦٥.

(٢) لا توجد (تريك) في لفظ النهج .

نفسه:﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:٧]، وقال تعالى:يعلم خآئنة الأعين وما تخفي الصدور [غافر:١٩]، وقوله تعالى:﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىَ عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم:٣٨] إلى غير ذلك من الآيات. وقد قَدَّمْنَا طَرَفًا من السنة في ذلك.

المسألة الرابعة

ونعتقد أنه تعالى حي. وفيه فصلان:

أحدُهما في معنى الحي:وهو المختصُّ بصفةٍ؛ لاختصاصه بها يصحُّ أنْ يَقْدِرَ ويَعْلَمَ. **والثاني** في الدلالة على أنه حي:والذي يَدُلُّ على ذلك أنه قادر عالِمٌ. والقادرُ العالِمُ لايكون إلا حيًّا. **وإنما قلنا**:بأنه قادرٌ عالِمٌ لما تقدم بيانُه من الدلالة.

وإنما قلنا:بأنَّ القادرَ العالِمَ لايكونُ إلا حيًّا، لأنَّ مَنْ صح أنْ يقدر ويعلم لابد أن يفارقَ من استحال عليه ذلك -كالميت والجماد- بمفارقةٍ لولاها لَمَا صح منه ما استحال على غيره، وتلك المفارقةُ هي التي عبَّر عنها أهلُ اللغة بكونه حيًّا .

فصل فيما يؤكد ذلك من جهة الشرع:

قال الله تعالى:﴿هُوَ الْحَيّ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ ﴾ [غافر:٦٥] إلى غير ذلك. وذلك ظاهرٌ مِنْ جِهَةِ السُّنة، وبه كان يَدِينُ النبي الأمين صلواتُ الله عليه وعلى آله لأكرمين.

المسألة الخامسة

ونعتقدُ أنَّه تعالى قديمٌ. وفيه فصلان:

أحدهما في معنى القديم:وله معنيان:**لُغَويٌّ واصطلاحي. أما اللُّغوي**:فهو ما تقادم وجودُه. يقال:بناءٌ قديمٌ، وَرَسْمٌ قديمٌ. وعليه يُحمل قولُه تعالى:﴿حَتّىَ عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩] والعرجون هو شماريخُ النخل؛ لأنه إذا يبس قَوَّسَ.
وأما الاصطلاحي:فهو في اصطلاح المتكلمين:الموجودُ الذي لا أوَّلَ لوجوده[١].

الفصل الثاني في الدلالة على أنه تعالى قديم:

والذي يدل على ذلك:**إما أنَّه تعالى موجودٌ** وهو جنس الحد[٢].

فالذي يدل على ذلك أنَّ عدم القدرة على الفعل تَمنع من وجود الفعل من الواحد مِنَّا مع وجود ذاته[٣]، وثبوتِ عِلْمِه وحياتِه على ما تقدم. وعدمُ ذاتِ الفاعل أولى بالمنع من ذلك[٤]؛ من حيث إن حاجتَها[٥] إليه هي حاجةُ الأثَر إلى مؤثِّره، وهو أقوى من حاجتها إلى القُدرة، ولأنَّ الفعل يَدُلُّ بنفسه على وجود فاعله؛ لأنه لابد من تَعَلُّقٍ بين الفعل وفاعله على ما هو ظاهر عند العقلاء، وَالتَّعَلُّقُ يُحِيلُ العَدَمَ، وقد دَلَلْنَا على أنَّ الأفعالَ قد وُجِدَتْ منه تعالى، ووجودُها فرعٌ على وجودُ ذاته عز وجل؛ فثبت أنه تعالى موجود.

وإمَّا أنَّه لا أوَّل لوجوده وهو فَصْلُ الحد؛ فلأنه لو كان لوجوده أوَّلُ لكان

---

(١) شرح الأصول الخمسة ١٨١ .
(٢) جنس الحد ما يدخل فيه المحدود وغيره مثل موجود يدخل كل الموجودات أما الفصل فهو ما يميز المحدود عن غيره وهو هنا قوله لا أوَّل لوجوده الذي ذكره في قوله وإما الثانية.
(٣) أي الواحد .
(٤) أي من وجود الفعل .
(٥) أي القدرة .

مُحْدَثًا، فإن ذلك هو معنى المحدَث، ولو كان مُحدَثًا لاحتـــاج إلى مُحْـــدِثٍ، لأنَّ الْمُحْدَث مُتَعَلِّقٌ في العقل بِمُحْدِثه كما كانت الكتابةُ مُتَعَلِّقَةً بكاتبـــها، والـــنظمُ بناظمه، والبنآءُ ببانيه؛ إذ لايجوز في العقلِ وجودُ أَثَرٍ لامؤثِّر له، ولا وجود كتابـــةٍ لاكاتبَ لها، ولانَظْمٍ لا ناظِمَ له، ولابنآءٍ لابانِيَ له. فثبت أنَّه لو كان مُحْدَثًا لاحتاج إلى مُحْدِثٍ، وكذلك يحتاج هذا الْمُحْدِثُ الثاني إلى مُحْـــدِثٍ، ثم كـــذلك حـــتى يتسلسلَ إلى ما لايتناهى من الْمُحْدِثِينَ. ومعلوم خلاف ذلك. فثبت أنه تعالى لاأول لوجوده، وثبت بذلك أنه تعالى قديم.

فصل فيما يوافق ذلك من جهة الشرع:

قال الله تعالى:﴿هو الأول والآخر﴾ [الحديد:٣] ، وقال تعالى:﴿هُـوَ الْحَـيّ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُـوَ ﴾ [غافر:٦٥]. والحي لايكون إلا موجودًا كما بيَّناه أوَّلاً. فثبت أنه موجودٌ لا أوَّل لوجوده ولا آخِرَ لوجوده، وذلك ظاهر من جهة السُّنة.

فصل:وإذا ثبت أنه تعالى يَسْتَحِقُّ هذه الصفاتِ؛ فعندنا أنه يستحقها لذاتـــه، على معنى أنه لايحتاج في ثبوتها إلى غيره من فاعل أو عِلَّةٍ[1].

والذي يُبطل ثبوتَها له بالفاعل:أنَّه تعالى قديمٌ، والقديمُ لافاعلَ له. ولأنَّ القديمَ لو استحقها بالفاعل لكان الكلامُ في ذلك الفاعلِ كالكلامِ في اللهِ تعالى، فيحتاجُ في ثبوتها له إلى فاعل، والفاعلُ إلى فاعلٍ، حتى يؤديَ ذلك إلى القول بما لايتناهى مـــن الفاعِلين، وذلك محالٌ، فبطل أن يستحقَّ القديمُ هذه الصفات بالفاعلِ، ولايجوز أن

---

(١) والكون مفعول للفاعل وليس معلولٌ للعلة كالضوء معلول للشمس التي هي علتُه؛ لأن العلة يصدر عنها معلول واحد كالحرارة والضوء من الشمس فلو كان الله علة لما تنوعت الكائنات.

يستحقَّها لعلة واحدةٍ ولا لعلل؛ لأنها لاتخلو إمَّا[1] أن تكونَ موجودةً أو معدومـــةً، ومُحَالٌ ثبوتُها لعللٍ معدومة؛ لأنَّ العَدَمَ مَقْطَعَةُ الاختصاص[2]، والعلةُ[3] لاتُوجـــب [المعلولَ] إلا بشرط الاختصاص؛ ولأنَّ في تصحيحها إبطالَها، وكـــلُّ ماكـــان في تصحيحه إبطالُه فهو باطلٌ، ولأنَّه لو استحقها لعللٍ معدومـــةٍ لوجـــبَ في جميـــع الذوات أن تكون مُسْتَحِقَّةً لمثل ما استحقه مـــن هـــذه الـــصفات؛لأنَّ العـــدمَ لا اختصاصَ له ببعض الذوات دون البعض الآخرَ، بل هو مع الكل منها على سوآء. وفي عِلْمنا باختصاص بعض الذوات بذلك دون بعض دلالة على أنه لايجوز ثبوتُها له لعللٍ معدومة، ولايجوز ثبوتها له تعالى لعلل قديمة كما تقولـــه الـــصفاتية مـــن الأشعرية[4]، فإنهم ذهبوا إلى أنه تعالى حي بحياة، وقادر بقدرة، وعالِمٌ بِعِلْمٍ، وسميع

---

(١) إما ساقطة في (ب)، وغيرها ما عدا الأصل .

(٢) أي أن العدم لا يوصف بشيء. والاختصاصات عندهم خمسة أنـــواع:الأول:اختـــصاص الـــشيء بالشيء، بأن يحله فيوجب له؛ كاختصاص الكون بالجوهر. الثاني:اختصاص الشيء بالشيء، بـــأن يحل محل بعضه؛ فيوجب لجملته كاختصاص القدرة والعلم ونحوهما بالواحد منا . الثالث:اختصاص الشيء بالشيء، بأن يوجد على حد وجوده؛ فيوجب له أو ينفيه، كاختـــصاص الإرادة بالبـــاري تعالى، واختصاص الفناء بالجوهر، وقد عد الإمام يحيى بن حمزة هذا الاختـــصاص اختـــصاصين. الرابع:اختصاص الشيء بالـــشيء، بـــأن يحلـــه فيلتـــبس بـــه؛ كاختـــصاص الكـــون بمحلـــه. الخامس:اختصاص الشيء بالشيء، بأن يوجد في محله فينفيه؛ كاختصاص السواد بالبياض، وكـــذا جميع المتضادات الباقية المراجعة إلى المحل. اهـــ معراج، وبعض الأمثلة إنما تصح على رأي المعتزلـــة البصرية. اهـــ تمت السيد عبدالرحمن شايم.

(٣) كالنار فهي علة للحرارة. إنك عندما تحاول أن تختبر صحة التعليل ينكشف من المقدمات البطلان.

(٤) هم الذين يُثبتون لله صفات زائدة على ذاته سبحانه ، ويقولون بأنها قديمة أزلية ولا يؤلون مـــا ورد في حق الله من الوجه واليد ونحو ذلك، حتى وإن أدى إلى التجسيم والتشبيه.ينظر:شرح المواقـــف ٦٨/٣. وفي مقابل هؤلاء الزيدية والمعتزلة ونحوهم، وهم الذي يقولون:صفة الله عين ذاته مـــبررين قولهم بأن القول بزيادة الصفة مشكلٌ؛ لأن معنى زيادة الصفة على الذات أنها غيرها، وبالتالي فـــلا

بسمع، وبصير ببصر، ومريدٌ بإرادة، ومتكلم بكلام[1]. وكلُّ ذلك معـــانٍ قديمـــةٌ عندهم، وقالوا:لاهي هو ولاهي غيرُه، ولاهي بعضُه، ولاهي كلُّه. وقالوا:لولا هذه المعاني لَمَا كان على هذه الصفات. والذي يدل على إبطال قولهم وجوهٌ:

أحدها:أنَّ في تصحيحها إبطالَها، وكلُّ ما كان في تصحيحه إبطالُه فهو باطل.

وإنما قلنا:إن في تصحيحها إبطالها مِنْ حيث إنها قديمةٌ عندهم، فكـــان يجـــب ثبوتُ هذه الصفات في الأزَلِ؛ لثبوت مُوجِبِها في الأزَلِ، وهو العِلَلُ القديمـــة، وإذا كانت ثابتةً [أي الصفات] في الأزل كانت ثابتة على سبيل الوجـــوب[2]؛ لأنَّـــه لاحالة قبل ذلك فتكونَ فيها جآئزةً ثم تجب، وإذا كانت ثابتةً له تعالى على ســـبيل الوجوب اسْتَغْنَتْ بوجوبها عن العلل القديمة؛ فثبت أنه يكون في تصحيحها إبطالُها، وإنما قلنا بأن كل ما كان في تصحيحه إبطاله فهو باطل فذلك ظاهر لايجهله عاقل.

بد أن تحل في الذات وهنا محذور الحلول والظرف والمظروف، كما يقال:إن الصفات الزائدة لا بد وأن تكون متقدمة على الذات أو مقارنة أو متأخرة وكل ذلك محال ويؤدي إلى الكفر ؛ لأن تقدم الصفة معناه أن الذات محدَثة، ومقارنتها يعني تعدد القدماء، وتأخرها يعني أن الله كان ضـــعيفا ثم قوي وجاهلاً ثم علم وهكذا.. تعالى الله ، فقول الزيدية صفته ذاته تفسير سليم وموفق مع أنهـــم يوصفون بالمعطلة وليسوا معطلة وإنما فسروا الصفات تفسيرا يليق بجلال الله ويخرج المسلمين مـــن المحاذير المذكورة مع الإتفاق أن لله صفات ورد بها الكتاب السنة ولا يمكن إمكان ذلك، فافهم.

(١) انظر:رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ص٤– ٢١ .

(٢) لأنَّ القديم واجب الوجود بسبب قدمه، وإلا فهو محدَثٌ، والقديم لا يحتاج لعلة ولا غيرها؛ لأنه لم يُسبَقْ بشيء. ولتوضيح ذلك نقول:سَلَّمنا بأنَّ العِلَل القديمة هي الـــتي أوجـــدت الـــصفات لله ، وحينئذ فيجب أن تكون الصفات قديمة؛ لأن الذي أوجدها قديم، ثم نقول:ما دامـــت الـــصفات قديمة فلا تحتاج لمن يوجدها؛ لأن القديم بطبعه واجب الوجود بدون شيء ، ولا يصح أن يـــسبقه شيء وإلا فليس بقديم فانتقض الادعاء وبطل زعمهم بأن صفات الله لمعان قديمة؛ لأنـــا حاولنـــا تصحيحها فبطلت كالثوب المهلهل إذا رقعته انفتق، والعلة كالشمس يصدر عنها المعلـــول وهـــو الضوء.

الوجه الثاني: أنه لاطريقَ إلى إثبات هذه المعاني القديمة، وكلُّ ما لاطريقَ إليه وجبَ نفيُه .

وإنما قلنا: إنَّه لاطريقَ إلى إثباهَا؛ لأنه لايدل شيءٌ من أدلة العقولِ على إثباهَا، وقد دلَّ العقل على أنَّه قادر، وموجود، ودل الإحكام في الصنع والإتقان على أنه عالم، ودل الدليل المتقدم على أنه لايكون قادرا عالما إلا وهو حي، ودل على أنه قديم، وكذلك سآئر الصفات على مامضى بيانه في بعضها.

والباقي سيأتي بيانه إن شآء الله تعالى، وليس في شيء من هذه الأدلة مايدل على المعاني التي ذكروها، فثبت أنه لاطريق إلى إثباهَا.

وإنما قلنا: بأنَّ كل مالاطريق إليه وجب نفيُه؛ لأنَّ إثباتَها بغير دَلالة يفتح بابَ كل جهالة.

الوجه الثالث: أنَّ تلك المعاني لاتخلو أنْ تَحُلَّ في الله تعالى أو لا تَحُلَّ. باطلٌ أن لاتَحُلَّ فيه تعالى وتوجِبْ له؛ لعدم الاختصاص به تعالى، فكان يجب أن لاتوجَبَ له لعدم الاختصاص به.

ثم لو سلمنا أنَّها تُوجِبْ مع فقد الاختصاص فلم تكن بأنْ توجَبَ له أولى من أن لا تُوجَبَ له وأولى من أن توجَبَ هذه الصفات لغيره لعدم الاختصاص، ألا ترى أنَّ أحدنا لَمَّا كان قادرًا بقدرةٍ، وعالِمًا بِعلْمٍ، وحَيًّا بحياةٍ وجبَ حلول هذه المعاني فيه؛ ليكونَ بها قادرًا وعالِمًا وحَيًّا، وباطلٌ أن تَحُلَّ فيه تعالى، لأنَّ الْمَحَالَّ كلَّها محدثة، فإنا لانعني بالمحالِّ إلا المتحيِّزَات من الجواهر والأجسام، وقد دَلَلْنا على

حدوث جميعها. وهو تعالى قديم، فلا يجوز حلُولُها فيه، فكان لابُدَّ من أحد أمرين: **إمَّا** أن يكون مُحدثًا لكونه مُتَحَيِّزًا أو مَحَلاًّ، **وإمَّا** أن يكون الْمُتَحيِّزُ قديمًا لاحتياج القديم إلى حلوله[1]. وكلا الأمرين مُحَال.

الوجه الرابع: أنَّ تلك المعانيَ القديمةَ لم تكن بأنْ توجِبَ له هذه[2] الصفاتِ أولى من أن يُوجِبَ تعالى لها ذلك، لأنه قد اشترك هو وتلك المعاني القديمةُ في الوجود فيما لم يَزَلْ، فلا اختصاصَ للبعض بالإيجاب دونَ البعض، وذلك محال.

فأما مقالةُ الأشعرية في إثبات هذه المعاني السبعة[3] وأنَّها قديمة، وأن الذاتَ هي الثامنة، فإنها زآئدةٌ على مذهب النصارى الذينَ قالوا: ﴿ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] زيادةً بيِّنة؛ لأنَّ الثمانيةَ أكثرُ من الثلاثة.

وقولهم: لاهيَ اللهُ، ولاهيَ غيرُه، ولاهيَ بعضُه، فَمِنَ المحالات الظاهرة[4]؛ لأنَّ المعلومَ عند كل منصف أنها إذا لم تكن هي الله فقد صارت غيرَه، وإذا لم تكنْ هي غيرَه فهي هو. فأما البعضُ فهو غيرُ جآئز عليه سبحانه بلا خلاف بيننا وبينهم، فبطل بذلك قولُ الصفاتية، وثبت أنه تعالى لا يستحق هذه الصفات لمعان قديمة.

ولا تجوز له لمعان محدَثة؛ لأنه كان يجب أن يَحتاج في حدوثها إلى مُحِدث قادرٍ عالمٍ حيٍّ، وذلك لا يجوز.

---

(١) أي حول المعنى في الذات لتؤثر كما يقولون .

(٢) هذه ساقطة من (ب) ، (ج) .

(٣) المعاني السبعة هي قولهم: حي بحياة، وقادر بقدرة، وعالم بعلم، وسميع بسمع، وبصير ببصر، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام.

(٤) الظاهرة: محذوفة في (ب) ، (ج) .

وإنما قلنا:بأنه كان يجب أنه يحتاج في حدوثها إلى مُحْدِثٍ قادر عالم حي. **أمَّا** أنها تحتاج إلى مُحْدِثٍ قادرٍ فلما بينا فيما تقدم أنَّ كل محدث يحتاج إلى مُحْدِثٍ قادر.

وأمَّا أنه يجب أن يكون حيًّا فلما بيَّنا أنَّ كل قادرٍ فهو حيٌّ، **وأمَّا** أنه يجب أن يكون عالِمًا؛ فلأن من جملة هذه المعاني العِلْمُ؛ إذ ذلك هو مذهب الصفاتية القآئلين بأنه تعالى عالم بعِلْم، والعِلْمُ لا يصح وجودُه إلا من عالم، بدليل أنَّ الواحد منا إنما يَتوَصَّلُ إلى تحصيل العِلْم بما لا يعلمه بِعِلْمٍ ما يَعْلَمُه قَبْلَ ذلك، فَيَتَوَصَّلُ بالدليل أو بغيره مِنْ تَذَكُّر النظر وما أشبهه إلى أنْ يَعَلْمَ ما يريد أن يَعْلَمَه؛ ولهذا فإن الصبي والمجنونَ يتعذرُ عليهما تحصيلُ العلوم والمعارف؛ لأنَّ علومَ العقل التي هي مبادئ الأدلةِ والبراهين وأصولُها لم تتكامل في حقهما-وإنْ كانا قد يعلمان كثيرًا من المعلومات-ويصح ذلك من العاقل لتكامل عقله.

فالحكمُ الذي هو صحة إحداث العِلْمَ يثبت بثبوت كونه عالِمًا وينتفي بانتفآئه، وليس هناك ما تعليقُ الحكمِ به أولى، فلا بد من تَعَلُّقٍ، وأدنى درجات التعلق هو تَعَلُّقُ الشرط بالمشروط، فيكونُ كونُه عالِمًا شرطًا في صحة إحداثه للعلم، فثبت أنه تعالى لو استحقها لعلل مُحْدَثةٍ لوجب أن تحتاجَ تلك[1] العللُ في حدوثها إلى مُحدِث قادرٍ عالِمٍ حيٍّ.

وإنما قلنا:بأن ذلك لا يجوز؛ لأنه لا يخلو أنْ يكونَ هو الله أو غيره. فالأول

---

(١) تلك ساقطة من (ب) .

باطل؛ لأنه لا يصح منه إحداثُها حتى يكونَ على هذه الصفاتِ فيكون قادرًا عالِمًا حيًّا؛ لِمَا تقدم بيانُه، وهو لايكونَ على هذه الصفاتِ حتى يُحدثَها فيقفُ كلُّ واحد من الأمْرَينِ على الآخَر، فلا يَحْصُلانِ، ولا واحدٌ منهما.

ولا يجوزُ أنْ يُحْدِثَها غيرُه؛ لأنَّ ذلك الغيرَ كان يجبُ أن يكونَ قَبْلَ إحـــداثها مختصا بهذه الصفات؛ فكان يجبُ أن يَحتاجَ في ثبوتها له إلى علل أخرى مُحْدِثَةٍ، ثم كذلك حتى يُؤديَ إلى القول بما لا يتناهى من الفاعلين والعلل ,وذلك محال، أو إلى ثبوت بعضها دون بعض وذلك باطلٌ؛ لعدم المخـــصِّص، فيجـــب نفـــيُ المقـــدَّرِ المفروضِ، والاقتصارُ على المحقَّقِ المعلوم، والقضآءُ بأنَّ الله تعـــالى يـــستحقُّ هـــذه الصفاتِ لذاتِه دونَ أن يستحقَّها لعلةٍ ولا لِعِلَلٍ ، بحمد الله تعالى.

فصل:وإذا ثبت أنه تعالى يستحق هذه الصفات لذاته–ثبت أنه عـــالِمٌ بجميـــع المعلومات على كلِّ الوجوه التي تصح أنْ تُعْلَمَ عليها؛ لأنه لا اختصاص لذاته ولا لما هو عليه في ذاته من صفاته الواجبة الثابتة لذاته ببعض المعلومات دون بعض. **فإمَّـــا** أنْ يَعْلَمَهَا على العموم فهو الذي نقول، أو لا يعلمَ شيئًا منها انتقض القولُ بكونه عالِمًا، وقد ثبت أنه تعالى عالم.

وإمَّا أنْ يعلم بعضَها دون بعض من دون مخصص؛ فذلك لا يجـــوز؛ لأنَّ فيـــه إثباتَ الأحكامِ بغير دلالة، وذلك يفتح باب كل جهالة، وقد قـــال تعـــالى:﴿**والله بكل شيء عليم**﴾ [التغابن:١١]، وهذه آية عامة لم يَخُصَّها شيء من الأدلة الـــسمعية ولا العقلية، وإنما المخصِّصُ لكون الواحد مِنَّا عالِمًا هو العِلْمُ، فإنَّ الواحد منا عالِمٌ

بِعِلْمٍ. والعلمُ الواحدُ لايتعلق على سبيل التفصيل بأزيدَ من معلومٍ واحد، وإلاتعدى إلى أكثرَ من ذلك، وذلك محال.

يُبين ذلك ويوضحه أنَّ العِلْمَ الواحد لو تعلق بمعلومين أو ثلاثة فصاعدا ثم تعلق الجهلُ بأحدهما لم يَخْلُ أن ينفي ذلك العلم الواحد الذي تعلق بجميعها فهذا محال؛ لأنه يؤدي إلى أنَّ الجهلَ بكونِ زيدٍ في الدار يضاد العلم بكون عمرو في المسجد أو لا ينفيه، وذلك أيضًا محال؛ لما بينها من التضاد، أو ينفيه من وجه دون وجه وذلك محال لأنه يكون موجودًا معدوما في حالة واحدة، فثبت أن ذلك لايجوز.

فصل: وإذا ثبت أنه تعالى يستحق هذه الصفات لذاته-وَجَبَ أن يكونَ قادرًا على جميع أجناسِ المقدورات، ومن كل جنسٍ، في كل وقتٍ، على ما لانهاية له؛ لأنَّه لا اختصاصَ لذاته ولا لما هو عليه في ذاته من صفاتِه الواجبة بجنسٍ من المقدورات دونَ جنس، ولا بِقَدْرٍ من الأجناس دون قَدْرٍ على نحو ما مضى بيانه في كونه عالِمًا.

وإنَّما المخصَّصُ لكون الواحد مِنَّا قادرًا على البعض دون البعض هو القدرة، فإن الواحد مِنَّا قادر بقدرة مُحْدَثَةٍ، مُحْدِثُها الله تعالى. **والقدرةُ** تحصي[1] مقدورها في الجنسِ والعَدَدِ.

أمَّا الجنسُ فعشرة أجناس: خمسةٌ من أفعال القُلُوبِ: وهي الإعتقادات، والإرادات، والكراهات، والظنون، والأفكار. وخمسة من أفعال الجوارح: وهي

---

(١) في (أ) ، (ج): تحصر. و (د)، (ب): يحصر. و(هـ): حصر.

الأكوان، والإعتمادات، والتأليفات[1]، والأصوات، والآلام .

والذي يدلُّ على ذلك أنَّ الواحدَ مِنّا لو دعاه أَوْفَرُ داعٍ إلى إيجادِ ما عداها من الأعراض لَتَعَذَّر عليه إيجادُه على كل حال من الأحوال، وفي كل وقت من الأوقات.

وأما حصرُها له في العدد؛ فلأنَّ القدرة لا تتعلق[2] في الوقت الواحد في المحل الواحد من الجنس الواحد على الوجه الواحد بأزيدَ من مقدور واحد، إذ لو تَعَدَّتْ ولا حاصر لَتَعَدَّتْ إلى ما لانهايةَ له، ومعلومٌ خلاف ذلك؛ لأنَّ القول بتعدِّيها يزيل التفاضل بين القادرين، وقد علمنا خلاف ذلك؛ وقد ثبت أنه تعالى قادر لابقدرة، فيجب أن لاينحصر مقدُوره في الجنس ولا في العدد.

وإذْ قد ذكرنا[3] أن بعضَ العدليةِ قد ذهب إلى أنه تعالى غيرُ قادر على أعيان مقدورات العباد؛ فلأنَّ عينَ المقدور الواحد يستحيل أن يكون مقدورًا لقَادرَينِ،

---

(١) ينظر الكلام على هذه الأجناس في رياضة الأفهام للإمام المهدي في مقدمة البحر الزخار. **الإعتقادات**:مثل الجنة حق ونحوه. **والإرادات**:يريد الشرب ونحوه. **والكراهات**:كراهة الروائح المنتنة. **والظنون**:الظن واليقين والوهم والشك. **والأفكار**:سنحت فكرة. **والأكوان**:يفعل أو لا يفعل. ينظر أو لاينظر. **والإعتمادات**:كالساكن لا يخرج من السكون إلى الحركة إلا بواسطة ؛ لأنه لا يمكن إلتقاء النقيضين في جزء فيقال فيه:متحرك ساكن؛ فافترضوا شيئًا ينقل الشيء إلى صفة وسموه الاعتماد، وهذا أوضح وجوه معنى الاعتماد. **والتأليفات**:الجمع بين شيئين؛ فكل شيء كان متفرقًا ثم اجتمع كذرات الكون.

(٢) في (ب) فلأنَّ حَدَّ القدرة لا يتعلق .

(٣) لعله يريد قوله في أول الفصل:أجناس المقدورات ، تعليق على قول بعض العدلية يقال بالنظر إلى قدسيته لا يعجزه شيء، وبالنظر إلى حكمته لا يفعل مقدورات عباده لئلا يبطل الثواب والعقاب، ثم إن عين مقدور العبد يستحيل أن يكون فعلا لغيره وهو ما قصده بعض العدلية.

والله تعالى إنَّما يوصف بكونه قادرًا على ما يصح دون ما يستحيل.

وإنَّما قلنا: بأنَّه يستحيلُ مقدور بين قادرين؛ لأنَّه لو كان صحيحًا ثم دَعَى أحدَهما داعٍ مكينٌ إلي إيجاد ذلك المقدور، والآخَرَ صَرَفَهُ صارفٌ مكينٌ عن إيجاده لم يَخْلُ **إمَّا** أن يحصل مرادَاهما[1]، أدى ذلك إلى أن يكون موجودًا بحسب داعي أحدهما، وإلى أن يكون معدومًا بحسب صارف الآخَرِ، فيكون موجودًا معدومًا وذلك محال. **أو لا** يحصل مراداهما جميعًا وذلك محال، لأنَّه يخرج عن كونه مقدورًا لواحد منهما. **أو يحصل** مرادُ أحدهما دون الآخر فذلك محال؛ لأنَّ مِنْ حق القادر أن يحصلَ فعلُه عند دعآءِ الداعي المكين، وأن لايحصل عند حصول الصارف المكين. وقد أدى إلى هذه المحالات القولُ بمقدور بين قادرين، فيجب أن يكون مُحالا، وفيه نظر[2].

المسألة السادسة

ونعتقد أنَّه تعالى سميعٌ بَصيرٌ. و فيها فصلان:

---

(١) في بقية النسخ (مرادهما) .

(٢) المقدور بين قادرين متفقين لا مختلفين يمكن حصوله وفاقًا لأبي الحسين البصري من المعتزلة، وخالف بعض متأخري الزيدية كالمهدي عليه السلام وغيره من الشيعة وجمهور المعتزلة، فقالوا:إنه محال فلا تتعلق قدرة قادر بعين ما تعلقت به قدرة قادر آخر، بل إنما تتعلق بجنسه. مثال ذلك:الخشبة التي وزنها مائة كيلو فحملها رجلان فهي في الظاهر مقدورة بين قادرين وليس كذلك؛ لأن كل واحد حمل حصته فقط، بدليل أن الواحد لم يكن قادرًا عليها، وإنما لم يتميز حصة كل واحد فقط. وقالوا سواء في ذلك القادر بقدرة أو القادر بغير قدرة وهو الله ؛ فلا يقدر عندهم على عين مقدور عبده؛ لأنه من المستحيل وكأن صاحب الينابيع يرى صحة مقدور بين قادرين كمثال الخشبة. ينظر عدة الأكياس ٢٢٧/١.

أحدُهما في معنى السميع البصير:ومعناه أنه حيٌّ لا آَفَةَ به[1]. والثاني في الدلالـــة على أنه تعالى سميعٌ بصيرٌ. وإذا أردنا ذلك تكلمنا في مطلبين:**أحدهما**:في الدلالة على أنه تعالى حي، وهذا قد مضى بيانُه.

والمطلب الثاني:في الدلالة على أنه تعالى لا آَفَةَ به.

وبيانُه أنَّ معنى الآفات هاهنا:هو فسادُ تركيب الحواس، بدليل أنـــه لايجـــوز إثباتُ ذلك بأحد اللفظين ونفيُه باللفظ الآخَرِ، فلا يجوزُ أنْ يقال:بفلان آفةٌ، ومـــا فسدتْ له حآسةٌ، وعلى العكس من ذلك؟

وقلنا:((هاهنا)) احترازًا من آفات الزرآئع وسآئر الجمادات، والحواسُّ بعـــضٌ من أبعاض الحي، وجزءٌ من أجزآئه. والأبعاضُ والأجزآء لاتجوز إلا على الأجسام، وهو تعالى ليس بجسم لما بَيَّنَّاهُ من حدوث الأجسام وقِدَمِه تعالى.

وإذا ثبت أنَّه تعالى حَيٌّ لا آفةَ به فهو سميع بصير، لأنَّ أهلَ اللغة يَصِفُون مَـــنْ هذه حالُه بأنه سميعٌ بصيرٌ، وإن لم يكن عالِمًا بالمسموعات والمبصرات، بأن يكون ساهيًا أو نآئمًا. ويَثْبُتُ هذا الوصفُ بما ذكرناه، وينتفي بانتفآئه على اصـــطلاحهم ومواضعتهم؛ ولهذا لا يصفون الأصمَّ والأعمى بذلك-وإن كانا يَعْلَمَانِ المسموعات والمبصرات قبل أن يصيبهما العمى والصَّمَمُ-وكذلك من لايكونُ حيًّـــا فـــإنهم لا يَصِفُونه بأنه سميع بصير.

فثبت بذلك ما ذكرناه من أنه تعالى سميع بصير. وقد قال ســـبحانه:﴿إِنّ اللّهَ

---

(١) قال الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الأساس ص٤٠:جمهور أئمتنا عليهم السلام وهما بمعنى عـــالم. بعض أئمتنا عليهم السلام وبعض شيعتهم والبصرية بمعنى حي لا آفة به.

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١]، فصار بذلك مؤكدا لأدلة العقل.

فكمل بكمال هذه المسألة مسائل الإثبات في التوحيد، ويلحق بذلك ما تتعلق به الصفاتية أهل الجهالات من ظواهر الآيات[١]، من ذلك قول الله تعالى:﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ ﴾ [فاطر:١١]، قالوا:فقد أثبت العلم لنفسه.

والجوابُ:أنَّ الظاهرَ لا تَعَلُّقَ لهم به؛ من حيث إنَّه يقتضي أنَّ الوضعَ كان بِعْلِمِهِ، والْحَمْلَ كذلك أيضًا، فيكونَ العِلْمُ آلةً للحمل والوضع؛ لأنَّ ذلك هو ما يقتضيه ظاهرُ اللفظ، وهذا مما لا خفآء[٢] لفساده، ولايقوله الخصمُ أيضًا.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:٢٥٥][٣] فظاهره يقتضي أن علمه يتبعض لدخول ((مِنْ)) عليه، وهي موضوعة في اللغة للتبعيض.

[وقوله تعالى:﴿لّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾[٤] [النساء:١٦٦] ومتى عَدلَ الخصْمُ عن ظاهر هذا الخطاب سقط تعلقُه، وإذا سقطَ تعلقه، قلنا:إنَّ معنى ذلك أنَّه تعالى أنزله وهو عالِمٌ به، كما بينا ذلك في ((كتاب إرشاد العباد إلى سويِّ الاعتقاد))، وبيَّنا الوجوه التي تحتمل ذلك من جهة اللغة، ثم أبطلنا جميعها إلا

---

(١) شرح المواقف ٣/ ١١٣ .

(٢) في بقية النسخ لا خفا .

(٣) في (هـ) الظاهر أن هنا سقط، ولعله: وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ، أي من معلومه ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ وظاهره يقتضي ..إلخ.

(٤) ذكر في هامش الأصل وهامش (ب):الظاهر أنَّ هاهنا ساقطًا وأن الخصم قد احتج بقوله تعالى:﴿لّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾. الآية. والله أعلم.

ما ذكرناه هاهنا.

[ومن ذلك قوله تعالى:﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ﴾ [هود:١٤]. **والجواب**:أنه لا تعلق لهم به من حيث إنَّه يقتضي أنه آلةُ الإنزال، وهذا مما لا خفَى في فساده][1]. ويجوزُ أن يكون معنى قوله:﴿بِعِلْمِ اللّهِ﴾ يعني وهو عالم أنه لايقدر أحد على معارضته، وعالم بوجوهه التي أوقعه عليها.

وبعدُ:فلفظة **العِلْمِ** مَصْدَرٌ [من][2] قولهم:عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا، والمصدرُ يتردد بين الفاعل والمفعول، فتارةً يُراد به الفاعلُ، وتارةً يُراد به المفعولُ، يقال:فَعَلَتْ كذا بعلمي، أي وأنا عالِمٌ به، ويقال:لِيَكُنْ جميعُ ما يفعلُه فلانٌ بعلمك، أي لتكن عالِمًا بجميع ما يفعله. ويقال:عِلْمٌ الهادي[3] إلى الحق عليه السلام، أي معلومه، وكذلك علم الشافعي وأبي حنيفة.

وإذا كثر استعمالُ ذلك تارةً عن العالم وتارةً عن المعلوم، وجبَ صرفُه في كل موضع إلى مايليق به من المعنى دون إثبات المعنى الذي هو العَرَض.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وقوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ الآية، [البقرة:١٤٣]. وقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ

---

(١) ما بين القوسين ساقط في الأصل. وهو موجود في (ب) .

(٢) في (ب):لا توجد **مِنْ** ، فيكون مصدر مضاف .

(٣) في بقية النسخ: ويقال:هذا علم الهادي .

بِالآخِرَةِ ﴾ [سبأ:٢١] الآية، وقوله عز وجل:﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾[الأنفال:٦٦]، وقوله سبحانه:﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس:١٤]، وقوله تعالى:﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه:٤٤] .

فالمخالفون تعلقوا بهذه الآيات، وقالوا:إنه لم يكن عالما قبل ذلك، وإنما حدث له العلم؛ لأنه لايجوز أن يقول مثل ذلك وهو به عالم.

والجواب:عن ذلك أنَّ ما ذكروه لايصح؛ لأنَّ العلمَ بحالهم وما كلَّفهم لو لم يتقدم لَقَبُحَ التكليفُ أصلاً؛ لأنه إنما يحسن من المكلِّفِ أن يأمر[1] بما يعلم حسنه، وأنَّ المكلَّف متمكنٌ من فعله على الوجوه التي كُلِّف. فكيف يصح مع هذا أن يكون علمه بحالهم حادثا بعد التكليف عند فعلهم ما كُلِّفوا.

على أنه ليس في ظواهر هذه الآيات ما يُنبئُ عن كونه غير عالم بما سيكون منهم، وإنما فيه أنهم لايدخلون الجنة حتى يعلمَ المجاهدين منهم، وحتى يعلم مَنْ يؤمن. والعالِمُ بالشيء[2] إنما يكون عالِمًا به إذا عَلِمَه على ما هو به.

فاللَّهُ تعالى إنما يعلمُ المجاهد مجاهدًا إذا جاهد، ويعلَمُه مؤمنًا إذا آمن، وليس في ذلك نَفْيُ كونه عالِمًا بمن سيؤمن وسيجاهد، وهذا موضع الخلاف.

فأما معنى هذه الآيات فهو أن أهل اللغة لفصاحتهم، مِنْ عادتهم أن يُخْبِروا عما يريدون الإخبار عنه بأنْ يُعلّقوا الخبر والوصف بما يوجد عند وجوده، وذلك يختلف:فمن ذلك تسميتهم النبوة رحمة، في قوله تعالى:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ

---

(١) في (ب):يأمرهم .

(٢) في (ب):بشئ .

﴾ [الزخرف:٣٢] فسمى النبوة رحمة لما كان إيتاؤه إيَّاها رحمةً على العباد[1]. **ومن ذلك** الإخبارُ عن الشيء بما لايحصل إلا معه وبه، كما أخبر عن الوطء بالملامسة تارةً[2]، وباللمس أخرى[3]، وبالمباشرة تارة.

ومن ذلك الإخبارُ عن الشيء بما يُنْبِئ عنه ويدل عليه أو يقومُ مَقَامه، نحو تسمية الإشارةِ الدّآلةِ على صوم مريم قَوْلاً لَمَّا كانت تلك الإشارةُ في الإخبار عن صومها تقوم مقام القول. **ومن ذلك** أن يُقَامَ الإخبارُ عما معه يحصل الثاني أو يتعلق به، نحو قوله تعالى:﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىَ ﴾ [طه:٤٦]، أخبر بذلك عن حفظهما ونصرهما؛ إذ كان النصرُ والحفظُ قد يقعان عند العلم[4] لحاجة[5] الغير إليهما. **ومن ذلك** الإخبارُ عن الشيء بما يحصل عند حصوله لامحالة، وذلك نحو تعليق حصول الشيء بعلم الله تعالى الذي لابد أن يعلمَه كآئنًا عند كونه، وذلك نحو قولهم: لم يَعْلَمِ الله من ذلك قليلاً ولاكثيرًا، قصدًا لِنفي كَوْنه، فَلَمَّا كان جميعُ ما يحصلُ ويكونُ يعلمه الله[6] – عَلَّق حصولَه به على ما بيناه؛ وإذا كان كذلك فقوله:﴿وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصّابِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٢] معناه:وَلَمَّا

---

(١) في (ب):للعباد .
(٢) في (ب):بحذف تارة .
(٣) الأظهر بالمس إشارة لقوله سبحانه:﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسّوهُنّ ﴾ ؛ لأن الملامسة هي اللمس. والملامسة يشير إلى قوله تعالى:﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النّسَآءَ ﴾ .
(٤) في (ب) و (ج):عن العلم .
(٥) في (ب):بحاجة وهو الأنسب .
(٦) في (ب) ، (ج):بعلم الله تعالى .

تجاهدوا وتصبروا[1]؛ لأنَّه لافرقَ عند أهل اللغة العربية بين أن يقول:وَلَمَّا تجاهــدوا وتصبروا[2]، وبين أن يقول:ولَمَّا يعلم اللهُ منكم الجهادَ والصبرَ، بل هما سوآءٌ، لأنَّ عِلْمَ الله تعالى بالجهاد هاهنا عبارة عن حدوث الجهاد، وَعِلْمُ الله بالصبر عبارةٌ عن حدوث الصبر نفسه؛ فمعنى حصول علمه بهما هو حصولهما؛ لأنهما لايحصلان إذا حصلا إلا بعلم الله، فسوآء قولك:يكون كَذَا إنْ عَلِمَ اللهُ منك الجهــادَ والــصبرَ، وقولُك:إن جاهدت وصبرت.

وكذلك قوله:﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إلاّ لِنَعْلَمَ مَن يَتّبِعُ الرّسُولَ مِمّن يَنقَلِبُ عَلَىَ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣]، معناه ليتميز المتَّبعُ من المنقلب؛ لأنه إذا اتبــع هذا وانقلب هذا عَلِمَهُ الله كآئنًا، وإن كان قبل ذلك عالِمًا بما سيكون من ذلك؛ لا أنه لايَعْلَمُ كون هذا مُتَّبَعًا وهذا مُنْقَلِبًا إلا بعد وجود الاتباع والانقلاب منــهما، فسقط تَعَلُّقُ المخالف بذلك في حدوث العِلْمِ، وصح ووضح أنه إنما عَلَّقَه به إخبارًا عن حدوث الفعل الْمُعَلِّقِ به العِلْمُ. وكذلك قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سُلْطَانٍ إلاّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالاَخِرَةِ مِمّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكّ﴾ [سبأ:٢١]، يجب حملُــه على هذا المعنى فقط، من حيث إنَّ كونَ[3] سلطانه عليهم لايقتضي عِلْمِه بــالمؤمن والكافر؛ لأنَّه ليس بسبب له ولا بعلة موجبة[4]، وإنما يقتضي ذلك من حيث مــا

---

(١) في (ب):يجاهدوا ويصبروا، بالياء .

(٢) في الأصل تجاهد وتصبر وهو مخالف للسياق، ولذلك آثرنا اعتمــاد نــسخة (ب)، بإثبــات واو الجماعة.

(٣) في (ب):أن يكون .

(٤) في (ب):توجبه .

ذكرناه[1]، وهو أنَّ بدعوته إيَّاهم يتميز المؤمن من الكافر، والمخلص من المرتــاب، فَيَعْلَمُ اللهُ المؤمنَ حاصلاً منه الإيمانَ والكافرَ حاصلاً منه الكفر، وإن كان عالِمًا قبل ذلك بما يكون منهما، إلا أنه لايجوزُ أنْ يَعْلَمَه مؤمنًا وهو لم يؤمن بعد، كما لايجوزُ أن يَعْلَمَه أسودَ إلا بعد كونه أسود، وهذا التفسيرُ مستمرٌّ على ما بيناه أوَّلا.

وكذلك قوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾ [الأنفال:٦٦] احتجوا لقولهم بأنَّ[2] حدوثَ العِلْم كان مع حدوث التخفيف، فكما أنَّ التَّخفيفَ حدث الآن فكذلك القولُ في العلم.

والجواب: أن ظاهرَ اللفظ لايقتضي ما ادَّعوه؛ لأنَّ الواو قد تكــونُ عطفــا، وتكون ابتدآئيةً، وتكون حالاً، إلى غير ذلك. وليست في هذا الموضع بعطف؛ لأنها لو كانت عطفًا لوجب أن يكون العلم وُجِد بعد التخفيف عند مَنْ يقول: إنَّ الواو في العطف تقتضي الترتيب، أو تقتضي الجمع عند مِنْ يقول: إنها لا تقتضيه، وليس ذلك بقول لأحد، فسقط قولُهم. وعلى أنَّ المعلوم أنّه تعــالى أراد أنَّ التخفيــف حَدَثَ بعد العِلم بأنَّ فيهم ضعفا، فإذا صح هذا فالآيةُ توجب أن يكون التخفيــفُ حادثًا، ولَيْسَتْ توجب حدوثَ العلم، ويكون إنما أوجب التخفيفَ لأجل حدوث الضعف، لا لأجل حدوث العلم؛ لأنَّ الضعف لو كان قبل ذلك حادثًا لوجب أن يكون العلمُ به حاصلاً، وَلَوَجَبَ أنْ يُخَفِّفَ قبل ذلك [الوقت][3]، فلما فسد ذلك

---

(١) في (ب) ، (ج) ، (د) من حيث ذكرناه .
(٢) في (ب): بقولهم أنَّ .
(٣) الوقت: تعليقه في (ب) .

صح أن الضُّعْفَ حَدَثَ الآن، فإن التخفيف إنما وُجِد عقيب حدوث الضعف، وأن العلمَ بذلك غيرُ حادث، فإنما علقه على ما بيناه من حيث لايجوز أن يعلم الضعفَ وَلَمَّا يحصل، وإنما يعلم الضعف موجودًا عند وجوده على ما بيناه.

ولايقدح ذلك في كونه عالِمًا بأن الضعفَ سيوجد ويحصل ولاينافيه، لأنه لاذِكْرَ له في الخطاب، ولا يُفْهَمُ من صريحه ولامن معناه ولا من إشارته ولامفهومه ولامن فحواه .

وكذلك قوله تعالى:﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٤]، فإنه لايقتضي أنه لم يكن عالِمًا بذلك، بل يوجب الإمهالَ والإنظارَ، وقد تضمن ذلك التهديدَ، ومعناه لينظر[(١)] إلى عملكم موجودًا فيثيبكم أو يعذبكم على ما يحصل من أعمالكم؛ لأنه لايجوز أن يعذبهم على علمه بما سيعملون؛ لأنه ليس بعمل لهم قبل فعله[(٢)] .

وكذلك قوله تعالى:﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىَ ﴾ [طه:٤٤]، فإن ((لعلَّ)) في هذا الموضع[(٣)] توضع موضع لام كي، وذلك شائعٌ في لغة العرب، فيجب حملها على هذا المعنى[(٤)] .

---

(١) في (ب):لننظر إلى عملكم فنثيبكم ونعذبكم، وفي (د):أو نعذبكم.
(٢) ينظر الكاشف ٢/ ٣٣٣ .
(٣) في (ب):في مثل هذا الموضع .
(٤) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/١٣١، والدر المصون ٨/٤٣، وقال:قوله:لعله ((فيه أوجه:أحدها:أن لعل على بابها من الترجي، وذلك بالنسبة إلى الْمُرْسَل وهو موسى وهارون عليهما السلام، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما في إيمانه، اذهبا مترجيين طامعين، وهذا معنى قول الزمخشري، ولا يستقيم أن يرد ذلك في حق الله تعالى؛ إذ هو عالم بعواقب الأمور. وعن سيبويه:كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى؛ فهو من الله واجب، يعني أنه مستحيل بقاء معناه

ومما تعلقوا به قول الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً﴾ [فصلت:١٥]، قالوا: فقد أثبت لنفسه القوَّةَ، وذلك يوجب صحةَ القول بالصفات[(١)].

والجواب: أن ظاهرَ الآية يقتضي أن يكونَ له قوةٌ شديدةٌ، والشدةُ إنما هي الصلابةُ، ولايجوز وصفُ القُوَى والأَعْرَاضِ بالشدة والصلابة على الحقيقة.

وبَعْدُ فالقُوَى إنما تُسْتَعْمَلُ في الأجسام ذوات الجوارح والمحتملة للأعراض، فيقال: فلان ذو قوة، وإنه لذو قوة شديدة إذا كانت جوارحُهُ متينةً مكبَّدة[(٢)]، صلبة الأعصاب[(٣)]، غير رخوة، وكل ذلك ما لايقولون به، وعلى أن ظاهر الآية يقتضي أن يكونوا يعلمون أنه أشدُّ منهم قوةً من حيث علموا أنه خلقهم. **فالواجب** أن ينظروا، فإن كان خَلْقُه إياهم يقتضي أنَّ له قوةً ويدل عليه قُضِيَ به، وإن لم يدل عليه ودل على غيره مما يمكن صرفُ الآية إليه مما هو مجاز وجب رده إليه. ومعنى

في حق الله تعالى. والثاني: أن لعل بمعنى كي، فتفيد العلة. وهذا قول الأخفش، قال كما تقول: إعمل لعلك تأخذ أجرك، أي: كي تأخذ. والثالث: أنها استفهامية، أي: هل يتذكر أو يخشى؟ وهذا قول ساقط ، وذلك أنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى، كما يستحيل الترجي؛ فإذا كان لابد من التأويل، فجعل اللفظ على مدلوله باقيًا أولى من إخراجه عنه)).

(١) ينظر تفسير الفخر الرازي مج١٤ ج٢٧ ص١١٣ حيث قال: احتج أصحابنا بهذه الآية على إثبات القدرة لله، فقالوا: القوة لله تعالى.

(٢) الكبد-بفتح الكاف والباء: الاستواء والاستقامة. وفي حديث الخندق: ((فعرضت كَبْدَةً شديدة)) بسكون الباء. وهي القطعة الصلبة من الأرض. [تاج العروس٥/١٢١٨].

(٣) في (ب) مؤكدة صلبة الأعضاء وفي هامش (ب) مبنية مؤكدة. وفي هامشها أيضا: مكينة قال نُسخة.

ذلك أنه تعالى أقوى منهم، أي أقدر[1]، وذلك شآئعٌ في اللغة العربية، فـــإنَّ ذلـــك يجري مجرى قول القآئل:فلان أشدُّ من فلان بأسًا وقوةً، فلا يخطر ببال أحد من أهل اللغة أن هناك معانيَ، بها صار أقوى؛ لأنهم لايعرفون المعاني التي أثبتها المتكلمـــون، وإنما يقصِدون به أنه أقدر منه على الأمور وأقوى، فأراد الإخبارَ عن كونه قـــادرًا على حدٍّ لايساويه قادرٌ في ذلك، فيجب حَمْلُ كلامِهِ على المعنى اللغوي؛ لأنه نزل على اللغة العربية، فقال تعالى:﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥]، فيجب حملُهُ على ذلك دون ماذكروه من الأعراض.

وَبَعْدُ:فإن صحةَ السمع موقوفةٌ على أنه عالم بقبح القبيح، وغنيٌّ عن فعلـــه، وعالم باستغنآئه عنه، لئلا يفعل[2] الكذب والتلبيسَ والتغرير، وذلك فرع على أنـــه عالِمٌ بجميع المعلومات، ولا[3] يصح ذلك إلا متى كان عالِمًا لذاته، دون ما قالوه:من أنه عالِمٌ بِعِلْمٍ. **فصحةُ** العلم إذن مبنية على هذه المسألة[4]، وبطلانُ مذهبهم فيهـــا، واستدلالُهم بالسمع على ذلك هو استدلال على الأمر بما لايصح إلا بعد بطلانه.

المسألة السابعة

ونعتقد أنه تعالى لايشبه الأشيآء

والذي يدل على ذلك أنه لو أشبهها لوجب أن يكون جسمًا أو جـــوهرًا أو

(١) أنظر الكشاف للزمخشري ٤ / ١٩٣ .
(٢) في (ج) لأنه لا يفعل.
(٣) في (ب)فلا.
(٤) في هامش (ب):على صحة هذه المسألة.

عَرَضًا، وذلك لايجوز.

وإنما قلنا: بأنه كان يجب أن يكون جسمًا أو جوهرًا أو عرضًا؛ لأنَّ القسمة في ذلك صحيحة؛ لترددها بين النفي والإثبات.

وبيان ذلك أن الشيء لايخلو أن يثبت له صفة الوجود أم لا. إنْ لَمْ تثبت له صفة الوجود؛ فهو المعدوم: وهو المعلوم الذي ليس بموجود، هذا عند القآئلين[(١)] بأن المعدوم شيء وذاتٌ يعلم بانفراده.

وإن تثبت له صفة الوجود فلا يخلو أن يكون لوجوده أوَّل، أو لا، إن لم يكن لوجوده أوَّل فهو القديم تعالى، وإن كان لوجوده أوَّل فهو المحدَث. ثم هو لايخلو أن يشغل الحيِّز عند وجوده، أو لا. إن لم يَشْغَلِ الحيِّز فهو العَرَض. وإن شغل الحيزَ عند وجوده، فلا يخلو أن يقبل التَّجَزُّأَ والانقسام، أو لا. إن لم يقبل التجزأ والانقسام فهو الجوهر، وهو المتحيز الذي لا يقبل التجزأ، وإن قبل: التجزأَ والانقسام؛ فلا يخلو أن يقبله في الامتدادات الثلاثة –وهي الطول والعرض والعمق– أوْ لا. إن قَبِلَهُ فيها جميعًا فهو الجسم، وهو مشتمل على ثمانية جواهر.

والجسم هو الجواهر المؤتلفة طولاً وعرضًا وعُمْقًا، فإن لم يقبله في جميعها فلا يخلو أن يقبله في امتدادين منها أو لا، بل في امتدادٍ واحدٍ. إن قَبِلَه في امتدادين منها فهو الجواهر المؤتلفة طولاً وعرضًا، وقَدْ يُعبَّر عنه بالسطح وبالصَفيحة، وإن قبله في امتداد واحد فهو الجواهر المؤتلفة طولاً، وهو المعبر عنه بالخط. فثبت أنه تعالى لو

---

(١) هو رأي الجمهور من المتكلمين كما ذكر ذلك حميد في الوسيط [خ ٢٢]، وخالف في ذلك الأشعرية وبعض المعتزلة. ينظر البحر الزخار ١/٩٩، والمعالم الدينية للإمام يحيى ابن حمزة ٦٥.

أشبهها لوجب أن يكون جسمًا أو جوهرًا أو عرضًا.

وأما الأصل الثاني:وهو أنه ليس بواحدٍ منها.

أما أنه تعالى ليس بجسم فلوجوه ثلاثةٍ:منها أنه لو كان جسمًا لكان محدَثًا كما ثبتَ بالحدوث[1] في سآئر الأجسامِ من السمآءِ والأرض ونحوهما؛ لأنَّ الْمِثْل يجوز عليه ما يجوز على مِثْله، وقد ثبت أنه تعالى قَدِيْمٌ، لولا ذلك لاحتاج إلى مُحْـــدِث آخرَ إلى غير غاية، وهذا محال.

ومنها أنه لو كان جسمًا لوجب أن لايصح منه فِعْلُ الأجسام [خَلْقَها]، كما لايصح فعل شيء منها من سآئر الأجسام، وفي علمنا بخلاف ذلك دَلالَةٌ على أنـــه ليس بجسم.

ومنها أنه لو كان جسمًا لكان يجب أن لا يَنْفَكَّ عن الْهَيَئَة والصورة، وذلـــك يُحوِجُه إلى مُصَوِّر ومقدِّر، وقد ثبت قِدَمُه.

وأمَّا أنه تعالى ليس بجوهر فَنُفَصِّل الكلام فيه، فنقول:إمَّا أنه ليس تعالى بجوهر على الاصطلاح اللُّغَوِي، وهو أصل الشيء وسِنْخُه[2]. يقال:جوهر هـــذا الثـــوب جيد، وجوهر هذا الثوب رديء؛ أي أصله، فهذا لا يجوز على الله تعالى؛ لأنَّ أصل الشيء من جنس ذلك الشيء. والله تعالى ليس بجسم على ما تقدم بيانه.

وأمَّا أنه ليس بجوهر على اصطلاح الْمُتَكَلِّمين، وهو الْمُتَحَيِّز الذي لا يتجـــزأ ولا يَتَبَعَّض. فالذي يدل على أنه تعالى ليس بجوهر على هذا المعنى، أنَّا قد بَيَّنَّـــا أن

---

(١) في بقيت النسخ الحدوث .

(٢) في (ب):وشبحه .

الله تعالى قد أوجد العالَمَ وفَعَله، وبيَّنَّا أن الفعل لايصح إلا من حي قادر، والجوهر ليس بحي ولا قادر، ولأنَّ الجوهرَ محدَثٌ كآئنٌ في الجهات، فلو كان الله تعالى جوهرا بهذا المعنى لجاز عليه ما يجوز على الجوهر من الأكوان والحالات، ولما انفك عن الحوادثِ الجارياتِ، وهذا لايجوز عليه؛ لأنَّا قد بَيَّنَّا حدوث ما هذه حاله، وبينا أنه تعالى قديمٌ، فلايجوز أن يكون جوهرًا بهذا المعنى. **وأمَّا** أنه ليس بجوهر على اصطلاح الفلسفيين، وهو الموجود لا في موضع[1] فإن هذا المعنى وإن كان ثابتًا في الله تعالى فإن وصفه به لا يجوز؛ لأنَّ لفظة الجوهر متى أُطلقتْ لم يَسْبِقْ إلى أفهام الأصوليين إلا ما ذكرناه في اصطلاحِهم، وَإلى أَفهام اللُّغويين ما ذكرنا ثبوته في لغتهم، وكلاهما لايجوزان على الله تعالى؛ فلهذا قلنا:إنه لا يجوز وصفه تعالى بأنه جوهر.

فصل:وإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر، لم يَجُزْ أن يكون مَحَلاًّ لشيء من الحوادث أصلاً، خلافًا للكَرَّاميَّة[2].

والذي يدل على ذلك وجهان:**أحدهما** أنه لو كان محلاًّ لشيء منها لوجب أن يكون مُتَحَيِّزًا؛ لأنَّ الْحُلولَ لايصح إلا في الْمُتَحَيِّزات، ولو كان مُتَحَيِّزًا لكان محدَثًا لِمَا بينا أنَّ جميع المتحيزات محدَثة. وقد ثبت قِدَمُه تعالى، فاستحال أن يكون

---

(١) في الأصل موضوع، وكتب بالهامش موضع ليطابق كل النسخ، ولعل كلمة موضوع سبق قلم، إذ لا معنى لها ، ولذلك لم نثبتها.

(٢) ينظر تجريد الاعتقاد ١٨٠، والارشاد للجويني ٦١، ٦٣. **الكرامية**:نسبة إلى أبي عبدالله محمد بن كرَّام السجستاني الزاهد. كان من عباد المرجئة ت٢٥٥هـ. وهم فرقة جمعوا بين الجبر والتشبيه، ومنعوا تكليف ما لا يطاق ومقارنة القدرة والمقدور. ينظر جامع الفرق١٥٩.

مَحَلاًّ.

الوجه الثاني:أنه لو كان مَحَلاًّ لشيء من الحوادث لأدَّى إلى أَحَدِ باطلين:إمَّـــا أن يكون مُحْدَثًا؛ لحدوث الحوادث الحالَّةِ فيه.

الثاني أن تكون الحوادث قديمة؛ لكون المحل قديمًا، وكلا الأمرين مُحَال، فمـــا أدى إلى المحال وجب أن يكون محالاً. فثبت أنه تعالى ليس بِمَحَلٍّ.

وأما أنه تعال ليس بِعرَضٍ، فلأنه إن أُريد بذلك ما يفيده لَفْظُ العرض في اللغة، وهو ما يعرض في الوجود وَيَقِلُّ لُبْثُه، كما قال تعـــالى:﴿هَـٰذَا عَـارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف:٢٤] أي قليل البقآء، وكما قال النبي ﷺ:((الدُّنيا عَرْضٌ حاضـــرٌ، يأكـــل منها البرُّ والفاجرُ)) [(١)]، أي قليلة البقآء. فهذا لايجوز على الله تعالى،لأنه تعالى قديم كما تقدم بيانه.

والقديمُ واجبُ الوجود في كل حال، من حيث إنه موجود لذاته كما تقـــدم بيانه، والموجود للذات يجب أن يكون موجودًا في جميعِ الحالاتِ؛ لأنه لا اختصاصَ لِذَاته بحالٍ دون حال.

فإمَّا أنْ يجبَ وجودُه في جميع الأحوالِ أَزَلاً وأبدًا، فهو الذي نقول. **وإمـــا** أنْ لايَجِبَ وجوده في حال من الأحوال فهذا باطل؛ لأنه يؤدي إلى إبطال كونه قديمًا، وقد ثبت قِدَمُه. **وإمَّا** أن يجب وجوده في حال دون حال فهـــذا لايجـــوز؛ لعـــدم

---

(١) تفسير القرطبي ٢١٨/٥، والعرض -بسكون الرآء- ما سوى الدنانير والدراهم. فكل عَرْض عَرَض وليس كل عَرَضٍ عَرْضًا. أما العَرَض -بفتح الراء- فهو الألوان ونحوها. والهيثمي في مجمع الزوائد ٢ / ١٨٨ بلفظ:((أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر)).

المخصص لبعض الأحوال دون بعض. **فثبت** أنه تعالى واجب الوجود في كل حال، وبذلك يثبت أنه تعالى باقٍ دآئمٌ؛ لأن الباقيَ هو:الموجود الذي لايتجدد وجودُه الآن، والدآئم هو:الموجود الذي لم يتبعْ وجودَه عدَمٌ .

وقد ثبت أنه تعالى لايجوز تجدُّدُ وجودِه، ولايجوز عدمُه لِمَا ثبت من أنه واجب الوجود في كل حال. وإن أريد بالعرض ما هو المفهوم في اصطلاح المتكلمين، وهو:الْمُحْدَثُ الذي لايشغل الحيز، فهذا لايجوز وَصْفُ الله تعالى به؛ لأنَّ الله تعالى قديمٌ، والعرَض محدَث، فلايجوز أن يكون عَرَضًا بهذا المعنى، ولأنَّ الله تعالى حيٌّ قادرٌ، والعرض ليس بحيٍّ ولا قادرٍ، ولأنَّ العرض يجوز عليه العَدَمَ والتَّجَدُّد والبطلان، والله تعالى قديم واجب الوجود في كل حال، فلا يجوز عدمُه.

فصل:وإذا ثبت أنه تعالى ليس بعرض، فلايجوز عليه شيء من خصآئص الأعراض نحوُ التجدد والبطلان. وقد دَلَّنَا على ذلك. ونحوُ الحلول في الْمَحَآلِّ خلافًا للصوفية الْجُهَّال؛ فإنهم يقولون:إنه تعالى حالٌّ في الصُّوَر الحسنة[1]. والذي يدل على أنه تعالى غير حالٍ في شيء من الْمَحَالِّ وجهان:**أحدهما**:أنه لو كان حَالاًّ في الصور الحسنة لم يكن بأن يَحُل في بعضها أولى مِنْ أن يَحُل في البعض الآخَرِ، لعدم المخصص، فيكون حآلاً وغيرَ حآل؛ لأنَّ الشَّواهةَ وَالْحُسْنَ مختلفان بحسب اختلاف الشهوة والنِّفَار. فإن الزنجي يستحسن الزنجية، والعربي لايستحسنها. وكذلك التركية والتركي. والهندي، والحَبَشَي، وغير ذلك.

---

(١) من الصوفية أهل سنة، وبعضهم يقول بالحلول والاتحاد؛ فهم فرقة من المتصوفة المبطلة، قالوا:الله يحل في الأجسام والصور الجميلة. موسوعة الفرق ص١٩٣ وص٢٨٠.

الوجه الثاني:أنه تعالى لو كان حآلاً في شيء من الْمَحَالِّ لم يخلُ أن يكون حآلاً على سبيل الوجوب أوْ لا؛ بل على سبيل الجواز .

والأول باطل؛ لأنه كان يجب أن يكون حآلاً في الأزَلِ، وفي ذلك قِدَم الْمَحَالِّ، وقد ثبت حدوثها، إذ لايعني بِالْمَحَالِّ غيرَ الْمُتَحَيِّزات. ولايجوز أن يكون حَالاً على سبيل الجواز؛ لأنه لايخلو أن يكون حالاً بالفاعل أو لعلة، والأول باطل من حيث إنه تعالى لا فاعلَ له من حيث إنه قديم. والمفعول محدَث.

ولايجوز أن يكون لِعَلَّةٍ؛ لأنَّها لا تخلو أن تكون حَالَّةً أو غيرَ حالَّة، والأول باطل؛ لأنها تكون قد شارَكْتُه فيما لأجله احتاج إلى علة، وهو كونه حالاًّ، فكان يجب أن تحتاج كل عِلَّة إلى عِلَّة فيتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية له، وذلك محال. ولا يجوز أن يكون حالاًّ لِعَلَّةٍ غير حالَّةٍ ؛ لأنها قبل إيجابها الحلولَ له قد اختصتْ به غايةَ الممكن من الاختصاص، وهو أنها وُجِدَتْ على حدِّ وجوده، ولكن عند إيجابها له الحلولَ يبطل اختصاصُها به؛ لأن ما ليس بحالٍّ لايختص بما هو في مَحَل، إلا بأن يكون أحدُهما حالاًّ في الآخَرِ. وإذا بطل اختصاصُها به بطل إيجابُها له، فتكون مُخْتَصَّةً به وغيرَ مختصة، ومُوْجِبَةً له وغير موجبة، ويكون حالاًّ وغيرَ حالٍّ في حالة واحدة، وذلك محال.

فصل:وقد اعترضت المشبِّهة بآيات متشابهة وأخبارٍ واستدلوا بها على التشبيه.

والجواب عنها من وجهين:

أحدهما:أنه لايصح الاستدلال بالسمع على هذه المسألة؛ لأن صحة السمع

موقوفة على العلم بعدله وحكمته. لأنا ما لم نعلم أنـه لايجـوز عليـه الكـذب ولاالتَلْبيسُ ولاغيرُ ذلك من القبيح لم يصح منا الاستدلال بكلامـه سـبحانه، ولا بكلام رسوله عليه السلام على حُكْمٍ من الأحكام، وذلك لا يصح إلا أن يكون تعـالى عَالِمًا بِقُبْحِ القبيح وغَنيًّا عن فعله، حتى لايفعلَ شيئا منها. ولايستقر كونُـه عالمـا بقبح القبيح حتى يكون عالما لذاته، فَيَعْلَمَ كلَّ المعلومات على كل الوجوه التي يصح أن تُعْلَم عليها، والْمُعْتَقِدُ لكونه جسما يُبطل ذلك؛ لأنَّ[1] الجسم يستحيل أن يكون عالما لذاته، وإلا وجب ذلك في جميع الأجسام. [وكذلك فلو كان جسما لصحت عليه الحاجة كسائر الأجسام][2].

الوجه الثاني: أنا نعارضهم من الكتاب والسنة بما ينفـي الجـسمية، ويُبطـل مذهبهم، فلايصح تعلُّقُهم بما يوردونه في ذلك؛ لأنهم ليسوا بالاستدلال أولى منـا، بل نحن بذلك أولى لموافقةِ أدلتِنا لِمُحْكَمِ القرآن وأدلة العقول. فنقول وبالله التوفيق:

فصل فيما يؤكد ذلك من أدلة السمع

فَمِنْ ذلك قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] وقولُه تعـالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] وقولُـه تعـالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ للّهِ أَندَاداً﴾ [البقرة:٢٢] وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [مريم:٦٥].

ومن السنة: ما روي عن ابن مسعود أنه قال: سُئِلَ الـنبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ أيُّ الـذَّنْبِ

(١) في بقية النسخ لكون .

(٢) ما بين الحاصرتين زائد في (ب)، (ج)، (د)، (هـ).

أعظمُ؟ قال:((أنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)) [(١)]. وعنه ﷺ أنه قــال:((خَمْــسٌ لايُعذر بجهلهن أَحَدٌ:معرفةُ الله سبحانه لايُشَبِّهُ بشيء، وَمَنْ شَبَّهَ اللهَ بشيء، أو زعم أنَّ اللهَ يُشْبِهُ شيئًا فهو من المشركين...)) الخبر بطوله. وقوله تعــالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]. وسَمِعَ عليٌّ عليه السلام رجلاً يقول:والــذي احتجب بسبع سموات، فعلاه بالدِّرَّةِ [(٢)]، وقال:((وَيْحَكَ، إن الله لايَحتجب بــسبع سموات))، فقال الرجل:أُكَفِّرُ عن يميني؟ فقال:((لا. إنك حلفتَ بغيرِ الله)) [(٣)].

وَنُتْبِعُ ذلك بالآيات المتشابهات وَنُبَيِّنُ فيها ما ذكره علمآء أهل التفسير. فمــن ذلك قولُ الله تعالى:﴿الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىَ ﴾، [طه:٥] وقولُــه:﴿إِنّ رَبّكُمُ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتّةِ أَيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ ﴾. [الأعراف:٥٤، يونس:٣] قالت المشبِّهة:فدلَّ ذلك على أنه كائنٌ على العــرش ومــستقرٌ عليه [(٤)]. وإذا أردنا الكلام عليهم تكلمنا في ثلاثة مواضع:**أحدها**:في بيــان معــاني العرش في اللغة. والثاني:في بيان معانى الاستوآء في اللغة. **والثالث**:في بيــان معــنى

---

(١) أبو طالب ٣٩٢. والبخاري ٢٤٦٠/٦ رقم ٦٣٠٥. مسلم ٩٠/١ رقم٨٦ . والنسائي مج٤ ج٧ ص٨٩ رقم ٤٠١٣ ، ٤٠١٤.

(٢) **الدرة**-بالكسر:التي يضرب بها، وبالضم:اللؤلؤة. وبــالفتح:در اللــبن .ومنــه:((لا تقطعــوا درة أخيكم)) مختار الصحاح ص٢٠٢.

(٣) الغارات ٦٩/١، وروي عن محمد بن الهادي عليه السلام أنه قال:لا كفارة لمثل هذه اليمين. ينظر التحرير لأبي طالب ٤٦٨/٢.

(٤) وهو قول أهل الحديث وغيرهم من المشبهة، ينظر:التوحيد لابن خزيمــة ١٠١، ٣٠٧، وينظــر في الرد عليهم كتاب مفاتيح الغيب للرازي مج١٢٢/٢٩/٧. وقال الرازي عن ابن خزيمــة وكتابــه التوحيد:واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، وهو في الحقيقة كتاب الشرك واعترض عليها. ينظر مفاتيح الغيب مج١٥٠/٢٧/١٤.

الآية.

أما الموضعُ الأول: وهو في ذكر معاني العرش في اللغة[(١)].

فهي أمور[(٢)]: **أحدها** السرير[(٣)]. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر:٧] وقال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣] يريد بذلك السرير. وذكر المفسرون في سرير بلقيس أنه سرير ضخم حسن، كان مُقَدَّمُه من ذهب، مرصعٌ بالياقوت الأحمر، والزمرد الأخضر، ومؤخَّرُه من فضة، مكلل بألوان الجواهر. وقيل: كان ثلاثين ذراعا في مثلها، وارتفاعه من الأرض مثلها[(٤)].

وثانيها: البنآء[(٥)]، قال الله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [الحج:٤٥]. قال بعض المفسرين: خالية عن أهلها على ما فيها من البنآء. **وثالثها**: كلُّ ما يُستظل به. يقال: خَيَّم القوم وعرَّشوا. ومنه الْعَرْشُ عرش الكَرْمِ [العنب][(٦)]. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام:١٤١]. ومنه يقال للبناء المبني: عريش، قال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾، [الأعراف:١٣٧]. أي يسقفون من القصور والبيوت وغيرها.

ورابعها: أنه ينطلق اسمُ العرش على السقف. قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ

---

(١) تاج العروس ٩/١٣٧ ومابعدها.
(٢) في (ب): فهو أمور .
(٣) ينظر الدر المنثور٥/١٩٩. وتفسير الماوردي ٤/٢٠٤. ومجمع البيان ٧/٣٧٧.
(٤) ينظر الطبرسي ٧/ ٣٧٧ .
(٥) الدر المنثور: ٤/٦٥٨ ، الفخر الرازي مج١٢ ج ٢٣ ص ٤٥.
(٦) معاني القرآن للفراء ١/٣٥٨.

أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىَ عُرُوشِهَا ﴾ [الحج:٤٥] أي علـــى ســـقوفها.

وخامسها:السلطان والملك، قال زهير[1]:

تَدَارَكْتُمَا الأحْلاَفَ قَدْ ثُلَّ عرشُها وذُبْيَانُ إذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النعــلُ

وفي كتاب العين[2]:إذا زال قِوَامُ الرجل[3] قيل:قد ثُّلَّ عرشُه. قال الشاعر:

ولو هلكتُ تركتُ الناس في وَهَــلٍ بعد الجميع وصار العرشُ أكسارا

أما الموضع الثاني :وهو في بيان معاني الإستوآء،

فله معانٍ ثمانية:أحدها الركوبُ، قال تعالى:﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون:٢٨]. ومنها الاســـتقرآر[5]، قـــال تعـــالى:﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيّ ﴾ [هـــود:٤٥] وهو جبل بالموصل[6]. وثانيهـــا:انتـــصاب الـــساق، قـــال تعالى:﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىَ عَلَىَ سُوقِهِ ﴾ [الفتح:٢٩]. **وثالثها**:القصدُ، قال تعالى:﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩]. قال ابن عباس:يعني قصد إلى خلقها. **ورابعها**:تمام الـــشباب وانتـــهآؤه، قـــال تعـــالى:﴿وَلَمّا بَلَغَ أَشُدّهُ وَاسْتَوَىَ ﴾ [القـــصص:١٤].

وخامسها:الاعتدالُ. يقال:استوى كذا وكذا، أي اعتدلا. قال الشاعر:

فاستوى ظالمُ العشيرة والمظـــــلوم في حفظه بدعوى ابـــتلال

---

(١) ينظر ديوانه ص٤٢.

(٢) للخليل بن أحمد الفراهيدي٨/٢١٦ مادة ثل. ١/٢٤٩ مادة عرش.

(٣) في (ب): قوام أمر الرجل.

(٤) الضعف والفزع. القاموس ص١٣٨١.

(٥) الدر المنثور: ٣ / ٦٠٥.

(٦) يوجد بالعراق ينظر الدر المنثور ٣ / ٦٠٦

وسادسها:تساوي الأجزآء المؤَلِّفة. يقال:استوى الحآئطُ والخشبةَ. وهذا من الاعتدال إذا تأكَّدَت على وجه مخصوص. **وسابعها:**ما يكون بمعنى الانتصاب. يقال:استوى فلان جالسًا، واستوى قآئما، أي انتصب. **وثامنها:**ما يكون بمعنى الاستيلاء. قال الشاعر:**قد استوى بِشْرٌ على العراق**[(١)].

وأما الموضع الثالث :وهو في معنى الآية ؛

فاعلم أنه لايجوز أن يكون استوآءُ الله تعالى على العرش بمعنى الاستقرار عليه، وبمعنى أنه كآئن فيه؛ لأن ذلك من خصآئص الأجسام والمتَحَيِّزات، وقد ثبت أن الله تعالى ليس بجسم، فلا يجوز عليه شيء من خصآئص الجسم والْمُتَحَيِّز[(٢)]، فلا يجوز عليه الكونُ في الأماكن، ولا التنقل في الجهات، ولا النزول ولا الصعود؛ لأنه لوكان كذلك لوجب أن يكون شاغلا لجهة، ولو كان شاغلا لكان إمَّا جسما، وإمَّا جوهرا، وهو تعالى ليس بجسم ولاجوهر على ما تقدم بيانه. وإذا بطل ذلك فمعنى قوله تعالى:﴿ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤] أي استولى، من القُدْرَةِ، كما قال الشاعر– وهو البَعِيْثُ[(٣)] –في بِشْر ابن مروان[(٤)]:

(١) ينظر الحاكم الجشمي ص٢٩٤-٢٩٥ . قال:لا يجوز حمل الاستواء على أنه استقر على العرش؛ لأن ذلك من صفات الأجسام. ومتشابه القرآن ٧٣/١. وشرح الأصول الخمسة ٢٢٦.

(٢) في (ج): المتحيزات.

(٣) هو خداش بن بشر بن خالد ، خطيب شاعر مجيد، كان بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة. ت:١٣٤هـ . الأعلام ٢ / ٣٠٢ ، معجم الأدباء مج٦ ج١١ ص٥٥.

(٤) أخو عبدالملك بن مروان، ولي لأخيه إمرة العراقين، وكان يجيز على الشعر بألوف وقد امتدحه الفرزدق والأخطل، توفي سنة٧٥هـ. ينظر الأعلام ٥٥/٢ .

قد استوى بشرٌ علــى العــراقِ   من غــير ســيفٍ ودمٍ مِهْــرَاقِ

فالحمـــد للمهــــيمن الخــــلاق

وكما قال الشاعر:

فلما علونا واســتوينا علــيهم   تركناهم صرعى لنــسر وكاســر

وهذا هو قولُ بعض الْمفسرين. وقال بعضُهم:استوى على العرش، بمعنى قصد إلى العرش فخلقه[(١)] كقوله تعالى:﴿ثُمّ اسْتَوَىَ إِلَى السّمَآءِ ﴾ [فصلت:١١] أي قــصد إلى خلقها، وتكون[(٢)] على بمعنى إلى؛ لأنها من حروف الــصفات[(٣)]، وحــروف الصفات تُبَدَّلُ بعضُها عن بعض. ذكره أبو عبيدة[(٤)]. وقال بعضهم:استوى، بمعــنى استولى. والعرش:هو الملك كما تقدم بيانه، والاحتجاج عليه بقول زهير. وكما قال الشاعر:

إذا ما بَنُو مروانَ ثُلَّتْ عروشُهم   وأَوْدَوا كما أَوْدَتْ إياد وَحِمْيَــرُ

المعنى:أنه تعالى لَمَّا خلق السموات والأرضَ استولى[(٥)] علـــى مُلِكِـــه وخَلْقِـــهِ بالقدرة. وقيل:استولى على بنآء الأشياء. وقَد قَدَّمْنا أن العرشَ قد[(٦)] ينطلـــق علـــى

---

(١) ينظر القرطبي مج٤ ج٧ ص١٤١.

(٢) في (ب):يكون .

(٣) أي حروف الجر .

(٤) في (ب):أبو عبيد. فيكون أبا القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤هـ، أو أبا عبيدة معمر بن المــثنى المتوفي ٢٠٩هـ. والله أعلم.

(٥) في (ب):استوى .

(٦) في (ب):بحذف قد .

البنآء، وأنشد بعضُهم في هذا المعنى:

وقولُ إلهي في الكتابِ قد استوى على العرش ربٌّ كان للعرش بانيا
فهذا كقولي للأمير قد استوى على الْمُدْنِ والأمصار قد صار واليا
يراد به سلطانُه واعتلآؤه وذلك شيءٌ ليسَ في القول خافيا

فإن قيل:فما وجهُ تخصيص العرش بالذكر؟ قلنا:لأنه أعظمُ خَلْقِ الله. قال تعالى:﴿رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩]. فإن قيل:فما الفآئدةُ في خلقه؟ **قلنا:**فيه فوآئدُ:**منها** أنه سقف الجنة. **ومنها** أنه قبلة دعآء المؤمنين، كما أن الكعبة قبلة الصلاة. **ومنها** أنه مطافُ الملآئكة الكرام. قال الله تعالى:﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَآفّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [الزمر:٧٥] إلى غير ذلك من الفوآئد.

واحتجَّتِ المجسمةُ بأن قالوا:إنا لانَجِدُ في الشاهد فَاعِلاً إلا وهو جسم، فالقديمُ إذا كان فاعلا فهو جِسْمٌ .

والجواب:أنَّ ما ذكروه اعتمادٌ منهم على مجرد الوجود، ومُجَرَّدُ الوجود لايدل على حقيقة ولا مجاز، ولا يتعلق به حُكْمٌ من الأحكام؛ ولأنه ليس هناك عِلَّةٌ رابطة بين الشاهد والغآئب في هذا الباب، و لا طريقةٌ جامعة، فَبَطَلَ ما ذكروه. وبعد فإنه يلزمهم على قَوَدِ ما ذكروه أن يكون تعالى مُرَكّبًا من لَحْمٍ وَدَمٍ ، تجوز عليه الصحة والسقْم[(١)] ، والوجودُ والعدمُ، والموتُ والحياةُ؛ لأنا لا نجد فاعلا في الشاهد إلا

(١) السُّقْم والسَّقَم مثل حُزْن وحَزَن

كذلك، وهذا مما لا يقولون به. وبمثل ذلك نُبْطِلُ[1] ما يوردونه من الشبه العقلية.

ومما يتعلق به المخالفون واستدلوا به على إجازة المجيء والإتيان على الواحد المنان قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر:٢٢] .

فهذا[2] يدل على إجازة المجيء والإتيان عليه تعالى. والجوابُ أنَّ الظاهر لا تَعَلُّقَ لهم فيه[3]؛ لأنه ليس بإيجاب. إنما قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٢١٠]. أي هل ينتظرون شيئا سوى ذلك. ثم لو اقتضى ظاهرُه[4] ما قالوه لَلَزِمَهم أن يكونَ تعالى أصغرَ من الظُّلَلِ؛ فيكون محدودًا، وأن يكون هو والملآئكة في الظلل، وهم لايقولون بذلك. ومتى تَأَوَّلُوهُ فقد سَوَّغُوا للخصوم مثلَه.وبعد فإن القول بذلك يوجب كونَه تعالى جسمًا وجوهرًا يجيئُ ويذهَبُ ويَقْرُبُ وَيَبْعُدُ ويظهر ويخفى، وهذه صفة الْمُحْدَثَاتِ، وقد ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولاجوهر، فلا يجوز عليه شيء من خصآئصهما على نحو ما تقدم. ولايجوز عليه تعالى الزيادةُ والنقصانُ ولاشيء من الأعضآء والآلات، لأنها من قبيل الأجسام والْمُتَحَيِّزَاتِ، وهو تعالى ليس بجسم ولا بجوهر على ما تقدم تحقيقُه. وقد أكد الشرعُ ذلك، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، وذلك معلومٌ من سنة النبي ﷺ ضرورة. فبطل ما ذهبوا إليه

---

(١) في (ب) ، (ج): يَبْطُلُ .

(٢) في (ب): قالوا، (ج): فهذا .

(٣) في (ب): به .

(٤) في (ب): ظاهرها .

وتعلقوا به.

وأما معاني هذه الآيات فَاعْلَمْ أنَّ الله تعالى خاطب بِلُغَةِ العرب، وهم يُخَاطِبُونَ بالمجاز. وهو عندهم على ضربين؛ مجازٌ بالحذف، ومجازٌ بالزيادة. فالمجازُ بالحذف نَحْوُ قوله تعالى:﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالّعِيْرَ الَّتِيَ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف:٨٢]. يريدُ أهْلَ القرية ويريد القافلةَ؛ لأن المعلوم ضرورةً استحالة النطق على القرية وعلى العِير[١]، والمجازُ بالزيادة نَحْوُ قوله تعالى:﴿لِّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [الحديد:٢٩] أي لأنْ يعلم، **ولا** زائدةٌ[٢] وذلك معروفٌ في لغة العرب[٣]، لولا الْمَيْلُ إلى الاختصار لذكرنا مِثَالَه. وإذا ثبت ذلك فلا بد أنْ يَجْرِيَ اللهُ في خطابه للعرب على طريقتهم من استعمال المجاز لفصاحته، وإلا لم يكن مُخَاطِبًا بلغتهم، وكذلك فإنَّ من المشهور في لغة العرب أنَّ الواحد منهم يُقِيمُ نفسَه في خطابه مُقَامَ غيره في كثير من المواضع مع حذف المعنِّي[٤]، فكذلك جَرَى اللهُ في خطابه لهم على طريقتهم؛ فإنه أقام نَفْسَه مُقَامَ غيره في كثير من المواضع وَحَذْفَ المعنيَّ، نَحْوُ قوله تعالى:﴿فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾... الآية [النحل:٢٦].

ونحو قوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠]، أي عذابه، وكذلك قوله تعالى:﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾

---

(١) الدر المصون ٦/ ٥٤٤ .

(٢) يقال لها في القرآن:صلة وتوكيد، تأدبا مع كلام الله . الدر المصون ١٠ / ٢٥٨.

(٣) والقرآن عربي مبين وهذا موجودٌ في لغة العرب، والعرب تأتي ب ((لا)) في كلامها وهي لا تريدها، وتطرحها وهي تريدها. مثل:﴿لاَ أُقْسِمُ ﴾، ﴿تَفتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾.

(٤) في الأصل:وحذف المعنى، وفي هامش (ب):مع صدق المعنى .ظ.

[الفجر:٢٢] أي أمْرُ ربك[١]، وذلك من المجاز بِالْحَذْفِ والنقصان على ما تقدم ذكره. فإذا كان الحذفُ جآئزًا إذا كان هناك مانع عن الْجَرْيِ على الظاهر، أو يستحيل الجريُ على الظاهر نحو ما ذكرنا في القرية، فكذلك لَمَّا استحال المجيء والإتيانُ والانتقالُ على الله تعالى بدلالةٍ، يجب أن نقضيَ بتعليق المجيء والإتيان بغيره تعالى، وهو أمْرُه وعذابُه. وقد فسَّر عبدُالله بنُ العباس رحمه الله قوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ الآية. قال:أراد إتيانه إليهم بِوَعْدِه ووعيدِه، فإنَّ الله يكشفُ لهم مِنْ أمره ما كان مَسْتُورًا عنهم[٢].

ورُوِي عن الحسن في قوله:﴿وَجَآءَ رَبّكَ﴾ قال:عَنَى به وجاء وَعْدُ ربك بالْحُكْمِ بالثواب والعقاب[٣]. ومثله مروي عن الضحاك. وقال الضحاك في قوله تعالى:﴿وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ قال:إذا نزل أهل السموات إلى الأرض يوم القيامة

---

(١) هكذا فسرها أحمد بن حنبل ينظر دفع شبه التشبيه ص١٤١، وهو قول الحسن وأبو علي كما في الطبرسي ١٠ / ٣٥٣ . وانظر الحاكم الجشمي ص٢٩٤ ، ومتشابه القرآن للقاضي عبدالجبار ٢ / ٦٨٩ ؛ حيث قال-بعد قوله: ﴿وَجَآءَ رَبّكَ وَالْمَلَكُ﴾: لا يدل على صحة ما يتعلق المشبهة في أنه تعالى كالواحد منا. في أنه يجيء ويذهب ، ولو كان كذلك لكان محدَثًا مدبَّرًا مصوَّرًا ، والمراد بذلك: وجاء أمر ربك، أو:متحملوا أمْرُ ربك للمحاسبة والفصل. على ما يقال في اللغة عند التنازع في الأمر الذي يُرْجَعُ فيه إلى بعض الكتب:إذا جاء الشافعي فقد كفانا، ويريدون بذلك كتابه. وإذا جآء الخليل في العروض انقطع الكلام، والمراد به كلامه في ذلك. وينظر في ذلك الجامع للقرطبي مج١٦/٣١/١٧٤. والفخر الرازي ١٦/٣١/١٧٤.

(٢) وينظر في معناه الطبرسي ٢/٦٠. والكشاف ١/٢٥٣. ومتشابه القرآن١/١٢٠.

(٣) ينظر الخازن مع البغوي ٦/٤٢٦.

كانوا تسعةَ صفوف محيطين بالأرض وَمَنْ فيها[1]. وكذلك قوله تعـالى:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيّهَا الثّقَلاَنِ ﴾ [الرحمن:٣١] لا يدل على أنه تعالى مُشْبِهٌ للواحد مِنَّـا في كونـه مشتغلاً؛ فإن قوله تعالى:﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ وَرَدَ مَوْرِدَ التهديد كما، يقول الواحدُ منا أنا أفرغُ لك وإن لم يكن معه شُغْلٌ، والمعنى سنقصِدُ إلى جزائكم أيُّهَ الـثقلانِ[2]. الثقلانِ:الجنُّ، والإنسُ[3].

ومما تعلقوا به في أنه تعالى كآئنٌ في السمآء قولُ الله تعـالى:﴿أَأَمِنتُمْ مّن فِي السّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ❖ أَمْ أَمِنتُمْ مّن فِي السّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:١٦-١٧][4].

والجوابُ أنَّ ظاهرَ الآية لا يقتضي ذلك؛ لأنَّه لم يُبَيِّنِ المقصودَ بأنَّه في السماء، ومن الْمُخَوَّفُ منه، فسقط قولهم. فيجوزُ أن يكونَ عَنَى بـه مَـنْ في الـسموات سُلطانُه، ويجوزُ أن يكونَ عَنَى به الملائكةَ الذين أهلك اللّٰهُ تعالى مَنْ أهلـك علـى أيديهم، وإنهم نزلوا بعذاب أولئك القرون، واستأصلوهم[5]. فالتعلق به ساقط. **فإن قيل**:وَلِمَ وَحَّدَ ذِكْرَ الملائكة؟ قلنا:إن لفظة مَنْ تقع على الواحد والْجَمْـعِ، فمـتى حُمِلَتْ على اللفظ وِحِّدَتْ، ومتى حُمِلَتْ على المعنى جُمِعَتْ. وقد ورد بكل ذلك

---

(١) في الدر المنثور عن أبي حاتم عن الضحاك قال:جآء أهل السموات كـل سمـاء صـفًا. ٥٨٧/٦. والخازن البغوي ٤٢٦/٢٦. وجامع البيان٢٣٥/١٥.
(٢) في (ب):بحذف الثقلان الثانية.
(٣) ينظر الكشاف ٤٤٨/٤.
(٤) ينظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ١١٠، وكتاب الشريعة لمحمد بن الحسين الآجري ٣٠٣.
(٥) ينظر الفخر الرازي مج١٥ ص٧١. .

الكِتَابُ والشِّعْرُ: **أما الكتاب** فنحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ﴾ [الجن:٢٣] إلى غير ذلك من الآيات. وأما الشعر فقول زهير:

وَمَنْ يَتَعَظَّمْ بالكبائرِ يَتَّضعْ وَمَنْ يَتواضَعْ خشيةَ اللهِ يَعْظُمِ[(١)]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة:٦]. قالوا: وكذلك فقد انعقد الإجماع بين المسلمين في أنه تعالى في كل مكان. **والجواب** عن ذلك أن المراد به أنه تعالى مُحيطٌ بكلِّ مكانٍ عِلْمًا وَقُدْرَةً، فكأنَّ ذاتَه في كل مكان. ومتى كانت هذه الآيةُ وما شابهها محتملةً لما ذكرناه من التأويل، ومطابقةً في ذلك دلالة العقول، ومحكمَ الآيات، غير خارجةٍ عن اللغة العربية، والقرآن-نُزِّلَ عليها، فيجبُ أنْ تُحْمَلَ على ذلك لِتَتَّفِقَ الأدلةُ، ويُنَزَّهُ الصانعُ عن صفاتِ النقص.

ومن جملة ما تعلقوا به في المكان قولُه تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مّقْتَدِرِ ﴾ [القمر:٥٥] قالوا:[(٢)] فهذا يوجب كونَه في مكانٍ[(٣)]. **والجوابُ** أنه يريد به

---

(١) مجموع المتون ص٧٩٦. معلقته.

(٢) في (ب): فقالوا: هذا .

(٣) قال الحاكم الجشمي في هذه الآية كما في منهجه في التفسير للدكتور عدنان زرزور ص٢٩٢: أي موضع قعود صدق، قيل: مجلس حق لا لغو فيه، وهو الجنة. وقيل: وَصَفَ المكان بالصدق؛ لكونه يَدوم وغيره يزول. ومعنى ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: أي في علم الله صائرون إلى ذلك الموضع، كما قال أبو علي . وقيل: ذلك المقعد مقعد صدق عنده؛ لما هو عليه من دوام النعم. وقال الحاكم: وقد فسرت المشبهة الكاذبة على الله هذه الآية بتفسير لا يشهد له ظاهرها ولا لهم عليه دليل في العقل والشرع، فذكروا في قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مّقْتَدِرِ ﴾: إنهم يَحْيَون مع الجبار، وأنه يُقعدهم معه

الرفعةَ والمنزلةَ العالية، كما يقال:فلانٌ عندي بالمنزلة الخطيرة، وَلِفُلانٍ عندي جـــاهٌ عريضٌ، وهو عندي بالمنزل الأعلى والدرجة العالية. ويـــدل علـــى ذلـــك قولُـــه تعالى:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:١٢]، ولا خلاف بين الأمة أنَّ المجرمين لا يكونون عند الله على جهة المكان، وإنما هو وصْفُ أحوالهم. وكذلك قولُه تعالى:﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٨٥] فإنه ليس المـــراد به[(١)] أن علم الساعة في مكانٍ، وإنما أراد أنَّه عالِمٌ به. وكذلك قوله تعـــالى:﴿فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٤] ليس يريد به إلا أنَّه القادر عليه، المالك له. ويقال:عند الهادي إلى الحق عليه السلام في المسألة كَذَا، وعند القاسم عليه السلام فيها كذا. أي مذهبهما[(٢)]. قال الشاعر[(٣)]:

نحن بما عندنا وأنت بمـــا عنـــ ـــــدك راضٍ والـــرأيُ مختلـــفُ

وليس يذهب في ذلك إلى مكان. وإذا ثبت ذلك قلنا:إنَّ كلَّ لفظةٍ تتـــصرف على وجوه من المعاني[(٤)]، فليس لأحد أن يقتصر منها دونَ سائرِ مـــا تحتملُـــه إلا بدليل، وقد دلَّتِ الأدلةُ من الكتاب والعقل وإجماع المسلمين على أنَّ الله تعالى ليس

على سريره ، وَيَرْوون أن أهل الجنة يدخلون عليه كل يوم مرتين يقرؤون عليه القرآن ثم ينصرفون إلى رحالهم ناعمين..إلى غير ذلك من الصورة والأعضاء والذهاب والمجيء ، وأنه يحتجب أحيانًـــا ويظهر أحيانًا بصورة ملك، تعالى الله عن ذلك. وقد بينا أنه ليس بجسم وأنه لايجوز عليه المكـــان ولا شيء من صفات الأجسام.

(١) في (ب):بحذف به .

(٢) في (ب):أي في مذهبهما .

(٣) هو قيس بن الخطيم ، أحد شعراء الجاهلية .

(٤) في هامش الأصل ، و(هــ):بعد من المعاني على معنى. وفي (هــ):أو شيء.

في مكان فَبَطَلَ ما ذهبوا إليه. وهكذا الجواب عما يعترضون به في قوله تعالى:﴿لِيُحَآجّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبّكُمْ ﴾ [البقرة:٧٦] وكذلك قوله تعالى:﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦] وأمثالُ ذلك من الآيات. ويدل على ذلك من السنة ما روي عن قتادة عن النبي ﷺ قال:((ما بالُ أقوامٍ يرفعون أبصارَهم إلى السماءِ عند الدعاء، لَيُنْتَهُنَّ أو لتُخْطَفنَّ أبصارُهم))[١].

وعنه ﷺ:((إنَّ الله عند لسانِ كلِّ قآئل[٢]))، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما رواه محمد بن يزيد الْمُبَرِّد[٣]:أن رجلا قال:يا أمير المؤمنين أينَ كان ربُّنا قَبْلَ خلقِ السموات والأرض؟ فقال علي عليه السلام أين:سؤالٌ عن مكانٍ، وكانَ اللهُ ولا مكانَ[٤]؟. وسَمِعَ عليٌّ عليه السلام رجلاً يقول:والذي احْتَجَبَ بسبعِ سمواتٍ، فعلاهُ بالدِّرَّةِ، وقال[٥]:وَيْحَكَ إن الله لا يحتجب بشيء، فقال الرجل:أُكَفِّرُ عن يميني؟، قال[٦]:((لا؛ لأنَّك حلفتَ بغير الله)).

---

(١) البخاري ١ / ٢٦١ برقم ٧١٧، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ومسند أحمد ٤/ ٢٢٥رقم ١٢١٠٥، وسنن أبي داوود رقم ٩١٣ ج١ص٥٦١، وسنن النسائي ٣/٧ . رقم ١١٩٣ ، ونص الحديث:ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم، فاسند قوله:في ذلك، حتى قال:لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم.

(٢) تاريخ الخطيب للبغدادي: ٩ / ٣٢٩ . تمامه:فلينظر عبد ماذا يقول.

(٣) ولد بالبصرة ٢١٠هـ-، إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، توفي ٢٨٦هـ-، وله مؤلفات كثيرة منها:الكامل، والمقتضب وغيرهما. ينظر الأعلام ٧/١٤٤، ووفيات الأعيان ١/٤٨٤.

(٤) المبرد في الكامل ١/ ١٣٠ .

(٥) في الأصل:فقال ، في (ب):وقال:، وهو المناسب ولذلك أثبتناه .

(٦) في (ب):فقال .

ومما رُوي عنه عليه السلام أنه قال في بعض خطبه في وصفه لربه عزوجل:((بَعُـدَ في العُلُوِّ فلا شيء أعلى منه، وقَرُبَ في الدُّنُوِّ فلا شيءَ أدنا منه))[1] .

ومن كلامه عليه السلام في ربه عزوجل:((مَنْ وَصَفَ اللهَ تعالى فقد قَرَنَهُ، ومَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، ومن ثناه فَقَدْ جَزَّأَهُ، ومن جزأه فقد جَهِلَهُ[2]، وَمَنْ أشار إليه فقد حَـدَّهُ، وَمَنْ حده فقد عَدَّهُ، ومن قال فِيمَ فقد ضَمَّنَهُ، ومن قال عَلامَ فقد أخلى مِنْهُ، كآئنٌ لا عن حَدَثٍ، موجودٌ لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا عن مزآئلة[3]. ما اختلف عليه دهرٌ فَيَخْتَلِفَ منه الحال، ولا كان في مكان فيجوزَ عليه الانتقال))[4] .

وسُئِلَ أبو جعفر محمدُ بن علي الباقر عليهما السلام أينَ كـان ربُّنَـا؟ فقـال عليه السلام:كان اللهُ ولا مكانَ، ويكونُ ولا مكان وهو خالقُ المكـان مُـسْتَغْنٍ عـن المكان[5] .

ومما يُبْطِلُ قولَهم:إن الله فوق العرش، وَقَوْلَ بعضِهم:إنه في الـسماء أنْ يُقَـالَ لهم:أينَ كانَ اللهُ قَبْلَ خَلْقِ العرش؟ وأين كان قبلَ خَلْقِ السمآء؟ وأين كـان قبـل خلق الأماكن؟ فإنَّا قد دللنا على قِدَمِه تعالى وحدوثِ الأماكن، وأين يكون تعـالى بَعْدَ فنآءِ الأماكن؟ فإنه لا بُدَّ من فنآء كل شيء، لقوله تعالى:﴿كُلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاّ

---

(١) في هامش الأصل:أقرب، وقال .

(٢) في النهج بعد هذه الفقرة:ومن جهلة فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدة.إلخ.

(٣) في النهج:وغير كل شئ لا بمزايلة .

(٤) النهج ١٧١ بلفظ:سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه .

(٥) ينظر نهج البلاغة ٨٦- ٨٧ .

وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨] أي إلا ذاتَه، فأين يكون بعد فنآء الأماكن؟ وكلٌّ ذلك يُبْطِلُ احتياجَه إلى الأماكن، أو يوجبُ قِدَمَ الأماكن، وأنَّها لا تفنى. وقد دَلَلْنا على حدوثِها وَفَنآئِها، فلم يبق إلا أنه تعالى غيرُ محتاجٍ إليها، فبطل بذلك قولُهم.

فصلٌ: في إيراد طَرَفٍ مما رُوي عن النبي ﷺ في إبطال القول بأنه تعالى جسم، وطرفٍ مما روي عن الصحابة (رض). عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: جآءتِ اليهودُ إلى النبي ﷺ فقالوا: صِفْ لنا ربَّك، فسكت النبي ﷺ تَعَجُّبًا مما سألوه وانتظارًا لأمر الله فيهم، فقالوا: كُنَّا نَصِفُ مِنْ تعظيم ربنا أنَّ الله تعالى يضع السمواتِ يومَ القيامة على إصبع، والبحار على إصبع، وسآئر الأشيآء على اصبع، ويَدُهُ الأخرى فارغة. فأنزل اللهُ تعالى قَبْلَ أن يقوموا تكذيبًا لهم وردًا عليهم، ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر:٦٧][1] أي ما عظموه حق عظمته، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر:٦٧] يعني في ملكوته ﴿وَالسّمَاوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر:٦٧] أي في ملكه سبحانه وتعالى عما يقولون، حيث وصفوا ربهم بالأعضآء

(١) البخاري رقم٤٥٣٣، ولفظه: جآء حَبْر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذُه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ ﴾ . الآية. ومسلم رقم٢٧٨٦ بزيادة: ثم يهزهن. وفي الطبري مج١٢ ج٢٤ ص٣٣ ساق عدة روايات، وكل ما روي في هذا يؤكد بأن النبي ﷺ ضحك تصديقا له. والدر المنثور٥/٦٢٧؛ لكن مؤلف الينابيع يرى أن ضحك النبي ﷺ تعجبا وتكذيبا؛ لأن الله ليس له أصبع، قال ابن حجر في فتح الباري ٣٩٨/١٣: وأما من زاد ((وتصديقا له)) فليست بشيء، فإنها من قول الراوي وهي باطلة؛ لأن النبي ﷺ لا يصدق المحال، وهذه الأوصاف في حق الله محال. غير أن الأحاديث يمكن تأويل الإصبع فيها بالقوة والقدرة وسهولة سيطرة الله على المخلوقات العظام.

والصورة، والأنامل. قُلْ لهؤلآءِ الذين سألوك:﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]، ثم قال رسول الله ﷺ:((هو الصمد الذي يُصْمَدُ إِليه في الحوآئج)) وهو كما قال ﷺ، يدل عليه قول الشاعر:

علوتهُ بحُسامٍ ثم قُلْتُ لهُ: خُذْها إِليك فأنتَ السَّيدُ الصَّمَدُ[(١)]

وقال غيره[(٢)]:

الا بكَّرَ الناعي بخَيْرِ بني أَسَدْ بِعَمْرو بْنَ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ[(٣)]

وروي عن النبي ﷺ وسلم أن قومًا من الأمم الخالية أَتَوْا نبيًا لهم لِيُعْنِتُوه فسألوه عن ربه ما هو؛ ومن أي شيء هو؟ نُورٌ،[(٤)] أم جوهر، أم ذهب، أم فضة؟ فسكت، فأرسل اللهُ صاعقةً من السمآءِ فأهلكتهم[(٥)]. فذلك قوله تعالى:﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد:١٣]. وعن النبي ﷺ أنه قال:((يخرج عُنُقٌ من النار[(٦)] له عينان تُبصرانِ، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، وهو يقول:إني وُكِّلْتُ بكل جبار عنيد، وَمَنِ ادَّعى مع الله إِلهًا آخر، وبالمصورين))[(٧)].

---

(١) الطبري مج١٥ ج٣٠ص٤٤٦ بما يوافق ذلك ، أسباب الترول للواحدي ص٣٨٠.
(٢) هو سبرة بن عمرو الأسدي. وقد استشهد به ابن عباس كما في تفسير الآية في متشابه القرآن ٢/ ٧٠٦.
(٣) الدر المصون ١١ / ١٥١. ومجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٤٨٣. والماوردي ٦/٣٧٠.
(٤) في (ب):أنورٌ
(٥) أسباب الترول للواحدي ص٢٢٨ ، ومجمع البيان مج١٠ ص٤٨٥ بما يقارب ذلك .
(٦) في (ب):عنق يوم القيامة .
(٧) أحمد بن حنبل ٣ / ٢٣٥ برقم ٨٤٣٨ ، ٤/٨٠ برقم ١١٣٥٤.

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: اللهم إني أُوحِّدُك ولا أَحُدُّك، وأَعْبُدُك ولا أُمَثِّلُك، وأَعرِفُك ولا أُصَوِّرُك، وأعبُدُك ولا أُكَيِّفُك، وأُشاهدُك ولا أُشَبِّهُك[1].

وسُئِل عن التوحيد ما هو؟ فقال عليه السلام: استقامةُ القلبِ بإِثباتِ[2] مُفَارَقةِ التعطيل، وإِنكارِ التشبيه. وعنه عليه السلام أنه قال: اتَّقُوا أن تُمَثِّلوا الرب بشيءٍ، لا مِثْلَ له، أو تُشَبِّهُوه بشيء من خلقه، فإِنْ لِمَنْ فَعَلَ ذلك نارًا لا تُطفأُ أبدًا. وعن وهب بن منبه[3] وعكرمة قالا: جآء نجدةُ الحروري[4] إلى عبدالله بن العباس رضي الله عنه فقال: يا ابن عباس كيف معرفتُك بربك؟ فإِنَّ مَنْ قَبْلَنَا اختلفوا علينا فقال: أَعْرِفُه بما عَرَّفَ به نَفْسَه من غير رؤية، وأَصِفُه بما وصف به نفسَه من غير صورة. لا يُعرف بالحوآسِّ، ولا يقاس بالناس، معروفٌ بغير شبيه، متدانٍ في بُعْدِه بلا نظير، لا تُدْرَك دَيْمُومَتُه، ولا يُمَثَّلُ بخليقته.. إلى آخر كلامه[5].

وفي كلام له آخر في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]

(١) أخرج في النهج ص٤٣٩ رقم ١٨٤: ما وَحَّده مَنْ كَيَّفه ، ولا حقيقتَه أصاب مَنْ مَثَّله، ولا إياه عني مَنْ شَبَّهه ، ولا صمده مَنْ أشار إليه وتوهمه .

(٢) في (ب): بإيثار .

(٣) الأنباوي الصنعاني، ولد بصنعاء سنة ٣٤هـ، مؤرخ كثير الأخبار، ولا سيما في الإسرائيليات، ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء صنعاء، توفي سنة ١١٤هـ- وقيل غير ذلك. وله ذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم، وقصص الأنبياء، وقصص الأخيار. ينظر الأعلام ١٢٦/٨.

(٤) ابن عامر الحنفي، ولد سنة ٣٦هـ، من رؤوس الخوارج، وكان من أصحاب نافع بن الأزرق ثم تركه وبايعه أصحابه، توفي سنة ٦٩هـ، وإليه تنسب النجدية. ينظر الأعلام ١٠/٨.

(٥) النهج ص٤٢٦. رقم ١٨٠ . بما يوافق كلام ابن عباس.

قال:يُشَبِّهُون اللهَ بِخَلقِهِ فأشركوا من حيث لا يعلمون[1]. وعن ابن مسعود أنه قال:(ما عَرَفَ اللهَ مَنْ شَبَّهَهُ بخلقه). والأخبار في هذا الجنس كثيرٌ وفي هذا كفاية إن شاء الله تعالى.

فصل فيما يَتَعَلَّقُ به المشبِّهَةُ من الآيات التي فيها ذِكْرُ الأعضآءِ. من ذلك قولُه تعالى:﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة:١١٦] وما يجانسها من الآيات التي فيها ذِكْرُ النَّفْسِ. ونحن نذكر أوَّلاً معاني النفس في اللغة[2]، ثم نذكر معنى الآية، وما تحتمل من المعاني، ويجوز حَمْلُهَا عليه، ونُبْطِلُ أن يكون ما عدا ذلك مرادًا بالآية. فنقول:**أما النَّفسُ** فإنها تقع على معانٍ:**منها** الدَّمُ؛ ولذلك سُمِّيتِ الْمَرْأَةُ نُفسآء، ونَفِسَت بخروج الدم عنها عقيب الولادة. **وثانيها** معنى الروح قال الله تعالى:﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنْفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام:١٩٣] أي:أرواحكم. **وثالثها** الأَنَفَةُ، يقال:لفلانٍ نَفْسٌ، أي أَنَفَةٌ. **ورابعها** بمعنى الإرادة والشهوة. يقال:نَفْسُه في كذا، أي إرادته وشهوته. **وخامسها** بمعنى العين التي تصيب الإنسان. يقال:أصابَت فلانًا نَفْسٌ، أي عَيْنٌ. **وسادسها** مقدار الدَّبْغَةِ، يقال:جعلتُ في هذا الأديم نَفْسًا أو نَفْسَيْنِ من الدباغ. **وسابعها** نَفْسُ الإنسان وغيره الذي يكون به الحياة. قال تعالى:﴿كُلّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]. **وثامنها** أن تكون إخبارًا عن ذات الشيء وعَيْنِه، فيقال:نفس الرأي، وعينُ الرأي، أي ذاتُه، ويكون ذلك تأكيدًا وتحقيقًا للكلام

---

(١) غريب القرآن للإمام زيد بن علي عليه السلام ص١٦٥. والكشاف ٥٠٨/٢. والرازي مج٩ ج١٨ ص٢٢٨.

(٢) ينظر في معنى النفس في اللغة:التاج ١٤/٩، والعين ٢٧٠/٧، واللسان ٢٣٣/٦.

وذِكْرًا عآئدًا على ما تقدم. قال الخليل[1] في كتابه:نَفْسُ كلِّ شيء عينُه وذاتُــه[2].
وقال الفرآءُ:النَّفسُ تأتي على وجه الذِّكْرِ العآئِدِ لِمَا تقدم؛ لأنك إذا قلتَ:أهْلَكَ زيد نفسَه، وأضر بنفسه، فإنما هو ذِكْرٌ عآئدٌ على زيد، وليس النفس بشيء غيرِ زيــد، وإنما أردتَ الإخبار عن الفاعل والمفعول به بشيء واحد، وأعدتَ الكلام وَذَكَرْتَهَا بدلاً منه. ومِثلُ ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُم ﴾ [البقرة:٩] فــأخبر أنَّ وَبَالَ خِدَاعِهِم راجع إليهم دون غيرهم، وَذَكَر أنفسهم لِيُعْلَمَ أن الخادعَ والمخدوعَ شيء واحد. قال الفرآء:العربُ إذا أَوْقَعَتْ فِعْلَ شيء على نفسه تُكَنِّي فيــه عــن الاسم قالوا[3] في الأفعال التآمة غيرَما يقولون في الناقصة، فيقال للرجــل:قَتَلــتَ نفسَك وأحسنتَ إلى نفسك، ولا تقول قَتَلْتَكَ وأحسنت إليك.
وكذلك قال الله تعالى:﴿اقْتُلُوٓاْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء:٦٦]، وقــال:﴿وَلَـكِن ظَلَمُـوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [هود:١٠١]، فإذا كان الفعلُ ناقــصًا مثــلَ حــسبت وظننــت، قــال قآئلهم:أَحسَبُنِي خارجًا، وأظنني خارجًا، ومتى أَكُ[4] خارجًا. ولم يَقُلْ قآئلهم:مــتى ترى نفسك، ولا متى تظن نفسك، وذلك لأنهم أرادوا الفرق بين الفعل الذي يجوز إلغآؤه، وبين الفعل الذي لا يجوز إلغآؤه. ألا ترى أنك إذا قلتَ:أنا أظن خارجًــا

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي ولد سنة ١٠٠هــ- بالبصرة أحد أئمة اللغــة والأدب وواضــع علــم العروض ومات سنة ١٧٠هــ- وله كتاب العين في اللغة ومعاني الحروف جملــة آلات العــرب وكتاب العروض والنقط والشكل ، أنظر الأعلام ٢/٣١٤

(٢) في العين: وكل شئ بعينه نفس .

(٣) في (ب):قال. وفي (ج):ويقولون .

(٤) في (ب) و (ج) تراك . وفي هامش (ب) قاعدة نحوية ص٥٢، جعل المصنف \ أفعال القلوب من الأفعال الناقصة باعتبار اللغة لا باعتبار اصطلاح النحويين، فلا يشكل عليك.

فيبطل الظن ويعمل[1] في الاسم فعلُه وقد قال تعالى:﴿كَلاّ إِنّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىَ ❖أَن رّآهُ اسْتَغْنَىَ ﴾ [العلق:٦] و لم يقل أن رأى نفسه[2].

وإذ[3] قد بينا معاني النفس في اللغة، فلْنذكرْ معنى الآية فتقول:قد بيَّنا ما يحتمله لفظُ النفس في اللغة، ولا خلاف[4] بين المسلمين أنه لا يصح أن يراد بها في الآية الدم، ولا العين، ولا الدبغة، ولا الإرادة والشهوة، ولا الروح، ولا يجوز أن يُراد بها الجسد؛ لأنا قد أبطلنا أن يكون الله تعالى جسمًا؛ إذ الأجسامُ محدَثة، وهو تعالى قديم، فلا يجوز أن يكونَ مُحدَثًا على ما تقدم بيانه. وإذا بطل جميعُ ذلك فهي إذن تأكيدٌ وتخصيصٌ، وذِكْرٌ عآئد على ما تقدم، نحو ما بَيَّنا. فيكون المعنى تعلم ما في نفسي أي في ضميري، ولا أعلم ما في نفسك أي ما في حقيقةِ عِلْمِك من علم الغيب. وقيل:تعلم ما أُخفى في نفسي، ولا أعلم ما تخفى، وذكر النفس لمزاوجة اللفظ.

وقد فسَّر جماعة من الصحابة والتابعين هذه الأية بما يوافق قولنا؛ فروي عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى:﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ [المائدة:١١٦] قال:تعلم ما في غيبي ﴿وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة:١١٦] أي ولا أعلم ما في غيبك[5].

---

(١) في (ج) فتُبطل الظن وتُعمل. وفي (هـ-) فيبطل الظن ولا يعمل.

(٢) في بقية النسخ: و لم يقل:رأى.

(٣) في (ب) وإذا.

(٤) في (ب): فلا خلاف.

(٥) الماوردي ٢ / ٨٨ . والكشاف ٦٩٤/١ . والرازي مج٦ج١٢ ص١٤٣ . حيث قال:المسألة الثانية- تمسكت المجسمة بهذه الآية ، وقالوا: النفس هو الشخص ، وذلك يقتضي كونه تعالى

ومثل ذلك رُوي عن مجاهد، وفسَّره جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس بأن معنى[(١)] ذلك تعلم ما في سري ولا أعلم ما في سرك[(٢)]. وهذا القول ليس ببعيد عن الصحة؛ فإن السر وإن لم يكن يُسمَّى نفسًا فإنما ذهب المفسرون إلى معنى ما في قوله ولا أعلم ما في نفسك؛ لأن الذي يقع على غير النفس، والذي في النفس شيئان: **أحدهما** الأعضآء الباطنة، **والآخَرُ** ما يعتقده الإنسان في قلبٍ[(٣)] وهو السر. فَلَمَّا لم يُرِدِ الأعضآء الباطنة عُلِمَ أن المراد به السِّرُّ والْعُرْفُ جرى عليه، وذلك لأنه لما كثُر قولهم أخفى في نفسه شيئًا، وأضمر في نفسه شيئًا، ولا أعلم ما في نفسه، وكثر استعمالهم له–صارت هذه اللفظةُ عبارةً عن السر والغيب لكثرة الاستعمال. وهذا المعنى هو الذي يقتضيه نَمَطُ الآية؛ لأنه [عيسى] لَمَّا أراد بذلك البرآءة مما تُقُوِّل عليه مِنْ جَعْلِه إلَهًا بَيَّنَ أنه لو قال ذلك لعلمه الله؛ لأنه يعلم سره، فكيف لو جهر به.

ومما تعلقوا به قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران:٢٨] قالوا: فأثبت له نَفْسًا فدل ذلك على مشابهته لنا. **والجواب**: أنا قد أبطلنا فيما تقدم ما ذهبوا إليه من أنه تعالى يُشْبِهُ الأجسام، وبَيَّنا أنه لا مِثْلَ له ولا نظير، ودَلَلْنا على ذلك بأدلة العقول، وأوردنا أَدِلَّةَ الشرع على جهة التأكيد؛ لذلك فلا يجوز حَمْلُ الآية على ما

جسمًا ، والجواب من وجهين: الأول– النفس عبارة عن الذات يقال: نفس الشيء وذاته بمعنى واحد. والثاني– أن المراد تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه ذكر هذه الكلام على طريق المطابقة والمشاكلة. وهو فصيح. وينظر القرطبي ٦/٢٤٢ .

(١) في (ب): أن معنى .

(٢) الدر المصون للحلبي ٤/ ٥١٤ .

(٣) في (ب): في قلبه، ولعل الهاء ملحقة .

يخالف جميعَ ذلك، ونقول:إنَّ قوله:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾ ذِكْرُ عَآئدٍ[1] على المحذِّر، وهذا كقوله:﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ ﴾ [آل عمران:٥٠]، وقوله:﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ﴾ [البقرة:٢٨١]، واليوم لا يُتَّقى، وإنما يُتَّقَى ما يقع فيه، وذاتُ الله لا تُتَّقى، وإنما يُتَّقى فِعْلٌ[2] منه. والعرفُ قآئم يدل على أن المراد به العقابُ الذي يفعله المحذِّر، وإن لم تكن العقوبةُ تُسَمَّى نَفْسًا في اللغة. **وَمِثْلُ** ذلك مرويٌّ عن ابن عباس فإنه قال في قوله تعالى:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾، قال:عقوبته. وعن الحسن قال:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ ﴾، قال:عقابه ونقمته[3]. **وأما** قوله تعالى:﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه:٤١]، فمعناه لِدِيني. وقيل:لإرادتي[4]. وقوله تعالى:﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:١٥٤] فإنّه ذِكْرٌ عائدٌ على الرب، وعلى التآء في قوله:﴿وَاصْطَنَعْتُكَ ﴾. وهذا نحو قولهم:اخترتُ كذا لنفسي، وفعلتُه بنفسي[5]، ليس يخطر ببال أحد أنَّ النَّفسَ في مثال ذلك شيءٌ غيرُ القائل، وإنما أرادوا بذلك التمكنَ من الإخبار بأنَّ الفاعل والمفعول واحد على ما بَيَّنَّاهُ.

---

(١) المعنى:أن كلمة ((نفسه)) لا تدل على أن لله تعالى نفسًا، وإنما هي ذِكْرُ عَائدٍ، أي ضمير عائد على الله، فهي تشبه ((فاتقوا الله))، كأنه قال((ويحذركم اللهُ الله)). وإعراب ((ذكر)) بالضم خبر إنَّ، وهو مضاف إلى عائد، وفي بعض النسخ ((ذكرٌ)) بالتنوين خبر أيضًا وعائد بالضم والتنوين صفة لعائد ، والأول أدق.

(٢) في (ج):بحذف فعل .

(٣) تفسير الرازي مج٤ ج٨ ص١٥. وتفسير الألوسي ٢٠٢/٣ عن ابن عباس. و لم يذكر الحسن. والدر المصون ١١٣/٤.

(٤) الخازن مع البغوي ٢٥٣/٤.

(٥) في (ب): لنفسي.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ وَالأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسّمَاوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾.الآية [الزمر:٦٧]. قالوا:فَدَّلَ على أنــه قـــابض على الأرض، وأن السموات بيمينه. وذلك يدل على الأعضاء[١].

والجوابُ أنا قد دَلَلْنا على أنه ليس بجسم، ولا يجوز عليه الأعـــضاءُ، بأدلـــة العقل وَمُحْكَمِ القرآن؛ فأما معنى ذلك فقولُه:﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ ﴾، أي مَا عَظَّمُوهُ حقَّ عظمته. وقولُه:﴿وَالأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾، أي يَقْـــدِرُ عليها كما يَقْدِرُ مَنِ الشيءُ في قبضته على ذلك الشيء. وعن ابن عبـــاس قـــال في قوله تعالى:﴿وَالأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ ﴾، قال:في مُلْكِهِ وقُدْرَتِه.ومثلـــه رُوي عـــن مجاهد[٢].

وأما قولُه:﴿وَالسّمَاوَاتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾، فَقَدْ ذَكَرْنَـــا أنَّ الوجـــوه الـــتي تحتملها اليمينُ في اللغة وتنطلق عليها خمسةٌ. وَفَصَّلْنا ذلك في كتاب الإرشاد، فـــلا نطول بذكره هاهنا، بل نقصد معنى الآيـــة، فقولُـــه:﴿مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾، أي في قدرته يفعل ما يشاءُ بِقُوَّتِه، وذلك لأنَّ معناه أن السموات تُطوى أي تُرفع أعمادُها بقدرته التآمَّة، وقُوَّتِه الخفية، وكذلك قوله:﴿لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [الحاقة٤٥] مَعْناه بجد وصرامة، قال الشاعر:

إذا مَا رايـــةٌ نُـــصبت[٣] لمجـــد تَلقَّاهَـــــا عُرَابَـــــةُ بـــــاليمين

---

(١) ينظر في ذلك البخاري كتاب التفسير رقم ٤٥٣٣ ، و ٤٥٣٤.
(٢) ينظر القرطبي ١٨١/١٥، قال: إن معناها القدرة والإحاطة، وهو منزه عن الجارحة والأعضاء.
(٣) في (ب) رُفِعت، ونصبت. وفي (ج):رفعت.

أي بِجِدٍّ وصرامة. ويجوز أن يكونَ معنى قوله باليمين، أي بقدرته وقوته، وهو مروي عن ابن عباس[1]. ومن جملة ما تعلقوا بــه آيــاتُ الوجــه، نحــو قولــه تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلّواْ فَثَمّ وَجْهُ اللّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، وقوله: ﴿كُلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله: ﴿إِنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ ﴾ [الإنسان:٩]، ونحو قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف:٢٨]، وقوله: ﴿إِلاّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبّهِ الأعْلَىَ ﴾ [الليل:٢٠].

قالت الْمُشَبِّهة: وكلٌّ ذلك يَدلُّ على ثبوت وَجْهِ الله تعالى[2]، فدل ذلك علــى أنه جِسْمٌ. **والجواب** أنَّ الدلالة العقليةَ قد دلت على أنه ليس بجــسم، وكــذلك الدلالةُ الشرعية؛ فبطل ما ذهبوا إليه. ومما يزيد ذلك صحة أنَّ هــذه الآيــات لا تقتضي جارحة مخصوصة؛ لأنه متى عُلِّقَ اللفظ بجارحة مخصوصة فسد معاني هــذه الآيات؛ لأن قوله تعالى: ﴿كُلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ ﴾ متى حُمِل علــى جارحــة مخصوصة فإنه يقتضي أنْ يَهْلِك سآئرُه ويبقى وَجْهُهُ، فيهلك ما سوى الوجهِ مِنْ يَدٍ وَرِجْلٍ وغيرِهما، وهذا مما لا يقولون به. ولا خلاف في أنه كُفْرٌ مِنْ قائله. وكذلك قولُه: ﴿إِنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ﴾ وسائرُ ما تقدم ذِكْرُه يقتضي أن يكونَ مَقْــصِدُ القوم في طاعته إلى وجهه دون سائر أبعاضِه، وأنه لا يقبل عمل عامل إلا أن يبتغي وجهه دون سائره، وهذا مما لا يقول به أحد. وكذلك قولــه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلّواْ فَثَمّ وَجْهُ اللّهِ﴾ يوجب أن يكون وجهُه حيث يتوجه الإنسانُ، ويوجــب أن يكــون

---

(١) القرطبي ١٨/١٧٨. والخازن مع البغوي ٦/٢٧٢.
(٢) التوحيد لابن خزيمة ١٠.

بجميع النواحي في الحالة الواحدة؛ لِتَوَجُّه الناس إليه من كل وِجْهَةٍ، وهـــذا ممـــا لا يُطْلِقُه مسلم. والإجماع يرده، والكفر لا يُفَارِقُ قائلَه. **فإذا** تقررذلك بطل تعلقهـــم بالظاهر. على أنَّ ذلك يؤدي إلى مناقضة القرآن، وإيجابِ التجسيم؛ لأنـــه ينفـــي الوحدة، ويوجب التكثير. والعقلُ يقضي بفساده. وقد بينا في كتاب الإرشاد مـــا تَحتمله لفظة الوجه من المعاني اللغوية. والغرضُ الاختصار هاهنا. فَلْنتكلمْ في معنى لفظة الوجه في هذه الآيات، فنقول:بأن معنى قوله:﴿كُلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ ﴾ أيْ فَانٍ إلاَّ وجهَهُ أيْ إلاَّ هُوَ[1]. عن مجاهد. وقيل:دِينُـــه، عـــن الـــصادق عليه السلام. وقيل:إلا ما أُريد به وجهه، عن أبي العالية[2]. وكذلك قوله:﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبّكَ ﴾ [الرحمن:٢٧] أي يبقى هو. كما يقال:هذا وَجْهُ الرأي وَوَجْهُ الصواب، أي هو الـــرأي وهو الصواب[3].

وروي عن ابن عباس في قوله:﴿وَيَبْقَىَ وَجْهُ رَبّكَ ﴾ [الرحمن:٢٧] أنه قال:يفـــنى كل شيء ويبقى الله وحده. ومعنى قوله:﴿فَأَيْنَمَا تُوَلّواْ فَثَمّ وَجْهُ اللّهِ﴾ رُوي عـــن مجاهد ﴿فَثَمّ وَجْهُ اللّهِ﴾ أي قِبْلَةُ الله، وعن الحسن فثم وَجْهُ الله قال:وجه الله الذي وجهكم إليه. وقيل:﴿فَثَمّ وَجْهُ اللّهِ﴾ أي رضوان الله[4].

ومعنى قوله:﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ ﴾ [الروم:٣٨]، وقولـــه:﴿إِلاّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبّهِ

---

(١) ينظر الكاشف ٣/ ٤٣٧ .
(٢) ينظر في كل ذلك القرطبي ٢١٣/١٣. والخازن مع البغـــوي ٣٩/٥. والطـــبري مـــج١١ ج٢٠ ص١٥٥. وقال في الكشاف ٤٣٧/٣:إلا إياه، والوجه يعبر به عن الذات.
(٣) مجمع البيان للطبرسي ٤٦٥/٧. والكشاف ٤٤٦/٤، قال:ذاته.
(٤) تفسير القرطبي ١٠٨/١٧.

الأَعْلَىٰ﴾ [الليل:٢٠]، وقوله:﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان:٩]، وقوله:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الكهف:٢٨]، وما أشبه ذلك، وقوله:﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [الروم:٣٨] أي يريدون ابتغاءَ مرضاتِهِ وثوابِهِ. وكذلك:وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله أي طلب ثوابه ومرضاته. وقوله:﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ❖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل:١٩-٢٠] أي طلب رضى ربه الأعلى. والأعلى هو الأجل عما لا يجوز عليه. وقوله:﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ قيل:لله وطلب رضاه، لا للرياء والسمعة، ولا لطلب عوض، وقيل:﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ أي لله وأمره وإيجابه.

قوله:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي احبس نفسك مع أصحابك المؤمنين، ثم وصفهم فقال تعالى:﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾، قيل:يصلون الصلاة على الدوام. وقيل:يذكرون الله. قوله:﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾، أي تعظيمه ورضاه، يريدون بالعبادة رضاه.

ومن ذلك آية الْجَنْبِ وهي قوله:﴿يَحَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر٥٦]، قالوا:فقد أثبت لنفسه جَنْبًا. **والجواب**:أن الآية غيرُ مُحْتَمِلَةٍ لما ذكروه؛ لأنه إن أريد بالجنب العضوُ المعلومُ لم يكن للآية فائدة؛ إذ التفريطُ في الجنب الذي هو العضو غيرُ معقولٍ. والكلامُ على هذا الوجهِ كلامٌ غيرُ مفهومٍ. وأدلةُ العقول

ومُحْكَمٍ القرآن تَمنع من ذلك كما تقدم. فَأما معنى الآية فمعنى قوله:﴿**على ما فرطت في جنب الله**﴾ أي في أمر الله، لا يدفع ذلك دافع من عقل ولا من لغة ولا مِنْ إجماع. وعليه يدل قول الشاعر:

خَلِيلَيَّ كُفَّا واذكرا الله في جنبي فقد نلتما[1] في غير إثم ولا ذنب

ومثله مروي عن علماء التفسير[2] فإن بعضهم قال:معنى قوله تعالى:﴿مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللّهِ﴾، قال المراد في[3] طاعة الله[4]، كما يقال:ما نالني في جنب فلان فهو راحة

وعن ابن عباس أن معناه في ذات الله وأمْرِه وحقه، وهذا المعنى حَسَنٌ عندنا[5].

وقد قال:من يوثق بمعرفته من الشعرآء وهو ابن دريد الشاعر[6] ما يلائم ذلك، حيث قال:

---

(١) في (ب) و (هـ): قلتما.

(٢) ينظر القرطبي ١٥/١٧٦. وجامع البيان مج١٢ ج٢٤ ص٢٤. وأبو السعود ٧/٢٦٠. والماوردي ٥/١٣٢. والخازن مع البغوي ٥/٣٢٠. والكشاف ٤/١٣٧. والدر المنثور ٥/٦٢٤. والرازي مج٧ ج١٤ ص٧. والدر المصون ٩/٤٣٥. والبحر المحيط ٧/٤٣٥. وروح المعاني مج١٣ ج٢٤ ص٢٧. كلهم فسر في جنب الله:ذكر الله. أمر الله. طاعة الله، ونحو ذلك على الاستعارة. وأنشدوا قول سابق البربري من شعراء الحماسة:

أمَا تَتَّقِينَ اللهَ في جَنْبِ وَامِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

(٣) ((في)) ساقطة من (ب) .

(٤) تفسير ابن عباس ص٣٩٠ .

(٥) قال الإمام زيد عليه السلام في غريب القرآن ص٢٧٤: يومُ القيامة. وجنبُ الله:علي بن أبي طالب، وموالاة أهل بيته عليهم السلام. وقال:في أمر الله .

(٦) هو محمد بن الحسن بن دُريد بن عتاهية الأزدي، أبوبكر أديب شاعر نحوي لغوي نسابة، ت٣٢١هـ- له عدة مؤلفات . ينظر معجم المؤلفين لكحالة ٣/١١٨.

فكلّمـــا لاقيتُـــه مُغْتَفَـــرٌ في جنب ما أسأره شَحْطُ[1] النوى[2]

وليس هناك عضو يُتَصَوَّرُ. ويقال:هذا ما أصابني في جنب فــلان أي في ذاتــه وحقه، وهذا ظاهر.

وعن مجاهد قال:﴿فِي جَنبِ اللّهِ﴾ أي في أمر الله. وقيل:﴿فِي جَنبِ اللّهِ﴾ أي في قُرْبِه وجواره وهو الجنة. ومنه:﴿الصّاحِبِ بِالجَنْبِ﴾ [النساء:٣٦] أي بالقُرْبِ. وقيل:في طريق الله التي أمر بها[3]. وعلى هذا، الْجَنْبُ الجانب [أي الجانب][4] الذي يؤدي إلى رضى الله تعالى. وقد بَيَّنَّا ما تحتمله لفظة الجنب في اللغة من الوجـــوه في كتاب الإرشاد، وأبطلنا أن يكون المرادُ شيئًا منها سوى ما ذكرناه[5] هاهنا.

ومن ذلك آية الإذن[6] نحو قوله تعـــالى:﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نّأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاّ

---

(١) **أسأره**:أبقاه. **وشحط**:بعد. شرح مقصورته ص٤.

(٢) معناه:أن كل ما لاقاه من محبوبه من جفا مغتفر قياسا بما سببه البعد من أذى. مثل قوله:

(٣) القرطبي ١٥/١٧٦. والطبري مج١٢ ج٢٤ ص٢٤.

(٤) ما بين القوسين زائد في (ب) و (ج) و (د) و (هـ) و (ز) .

(٥) في (ب): سوى فيما ذكرناه.

(٦) في (ب) تعليقة جاء فيها: أما أية الإذن فإن كان استدل بها مستدل من المشبهة فهو دليـــل علـــى جهله وعدم معرفته باللغة ، لأن الإذن بكسر الهمزة ليس من معانيها الجارحة . ومثله لا يـــستحق أن يجاب عليه ، والشبهة في هذه الآية ونحوها للمجبرة ، وقد أجـــاب علـــيهم أئمتنـــا علـــيهم السلام:منهم الإمام الناصر الأطروش عليه السلام في البساط ص١٥٤. كتبه المفتقـــر إلى الله مجـــد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي . حيث فسروا الإذن بـــالإرادة في قولـــه تعـــالى:﴿وَمَا هُم بِضَآرّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ بالإرادة والمشيئة، وأجاب عليهم العدلية بأن معـــنى الإذن في الآية العِلم وهو من معانيها العَربية كما ذكر ذلك الإمام الناصر في البساط، وقد أشـــرت إليـــه في سيرته في شرح الزلف.

بِإِذْنِ اللّهِ ﴾ [إبراهيم:١١] وقد دللنا بأدلة العقول على أنه تعالى ليس بذي أعضاء، وأنه لا يشبه الأشياء وأكدنا ذلك بمحكم الكتاب. وأما معنى الآية، فمعنى قوله:﴿إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ ﴾ أي بأمره وعلمه وتدبيره، وهو شائع في اللغة العربية[١]، لا ينكر ذلك من له أدنى معرفة بها.

وكذلك قوله تعالى:﴿لِتُخْرِجَ النّاسَ مِنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ بِإِذْنِ رَبّهِمْ ﴾ [إبراهيم:١]، أي بأمر ربهم وتوفيقه إياهم، وهو مَنْ لَهُ لُطْفٌ[٢]. وكذلك قوله:﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة:١١٠]، أي بأمري. وقوله:﴿فَيَكُونُ طَيْراً ﴾ بإذني أي بفعلي له[٣]، وكذلك سائر الآيات التي تجري هذا المجرى.

[اليد في القرآن]

ومن جملة ما تعلقوا به آيةُ اليد، وهي قوله تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤]، قالوا:وهذا يدل على أن له جارحتين كالواحد منا[٤].

وأما الجارحة فهي الأذن- بضم الهمزة- كما ورد في الكتاب العزيز:﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ ﴾. والله تعالى الموفق. وفي هامش الأصل:أما آيات الإذن فلا ظاهر لها حتى يتعلق به المخالف لوجهين: لفظي ومعنوي، أما اللفظي فالإذن بكسر الهمزة لا تطلق على الجارحة وإنما هي بضم الهمزة ، قال الله تعالى:﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ ﴾ . وأما المعنوي فلا معنى؛ لأن تراد الجارحة في شيء من الآيات الثلاث لو فرضنا صحة إطلاق اللفظ عليها، وهو ممنوع. أ.هـ

(١) ينظر:تاج العروس ١٨/ ١١ .

(٢) ربما أراد أن التوفيق لمن له لطف من الله. ينظر القرطبي ٩/٢٢٢.

(٣) الماوري ٢/ ٨٠ .

(٤) الرازي مج٦ ج١٢ ص٤٥، وقال:اختلفت الأمة في تفسير يد الله تعالى؛ فقالت المجسمة:إنها عضو جسماني كما في حق كل أحد. وقال بذلك ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص٥٦.

والجواب:أنا قد دللنا بأدلة العقول على إبطال مذهبهم، وأكَّدنا ذلك بما ذكرناه من محكم القرآن نحو قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] وغير ذلك. فإذا ثبت ذلك؛ فاليد تنصرف [في اللغة] على ثمانية معانٍ[١] قد[٢] بيناها في كتاب الإرشاد ودللنا على ثبوتها في اللغة[٣]. وإذا ثبت ذلك تكلمنا في معنى الآية؛ لأنه المطلوب دون ما عداه، فنورد الآية من أولها، ونذكرمعناها الذي ذكره المفسرون فنقول:روي أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود، وأكثَرَ الْخِصْبَ عليهم، فلما عصوا النبي عليه السلام قبض الله عليهم في الرزق، فقالوا:﴿يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، كما حكى اللهُ في قوله:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] وقيل:اسم القائل فنحاص[٤]. ومعنى مغلولة:أي مقبوضة عن العطاء ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي أُلْزِمُوا البخلَ؛ فلهذا لا تجد أَلأَمَ منهم ولا أبخل. وقيل:غُلَّتْ في نار جهنم، أي شُدَّتْ إلى أعناقهم.

قوله تعالى:﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ اللعنة من الله الإبعادُ من الخير. واللعنة من

---

(١) عبارة اليد تطلق على وجوه:**أحدها** الجارحة. **ثانيها** النعمة، نحو لفلان عندي يد. **وثالثها** القوة، نحو أولي الأيدي. **رابعها** الْمِلْك، نحو الضيعة في يد فلان. **خامسها** شدة العناية والاختصاص، نحو لِمَا خلقت بيدي. **فذهب** الناس في تفسيرها إلى مذاهب:**مذهب المجسمة** وقد أثبتوا الجارحة لله . **مذهب المفوضة** وهم بعض السلف حيث قالوا:تحتمل الجارحة وعدمها؛ فلا نجزم بأيهما ونفوض الأمر لله. **مذهب العدلية** وهو ينفي التجسيم نفيًا قاطعًا كما ذكر المؤلف. ينظر تفسير الرازي مج٦ ج١٢ ص٤٤.

(٢) في بقية النسخ: تنصرف في اللغة على ثمانية معان، وقد.

(٣) ينظر في الطبرسي ٣/٣٧٥.

(٤) ينظر الطبرسي ٣/٣٧٥، والبحر المحيط ٣/٥٢٣، والدر المنثور ٢/٢٢٥.

غيره الدعاء باللعن. قوله:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤] أي نعمتاه:نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وعلى هذا يقول قائلُ أهل اللغة:عندي لفلان يد، وشكرتُ يدك عندي، معناه النعمة. وتقول لفلان:عندي يَدٌ بيضاءُ[(١)]. وقال الأعشى[(٢)] يخاطب ناقته:

مَتَى ما تُنَاخِي عند بابِ ابنِ ... تُريحي وتَلْقَيْ من فواضله يدا

وأنشد الفَرَّاء:

وَيَدانِ بَيْضَاوَانِ عند مُحَلِّمٍ ... قَدْ يصنعا لك بينهم أن تهضما[(٣)]

وتعلقوا بقوله تعالى:﴿مِمّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [يس:٧١] ومعناه:مما خلقنا؛ لأنه لا خلاف بين الأمة أن خالق الأنعام هو الله، سواء أُثْبِتَتْ له يد أو لم تثبت[(٤)]، فبطل قولهم. وكذلك ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ ﴾ [ص:٧٥] أي بقوتي. وقيل:بنعمتَيَّ:نعمة الدنيا ونعمة الآخرة. وقيل:لما[(٥)] خلقتُ أنا، واليدين[(٦)] صِلَةٌ. وكذلك قوله:﴿وَالسّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات٤٧]، أي بقوة عن ابن عباس[(٧)].

---

(١) الطبري مج٤ ج٦ ص٤٠٦. والقرطبي ١٥٥/٦.
(٢) الأعشى:ميمون بن قيس بن جندل، يقال:الأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام ولم يسلم، وتوفي سنة ٧هـ. ينظر الأعلام ٣٣١/٧.
(٣) الموجود في شواهد النحو:قد يمنعانك أن تضام وتهضما وهو الأصح. وفي البيت زيادة ونقص . فانظر تاج العروس٣٥٣/٢٠، ولسان العرب ٤٢٠/١٥ . أما يصنعا في الأصل فهو ملحون لحذف النون بدون ناصب ولا جازم. والبيت في عمدة الحفاظ ٤٠٧/٤، ولفظه:
(٤) في (ب): أثبت يدا أو لم تثبت.
(٥) في (ب): بما.
(٦) اليدين على الحكاية ، وإلا ((واليدان)) بالألف مبتدأ.
(٧) ينظر الطبري مج١٣ ج٢٧ ص١١. والقرطبي ٣٦/١٧. وتفسير ابن عباس ص٤٤٢

واليدُ في اللغة بمعنى القوة، يقال:مالي بكذا يَدٌ، ومالي به يدان، أي ما لي به قـــوة. قال الشاعر وهوعروة[1]:

فقالوا:هَداك اللهُ واللهِ مَـــا لنـــا ... بِمَا خَضَبَتْ[2] مِنْكَ الضلوعُ يَدانِ

وقال الغنوي[3]:

فإذَا رأيتَ الْمَرْءَ يَشْعُبُ[4] أمْرُه ... شَعْبَ العصا وَيَلِجُّ في العـــصيان

فاعْمَدْ لِمَا يَعْلُو فمالك بالـــذي ... لا تستطيع مـــن الأمـــور يَـــدَانِ

يعني بقوة. والمعنى في ذلك:أنه أمره بأن يتكلف من الأمور ما يطيق.

[العين في القرآن]

ومن جملة ما تعلقوا به أياتُ العَيْنِ نحو قوله تعالى:﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمـــر:١٤] قالوا:فدل على أن له أَعْيُنًا، وذلك يدل على الأعضاء[5].

والجواب عن ذلك من وجوه ثلاثة:**أحدها**:أنه لا يصح الاستدلال بالسمع في إثبات التجسيم، ما لم يُعْلَمْ كونُه عَدْلاً حكيما، كما تقدم تفصيل ذلك. **والثاني**:أنا

---

(١) عروة بن حزام بن مهاصر، أحد بني ضبه، شاعر إسلامي ,أحد المتيمين الذين قتلـــهم الهـــوى، لا يعرف له شعر إلا في عفراء ابنة عمه، توفي في أيام عثمان، وقيل:أيام معاوية. الأغـــاني ٢٣٣/٢٤، والشعر والشعراء ٦٢٢/٢، والأعلام ٢٢٧/٤.

(٢) في هامش (ب): حملت. وهو كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٢٤/٢، وفي الأغاني ٢٨٢/٢٤ ضمنت منك. وفي بعض النسخ:حضنت.

(٣) هو طفيل بن عوف بن كعب الغنوي شاعر جاهلي من قيس غيلان كان شـــجاعا ت١٣ قبـــل الهجرة. الأعلام٢٢٨/٣.

(٤) يشعب: يتفرق .

(٥) ينظر الإبانة للأشعري ص١٢٠. وابن خزيمة ص٤٢. وأقاويل الثقات ص١٤٥، يقولون:له عين بلا كيف، ووجه ويد بلا كيف.

نعارضهم بما تقدم من أدلة العُقول وأدلة السمع المحكمة. **والثالث:**أن نبين معنى هذه الآية وما شابهها من الآيات المتشابهة فنُبطل ما ذهبوا إليه، وقد ذكرنا في كتاب الإرشاد أن لفظة العين تنصرف في اللغة على ثلاثةَ عشر معنًى[(١)]، فَلْنَذْكُر ما يوافق الآية منها دون ما عداه إذ قد أبطلنا عند تعديدها أن يكونَ الْمُرادُ بذكر العين في كتاب الله تعالى أو ذِكْرِ الأعين شيئًا مما تَوَهَّمَ المخالف. فقوله تعالى:﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىَ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر:١٣-١٤]، المراد تجري بعلمنا. وعن الحسن أنه قال:﴿بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بأمرنا[(٢)]. وقيل:تَجري بأعينِ أوليآئنا الموكَّلِين بها. وقيل:بحفظنا وحراستنا لها. وقيل:بأعيننا التي أجرينا في الأرض وكذلك قوله تعالى:﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىَ عَيْنِي ﴾ [طه:٣٩] فإن قوله:﴿عَلَىَ عَيْنِيَ﴾ أي لِتُرَبَّى بأمري، عن ابن عباس[(٣)]. وروي في معناه عن الحسن لِتُغَذَّى بعلمي. وكذلك قوله:﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود:٣٧] أي بِعِلْمِنَا وحِفْظِنَا لك من قومك، وَوَحْيِنَا على ما عَلَّمناك من الصَّنْعَةِ فيها. قال ابن عبَّاس:بتعليمنا ووحينا، قال:فهبط جبريل

---

(١) تطلق العين على:الجارحة، والإنسان، والجاسوس، وجريان الماء، والجماعة، والحاضر من كل شيء، وخيار الشيء، والدينار، والذهب، وذات الشيء، والربا، والشمس، والسحاب. وله معان أخرى كثيرة. ينظر تاج العروس ١٨/٢٠٤ . والقاموس ص١٥٧٢.

(٢) ينظر تفسير الإمام زيد ص٣١٢. وتفسير جامع البيان للطبري مج١٣ جزء٢٧ ص١٢٥ . والقرطبي ١٧ / ٨٧ . والدر المصون ١٠ / ١٣٥. والأعقم ص٦٩١ . والمنتخب في تفسير القرآن ص ١٨٧. والطبرسي ٩ / ٣١٥ . والماوردي ٥ / ٤١٢ . وفتح القدير للشوكاني ٥ / ١٢٣ . والميزان ١٩ / ٦٨ . والخازن مع البغوي ٦/٦٥

(٣) ينظر تفسير ابن عباس ص٢٦١.

فعلَّم نوحا كيف يعملُ طولها وعَرْضَها وَسَمْكَها [سقفها] وَذَنَبَها[1].

وكذلك روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، قال في كلاءتنا وحفظنا[2]، وهو مُشَاكِلٌ لنمط الآية، أي لأنك مُحَافِظٌ عليك ومُرَاعىً أَمْرُك. وقيل: بعلمنا تتقلب، عن مجاهد، قال: وهو قوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ❖ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٩،٢١٨]، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩]، والأول أصح وأوْجَه.

واعلم أنَّ ظاهر هذه الآيات يقتضي ما لا يجيزه مُسْلِمٌ ولا يطلقه أحد من الأمة. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:٣٩] يُوجبُ أن يكونُ صُنْعُ الْمُخَاطِبِ وهو موسى عليه السلام على عَيْنِ الله تعالى، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] يقتضي أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأَعْيُنِهِ تعالى فتكونُ أعينُه مكانا له. وكذلك قوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود:٣٧]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، والقومُ لا يقولون بذلك. ويقتضي أيضا أن يكون له تعالى أكثرُ من عينين، وذلك مما لا يصحُ القولُ به. فإذا مَنَعَ الدليلُ من الْجَرَيَانِ على الظاهر، ورَجَعُوا إلى التأويل، فنحن أولى منهم بذلك لِمَا تقدم من الدلالةِ، وهكذا نَسْلُك معهم هذا المسلك في جميع الآيات والله الهادي.

ومما تعلقتْ به الْحَشْوِيَّةُ المشبهةُ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]،

---

(١) ينظر الدر المنثور: ٥٩٣/١.

(٢) غريب القرآن للإمام زيد ص٣٠٨. وجميع التفاسير السابقة تفسر كذلك. قال في نفسير ابن عباس: بمنظر منا.

قالت الحشْوِية وذلك أن رَبَّهم يأتيهم يومَ القيامة في غير صورته الـــتي يعرفـــون، فيقول:أنا ربكم فَيَهِمُّون أن يَبْطِشُوا به، فيكشف عن ساقه، فَيخرُّون سُجَّدًا. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[(١)].

واالجواب:عن ذلك أن نقولَ ليس لهم في ظاهر الآية تَعَلُّقٌ ؛ لأنَّه تعالى لم يَقُلْ لهم:إنَّهُ يكشفُ عن ساقه، ولا أنبأهم مَنِ الذي يكشف عن ساقه، وإنما أخبر عـــن لفظِ المجهول، فَذَكَرَ ساقًا مُنَكَّرًا غيرَ مُعَرَّفٍ[(٢)] ولا دلالة في ظاهر الآيـــة فَـــسَقَطَ تَعَلُّقُهم بها. **فأمَّا** هذا الخبرُ فخبرٌ ضعيفٌ[(٣)] معارِضٌ للعقل وَمُحْكَمٍ القرءآن والسُّنَّةِ المعلومة وإجماع المسلمين من الصحابة والتابعين فوجب سقوطُه. والساقُ له معـــانٍ أربعة في لغة العرب[(٤)] وقد ذكرناها في كتاب الإرشاد. والذي يختص[(٥)] الآية مـــن تلك المعان هو المعنى الرابع وهو شِدَّةُ الأمْرِ في يوم القيامة. وهذا المعنى ثابـــت في اللغةِ، فإن الساق قد يُرادُ به شِدَّةُ الأمْرِ، ومنه سَاقُ الحرب، يقال:قد قامتِ الحربُ

---

(١) رواه البخاري ٦ / ٢٧٠٦ رقم ٧٠٠١ ، ومتن الحديث ظاهر النكارة يَعْرِفُ ذلك من تأمله مـــن غير تعصب وهو أيضا مروي برقم ٤٣٠٥ ، ٧٠٠٠ . وفي مسلم ١ / ١٦٧ ، ١٦٣ ، في بـــاب الرؤية . وينظر الصفات لابن خزيمة ص٩٠. وأقاويل الثقـــات ص١٧٣. وتفـــسير ابـــن كـــثير ٤٠٧/٤.

(٢) في (ب) ، (ج): معروف.

(٣) هامش في (ب): بل موضوع يشهد لكذبه المعقول والمسموع ، تمت كاتِبُه. والكاتب السيد محمد أحمد علي شمس الدين.

(٤) في كتب اللغة معان هي:١- ساق القدم. ٢-عبارة عن الشدة، ٣-ســـاق الـــشجرة. ٤-ســـاق الحمام. أنظر تاج العروس ٢٢٦/١٣.

(٥) في (ج):يخص .

على ساق. وكشفتِ الحربُ عن ساقها إذا ظهرتْ شِدَّتُهَا. قال الشاعر[(١)]:

كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا من القوم الصُّراحُ

وقال غيره:

وَشَرٌّ ما فوقك ضَرْبُ الأعناق قد قامتِ الحربُ بنا على ساق[(٢)]

وقد ورد[(٣)] هذا التفسير عن الصحابة والتابعين[(٤)]، روي عن ابن عباس أنه قال:﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢]. قال:عن أمرٍ شَدِيدٍ، قال:وهو أشدُّ ساعةٍ في القيامة، وعن سعيد بن المسيب قال:إنما يعني شدةَ الأمر.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿اللّهُ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ ﴾..الآية [النور:٣٥]

---

(١) الشاعر هو جد أبي طرفة بن العبد. واسمه سعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها والبيت من قصيده قالها في حرب البسوس وشطر البيت الأخر:

*** وبدا من الشر الصُّراح**

كما في ديوان الحماسة لأبي تمام ١/١٩٢-١٩٣. وشرح المفصل ٥/٧٢.

(٢) في الدر المنثور ٦/٣٩٨:سئل ابن عباس عن قوله:﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾، قال:إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتهم قول الشاعر:
أنظر الدر المنثور٦/٣٩٧. في الدر المصون١٠/٤١٨. والبحر المحيط ٨/٣١٦:
وقول الشاعر حاتم:
وكذلك:
وفي رواية:كَشَفَتْ

(٣) في (ب):روي. وفوقها تعليقة:ورد.

(٤) ينظر حول هذا:الكشاف ٤/٥٩٣، والمصابيح ١/٤١٣. والبحر المحيط ٨/٣١٦. والطبرسي ١٠/٩٥. والطبري مج١٢ ج٢٩ ص٥٢. والدر المصون ١٠/٤١٦. والدر المنثور ٦/٣٩٧. وتفسير الماوردي ٦/٧٠. وكل تفاسير القرآن تفسر بما فسَّره المؤلف. وكلها تؤكد أن الساق غير الجارحة. ومن فسره بالجارحه فقد خالف العقل واللغة، وحمل القرآن على روايات هزيلة مكذوبة.

قالوا:فالنور جِسْمٌ فَلَمَّا صَرَّح تعالى بأنه نُورٌ صَرَّحَ بأنه جسم[1].

وَالجوابُ:أنا نمنعهم من التعلُّق بظاهر الآية بوجوه ثم نبين معناها[2] فأما الوجوه المانعةُ من التعلق بظاهرها:**فمنها** أنه لم يقل:نورٌ على الإطلاق بل قيد، فلو كان نورا على الحقيقة لم يكن لذلك فائدةٌ؛ لأن ما كان نورًا على الحقِيقَةِ فهو نورٌ لأيِّ شيء كان، فلا وَجْهَ لإضافته إلى السموات والأرض وهذا هو الوجه الأول.

وثانيها:أنه لو أراد أنه نُورُهُما على معنى الضياء، لوجب أن لا يكون في شيء من السموات والأرض ظلمةٌ بحال لأنه دائمٌ لا يزول، و لم يقل:إنه نورُهُما في وقتٍ دون وقت. وإن جَوَّزوا عليه التَّغْيِيرَ لزمهم أن يكون نورًا لهما في حال دون حال.

وثالثها:أنه لو كان المراد به الضياءُ، لوجب أن يقع به الإسْتِضَاءُ دون الشمس، والمشاهدةُ قاضيةٌ بخلافه.

ورابعها:أنه يُؤَدِّي إلى مُنَاقَضَةِ القرءآن قـــال الله تعـــالى:﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنّورَ﴾ [الأنعام:١]، فكيف يكون نُورا مع كَوْن النور مخلوقا، ولفْظَةُ النُّـــور عآمَّـــة لوجهين:**أحدهما** عند بعض العلماء، وهو أنها لفظةُ جنْسٍ مُعَرَّفَةٌ بـــالألفِ والـــلاَّمِ، وذلك عندهم يقتضي العموم. **والثاني**:وهو أنها عامةٌ بعلَّةِ الْخَلْقِيَّةِ وَالْجَعْلِيَّـــةِ، ولا

---

(١) هو ذ ذقول الغزالي في كتابه مشكاة الأنوار كما نقله عنه الفخر الرازي في تفسيره وقال إنه قال:إن الله نورٌ في الحقيقة، بل ليس النور إلا هو. ينظر تفسير الرازي مج١٢ ج٢٣ ص٢٢٥، وهو قـــول المجسمة ومنهم الجواليقي نقله الشوكاني في تفسيره، فتح القدير ٤ .٣٢/أما إمام الحرمين الجـــويني فقال:لا يستجيز منهم مُنْتَمٍ إلى الإسلام القول بأن نور السموات والأرض هو الإله. والمقصود من آلآية ضرب الآمثال. والمعنى:الله هادي أهل الـــسموات والأرض. ينظـــر الإشـــاد ص١٤٨. وفي أقاويل الثقات ص١٩٥:الصحيح عندنا أنه نور لا كالأنوار. وتفسير ابن كثير ٣/٢٩٠.

(٢) في (ب) ، (ج): معانيها.

يجوز مناقضة القرآن لقوله تعالى:﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾ [ق:٢٩]، وقوله:﴿لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت:٤٢]، وقوله:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [النساء:٨٢].

وخامسها: أنَّ قولهم:النورُ جِسْمٌ، غلط؛ لأن النورَ هو الضياءُ وهو عَرَضٌ وَإِنَّمَا الجسمُ الذي يقومُ به النُّورُ دون ذات النور، هذا عند بعض العلماء وعند بعضهم أنَّ النورَ جِسْمٌ؛ لأن **النورَ** عندهم هُوَ الأجْسَامُ الصقيلة الرَقِيْقَةُ النَيِّرة كأشعةِ الشمس والقمر وغير ذلك. **والظلمة** عندهم هي الأجسام الرقيقة الْمُنْبَثَّة المختصَّة بالسواد كالهواء الذي لا شعاع فيه، وعلى الوجهين جميعا فقولُهم باطل؛ لأنَّا قد دَلَلْنا فيما تقدم على حدوث الأجسام والأعراض، وعلى قِدَمِه تعالى. فبطل ما ذكروه.

وسادسها: أن ذلك تحقيقُ قول الثنوية في زعمهم بالأصلين:النورِ والظلمةِ وغير ذلك من الوجوه التي ذكرناها في كتاب الإرشاد.

وأما معنى الآية فقراءةُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:﴿اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] أي هادي أهلَ السموات والأرضِ[1]، وهي[2] قراءة ابن مسعود، وقيل:﴿نُورُ ﴾ بمعنى مُنَوِّر السموات[3]؛ لأنه خَلَقَ النور[4]. قوله

(١) ينظر تفسير الرازي مج١٢ ج٢٣ ص٢٣١ حيث فسر بهذا . وكتاب الإرشاد للجويني ص١٤٨. والماوردي ٤/١٠٢. والدر المنثور: ٢ / ٨٧

(٢) كل النسخ:وهو، ما عدا (ب) فقد أصلحها ((وهي))، ولذلك أثبتناه لأنه الأولى.

(٣) رواها صاحب الدر المصون ٨/٤٠٣. وذكر أن قراءة زيد بن علي، وأبي جعفر المنصور، وعبدالعزيز المكي شيخ الحرم المكي. وينظر غريب القرآن للإمام زيد ٢٢٤.

(٤) في بقية النسخ:خالق النور .

تعالى:﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ قيل:هدايتُه للمؤمن[(١)]. وقيل الهاء في نوره راجعةٌ إلى غير مذكور[(٢)] وهو المؤمن، يعني مَثَلُ نُور المؤمن الذي في قَلْبِهِ. وَقَرَأَ أُبَيٌّ:﴿مثل نور من آمن به﴾[(٣)].

واعلم أن أصل النور ما أبان لك الشيء، ولذلك سُمِّيَ الضياء نورا؛ لأنه يتبين به الأشياء فَتُدْرَكُ، وقد جعل اللهُ كلَّ ما يقعُ به الاهتداءُ من القرآن، والنبي، والإسلام نُورًا؛ لأن ذلك يُبَيِّنُ الحقَّ من الباطل، فقال في القرآن:﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالنّورِ الّذِيَ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]. وقال في النبي صلى الله عليه وآله وسلم:﴿وَسِرَاجاً مّنِيراً﴾ [الأحزاب:٤٦].

وَوَصَفَ الهدايةَ في الإسلام بأنها نورٌ؛ فقال:﴿وَيُخْرِجُهُمْ مّنِ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ﴾ [المائدة:١٦] وَوَصَفَ اللهُ تعالى نفسَه بأنه نُورُ السمواتِ والأرضِ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ فيهما يهتدي به وبكلامه وهدايَتِهِ ودلالته، فهو نورُ القَلْبِ لا نورُ العين، وهو هادي أهلِ السموات وأهل الأرض.

المسألة الثامنة

ونعتقد أنه تعالى غني. وفيها فصلان:

أَحَدُهما:في معنى الغني. **والثاني**:في الدلالة على أنه تعالى غني.

---

(١) في (ج):للمؤمنين .

(٢) في (ب):المذكور .

(٣) الجامع للقرطبي ١٢/ ١٧٢ .

أما الأول:فالغنيُّ هو:الحيُّ الذي ليس بمحتاجٍ، فلا غَنِيَّ على الحقيقـــة إلا اللهُ تعالى؛ لأن الواحد منا وإن لم يكنْ مُحْتَاجًا إلى غيره من الْخَلْقِ فهو محتـــاج إلى الله تعالى، وإلى ما في يَدِهِ وقبضتِه من الأموال وغَيْرِها، فإذَنْ الحاجةُ لا تكون زائلةَ عَنْ أحَدٍ من الأحياء على الإطلاقِ إلاَّ عَنِ الله تعالى.

وأما الفصل الثاني :وهو في الدلالة على أنه تعالى غني:

أمَّا أنَّه حيٌّ وهو جِنْسُ الحدِّ فقد تقدم بيانُه، وأمَّا أنه ليس بمحتاج وهو فَصْلُ الحدِّ. فالذي يدل على ذلك أنَّ الحاجة هي الدواعي الداعيةُ إلى جلبِ نفعٍ أو دفـــعِ ضَرَرٍ، والمنفعةُ والمضرةُ لا تَجوزانِ إلاَّ على مَنْ جَازتْ عليه اللَّذةُ والسرورُ والغـــمُّ والأَلَمُ؛ لأن المنفعة هي اللذةُ والسرورُ وما أدى إليهما أو إلى أحدهما، والمضرَّة هي الغَمُّ والأَلَمُ وما أدى إليهمَا أو إلى أحدهما، واللَّذة والسرور والغم والألم لا تَجـــوزُ إلا على مَن كان مُشْتَهِيا أو نافرًا؛ لأنَّ **اللَّذة** تُستعملُ في معنيين:-

أحدهما:إدراكُ الشيء مع اقتران الشهوة به؛ كإدراكِ أحدِنا لِلْقَمَـــةِ العـــسل. **والثاني:**المعنى الحادث المدرَك بمحل الحياة في محل الحياة مع اقتران الشهوة به، نحو ما يحصل مع الْجَرِب عند حكِّه للجرَب الذي فيه.

وَالأَلَمُ يُسْتَعْمَلُ في معنيين- **أحدهما:**إدراك الشيء مع اقتران النَّفْرة به؛ كإدراك أحدنا لِلْقَمَةِ الحنظل والصَّبِر. **والثاني:**المعنى الحادث المدرَك بمحل الحياة في محل الحياة مع اقتران النَّفرة به، نحو ما يحصل مع الْجَرَبِ عقيب حكِّ[1] الْجَرَبِ الذي فيه من

---

(١) في بقية النسخ: حَكه للجَرَبِ .

الألم. فإذا كانت اللذةُ والسرورُ والغم والألم لا تجوز إلا على مَنْ كان مشتهيا أو نافرا فيلتذَّ بإدراك ما يشتهيه ويستَرَّ به، ويتألَّمَ بإدراك ما ينفر عنه ويغتم به. فإن الشهوة والنِّفار لا يجوزان إلا على مَنْ جَازَت عليه الزيادةُ والنُّقْصَان. والزيادة والنقصان مستحيلان على الله تعالى في كل حال من الأحوال، وإذا استحالت عليه الشهوةُ والنِّفَارُ في كل حال اسْتَحَالَتْ عليه الحاجةُ في كل حال، وإذا اسْتَحَالَتْ عليه الحاجةُ في كل حال ثبت أنَّه غَنِيٌّ في جميع الأحوال عن كل حَسَنٍ وَقَبِيحٍ من الأفعال.

وممَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ

قول الله تعالى: ﴿وَاللّهُ الْغَنِيّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ﴾ [محمد٣٨]، وقوله: ﴿وَاللّهُ غَنِيّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن:٦]، إلى غير ذلك .

المسألةُ التاسعةُ:

ونعتقدُ أن الله تعالى لا يُرى بالأَبْصَار في الدنيا ولا في الآخِرَة

والكلامُ فيها يقعُ في ثَلاثَةِ مواضع: **أحدُها**: في حكاية المذهب وذكر الخلاف. **والثاني**: في الدَّلاَلَةِ على صِحَّةِ ما ذهبنا إليه، وفساد ما ذهب إليه المخالف. **وثالُثها**: في إيراد ما يَتَعَلَّقُ به الْمُخَالِفُون من الآيات والأخبار المتشابهة، وبيانِ ما يصحُّ من معانيها[١].

---

(١) لم أكن متحمِّسًا للتعليق على مسألة الرؤية؛ لأنها متعلقة برؤية الله أو عدم رؤيته يومَ القيامة، ومع ذلك فالخصام حولها شديد. المانعون من الرؤية يتَّهمون المجيزين لها بأنهم مشبهة ومجسِّمة؛ لأن المرئي لا بد أن يكون جسْمًا أو عَرَضا؛ وهذا كُفْرٌ؛ لأن الله ليس كمثله شيءٌ؛ والرؤية تؤدي إلى مناقضة القرآن؛ لأن

النص القرآني الواضح المحكم ينفي الرؤية ، قال سبحانه:﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، [الأنعام:١٠٣].

والمجيزون للرؤية استدلوا بقوله تعالى:﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ونحوها، وما رواه البخاري فقد أورد حديثين رقم ((٧٠٠٠)) ، ((٧٠٠١)) ذكر فيها أن الله يأتي إلى أمة محمد يوم القيامة وفيها المؤمن والمنافق فينكرون أنه الله ؛ فيأتي مرة ثانية في صورة قد عرفوها . وفي الحديث الثاني كذلك إلا أنه يقول:هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون:الساق ؛ فيكشف عن ساقه. وهذا لا إشكال فيه عند من يثبت الجسم لله والأعضاء، ويقول بالخروج من النار، ولا مفر منه عند من يَجْمُدُ فوق النصوص.

أما المانع من رؤية اله فلهم نظر في تفسير الآيات والآحاديث الواردة حول الرؤية، وقد وجهوا هذه الأسئلة والإشكالات على ما رواه البخاري وغيره:

أوَّلاً:أن في رواية أبي هريرة أن المنافقين من جملة من يرى الله ، في حين أن الرؤية عند مَن يقول بها إنما هي تكريم للمؤمنين فكيف ثَبَتَتْ هنا للمنافقين؟!.

ثانيًا:الرؤية في الحديثين في المحشر، وهم يفسرون الآية:﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ ؛ [يونس٢٦]؛ بأنها رؤية في ا لجنة.

ثالثًا:إن الأمة قد أنكرت الله أوَّلاً و لم تعرفه ، ثم عَرَفَتْهُ ثانيًا فمتى رأتْه وأثبتتْ صورته حتى تُقر وتُنكر؟ هل تمت رؤيتُه في الدنيا؟ أو كيف جاز أن يُنكروه ثم يَعْرِفُوه؟ إن هذا عجب!!. **رابعًا**:كيف يجوز على الله أن يأتي بوجه ثم بعد ذلك يعود بوجه آخر هل هذا يُشْبه التمثيل؟ ، وهل لا مانع من القول بأن الله متغير

.

خامسًا:ما هي العلامة التي في الساق؟ -كما في رواية أبي سعيد ((٧٠٠١)) من البخاري- هل هي لافته أو عنوان؟! أو كما يقال: إن في الساق جُرْحًا من آثر السهم الذي أطلقه النمروذ أو فرعون ليقتل الله؟.

سادسًا:المسائل الاعتقادية لا يُعمل فيها بأخبار الآحاد. ولا سيما إذا تعارضت مع القرآن الكريم.

وأريد أن أنبه إلى أن الكلام طويل ، والبحث واسع وأنصح بالآتي:

أوَّلاً:إذا كان بين المانعين للرؤية أئمة آل البيت ولا سيما الإمام علي وأولاده حتى آخر القرن الثالث الهجري على الأقل فإنا نجدهم مجمعين قطعًا على أن الله لا يُرى قطعًا، وهؤلاء هم الذين نص الأثر النبوي الشريف على اتباعهم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب وعترتي أهل بيتي)) [مسلم برقم٢٤٠٨]. فها هم أهل البيت يقولون بعدم الرؤية؛ فلماذا لا نلتفت إلى رأيهم؟.

ثانيًا:إذا جاز إطلاق العُذْر لمن أدى به اجتهاده إلى جواز الرؤية فهل يجوز تكفيره؟ أنا شخصيًّا أرى أن نفرق بين المعاند، والمقلد البليد، وبين الباحث الجاد؛ فأرى التوقفَ إزاء الفريق الثاني، ولا أرى تكفير ولا تفسيق من بحث وطلب وتعب وليس في قلبه أدنى معاندة، ولا زال مستعدًّا لقبول الحق، فعسى الله أن يَعْذِرَه. أما من يعاند ويذهب إلى رمي المانعين من الرؤية بالكفر أو الزندقة فهو مجازف ليس له ورع. وليس القائل بالرؤية أولى بالحق من المانع منها.

أما الموضع الأول: وهو في حكاية المذهب وَذِكْرِ الخلاف

فذهبَ المسلمون كافَّة إلى أنه تعالى لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة[1].

والخلافُ في ذلك مع المشبِّهة، والأشعرية[2]، وضرار بن عمرو الكندي[3]، والحسن بن أبي بشر الأشعري[4]، وَسَنُفَصِّلُ قولَ كلِّ مخالفٍ منهم عند الكلام عَلَيْهِمْ إن شاء

ثالثًا: عندما نبحث المسائل ينبغي أن نستحضر عظمة الله وجلاله، وأن لا نتعامل مع الله وكأننا في قسم التشريح ؛ لأن الله أجل وأعظم من أن تُحيطَ به الأوهام، أو تتخيله الظنون سبحانه سبحانه.

رابعًا: لماذا يتعمد البعض تدريس هذه المسألة وأمثالها في المساجد التي لا تقول بالرؤية طلبا للفتنة ، وبحثا عن الشبهات ، وإثارة المشاكل وإلهاء المسلمين عن مصيرهم المهدد في قضايا قد أكل الدهر عليها وشرب . وإذا كانت قابلة للبحث والمناظرة أيام قوة المسلمين ؛ فإن الحال قد تغير ويجب تقديم الأهم مثل جهاد اليهود، وتحرير المسجد الأقصى، وبناء بلاد المسلمين، وتحسين معيشتهم، ونحو ذلك. وعلى المسلمين أن ينافسوا غيرهم في البر والبحر والجو، وكم أَتَمَنَّى أن أصفع من لا عقل له حين تسلم عليه وما يكاد يرد عليك السلام حتى يقول: هل الله يُرى؟ هل القرآن مخلوق؟ هل الله فوق العرش؟ هل قراءة يس حرام؟ هكذا تحس أنك أمام شريط كاست أو مخلوق محنَّط يسرد لك الأسئلة الباردة المكررة التي لا فائدة منها سوى تفريق وتمزيق المسلمين، وإيغار الصدور.

(١) ينظر المغني ٤٢٩ .

(٢) ينظر المواقف في علم الكلام ٢٩٩ .

(٣) ضرار بن عمرو الغطفاني: وهو قاض من كبار المعتزلة طمع برئاستهم في بلده فلم يدركها فخالفهم فكفروه وطردوه. وصنف نحو ثلاثين كتابا، وفيها مقالات خبيثة شهد عليه أحمد بن حنبل عن القاضي سعيد الجمحي فأفتى بضرب عنقه فهرب، وقيل: أخفاه يحيى بن خالد البرمكي. ت١٩٠هـ. ينظر الأعلام ٢١٥/٣. أما الحاكم الجشمي فقال: من عَدَّه من المعتزلة فقد أخطأ؛ لأنا نتبرأ منه فهو من المجبرة، وكذلك ما ذكره الإمام أحمد بن محمد الشرفي في الأساس الكبير ٤٣٥/١.

(٤) **كنيته:** أبو الحسن، واسمه: علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. **وإليه** تنسب الطائفة الأشعرية في العقائد. كان من المعتزلة قرأ على أبي علي الجبائي فانقلب إلى أشد خصومهم وأظهر القول بالجبر. ولد ٢٧٠هـ أو ٢٦٠هـ وتوفي ٣٣٠ ونيف، وقيل ٣٢٤هـ. ينظر ٢٢٦/١ من وفيات الأعيان لابن خلكان. والأساس ١٦٠/١ وذكر أن الأشعري بعد انقلابه على المعتزلة لم ينقل أنه اتصل بأحد من الأئمة ولا بفرقة من فرق المسلمين فمذهبه في الكلام منقطع الإسناد؛ لأن دراسته على مشائخ المعتزلة قد تنكر لها ولم يثبت

الله تعالى

وأما الموضع الثاني:

وهو في الدليل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب المخالفون إليه

فالذي يَدُلُّ على ذلك وجهان:**أحدهما** أن نُفَصِّلَ قولَ كلِّ فرقةٍ من المخالفين ونتكلم على بطلان قولها على التعيين. **والثاني**:أن نستدل على أنه تعالى لا يُرى في حال من الأحوال، وبذلك يتم غرضُنا في هذا الموضع.

أما الوجه الأول فنقول وبالله التوفيق:**أما المشبِّهة** فالخلاف بيننا وبينهم في كونه مُشْبِهًا للأشياء، وأنه تعالى صورةٌ فوقَ العرش، وله أعضاءٌ وجوارحُ. **والخلافُ** لا يتحقق بيننا وبينهم في الرؤية، فإنهم لا يخالفوننا في أنه تعالى لو لم يكن جِسمًا لَمَا صحت رُؤْيَتُهُ، ونحن لا نخالفهم في أنه لو كان جسمًا لَصَحَّت رؤيتُه. **فالخلاف** بيننا وبينهم يعود إلى إثبات التشبيه ونفيه، وقد دللنا على أنه تعالى لا يُشْبِهُ الأشياء، فَبَطَلَ قولُهم بالرؤية؛ إذ القول بالرؤية فَرْعٌ على كونه جِسْمًا ومُشْبِهًا لِمَا يُرى؛ فإذا بطل الأصل وهو التشبيه بطل الفرع وهو الرؤية.

وأما قول الأشعرية(١) فقالوا:بأنه تعالى يُرى لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام ولا كُلَّه ولا بعضه ولا يصح أن يُشيرَ إليه مَنْ يراه،

أنه درس على شيخ معروف بل أحيا مَذْهَبَ جَهْمٍ بعد أن اندرس بقتله. وبعض المؤرخين يشكك في نسبته إلى أبي موسى الأشعري. ينظر مقدمة الإبانة ص٩ بتحقيق نوفية حسين محمود، اختلفوا في عدد مؤلفاته فمنها الإبانة، ورسالة إلى أهل الثغر، ورسالة في استحباب الخوض في الكلام، ومقالات الإسلاميين، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ينظر مقدمة الإبانة ص٣٨.

(١) ينظر المواقف ٣١٠ .

قالوا:وليس بِمُتَلَوِّنٍ ولا بِمُضِيْءٍ ونراه، وليس هو في ضياء ولا بيننا وبينه ظُلمـــةٌ. **وقولهم** خروجٌ عن المعقول. وفيه فَتْحٌ لأبواب الجهالات؛ لأن المعقول من الرؤيـــة كونُ المرئيِّ في مقابَلَةِ الرائي على هيئةِ وَصُورَةٍ أو هو حَآلٌّ في هيئةٍ وصـــورةٍ، والله تعالى يتقدس عن الهيئةِ والصُّورَةِ وأن يكون حالاًّ في هيئةٍ وصورةٍ بالإجماع بينـنـا وبينهم، فقولهم بالرؤية تَجَاهُلٌ عظيمٌ لا يَقْبَلُهُ ذو عقلٍ سليمٍ، ولا يَتَــصَوَّرُ ثبوتَــه عليمٌ.

وأما قول الحسن بن أبي بشر الأشعري فإنه ذهب إلى أنه تعالى يُرى. وأضاف إلى القول بالرؤية القول بأنه تعالى يُدْرَك بِجَمِيعِ الحواس فَأجاز أن يُــسْمَعَ وَيُــشَمَّ ويُذَاقَ، وربَّما لم يَتَجَاسَرْ على التَّلَفُّظِ بذلك، وإن كان المعنى عنده ثابتـا. وهــذا القول خارج عن قول الأُمَّة، و لم يتجاسر عليه أحد سواه لِشَنَاعَتِهِ وَفَسَادِهِ.

ورُوي عن كافي الكفاةِ الصاحب الكافي[1] نفعه الله بصالِح عمله أنه قال:ذهب

---

(١) هو إسماعيل بن عبَّاد بن العباس بن عباد الطالقاني الملقب بالصاحب. ولد في ذي القعدة سنة٣٢٦هـ، ت:٣٨٥هـ. وشهرته تغني عن تفصيل أمره، وكان واحد عصره، ونسيج وحده، لو وَجَدَ سـبيلاً إلى انتزاع الضلال عن دين الإسلام بفوات روحه لهان عنده، اختلف في مذهبه فقيل:إمامي، وقيـل:معتـزلي حنفي، وقيل:زيدي وهو الأصح. وقد ذكر أنه من الزيدية الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام عند ذكـر آل بويه وذكر الصاحب، ثم قال:وهؤلاء مذهبهم في الأصول مذهب الزيدية، وإن خالفوا أصلهم بالفعل في خدمة بني العباس للميل إلى الدنيا. وأقول:وخير دليل على زيديته قوله بالخروج على الظلمة -كما هو واضح في مرثاته للإمام زيدالتي منها:

لمـا رأى أن حـق الـدين مطـرح		وقـد تقـسمه نهـب وتمحيـقُ
قـام الإمـام بحـق الله تُنْهِـضُه		محبـةُ الـدين إن الـدين مومُـوقُ
يـدعو إلى مـا دعـا آبـآؤه زمنًـا		إليـه وهـو بعـين الله مرمـوقُ
ابن النبي نَعَـمْ وابـن الوصـي نعـم		وابن الشهيد نعم والقـول تحقيـقُ

أبو موسى الأشعريُّ بِثُلُثِ الإسلام يومَ التَّحْكِيم؛ لأنَّه خلعَ الإمام أميرَ الْمــؤمنينَ عليَّ بن أبي طالب سلامُ الله عليه بِمَكيدة عمرو بن العاص...، وذهب ولده الحسن بن أبي بشر الأشعري... بثُلُثي الإسلام[1]؛ لقوله بأن الله تعالى يدرك بــالحواس[2]؛ لأن الحسن بن أبي بشر من ذرية أبي موسى الأشعري.

والذي يدلُّ على إبطال قوله إجماعُ المسلمين على بُطلانه من الصحابة والتابعين وعلماء أهل البيت أجمعين عليهم سلام رب العالمين.

ويدل على ذلك أيضا أنه تعالى لو كان مَحْسُوسًا بِالْحَوَاسِّ وَمُدْرَكًا بجميعها لما اختلف العقلاء في رؤيته مع ثبوت حواسِّهم وَصِحَّتِها، ولوجب أن يكون العلــمُ بذلك ضروريا؛ لأن العلمَ الحسي ضَرُوري، لا يَنْتَفِي عن النَّفْسِ بشك ولا شــبهة، وفي عِلْمِنا باختلافهم في رؤيته:فإن منهم من أثبتها، ومنهم من نَفَاهَا؛ بل في اثبات ذاته تعالى:فإنَّ مِنَ النَّاسِ من يُثْبِتُهُ، ومنهم من يَنْفِيَه، ومنهم مَنْ يوحده، ومنهم من يُثَنِّيَه دلالةٌ[3] على أنه تعالى غيرُ مَحْسُوسٍ بالحواسِّ ولا يُدْرَك بها أصلا.

لم يــــشفهم قتلـــه حـــتى تعـــاوره		قتل وصـــلب وإحـــراق وتغريـــقُ

مؤلفاته:الوقف والابتداء. ومختصر أسماء الله تعالى وصفاته. ونهج السبيل في الأصول. والإمامة . وجـــوهرة الجمهرة في اللغة. وله ديوان شعر، وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي١/٣١٦. والزيدية للــدكتور أحمــد محمود صبحي ص٢٠٥. وأعيان الشيعة٣/٣٢٩. ومعجم المؤلفين١/٣٦٧. والحدائق الورديــة١/١٥١. والشافي ١/١٤٠.

(١) ينظر الملل والنحل للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ص١١٧ .

(٢) هو القول بالرؤية وإثبات الأعضاء، وقول قائلهم:بلا كيف لا تنفع .

(٣) مبتدأ مؤخر خبره قوله:وفي علمنا .

وأما الضرارية[1] فإنهم يقولون:إن الواحدَ منا يُدْرِك الله بحاسَّة سادسةٍ يَخْلُقها له يوم القيامة. والذي يُبْطِلُ ذلك أن تلك الحاسة:لا تخلو أن تكــون صــحيحةً أو سقيمةً، فإن كانت سقيمة صح أن نراه بحواسنا الــسَّقِيمة، وإن كانــت حاسَّــةً صحيحةً فلا تخلو أن تكون مما يصلح للرؤية أو لا؛ فإن كانت مما لا يصلح للرؤيــة جاز أن نراه بحواسنا التي لا تصلح للرؤية، وإن كانت مما يصلح للرؤية فلا تخلو أن تكون مماثلة لحواسنا أو مخالفة، وإن كانت مماثلة لحواسنا جاز أن نــراه بهــا، وإن كانت مخالفة لحواسنا جاز أن نراه بحواسنا أيضا؛ لأن مخالفتها لحواسنا ليست بأزيد من اختلاف حواسنا في ذات بينها ، وَمُخَالَفَتُهُ تعالى للمرئيات ليست بأزيد مــن اختلاف المرئيات في أَنْفُسِهَا، فإنَّ في حواسنا الأحــول، والأدعــج، والأشــهل، والأزرق، وغيرَ ذلك. وفي المرئيات المتماثل والمختلف والمتضاد، فكان يجوزُ أن نراه بحواسنا، وفي عِلْمِنَا بخلاف ذلك دلالةٌ على إبطالِ قول ضرار. فهذا هو الذي يدل على إبطال قولهم على التعيين، وهو الوجه الأول.

وأما الوجه الثاني:وهو في الدلالة على صحة ما ذَهبنا إليه وفساد قولهم علــى العموم فيدل على ذلك العقل والسمع ونحن نقتصر على السمع إذ صــحته غــير موقوفة على العلم بهذه المسألة[2].

---

(١) الضرارية هم أصحاب ضرار بن عمرو . ومن أصحابه حفص القرد وإليهما تنسب كــل مــا يخــص الضرارية. وهي من فرق المجبرة، يقولون:إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن الاستطاعة قبل الفعل وهــي بعض المستطيع إلى غير ذلك.

(٢) خلاصة دليل العقل أنَّ المرئيات لا بد أن تكون أجسامًا أو أعراضًا، ولا يتصور العقل رؤية غير ذلــك، وجمهور الأمة لا يتجرؤن على القول بتجسيم الله، ولذلك تستَّر القائلون بالرؤية بقولهم:يُرى بلا كيــف،

والذي يدل على أنه تعالى لا يرى وجهان:أحدهما قول الله تعالى لموسى:﴿لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] لَمَّا قال له موسى:﴿رَبِّ أَرِنِيَ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[1] [الأعراف:١٤٣]. ووجه الاستدلال بالآية أنَّ لفظة **لَنْ** موضوعةٌ في لغة العرب لاستغراق النفي كقوله تعالى:﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً ﴾ [الحج:٧٣] فهي عامة في نفي رؤية موسى له تعالى من دون تخصيص لِوقت دون وقت. وذلك يدل على أن موسى لا يراه أبدا في الدنيا ولا في الآخرة؛ ولأن لفظة **لَنْ** موضوعةٌ في اللغة لتأبيد النفي حقيقة، وإذا استُعْمِلَتْ في غير ذلك فعلى وجه المجاز، فكأنه قال لموسى:لن تراني أبدا، وإذا لم يره موسى، فَمَنْ دونه أَحْرَى بأن لا يراه. يزيد ذلك وضوحا أنه علَّق الرؤيةَ في المستقبل بشرط استقرار الجبل عند تحريكه، وهذا الشرط لم يحصل فلا تحصل الرُّؤيةُ في المستقبلِ، ولأنه علَّقَ الرؤيةَ بشرطٍ مستحيل وهو استقرارُ الجبل في حال تَحْرِيْكِهِ وتَدَكْدُكِهِ وهو لم يستقر[2] في تلك الحال كما قال تعالى:﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾ [الأعراف:١٤٣] وإذا عَلَّقَ تعالى رُؤْيَتَهُ بشرطٍ مستحيل وجب أن تستحيل رُؤْيَتَهُ أيضًا، وهذه طريقة العرب فيما يريدون به التبعيد وتأكيد التأبيد كما قال شاعرهم:

وَأقسَمَ الْمَجْدُ حقًّا لا يحالفُهم ... حتى يحالفَ بطْنَ الراحة الشَّعَرُ[3]

وهو كلام غير مفهوم. أما المجسمة فليست لهم عقول يستحقون معها أن يناقَشُوا فهم والبهائم سواء بل هم أضل. والله أعلم وهو حسبنا.

(١) ينظر في تفسير هذه الآية المغني ٩/١٦١.

(٢) في (ب):لا يستقر .

(٣) وأيضا قول الشاعر:

وإذا ثبت ذلك قلنا:إن موسى لم يسأل الرؤية لنفسه، بل هو عالِمٌ بأنه تعالى لا يُرى، وإنما سأل الرؤية عن قومه وجعل السؤال لنفسه لِيُعْلِم قومَه أنه إذا مُنِعَ الرؤيةَ فَهْمُ أَوْلَى بالمنع، يُصَدِّقُهُ قولُ الله تعالى:﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:١٥٣] وهذه الآية شاهدةٌ بتتريه الله تعالى عن الرؤية؛ لأن إنزالَ الصاعقة بهم يدلُّ على عَظِيْم[(١)] جرمهم في سؤالهم الرؤية، ولو كانت الرؤيةُ جائزةً عليه تعالى لَمَا صُعِقُوا، كما لو سألوا رِزْقًا وَوَلَدًا فإنه لا يُنَزِّلُ بهم العــذابَ لأجل ذلك. فإن قيل:لِمَ تَابَ موسى؟ قلنا:حيث سأل اللهَ تعالى بغير إذن في ذلك، وكان بِمَحْضَرِ القوم فَغُشِيَ على موسى مِحْنَةً له، وأنزل اللهُ الصاعقةَ بقومِهِ عقوبةً. وقد قال موسى لما سمع الدَّكْدَكَةَ، ورأى ما نزل:﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف:١٥٥] فأضاف ذلك إلى السفهاء. فإن قيل:إن المراد بذلك عبــادةُ العجــل، قلنا:غير مُسَلَّمٍ، فإن عبادةَ العجل كانت بعد ذلك، بدلالة قوله تعالى:﴿ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [النساء:١٥٣]، إلى غير ذلك. فإن قيل:لو كــان هذا السؤال لأمر مستحيل لَرَدَّهُ عليهم موسى، كما أنهم لَمَّا قالوا:﴿اجْعَلْ لَّنَآ إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، فَرَدَّهُ عليهم و لم يَسْأَلْ رَبَّهُ.

فالجواب:عن ذلك من وجهين:**أحدهما** أنه لا يمتنع أن يكون جوابُه في هـــذه

ولـــو طـــار ذو حـــافر قبلـــها   لطـــارت ولكنـــه لم يطـــر

(١) في (ب) (ج):عِظَم .

المسألةِ لا يُقنعهم، بخلاف تلك المسألة؛ فأراد أن يكون الجوابُ من الله تعالى؛ لكونه أبلغَ في الزَّجْرِ والرَّدْعِ والنكير. **الوجه الثاني** أن هذه المسألةَ طريقُها العقلُ والسمعُ فأراد عليه السلام أن تَرِدَ[1] في ذلك دلالة سمعيه على أنه تعالى لا يُرَى، وهو قوله: ﴿لَن تَرَانِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] وفي تلك المسألة[2] طَرِيقُهَا العقلُ فحسب؛ فردها عليهم لأنَّ ما يكون مجعولاً مفعولا لا يكون إلَهًا معبودا، فثبت أنه تعالى لا يُرَى في حال من الأحوال.

الوجه الثاني: قول الله سبحانه: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]. ووجهُ الاستدلال بالآية أن الله تعالى تَمَدَّحَ بنفي إدراك الأبصَارِ عن نفسه تَمدُّحا راجعًا إلى ذاته. وإدراكُ الأبصار هو رؤيتها[3]. وكل ما تَمَدَّحَ الله تعالى بنفيه فإثباتُه نقصٌ، والنقص لا يجوز عليه في حال من الأحوال. فثبت أنه تعالى لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة. وإنما قلنا: بأن الله تعالى تَمدَّح بنفي إدراك الأبصار عن نفسه؛ لأنَّ ذلك مما لا خلاف فيه بين المسلمين؛ ولأنه متوسِّطٌ بين أوصاف المدح؛ فإن الله تعالى قال: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ❖ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ❖ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠١-١٠٣]،

---

(١) في (ب) و (ج): يرد.
(٢) قولهم: إجعل لنا إلها.
(٣) في (ب): رؤيتهما.

فأول الآية مدح وآخرها مدح فيجب أن يكون قولــه:﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ﴾ مدحا أيضا؛ لأنه لا يجوز أن يتوسط بين أوصاف المدح ما ليس بمدح، بل يكون ذلك مستهجَنًا عند الفصحآء، معيبا عند البلغآء. وكلامُ الله تعالى يجب أن يَنْزِلَ من الفصاحة أعلاها.

فثبت أنه تمدَّح بنفي إدراك الأبصار عن نفسه. وإنما قلنا:بأن التمدُّحَ راجع إلى ذاته؛ لأنه تعالى بَيَّنَ بذلك أنَّ ذاتَه لا تُدْرَك؛ ولأنه لو كان راجعــا إلى غــيره[1] لم يُعْقَلْ إلا نفيُ فِعْلٍ من الأفعال، وذلك لا يتحقق إلا في الإدراك لو كــان معــنىً. والإدراك ليس بمعنىً، بدليل أنه لو كان معنىً لجاز أن يكون الواحدُ منَّا حيًّا لا آفــة به، والمدركاتُ موجودةٌ والموانعُ مرتفعةٌ، ولا يُدرِكُ الْمُدْرَكَاتِ بأن لا يحصل ذلك المعنى الذي هو الإدراك، وفي ذلك إلحاقُ الْبُصَرَآءِ صِحَاحِ الحواسِّ بالعُمْيَان، ومعلومٌ

---

(١) قال الأمير رحمه الله:ولأنه لو كان راجعًا إلى غيره لم يعقل إلا نفي فعل عنى رحمه الله:لو كان التمــدح راجعا إلى غير ذاته تعالى لم يعقل إلا نفي فعل، وقد أوضح هذا في شرح الأصــول الخمــسة ص٢٣٨، فقال:فإن قيل:فلم قلتم أن المدح يرجع إلى الذات. قلنا:لأن المدح على قسمين:أحدهما يرجع إلى الــذات، والآخر يرجع إلى الفعل. وما يرجع إلى الذات فعلى قسمين:أحدهما يرجع إلى الإثبات، نحو قولنــا:قــادر عالم حي سميع بصير. والثاني:يرجع إلى النفي، وذلك نحو قولنا:لا يحتاج ولا يتحرك ولا يسكن. وأما مــا يرجع إلى الفعل، فعلى ضربين أيضا:أحدهما يرجع إلى الإثبات، نحو قولنــا:رازق ومحــسن ومتفــضل، والثاني:يرجع إلى النفي، وذلك نحو قولنا:لا يظلم ولا يكذب. إذا ثبت هــذا؛ فالواجــب أن ننظــر في قوله:﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾ من أي القبيلين هو. لا يجوز أن يكون هذا من قبيل ما يرجع إلى الفعل؛ لأنه تعالى لم يفعل فعلا حتى لا يرى، وليس يجب في الشيء إذا لم يرى أن يحصل منه فعل حتى لا يــرى فإن كثيرا من الأشياء لا ترى وإن لم تفعل أمرًا من الأمور كالمعدودات وككثير من الأعراض، والــشيء إذا لم يرى فإنما لم يرى لما هو عليه في ذاته، لا لأنه يفعل أمرًا من الأمور، وإذا كان الأمر كذلك صح أن هذا التمدح راجع إلى ذاته

خلافُ ذلك، فلم يبق إلا أن يكون التَّمَدُّحُ راجعا إلى ذاته تعالى[1]. وإنما قلنا:بأن إدْرَاك الأبصار هو رؤيتُها، لأن الإدراك وإن كان مستعملا في أربعة معان:هي اللُّحوقُ، والبلوغُ، ونُضْجُ الفاكهةِ وإيناعُها، والإحساسُ بالحواس؛ فإنه متى قُرِنَ [الإدراك] بالبصر لم يُفْهَم منه إلا الرؤيةُ بدليل أنه لا يجوز أن يُثْبَتَ بأحد اللفظين وَيُنْفَى بالآخر، فلا يجوز أن تقول[2]:أدركتُ ببصري شخصا وما رأيتُه بعيني، ولا أن يقال:رأيتُه بعيني وما أدركتُه ببصري، بل يُعَدُّ مَنْ قال ذلك مناقضا في كلامه، جاريا في المعنى مَجْرَى مَنْ يقول رأيتُه وما رأيتُه وأدركتُه وما أدركتُه. **فثبت** أنَّ إدراك الأبصار هو رؤيتُها. وإنَّما قلنا:بأنَّ كُلَّما تَمَدَّح الله تعالى بنفيه فإثباتُه نقص؛ لأنه لا يخلو أن يكون كمالاً أَوْ لاَ، بل يكون نقصا، أو لا نقصا ولا كمالا، ولا يجوز أن يكون لا كمالا ولا نقصا؛ لأنه يكون عبثا لا فائدةَ فيه. ومثله لا يَرِدُ في خطاب الحكيم تعالى. ولا يجوز أن يكون كمالاً[3]؛ لأن الحكيم لا يتمدح بنفي الكمال عن نفسه، فلم يبق إلا أن يكون نقصا. وإنما قلنا:بأن النقص لا يجوز عليه تعالى في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن ذلك مما أجمع عليه المسلمون، وَدَانَ به المؤمنون. والحقُّ ما أجمعت عليه الأُمَّة. فثبت أنه تعالى لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، وبطل ما ذهب إليه المخالفون بحمد الله وَمَنِّه.

وأما الموضع الثالث:وهو في إيراد ما يتعلق به المخالفون من الآيات والأخبار

---

(١) فنفى الرؤية متوجة إلى ذاته وليس إلى أفعاله .
(٢) في (ب) و (ج) و (د): أن يقال.
(٣) نفي الإدراك.

المتشابهة في القول بالرؤية لله تعالى **فاحتجوا** على أنه[(١)] تعالى يُرَى بأشيآء: **منها**: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، قالوا: وهذا يدل على أنه تعالى يُرى في الآخرة[(٢)]. **ومنها** قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ❖ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين:١٥-١٦]، وهذا يدل على الرؤية؛ لأن المؤمن لو حُجِبَ عن رؤية ربه لاستوى حالُه وحالُ الكافر[(٣)].

ومنها قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قالوا: وتلك الزيادة هي النظر إليه، والرؤية له[(٤)].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠][(٥)].

ومنها ما رواه قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البَجَلي عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُم يومَ القيامةِ كَالقَمَرِ ليلةَ البَدْرِ لا تُضَامُونَ فِيْ رُؤْيَتِه))[(٦)].

---

(١) في (ب) و(ج): بأنه.

(٢) معالم أصول الدين ص٥٤.

(٣) تفسير الطبري مج١٥ ج٣٠ ص١٢٥ نقل أن هذا رأي، والرأي الأخر محجبون عن كرامته، وهو رأي قتادة. مفاتيح الغيب مج١٦/٣١/٩٦.

(٤) تفسير الطبري مج٧ ج١١ ص١٣٧. والإبانة ص٣٥. والقرطبي ٧٠/١٩. وتفسير ابن كثير ٤٥٠/٤. ومعالم أصول الدين ص٥٥.

(٥) معالم أصول الدين ص٥٤.

(٦) البخاري: ٢٠٣/١ رقم٥٢٩. ومسلم ٤٣٩/١ برقم ٦٣٣. **وتَضَامُّون**-بفتح التآء وضم الميم وتشديدها- معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول: أرنيه، بل كل ينفرد برؤيته. وروي **تُضامُون**- بضم التاء وضم الميم بدون تشديد- والمعنى: لا يُظْلَمُ بعضُكم بعدم رؤيته، بل كلكم يراه. وهذا التفسير على قول من يجيز الرؤية.

قالوا:وهذا نص صريح يقتضي إثبات رؤية الخلق له يوم القيامة.

والجوابُ عن ذلك من وجهين:**أحدهما:**أنه قد ورد في القرآن الكريم ما يُبطل قولهم في الرؤية وهو ما قدمنا ذِكْره قبل هذا الموضع، فإنه يدل على أنه تعالى لا يُرى، وليسوا بأن يتمسكوا بما ظنوا كونَه حجة لهم على صحة قولهم أولى مِنْ أن يتمسكوا بما يشهد ببطلانه؛ إذِ القرآنُ كله واجب الاتباع، وهكذا القول في السُّنة؛ لأنها قد وَرَدَتْ بما يشهد ببطلان التشبيه، كما وردت بما ذكروه وتوهموا كونَه دليلا على الرؤية، فليسوا بأن يتمسكوا ببعض ذلك أولى من البعض. ونحن نُورِدُ بعضًا مما يدل على أنه تعالى لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة من كلام الرسول ﷺ. ومن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن كلام الصحابة، ومن كلام أهل البيت (ع)؛ ليتضح بذلك صِحَّةَ ما ذكرناه. **فمن ذلك** ما رواه جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال:((إنَّ أحدًا لا يَرى ربَّه في الدنيا ولا في الآخرة))[1].

وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُب قال:سألنا رسولَ الله ﷺ هل نرى ربنا في الآخرة؟ قال:فانتفض ثم سقط فلصق بالأرض، وقال:((لا يراه أَحَدٌ، ولا ينبغي لأحَدٍ أن يَرَاهُ)). وعن ابن عباس أنه قال:قال النبي ﷺ في دعائه في الوتر:((اللَّهُمَّ إنَّكَ تَرَى ولَنْ تُرَى))، إلى غير ذلك من الأخبار.

وروي من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في بعض خطبه:الحمد لله الذي يعلم خَفِيَّاتِ الأمور، ودلتْ عليه أعلامُ الظُّهُور، وامتنع على عين البصير، فلا عَيْنَ مَنْ

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٢٧٠. والمغني ٤/٢٢٩.

أَثبتَه تُبْصِرهُ، ولا قَلْبَ مَنْ لَمْ يَرهُ يُنْكِرُه[١]. **ومن كلام** له وقد سُئِلَ: كَيْفَ عَرَفْتَ ربَّكَ؟ فقال: أَعْرِفُه بِمَا عَرَّفَ به نفسه من غير رؤية، لا يُدْرَكُ بالحواس، ولا يقاس بالناس. وعن ابن عباس أن عليا عليه السلام مرَّ برجل رافعٍ يديه إلى السمآء، شاخص ببصره، فقال عليه السلام: يا عبدَالله اكْفُفْ من يدك، واغضض مِنْ بصرك فإنك لن تراه ولن تناله. فقال: يا أميرالمؤمنين إن لم أره في الدنيا فسأراه في الآخرة، فقال: كذبتَ بل لا تراه في الدنيا[٢]، ولا في الآخرة، أَوَمَا سمعت قولَ الله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾، إن أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى كما ينظر إليه أهلُ الدنيا، ينتظرون ما يأتيهم من خيره وإحسانه.

ومن كلام ولده الحسن بن علي عليه السلام قال[٣] لنافع بن الأزرق وقد سَأَلَ[٤] عن صفة الله تعالى، فقال: أَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ به نفسه وَأُعَرِّفُه بِمَا عَرَّفَ بِهِ نَفْسَهَ: لا يُعْرَفُ بالحواس، ولا يقاس بالناس، إلى آخر كلامه. **ومن كلام** زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وقد سُئِلَ: أرأيتَ ربك؟! فقال: لم أكن لأعبد شيئا لَمْ أرَهُ. قيل: كيف رأيته؟ قال: لَمْ تَرَهُ العُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ العِيَانِ، ولكن رَأَتْهُ القلوبُ بِحَقَائِقِ الإيمان، لا يدرك بالحواسِّ، ولا يقاس بالناس[٥]، إلى آخر كلامه.

---

(١) النهج ١٧١.
(٢) في (ب): لن تراه في الدنيا . وبحذف كذبت.
(٣) في (ب): أنه قال.
(٤) في (ب): سئل .
(٥) ينظر أمالي المرتضى ١/١٥٠، ونسبه إلى ابنه الباقر عليه السلام.

وعن عبدالله بن العباس رحمه الله أنه قال في وصــــفه[(١)] لله تعــالى: لا يــدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس. ذَكَرَه في جوابه لِنَجْدَةَ الحروري. وروي أن مَسْروقًا[(٢)] أتى عائشة، فقال: يا أم المؤمنين أَرَأَى مُحَمَّدٌ ربَّهُ؟! فقالت: سبحانَ اللهِ العظيمِ لقــد قَفَّ[(٣)] شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، ثم قالتْ: ثلاثٌ مَنْ حَدَّثَكَ بِهِنَّ فقد كَذَبَ: **مَنْ حَدَّثَكَ**[(٤)] أنَّ محمدًا رأى رَبَّه فقد كذبَ، ثم تلت قولَه تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ الآيــة. وقولَــه تعــالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]. **وَمَنْ حَدَّثَكَ** أنَّ أَحَدًا يَعْلَمُ ما في غَدٍ فقــد كَــذَبَ، ثم تَلَــت قولَــه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾. الآية. [لقمان٣٤]. **وَمَنْ حَدَّثَكَ** أنَّ مُحَمَّدًا كَتَمَ شيئًا من الْوَحْيِ فقد كذب، ثم تَلتْ قولَه تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ الآية[(٥)] [المائدة:٦٧]. فقال مسروق: يــا أمَّ المؤمنين أَنْظِرِيني ولاَ تُعْجليني، أرأيتِ قــولَ الله تعــالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم:١٣]، قالت عائشةُ: ذلك جبريلُ لَمْ يَرَهُ رسولُ اللهِ في صورته التي خُلِقَ فيها إلا مرتين[(٦)]. تعني أنَّ إحداهما عند سدرة المنتهى.

---

(١) في (ب): في صفة الله.

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الكوفي تابعي ، عُدَّ في المخضرمين الــذي أســلموا في حياة النبي و لم يَرَهُ. أنظر سير أعلام النبلاء٣٤ / ٦٣ ، والتاريخ الكبير٨/٣٥.

(٣) قَفَّ شعره: قام من الفزع .

(٤) في (ب): من زعم . وهي رواية مسلم، والذي في الأم لفظ البخاري.

(٥) قراءة نافع . و﴿رِسَالَتَهُ﴾ لحفص.

(٦) البخاري ٤ / ١٨٤٠ رقم٤٥٧٤. ومسلم ١ / ١٥٩ ، ١٦٠ رقم١٧٧ . باختلاف يسير في اللفظ.

كما رُوِي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال:رأيتُ جبريلَ عند السِّدرة وعليه سُتُّمائةِ جناح[1]، يَنْتَثِرُ من ريشه الدُّرُّ والياقوتُ[2]. والثانيةُ مُنْهَبِطًا من السمآء إلى الأرض. وعن طاووس عن ابن عُمَرَ قال:لو رأيتُ مَنْ يزعم أنه يَرَى الله لاسْتَعْدَيْتُ عليه[3]. وَسُئِلَ أبو العاليةِ:هل رأى محمدٌ رَبَّه؟ فقال:لا[4]. وعن الحسن البصري أنه قال:لا يَرى اللهَ أحدٌ في الدنيا ولا في الآخرة. وعلى الجملة فذلك مما انعقد عليه إجماعُ الصحابة. وهو مذهبُ جميعِ علمآءِ أهل البيت الْمُطَهِّرِينَ. وهو قولُ جميعِ العلمآءِ الراشدين الذين يقضُون بالحق وبه يَعْدِلُون، فهذا هو الوجه الأول.

والوجه الثاني:أن نتكلمَ في معاني ما استدلوا به من الآيات والسُّنَّة، فإنَّ ظاهرَ ذلك يخالف دليلَ العقل ومُحكمَ القرآنِ؛ فلو دَلَّ على صِحَّة قولهم لوجب تأويله على ما يوافقُ الأدلةَ، كيف وبعضُه لا يَدُلُّ على ذلك بوجهٍ من الوجوه، وبعضُه لا يصح الاستدلال به، ونحن نوردها شيئًا شيئًا، ونتكلم عليها، وَنُبَيِّنُ صِحَّةَ الصحيح من معانيها، وفسادِ الفاسدِ بِمَنِّ الله وعونه، فنقول:**أما** قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فقد تَكَلَّمْنَا فيها في كتاب الإرشاد في

---

(١) البخاري ٣ / ١١٨٠ رقم ٣٠٦٠ . ومسلم ١ / ١٥٨ .

(٢) أخرجه في الدر المنثور ٦ / ١٦٠.

(٣) المغني ٤/ ٢٢٩ .

(٤) أخرج الطبرسي في مجمع البيان مج٩ ج٢٧ ص٢٩١، عن أبي العالية قال:سُئِلَ رسول الله ﷺ:هل رأيت ربُّك ليلة المعراج؟ قال:لا. رأيت نَهرًا ، ورأيت وراء النهر حجابًا، ورأيت ورآء الحجاب نورًا ، ولم أر غير ذلك.

ثلاثة مطالب:**أحدها** في معنى النظر في اللغة وأقسامه، **وثانيها** في الدلالة على أنَّه لا يجوزُ أن يكونَ حقيقةً في الرؤية. **وثالثها** في بيان معنى النظر في الآية وَذِكْرِ ما ورد فيه عن علمآءِ الصحابة والتابعين (رض) أجمعين.

وَالْغَرَضُ الاختصار هاهنا فَلْنَقْصِدْ إلى الغرض من ذلك وهو المطلب الثالث بعد ذكر طَرَفٍ مما يدل على أنه لا يجوزُ حَملُه على الرؤية. **فأما** الذي يدل على أنه لا يجوز حَمْلُ النَّظَرِ هاهنا على الرؤيةِ فوجوهٌ:**منها** أنَّهُ مخالفٌ لدليل العقل؛ لأن القولَ برؤيته تعالى يُوجبُ[(١)] كونَه محدودا في محاذاةٍ مَّا؛ إذِ الرؤيةُ لا تصحُّ إلا على مُتَحَيِّزٍ. أو قائم بِمُتَحَيِّزٍ، مثل الكون لا ينطبق إلا على جسم متحيز، وقد ثبت حُدُوثُ المتحيزاتِ وَقِدَمُه تعالى؛ فلا يجوزُ القولُ بخلافه. **ومنها** أنَّ القول بجواز رؤيته تعالى يؤدي إلى مناقضةِ القرآنِ، نحو قوله تعالى:﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وذلك عمومٌ لا تخصيصَ فيه. وقوله تعالى لموسى عليه السلام:﴿لَن تَرَانِي﴾، فَنَفَى نفيًا عامًا. وإذا كان القولُ بمناقضةِ القرآن مُحَالاً كان ما أدَّى إليه مُحَالاً، وهو القولُ برؤيته تعالى؛ لأن ما أدى إلى الْمُحَال فهو محال. **ومنها** أنَّ نَمَطَ الآية لا يُنْبيءُ عن الرؤية بل يُبْطِلُهَا؛ لأنه تعالى قال في نقيضه:﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ❖ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٤-٢٥] فَلَمَّا أوجبَ للكفار خوفَ العقاب دونَ المنعِ من الرؤية–وَجَبَ أن يكونَ ما وَعَدَ به المؤمنين انتظارًا للثواب دونَ الفوز بالرؤية.[(٢)] **ومنها** أنَّ الوجْهَ لا

---

(١) في (ج):توجب ويوجب، وفي الأصل:توجب، وفي (ب):يُوجب وهو الأظهر، ولذلك أثبتناه.

(٢) يقال في علم البلاغة إن في الآيات مقابلة، وهي لون من ألوان البديع فَقَابَلَ بين وجوه ناضرة أي مشرقة جميلة بقوله:﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي قبيحة كالحة، وناظرة بمعنى منتظرة لرحمة الله قابلها

يَرَى ولا يكون رآئيًا على الحقيقة، فَلا يجوز حَمْلُ قولــه:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، على الرؤية، وذلك شائع في اللغــة، قــال حسان بن ثابت:

وُجُــوهٌ يــومَ بَــدْرٍ نــاظرات إلى الــرحمن يــأتي بــالخلاص

أي منتظرةٌ، وذلك يُبطل قولَ مَن قال:إنَّ النَّظر إذا عُلِّقَ بالوجه لم يكن بمعـنى الانتظار، ومما يُبطل ذلك أيضًا قولُ البَعِيْثِ:

وُجُوهُ بَهَالِيْلِ[1] الحِجَازِ على النَّوَى إلى مَلِكٍ رُكْنُ المعارفِ ناظرةٌ[2]

أي منتظرةٌ لمعروفه على النوى وهو البعد. وإذا ثبت ذلك قلنا في الصحيح من معنى الآية:إنَّ قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾:يومئذ يعني يومَ القيامة، ناضرةٌ، أي مُشْرِقَةٌ حَسَنَةٌ جميلةٌ، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾:يعني ناظرة إلى ثواب ربها، ومنتظـرةٌ لما يأتي منه[3]، وعليه يَدُلُّ قولُ الله تعالى:﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٣٥]، أي منتظرةٌ. وقولُه تعالى:﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي عابسةٌ مُكْتَئِبَــةٌ، ﴿تَظُنُّ أَن

بقوله في أهل النار:﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾! أي تتوقع البوار كما تنتظر تلك النعيم، هــذا هــو النَّسَقُ العالي للقرآن، ولا معنى للرؤية هنا مطلقا؛ لأن نظم القرآن سيكون شاذًّا بشعًا إذا قلنا:وجوه جميلة ترى الله، ووجوه قبيحة تتوقع الهلاك، ولهذا فلا يجوز تحميل القرآن ما لا يحتمل.

(١) البهلول:السيد الجامع لكل خير. [القاموس١٢٥٣] .

(٢) وجوُه مبتدأ، وناظرةٌ خبره، وركنُ خبر مبتدإ محذوف تقديره هو ركن المعارف ، والجملة من المبتــدإ والخبر صفةٌ لِمَلِكٍ. ويُعابُ على هذا البيت بالتعقيد المعنوي.

(٣) غريب القرآن ص٣٥٩. والكشاف ٦٦٢/٤، وتمثل بقول الشاعر:

وإذا نظــرت إليــك مــن ملــك والبحــر دونــك زدتــني نعَمــاً

والطبرسي مج١٠ ج٢٩ ص١٩٨. والدر المصون ٥٧٦/١٠.

يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ أي داهية عظيمةٌ.

[المروي عن الصحابة] [1]

وأما المروي عن الصحابة. فَرُوِيَ عن أمير المـــؤمنين علـــي عليه السلام أن معـــنى قوله:﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، قال:إلى ثواب ربها. ومثله عن السدي، وعن سعيد ابن المسيب أنه قال:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال:ناضرة مـــن النعـــيم[2]. ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ بمعنى تنتظر ثوابَ ربها، ولا يرى اللهَ أحدٌ، وهو المروي عن عبدالله بـــن العباس فإنه قال في قوله:﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، أي منتظرة لما يأتيها من ثواب ربها، فأما اللهُ تعالى فلم يَرَهُ أحدٌ ولا يراه أحدٌ، ومثله عن مجاهدر[3]، ومثله عن الحسن[4]. قال أبو هاشم [الْجُبَّائي] والمعنيان مراد[5] بالآية فكأنه قال:تنظـــرُ إلى ثـــواب الله وَتَنْتَظِرُ ثوابًا، فتكون فيه زيادةُ النعمةِ والرحمة. وروي عن الضحاك:أنَّ عبدَالله بـــن العباس رحمه الله خرجَ ذاتَ يوم فإذا هو برجل يدعو ربَّهُ شاخصا إلى السمآء رافعا يدَه فوق رأسه، فقال ابن عباس:ادعُ بإصبعك اليمنى، وشُدّ بيدك اليسرى، واخفض بصرك، واكْفُفْ يَدَك لن تراه ولن تنالَه. فقال الرجلُ:ولا في الآخرة؟ قال:نعم، ولا في الآخرة. قال الرجل:فما قولُ الله:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ❖ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ فقال ابن عباس:أليس يقولُ:﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾، ثم قال:إنَّ أوليآءَ الله تَنْـــضُرُ[1]

---

(١) المغني ٤/ ٢٢٩ .

(٢) الطبرسي ١٠/ ١٨٩ .

(٣) تفسير الماوردي ٦/١٥٦. والدر المنثور ٦/٤٧٦. والطبري مج١٤ ج٢٩ ص٢٣٩.

(٤) أنظر الماوردي ٦/ ٤٧٦ .

(٥) في (ب):مرادان، وهو الأولى ليطابق المبتدأ .

ابن عباس: أليس يقولُ: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾، ثم قـال: إنَّ أوليـآءَ الله تَنْـضُرُ[(١)] وجوهُهم يوم القيامة، وهو الإشراق، ثم يَنْظُرون إلى ربهم، معناه ينتظـرون مـتى يأذنُ[(٢)] لهم في دخول الجنة بعدَ الفراغ من الحساب. ثم قال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ يعني كالحة، ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ قال: يتوقعون العذاب بعدَ العـذاب، كذلك قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ينتظرُ أهلُ الجنة الثوابَ بعد الثواب، والكرامةَ بعدَ الكرامة[(٣)].

وأما قولُه تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]، فهذا لا تَعَلُّقَ لهم به[(٤)]، فإن معناه أنهم مُبْعَدُون عن رحمة الله وثوابه. وروي عن قتادة أنه قال: معناه أنَّ الله تعالى لا ينظرُ إليهم يوم القيامةِ ولا يزكيهم[(٥)] ولهم عذابٌ ألـيم. أَجْرَى اللهُ تعالى ذلك كما جرَتْ به العادةُ من الإخبار عن سوء حال الغـير عنـدَ

---

(١) أي تحسن، وفي (ب): تُنَضَّرُ أي تُنَعَّمُ.
(٢) في (ب): يؤذن .
(٣) ينظر تفسير الطبري مج١٤ ج ٢٩ ص٢٣٩.
(٤) قال القاضي عبدالجبار في متشابهه ٢/٦٨٣ في تفسير هذه الآية: لا تدل على ما تقوله الحشوية في أنـه تعالى يرى يوم القيامة بأن يرفع عنه الحجب للمؤمنين فيروه، ويحتجب عن غيرهم فيمنعون مـن رؤيتـه؛ لأن هذا القول يوجب أن يكون تعالى جسما محدودا في مكان مخصوص، ويجوز عليه الستر والحجـاب ، ويراه قوم دون قوم، ومن حيث يظهر في جهة دون جهة. **والمراد بالآية**: أنهم ممنوعون من رحمة الله؛ لأن الحجب هو المنع ولذلك يقال فيمن يمنع الوصول إلى الأمير: إنه حاجب له، وإن كان الممنوع مشاهدا له، وقال أهل الفرائض في الأخوة: إنهم يحجبون الأم من الثلث؛ إذا منعوها، وإن لم يكـن هنـاك سـتر في الحقيقة؛ فثبت بذلك أنه تعالى لم يمنعهم بذلك من رحمته وسعة فضله، ليبعث السامع بذلك على التمسك بطاعة الله، فيكون يوم القيامة من أهل الرحمة، لا من المحجوبين عنها.
(٥) ينظر البغوي ٣٨٦/٦. والكشاف ٧٢٣/٤. وذكر أنه قول ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة.

السلطان، وَمَنْ يَجْرِي مجراه، ولهذا يُقَالُ فيمن غضبَ عليــه الــسلطانُ وســخطَ عليه:أَبْعَدَهُ عنه وَأَقْصَاهُ وَحَجَبَهُ، وأنه لا ينظرُ إليه، أي لا يَرْحَمُه ولا يُكَلِّمه إلى نحو ذلك، وهو شائعٌ في لغة العَرَبِ، وما قدَّمنَا من الأدلة يعضُد هذا التأويل، ويكــون موافقا لأدلة العقول، ولئلاَّ يؤدي إلى مناقضة السمع.

وأما قولُه تعالى:﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]، وقــولُهم إنَّ الزيادة هي الرؤية[1]. **فالجوابُ**:أنَّ قولهم باطلٌ بما تقدَّمَ ذِكْرُه من الأدلة. وَبَعْدُ فإنَّ الزيادة في اللغة لا يُعْقَلُ منها الرؤيةُ، ولا يجوز أنْ يُخَاطِبَنا اللهُ تعالى بما ليس في اللغة إلا أنْ يُريدَ شيئا في اللغة مع البيان، وإنما يصح ذلك في الشرع من حيــث إنــه لم يكن لِمَا أمر به من الحقآئق الشرعية معنىً معروفٌ على الوجه الذي ورد به الشرعُ في أصل اللغة، ولا اسمٌ[2] موضوعٌ [في أصل اللغة] وليس كذلك الرؤية. مع أنَّه لا بيانَ هاهنا، فبطل قولهم.

وأما معنى الآية فالمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:الزيادة غُرْفَةٌ من لؤلؤٍ، لها أربعةُ أبوابٍ[3]. فالغرفةُ هي زيادةُ الثواب[4]. ورُوي عــن ابــن عبــاس أنــه قال[5]:الحسنةُ بالحسنةِ، والزيادةُ التِّسْعُ. إنَّهُ تعالى يقــول:﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ

---

(١) قول أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وأبي موسى الأشعري. الماوردي ٢/ ٤٣٢. وتفسير الطبري مج٧ ج١١ ص١٣٧.
(٢) في (ب):ولا اسم، وفي الأصل تعليقة:ولا اسم . ظ. وهو الأصح.
(٣) تفسير الطبري مج٧ ج١١ ص١٤١.
(٤) تفسير الدر المنثور ٣ / ٥٤٨.
(٥) أنظر الماوردي ٢ / ٤٣٣ ، والدر المنثور ٣ / ٥٤٩.

عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

وأما قوله[(١)]:﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ [الكهف:١١٠]، وقولهم:إنَّهُ وَعَدَ مَن عَمِلَ صالحًا بلقائِه ورؤيتِه[(٢)]. **فالجوابُ** عن ذلك أنَّ اللقآء ليس من الرؤية في شيءٍ على نحو ما تقدم من الدلالة على أن الزيادة ليس هي الرؤيـةُ، يزيد ذلك بيانًا ما رُوى عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال:((مَنْ لقي الله يُشركُ بـه شيئًا دخلَ النار))[(٣)]. وعن ابن مسعود عنه ﷺ أنه قال:((مَنَ حَلَفَ على يمـين كاذبة ليقطعَ بها مَالَ أخيه لَقِيَ الله وهو عليه غَضْبَانُ))[(٤)]، فلو كان اللقآءُ حقيقـةً في الرؤيةِ لكان ذلك دليلا على جواز رؤيةِ المشركين والمجـرمين لله رب العـالمين، والقومَ لا يقولون به، فبطل قولُهم.

وأمَّا معنى اللقآءِ في الأية فهو اللقآء لأمر الله، والرجوعُ إلى الموضع الذي يقع فيه الحكم له، ولقآءُ جزآئِهِ على ما ذكره المفسرون[(٥)]

وأما استدلالُهم بالخبر عن النبي ﷺ في قوله:((إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُـمْ يـومَ القيامَةِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا تضامون في رؤيتِه))، وقولُهم:إنه يدل على الرؤية.

---

(١) في (ب): قولهم.

(٢) قال الرازي في مفاتيح الغيب مج١١ ج٢١ ص١٧٨: وأصحابنا حملوا لقآء الرب على رؤيته ، والمعتزلة حملوه على ثوابه.

(٣) ينظر أحمد بن حنبل ٥ / ١٦٩ برقم ١٥٠٢٠.

(٤) رواه الإمام القاسم في الاعتصام ٤ / ٢٧٧ ، والبخاري ٢ / ٨٣١ برقم ٢٢٢٩ ، أخرجه مـسلم في الإيمان ١ / ١٢٣ برقم ١٣٨.

(٥) ينظر الماوردي ٣ . ٣٥٠ / وغريب القرآن للإمام زيد ص١٩٨ . ومجمع البيان للطبرسي مـج٦ ج١٦ ص٣٩٥ . والطبري مج٩ ج١٦ ص٥٠.

فالجوابُ عن ذلك من وجوه: **منها** أن هذا الخبرَ من أخبار الآحاد، وهي لا تُوْصِلُ إلاَّ إلى الظن فقط متى تكاملتْ شرائطُها. ومسألةُ الرؤيةِ من مسائل أصولِ الدِّين فلا يجوز أن يؤخذ فيها بأخبار الآحاد؛ لأن الواجب في مسائل أصول الدين هو المصير إلى العِلم من حيث إن مدارها على الاعتقاد الذي لا يَحْسُنُ إلاَّ متى كان علمًا مُقْتَضِيًا لسكونِ النَّفْسِ، وَخَبَرُ الواحد لا يُوجبُ العِلمَ فلم يجز الأخذُ به. **ومنها** أنَّ الصحابة أجمعتْ على اطِّراح أخبار الآحاد متى عارضت الكتابَ والسنةَ المعلومةَ؛ ولهذا فإنَّ فاطمةَ ابنةَ قَيْسٍ لَمَّا طَلَّقَهَا زوجها طلاقًا بآئنًا-وروتْ أنَّ النبي ﷺ لم يقضِ لها بنفقةٍ ولا سُكْنَى-رَدَّ عُمرُ بن الخطاب خَبَرها بِمَحْضَرٍ من الصحابة، وقال: لا نَدَعُ كتابَ ربِّنا وَسُنَّةَ نَبِيِّنا لِخَبَرِ امْرَأَةٍ[1]. والأمرُ في ذلك ظاهرٌ وَلاشُبْهَةَ في كَونِ هذا الخبر معارضًا لكتابِ الله تعالى وهو قولُه: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَانِي﴾. **ومنها** أنَّ هذا الخبرَ معارضٌ لِسُنَّةِ رسول الله ﷺ فإنها قاضيةٌ بأنه تعالى لا يُرى وقد قَدَّمْنَا طَرَفًا منها. وهو معارِضٌ أيضًا لأَدِلَّة العقول القاضيةِ بأنه تعالى لا يُرى. وهو معارِضٌ أيضًا لإجماع العترة؛ فإنَّهم مُجْمِعُونَ على أنه تعالى لا يُرى. وهو معارِضٌ لإجماع المسلمين من الصحابةِ والتابعينَ وإجماعُهم حُجَّةٌ[2]. فيجبُ فيما عارضَ هذه الأدلةَ مِما هو

---

(١) أخرجه مسلم ١١١٨/٢ كتاب الطلاق رقم٤٦. والترمذي ٣ / ٤٨٤ رقم ١١٨٠. وأبو داود ٧١٨/٢ برقم ٢٢٩١. والنسائي ٢٠٩/٦.

(٢) في دعوى الإجماع نظر فإن كان المراد بالرؤية في الدنيا فيصح دعوى الإجماع، ولا عبرة بالقول الشاذ في تجويز الرؤية في الدنيا، وأما في الآخرة فالاختلاف بين المسلمين من قديم الزمان طويل عريض، فيمكن

مظنون أنْ يُطْرَحَ وَيُلْغَى حُكمُه، إلا أن يمكنَ تأويلُه على الوجه المطابِق لهذه الأدلة، فذلك هو الواجبُ حِفْظًا لكلامِ الرسول عليه السلام عن الإهمالِ[1] وإبطالِ الفائدة فيــه.

ومنها أنَّ أخبارَ الآحادِ لا يجوزُ الأخْذُ بها[2] والعملُ عليها إلا متى تكاملتْ شرائطُها وهي ثلاث:**إحداها** أن يكونَ الراوي عدلاً ضابطًا؛ لأنَّ رِوَايَةَ غيرِ العَدلِ الــضابط مردودةٌ بلا خلافٍ، وهذا الخبرُ لم يسلَمْ من ذلك؛ فإنَّهُ ينتهى إلى قــيس ابــن أبي حازم[3]، وهو مطعونٌ في روايته من وجوه:**أحدها** أنه كان مُتَوَلِّيًا من بــني أميــه ومُعينًا لهم على أمرهم، ولا شبهةَ في كَونِ ذلك فِسْقًا إنْ لم يبلغِ الكُفْرَ؛ لأنهم عندنا كُفَّارٌ[4].

الإحتجاج لنفي الرؤية بالعقل ومحكم القرآن، وإجماع العترة، ولا سيما في الثلاثة القــرون الأُوَل ، وكــون أحاديث الرؤية ظنية، أما لو وجد إجماع لما وجد خلافٌ، والله أعلم.

(١) في (ب): من الإهمال .

(٢) في (ب): ولا.

(٣) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب [٨ / ٣٨٨]:كان يحمل على علي . وكذلك قال عنــه الــذهبي في سير أعلام النبلاء [٤/١٩٩-٢٠١] ، وقال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال:كبر ســنه وذهــب عقلــه قال:فاشتروا له جارية سوداء أعجمية قال:وجُعِلَ في عُنُقِها قلائد من عِهْنٍ وودعٍ وأجــراس مــن نحــاس فَجُعِلَتْ معه في منزله وأغلق عليه الباب، قال:وكنا نطلع عليه من وراء الباب وهو معها قال:فيأخــذ تلــك القلائد بيده فيحركها ويعجب منها ويضحك في وجهها. ورواها أيضًا الخطيب في تاريخــه [١٢/٤٥٥]. وفي طبقات المعتزلة ص١٢٥ في المناظرة التي جرت بين أحمد بن أبي دؤاد وأحمــد بــن حنبــل في الرؤيــة فقال:هذا يزعم أن الله تعالى يرى، والرؤية لا تقع إلا على محدود، فروى له -أي أحمد بن حنبل- حــديث قيس بن أبي حازم، فقال ابن أبي دؤاد:تحتج بحديث قيس بن أبي حازم وهو أعرابي بوال على عقبيه!!. ونحن نقول كما قال. ت٩٨هــ .

(٤) حُجَّةُ المؤلف في تكفيرهم ما رواه البخاري ١/٢٧ رقم٤٨ عن عبدالله بن مسعود عنه صلى الله عليــه وآله وسلم:((سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر)). وقد تكــرر بــرقم٥٦٩٧ و ٦٦٦٥. ومــسلم ١/٨١ رقم١١٦ بلفظ البخاري. أقول:ومن المعلوم قطعًا أن بني أمية بَدْأً بمعاوية قد استحلوا قتال علي والــصحابة، وقُتِل بسيوفهم عشرات الألوف، ولعنوا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المنابر زمنًا طويلاً.

ومنها أنهُ كان قد خُولط في عقله وكان يَلْعَبُ به الصبيان كما يلعبون بسآئر المجانين، وقال لَصَدِيقٍ له أَعْطِنِي درهمًا أشتري بها[1] عصًا، قال:ما تفعلُ بها؟ قال:أطردُ بها كِلابَ المدينة. ورُوي أنه أُدخِل في بيت وكان في بابه جلاجل فإذا دَقَّ الباب من خلفه ضَحِكَ. **ومنها** أنه كان مُبغضًا لأمير المؤمنين علي عليه السلام[2] وحُكِيَ أنه قال [أي قيس]:منذ سمعتُه يقول [أي علي] على منبر الكوفة[3]:انفِرُوا إلى بقيةِ الأحزَابِ-دَخَلَ بُغضُه في قلبي، يعني عليًّا عليه السلام، وَمَنْ دَخَلَ بُغْضُ عليٍّ في قلبه فلا شُبْهَةَ في فِسْقِهِ-إن لم يكنْ كافرًا؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:((لايُحِبُّكَ إلاَّ مُؤْمِنٌ ولا يبغضك إلا منافق[4]))، **ولقوله**:((اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ

(١) في (ب):ما تفعل به. وأشتري بالياء في كل النسخ، والأظهر حذف الياء؛ لأن الفاء إذا سقطت بعد الطلب وقصد به الجزاء جزم.

(٢) قال الوالد العلامة مجدالدين المؤيدي بهامش (ب):إن الأمير الحسين عليه السلام -مؤلف الينابيع- لا يجيز قبول خبر المبغض لأمير المؤمنين علي عليه السلام وبالأولى المحارب، مع أنه صرح في شفاء الأوام بقبول فاسق التأويل، وهذا يدل على أنهم عنده غير متأولين وهو الواقع، وأنه يذهب إلى أنهم فساق تصريح ، وكذا الإمام المؤيد بالله عليه السلام فقد صرح برد رواية مبعض أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربه وهو يقبل المتأولين كما ذكره في شرح التجريد، ماذاك إلا لأنهم عندهم غير متأولين فتدبر والله ورسوله ولي التوفيق.

(٣) في هامش الأصل:مخاطبا لأصحابه .

(٤) روي بألفاظ كثيرة . ففي مسلم ٨٦/١ رقم١٣١ كتاب الأيمان قال عليٌّ:والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ أن لا يُحبني إلا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافق. أنظر المرشد بالله١٣٥/١ وابن حجر في الإصابة ٥٣/٢. والاستيعاب ٥٠٣/٣. ومصنف ابن أبي شيبة ٣٦٥/٦ رقم٣٢٠٦. وتذكرة الحفاظ للذهبي ١٠/١. أحمد بن حنبل ١ / ١٨٣ برقم ٦٤٢ ، وفتح الباري ١ / ٦٣ . والبداية والنهاية ٧ / ٣٩١ ، والنسائى ٨/ ١١٦ برقم ٥٠١٩ . والخطيب في تاريخ بغداد ٨ / ٤١٧ ، والترمذي ٥ / ٥٩٤ رقم ٣٧١٧. وغيرهم.

عَادَاهُ))[1]، ثم إنَّ الخبرَ ينتهي إلى جرير بن عبدالله. وجريرٌ بن عبدالله هذا، هُو الذي لَحِقَ بمعاوية وَأَحْرَقَ عليٌّ عليه السلام دَارَه، فثبتَ أنْ راويَه ليس بِعَدْلٍ ولا ضابطٍ، إذ لم يسلم إسنادُه عن المطاعن، ولا كان راويهِ وهو جريرٌ بن عبدالله عدلاً لأنه خَالَفَ الحقَّ وخرج على أمير المؤمنين عليه السلام ولحق بمعاوية....

وثانيها: أن لا يعارِضَ أدلةَ العقول ولا مُحْكَم الكتابِ ولا السنةَ المعلومةَ، وقد دَلَلْنَا على مُعَارَضَتِهِ لهذه الأدلة فوجب سقوطُه. **وثالثها:** أن لا يَرِدَ في أصول الدّين ولافيما لا يُؤْخَذُ فيه إلا بالأدلةِ العِلْمِيَّةِ، وهذا الخبرُ وَرَدَ في أصولِ الدّين فوجب سقُوطه؛ فإذا كانت هذه الشرائطُ تُعْتَبَرُ في باب العمل بأخبار الآحاد حيثُ[2] لا يجب العملُ بها إلا مع تكامُلِ هذه الشرائطِ فكيف يصحُّ العملُ[3] به مع فَقْدِ هذه

(١) هذا حديثٌ متواترٌ، قال المقبلي في الأبحاث المسددة ص٢٤٣-٢٤٤: بعد ذكر رواته وهو متواتر فإن كان مثلُ هذا معلومًا وإلا ما في الدنيا معلوم وقد ورد بألفاظ كثيرة من مراجع عدة نذكر منها: أمالي أحمد بن عيسى ١/٣٨. والمرشد بالله الشجري ١/٤٢. والإمام المؤيد بالله في الأمالي الصغرى، ص٩٠، ١٠٢. وأبو طالب في أماليه ص٤٨. والإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ٥/٣٧٧-٣٧٩، وعلي بن موسى الرضى في صحيفته ص٤٥٧. والإمام الهادي في الأحكام ١/٣٧، ومسند أحمدج١ص١٨٢ رقم٦٤١ ورقم ٩٥٠ ورقم٩٦٤ ورقم١٣١٠ مسند علي وقد رواه من أربعين طريقة، ومجمع الزوائد ج٩ص١٠٣ ومابعدها، بروايات عديدة. وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء للذهبي ص٦٣١-٦٣٣. وتذكرة الحفاظ ج١ص١٠. والمستدرك ج٣ص١٣٤. وينظر مختصر زوائد مسند البزار ج٢ص٣٠٣ ومابعدها رقم١٩٠٠ وساق روايات من طرق متعددة. والبداية والنهاية لابن كثير مج٤ج٧ص٣٨٣ ومابعدها.وقد جمع محمد بن جرير الطبري فيه مجلدين كما ذكره الذهبي في طبقاته ٢/٢٥٤. وقال في السير ٨/٣٣٥:إنه متواتر. وقد صنف الشيخ عبدالحسين الأميني موسوعة بحالهافي شأن حديث الغدير هذا سَمَّاه ((الغدير في الكتاب والسنة والأدب)) خَصَّصَ الجزء الأَول لطرق حديث الغدير، ثم ظل يلاحق الغدير في الشعر والنثر حسب الطبقات-طبع في ١١مجلدًا-الطبعة الرابعة-دار الكتاب العربي-بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٢) في ب ، ج:بحيث .

(٣) في (ب) ، (ج):الأخذ .

الشَّرائطِ؟ ثم كيف يَسُوغُ الأخذُ به وإلغآءُ حُكْمِ أدلّة العقول وأدلة الشرع المقتضيةِ للعلم؟، فبطلَ ما ذكره المخالفون من الاحتجاج بهذا الخبر؛ فمتى رَجَعُوا إلى التأويل فليسوا بالتأويل أولى، فنحمِلُه إذا صح عن الرسول عليه السلام على أنَّ المرادَ به العلـــمُ؛ لأن الرُّؤيةَ تُستعملُ بمعنى العِلْم في اللغة، قال الله تعالى:﴿أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَـلَ رَبّـكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل١]، وقال:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبّكَ بِعَادٍ ﴾ [الفجر:٦]، أي ألم تعلم، وقال الشاعر[(١)]:

رأيـــتُ اللهَ إذْ سَـــمَّى نِـــزَارًا وأسْـــكَنَهم بمكـــةَ قاطنينـــا

أي علمتُ الله، بل حَمْلُه على المعرفةِ باللهِ أولى لِمُطابقتِه لأدلة العقولِ ومُحْكَم الكتاب والسنَّةِ المعلومة، ولأنه قال:لا تضآمُّون في رؤيته، يريد بذلك زوالَ الشكِّ، فكأنه قال:لا تَشُكُّونَ في معرفتِه، ويكون فائدةُ التخصيص بيوم القيامة؛ لأنَّ الْخَلْقَ كُلَّهم يعرفونه جلَّ وعزَّ ذلكَ اليوم، وإنما مَثَّل ذلك برؤيةِ القمر ليلـــةَ البـــدر؛ لأنَّ العلم به يحصل يوم القيامة لكافة المؤمنين والفاسقين والكافرين جميعًا، كما يحـــصل العلم بالقمر ليلة البدر لكل من شاهد[(٢)]، فيكون العلم به يوم القيامة ضروريًّا ، فلا يحتاجون فيه إلى نظرٍ واستدلال. فهو في الجلاء والظهور بمنزلة علمهم بالقمر ليلـــة البدر. فَبَطَلَ قولُهم في هذه المسألة من كل وَجْهٍ، وصح أنه تعالى لا يُرى في الـــدنيا

---

(١) الكميت بن زيد الأسدي. ينظر شرح الهاشميات ص٢٦٣. بتحقيق الأستاذ أحمد الجاسر بلفظ:

وجـــدت الله إذ سمـــى نـــزارًا وأنـــزلهم بمكـــة قاطنينـــا

(٢) في (ب):يشاهد .

ولا في الآخرة.

الْمَسْأَلَةُ العَاشِرَةُ:

ونعتقد أنَّه تعالى واحد

والكلامُ فيه يقع في أربعة مواضع: **أحدها** في معنى الواحد. **والثاني** في حكاية المذهب وَذِكْرِ الخلاف. **والثالث** في الدلالة على فسادِ ما ذهبَ إليه المخالفون. **والرابع** فيما يؤكد أدلة العقل من أدلةِ[1] السمعِ على صِحَّةِ ما ذَهَبْنَا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالفون.

أما الموضع الأول وهو في معنى الواحد: فالواحدُ يُستعملُ في معنيين: **أحدهما** ما لا يَتَجَزَّأُ ولا يَتَبَعَّضُ، وهذا لا يكون مَدْحًا بانفراده في حقه تعالى؛ لأن الجوهر الفرد[2] لا يتجزأ ولا يتبعض، وكذلك العَرَض القائم به، وإنما يكون مَدْحًا بانضمامه إلى كونه حيًّا؛ لأن كلَّ حيٍّ سِواهُ ذو أجزاءٍ وأبعاض، وهو تعالى حيٌّ[3] لا يتجزّأ ولا يتبعض. **الثاني**[4]: هو الْمُتَفَرِّد بصفاتِ الكمال إثباتًا ونفيًا، فلا يشارِكُه فيها أحدٌ على الحَدِّ الذي استحقها عليه، وهذا هو مراد المتكلمين؛ لأنهم يُورِدُون ذلك مَوْرِدَ الْمَدْحِ. ويريدون به التَّفَرُّدَ بِصَفَاتِ الكمالِ والتعالي عن الأشكال

---

(١) في (ب): من السمع

(٢) أصغر جسم وهو الذي لا يقبل الانقسام ويسمى بالذرة التي لا تتجزأ.

(٣) في (ب): بحذف حي.

(٤) في (ب) ، و(ج): والثاني.

والأمثال، ونُريد بقولنا على الْحَدِّ الذي استحقها عليه؛ لأنها ثابتةٌ له على سبيل الوجوبِ. والواحد منا وإن شاركه في بعض صفَاتِهِ جِنْسًا أو قَبِيلاً أو نوعا فليست بثابتة للواحد منا على سبيل الوجوب بل على سبيل الجواز.

وأما الموضع الثاني :وهو في حكاية المذهب وذكر الخلاف :

فمذهبُنَا أنه تعالى واحدٌ لا ثانيَ له يشارِكُه في القِدَمِ ولا في الإلهيةِ، وهذا هو قولُ المسلمين كآفة. وأثبت قومٌ أكثرَ من قديم واحدٍ. **فَالصِّفَاتِيةُ** من الأشعرية أثبتتْ قُدَمَا[1]، وزعمت أنها قائمةٌ بذات الباري، وهي القدرةُ والعلمُ والحياةُ والسمعُ والبصرُ والإرادةُ والكلامُ فبها يكون قادرًا وعالِمًا وحيًّا وسميعًا وبصيرًا وَمُرِيدًا وُمَتَكَلِّمًا. قالوا:ولولاها لَمَا كان كذلك، قالوا:وليست هي اللهُ ولا هي غيرُه ولا بعضُه، وكلُّ واحدٍ منها ليس بالآخَرِ ولا غيرِهِ ولا بَعضِهِ. **والثَّنَوية** أثبتَتْ اثنين قديمين فَاعِلَين مُخْتَلِفَينِ لا يقومُ أحدُهما بذاتِ الآخَرَ:أحدُهما نورٌ والآخرُ ظلمةٌ. قالوا:وكلُّ خَيْرٍ فَمِنَ النُّور، وكل شرٍّ فمن الظلمة. **والمانوية**[2] فرقة منهم تقول[3]:إنَّ النور حيٌّ بحياةٍ يُقَال لها:نَسِيمٌ، والظلمةُ حيَّةٌ بحياةٍ، يقال لها:همامة. **والمجوسُ** أثبتت قِدَمَ الشيطان مع الله تعالى، وعبَّرت عن الله تعالى بِيَزْدَانَ. وقالوا:ما حصل من خيرٍ فهو منه، وعبَّرت عن الشيطان بَأَهْرَمَنْ، وقالوا:هو جِسْمٌ، وقالوا:ما

---

(١) في (د): قدماء.

(٢) نسبة إلى الحكيم السرياني:ماني بن واني أو ابن فاتك، الذي ظهر في زمن سابور ابن ازدشير ، ادعى النبوة فخالفته المجوس، فأشاروا بقتله؛ فقتله بهرام بن هرمز بن سابور ((بعد عيسى عليه السلام)). ينظر في المانوية الملل والنحل للإمام المهدي ٦٨، والملل والنحل للشهرستاني ٦/١٩٤ بهامش ابن حزم.

(٣) في (ب) ، و(ج): يقولون .

حصل من شَرٍّ فهو منه. **ومنهم** مَنْ يُثْبِتُ حدوثَ الشيطانِ، ولهم تَرُّهاتٌ لا فائــدةَ في ذِكرِها. **والنصارى** تقولُ بثلاثة أقنوم[1]:الأبُّ وهو ذاتُ الباري عندهم، وأقنوم الابن وهو الكلام، وربما رجعوا به إلى العلم. قالوا:ولم يزل مُتَوَلِّدًا عن الأبِ كَتَوَلُّدِ الضيآء عن الشمس، وأَقْنُوم روح القُدُس وهو الحياةُ، ويقولون:بأن الله تعالى جوهرٌ واحد على الحقيقة، وثلاثةُ أقانيم في الحقيقة، ولهم تفاصيلُ تطول مع تناقضها.

وأما الموضع الثالث:

وهو في الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالفون

فَلَنَا في ذلك مطلبان:**أحدهما** أن نتكلَّم على قول كل فرقة من هؤلآءِ المخالفين بما يُبْطِلُهُ على التعيين. **والثاني**:أن نَسْتَدِلَّ على صحة ما ذهبنا إليه وفَسَادِ ما ذهبــوا إليه على العموم.

أما المطلب الأول:فنقول وبالله التوفيق:**أمَّا قول الصفاتية** فقد قدَّمنا الــنَّقْضَ عليهم في فَصْلِ الكيفية؛ فإنا دَلَلْنَا هناك[2] بأربعة أدلةٍ على إبطــال قــولهم علــى التعيين، فلا نُطَوِّلُ بإعادتها.

وأما قول الثنوية بقِدَمِ النور والظلمة فهو باطل؛ لأن فُرسَان الكلام مختلفــون فيهما. فعند بعضهم أن النور والظلمة عَرَضَان، وعند الآخَرين أَنَّهما جِسْمان، وقد دَلَلْنَا على حدوثِ الأجسام والأَعْرَاضِ فيما تقدم، فبطل كونُهُما قديمين. وقــولُهم

---

(١) **الأقنوم**: اسم سرياني وهو عند النصارى الشيء المتفرد بالعدد، والأقانيم عندهم ثلاثة:أقنوم الأب وهو ذات الباري، وأقنوم الابن وهو الكلمة، وأقنوم روح القدس وهو الحياة. ينظر الأساس ١/١٥٣.

(٢) في المسألة الخامسة في فصل: وإذا ثبت أنه تعالى يستحق هذه الصفات ..إلخ .

مبنيٌّ على أنَّ النُّورَ-وهو فاعلُ الخير والحسن-لا يفعل[1] الشرَّ والقبيحَ، والظلمةَ لا تفعلُ الخيرَ والحسنَ بل تفعلُ الشرَّ والقبيحَ، وهو باطل؛ لأن ضوءَ النهارِ قد يكون سببًا لوُجدانِ الضَآلَّة، وقد يكون سَبَبًا لظَفَرِ العدو بالإنسانِ، وكذلك الظُّلمةُ قد تكون سَبَبًا لسَتْرِه من العدو، وَقضآءِ كثيرٍ من حوائجهِ التي يُحِبُّها ويشتهيها، كما قال الشاعر:

وكَم لسوادِ الليل عندي مِن يَدٍ تُخَبِّرُ أن المانويةَ تكــذبُ[2]

وكذلك فقد تكون الظُّلْمَةُ سببًا لوقوعه أو وقوع غيره في الآبار والنِّيَارِ[3] ونحو ذلك من المضارِّ، فقد وقع الخيرُ والشرُّ من النور جميعا، ووقعا من الظلمة جميعــا. فبطل قولهم.

وأما قولُ المجوس فظاهرُ البطلان؛ لأنَّ الشيطان متى كان جِسْمًا استحال قِدَمُه لِمَا بَيَّنَّا أنَّ الأجسام مُحْدَثَةٌ، ومتى كان مُحْدَثًا فلا بُدَّ له مِنْ مُحْدِثٍ؛ لِمَا قدَّمنا من حاجةِ كُلِّ محدَثٍ إلى مُحْدِثٍ، ولو لم يَحْتَجْ إلى مُحدِثٍ لكان العالَمُ لا يحتــاجُ إلى محدِثٍ، ولكانتِ الشرورُ الْمُحْدَثَةُ لا تحتاج إلى مُحْدِثٍ، وفي ذلك الإستغنآءُ عــن الشيطان. وإذا قالوا:بأن مُحْدِثَه هو الله تعالى، لَمْ يَخْلُ إمَّا أنْ يقرُّوا بعَدْلِه وحِكْمَتِه أم لا؛ فإن أَقَرُّوا بعَدْلِه وحِكمته فليسَ من الحكمة أن يخلقَ ما يُغَالِبُهُ، وإن لم يكــن حكيمًا جاز أن تُضافَ إليه هذه الشرورَ لخروجه عن حدِّ الْحِكْمــة، وفي ذلــك

(١) في الأصل و (د)، (هــ): ولا يفعل ، وبقية النسخ بحذف الواو، وهو الأظهر.
(٢) ديوان المتنبي ٤٦٦ :وكم لظلام الليل...
(٣) النيار:كأنها جمع نار ، وفي (ب): والتبار ، وهو الهلاك كما ذكره في الهامش .

الإستغنآءُ عن الشيطانِ.

وأما قولُ النصارى:إنه تعالى جوهر واحد على الحقيقة وثلاثةُ أقانيم على الحقيقة فهو فاسد غيرُ معقول أصلا؛ فإنَّ ما يكون واحدا لا يكون ثلاثة، وما يكون ثلاثة لا يكون واحدا، بل ذلك فاسدٌ في العقول، ويكفي في فَسَادِهِ وإبطالِهِ كونُه غيرَ معقولٍ؛ فإنَّ ما لا يكون معقولا لا يمكنُ اعتقادُهُ، وهذا لا يمكنُ اعتقادُه، ولا يصح جَعْلُه مَذْهَبًا[1]؛ وذلك لأنَّ ما يصح جَعْلُه مذهبا هو ما يمكنُ اعتقادُه، ويمكنُ اشتراكُ العقلاء فيه، ويصحُّ اعتقادُ خلافِه. فأمَّا ما لا يكون كذلك فلا يصح كونه مَذهبا، ولا يمكن إيراد الدلالة عليه ، فاتضح بذلك بُطلانُ مذهبهم على التفصيل، وهو المطلب الأول.

وأما المطلب الثاني:وهو في الدلالة على صحة ما ذهب إليه المسلمون، وإبطالِ مذاهب المخالفين على العموم؛ فإذا أردنا ذلك تكلمنا في موضعين:**أحدهما** في الدلالة على أنه لا ثانيَ له يُشاركه في القِدَم. **والثاني** في الدلالة على أنه لا ثاني له يشاركه في الإلهيةِ.

أما الموضع الأول:وهو في الدَّلالة على أنه لا ثانيَ له يشاركه في القِدَمِ؛ فالذي يدل على ذلك أنَّه لا طريقَ إلى إثباته، وكل ما لا طريقَ إلى إثباتِهِ فهو باطل. وتحقيقٌ ذلك أنَّ هذه الدلالةَ مبنيةٌ على أصلين:

أحدهما أنه لا طريقَ إلى إثباتِ قديمٍ ثانٍ فما زاد عليه. **والثاني** أنَّ كلَّ ما لا

---

(١) في (ب):مذهبًا لَهم .

طريقَ إلى إثباته فهو باطل.

أما الأصل الأول:وهو أنه لا طريق إلى إثباتِ قديمٍ ثانٍ فما زاد عليه؛ فالــذي يدل عليه أنه لو كان هناك قديمٌ ثانٍ فما زَادَ عليـــه؛ لَمَـــا دَلَّ عليـــه إلاَّ الفعـــلُ لِمجردِه[1]، ومعلومٌ أنه ليس هناك فِعْلان يتميَّزُ أحدهما عن الآخَرِ، فيقـــال:بأنهمـــا يدلان على فاعِلَين قَدِيْمَيْنِ، فلو جاز أن يُقالَ:بأن العالَمَ بما فيه دليلٌ على قـــديمين- لجاز أن يقال:بأنه يدل على ما لا نهاية له من القدمآءِ وذلك مُحَالٌّ. وبعدُ فإنَّ دلالة إثباتِ الصانع على النَّسَقِ الذي ذكره المتكلمون لا يُدُلُّ إلا على واحِـــدٍ؛ لأنَّهـــم قالوا:بأن العالَم محدَثٌ ودَلُّوا على ذلك بما لا نُطَوِّلُ بذكره، ثم قالوا:وكلُّ مُحْدَثٍ يحتاج إلى مُحْدِثٍ ودلوا على ذلك بطريقة التَّقْسِيمِ:وهي أنَّه إذا كان العالَمُ موجودا على سبيل الجواز فلا بُدَّ من أمْرٍ يُؤَثِّرُ فيه، وأنَ ذلك الأمرَ لا يخلو أنْ يكون مؤَثِّرًا على سبيل الإيجابِ وهو العِلَّةُ، أَوْ لا على سبيل الإيجاب بل على ســبيل الــصِّحَّةِ والاختيار. ثم أبطلوا العِلَلِ كلّها من المعدومةِ والموجودة، ومن القديمة والمحدَثة، فبقي أنه فاعلٌ، فلو جاز مع ذلك أنْ يقال:بأنهم فاعِلُون قدماء مع كَونِ الدَّلالة قد دَلَّتْ على هذا الوَجْهِ لجوَّزنا في كلِّ دليلٍ أن يكونَ إنما دَلَّ على مدلولاتٍ كثيرةٍ، وذلك يَنفِي العلومَ الضرورية بتعلق[2] الفعل بفاعله؛ لأنه يجوزُ[3] أن يقالَ بأنه يَدُلُّ[4] عليه

---

(١) في (ب):بمجرده .

(٢) في (ب)، (ج): لتعلق.

(٣) في (ب):لأنه لا يجوز بأن. وفي (د): لا يجوز أن بأنه دل.

(٤) في (ب) و (ج): دل.

وعلى تأثيرِ غيره مَعَهُ فيجوز في أفعالِ غيرنا أن تكون الحركةُ الواحدة منها تدل على فَاعِلِينَ كثيرٍ[1]، مع أنها إنَّما دلتْ على أنه لا بُدَّ من مُؤَثِّرٍ فيها فَحَسْبُ، وهذا يُزيلُ التَّفْرُقَة بين ما هو من فِعلِنا وبين ما هو من فعل غيرِنا فينا، مع أنَّ حصولَ التَّفرُقةِ في ذلك ضروريٌ؛ فثبتَ أنَّ العالَم إنما يدل على إثبات قديم واحد لا ثانيَ له، وصح أنه لا طريق إلى إثبات قديمٍ ثانٍ فما زاد عليه.

وأما الأصل الثاني:وهو أن كل ما لا طريقَ إلى إثباته فهو باطلٌ؛ فلأنَّ ذلك يؤدي إلى فتحِ بابِ الجهالات، وما أدى إلى ذلك وَجَبَ نَفْيُه، وإنَّما قُلنا:إنه يُؤدي إلى فتح باب الجهالات؛ لأنا متى جوَّزنا ثبوتَ مالا يصحُّ أن يُعْلَمَ بنفسه ولا بطريقٍ-أدَّى ذلك إلى إبطالِ العُلُومِ الضرورية والاستدلالية. **أما الضروريةُ** فَأَنْ[2] يُجَوِّز العقلآء أن يكونَ بحضْرتِهم مياهٌ عظيمةٌ، ونيرانٌ مُتَأَجِّجَةٌ، وبحارٌ زاخرةٌ، مع أنهم لايعلمونها؛ لتجويزهم أنْ يكونَ هناك مانعٌ من مشاهَدَةِ ذلك سِوى الموانِعِ المعقولةِ، ولا طريقَ لهم إلى العِلْمِ بها-فيكونُ تصرُّفُهم كتصرُّفِ الضَّرِيرِ والمعتُوه. **وأما الاستدلالية** فبأن يجوِّزوا أنَّ ما دَلَّ الدليلُ على نَفْيه فهو ثابتٌ بدليلٍ آخَرَ لا يعلمونَهُ ولا طريقَ لهم إلى العِلْمِ به، ومتى جوَّزوا ذلك لم يصح منهم أن يعلموا إثباتَ علَّةٍ لمعلُولٍ، ولا ضِدَّ لمضآدٍّ ولا فِعْلٍ لفاعل، إلى غير ذلك من الجهالات، وإنما قلنا:بأن كلما أدى إلى ذلك وجب نَفْيُه؛ لأنه متى لم يَجُزْ في العلوم الضرورية والاستدلالية أن تكونَ جهالاتٍ محضةً- لم يَجُزْ إثباتُ ما دَلَّ على ذلك ووجب

---

(١) في (ب) و (د): كثيرين . والأولى كثير، مثل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.
(٢) في (ب): إن شرطية جوابها ((فيكون))، وكان المفترض أن يجزم، والأصح أن.

نَفْيُه؛ فثبت بذلك الموضعُ الأولُ وهو في الدلالة على أنه تعالى لا ثانيَ له في القدم.

وأما الموضع الثاني:وهو في الدلالة على أنه تعالى لا ثـاني لـه يـشاركه في الإلهية؛ فالذي يدل على أنَّهُ لا ثاني له يُشَارِكُه في القِدَمِ يَدُلُّ أيضًا على أنَّهُ لا ثانيَ له في الإلهية، ويدل على ذلك أيضًا أنه لو كان معه إلهٌ ثانٍ لَوَجَبَ أن يكونَ قادرًا على جميع أجناس المقدُورات، عالِمًا بجميع المعلومات، غنيًا عن كل شـيء مـن الْمُقَبَّحَاتِ والْمُحَسِّنَاتِ، وذلك لا يجوز. وإنما قلنا:بأنه لو كان معه إلهٌ ثانٍ لوجب أن يكون قادرًا عالِمًا غنيًّا على الحد الذي ذكرناه؛ لأن الإلهَ مَنْ تَحِقُّ له العبـادةُ، ولا تَحقُّ له العبادة إلا بأن يكون على هذه الأوصاف، وإنما قلنا:بأن الإلهَ مَنْ تَحِقُّ له العبادةُ، بدليل أنَّه لا يجوزُ أن يُثبَتَ ذلك بأحد اللفظين ويُنفَى بالآخَر، فلا يصح أن يقال:هو إلهٌ ولا تَحِقُّ له العبادةُ، أو تَحِقُّ له العبادةُ وليس بإله، بل يُعَدُّ مَنْ قـال ذلك مُناقِضًا، وعلى هذا لَمَّا اعتَقَدَ الكفَّار من أهل اللغة أنَّ الأصنام تَحِقُّ لها العبادةُ وصَفُوها بأنَّها آلهةٌ، واعتقادُهم هذا وإن كان فاسدًا فإنه لا يمنع من صِحَّة التَّسْمِيَة؛ لأهم أهلُ اللغة، وقد وَضَعُوا هذا الاسمَ لِما تَحِقُّ له العبـادةُ. فوضْـعُهُم الاسـمَ صحيحٌ[1]، ولا عبرة باعتقادهم؛ لأنَّ الْغَرَضَ أن تُؤْخَذ عنهم الألفاظُ دونَ المعـاني والاعتقادات؛ لأنَّ ذلك لا يَخُصُّهم، بل يَتْبَعُ العقولَ والْحُجَجَ، ولا يصح قَولُ مَنْ قال:إنَّ الإله هو مَن يَسْتَحِقُّ العبادة؛ لأن ذلك يُـؤدي إلى أن لا يكـونَ إلَهًـا في الأزل، وذلك مُحَالٌ؛ فثبت أن الإله مَنْ تَحِقُّ له العبادةُ، وإنما قلنا:إنَّه لا تَحِقُّ لـه

(١) ينظر مختار الصحاح ص٢٣. ولسان العرب ٤٦٧/١٣. والتاج ٧/١٩.

العبادة إلا بأن يكونَ على هذه الأوصاف؛ لأن العبادة هي غايةُ التذلُّل والخضوع والتعظيم للمعبود، فيجبُ أن لا تُستَحقَّ إلاَّ على أصول النعم وأجلِّها؛ لأن التعظيم يتزايدُ بحسبِ تزايدِ أسبابِه؛ ولهذا لا يحسن مِنَّا أن نُعظم الأبناء على حد تعظيم الآباء، ولا الآباء على حد تعظيم العلماء، ولا العلماء على حد تعظيم الأئمة ، ولا الأئمة على حد تعظيم الآنبياء، فإذا كان التعظيم يتزايد بحسب تزايد أسبابه، وثبت أن العبادة غاية التذلُّلِ والخضوع للمعبود-ثَبَتَ أنها لا تُسْتَحَقُّ إلاَّ على أصول النعم وأجلِّها، وهو إيجادُ المعدوم، وجَعْلُه حيًّا، وخَلْقُ حياتِه[1]، وخلق شهوته، وتَمكِينُه من المشتهى[2]، وإكمالُ عقله الذي يُمَيِّزُ به بين الحسَنِ والقبيح، وذلك لا يصحُّ إلا ممن كان قادرًا على جميع أجناس المقدورات عالِمًا بجميع المعلومات، ولا تكون نِعَمًا إلا متى قُصِدَ بها وجهُ الإحسان، ولا نَعْلَمُ أنه قُصِدَ بها وجهُ الإحسان إلا متى علمنا كونَه عَدْلاً، ولا نَعْلَمُ كونه عدلاً إلا متى عَلِمْنَا كونه غنيًا، فَثَبَتَ ما قلناه من أنه لو كان معه إلهٌ ثانٍ لوجب أن يكونَ عالِمًا بجميع المعلومات، قادرًا على جميع أجناس المقدورات، غنيا عن كل شيءٍ وإنما قلنا بأن ذلك لا يجوز لوجهين:

أحدهما:أن ذلك يُؤدِّي إلى مقدُورٍ بين قادِرَينِ؛ لأنَّا لا نعني بمقدورٍ بين قَادرَينِ إلا أنه يصح مِن كُلِّ واحد منهما[3] إيجادُ ما يصح من الآخَرِ إيجادُه، ولا شك أنَّهما على القول بإثباتهمًا جميعا قد اشتركا في أنَّ كل واحد منهما قادرٌ لذاته، فلا

---

(١) والمراد الحياة المدركة المتحركة .
(٢) في (ب) ، و (ج): المشتهيات.
(٣) في (ب): من كل قادر منهما.

اختصاصَ لذاتِه بمقدورٍ دون مقدورٍ على ما تقدم تفصيله، فثبت أنـــه يـــؤدى إلى مقدورٍ بينَ قَادرَيْنِ، وإنما قلنا بأن مقدورًا بين قادرين مُحالٌ؛ لمـــا قـــدمنا ذِكْـــرَهُ والدلالة عليه أَوَّلاً.

الوجه الثاني:أن ذلك يؤدى إلى القول بوجوب صحة التمانع بينهما، ولا يجوز أن يصح بينهما التمانع ، **وإنما قلنا:**بأنه يؤدي إلى وجوب صحة التمانع؛ لأنَّ كـــل قادرين يصحُّ بينهما التمانع والاختلاف؛ لأنا لا نعنى بصحة التمانع إلا أنه يـــصحُّ من كل واحد منهما إيجادُ ضدٍّ ما يصح من الآخَرَ إيجادُه، وقد ثبت أنَّ كل واحد من القَادرَينِ يتعلق كونُه قادرًا بالضِّدَّينِ كالحركة والسكون ونحو ذلك، على مـــا نُبَيِّنُهُ إن شآء الله تعالى في فصل الاستطاعة، فوجب أن يصحَّ من كل واحـــد مـــن القادرينِ إيجادُ كل واحد من الضِّدَّينِ بَدَلاً عن صاحبه؛ لإشتراكهما في الـــصفات التي قدمنا ذِكْرَها، وإلا بطل كونُه قادرًا عليه، و لم ينفصِلْ حالُه عن حال العـــاجز، بل هذه القضيةُ ألزَمُ في القديمين والإلهين، إذْ كُلُّ واحدٍ منهما قادرعلى جميع أجناس المقدورات، ومِنْ كل جنس، في كل وقت، على ما لا نهاية له، فيجب أن يصحَّ من كل واحد منهما إحداثُ ضِدَّ ما يصحُّ من الآخَرَ إحداثُه؛ لأنَّ المتضاداتِ داخلةٌ في جميع أجناسِ المقْدورات، وَلسنا نعنى بإمكانِ التمانع بينهما إلا ذلك. **وإنما قلنا:**بأنه لا يجوز أن يصحَّ بينهما التمانُع؛ لأنَّا لو قَدَّرْنا وقوعَ هذا الممكنِ وهو أن أحـــدهما أراد تحريكَ جسمٍ في حالٍ ما يُريدُ الآخَرُ تسكينَه لم يَخلُ الحالُ من أمورٍ ثلاثة:

إمَّا أن يُوجَدَ ما أراداه جَميعًا فيكونَ مُحْتَرِكًا ساكنًا في حالةٍ واحدةٍ، وذلك

محال. **وإمَّا** أن لا يُوجَدَ مُرَادُهما جميعًا فذلك لا يجوز؛ لأنه يؤدي إلى عَجْزِهِما جميعًا وخروجِهما عن كونهما قديمين في حالةٍ واحدة وذلك محال. **وإما** أنْ يُوجَدَ مُـــرَادُ أحدِهما دونَ الآخَرِ فهذا باطل؛ لأنهما على هذا القول قد اشتركا في صفاتِ الذَّات فَلاَ مُخَصِّصَ بذلك لأحدهما دونَ الآخَرِ. وقد أدى إلى هذه الْمُحَـــالاتِ القـــولُ بصحة التَّمانع، وأدَّى إلى القول بصحة التمانع القولُ بالقديم الثاني والإله الثاني، أو بأكثرَ من ذلك؛ فيجب أن يكون مُحَالاً، فلم يبق إلا أنه تعالى واحد لا ثاني لـــه في القِدَمِ ولا في الإلهية.

وأما الموضع الرابع:وهو فيما يؤكد ذلك من أدلة السمع؛ فعلى ذلك أدلةٌ-

مِنهَا:أن المعلوم ضرورةً من دين نبينا محمد الأمين صلواتُ الله عليـــه وعلـــى آلـــه الأكرمين أنَّ الإله واحد لا ثانيَ له، ولا قديمَ غيرُه. بل هو المعلوم من ديـــن جميـــع الأنبيآء المرسلين(١) ضرورة، فلا يجوز القولُ بخلافه. **وَمِنهَا**:ما نبّه الله تعالى عليه من دليل التَّمانع، وهو قوله تعالى:﴿مَا اتّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذاً لّذَهَبَ كُلّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون:٩١] تنبيه على الممانعة والمغالبة التي ذكرناها وبَيَّنَّا وجْهها، وكذلك

قوله تعالى:﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاّ اللّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبيا:٢٢]؛ فإنه تنبيهٌ على مـــا ذكرنا من التمانع. **ومِنهَا**:قوله تعـــالى:﴿وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ ﴾، وقولـــه تعالى:﴿فَاعْلَمْ أَنّهُ لاَ إِلَهَ إِلا اللّهُ ﴾ [محمد:١٩] وقوله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ ﴾ إلى

---

(١) في (ب) ، (ج): والمرسلين.

أخر السورة، وقول الله تعالى:﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ الْحَيّ الْقَيّومُ ﴾ [البقــرة:٢٥٥] وقوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، وقوله تعالى:﴿إِنّمَآ يُوحَىَ إِلَيّ أَنّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٨].

فثبت أنه تعالى واحد لا ثانيَ له يُشاركه في القِدَمِ ولا في الإلهية، وبطل ما ذكره المخالفون، فثبت بجميع ما تقدم أنه تعالى لا يَخْرُجُ عن صفة من الصفات بل يجب اختصاصه دائمًا بالنفي مِنها والإثبات؛ لِمَا ثبت بما تقدَّم مِنْ أَنَّهُ لا فاعلَ له يَجعلُـــه على هذه الصفات، ولا عِلَّةَ تُؤثِّر فيه في حالةٍ من الحالات، فكانت واجبةً لله تعالى، واستغنى بقِدَمِه عن كل مُؤَثِّر من فاعل وعلة، ولزم ثبوتُها في جميع الأحوال؛ لأنه لا مخصص يخصص ثبوتها في حال دون حال؛ فلزم ثبوتها في جميع الأحوال، وقد قـــال تعالى:﴿وَهُوَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]، وقال تعالى:﴿وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٢٠].

وَخَرَجَتْ أيها المسترشدُ باعتقاد ما تَقَدَّمَ عن اعتقادات الباطنية، وَالْمُـــشَبِّهة، والكرَّامية، والأشعرية، والهشامية[(١)]، والضرارية، وسآئر الصفاتية، وزايلتَ المجوسَ، والثَّنَويةَ، والنصارى:النسطورية[(٢)]، واليعقوبية[(٣)]، والْمَلْكِية[(١)]، وبتمام الكلام في هذه

---

(١) أصحاب هشام بن الحكم المتوفي ٢٧٩هـــ، من متكلمي الشيعة الإمامية، وجرت بينه وبين أبي الهـــذيل مناظرات في علم الكلام.

(٢) أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه. الملـــل والنحـــل ٢/٦٤ بهامش ابن حزم.

(٣) اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب، وهي فرقة من النصارى قالوا بالأقاليم الثلاثة إلا أنهم قالوا انقلبت الكلمـــة لحما ودما، فصار الإله والمسيح، وهو الظاهر بجسده بل هو هو. الملل والنحل للشهرستاني ٢/١٦ بهـــامش ابن حزم.

المسآئل كَمُلَتْ مسآئلُ التوحيد، فلنتكلم في مسآئل العدل وما يتفرع عليها فنقول وبالله التوفيق:

(١) الملكائية:أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم، واستولى عليها ومعظم الروم ملكائية. ينظر الملـــل والنحـــل ٦٢/٢ بهامش ابن حزم.

فَصْلٌ:

نعتقد أن الله عَدْلٌ حكيمٌ.

والكلامُ في ذلك يقع في سِتَّةِ فصول:

أحدها: في معنى العدل. **والثاني:** في تعـيين الأفعـال وَقِـسْمَتِهَا وَحَـصْرِهَا. **والثالث:** أنَّ في الأفعال مَا لَوْ فعلَه الله تعالى لكان قبيحا. **والرابع:** أنَّه تعـالى قـادر على فعل القبيح. **والخامس:** أنَّه تعالى لا يفعل القبيح، ولا يُخِلُّ بالواجب، وأفعالـه كلها حسنة. **والسادس:** فيما يلآئم ذلك من الأدلة الشرعية.

أما الفصل الأول: وهو في معنى العدل

فهو في أصل اللغة: مَصْدَرٌ مِنْ عَدَلَ يَعْدِلُ عَدْلاً، وهو إنصافُ الغير بِفِعْلِ مـا يَجِبُ له أو يَسْتَحِقُّ، وَتَرْكِ ما لا يُسْتَحَقُّ عليه، مع القُدْرة على ذلك.

وهو في عرف اللغة: الْمُكْثِرُ من فِعْلِ العَدْل، يقال: فلان عَدْلٌ إذا أكْثَرَ من فِعْلِ العَدْل، قال زهير:

مَتَى يَشْتَجِرْ قومٌ يَقُـلْ سَـرَوَاتُهم **هُمُ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضىً وَهُمُ عَدْلُ**[1]

وهو في عُرف الشَّرعيين: المستمرُّ على فِعْل الواجبات، والكَآفُّ عن المقبَّحـات والمباحات الْمُسَخِّفَات[2]، صحيحُ الاعتقاد، والمرادُ بذلك كلِّه في ظاهر الحال؛ لأنا لم نُتَعَبَّدْ بباطنه. واشترَطْنَا صحةَ الاعتقاد في الظاهر؛ لأن العدالـةَ هـي صـحةُ

---

(١) ديوانه ص٤٠. **والمعنَى:** إذا اختلف قوم في أمْر رضوا بحكم هؤلاء لِمَا عُرِفَ مِنْ عَدْلِهِمْ.
(٢) في (ب) و (ج): المستَخَفَّات، وما في الأصل أظهر.

الاعتقاد، والعملُ بمقتضاه[1].

وهو في اصطلاح المتكلمين: الذي لا يفعلُ القبيحَ ولا يُخِلُّ بالواجبِ، وأفعالُه كلُّها حَسَنَةٌ.

وأما الفصل الثاني:

وهو في تعيين الأفعال الداخلة في أبواب العدل ومعانيها، وقسمتها، وحصرها.

أمَّا تعيينُها فهي القبيح والحسَنُ. والحسن يشتمل على: الواجب والمندوب والمكروه والمباح.

وأمَّا معانيها فالقبيحُ: هو ما ليس للقادر عليه، المتمكِّنِ من الاحتراز منه أن يفعلَه. **والحسنُ:** هو ما للقادر عليه أن يفعله. **والواجبُ:** هو ما ليس للقادر عليه الاخلالُ به على بَعضِ الوجوه. **والمندوبُ:** هو ما عُرِّفَ فاعلُه أو دَلَّ على أنه يَسْتَحِقُّ بفعله المدحَ. **والمكروهُ:** هو ما عَرَفَ فاعلُه أو دَلَّ على أنه يَتَرَجَّح تَرْكُه على

(١) ينظر حول ذلك كتابنا عدالة الرواة والشهود ص٢٠ وما بعدها.

فعله، وهذا يخص الشرعيات دونَ العقليات؛ فإنه لا مكروه في العقل إلا القبيحُ دونَ الحسنِ. **وأما المباح:**فهو الذي لا يترجَّح تَرْكُه على فِعْلِه، ولا فِعْلُه على تركه.

وأما قسمتُها وحَصْرُها فالفعلُ لا يخلو أن يكون للقادر عليه المتمكِّنِ من الاحتراز منه أن يفعَله أم لا، إن لم يكنْ فهو القبيحُ. وهو على ضربين:عقلي وشرعي؛ **فالعقلي** كالظُّلْمِ وَكُفْرِ النعمة ونحو ذلك. **والشرعي** كالربا والزنا وَشُرْبِ الخمر ونحو ذلك. وإن كان للمتمكِّنِ من الاحتراز منه أن يفعلَه فهو الحسن. ثم لا يخلو أن يكونَ للإخلال به مَدْخَلٌ في استحقاقِ الذَّمِّ أوْ لا؛ فإن كان للإخلال به مَدْخَلٌ في استحقاق الذَّمِّ فهو الواجب، وله ثلاثُ قِسَمٍ باعتبار أحكامه:

القسمة الأولى:أنه ينقسم إلى مُطْلَقٍ كالحج، وإلى مُقَيَّدٍ بوقت. وهو على ضربين:أحدهما يتَّسع للفعل ولا يزيدُ عليه، وذلك كاليوم في الصوم. والثاني يتَّسع للفعل ولغيره، وهو على ضربين:موسَّعٍ كالصلاة في أوَّل وقتها، ومضيَّقٍ كالصلاة في آخر وقتها.

القسمة الثانية:ينقسم إلى مُعَيَّنٍ كالواجبات على الأعيان نحو الصلوات الخمس وما أشبهها، وإلى غير مُعَيَّنٍ كالواجبات على الكفاية نحو صلاة الجنازة وما أشبهها.

القسمة الثالثة:أنه ينقسم إلى ما لا بَدَلَ له، وإلى ما له بَدَلٌ؛ فالذي لا بَدَلَ له نحو معرفة الله وما أشبهها. والذي له بَدَلٌ ضربان:أحدهما له بَدَلٌ مرتَّب، وهذا كالتيمم في كونه بَدلاً عن الوضوء. والثاني له بَدَلٌ غيرُ مرتَّب وهو الواجبات المخيرات، وهو على ثلاثة أقسام:

أحدها:أن يكون التخييرُ بين أمور متضآدَّةٍ، وهذا كالأمر بالـصلاة في بِقَـاع المسجد؛ فإنها متضآدَّةٌ لتغاير الجهات. **والثاني:**أن يكونَ التخييرُ بينَ أمورٍ مختلفـة، نحو التخيير بين الكفارات الثلاث ونحو ذلك. **والثالث:**أن يكونَ التخييرُ بين أمـورٍ متماثلة، نحو الأمرِ بإخراج جُزءٍ مُعَيَّنٍ من المال، نحو العُشُرِ أو نـصفِ العـشرِ في الزكاة؛ فإنه مُخَيَّر بين إخراج أي الأقسام العَشَرة شآء ونحو ذلـك، وإن لم يكـن للإخلال به مَدْخَلٌ في استحقاق الذم فلا يخلو أن يستحق[1] بفعله المـدحُ أم لا، إن استحق بفعله المدحُ فهو كالتفضل[2] والإحسان في العقل، وهو المندوب شـرعًا، وقد يُسمى سُنَّة إذَا أكْثَر من فِعْلِه النَّبيُّ ﷺ. وإن لم يداومْ عليه ولا أكْثَرَ من فعله سُمِّيَ تطوعا. وإن لم يُستَحَقَّ بفعله المدحُ فلا يخلو أن يترجَّحَ تَركُهُ على فعله أم لا؛ فإن ترجَّح تَرْكُه على فعله فهو المكروه شرعًا نحوُ الأكلِ بالشِّمَالِ، وقد ذكرنا أنـه لا مثالَ له في العقل، وإن لم يَترجَّحَ تَرْكُه على فعله على الإطلاق فهو المباح. فمثالُ الواجب من فعل الله تعالى التمكينُ واللُّطف. ومثالُ المنـدوب العَفْـوُ والتفـضُّل والإنعام. ومثال ماهو من جِنْسِ المباحِ العقابُ والذمُّ.

وأما الفصل الثالث:

وهو أن في الأفعال ما لو فعله الله تعالى لكان قبيحا[3]

فالذي يدل على ذلك أن الأفعال تَقْبُحُ لوجوه تقع عليهـا، فَمِـنْ أيِّ فَاعـلٍ

---

(١) يجوز البناء للفاعل والمفعول .

(٢) في (ب):فهو التفضل .

(٣) في (ب) ، (ج): قبحا.

وُجِدَتْ على بَعضِ تلك الوجوه وجب كونها قبيحة، وإنما قلنا بأن الأفعال تَقْـــبُحُ لوجوهٍ تقع عليها؛ لأن القُبْحَ ثابتٌ في الأفعال خلافا للفلاسفة الضُّلال وَمَنْ وافقهم من متأخري الأشعرية الجهَّال؛ فإنهم يذهبون إلى نَفْيِ الْحُسْنِ والْقُبْحِ عن الأفعال[(١)]، ويقولون:إنَّ ما يُسْتَنْكَرُ من ذلك من باب المشهورات والمقبـــولات والمتخَـــيَّلات، مِمَّا[(٢)] يُؤَيِّدُهَا نفورُ النفس والإلفِ والعادة. وذهبت الجبريةُ الْقَدَرِيَّةُ إلى أن الأفعال تَقْبُح مِنَّا لكوننا منهيين، أو مملوكين، أو مربوبين، أو مُحْدَثِين. وإذا أردنا ذلـــك[(٣)] تكلمنا في موضعين:أحدهما في الدلالة على إثبات القبح في الأفعال؛ والذي يـــدل على ذلك أن العقلآء يعلمون بعقولهم التفرقةُ بين المحسنِ وبين المسيء؛ فإن التفرقةَ بين مَنِ اصطفى الأموالَ وسفكَ الدمآءَ، وبينَ مَنْ أرشد الضَّال، وأطعـــم الجـــائعَ، وهدى إلى السبيل، وأَمَّنَ الطريقَ، وتفضَّل على المحتاجين بالأموال-معلومةٌ ضرورةً، يشتركُ[(٤)] في معرفة ذلك العقلآء كلُّهم مَنْ أَقَرَّ بِالصَّانِعِ واعترف بالشرائع، ومن لم يُقِرَّ بشيءٍ من ذلك بل جحده كالملاحدة فإنها تَعْرِفُ ذلك، وهي معرفةٌ ظاهرةٌ مع اشتراك الفِعْلَينِ والفَاعِلَينِ في اللذة والألم، وكون الفَاعِلَينِ مُـــشْتَرِكَينِ في كونهمـــا مَنْهِيَّينِ، ومملوكينِ، ومَربوبَينِ، ومُحْدَثَينِ، فلم يبق إلا أن تكونَ[(٥)] التفرقةُ الحاصـــلةُ بين الفعلين هي غير ذلك، وهي الحسْنُ والقبح. وكما يعلمون ذلـــك باضـــطرارٍ،

---

(١) ينظر الإرشاد للجويني ص٢٢٨. ورسالة إلى أهل الثغر ص٢٤٦.
(٢) في (ب): بما.
(٣) في (ب): وإذا أردنا إبطال ذلك.
(٤) في (ب) ، (ج): ويشترك.
(٥) في (ب): يكون.

فإنهم يعلمون التفرقة بين مَنْ قَطَعَ يَدَهُ لا لغرض، وبين مَنْ قطعها من خَـــوفِ أن تَسْريَ إليها الجراحة فتؤدي إلى هلاكه، ويُفرِّقُون بين الفِعْلَين فَرقًا ظاهرًا حاصـــلاً بفِطْرَةِ العقل، ويعلمون أنه ممدوحٌ على قطع يده لغرض، وغيرُ ممدوح بل مـــذمومٌ على قطعها لغير غرض، مع اشتراك الفِعْلَينِ في نفور النَّفْسِ والإِلْفِ والعادة وسائرِ الوجوه التي ذكرناها، وليس ذلك إلا لعلمهم بالقُبْحِ في أحدهما دونَ الآخَرِ، وهذا أمرٌ لا يُمْكِنُ دَفعُه ولا يردُّه إلا مكابرٌ لعقله أو مَنْ هو معتوه لا عقل لـــه، فبطـــل بذلك قولُ الفلاسفة والأشعرية والقَدرية.

والموضع الثاني[1] -في الدلالة على أن القبيح يَقْبُح لوجوهٍ يقع عليها. فالذي[2] يدل على ذلك أن العقلآء يعلمون باضطرارٍ أن الأفعال تقبُح لوجوهٍ تقعُ عليها مِنْ كونها ظُلما أو كَذِبا أو تكليفًا لِمَا لا يطاق، أو تكليفا لِمَا لا يُعْلَمُ؛ ولهـــذا فـــإنَّ الواحد منا متى عَلِم وقوع الفعل على بعض هذه الوجوه عَلِمَ كونَهُ قبيحا، وإن فَقَدَ كُلَّ أمر يُشار إليه مما سوى ذلك، بدليل أنَّ الحكم يَثبتُ بثبوتِ ذلـــك، وينتفـــي بانتفائه، وليس هناك ما تعليقُ الحكم به أولى، فثبتَ ما ذكرناه من أنَّ الأفعال تَقْبُح لوجوهٍ تقع عليها. وإنما قلنا:بأن أيِّ فاعلٍ وُجِدَتْ منه على أحد[3] تلك الوجـــوهِ وجب كونُها قبيحةً؛ لأنَّ وَجْهَ القُبْحِ مع القبح جارٍ مَجْرَى العلة مع المعلول؛ فكما لا يجوزُ ثبوتُ العِلَّة بدون معلولها، كذلك لا يجوزُ ثبوتُ القُبْحِ مع انتفآءِ القُبح.

---

(١) في (ب) و (ج): وأما الموضع الثاني. وفي (ب) بزيادة وهو في الدلالة.
(٢) في (ب) ، (ج): والذي .
(٣) في (ب): حد .

وأما الفصل الرابع:

وهو أنه تعالى قادر على فعل القبيح

فالذي يدُلُّ على ذلك أنه قادر على جميع أجناس المقدورات على ما تقــدم. والقبآئحُ من جملة المقدورات؛ ولهذا فإنه يصح منا إيجادُها. فلو لم تكن من جملــة المقدورات لَمَا صَحَّ منا إيجادُها.

وأما الفصل الخامس:

وهو أنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يُخِلُّ بالواجب، وأفعالُه كلها حسنةٌ

فنحن نتكلم في كل واحد منها ليصحَّ قولنا:إنَّه تعالى عدل حكيم. **أمَّــا** أنَّــه تعالى لا يفعل القبيح فلأنه تعالى عالِم بِقُبْحِ القبيح، وغنيٌّ عن فعله، وعالم باستغنآئه عنه، وكلُّ مَنْ كان كذلك فإنه لا يفعله. وإنما قُلْنَا:بأنه تعالى عالِمٌ بِقُبْحِ القبــيح، فلِمَا بَيَّنا بأنَّه[1] تعالى عالم بجميع المعلومات. والقبآئحُ من جملة المعلومات؛ فيجــبُ أنْ يَعْلَمها.

وأمَّا أنه تعالى غنيٌ عن فِعْلها فلِمَا بينَّا أنه تعالى غني، وأن الحاجة لا تَجوز عليه في حال من الأحوال، وقُلْنا:إنَّه تعالى عالم باستغنآئه عنه، لِمَا بينا أنه تعــالى عــالم بجميع أجناس[2] المعلومات. وأجَلُّ المعلوماتِ[3] ذاتُه تعالى، فيجب أن يَعْلَمَهَا علــى

(١) في (ب):أنه .

(٢) في (ب) و (ج) و (د): بحذف أجناس.

(٣) في (ب) و (ج): وأحد المعلومان.

ما هي عليه مِنْ صفات الكمال. ومن جملة صفات الكمال كونُه غنيًا عن القبآئح، فيجب أن يَعْلَمَ ذاتَه كذلك. وإنما قلنا:بأن كلِّ مَنْ كان بهذه الأوصاف فإنه لا يفعل القبيح؛ لأنَّ عِلْمَهُ بقبحه يَصْرِفُه عن فعله من جهة الحكمة، وَعِلْمَهُ باستغنآئه عنه يقتضى أنه لا داعيَ له إليه من جهَةِ الحاجة. وَكُلُّ مَنْ خَلَص صارفُه عن الفعل، وفَقَد داعيَه إليه فإنه لايفعلُه؛ فَثَبَتَ أنه تعالى لا يفعل القبيح.

وأما أنه تعالى لا يُخِلُّ بما يجبُ عليه من[(١)] الحكمة، فينبغي أن نبين أوَّلاً ذلك الواجب، ثم نتكلم في أنه تعالى لا يُخل به. **أمَّا** الذي يجب عليه تعالى فَستَّةُ أمورٍ:وهي التمكينُ للمكلفين، والبيانُ للمخاطَبين، واللطفُ للمتَعَبَّدِينَ، وقُبولُ توبةِ التآئبين، والثوابُ للمطيعين، والعِوَضُ لِلْمُؤْلَمِينَ.

والذي يدل على وجوبها على الله تعالى يدخل في اثنآء المسائل فلا نُطَوِّل بذكره هاهنا. والذي يدل على أنه تعالى لا يُخِل بشيء من هذه الأمور أنه تعالى عالِم بقبح الإخلال، وعالم باستغنآئه عن الإخلال بها، على نحو ما تقدم، وكلُّ مَنْ كانت هذه حالُه فإنه لا يُخل بشيء منها على ما تقدَّم تحقيقه، حيث بيَّنا أنه تعالى لا يفعل القبيح.

وأمَّا أن أفعاله كلَّها حَسَنَةٌ فلأنه تعالى عالِمٌ بما يفعلُه من الأفعال، فلا يخلو أن يكونَ قبيحًا أو حسنًا. باطلٌ أن يكونَ قبيحًا لِمَا بَيَّنَّا أنه تعالى لا يفعلُ القبيح ولم يبق[(٢)] إلا أن يكون حَسَنًا؛ فَثَبَتَ أنَّ أفعالَه كلَّها حسنةٌ.

---

(١) في (ب) و (ج): في.
(٢) في (ب) و (ج): فلم يبق.

وأما الفصل السادس:

وهو فيما يلآئم ذلك من الأدلة الشرعية، فيدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب:فمن ذلك قوله تعالى:﴿إِنّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَىَ وَيَنْهَىَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠]، وقوله تعالى:﴿إِنّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨]، وقوله تعالى:﴿إِنّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً وَلَـَكِنّ النّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس:٤٤]، وقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـَكِن كَانُوَاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىَ حَتّىَ يَبْعَثَ فِيَ أُمّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنّا مُهْلِكِي الْقُرَىَ إِلاّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، وقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىَ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧]، وقوله تعالى:﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبّكَ أَحَداً ﴾ [الكهف:٤٩]، وقوله تعالى:﴿إِنّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرّةٍ ﴾..الآية، [النساء:٤٠]، وَنَظَائِرُهَا في القران كثير.

وأما السنة:فقوله ﷺ:((يقول الله عزوجل:إنِّي حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، وجعَلْتُه بينكُم مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا يَاعِبَادِي))[(١)].

وروي عن عبدالله بن عُمَر أن رسول الله ﷺ قال ((سَبَقَ الْعِلْـمُ، وَجَـفَّ

(١) أمالي أبي طالب ٣٩٧. وسنن البيهقي ٦/٦٣. وأحمد رقم ٢١٤٧٧ بالمعنى.

الْقَلَمُ، وَتَمَّ القضآءُ بتحقيقِ الكتاب، وَتَصْدِيقِ الرُّسُل، والسَّعادةِ مِنَ الله لِمَنْ آمَـــنَ به، والشقآءِ لِمَنْ كَذَّبَ وَكَفَرَ. وبالولاية من الله للمؤمنين، والبرآءة منه للمشركين، وبالتوبةِ لهم إن تَابُوا وآمَنُوا كما أمرهم الله)) [1] إلى غير ذلك من السنة. **والمعلـــومُ** ضرورةً، من دين نبينا محمد ﷺ أن الله تعالى عَدْلٌ حكيمٌ لا يفعلُ القبـــيحَ ، ولا يُخِلُّ بالواجب وأنَّ أفعالَه كُلَّها حسَنَةٌ.

وأما الإجماع:بين المسلمين فذلك ظاهر لا يدفعُه إلا مُكَابِرٌ.

فصل :ونعتقد أنا فاعلون لتصرفاتنا

والكلام في ذلك يقع في خمسة مواضع:**أحدها**:في حقآئق هذه الأمـــور الـــتى تضمَّنها الكلام بيننا وبين المخالفين، وهي الفِعْل والفاعـــل والكَـــسْبُ والمباشِـــرُ والمتولِّد. **والثاني**:في حكاية المذهب وَذِكْرِ الْخِلاف. **والثالث**:في الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالفون. **والرابع**:فيما يلائم ذلك ويدل عليـــه من جهة السمع. **والخامس**:فيما يستدل به المخالفون من الآيات المتشابهة، وبيـــان معانيها التي تَجوزُ فيها.

أما الموضع الأول:وهو في حقائق الأمور التى ذكرناها. فالفعلُ:هو ما وُجِـــدَ من جهة مَنْ كان قادرًا عليه. وقولُنا:كَانَ؛ لئلا يَبْطلَ بالْمُسَبِّبِ الذ ي يوجد بعـــد خُرُوج فاعله عن كونه قادرًا. والفاعل:هو الذي وُجدَ مِن جهته بعضُ مـــا كـــان قادرًا عليه. وقُلنا:((**بعضَ**))؛ لأنَّ الفاعل يكون فاعلاً وإن لم توجـــد منـــه جميـــعُ

---

(١) أخرجه أحمد بن عيسى في الأمالي ٣/٣٣٠.

مقدوراته. وقُلنا:كَانَ، احترازًا عما تقدم في الفعل.

وأما الكسبُ:فالمعقولُ منه عند أهل اللغة هو إحداثُ الفعل لطلبِ نَفْعٍ يعود إلى الفاعل، أو لدفع ضَرَرٍ عنه، وعلى هذا لا يجوز تسميةُ القديم تعالى مكتَسبًا لاستحالة المنافع والمضآرِّ عليه كما تقدم في فَصْلِ **غنيٍّ** أنه لا يجوزُ عليه المنفعةُ والمضرة. **وأما المباشِرُ**[1]:فهو الفعل الذي يوجَدُ بالقُدْرةِ في محلها ابتداءً. **وأمَّا الْمُتَوَلِّدُ:**فهو الفِعْلُ الذي وُجِدَ بِحَسَبِ فِعْلٍ آخَر على جهة الإيجاب.

وأما الموضع الثاني:وهو في حكاية المذهب وذكر الخلاف. فذهب المسلمون إلى أنَّ العبدَ فاعلٌ لتصرفاته دونَ الله تعالى، وهذا هو مذهب جميع النبيئين وصحابتهم أجمعين. والخلافُ في ذلك مع القَدَرية. فذهبت الْجَهْمِيةُ منهم[2] إلى أنها من الله تعالى مبتدأَةٌ كانت أو متولّده. وذهبت الأشعرية إلى أنَّها من الله تعالى، والعبادُ مكتَسبُون لها[3]. وذهب ضرار ابن عمرو[4] إلى القول بَالْكَسْب، إلا أنه يقول:إنَّ العبادَ مكتسبون للمبتدإ منها دون المتولد. وذهبت الْمُطَرَّفِيَّةُ[5] إلى أنَّ

---

(١) المباشر مثل رمي الحجر. والمتولد ما تولد منه الفعل، وهو الأثر الذي يحدثه الحجر.

(٢) الجهميةُ:هم أصحاب جهم بن صفوان قالوا:بأن الإنسان وعمله من فعل الله كشجرة في مهب الريح وقلم في يد كاتب وهم المجبرة الخلص. ينظر الملل والنحل للشهرستاني ٨٦/٢. ورسائل العدل والتوحيد ص٣٤٨. والقضاء والقدر للرازي ص٣١. وعدالة الرواة والشهود للمحقق ص١٧٢.

(٣) ينظر القضاء والقدر ص٣٢ .

(٤) ضرار بن عمرو:وإليه تُنسب الضرارية، كان ظهوره في أيام واصل بن عطاء ، وله كتاب اسمه التحريش .

(٥) ((الْمُطَرَّفِيَّة)) هم أصْحَابُ مُطَرَّف بن شهاب، فارقوا الزيدية بمقالات في أصول الدين، مثل قولهم:إن كثيرا من أفعال الله ليس بحكمة ولا صواب ونحوها. كفَّرهم كثير من الزيدية بها. وقد انقرضت هذه الفرقة بسيف الإمام المنصور عبدالله بن حمزة عليه السلام عام ٦١١هـ. ينظر ١٣٨/١ من الأساس الكبير للسيد أحمد الشرفي.

العبادَ فاعلون لكل مالايتعدى من أفعالهم، ويُطلقون على ما هذه حاله أنـــه فِعْـــل العبد، ويقولون:إنَّ كلَّ ما يتعدى من أفعـــالهم إلى غيرهـــم وهـــي[1] المتولِّـــدات والمسبِّبَات فإن الله فاعلُها، وهو الذي يسمونه انفعالاً. ومِنَ الظاهر الجلـــي أنَّهـــم يقولون:بأن فِعْلَ العبد لا يعدوه ولا يوجدُ في غيره.

وأما الموضع الثالث:

وهو في الدليل على صِحَّةِ ماذهبنا إليه، وفساد ما ذهب إليه المخالفون.

فاعْلَم أنَّ كونَ العبد فاعلاً لتصرفاته أمْرٌ معلوم بالاضطرار، لا يقدح في ثبوته الإنكارُ؛ فَمُنْكِرُهُ كمنكر كونِ دِجلة في الأنهار، ونافيه كَنَافِي ظُلْمَةِ الليل وضـــيآء النهار. وما هذه حالُهُ لا يحتاجُ فيه إلى نَصْبِ دلالةٍ؛ لأن الدَّلاَلَةَ تؤدى إلى عِلْمـــش استدلاليٍّ، وهو مما يجوز انتفاؤه[2] عن النَّفْسِ بالشك والشُّبْهَةِ. والضروريُّ لا يجوز انتفاؤه[3] عن النفس بشك ولا شبهة. وقد أَلْهَمَ الله تعالى البهآئمَ ضَرْبًا من الإلهـــام يُمَيِّزُون[4] به بين الفَاعِلِينَ للأفعال؛ فإن فَاعِلَين لو أَحْسَنَ أحدُهما إلى بعضِ الكلاب بالطعام ونحوه. والفاعلُ الآخَرُ لا يطعمه الطعام، ويرميه بالحجارة ونحو ذلك مـــن الإسآءات لَمَيَّزَ الكلبُ بينَ الْمُحْسِنِ والمسيءِ في ذلك، وَلَفَرَّقَ بينهما. يُبَيِّنُ ذلـــك وَيُوَضحه أنَّ الكلب يَأْنَسُ بمن يُطعمه الطعام، وإذا رآه أتى إليه، وتبصْبَصَ بِذَنَبِـــه،

---

(١) في (ب): وهو.

(٢) في (ب): ابتعاده.

(٣) في (ب): ابتعاده.

(٤) في (ب): تميز.

بخلاف مَنْ يُسيِءُ إليه، فإنه لا يَأْنَسُ إليه[(١)]، بل يَهِرُّ عليه إذا رآه، فإنْ[(٢)] قَدَرَ عليه هَرَشَهُ، وإنْ لَمْ يَقْدِرْ عليه شَرَدَ مِنْهُ.

فَالْعَجَبُ من هولآء الْجُهَّالِ كيف نَفَوا الضروريات، واعتمدوا على التخيُّلات وَالْوَهْمِيَّاتِ. ثُمَّ يُقال لهم على جهة التنبيه:إنَّ هذه الأفعالَ التي نقول بأنها أفعالُنا يتعلق بها المدحُ، والذمُ، والتهديدُ، والنهي، والأمر، والردع، والزجر، والوَعْدُ، والوَعِيدُ، على ما ذلك معلومٌ ضرورةً. فكل[(٣)] ما هذه حالُه فهو فِعْلُنَا بدليل أنها لو لم تكن فِعْلَنَا لجرت مَجْرى أفعالِ الله فينا، نحو أَلْوَانِنَا وصُوَرِنَا، فكما أنه لا يتعلَّقُ بها شيءٌ من هذه الأمورِ، كذلك كان يَجِبُ في أفعالنا؛ ولأنها تحصلُ بِحَسَبِ قُصُودنا ودواعينا وقُدَرِنا وعلومنا وإرادتنا وأسبابنا، وتنتفي بحسب كراهتنا وَصَارِفِنَا مع سلامة الأحوال، وارتفاع الموانع، إما مُحَقَّقًا نحو فِعْلَ العالِم بفعله، وإمَّا مُقَدَّرًا نحو فِعْل الساهي والنآئم، فلولا أنها أفعالنا لَمَا حَصَلَتْ بحسب ذلك، كما لا تَحصل بِحَسَبِهِ أفعالُ غيرنا فينا، نحو ماتقدم ذكره من الألوان والصُّوَر والشَّوَاهَةِ والْحُسْنِ وَالْقِصَرِ والطُّول.

واعلم أن مذاهب هولآء الْجُهال القدَرِيَّة الضُّلال يؤدي إلى زَوالِ الفآئدة بِبِعْثَةِ الأنبيآءِ، وإرسال الرُّسل الأصفيآء، وإلى زوال التفرقة بين الأعدآء والأوليآء، بل يَسُدُّون على أنفسهم بابَ معرفة الله تعالى لأنهم لا يقولون بالفاعل المختار في

(١) في (ب) ، و(ج): لا يأنس به.
(٢) في (ب): وإن.
(٣) في (ب) ، (ج): وكل.

الشَّاهِد، ولا طريقَ إلى معرفةِ الله تعالى إلا فعلُه[1]، فلا طريقَ إذن. وكفى بـــذلك جهالةً وغواية وضلالة.

وأما الكَسْبُ فهو غيرُ معقول في نفسه فَنَحْتَجُّ على فسادِهِ، بل يكفي في فسادِهِ في نفسِهِ كونُه غيرَ معقول[2].

---

(١) على قول من يقول:لا طريق إلى معرفة الله إلا بالقياس على الشاهد؛ أي أنه لابد لكل فعل من فاعل، بل صرح أبو هاشم أنه لا طريق إلى معرفة الله إلا القياس على الشاهد.

(٢) حتى عند الأشعرية أنفسهم فقد خبطوا في حقيقته. وقد أنشد المقبلي في الأرواح النوافح ص٢٨٣ هـــذه الأبيات:

إنَّ سِـــــــــينَ الكَـــــــــسْبِ ذالٌ		كَـــــذَبُوا مــــن غـــــير نيَّـــــة
هكـــــــذا قـــــــالوا، وعنـــــدي		غـــــــــيرُ ذا للأشـــــــــــعرية
جحـــــــدوا عقـــــــلاً وشـــــرعًا		وافتـــــــرَوهُ عـــــــن رويَّـــــة
صـــــــــــدقوني أو فقولـــــــــوا:		ليـــــست الـــــشمسُ مـــــضيَّة
مـــــن يناضِـــــلْني؟ أُنَاضِـــــلْ		بـــــــالطروس الأحْوَذِيَّـــــــــة
أو يبـــــــــــاهلني؟ أباهـــــــــل		بالـــــــــــسمات الأحمديَّـــــــــة
فعـــــــلام اللـــــــــوم؟ قـــــل لي		لـــــــيس في الـــــــدين دنيَّـــــة
داهـــــــن القـــــــوم لعمـــــري		نـــــــدموا عنـــــــد المنيَّـــــة
غـــــــيرُ ســـــــخط الله ســـــــهل		إ نمـــــــا تلـــــــك الرزيَّـــــة
وعلـــــــــــى الله توكلـــــــــــــ		ـــــــت فـــــلا أخـــــشى البليَّـــــة

وأما الموضع الرابع :وهو فيما يلآئم ذلك من أدلة الشرع:

فالذي يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب- فقول الله سبحانه:﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ❖ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء:١٤٩- ١٥٠] وقول الله تعالى:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ❖ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء:١٢٨-١٣٠] إلى غير ذلك من الآيات التى أضَافَ فيها إلى العبادِ أفعالَهم فقال:تفعلون، وتكسبون، وتخلقون إفكًا .

ونظآئر ذلك كثيرٌ في كتاب الله تعالى.

وأما السنة-فكثير نحو **ما رُوينا** عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال:((لو أنَّ جميعَ أمَّةِ محمد اشترَكُوا في دَمِ رجلٍ مؤمن لكان حَقًّا على الله أنْ يُدْخِلَهُم النَّارَ))[(١)] ، **ورُوينا** عن الحسن أنه قال:((لو اجْتَمَعَ أهلُ السماءِ وأهلُ الأرض على دَمِ رجل واحدٍ مؤمن لَكَبَّهُمُ اللهُ جميعًا في النَّارِ على وُجُوهِهِم))[(٢)] ، **وعنه** ﷺ أنه قال:((مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سبيلِ اللهِ بَلَغَ أوْ قَصُرَ كان له عِتْقُ رَقَبَةٍ))[(٣)] ، وعنه ﷺ أنه قال:((إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بالسَّهم الواحدِ ثلاثةً الْجَنَّة:عَامِلَه وحامِلَه والرَّامِيَ به في

---

(١) رأب الصدع تخريج أمالي أحمد بن عيسى ٣ / ١٤٥٥ برقم ٢٤٧١ ، والبيهقي ٨/٢٢ الجنايات ، والترمذي ٤/١١ رقم ١٣٩٨ بألفاظ متقاربة .

(٢) الطبراني في الأوسط ٢ / ١١٢ برقم ١٤٢١. و ج٩ ص٩٩ برقم ٩٢٤٢ . والترمذي ٤/١١ رقم١٣٩٨.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٨ / ١٣٤ برقم ٧٦١٠ . والبيهقي ٩ / ١٦٢.

سبيلِ الله))[(١)]، **وعنه ﷺ** وسلم فيما يرويه عن ربه عزوجل أنه قال:((يَا ابْنَ آدَمَ بِفَضْلِ نِعْمَتِي قَوِيتَ على مَعْصِيَتِي، وَبِعَظَمَتِي وعِزَّتِي أَدَّيتَ إليَّ فرآئضي، وأنـــتَ أولى بذَنْبك[(٢)] منِّى. والشَّرُّ منك إليَّ بما جَنَيتَ، فَلِيَ الْحُجَّةُ عَلَيكَ))[(٣)].

وأما الإجماع– فذلك مما لا خلاف فيه بين المسلمين.

وأما الموضع الخامس:

وهو في إيراد ما يَسْتَدِلُّ به المخالفون من الآيات المتشابهة، وبيـــان معانيهـــا المذكورة عن علمآء التفسير:فَمِنْ ذلك قولُ الله سبحانه:﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [يـــونس:٢٢]، قالوا:فأخبر أنه فاعلٌ للتسيير[(٤)]، وذلك يُوضح أنْ لا فِعْلَ للعبد. **والجوابُ**:أنَّ علمآءَ التفسير ما ذَكَرُوا شيئًا من ذلك، بل منهم مَنْ قال:معنى ﴿يُسَيِّرُكُمْ ﴾، أي يَحمِلكم بالأمْرِ على السَّيْر[(٥)]. وقيل:سَبَبُ تَسْيِيْرِكُم في البر على الظهور، وفي البحر على السفن. وقيل:تسخيرُ الجمال في البر، والرياح في البحـــر، وذلك شايع في اللُّغة كما يقول الرجل:سيَّرتُ الدآبَّةَ، وسيَّرَ الْمَلِكُ عَسْكَرَه.

ومن ذلك قـــول الله ســـبحانه:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] قالت:الْحَشْوِيَّةُ القدرية:فأضاف قَتْلَهم وَرَمْيَهم إلى نفسه، وَبَيَّنَ أَنَّهـــم لم

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل ٦ / ١١٩ برقم ١٧٣٠١. والدارمي ٢ / ٢٠٤ ، .
(٢) في (ب): بذلك.
(٣) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للعاملي ص٢٤٩ عن علي بن الحسين.
(٤) في (ب) ، (ج): فاعل التسيير.
(٥) الرازي مج٩ ج١٧ ص٧٠ . والكشاف ج٢ /٣٣٨.

يَقْتُلُوهم، و لم يَرْمِ النبيُّ ﷺ، وإنما رمى الله تعالى[1].

والجواب:أن الظاهر يقتضي ما لا يقول به مسلم، وذلك يوجب في كل قتيل أن يكونَ اللّهُ قَتَله دونَ القاتل، وذلك يوجب قَتْلَه، وهذا يُبْطِلُ كَثْرَةَ ما عــابَ اللّهُ تعالى الكفارَ بِقَتْلِ الأنبيآء والمؤمنين[2]، ويوجبُ أن يُطلقَ القولُ بأنَّ أحَدًا لم يَقْتُــلْ أحدًا، وهذا خروجٌ من الدِّين، والإجماعِ، وإبطالُ كثيرٍ من الآيات. ويوجبُ ظاهُرُ لفْظِ الآية أنَّه متناقض؛ لأنه قال:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال:١٧]، فنفى بــالأول الرَّمْيَ عنه، وأثبتَه له بالرَّمْيِ الثاني. وإذا كان الْجَرْيُ على الظاهر يؤدي إلى ما قلناه سقط التعلُّق به. وإذا وجب الرجوعُ إلى التأويــل قلنــا:إنَّ قولــه تعــالى:﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين يعني:أيُّها المؤمنون لَمْ تقتلــوا المــشركين بِحَــوْلِكم وقُوَّتِكم ﴿وَلَكِنّ اللّهَ قَتَلَهُمْ﴾ حيث سبَّبَ في قَتْلِهم بنَصْركم وَخِذْلانهم، وقَــوَّى قلوبكم، وألقى في قلوبهم الرُّعْبَ وأَمَدَّكم بالملآئكة[3].

وقيل:كانت الرياح تحمل السهام، وتُوقعها في مقاتل الكفــار. **وقيــل**:فَلَــم تُميتوهم؛ لأنَّ الموت لا يقدر عليه غيرُ الله، وأنتم جرحتمــوهم فقــط. وقولــه تعالى:﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أيُّها النبي ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنّ اللّهَ رَمَىَ﴾ اختلفوا في الرَّمِيَّــة؛ **فقيل**:قبضةٌ من تراب، قال لعلي عليه السلام:ائْتِني بكفٍّ مِنْ بَطْحَآء، فأتاهُ بكــفٍّ مــن

---

(١) متشابه القرآن ق١/٣١٧ مسألة٢٧٧. وتفسير الطبري مج٦ ج٩ ص٢٦٩ وما بعدها. والألوسي مــج٦ ج٨ ص٢٦٧ وما بعدها.

(٢) متشابه القرآن ق١ ص٣١٨.

(٣) غريب القرآن للإمام زيد ص١٤٧ ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ .. ، معناه:أن الله هو الذي أيدك ونصرك.

تراب، فرمى بها فلم يَبْقَ مُشْرِكٌ إلا وأُدخل في عينيه ومنخريه منها شيء، وكانت تلك الرَّمْيَةُ سَبَبَ الهزيمة، وذلك في يوم بَدْرٍ، رمى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال:شَاهَتِ الوجوهُ، فقسمها الله على أبصارهم حتى شَغَلهم بأنفسهم. وهو قَوْلُ أكثرِ المفسِّرين[(١)].

وقيل:سَهْمٌ رمى به النبي ﷺ يومَ خيبر على باب خيبر فأقبل السهمُ حتى قتلَ ابن أبي الْحُقَيق وهو على فراشه[(٢)]. وقيل:نزلت يومَ أُحُد في شَأْنَ أُبَيٍّ بنِ خَلَف وأن النبي ﷺ رماهُ بحربة فكسرَ ضِلْعًا من أضلاعه فمات[(٣)]. **والأصحُّ** أنها نازلة في يوم بدر، وهو قولُ أكثر المفسرين، وعليه يدل ما رُويناه في سيرته ﷺ ومغازيه وحروبه، فإنها قاضية بذلك. **وإذا** ثبت ذلك فقوله:﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أي مَا بَلَغَتْ رَمْيَتُكَ حيث بلغت بك، ولكِنَّ اللهَ بلَّغ وملأَ بها عيونَ الكفار.

وقيل:ولكنَّ الله وَفَّقَكَ وسدد رميتك. **وقيل**:وما أصبتَ إذ أصبت ولكنَّ الله أصاب، وذلك ثابت في لغة العرب؛ فإنهم يَصِفُون الإصابة بلفظ الرَّمْي؛ ولذلك قالوا في المثل:((رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ)). ومعلومٌ أنَّ الرَّمْيَ لا يكونُ إلا من رَامٍ، وإنما أرادوا إصابةً من غير حاذقٍ بالرمي. فمعنى ذلك أنك لم تصبهم حيثُ رميتَ

---

(١) ينظر مجمع البيان للطبرسي مج٤ ج٩ ص٤٤٥. والدر المنثور ٣ / ٣١٧ . والماوردي في النكت والعيون ٢ / ٣٠٤ . والطبري مج٦ ج٩ ص٢٦٩ . والزمخشري ٢ /٢٠٧ . ومتشابه القرآن ١ / ٣١٩، وهو قول ابن عباس وأنس والسدي .

(٢) الدر المنثور ٣ / ٣١٨ ، وهو قول سعيد بن المسيب ، والزهري.

(٣) الدر المنثور ٣ / ٣١٧ . وذكر الفخر الرازي في المفاتيح مج٨ ج١٥ ص١٤٥ , فقال:في سبب نزول هذه الآية أقول: الأول– وهو قول أكثر المفسرين أنها نزلت في يوم بدر وذكر ذلك كما ذكره المصنف (عليه السلام).

ولكن الله رماهم أيْ أصابهم. والإصابةُ من اللهِ، والرمْيُ من النبي ﷺ.

وإذا ثبتَ ذلك كانت الآيةُ على خلاف مذهبهم أوْلى بالدلالة منها على موافقة مذهبهم؛ لأن المعلوم أنَّ الصحابة (رض) هم الذين قَتَلُوا الكفَّار في يوم بدر. **والمعلومُ** أنه ﷺ الذي[1] رمى؛ ولهذا أضاف الله تعالى الرميَ إلى نَبِيِّه بقوله:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال:١٧] ولهذا يُضاف إلى السِّيد ما يفعله غلامُه، فبطل قولهم.

ومما تعلقوا به قول الله سبحانه حكايةً عن ابراهيم عليه السلام:﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ❖ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصآفات:٩٥-٩٦]، قالوا:فأخبر أنَّهُ خلقَهُم وخَلَقَ أعمالَهم مع كَوْنها كُفْرًا ومعصيةً[2]. **والجوابُ**:أنَّ معناها ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أيها القوم ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي وما تعملونَ فيه، وهو الأصنام، ولم يُرِدْ أعمالَهم وهي حركاتُهم المعدومةُ؛ لأن المعبودَ هو الْخَشَبُ المنحوتَةُ دونَ عملهم؛ **لأنَّهُ احتجَّ عليهم، فلا يجوزُ أن يوردَ لهم حجةً عليه**؛ ولأنَّه أضاف إليهم فعلَهم وهو النَّحْتُ. ومثلُ هذا موجود في اللغةِ؛ فإنَّ قآئلَ أهلِ اللغة يقول:فلانٌ يعملُ بَابًا، والمرادُ به يعمل عملا في الباب؛ فأطلق اسمَ العَمَلِ على المعمول فيه، وعلى هذا نُزِّل قوله تعالى:﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧] يعني العِصِيّ والحبالَ المأفوكَةَ دونَ نَفْسِ الإفك. ونَمَطُ الآية هو قوله:﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ يعني المنحوت. كذلك قولُه:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يريد المعمولَ. ومثل ذلك قوله

---

(١) الذي محذوف من (ب) .

(٢) ينظر الرازي ١٣/١٥٠ . وجامع البيان مج١٢ ج٢٣ ص٨٩.

تعالى:﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ﴾ [طه:٦٩] وإنما تلقفُ المصنوع. فإنّ فِعْلَهم وهو الحركة قد صار معدوما؛ ولأنَّه لو حُمِلَ قوله:﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ على أنَّ المراد به العملُ لأدَّى ذلك إلى تَنَاقُضِ الآيةِ في نفسها، بل إلى تناقض القرآن فإنَّ ابراهيم عليه السلام بَيَّنَ في الآية أنَّهم نحتُوها، فلو أراد أن الله خلق نَحْتَهم كما قالتْهُ الجبريةُ كان بذلك مُنَاقِضًا. وقد ثبت أن القرآن لا يتناقض ولا يتعارض، ولا يدخله الباطل[(١)].

وتَعَلَّقُوا بقوله تعالى:﴿وَخَلَقَ كُلّ شَيْءٍ فَقَدّرَهُ تَقْدِيراً﴾[(٢)] [الفرقان:٢].

والجواب:أن هذه خآصة في أفعاله تعالى وهي الأجسام والأعراض التي لا يَقْدِرُ عليها سواه، كالحرارة والبرودة والطعوم والألوان ونحو ذلك، فأمَّا الفواحش والمخازي والظلم والكذب فأيُّ تقدير فيه، أو أيُّ حكمة في فعله؟ بل فاعلُه مذموم. ولو قيل للقَدَرِي:يا سارق أو يا كاذب أو يا ظالم أو يا زاني-لأَنِفَ على نفسه واغْتَمَّ، فكيف يرضى بإضافة ذلك إلى ربه تعالى أو يُحسِّنُه عَقْلُهُ؟-لولا الزيغ العظيم والضلال البعيد- فبطل قولُ الجبرية. وعلى قَوَدِ هذا الكلام يَجري الكلامُ في سآئر ما يتعلقون به في ذلك.

فصل:في القَضَآءِ والقَدَرِ

والكلام فيه يقع في خمسة مواضع:**الأول:**في حكاية المذهب، وَذِكْرِ الخلاف.

والثاني:في الدليل على صحة ما ذهبنا إليه، وفساد ما ذهب إليه المخالفون.

---

(١) ينظر الكشاف ٥١/٤ . ومتشابه القرآن ٥٨٠/٢٥ . والألوسي مج١٣ ج٢٣ ص١٨١ . وجامع البيان مج١٢ ج٢٣ ص٨٩ . والطبرسي مج٨ ج٢٣ ص٣١٨ .
(٢) ذكر الرازي في تفسيره مج١٢ ج٢٤ ص٤٧ أنه تعالى خالق لأفعال العباد.

والثالث: في إيراد طَرَف مما يلآئم مذهَبنا من أدلة الشرع، وما يُحكى في ذلك عن الصحابة، وعن أهل البيت المطهرين رضوان الله عليهم أجمعين. **والرابع:** في إيـــراد طَرَفٍ مما يحتجُّ به المخالفون من متشابه الآيات، وبيان ما يجوز فيها مـــن المعـــاني الصحيحة. **والخامس:** في تعيين القَدَرية وبيانِ طَرَفٍ مما جآء في ذَمَّهم عـــن الـــنبي ﷺ، وعن صحابته الأبرار (رض).

أما الموضع الأول: وهو في حكاية المذهب وذكر الخلاف

فاعْلَم أن الجبرية تُطْلِقُ القول بأنَّ تصرفَ العباد بقضآء الله تعـــالى وقَـــدَره. وعندنا أنه لا يجوز إطلاقُ القولِ بذلك من غير تقييد في النفي ولا في الإثبات مِمَّن لم تثبتْ حكمتُه، أو تظهرُ عصمتُه. وإنما يجوزُ القولُ بأنها بقضآءِ الله وقَدَره، وأنَّها ليستْ بقضآء الله تعالى وَقَدره مع التقييد بما يُزيلُ الإشكال، ويرفعُ الإيهام، وهذه عقيدتُنا أهل البيت.

وأما الموضع الثاني:

وهو في الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالفون

فالذي يدل على ذلك أن القضآءَ والقَدَر لفظتان مُشْتَرَكَتَان بين معانٍ: بعضُها صحيح في هذه المسألة وبعضُها فاسد. وكلُّ لفظَةٍ هذه حالُها فإنَّه لا يجوز إطلاقها في النفي ولا في الاثبات من غير تقييد بما يزيل الإشكالَ، ويرفع الإيهام ممن لم تثبتْ حكمتُه. وإنما قلنا: بأن لفظةَ القضآء، ولفظةَ القَدَر مشتركتان بين معـــانٍ بعـــضها صحيح في هذه المسألة، وبعضُها فاسد؛ لما نبينُه في ذلك، وذلك بأنْ نتكلم في ثلاثة

مطالب:**أحدها** في بيان معاني القضآء والقدر واستعمالهما فيها. **والثاني** في الدلالة على اقتضائهما لتلك المعاني. **والثالث** في بيان الصحيح من ذلك والفاسد.

أمَّا الْمطلب الأول: وهو في بيان معاني لفظة القضآءِ والقَدَر واستعمالهما فيها.

فالقضآءُ[1] على وجوهٍ خمسةٍ: **أحدها** الْخَلْقُ والتَّمَامُ يحكيه قولُ الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ [فصلت:١٢] أي خَلَقَهُنّ وأتَمَّهن[2]. **وثانيها** الأمرُ والإلزام، يحكيه قول الله تعالى: ﴿وَقَضَىَ رَبّكَ أَلاّ تَعْبُدُوَاْ إِلاّ إِيّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣] معناه أمَرَ وألْزَمَ[3]. **وثالثها** الإخبار والإعلام، يحكيه قول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فِي الأرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾ [الإسراء:٤] أي أَعْلَمْنَا وَأَخْبَرْنَا[4]. **ورابعها** بمعنى الفراغ من الشيء يحكيه قوله[5] تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيّ ﴾ [هود:٤٤] أي فُرِغ منه. وقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأمْرُ الّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف:٤١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمّا قُضِيَ وَلّوْاْ إِلَىَ قَوْمِهِم مّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٩] يعني لما فُرِغَ من ذلك. **وخامسها** بمعنى الْحُكْمِ[6]، يحكيه قولُه تعالى: ﴿إِنّ رَبّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [يونس:٩٣]، ومنه سُمِّيَ القاضي قاضيًا، أي حاكمًا وفاصلاً يحكُم وَيَفْصِل. **والقدر** يُسْتَعْمَلُ في ثلاثة معانٍ: **أحدها**

---

(١) في (ب): فالقضآءُ يُطْلَقُ.
(٢) فتح الباري: ٨ / ٣٨٩.
(٣) فتح الباري ٨/٣٨٩ . وتفسير الماوردي٣/٢٢٨.
(٤) أنظر غريب القرآن ١٨٤ ، وفتح الباري ٨ / ٣٨٩ ، وتفسير الأعقم للآنسي ٣٥١ .
(٥) في (ب):قول الله.
(٦) في الأم:الحكم بحكمه يحكيه، ولا معنى لكلمة بحكمه .

بمعنى الْخَلْقِ، يحكيه قول الله تعالى:﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا ﴾ [فصلت:١٠] أي خلق.

وثانيها بمعنى العِلْم يحكيه قوله تعالى:﴿إِلاّ امْرَأَتَهُ قَدّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [النمل:٥٧] أي علمنا ذلك من حالها. **وثالثها** بمعنى الكِتَابة يحكيه قولُ العجَّاج[١]:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا الْجَلاَلِ قَــدْ قَــدَرْ   في الصُّحُفِ الأولى التي كَان سَطَر

أمْرُك هذا فَاجْتَنِبْ منــه التَّبَــر

قولُه:قد قَدَر، أي قد كَتَب ذلك في الصُّحف. التَّبَر ما يُهلِك، وقد يَنْطَلِــقُ[٢] على الهلاك.

وأما المطلب الثاني:وهو في الدلالة على اقتضآئها لهذه المعاني التي ذكرناهــا؛ فالذي يدل على ذلك أنَّ القضآءَ والقَدَر متى نُسِبَا إلى الله تعالى مُطْلَقًا لَمْ يَسْبِقْ إلى الأفهام معنىً من هذه المعاني دونَ غيره، بل يبقى الفَهْمُ مترددًا بينــها، لا تَــرى[٣] ترجيحا لبعضها على بعض، وذلك هو أمارة اللفظة المشتركة بين المعاني.

وأما المطلب الثالث:وهو أن بعضها صحيح في أفعال العباد في الله[٤] وبعضها فاسد؛ لأنه لا يجوز إطلاق القول بأنَّ أفعالَ العباد بقضآءٍ مــن الله وقَــدَر بمعــنى الخَلْق[٥]؛ لِمَا بَيَّنَّا في المسئلة الأولى أنَّا فاعلون لتصرُّفاتنا. ومما يدل علــى ذلــك أنَّ

---

(١) هو عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، العجاج شاعر وراجز مجيد، ولــد في الجاهليــة، وقال الشعر فيها ثم أسلم. توفي نحو سنة ٩٠هـ. وله ديوان طبع في مجلدين. ينظر الأعلام ٤ ٨٦/٣.

(٢) في (ب):يُطلق.

(٣) في (ب): لا يَرى.

(٤) في (ب): نظر على كلمه الله.

(٥) قال المقبلي في العلم الشامخ ص٢٨٠ في بحث خلق الأفعال: ولا أدري كيف غرسه الشيطان ونماه حــتى

المعاصيَ لو كانت بقضآءٍ من الله تعالى وقَدَر بمعنى الْخَلَق لوجبَ علينا الرضى بها؛ لأنه لا خلافَ بين المسلمين أنَّ الرضى بقضآءِ الله سبحانه وقَدَره بهذا المعنى واجبٌ. ولقول النبي ﷺ حاكيًا عن ربه تعالى:((مَنْ لَمْ يَرْضَ بقضآيَ، ويَصْبِرْ على بلآيَ، ويشكُرْ[1] نعمآيَ فَلْيَتَّخِذْ ربًّا سِوَاي[2])). ومعلومٌ أنه لا يجوز الرضى بالمعاصي؛ فإنه لا خلاف بين المسلمين في أنه لا يجوز الرضى بالمعاصي. ولامَخْلَصَ من المناقضة بين الإجماعَين إلا القولُ بأنَّ المعاصيَ ليستْ بقضآءِ الله تعالى وقَدَره، بمعنى الْخَلْقِ لهـا، ولا بمعنى الأمر بها؛ لأنَّ في أفعال العباد القبآئِحَ، وهو تعالى لا يأمرُ بها؛ لأن الأمـر بالقبيح قبيح. وهو تعالى لا يفعل القبيح على ما تقدم بيانه. وقد قال تعـالى:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٨] وإنمـا يجـوزُ القولُ بأنها بقضآئِه وقَدَره مع التقييد بأنَّ معنى ذلك أنَّه عَلِمَها، وأعْلَمَ بها ملآئِكتَه، وكتَبها في اللوح المحفوظ، من غير جارحة يكتُب بها؛ إذ الجوارحُ لا تجـوز عليـه تعالى كما تقدم بيانه.

جار على الأفاضل الأمه [عنده] وصيروه من مهمات الدين، و لم يتكلم أحد بمثل ما ذكرت لك الآن، بـل شمر كل لنصرة ما طرق خلده أول مرة ووجد قلبه خاليا فتمكن وهو على غرة:

أَتَانِي هَوَاهَـا قَبْـلَ أَنْ أَعْـرِفَ الْهَـوَى ... فَـصَادَفَ قَلْبـاً خَالِيـاً فَتَمَكَّنَـا

حتى صنف البخاري كتابا في خلق الأفعال وذكر في الصحيح شيئا من ذلك [أي إن الله خلق أفعال عبـاده] وليته صان تلك المكرمة التي فاز بها في الحديث ، ولكنه أتى بما لا يزيد العاقل عند سماعه علـى التـسبيح، وفعل غيره من أفاضل الأمةونحوه، كل ينصر ما اتفق له، أيات بينات، على أن هذا النـوع مـع تكريمـه ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ ❖إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ❖ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ❖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

(١) في (ب) ، و (ج) و (د): ويشكر على.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٧ / ٢٠٣ رقم ٧٢٧٣ ، ٨ / ١٩٢ برقم ٨٣٧٠.

فثبت قولُنا: إنهما لفظتان مشتركَتان بين معان: بعضُها صحيح في أفعال العبـــاد، وبعضُها فاسد. وإنما قلنا: بأن كلَّ لفظةٍ هذه حالُها فإنه لا يجوزُ إطلاقُها ممن لم تثبتْ حكمتُه إلا مع التقييد بما يزيل الإشكال؛ لأنَّ في ذلك إيهامَ الخطإِ، وإيهامُ الخطإِ لا يجوز. وإنما يجوزُ إطلاقُها في النفى والإثبات ممن تثبتُ[1] حكمتُه، فيجوزُ ذلك من الله تعالى أو من رُسله؛ لأنَّ الحكيمَ لا يريد بذلك إلا المعنى الصحيح، دونَ المعـــنى الفاسد، ويزول له بذلك الإشكالُ، ويرتفع الإيهامُ، فثبتَ الموضعُ الثاني.

وأما الْمَوضعُ الثالث:

وهو في ذكْرِ طَرَفٍ مما يلآئِم ذلك من أَدِلَّة الشرع

وما يُحكى في ذلك عن الصحابة والتابعين وأهلِ البيت المطهرين رضـــى الله عنهم أجمعين .

فالشرعُ قاضٍ بذلك. فمن ذلك ما روي عن عآئِشة أنها قالت: كنتٍ أصـــبُّ المآءَ على يديْ رسول الله ﷺ فسقط الإنآءُ من يدي وَكُسِرَ فقلتُ: الأمرُ مفروغٌ منه، فغضب النبيُّ ﷺ وقال: إن كان الأمُر مفروغًا منه فَلأَيِّ شيءٍ بعثـــتُ ولأي شيء بُعث الأنبيآء من قبلي.

وروي عن الحسن البصرى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لن يلقى اللهَ العبـــدُ

---

(١) في (ب): ثبتت.

بذنبٍ أعظمَ من الإشراكِ بالله، وأنْ يعملَ معصيةً ثم يَزْعُمُ أنَّها من الله)) [(١)]. إلى غير ذلك من الأخبار. وهو معلوم عن الصحابة والتابعين، فإن الأقوالَ متظاهرةٌ عنهم بنفي هذه المعاصى عن الله سبحانه وإضافتها إلى العباد.

فمن ذلك ما رُوي أن الحجاج بن يوسف لعنه الله كتبَ إلى أربعةٍ من العلمآءِ:وهم الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله، وواصل بن عطآء [(٢)]، وعَمْرو بن عبيد [(٣)]، وعامر الشعبي رحمهم الله، يسألُهم عن القضآءِ والقَدَر، يعني بمعنى الْخَلْق لأفعال العبادِ؛ **فأجابَه أحدُهم** لا أعرفُ فيه إلا ما قاله [(٤)] أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، وهو قوله عليه السلام:أتظنُّ الذي نَهَاكَ دَهَاكَ، إنما دهاك أسفلُك وأعلاك، وربك بريء [(٥)] من ذاك. **وأجابه الثاني** فقال:لاأعرفُ فيه إلا ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو قوله عليه السلام:أتظنُّ الذي فَسَحَ لك

(١) الشافي ٢ / ١٦١.
(٢) هو أبو حذيفة رأس المعتزلة من أئمة البلغآء المتكلمين سمي أصحابه بالمعتزلة؛ لاعتزالهم الدنيا ، وإما لاعتزالهم حلقة الحسن البصري عندما جرى ذكر حكم الفاسق حيث إنه عند المعتزلة في مترلة بين المترلتين الكفر والإيمان فلا هو كافر ولا هو مؤمن. نشر مذهب الاعتزال في الآفاق–ولد سنة ٨٠هـ بالمدينة كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا فتجنب الرآء في خطابه. بايع لمحمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية)، في قيامه على أهل الجور ، توفي سنة١٣١هـ. له من التصانيف: أصناف المرجئة، والمترلة بين المترلتين، ومعاني القرآن، طبقات أهل العلم والجهل، والسبيل . الأعلام٨/١٠٨.
(٣) ولد سنة ٨٠هـ، من العلماء الزُّهَّاد، شيخ المعتزلة في عصره، قال فيه أبو جعفر المنصور:كلهم طالب صيد، غير عمرو بن عبيد، توفي سنة ١٤٤هـ، وله رسائل وخطب وكتب منها:التفسير، والرد على القدرية. ينظر الأعلام ٥/٨١.
(٤) في (ب) ، (ج): قال في كل الرواية.
(٥) في (ب) ، (ج): والله بريء.

الطريقَ لَزِمَ عليك المضيق. **وأجابه الثالث** فقال:لا أعرفُ[(١)] إلا ما قاله علـــي عليه السلام، وهو قوله كرم الله وجهه:إذا كانتِ المعصيةُ حَتْمًا كانتِ العقوبةُ ظُلْمًـــا. **وأجابـــه الرابع** فقال:لا أعرف فيه إلا ما قاله علي عليه السلام، وهو قوله كـــرم الله وجهـــه:مـــا حمدت الله عليه فهو منهُ، وما استغفرتَ الله منه فهو منك. **فلما بَلَغَ** ذلك الحجاجَ بن يوسف قال:قاتلهم اللهُ لقد أخذوها عن[(٢)] عين صافية[(٣)].

وعن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر لِعِلْمِ الأنبيآءِ عن علي عليه السلام أنَّ رجـــلاً سأله، فقال:يا أمير المؤمنين أخْبِرْنا عن القَدَر؟ فقال:بَحْرٌ عميقٌ فلا تَلِجْهُ، قال:يـــا أمير المؤمنين أَخْبِرْنا عن القَدَر ، قال:بيتٌ مظلِمٌ فلا تدخلْه، قال:يا أمـــيرَ المـــؤمنين أخبرنا عن القَدَر؟ قال:أمَّا إذا أَبَيتَ فهو أمرٌ بَينَ أَمْرَينِ لا جَبْرَ ولا تفويض[(٤)].

وروى عن علي بن عبدالله بن العباس[(٥)] قال:[(١)] كنتُ جالسًا عند أبي فقال له

---

(١) في (ب): فيه.

(٢) في (ب): من

(٣) خلاصة الفوائد لجعفر ص٨٣. وميزان الطباطبائي ١ / ١٠٤، وعزاه إلى الطرائف.

(٤) ينظر نهج البلاغة ٧٤٦ ، بلفظ:طريق مُظلم فلا تسلكوه، وبحرٌ عميقٌ فلا تلجوه، وبيت الله فلا تتكلفوه. قال الإمام الناصر الأطروش في البساط ص١٦٩:وأما قولهم:ولا تفويض–فإن كثيرًا من الناس قـــد غلطـــوا واختلفوا في تأويل ذلك والله المستعان. ومعنى قولهم:ولا تفويض–لا إهمال كما أهملت البهائم، وفوض إليها أعمالها، لم يمتحنها الله و لم يأمرها و لم ينهها؛ لأن الله سبحانه قد أظهر حكمته بما كان من بلـــواه ومحنتـــه لعباده بالأمر والنهي بعد التمكين، والوعد والوعيد والجنة والنار، والإباحة والحظر، فهذا هو المترلـــة بـــين المترلتين التي أراده آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قولهم:لا إجبار ولا إهمال، تكلموا بذلك موجزًا مختصرًا لمن عقل مترلة المحنة والاختبار، بين التفويض الذي هو الإهمال وبين الاضطرار... وفي هامش (ب):يعني لم يجبرهـم الله، و لم يفوضهـم–أي لم يكل الأمر إليهـم– سيابًا بغير أمر ونهي، بل أمر تخييرًا ونهى تحذيرًا وكلفهم يسيرًا، فهم غير مضطرين بل مخيرون.

(٥) السجاد أبو الملوك من بني العباس ، كان عالِمًا عاملاً جسيمًا وسيمًا طوالاً مهيبًا. ذُكر أنه كان يـــسجد

رجل:إنَّ هاهنا قومًا يزعمون أنهم أُتُوا من قِبَل الله وأنَّ الله جَبَرهم[٢] على المعاصى، فقال:لو أعْلَمُ أنَّ ها هنا أحدا منهم لقبضتُ على حلقه[٣].

وعن أبي بكر أنه قال في الفتوى أقول فيها برأيي فإن كان صوابًا فمن الله وهو وفقني، وإنْ كان خطأً فمنِّي ومن الشيطان، واللهُ ورسولُه منه بريئآن[٤]. ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه أُتِيَ بسارق فقال له:ما حملَك على ذلك؟ فقال:قضآءُ الله وقدَرُه يا أميرَ المؤمنين، فَقَطَعَ يدَه وضربه عشرين دِرَّةً أوثلاثين، وقال:قطعتُ يَدَك بسَرِقَتِك، وضرْبتُكَ لِكَذِبك على الله. ثم قال:لَكَذِبُهُ على الله شَرٌّ من سَرِقَته[٥]. وروي عن عثمان بن عفانَ أنه لما حُصِرَ في الدار كان القومُ يرمونَه ويقولون:اللهُ يرميك، فيقول:كَذَبتُم لو رماني مَا أخطأني[٦].

ورُوِىَ أنَّ عبيدَ الله بن زياد لعنه الله قال لعلي بن الحسين يعني زين العابدين عليه السلام لَمَّا حُمِلَ إليه زينُ العابدين بعد قَتْلِ أبيه الشهيد الحسين السبط:أَلَمْ يَقْتُلِ اللهُ عليَّ بن الحسين؟ فقال زين العابدين:قد كان أخي يُسَمَّى عليًّا، وكان أكبَر منى، وإنما قَتَلَهُ الناس لا الله. قال:بَلِ اللهُ قتله. قال علي بن الحسين:فاللهُ إذن قَتَلَ عثمان

كل يوم ألف سجدة. ولد عام قتل الإمام علي فسمِّي باسمه. سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٢..

(١)في (ب): أنه قال.

(٢)في (د): أجبرهم.

(٣) طبقات المعتزلة للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ص١٣.

(٤) طبقات المعتزلة ص١١ ، وذلك عندما سئل عن الكلالة ، والدر المنثور ٢ / ٤٤٣ ، وخلاصة الفوائدص٧٦ .

(٥) طبقات المعتزلة ص١١، ورسائل العدل والتوحيد ص٢٤٣ ، وخلاصة الفوائد ١٢٧.

(٦) طبقات المعتزلة ص١١، وخلاصة الفوائد ٨٧.

بن عفان. فانقطع اللعين عبيدالله بن زياد[1]. وروي أنَّ الصادق عليه السلام سُئل عن القَدَر قال:ما استطعتَ أن تلومَ العبدَ عليه فهو فِعْلُه، وما لم تستطع فهو فعل الله، يقول الله:لِمَ عَصيتَ؟ ولا يقول:لِمَ مَرِضْتَ؟[2].

ورُوِيَ أنَّ أبا حنيفة سأل موسى الكاظم[3] بن جعفر الصادق (ع) عن القَدَر، فقال:لا بُدَّ أن تكونَ المعاصي مِنَ الله أو مِنَ العبد أوْ بينهما جميعًا؛ فإن كانت من الله فهو أعدلُ مِنْ أن يأخُذَ عبدَه بشيء فَعَلَهُ هو، وإن كانت بينهما جميعًا فهو شريكُه، والقويُّ أقوى بإنصافِ عبدِه الضعيف، وإن كانت من العبد فعليه وقَعَ الأمْر. قال أبو حنيفة:فقلت:﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾ [آل عمران:٣٤][4].

والمشهور عن أهل البيت (ع) من أولهم إلى آخرهم خلافُ مذهب الجبرية في ذلك. ولولا خشيةُ التطويل لَذَكَرتُهم إمامًا إمامًا من لدن علي بن أبي طالب عليه السلام إلى وقتِ هذا وهي سَنَةُ ثلاثٍ وثلاثين وستمآئِة سنة[5]. ومن الأمثال السآئرة عند

---

(١) طبقات المعتزلة ص١٦ ، خلاصة الفوائد ص٨٧.

(٢) طبقات المعتزلة ص٣٤ . والميزان ١ / ١٠٤. وفي نهاية الخبر:ولم قصرت، ولم ابيضت، ولم اسودت؛ لأنه من فعل الله.

(٣) هو موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. ولد في الأبواء ٢٨ / صفر سنة ١٢٨هـ وهو سابع الأئمة عند الإماميةِ وأحد العباد والأجواد. قيل:إنه كان يخرج في الليل وفي كمه صرة من الدراهم فيعطي من لقيه ومن أراد برَّه . حبسه الرشيد عند الفضل بن أبي يحيى فسلمه إلى السندي؛ فأمر الرشيد بقتله فسمه السندي، سنة ١٨٣هـ، انظر عمدة الطالب ص٢٢٦، أعيان الشيعة ج٢ ص١٢٥.

(٤) أمالي المرتضى ١/١٥٢. وأخرجه ابن شعبه في تحف العقول ص٣٠٣. وابن شهرأشوب في مناقبه ٤/٣٢٩ بتصرف. والتحفة العسجدية للهادي القاسمي ص٦٤ .

(٥) وهو عصر الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام.

العلمآء:العَدْلُ هاشمي، والْجَبْرُ أموي[1]. وماذكرناه عن أهـــل البيـــت (ع) هـــو المشهورعن التابعين وتابعي التابعين وسآئر المسلمين والحمد لله رب العالمين.

وأما الموضع الرابع:

وهو في إيراد طرف مما يحتج به المخالفون من متشابه الآيات.

فمن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال:٤٤]، قالوا:فَبَيَّنَ أنـــه تعـــالى قضى بذلك، بمعنى الفعل.

والجواب:أنَّ ماذكروه لا يصح؛ لأنه قال:﴿لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾، فكيف يفعل ما هو مفعولٌ لغيره؛ لأنه لا يكون مفعولا لغيره إلا بعد أن يفعله ذلك الغَيرُ، وإذا قد فعله فقد خرج من العدم إلى الوجود فلا يصح فِعْلُهُ ثانيًا.

وأما معنى الآية فإن الله تعالى قَلَّلَ المشركين في أعين المسلمين وَقَلَّلَ المـــسلمين في أعين المشركين لأنْ يَجْسُرُ بعضُهم على بعض. قال ابن مسعود قَلُّوا في أعيننـــا حتى قلتُ لِرَجُلٍ بجنبي:تراهم سبعين؟[2] قال:أراهم مآئة. فأَسَرْنَا رجلاً منهم فقلنـــا له:كم كنتم؛ قال:ألفًا[3]. فَقَلَّلَ بعضَهم في أعين البعض الآخر ليقضيَ ما قَضَى من

---

(١) ينظر الشافي ١/١٤٠ حيث قال:والقول بالعدل والتوحيد هو مذهب أهل البيت عليهم السلام عمومًا إلاَّ من خرج من بني العباس لما ضعفوا تودُّداً. والجبر أموي إلا من سعد بقبول الحق ؛ فأما الذين قالوا بالعـــدل من خلفآء بني أمية:معاوية بن يزيد المكنى أبا ليلى، ويزيد بن الوليد الملقب بالناقص، وعبدالعزيز بن مـــروان، وعمر بن عبدالعزيز.

(٢) في (ب): أراهم.

(٣) أخرجه في الدر المنثور ٣ / ٣٤٢ ، والطبري في تفسيره مج٦ ج١٠ ص١٩ ، والزمخشري في كشافه ٢ /

هزيمتهم. وهذا خلافُ مذهب الْحَشْوية؛ لأن تَرْك التحفُّظ والاستعداد من الكفار لمحاربة المسلمين غيرُ قبيح ولا معصيةٍ عقلاً وشرعًا.

أما من جهة **العقل** فلأنه قَلَّلَّ المسلمين في أعينهم فلم يخشوا ضررًا[1] يجب عليهم دفعُه عقلاً.

وأما الشرع فلأن قتلهم واستئصال شَأْفَتِهم مباحٌ من جهة الشرع، فإذا فعل الله معهم ما لأجله تَرَكُوا الاستعداد والتحفظ، وهو تقليلُ المسلمين في أعينهم فليس ذلك بأعظمَ من إباحة قَتْلِهم، وإيجاب قتلهم في بعض الأحوال، وهذا واضح، فبطل قولهم.

ومنها قوله تعالى:﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] قالوا:فَدَلَّ على أن القتل بقضآئه وقَدَرِه، وهو فعله. **والجوابُ:** أنَّ الكَتْبَ لم يأتِ في اللُّغة ولا في القرآن بمعنى القضآء والقَدَر فسقط تعلقهم بذلك. ثم نقول:إن الكَتْبَ يأتي في اللغة والقرآن على وجوه أربعة:**أحدها** بمعنى الفَرْضِ والإيجاب كقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] أي فُرِضَ. **وثانيها** بمعنى الْحُكْمِ كقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ [الحج:٤] أي حُكِمَ عليه به. **وثالثها** بمعنى الإخبار كقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥] أي أَخْبَرْنَا بذلك

---

٢٢٤ . والقرطبي مج٤ ج٨ ص١٦ .

(١) في (ب): إضرارا.

وَحَكَمْنَا. **ورابعها** بمعنى العِلْم كقوله تعالى:﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِيَ﴾ [المجادلة:٢١] وإذا ثبت ذلك قلنا:معنى الكَتْبِ في الآية لايجوزُ أن يكونَ بمعنى الفرض؛ لأن القَتْلَ لا يُفرض على الْمَقتول ظلمًا، ولا بِمَعنى الْحُكْمِ؛ لأن ذلك إنما يكون على سبيل الوجوب، والمظلومُ غيرُ مستحِقٍّ للقتل، فلم يبقَ إلا أن يكون بمعنى الخَبَر، وبمعنى العِلْم؛ فيكون معناها أنَّ مَنْ أخبر الله تعالى أنَّه يُقْتَلُ، أو مَنْ عَلِمَ أنه سيقتل؛ فإنَّ مُخبَرَه يكونُ على ما أَخبَرَ وعَلِمَ إلاَّ أنَّ خَبَرَهُ وعِلْمَه لا يُؤثِّر في الْمُخبَرِ عنه، ولا في المعلوم على ما يأتي بيانُه مُفَصَّلا إن شآء الله تعالى في التكاليف. وعلى هذا النَّسَق يجري الكلام في سآئر ما يتعلقون به من ذلك.

وأما الموضع الخامس:وهو في تعيين القَدَرِية وبيان طَرَفٍ مما جآء في ذمهم عن النبي ﷺ، وعن صحابته (رض).

فاعلم أنَّ القدرية هم الْمُجْبِرَة الضآلّة الغوية دونَ الفِرْقَة العَدْلية. والذي يدل على ذلك وجوه:

منها ما روي عن أنس بن مالك وحذيفَةَ أن رسول الله ﷺ قال:((صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لن تَنَالُهَمَا شَفَاعَتِي، لَعَنَهُمَا اللهُ عَلَى لِسَانِ سَبْعِيْنَ نَبِيًّا:الْقَدَّرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ)). قِيْلَ:يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ القَدَرية؟ قال:((الذين يعملون بالمعاصي ويقولون:هي من قبل الله)). قيل:فَمَنِ الْمُرْجِئَة؟ قال:((الَّذينَ يقولون:الإيمانُ قَوْلٌ بلا عَمَلٍ))[(١)]. **ومنها** ما

---

(١) أخرجه القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام في خلاصة الفوائد ص٢٩ ، ورسائل العدل والتوحيد ص٢٧٦.

رُوي عن جابر بن عبدالله أنه قيل:يا رسولَ الله وَمَنِ القدرية؟ فقال ﷺ:((قَــومٌ يَعْملون بالمعاصي)) ثُمَّ يقولون:إنَّ الله قدَّرها عليهم[(١)]. وهذه هي مقالةُ الجبرية دونَ العدلية على ما تقدم.

ومنها ما رواه جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ أنه قال:((يكونُ في آخرِ الزمان قومٌ يعملونَ بالمعاصِي ثُمَّ يقولون:هذا بقضآءِ اللهِ وقَدَرِه، الرآدُّ عليهم كَالْمَــشْرِعِ سَيْفَه في سبيل الله)). **ومنها** ما رواه جابر بن عبدالله أيضا عنه ﷺ أنه قال:مِثْــلَ الحديث الأوَّل؛ إلا أنه قال:الرآدُّ عليهم كالشاهر سيفَه في سبيل الله[(٢)].

وأما ما ورد في الشرع من الذَّمِّ للقدرية فنحو ما روي عن أبي هريرة وابن عمر وجابر عن رسول الله ﷺ أنه قال:((القَدَرِيَّةُ مجوسُ هذه الأمَّةِ، إنْ مَرِضُــو فَــلاَ تَعُودُوهُم، وَإنْ مَاتُوا فلا تَشْهَدُوهُم، ولا تُصَلُّوا عليهم، وإنْ لَقِيتُمُوهم فلا تُسَلِّموا عليهم؛ فإنَّهم شيعةُ الدَّجَّال، وحقٌّ على اللهِ أنْ يلحقَهم به[(٣)])). **ونحو** ما روي عن جابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري وحذيفةَ كلهم يروي[(٤)] عن رســول الله ﷺ أنه قال:((لُعِنَتِ القَدَرِيَةُ على لسانِ سبعين نبيّاً[(٥)])).

---

(١) رسائل العدل والتوحيد إنقاذ البشر للشريف المرتضى ص٢١٥ .
(٢) رسائل العدل والتوحيد ص٢٤٣.
(٣) أخرجه القاضي جعفر في خلاصة الفوائد ص٣٠ ، والحاكم ١ / ٨٥ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وأبو داوود في سننه ٥ / ٦٧ برقم ٤٦٩٢ .
(٤) في (ب): رووا.
(٥) رسائل العدل والتوحيد ص٢٧٩. والعلل المتناهية ١/١٥٠.

ونحو ما روي عنه ﷺ أنه قال:((صِنْفَان مِنْ أُمَّتِي ليس لهما[1] في الإسلام سَهْمٌ[2]:المرجئةُ والقدريةُ))، **ونحوها** روي عن أنس بن مالك أنه قال:قال رسول الله ﷺ:((مجوسُ العرَبِ-وإن صَلَّوْا وَصَامُوا-القَدَرِيَّةُ[3])).

ونحو ما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:((لا تُجَالِسُوا أهلَ القَدَرِ، ولا تُفاتحوهم الكلامَ))[4]. وعن ابن عباس أنه قال:((لأن يمتلئَ بيتي قِرَدَةٌ وخنازير[5] أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ يمتلئَ قدريةٌ)). وعنه ﷺ أنه قال:((القدريةُ شهودُ إبليس وخصمآءُ الرحمنِ))[6].

وروينا عن السيد الإمام أبي طالب عليه السلام أنه رَوَى بإسناده عن الحسن رضي الله عنه أنه قال:إذا كان يومُ القيامةِ دُعِيَ إبليسُ وقال[7] له:ما حملك على أن لا تسجدَ لآدم؟ فيقول:يا رب أنتَ حُلْتَ بيني وبين ذلك، فيقالُ[8] له:كذبتَ. فيقول:إنَّ لي شهودا، فينادِي أينَ القدريةُ شهودُ إبليسَ وخصمآءُ الرحمنِ؟ فيقوم طوائفُ من هذه

---

(١) في (ب) ، و(ج): لهم.
(٢) في الأصل: نصيب.
(٣) في (ب): وإن صلوا وإن صاموا . أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/٧٠ عن أنس.
(٤) أخرجه الحاكم ١ / ١٥٩ ، أبو داوود في السنن ٥ / ٨٤ برقم ٤٧١٠ ، أحمد بن حنبل ١ / ٧٣ برقم ٢٠٦ ، والبيهقي في السنن١٠/٢٠٤.
(٥) في (ب): خنازير وقردة.
(٦) الشافي ج٢ ص٣ . والقرطبي ١٠ / ١٩٨
(٧) في (ب): وقيل ، وفي (ج): يقال:
(٨) في (ب): فيقول.

الأمة، فيخرجُ من أفواههم دُخانٌ أَسْودُ، فَيُطَبِّقُ وجوههم فتسودُّ[(١)].

وذلك قولُ الله تعالى:﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠]. وإذا تبيَّن ذلك قلنا:إن القدرية هم المجبرة المستحِقُّون لِمَا تضمنته هذه الأخبار من الذم والنار؛ لِمَا قدمنا من الدلالة على أنَّ القدرية هِيَ المجبرة؛ ولأنَّ النبي ﷺوَصَفَ القدرية بوصْفَينِ لا يُوجدان إلا في المجبرة:**أحدهما**:أنه قال:هم مجوسُ هذه الأمة، وقد بينا في كتاب إِرشاد العباد الوجوهَ التي وقعتْ بها المضاهاةُ بينهم وبين المجوس[(٢)]؛ فصح بذلك ما ذكرناه. **الوصف الثاني**:أنه وصفهم بأنهم شهُود إبليس وخصمآء الرحمن وهذا لا يُوجد إلا في المجبرة؛ لأنهم يحملون أوزارهم على الله، ويشهدون أنها فِعْلُهُ. يُوضِّح ذلك ما رُوي عن الحسن البصري أنَّه قدم رجل من فارس على رسول الله ﷺ فقال[(٣)]:رأيتُهم ينكحون أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم، فإذا قيل لهم:لِمَ تفعلون هذا؟ قالوا:قضآءُ الله وقَدَرُه. فقال ﷺ:((أمَا إنه سيكون في أمتي قَومٌ يقولون مِثْلَه. أؤلئك مجوسُ هذه الأمة))[(٤)]. ولا شك أنَّ ذلك مذهب المجبرة .

وعن النبي ﷺ أنه قال:((السَّعيدُ مَنْ سَعِدَ بِعَمَلِهِ، والشقيُّ مَنْ شَقِيَ بِعَمَلِه))[(٥)]. وعنه ﷺ أنه قال:((ما هلكتْ أمَّةٌ حتى يكونَ الْجَبْرَ قولُهم)). وروي عن

---

(١) البالغ المدرك ص١٠٠.ورواه الهيثمي ٢٠٦/٧بألفاظ مقاربة.

(٢) لأن المجوس ينكحون بناتهم وأمهاتهم، ويقولون:إنه بقضاء الله وقدره. الشافي٣/٢.

(٣) في (ب): قال .

(٤) أخرجه جعفر بن أحمد بن عبدالسلام في خلاصة الفوائد: ٣٢.

(٥) ثم السعيد من يسعد بقضاء الله وفي بطن أمه. في الأوسط للطبراني ٢٢٣/٨.

الحسن البصري أنه تلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مّسْوَدّةٌ﴾ [الزمر:٦٠]، فقال: هم المجوسُ واليهودُ والنصارى وناس من هذه الأمة زَعَمُوا أنَّ الله قدَّر عليهم المعاصي، وعذَّبهم عليها، واللهُ يُسَوِّد وجوهَهُم لذلك[1].

وعن النبي ﷺ أنه قال: إذا كان يومُ القيامة يَجمعُ اللهُ الخلائق في صعيد واحد، فينادى منادٍ من بُطْنَان[2] العرش، ألا كُلُّ مَن بَرَّأَ الله مِنْ ذَنْبِهِ، وَأَلْزَمَهُ نَفْسَهُ، فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّة آمِنًا غيرَ خائفٍ.

ومما يدل على أن القدريةَ هم المجبرة إجماعُ الصحابة (رض) على ذلك، وإجماعُهم حجة. ولو لم يكن في ذلك إلاَّ ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام لكفى، فإنه رُوي أنه عليه السلام لَمَّا انصرف من صِفِّينَ قام إليه شيخ فقال: يا أميرَ المؤمنين أخبِرْنَا عن مسيرنا هذا إلى الشام أَكَانَ بقضآء الله تعالى وقدره؟ فقال: والذي فَلَقَ الحبَّة وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ما قَطَعْنَا واديًا ولا عَلَوْنَا تَلْعَةً ولا وَطِئْنَا مَوْطِئا إلا بقضآءٍ من الله تعالى وَقَدَر. فقال الشيخ: عِنْدَ الله أحتسب عنآئي ومسيري، والله ما أرى لي من الأجر شيئًا، فقال: بلى قد عظَّم اللهُ لكم الأجرَ على مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصَرَفِكُم وأنتم منصرفون، ولم تَكُونوا في شيء من حالاتكم مُكْرَهِينَ، ولا إليها مضطرين. فقال الشيخ: وكيف يكون ذلك والقضآءُ والقَدَرُ اللذان ساقانا، وعنهما كان مسيرُنا؟ فقال أمير المؤمنين: لَعَلَّكَ ظننتَ قضآءً لازمًا وقَدَرًا حَتْمًا؟ لو كان

---

(١) الخلاصة للقاضي جعفر ص١٢٨.

(٢) بطنان الشيء وسطه. القاموس ص١٥٢٤.

ذلك كذلك لَبَطَلَ الثوابُ والعقابُ، وسقط الوعد والوعيد، والأمْرُ من الله والنَّهْيُ، ولَمَا كانت تأتي مِنَ الله لائِمَةٌ لِمُذنب ولا مَحْمَدَةق لِمُحْسِنٍ، ولَمَا كان الْمُحْسِنُ أولى بثواب الإحسان من المسيءِ، ولا المذنبُ كان أولى بعقوبة الذَّنْب من الْمُحْسِن. تلك مقالةُ إخوانِ الشياطين[1]، وعبدَةِ الأوثان، وخُصَمَآءِ الرحمن، وشهودِ الزور، وأهْلِ العمى والفجورِ، وهم قدريةُ هذه الأمَّةِ، ومجوسُها. إنَّ الله تعالى أمر تخييرا، ونهى تحذيرا، وكلف يسيرًا، ولَمْ[2] يكلِّفْ مُجْبرًا، ولا بعثَ الأنبيآء عَبثًا، ولا أرَى عجائبَ الآيات باطِلا ﴿ذَلِكَ ظَنّ الّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لّلّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النّارِ﴾ [ص:٢٧]. فقال الشيخ:ما القضآءُ والقَدَرُ اللَّذَانِ ما وَطِئنا موطئا إلا بهما؟ فقال علي عليه السلام:الأمْرُ مِنَ اللهِ والْحُكْمُ، ثم تلى قَوْلَ الله تعالى:﴿وَقَضَىَ رَبّكَ أَلاّ تَعْبُدُوَاْ إِلاّ إِيّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول:

أنتَ الإمامُ الذي نرجوا بطاعتـه	**يومَ النشور مِنَ الرَّحمن رضوانا**[3]
أوضحتَ من ديننا ما كان مُلتَبِسًا	**جزاك ربُّكَ عَنَّا فيـه إحـسانا**
نفسِي الفدآءُ لخيرِ الناسِ كلِّهـم	**بعد الرسول عليّ الخير مولانـا**

---

(١) في (ب) , (ج) و (د): الشيطان.

(٢) في (أ): لم.

(٣) في (ب): وهو يقول شعرا، وبعده:

أخو النبي ومـولى المـؤمنين معـا	**وأول النـاس تـصديقا وإيمانـا**
وبعل بنـت رسـول الله سـيدنا	**أكرم به وبها سـرا وإعلانـا**

قال في أم هذه النسخة ما لفظه:قوله: أخو النبي ... البيت ، والبيت الذي بعده زائدان على نسخة الأم ثابت في نسخة غيرها ، تمت والله أعلم .

نفَى الشُّكُوكَ مَقَالٌ منك مُتَّـضِحٌ وَزَادَ ذَا العِلْمِ والإيمـانِ إيمانـا

فليس مَعْذِرَةٌ في فِعْـلِ فاحـشةٍ لَوْمًا[1] لراكبها بَغْيًـا وعُـدْوانا

لا لا ولا قَائـلٌ ناهيـهِ أوقعـهُ فيها عبدتُ إذَنْ يا قوم شيطانا[2]

والمعلومُ لمن عرف الأخبار، وبحث عن السِّيَر والآثار أنَّ الصحابة مُجمعون على أنَّ القدرية هم الذي يقولون:إنَّ المعاصيَ بقضآءٍ من الله تعالى وقَدَرٍ، بمعنى أنَّهُ فعَلَها فيهم، ولم يُمَكِّنْهُم من التخلص منها في حال من الأحوال، وعاقبهم عليها. ومِمَّا يُوضِّح أنَّ القدرية هم المجبرة-أنَّ القدرية إنَّما سُمُّوا بذلك لكثرةِ ذِكْـرِهم للقَـدر ولَهَجهم به؛ لأنهم يقولون في كل فعل يفعلونه:قَدَّره اللهُ عليهم، وإنما قلنا ذلـك؛ لأنَّ مَنْ أكثر من شَيءٍ-نُسِبَ إليه، مِثلُ مَنْ أكثر مِنْ رواية النَّحْوِ نُـسِبَ إليـه، فقيل:نَحْوٌّي. وَمَنْ أكثرَ من رواية اللغة، قيل:لُغَوِيٌّ. كذلك مَنْ أكثَر مِـنِ ذِكْـرِ القَدَر- فقال في كل فِعْلٍ يفعله:قدَّره الله عليه-قيل:قَدَرِيٌّ. والقياس مطرد؛ فـإن قيل:إنا نَنْسُبُ العدلية إلى ذلك لقولهم بالقُدرة، فيجب أن يكونوا هـم القدريـة- قلنا:إنَّ ذلك لا يصح من طريق اللُّغَة، فإنَّ النِّسْبَةَ إلى القُدرة قُدْرِيٌّ -بضم القاف، وسكون الدَّال- بخلاف النِّسْبة إلى القَدَر فإنها بفتح القاف والـدال، فوجـب أن يكونوا بذلك أولى.

---

(١) في (ب) ، (ج) ، (د): يوما.

(٢) روى كلام الإمام علي (ع) القاضي جعفر في ص٢٩ ، ١٢٥، والأبيات في ص ١٢٦ مـن خلاصـته. ورسائل العدل والتوحيد ص٢٤٣. والنهج ٤٨١ رقم ٧٨.

فإن قيل:إنَّ العدلية بذلك أولى؛ لأهم يقولون:إهم يُقَدِّرُون أفعالَهم–قلنا:إن ذلك لا يصح، فإن الله تعالى قد وصف بعضَ خلقه بمثل مذهب العدلية، فقال تعالى:﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ❖ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ❖ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر:١٨-٢٠]، وهو تعالى لا يَكْذِبُ؛ لأنَّ الكَذِبَ قبيح، وهو لا يفعل القبيح على ما مضى. والموصوف بهذه الآية هو الوليدُ بنُ المغيرة[١]. فقوله:﴿فَكَّرَ ﴾ أي نظر، ﴿وَقَدَّرَ ﴾ ما يقول في القرآن ﴿فَقُتِلَ ﴾ أي عُذِّبَ ولُعن. وَكَرَّرَ ذلك لكثرة تقديرات الوليد لعنه الله. ثم إنَّا نقول:لو كان هذا الاسمُ يلزم العدلية لقولهم:بأَنَّهُم يُقَدِّرون أفعالهم– لوجب اطِّرادُ ذلك، فكان يلزم أن يُقال في الله تعالى:مثلُ ذلك؛ لأنه تعالى وصف أفعالَه بمثل ما وَصَفَت به العدليةُ أفعالَهم، قال تعالى:﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا ﴾ [فصلت:١٠] أي خلق. ومعلومٌ خلافُ ذلك.

فبطل بذلك جميعُ ما تعترض به الجبرية الحشوية، **وصحَّ** أهم القدرية دون العدلية، والحمدلله وحده، وثبت بذلك الفصل الأول وهو في القضآءِ والقدر.

وأما الموضع الثاني:

وهو في الهدى والضلال. ففيه فصلان:

أحدهما في الهدى. **والثاني** في الضلال.

---

(١) من بني مخزوم، ولد سنة ٩٥ قبل الهجرة وهو من زعمآء قريش أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه، وقال:إن الناس يأتونكم في الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه، فيقول:هذا كاهن، ويقول:هذا شاعر، ويقول:هذا مجنون، وليس يشبه واحدا مما تقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه:ساحر ؛ لأنه يفرق بين المرء وأخيه، والزوج وزوجه. وهو والد خالد بن الوليد مات كافرا في السنة الأولى من الهجرة. ينظر الأعلام: ٨ / ١٢٢.

أما الفصل الأول- وهو في الهدى

فالكلامُ فيه يقع في موضعين: **أحدهما** في تعيين معانيه. **والثاني** في كيفية إضافته إلى الله تعالى، وكيفية حَمْل ما في القرآن من ذلك.

أما الموضع الأول: وهو في تعيين معانيه؛ فله معان خمسة:

أحدها الهدى بمعنى البيان، والدلالة، يحكيه قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لّلنّاسِ ﴾ [البقرة:١٨٥] أي دلالة. وثانيها الهدى بمعنى الفوز والنجاة والثواب، يحكيه قوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٥] أي يُنَجيهم ويُثيبهم. **وثالثها** بمعنى زيادة التوفيق والتسديد، يحكيه قوله تعالى: ﴿وَالّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقُوَاهُمْ ﴾ [محمد:١٧]، أي زادهم توفيقا وتسديدا بِشَرْحِ صدورهم، وهو اللطف. **ورابعها** الْهُدَى بمعنى خَلْقِ العلوم الضرورية، يُقال: جَعَلَهُ مُهْتَدِيًا إذا خَلْقُ فيه الهداية، وهي خَلْقُ العلوم الضرورية، كما يقال: جَعَلَهُ متحركا إذا خلق فيه الحركة. **وخامسها** الْهُدى بمعنى الْحُكْم والتسمية، يحكيه قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوَاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء:٨٨]، وعليه يدل قولُ شاعرِ الْخَوَارج في علي (عليه السلام):

ما زَال يَهدي قومَه ويُضِلُّنَا جهلاً وَيَنسُبُنا إلى الكُفَّارِ

وكما قال الكميت بن زيد رحمه الله في أهل البيت (ع) [1]:

(١) هو الكميت بن زيد الأسدي الكوفي، ابن أخت الفرزدق. ولد سنة ٦٠هـ. شاعر عارف بآداب العرب

وطآئفةٌ قــد أكفــروني بحــبكم   وطآئفةُ قالوا:مُسيءٌ ومــذنِبُ

أي سموني كافرا وحكموا علي بذلك. فثبت الموضع الأول وهو في تعيين معاني الهدى.

وأما الموضع الثاني :وهو في كيفية إضافَتِه إلى الله تعالى، وكيفية حَمْل ما في القرآن من ذلك.

أما كيفيةُ إضافته إلى الله تعالى، فالْهُدى بمعنى الدلالة والبيان، وخَلْــقِ العلــوم الضرورية-يجبُ أن يفعلَه الله تعالى لجميع المكلفين[1] ســوآء كــانوا عاصــين أو مطيعين؛ لأنَّ تكليفَهم من دون ذلك يكونُ تكليفًا لما لا يُعْلَم، وهو قبيحٌ بالإجماع، ويكونُ تكليفًا لِمَا لا يُطاق وهو قبيحٌ أيضًا، وهو تعالى لا يفعلُ القبيحَ على ما تقدم تحقيقه، وما عدا ذلك من معاني الهدى لا يجوز أن يفعلَه الله تعالى إلا للمؤمنين دونَ غيرهم من الْمُكَلَّفين-وهو الهدى بمعنى الثواب، وبمعنى زيادة التوفيق-لأن المجــازاةَ بالثواب لمن لا يستحقُّه تكون قبيحةً على ما يأتي بيانه، وهو تعالى لا يفعلُ القبــيح

ولغاتها وأخبارها وأنسابها له الهاشميات في مدح بني هاشم وأهل البيت ، خطيب بني أسد، وفقيه الــشيعة، كان فارسا شجاعا سخيا راميا لم يكن في قومه أرمى منه. اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر؛ لــولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان، ولو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت لكفاهم-وأنا أقول:لو لم يكــن لدى الشيعة شاعر غير الكميت لكفاهم. وشعره أكثر من خمسة آلاف بيت ، وأشهر شعره الهاشميــات في مدح بني هاشم مطلعها:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطــرب   ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعــب

وقد ترجمت إلى اللغة الألمانية. توفي سنة ١٢٦هــ . أنظر معجم المــؤلفين ٢ / ٦٧١ . والأعــلام ٢٣٣/٥ . والغدير ١٩٥/٢ . والروضة المختارة شرح القصائد ص٢٩ .

(١) في (ب):لكل المكليفين .

على ما تقدم، وكذلك الْهُدَى بمعنى الْحُكْمِ والتَّسْمِيةِ لا يجوزُ أنْ يَحْكُمَ بالهدى إلاَّ للمؤمنين الذين قد اهتَدَوا بالهداية الأصلية، ولا يُسَمَّي بذلك إلا المهتـــدين وهـــم المؤمنون دونَ غيرهم.

وأما كيفيةُ حَمْلُ ما في القرآن من ذلك، فإذا ثبت ذلك قلنـــا:إنَّ كتـــابَ الله تعالى لا يدخله التناقض والاختلاف؛ لقوله تعالى:﴿لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فـصلت:٤٢]، ولقوله تعالى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [النســاء:٨٢]؛ فيجب أنْ يُنَزَّهَ عن التعارض والتناقض والفساد، وذلك لا يَتِمُّ إلاَّ بِحَمْلِ الألفاظِ الْمتشابهةِ على أدلة العقول، ومُحْكَمِ القرآن، فمتى أضافَ اللهُ تعالى في القرآنِ الْهُدى إلى جميع المكلفين؛ فالمرادُ به البيانُ والدَّلاَلَـــةُ، وَخَلْـــقُ العلوم الضرورية كمـــا قـــال:﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى ﴾ [الإسراء:٩٤] ومتى أضافه إلى بعض المكلفين بطريقة الإثبات، وهم المؤمنون، فالمرادُ به ما يجوزُ أن يفعله لهم من الألطاف والثواب كما قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد:١٧]، وقال تعالى:﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمـد:٥]، وقـــال:إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم [يونس:٩]، وقال تعـــالى:﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغـابن:١١]، وقال:﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾ [الأنعام:١٥٢] أي يُوَفِّقُه بالخواطر التي معها ينشرح صدرُه للإســـلام، أي لأجل الإسلام.

وما كان مضافا إلى بعض المكلفين على جهة الإثبات وهو المجرمون، فالمراد به

هُدَى الدلالة، والبيان، وخَلْقِ العلوم الضرورية.

وما كان مضافا إليهم بطريقة النَّفْي؛ فالمرادُ منه[1] ما لا يجوز أنْ يفعلَه لهم، كما قال تعالى:﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٨٠]، ﴿وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٣٧] ونحو ذلك، أي لا يُنَجِّيهم ولا يثيبُهم.

وإذا كان مضافا إلى نبينا محمد ﷺ بطريقة الإثبات فالمرادُ به ما يَدخُل[2] تحت مقدوره، وهو الهدى بمعنى الدلالة والبيان، كقوله تعالى:﴿وَإِنّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] ومتى أضافه إليه بطريقة النفي فالمرادُ به ما لا يدخل تحت مقدوره، وهو الهدى بمعنى الفوز والنَّجاةِ والثواب، كما قال تعالى:﴿إِنّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] أي لا تُنجي ولا تُثيب. فثبتَ الفصل الأول وهو في الهدى.

وأما الفصل الثاني:

وهو في الكلام في الضلال فالكلام فيه يقع في موضعين:

أحدهما في تعيين معانيه. **والثاني** في كيفية إضافته إلى الله تعالى، وكيفية حَمْلِ ما في القرآن من ذلك.

أما الموضع الأول:وهو في تعيين معانيه؛ فله ثمانية معان:**أحدها** الضلال بمعنى العقاب والجزآء، يحكيه قول الله تعالى:﴿إِنّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ ❖ يَوْمَ

---

(١) في (ب) ، (ج): فالمراد به .

(٢) في (ب): فالمراد ما يدخله ، وفي (ج): فالمراد ما يدخل .

﴿يُسْحَبُونَ فِي النّارِ عَلَىَ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسّ سَقَرَ ﴾ [القمر:٤٧-٤٨] أي في عِقَابٍ ومُجازاة على ضلالتهم. والشيءُ قد يُسَمَّى باسم ما يُجَازَى به عليه، وباسم[1] ما يُؤَدِّي إليه، كما قال تعالى:﴿وَجَزَآءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، والجزآءُ لا يكون سيئةً وإنما جَرَى في ذلك على عادة العرب. قال عمرو بن كلثوم[2]:

ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أحدٌ عَلَينَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[3]

فسمَّى الجزآءَ على الجهل جَهْلاً وافتخر به. والجهلُ نَقْصٌ، والعاقلُ لا يَتَمَدَّحُ بالنقص، فثبت أن الشيءَ يُسَمَّى باسمِ ما يُجَازَى به عليه. وأمَّا أنَّه يُسَمَّى باسم ما يؤدي إليه، فدليلُه قول الله سبحانه:﴿إِنّ الّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىَ ظُلْماً إِنّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ [النساء:١٠]، فسمَّاه نارًا لَمَّا كان يؤدي إلى النار، وإن كان في الدنيا شَهِيًّا لذيذا.

وثانيها: الضلالُ بمعنى الهلاك، والذهاب، ومنه قوله تعالى:﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأرْضِ﴾[السجدة:١٠] معناه هَلَكْنَا وَذَهَبْنا وتَقَطَّعْنا .

وثالثها: بمعنى الإبطال، ومنه قوله تعالى:﴿وَالّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَن يُضِلّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٤] أي فلن يُبطِلَ أعمالَهم، وكذلك قوله تعالى:﴿الّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) في (ب): ويسمى باسم.

(٢) عمر بن كلثوم التغلبي أحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة. التي مطلعها:

ألا هُبِّي بصحنك فاصبحينا...إلخ وآخرها:

إذا بَلَغَ الرضيعُ لَنَا فِطامًا تَخر لـه الْجَبَابرُ سَاجِدِينَا

ت ٤٠ ق هـ ، وقيل:١٤٠ ق هـ . ينظر الأعلام: ٨٤/٥. ومجموع مهمات المتون ٨٠٦.

(٣) أنظر دويانه ص٤٠ .

وَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ أَضَلّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:١] أي أبطلها .

ورابعها:بمعنى التلبيس والتزيين للباطل، والإشارة إلى خلاف الحقِّ، والاستدعاءِ إلى الكفر، والأمْرِ به، يحكيه قولُ الله تعــالى:﴿وَأَضَلّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ ﴾ [طـه:٧٩]، ﴿وَأَضَلّهُمُ السّامِرِيّ ﴾ [طه:٨٥]، وقوله:﴿وَمَآ أَضَلّنَآ إِلاّ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الـشعراء:٩٩]. وقوله تعالى للنبي ﷺ:﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنّمَآ أَضِلّ عَلَىَ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيّ رَبّي﴾ [سبأ:٥٠]، إلى غير ذلك.

وخامسها:بمعنى الْحُكْمِ والتسمية، يقال:أضَلَّهُ إذَا سَمَّاهُ ضَآلاًّ وحَكَــم عليــه بالضلال. وعليه يدل قولُ الكميت، وقولُ الخارجي وقد تقدم[1]. ومثلُ ذلك قول طَرَفَةَ بن العبد:

ومَا زال شُرْبِي الراحَ حتى أَشَرَّني	صديقي وحــتى ســائني بعــد

أي سَمَّاني شِرِّيرًا.

وسادسها:أنَّ الضلال قد يُستعمل بمعنى الوُجدان، يقال:حُطْنَاهُ فما أضْـــلَلْنَاه، أي فما وجدناه ضَآلاًّ. كما قال عمرو بن مَعْدِي:قَاتَلْنَا بني سُلَيم فمـــا أَجْبَنَّـــاهُم، وجَاوَدْنَاهُم فما أَبْخَلْنَاهُم، وهَاجَيْنَاهُم فما أَفْحَمْنَاهُم، أي ما وجدناهم جُبَنَآء، ولا

---

(١) ص١٨٤ .

(٢) طرفة بن العبد البكري الوائلي: شاعر جاهلي أحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة، مطلع معلقته:

لِخَولَةَ أطــلالٌ بِبُرْقَــةِ ثَهْمَــدِ	تلوحُ كباقِي الوشم في ظــاهر

وفي ختامها:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً	وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَــمْ تُــزَوَّدِ

ينظر خزانة الأدب: ٢ / ٤١٩. الأعلام/٢٢٥. ومجموع مهمات المتون ص٧٨٨.

بُخلآء، ولا مُفْحَمِين.

وسابعها: أن الضلال قد يكون بمعنى ضَلَّ عِنْده[1]، كما يُقال: أضَلَّ إذا وقع الضلال عند الذي يُنسَب الإضلال إليه، قال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦] أي ضَلَّ عندهن كثير. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة:١٢٥] أي ازدادوا عِنْدَها كفرا إلى كفرهم[2]، وذلك أنَّهم كفروا بالسورة الأولى، ثم كفروا بهذه السورة. **وقيل:** إثْمًا إلى إثْمِهِم[3]. **وقيل:** شَكًّا إلى شَكِّهِم[4]، ونفَاقًا إلى نِفَاقِهِم. وإنَّما أضافَ ذلك إلى السورة لأنهم كفروا عند نزولها، وكقولهم: وما زادتْكَ موعظتي إلاَّ شَرًّا.

وثامنها: بمعنى ضَلَّ يقال: أضَلَّ فلانٌ إذَا ضَلَّ بعيرُه عنه. ويُقال: أماتَ إذا ماتتْ راحلتُه. وأعْطَشَ إذا عطِشَتْ إبلُه. قال الشاعر:

هَبُونِي امرأً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرُهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَثِيرُ

فهذا هو الموضع الأول: في[5] تعيين معاني الضلال.

وأما الموضع الثاني:

---

(١) في الأصل: عنده وعبده ، وفي (ب): عنده بكسر العين ونقط الباء من تحت والنون من فوق، وكذلك (ج) . وهو الأصح.
(٢) قاله قطرب، كما في النكت والعيون للماوردي ٢ / ٤١٦.
(٣) قاله مقاتل، كما ذكر ذلك الماوردي ٢ / ٤١٦.
(٤) قاله الكلبي، ينظر نكت الماوردي ٢/٤١٦. و الدر المنثور ٣ / ٥٢٢ عن السدي .
(٥) في (ب) ، (ج): وهو في.

وهو في كيفية إضافته إلى الله تعالى وكيفية حَمْلِ ما في القرآن من ذلك؛ فاعْلَم أنَّ الضلال على ضروب:

منها ما يصح أن يفعلَه الله تعالى بالجميع، وهو الضلال بمعنى الهلاك والذهاب والتقطيع؛ فإنه لابُدَّ من إماتَةِ كل مخلوق لقوله تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ولا بُدَّ بعد ذلك من الذهاب والتقطيع والعدم لقوله تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] أي كل شيء فَانٍ إلا ذاتَه[1]. ولأن ذلك معلوم من دين النبي ﷺ ضرورة.

ومنها ما يفعلُه الله تعالى ببعض المكلفين دون بعض، وهو الضلال بمعنى العقاب وما أشبهه؛ فإنه تعالى إنما يفعلُ ذلك؛ بمن يستحقه من العصاة دونَ مَنْ لا يستحقة؛ لأن العقاب لمن لا يستحقة يكونُ قبيحا على ما يأتي بيانه، وهو تعالى لا يفعل القبيح على ما مضى بيانه. ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَيُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ﴾[إبراهيم:٢٧]. ﴿وَيُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٦]. ونحو ذلك[2].

---

(١) غريب القرآن للإمام زيد ص٢٤٤، وقال:معناه إلا هو، ويقال:ما أريد به وجهه من الأعمال الصالحة ، وهو قول مجاهد كما في الدر المنثور٥/٢٦٧. والكشاف ٣/٤٣٧ .

(٢) أول الآية:﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ﴾ ...الآية ، قال الزمخشري:وإسناد الضلال إلى الله تعالى إسنادُ الفعل إلى السبب؛ لأنه لَمَّا ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم-تسبَّب في ضلالهم وهداهم. **أقول**:هذا **هو** تفسير العلماء الراسخين فلله أم أنجبت مثل الزمخشري. [الكشاف ١/١١٨] أما قراءة الإمام زيد **يَضِلُّ** بفتح الياء فلا إشكال فيها . [الكشاف١/١١٩]، وسماها في الدر المصون قراءة القدرية والمعتزلة [١/٢٢٣]. والرازي مج١ ج٢ ص١٥٣ وما بعدها. أقول:ولو كان الإضلال من الله لعباده لكان الله سبحانه أولى باللوم من العبد الذي لا حول له تعالى الله عن ذلك.

ومنها ما لا يصح أن يفعله الله تعالى بأحد من المكلفين؛ وهو ما تقدم ذِكْرُهُ من التَّزْيِيْنِ للباطل، والتلبيس للحق ونحو ذلك؛ لأنَّ ذلك قبيح ،وقد ثبت أنه تعـالى لا يفعل القبيح. ولا يصح أن يُقالُ:إنَّ مِنْ جُمْلَةِ معاني الضلال هو خَلْقُ الْكُفْرِ والجهل في الناس حتَّى يكونوا بذلك ضآلّين؛ لأنَّ ذلك لم يُوجد في اللغة العربية.وعلى أنـه لو وُجد فيها فإنه تعالى لا يصحَّ أن يفعلَ ذلك، من حيث إن ذلك قبيح،وهو تعالى لا يفعل القبيح على ما تقدم بيانه. فهذا هو كيفية إضافته إلى الله تعالى[1].

وأما كيفيةُ حَمْلِ ما في القرآن من ذلك-فاعلم أنه يجبُ حَمْلُ ما في القرآن من ذلك ومن جميع الآيات المتشابهة على ما يُوافق أدلةَ العقول، ومحكمَ القـرآنِ؛ لأن الأصلَ هو دلالة العقل، ولولاها لما عُرِفَ كونُ القرآن حُجَّةً يجب اتباعها، بـل لا يُعْرَفُ الصانع تعالى إلا بدلالة العقل؛ كيف بمعرفة فِعْلٍ من أفعاله وهـو القـرآن، فكذلك يجبُ حَمْلُ ما فيه على موافقة أدلة العقول، فيجب حمل مـا في القـرآن منسوبًا إلى الله تعالى على **الهلاك والعقاب** للكفار والفـساق، وبمعـنى **التَّـسمية والْحُكْم**، كما قال تعالى:﴿وَمَا يُضِلّ بِهِ إلاّ الْفَاسِقِينَ ﴾.

وكما قال تعالى:﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقاً حَرَجاً كَأَنّمَا يَصّعّدُ فِي السّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥] **معناه** مَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يعاقبَه جزآءً على عملـه للمعاصـي يجعلْ صدره ضَيِّقًا بما يُورد عليه من الأسباب والأحوال الموجَبةِ لِضيقِ صدره حـتى يصيرَ من ضِيقهِ مُمْتَنعًا من الصبر لشدة الضيق، كأنما يصعد في السمآء ، أي يَطْلُع

(١) ينظر الرازي مج١ ج٢ ص١٥٢ فقد أتى بما يشفي، ومتشابه القرآن ق١ ص٦٦.

في السمآء مِنْ عِظَمِ المشقة، أو بمعنى أنَّه فَعَل ما وقع منهم الضلالُ عندَهُ[1] نحو ما قدمناه في قوله:﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة:١٢٥]؛لأن ذلك هو الموافق لأدلة العقول ومُحْكَمِ القرآنِ دون ما

لا يصح فيه ومعنى قوله:﴿يُضِلّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر:٨] أي **يُهْلِكُ ويعاقبُ** من يشآء، وهم المستحِقون للعقوبه، ويثيب من يشآء وهم المستحقون الثواب[2] ؛لأن ما عدا ذلك لا يجوز، على ما تقدم. وعلى نحو ذلك يحمل ما في القرآن من الضلال والهدى

[الطَّبْعُ نعوذ بالله منه]

فصل:وعلى نحو ذلك يُحمَل ما في القرآن الحكيم من الطَّبْعِ والْخَتْمِ والفِتْنَةِ ونحو ذلك. ونحن نورد طرفًا من الآيات التي فيها ذِكرُ الطَّبْعِ وَالْخَتْمِ وَالفِتْنَةِ وما أشبه ذلك، ونُبينُ معانَيها لتحصلَ الفآئدةُ بمعرفةِ تلك المعاني[3].

فمن ذلك قولُه تعالى ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهمْ وَعَلَىَ سَمْعِهِمْ وَعَلَىَ أَبْصَارِهِمْ

---

(١) ينظر متشابه القرآن ١/٢٦٢-٢٦٥. وقال الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام في تفسير الآية:الشرح من الله هو التوفيق والتسديد والتبصير والتنبيه، وأن معنى قوله جل جلاله:﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥] هو بما يدارك عليه الأمر والدعاء، أمر به عبده ورسوله، ونزل عليه، فكلما زاد الله في إقامة الحجة عليهم والدعاء لهم، وإظهار الحق لديهم ازدادوا طغيانًا وإثمًا وتماديًا وعمى، فخذلهم الله لذلك وأرداهم وأذلهم وأشقاهم، فعادت صدورهم لما فيها من الشك والبلاء، وما يخافون من ظهور الحق عليهم، والهدى ضيقة حرجة، كأنما تصعد في السماء ، وإنما مثل الله صفتها بالتصعيد في السماء؛ لأن التصعيد أشد وأعظم البلاء . رسائل العدل ص١٧٤.

(٢) في (ب) ، (ج): للثواب .

(٣) ينظر البساط للإمام الناصر الأطروش ص١٣٦ .

غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾ [البقـرة:٧] الْخَتْمُ نكتةٌ سوداَء يجعلُها في قَلبِ مَنْ يعلم أنَّه لا يُؤمنُ علامةً للملائكة. وقيل:تَشبيه بمن خُتِمَ عليه كقوله:﴿صُمّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة:١٨] وكما قال الشاعر:

أَصَـــــمٌّ عَمَّـــــا ســـــآءه سَــــــمِيعُ.

وقال:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّــا وَلَكِنْ لاَ حَيَاةَ لِمَــنْ تُنَــادِي

ومعناه أنَّ الْكُفْرَ تَمَكَّنَ في قلوبهم فصارت كالمختوم عليها[(١)]. **وقيــل**:﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِهمْ﴾ أي حَكَمَ عليهم وَشَهِدَ بأنَّ قلوبهم لا تقبل الحق. وهو ثابــت في اللغة، ومن ذلك ختمتُ عليك أنَّك لا تُفلحُ، أي شهدتُ عليك[(٢)]، وهو شآئع في اللغة. فإن أهل اللغة قد يحذفون ألف الاستفهام كما قال شاعرهم[(٣)]:

[فوالله ما أدري وإني لحاسب] بسبعٍ رمينَ الجمــرَ أم بثمــان

ومن ذلك قوله تعالى:﴿فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾ [البقرة:١٠] معناه في قلوبهم شَكٌّ فزادهم اللهُ بما أنزَلَ من الآيات والْحُجَجِ شَكًّا فَشَكُّوا عند ذلك[(٤)].

---

(١) مجمع البيان مج١ ج١ ص٩٦.

(٢) في (ب): وقيل:استفهام بحذف ألف الاستفهام وهو شائع في اللغة . وقال في هامش الأصل:هنا ساقط قدر نصف سطر ويمكن أن يكون مالفظه:وقيل:وهو على حذف أداة تمت. كأنه يريـــد أداة الاســـتفهام يؤيده ما هو ثابت في (ب) . ينظر متشابه القرآن ١/٥١ .

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة، فقد ذكر عجز البيت وفيه رميت. ديوانه ٧٣.

(٤) وبه قال ابن عباس كما ذكره الماوردي ١ / ٧٤ ، وابن مسعود كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ / ٦٧.

وقيل:بِمَا أَنْزَلَ من الفرآئض والحدود[1]. وإنما أضاف اللهُ الشَّكَّ إليـــه–وإن كـــان منهم–لأنه وُجِدَ عند حصول فِعْلِه وهو نزول الآيات، ومازاده من الحجج، كمـــا ذكرنا في قوله تعالى:﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىَ رِجْسِهِمْ ﴾ ودللنا على ذلـــك. ومثـــلُ ذلك قولُ نوح عليه السلام:﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآئِيَ إِلاّ فِرَاراً ﴾ [نوح:٦] وقيل:معنى قوله:﴿فِي قُلُوبِهِم مّرَضٌ ﴾ أي غَمَّ بتمكين النبي صلى الله عليه وسلم، ونزوله بالمدينة، وما فتحَ اللهُ عليـــه، وظهورِ المسلمين، وكثرةِ الفتُوح[2] ﴿فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً ﴾ أي غمًّا بما زاده مـــن القوةِ والتَّمكين وبما أمده من النصر والتأييد.

ومن ذلك قوله تعالى حاكيًا عن إبليس لعنه الله ﴿**قال فبمآ أغويتني لأقعـــدن لهم صراطك المستقيم**﴾ [الأعراف:١٦] قيل:أغويتني:معنـــاه خَيَّبْتَنِـــي مِـــنْ رحمتـــك وجَنَّتِكَ[3]. والأغوآء:التخييب. وقيل:جعلتَني في العذابِ بمصيري إِلَيْـــهِ بحكمـــك. وقيل:أغويتني أي حكمت بغوايتي. فيكـــون بمعـــنى الحكـــم والتَّـــسمية. كمـــا يقال:أضْلَلْتَني أي حكمت بضلالتي، وسميتني ضـــآلاًّ علـــى مـــا تقـــدم تحقيقـــه. وقيل:مذهبُ إبليس الْجَبْرُ. والمجبرةُ أتباعُه. وقد رد الله عليه قولَه حين لَعَنَهُ، وأوجب عليه العذاب، حيث يقول:﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مّدْحُوراً﴾ [الأعـــرف:١٨] مَذْؤُومٌ

---

(١) انظر الماوردي: ١ / ٧٤ .

(٢) انظر الماوردي: ١ / ٧٤ .

(٣) الماوردي ٢/٢٠٦، ومنه قول الشاعر:

فَمَن يَلْقَ خَيرًا يحمدِ الناسُ أمـــرَه ومن يَغْوَ لا يعدم على الغَـــي لائمًـــا

أي ومن يُخِبْ. وينظر المتشابه ج١ ص٢٧٥. والبيت للمرقش.

قيل:هو الاحتقار. وقيل:بمعنى مذموم. والمدحور هو الْمُبْعَدُ من رحمة الله. وقال تعالى في الآية الأخرى:﴿وَإِنّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىَ يَوْمِ الدّينِ﴾ [ص:٧٨]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[التوبة:٨٧].

رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّ الطَّبْعَ نكتةٌ سوداء في قلوبهم جُعِلَت علامةً لقَلْبِ الكافر يُعْلَم به أنَّه لا يُفْلِحُ أبدًا. وقيل:على وجه التشبيه والذَّم لها؛ فكأنها كالمطبوع[(١)]؛ فلا يدخلُها خَيْرٌ، ولا ينتفي عنها شر. وقيل:استفهامٌ بحذف أَلِفِ الاستفهام كما في الْخَتْم. ومن ذلك قوله تعالى:﴿إِنّا جَعَلْنَا فِيَ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأذْقَانِ فَهُم مّقْمَحُونَ ❖ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٨-٩] نزلت هذه الآيةُ في أبي جهل وأصحابه، حَلَف إن رأى محمدا يُصلي ليرضخُ رأسَه بحَجَر فرآهُ فحمل حَجَرًا فَلَزِقَ بيده فعاد إلى أصحابه، فقام رجل من بني مخزوم فقال:أنا أقتله بهذا[(٢)] الحجر فأعمى الله بصره[(٣)]، وعليه يدل قوله تعالى:﴿فَأغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾. فأما قوله:﴿إِنّا جَعَلْنَا فِيَ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً ﴾..الآية. فقيل:هو في الدنيا. شَبَّه الكفَّار بمن هو كذلك في تَرْكهم الإيمان. وقيل:يكون الكفَّار كذلك في الآخرة وهو حقيقة.

---

(١) في (ب): كالمطبوع عليها . انظر الْمَاوِرْدي ١ / ٥٤٢ .
(٢) في (ب): بهذه .
(٣) انظر الدر المنثور ٥ / ٤٨٥ . والكشاف للزمخشري ٤ / ٦.

ومـن ذلـك قولـه تعـالى حاكيـا عـن موسـى عليه السلام:﴿إنْ هِـيَ إلاّ فِتْنَتُكَ﴾[الأعراف:١٥٥]، فمعنى قوله:﴿فِتْنَتُكَ﴾ أي امتحانُك وبَلِيَّتُك[١]؛ لأنهم كُلِّفُـوا الصبر. وقيل:﴿فِتْنَتُكَ﴾ عذابُك[٢]، وهو الرَّجفة في قوله تعـالى:﴿فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرّجْفَةُ قَالَ رَبّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مّن قَبْلُ وَإِيّايَ﴾ [الأعراف:١٥٥] الرجفة. قيل:هي الموت[٣]، وقيل:رِعْدَةٌ شديدة رَجَفَتْ لها قلوبهم فماتوا فبقي موسى يبكي ويقول:يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل خروجهم معي فأخشى أن يتَّهمني بنُـو إسـرائيل بهلاكهم، إلى غير ذلك، فأحيَاهم الله تعالى. وعلى هذا النسق يَجري الكلام في بيان معاني الآيات الجارية هذا الْمَجْرَى.

مسألة:

ونعتقد أن الله تعالى لا يعاقبُ أحدًا إلا بِذَنْبه ولا يُثِيبُه إلا بعمله

وهذه هي عقيدة جميـع المـسلمين. والكـلام منـها[٤] يقـع في خمـسة مواضع:**أحدها:**في حقيقة التعذيب. **والثاني:**في حقيقة[٥] المذهب وذِكْر الخـلاف. **والثالث:**في الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب اليه المخالفون من أدلة

---

(١) ينظر متشابه القرآن ١ / ٢٩٨. والكشاف ٢/١٦٤. والمـاوردي ٢/٢٦٦. والـرازي مـج٨ ج١٥ ص٢٠. والخازن والبغوي ٢/٥٩٢. والقرطبي ٧/١٨٨. والألوسي مج٦ ج٩ ص١١٠، علل الامتحـان بأن الله لما أسمعهم كلامه طلبوا رؤيته.

(٢) الطبرسي في مجمع البيان ٤/٤٦٩. والماوردي ٢/٢٦٦ ، وبه قال قتادة.

(٣) الرازي في التفسير مج٨ ج١٥ص٢٠ .

(٤) في (ب):فيها .

(٥) في (ب) ، (ج): حكاية .

العقل. **الرابع**[1]:فيما يؤكد صحةَ مذهبِنا، ويبينُ[2] فسادَ مذاهب المخالفين من أدلة الشرع. **والخامس:**في إِيْرَادِ طَرَفٍ مما يتعلق به المخالفون من الآياتِ والأخبار المتشابهةِ، وبيان ما يجوز فيه[3] من المعاني الصحيحة.

أما الموضع الأول:وهو في حقيقة التعذيب

فالتعذيبُ هو إيصالُ الضَّرَرِ المحضِ إلى الْمُعَذَّب. فقولُنا:إيصالُ الضرر المحض؛ لأنه لو لم يكن ضررًا محضًا لم يكنْ تعذيبا. ولو كان ضررًا غيرَ محضٍ نَحو أن يكونَ فيه نَفْعٌ أو دفعُ ضَرَرٍ أعظمَ منه لم يُعَدّ تعذيبًا. فيدخلُ في ذلك المضآرُّ الْمُسَتَّحَقَّة، وهو ما يَحْسُنُ من التعذيب. والمضآرُّ التي لا تُسْتَحَقُّ وهو ما يَقْبُحُ من التعذيب. وقولُنا إلى المعذَّب أدْخَلْنَا في ذلك تعذيبَ الواحدِ مِنَّا لنفسه بالمضآرِّ، وتعذيبَه لغيره، فإنَّ ذلك يُعَدَّ تعذيبًا في الوجهين جميعا.

ولا يُشترط في التعذيب أن يكونَ على جِهَةِ الاستحقاق؛ لأنَّ الحاسدَ لو حرَّق المحسود لَعُدَّ مُعَذِّبا له، وإن كان يعتقدُ عِظَمِ مترلتِه وعلوَّ درجتِه، فإنه قد يحسُده لذلك وأشباهِهِ ويعذبُه عليه، فثبت الموضعُ الأول.

وأما الموضع الثاني:وهو في حكاية المذهب وذكْرِ الخلاف

فمذهَبُنا أهلَ البيت أنَّ الله تعالى لا يعاقبُ أحدًا إلا بذنبه، ولا يُثيبُه إلاَّ بعَمَلِه،

(١) في (ب) ، (ج): والرابع .
(٢) في (ب): وتبيين فساد مذهب ، و(ج): وتبيين فساد مذاهب .
(٣) في (ب) ، (ج): فيها .

وهو قولُ العدليه جميعًا. وذهب قوم من الجبريةِ والحشوية[1] إلى أن الله تعالى يُعذبُ أطفالَ المشركين في النار بذنوبِ آبائهم[2]. ويتفرع على أُصولِ جميع الجبرية التي تقدم ذِكْرُها أنه يَحْسُنُ من الله تعالى أن يعذبَ الأنبيآءِ في نار جهنم. وأن يُثِيبَ الفراعنة، وأن يَخْلُقَ حيوانا في نار جهنم ليعذبَه فيها أبدًا.

وأما الموضع الثالث:وهو في صحة الدلالة[3] على ما ذهَبْنَا إليه.

وفَسادِ ما ذهبَ إليه المخالفون من أدلة العقل؛ فالذي يدل على ذلك أنَّ المجازاةَ بالثواب والعقاب لمن لا يستحق ذلك تكونُ قبيحةً والله تعالى لا يفعلُ القبيح. وإنّما **قُلنا:**بأنَّ المجازاةَ بالثواب والعقاب لمن لا يستحق ذلك تكون قبيحة. أَمَّا أنَّ المجازاةَ بالعقاب لمن لا يستحقُّ تكونُ قبيحةً-فلأنها ظُلْمٌ، والظُّلْمُ قبيح. وإنما قلنا:إن المجازاةَ بالعقاب لمن لايستحقَّه تكونُ ظلمًا؛ فلأنَّ الظُّلمَ هو الضَّرَرُ الذي يُوصله الفاعلُ إلى غيره لا لنفع يصلُ إِلَى ذلك الغير، ولا لِدَفْعِ ضَرَرٍ عنه، ولا لاستحقاقٍ، ولا للظَّن

---

(١) **الحشوية** لا مذهب لهم منفرد أجمعوا على الجبر والتشبيه وجسموا وصوروا وقالوا:بالأعضاء وقدم القرآن. قال الحاكم:منهم أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهوية ، وداوود ابن محمد الكرابيسي ومن متأخريهم محمد بن إسحاق بن خزيمة .

(٢) ينظر الإبانة ص٣٣ ، فإنه ذكر أنهم يعتقدون في أطفال المشركين أن الله تعالى يؤجج لهم في الأخرة نارا ثم يقول لهم اقتحموها . وقد رد عليهم القاضي عبدالجبار في متشابه القرآن ٢ / ٦٧١ حيث قال في قوله تعالى:﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾:يدل على بطلان القول بأنه تعالى يعذب أطفال المشركين ؛ لأنه أورد ذلك منبها على أنه لا ذنب لها، وأن الذنب للوائد. ولو كان تعالى يعذبها أبدًا لم يكن لهذا معنى ؛ لأن التعذيب الدائم أعظم من قتل الوائد لها، فلئن جاز أن تعذب، ولا ذنب لها؛ لَيجوزون القتل المتقدمَ، وإن لم يكن لها ذنب، ويدل على ذلك أن الكافر لم يُخْلَقْ كفرُه فيه؛ لأنه لو كان كذلك لكان حاله حال الموؤدة في أنه لا ذنب له، من حيث أُدخل في الكفر على وجه لا يمكنه اختيار خلافه.

(٣) في (ب):في الدلالة على صحة .

لأحدِ الوجهين المتقدِّمين، ولا يكون في الْحُكْم كأَنَّه من جهةِ غيرِ فاعـلِ الـضَّرَرِ سوآء كان هو المضرور أو غيره[1].

قلنا:الضَّرَرُ جنسُ الحدِّ يشترك فيه جميعُ المضَآرِّ الحسَنَةُ والقبيحـةُ، وينفـصلُ بذلك عن المنافع الْمَحْضَة، فإنها[2] لا تُعد ظُلمًا. **وقلنا**:الذي يوصله الفاعلُ إلى غيره احْتَرَزْنَا بذلك عما يوصِلُه إلى نفسه من المضآرِّ؛ فإنه لا يُعد ظُلما علـى جهـة الحقيقة–وإن جاز أن يُجرَى عليه ذلك مجازًا–وذلك لأنَّ قولنا:ظُلْمٌ يستدعي ظالمـا ومظلوما وهما غَيْرَانِ، والغيران هما كل شيئين ليس أحدُهما هو الآخر، ولا جملـة يَدْخل تحتها الآخر. قلنا:ولا جملة يَدْخل تحتَها الآخرَ احترازًا عن مِثْل يَد الإنـسان فإنها[3] لا تكون غَيْرًا له لَمَّا كان الإنسانُ جملةً تدخلُ تحتَها يدُه. **وقلنـا**:في حَـدِّ الظلم لا لنَفْعٍ يصلُ إلى ذلك الغير، ولا لِدَفْعِ ضَرَرٍ عنه احترزنا[4] بذلك عمَّا يكون فيه نَفْعٌ كتأديبِ الْمُؤَدَّبِيْنَ للصبيان؛ لأن يصلوا إلى المنازل الشريفة، وعما يكـونُ مفعولاً لدفع ضَرَرٍ أعظَمَ منه، نحو قطع اليد المستأكَلة، فإنَّ جميعَ ذلك لا يُعَدُّ ظلما. **وقلنا**:ولا لاستحقاق؛ لأنَّ ما يكونُ من المضآرِّ مستحَقا لا يكونُ ظلمًا نحو الْحدود وشِبْهِها. **قلنا**:ولا للظَّن لأحد الوجهين المتقدمينِ احترزنا بذلك عن المضآر المفعولةِ لظنِّ النفعِ، أو لِظَنِّ اندفاع الضَرَرِ بها، نحو ما ذكرناه من تأديب المؤدَّبين، وقطـع

---

(١) سيأتي مثاله فيمن يقتل معتديا فإن القتل كأنه من غير القاتل ؛ لأن الذي دعى إليه هو العدوان.
(٢) في (ب): وإنها .
(٣) في (ب): فإنه.
(٤) في (ب): احترازا ، وكذلك مثلها احترازا بعد خمسة أسطر.

اليدِ المستأكَلَةِ ونحو ذلك؛ فإن ذلك لا يكون ظلما وإن لم يوصلْ إلى منفعـــة، ولا اندَفَعَتْ به مضرةٌ متى كان مفعولا للظن لأحدِ هذين الوجهين[(١)].

قلنا:ولا يكون في الحكم كأنَّه من جِهَةِ غير فاعل الضرر ســوآء كـــان هـــو المضرور أو غيره؛ لأنه متى كان ذلك[(٢)] لم يكن ظُلمًا؛ ولهذا فإن مَنْ بَطَشَ بغـــيره بغير حق و لم يندفع ضَرَرُه إلا بِقَتْلِه جازَ قتلُه دفعًا للضَّرَرِ الحادثِ منه. ولا يكـــونُ قَتْلُهُ ظُلْمًا لَمَّا كان في الحكم كَأَنَّهُ من جهةِ غير فاعل الـــضرر، بـــل مـــن جهـــةِ المضرور، كذلكَ فإنَّ مَنْ رمى بصبي في النار فاحترقَ فإنَّ الاحتراق من الله تعـــالى، وليس بظلم لَمَّا كان في الْحُكم كَأَنَّه من جهة غيره بل من جهة الطَّارح للصبي في النار. والذي يَدلُّ على صحة هذا الحد أنه يكشف عن معنى المحدود علـــى جهـــة المطابقة؛ ولذلك يطَّرد المعنى فيه وينعكس، وذلك من دلائل صحَّةِ الحد؛ فثبـــت أنَّ العقابَ لمن لا يستحقه يكون ظُلما. وإنما قلنا بأن الظلم قبيح لِمَا تقدم بيانُه في أوَّل مسآئل العدل. وأما أنَّ المجازاة بالثواب لمن لا يستحقه تكون قبيحة؛ فلأنها تتضمن التعظيمَ لمن لا يستحقهُ. وتعظيمُ من لا يستحقُّ التعظيمَ قبيحٌ. وإنما قُلنا:بأنها تتضمن التعظيمَ لمن لا يستحقه؛ لأنَّ الثوابَ هو المنافع العظيمة الخالصة الدآئِمة المفعولةُ على جهة الإجلال والتعظيم على ما يأتي بيانُه في الوعد والوعيد إن شَآء الله تعالى. **وإنما قلنا**:بأنَّ تعظيمَ من لا يستحق التعظيمَ قبيحٌ؛ لأنه يقبُح السجود للجمادات. وقُـــبْحُ

---

(١) في (ب) ، (ج): لأحد الوجهين .

(٢) في الأصل: كذلك ، تعليقة كأنه من باب الظن .

ذلك معلوم بفطرة العقل، وإنَّما قَبُحَ ذلك لكونه تعظيما لمن لا يستحق التعظيمَ بدليل أن الْحُكمَ الذي هو القُبْحُ يَثبتُ بثبوتِ ذلك، نحو السجود للأصنام، وينتفي بإنتفائه، نحو السجود لله تعالى. وليس هناك ما تعليقُ الحكم به أو لى. وقد شاركه المجازاة بالثواب لمن لا يستحقهُ في كونها تعظيما لمن لا يستحق التعظيمَ فيجب أن يشارَكه في القبح؛ لأن الاشتراك في العلة توجب[1] الاشتراكَ في الحكم وإلا عاد على أصل التعليل بالنقض والإبطال. فثبتَ أنَّ المجازاةَ بالعِقاب والثواب لمن لا يستحق ذلك تكون قبيحة. **وإنما قلنا:** بأن الله تعالى لا يفعل القبيح لِمَا قد حَقَّقناه وأوضحناه بحمد الله تعالى، وبذلك يثبت الْموضع الثالث.

وأما الموضع الرابع: وهو فيما يؤكد صحة مذهبنا، ويوضح فساد مذاهب[2] المخالفين من أدلة الشرع.

فالذي يدل على ذلك الكتابُ والسنةُ والإجماعُ. **أما الكتاب:** فكتابُ الله تعالى ناطقٌ بذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾[العنكبوت:٤٠]. وقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ❖ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ❖ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ❖ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ [النجم:٣٨-٤١] ، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[يونس:٤٤]، ولا ظُلمَ أعظمُ مِنْ تَعْذِيْبِ مَنْ لا جُرْمَ له، وقوله

---

(١) في (ج): يوجب.
(٢) في (ب): مذهب.

تعالى:﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٠]، وقوله تعالى:﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مّن شَيْءٍ ﴾ [النمل:٩٠]، فأوجب تعالى أهم لا يحملون من خطايا الغير شيئًا،

وقوله تعالى:﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلّ نَفْسٍ إِلاّ عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام:١٦٤] وقوله تعالى:﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنّمَآ أَضِلّ عَلَىَ نَفْسِي ﴾ [سبأ:٥٠]، وقوله:﴿مّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [الجاثية:١٥] وقوله تعالى:﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦] وأشباه ذلك مما صَرَّح فيه بأنه لا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِجُرْمِ غيره، وأنه لا يُثيبُه إلا بعمله، وأنه يعاقبه على عمله، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة:فكثير نحو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال:((أَتَدْرُونَ مَنِ الّلاهُونَ مِنْ أُمَّتِي؟)) قالوا:اللهُ ورسولُه أعلم. قال:((نعم أولادُ المشركين لم يُذنبوا فيعذَّبُوا، و لم يَعْمَلُوا حسنةً فيثابُوا، فَهُمْ خَدَمُ أهلِ الجنة))[1]. **ونحو** ما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سُئِل عن أطفال المشركين؟ فقال:((لم تكن[2] لهم حَسَنَاتٌ فيُجَازُوْا بها فيكونُوا من مُلوكِ الجنة، و لم يكنْ لهم ذُنُوبٌ فيعاقَبُوا بها فيكونُوا من أهل النار، فهم خَدَمُ أهل الجنة[3])). **ونحو** ما روي عن الأسود بن يزيد أنه قال:بَعَثَ النبي ﷺ سرية فأسرعوا[4] في القَتْلَ حتى أصابُوا الوِلْدَانِ، فقال

---

(١) روي أنهم خدم أهل الجنة . الطبراني في الأوسط ٥/٢٩٤ رقم٥٣٥٥. وكشف الخفا ١/١٣٦ رقم٣٩٣.

(٢) في (ب): لم يكن .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ج١٤ /ص٢١ وعزاه إلى يحيى بن سلام

(٤) في هامش الأصل: فأسرفوا، ورمز ب ظ ، أي إنه ظن.

ﷺ:((ألم أنْهَكُم عن قَتْلِ الْوِلْدَانِ؟)) قالوا:إنَّما هم مِنْ أولاد المشركين يا رسولَ الله! قال:((أوليسَ خيارُكم أولادَ المشركين))؟ ثُمَّ أمَرَ مُنَادِيَهُ فنادى ألا إنَّ كلَّ مَولودٍ يولدُ على الفطرة. وفي بعض الأخبار:((حتى يُعرِبَ عنها لسانُها إما شاكرًا وإمَّا كَفُورًا))[1].

وروي عن ابن عباس أنه قال:أطفالُ المشركين في الجنة؛ فمن زعم أنهم في النار فقد كَذَبَ[2]؛ لقول الله تعالى:﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ❖ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير:٧-٨]، ومعنى قوله تعالى:﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ الموؤدةُ كانت:إذا وُلدتْ للجاهليه أنثى دَفَنُوها حيةً مخافةَ العار والحاجةِ. وسؤالُها توبيخ لقاتلها؛ لأنها تقول:قُتِلْتُ بغير ذنب. **وأما الإجماع**:فذلك لا خلافَ فيهَ[3] بين المسلمين ثبت الموضع الرابع.

وأما الموضع الخامس:وهو في إيراد طَرَفٍ مما يتعلق به المخالفون

من الأيات والأخبار المتشابهة، وبيان ما يجوز فيها من المعاني الصحيحة، فتعلقُوا في ذلك بما رووه عن النبي ﷺ أنَّ خديجةَ رضي الله عنها سألتْه عن أطفالٍ كانوا لها في الجاهلية، فقال:لو شئتِ لأسمعتُكِ ضُغَاهُمْ في النار[4].

---

(١) رواه مسلم ٤/٢٠٤٨ . باختلاف يسير.
(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦/ص ٥٢٦. بزيادة بل هم في الجنة.
(٣) فيه ساقطة في (ب) ، وفي هامشها فثبت ظ، وهو الأصوب..
(٤) في النهاية في غريب الحديث ٣/٩٢. والطبراني في الأوسط٢/٣٠٢ برقم٢٠٤٥؛ أنه قال لعائشة عن أولاد المشركين:((إن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يُسْمِعَكِ تَضَاغِيهم في النار)) أي صياحهم . القاموس ص١٦٨٣.

والجوابُ:أنَّ هذَا الْخَبَرَ من أخبار الآحاد فلا يَصِحُّ التعلق به في هذه المسألة على ما تقدم بيانه. على أنَّه إنْ صح عن رسول الله ﷺ أمْكَنَ حَمْلُهُ على موافقه اللغة، وذلك أنَّ المرادَ بالأطفالِ البالِغُون فَسَمتْهم أطفالا لقُرْبِ عهدهم بالطفوليَّةِ قال الشاعر:

عرضتُ لعامرٍ والخيلُ تُرْدِي بأطفالِ[1] الحروبِ مُشَمِّراتِ[2]

وتعلَّقوا بقول الله تعالى:﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾ [النسآء:٥٦]. قالوا:فَبَيَّنَ أنَّه يُعَذِّبُ الجلودَ الْمُبَدَّلَةَ التي لم تكن حالةَ المعصية. **والجواب**:عن ذلك أنَّ الظاهر لا تَعَلُّق لهم به[3] لأنه تعالى لم يذكر أنه يُعَذِّبُ الْجِلْدَ وهو موضعُ تعلُّقِ الْخَصْمَ. وقد ذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنه يُعيد جلودهم المعيَّنة. ومعنى تَجَدُّدِهَا هو أن يُزيلَ ما فيها من الاحتراق، ويُعيدها إلى ما كانت عليه. وقد يُقال لما هذه حاله بأنه غير وبأنه بدل. وقوله تعالى:﴿لِيَذُوقُواْ

---

(١) كأن الباء زائدة لإصلاح الوزن، والأصل:تردي أطفال؛ لأن الفعل يتعدى بنفسه.

(٢) في هامش الأصل:أو وجه أقرب من هذا، وهو أنهم قد كانوا بلغوا الإدراك وكَمُلَت لهم علوم العقل- وإن لم يحصل البلوغ؛ فإن البلوغ جُعِلَ مناطا للأحكام الشرعية من صحة المعاملة ونحوها، وارتفاع الولاية عليه. على أن الإمام القاسم بن محمد رحمه الله صَحَّحَ مِمَّنْ كَمُلَ تمييزه كُلَّمَا يصح من البالغ، واحتج بقوله تعالى:﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ يَأُوْلِي الألْبَابِ﴾؛ فأما الأمور العقلية فإنه يُخاطب بها إذا كمل تمييزه اتفاقاً. ويُروى أن رجلاً قال للمنصور الدوانيقي:إن الطفل إذا حصل له بعضُ الإدراك رَفَع حوائجه إلى أمه ظنًّا منه أنها منتهى النفع والضرر؛ فإذا زاد إدراكه رفعها إلى أبيه، فإن كبر يسيرًا رفعها إلى والي بلده، ثم إلى إمامه، ثم إلى الله تعالى، وإني قد رفعتُ حاجتي إلى والي بلدي فلم يصنع شيئا، وها أنا قد رفعتُها إليك فإن لم تنصفني فإني رافعها إلى المرتبة الثالثة [بعد وَالي البلد] فأشكاه المنصور. والمراد بيان ترقي الإدراك، والله أعلم. تَمَّت.

(٣) في (ب)، (ج):فيه.

الْعَذَابَ ﴾، أي ليجدوا أَلَم العذاب. وإنما سَمَّاه ذوقًا؛ لأنَّ أجسامهم تتجـــدد[1] في كل وقتُ كإحساس الذائق في تجديدِ الوُجدان من غير نقصان في الإحساس. وهو المروي عن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام فإنَّ في التفسير المضاف إليهِ أنَّ معنى قوله تعالى:﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾ غيرها. أي رَدَدْنَاهَا كما كانت أوَّلاً عند مماتها ودخولها في أجداثها. فكانتْ من قبلُ قد تمزقتْ وبَلِيَتْ وفَنِيَتْ، ثُمَّ رُدَّتْ، على هيئتِها وصُورتِها فأُحْرِقَتْ وُعُذِّبَتْ ثم أعيدت بعينها على هيئتـــها وصُـــورَتِها الأولى فُعَذِّبَتْ أيضا، فهي الْمُعَذَّبَةُ على الحقيقةِ، والْمُعَادَةُ للعذاب على الدوام بعينها لا سِواها. ولا يَصِحُّ أنْ يُقَالَ إنَّ الْمُعَاقَبَ هو جُلودٌ غَيْرُهـــا لم تَعْـــصِ اللهَ تعـــالى بِذَنْبٍ؛ لأنَّ الله تعالى يقول:﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ ﴾ [النجم:٣٨] وإنَّما الجلـــود التي تُبَدَّل هي الجلود التي عَصَتْ، وفي النار أوَّلاً حُرِّقتْ. فهذا هو تفـــسيره عليه السلام. وفي ذلكٌ قول آخرُ وهو أنَّ الله تعالى يُجدِّد لهم جُلودًا غيرَ جلودهم الأولى، وهـــو الذي يقتضيه ظاهرُ التِّلاوة. قال الحسن:يُنضِجُهم في اليوم سبعينَ ألف مرةً[2]. وقال مُعَاذٌ رحمه الله وقد سمع رجلا يقرأ هذه الآية بحضرة عُمَرَ تُبدَّل في ســـاعة[3] مائـــة مرة:فقال عمر:هكذا سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[4].

وذهب أهلُ هذين القولين جميعا سوى الهادى إلى الحق عليه السلام فلم يذكرْهُ بنفي

---

(١) في الأصل تعليقة:تجد

(٢) الدر المنثور ٢ / ٣١١.

(٣) في هامش الأصل:الساعة ، ظ.

(٤) الدر المنثور ٢ / ٣١١ ، والطبراني في الأوسط ٥ / ٧ برقم ٤٥١٧.

ولا إثبات إلى أنَّ الْجِلْدَ لا يلحقه العذاب لوجهين:**أحدهما** أنه ليس في ظاهر الآيــة أن الله تعالى يُعذب الْجِلْدَ؛ لأنه لم يذكر أنه يُعذّب الجلد. **والثاني**- أن الْجِلْـدَ لا حياة فيه ولا يتألم بانفراده، بل الْمُتَأَلِّم الجملةُ التي يكونُ بها الإنسان هو ما هــو، دون الفضلات والسمن والجلد والشعر[1]. **وإنما قلنا** ذلك؛ لأن الإنــسان يلحقُــهُ حكمُ أفعاله في حال سِمَنِهِ وهُزَالِه، وَقَبْلَ نباتِ شَعَرِه وبعد زواله؛ فالــذم والمــدح والأمرُ والنهي وغيرُ ذلك يتعلق بالجُملَةِ دون الفضلات؛ فَدَلَّ ذلك على أن الإنسان هو غير هذه الفضلات، وهو الجملةُ التي يكون بها الإنسانُ هو ماهو، وهو الــذي يعصي ويُطيع، وإليه يتوجه الثواب والعقاب دون الفضلات، فهو المتألم بما يقع من الألم دون الفضلات، ولهذا لو قُطِعتْ منه قطعة من جلدِهِ أو لحمِهِ فأُزِيلتْ عنــه لم يتألَّمْ إلا هو دونَها، فدَلَّ ذلك على أنه لا حياةَ فيها، وإلا وجب أن تتألم[2] عنــد الانفصال. ومعلومٌ أنه يتألم قَبْلَ انفصالها عنه وبعدَه فيشتبه[3] الحالُ عند اتــصالها. والمتألم على الحقيقة هو الإنسان دونَها.

وإذا ثبت ذلك لم يلحقِ العذابُ الجلود، بل يلحقُ الجملةَ التي يكون بها الإنسانُ هو ما هو، وهو الذي يتعلق به الإعادةُ دون الفضلات، وإذا كان كذلك سَــقَطَ تعلُّقهم بالآية. وسيآتي في ذلك مزيدُ إيضاح إن شآء الله تعــالى في بــاب الوعــد والوعيد.

---

(١) ينظر الماوردي ١ / ٤٩٧ . بمعنى مقارب.

(٢) في (ب): يتألم

(٣) في (ب): فيشبه.

ومن ذلك قولـــه تعـــالى:﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائـــدة:٢٩].

قالوا:فَبَيَّنَ أنه يُؤَاخِذُ بجُرم الغير. **والجواب:**أن المعنى أنه أراد أن تبوء بـــإثمي يعـــنى بإثْمِك في قتلي، وأضاف الإثْمَ إلى نفسه لِيُمَيِّزَ بينَ الإثمين. وقد ثبتَ عند أهل اللغة جوازُ إضافة الفعل إلى المفعولِ به، كقولهم:ظُلْـــمُ زيـــدٍ، يعـــنى ظُلْمُـــكَ لزيـــدٍ، وكقولهم:قَتْلَ زيدٍ يعني قَتْلُكَ لزيدٍ، فلما كان لهذا القاتلِ وهو قابيل إثمٌ؛ لأَجْلِـــه لم يُقْبَلْ قربانُه، وإِثْمٌ في قَتْلِه لأخيه هابيل–مَيَّزَ بينهما بأنْ أضاف أحدَهما إلى قابيل وهو إثمُهُ المانعُ من قبول قربانه، وأضافَ الإثمَ الأخرَ إلى نفسه، أعني نفسَ هابيل، ويدلُّ على ذلك أنه جعل امتناعه عن قتله سببًا لِيَبُوءَ بالإثمين؛ لأنه لَمَّا امتنع من مقاتلتـــه استحق القاتلُ وهو قابيل العقوبة على قتله لهابيل، مع استحقاقه للإثم الأوّلِ الـــذي هو سَبَبُ تَرْكِ قبول قربانه. وهذا واضح بحمدالله[(١)].

ومن ذلك قوله تعالى:﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥]. قالوا:فأخبر تعالى أنه يُحَمِّلـــهم أوزارَ غيرهم، وأنَّه يعذبهم لأجل فِعْلِ سواهم.

والجوابُ:أن ما ذكروه فاسد لدلالة العقل والكتاب والإجماع:

آما العقل:فقد دللنا على أنه سبحانه لا يجوز أن يفعلَ ما هو ظلم. والأخـــذ بجرم الغير ظُلْمٌ؛ فهو غير فاعلٍ له .

وأما الكتاب– فقوله تعـــالى:﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّن شَيْءٍ﴾

---

(١) ينظر في معناه الكشاف ١/٦٢٤.

[العنكبوت:١٢]؛ فَبَيَّنَ أنهم لا يحملون من خطايا الغير شيئا.

وقوله:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] إلى غير ذلك مما تقدم ذكره .

وأما الإجماعُ: فهو أن المتعارَف أنَّ مَنْ حَمَل من ثِقْل غيره فإن ذلك يكون تخفيفًا عنه، وكذلك من حمل عين[1] وِزْره سقط عنهُ. وَالإجماع منعقد بين الأمةِ على خلاف ذلك؛ وإذ قد دللنا على فساد تأويلهم فَلْنُبَيِّن معنى الأية فنقول:إنَّ معناها أنهم يَحْمِلُون مِثْلَ أوزارِ أتباعهم؛ لإغوائهم إيَّاهم وإضْلالِهم لهم، و ذلك لأَنَّهُمْ فَعَلُوا فِعْلَين:**أحدهما** ضلالهم في أنفسهم، **والآخر** إغْواؤُهم لأتباعهم؛ فاستحقُّوا قِسْطَين مِنَ العذاب، وتحمَّلُوا حِمْلَين من الوزر. وأما إضافة ذلك إلى الأتباع بقوله:﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥] فإنَّما فَعَلَ ذلك؛ للتمييزِ بينَ ما يحمِلُونه من الوِزْر في أنفُسِهم، وبينَ ما يحملون لإضلالهم إيَّاهم، ولو أضاف إليهم لم يكن بينَ الأمرين فرقٌ. وذلك شبيه بقوله تعالى:﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة:٢٩]، على ما تقدم تفسيره. **ومثلُ** ذلك قول النبي ﷺ:((مَن سَنَّ سُنَّةً حسنةً، فله أجْرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة مِنْ غيرِ أن يَنْقُصَ من أُجُورِهم شَيْءٌ. ومن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعَلَيه وِزْرُها وَوِزْرُ مَنْ عَمِل بها إلى يوم القيامةِ مِنْ غَيْرِ أن يَنْقُصَ مِنْ وِزْرِهِمْ شيء))[2]. وروي:((ومِثْلُ وِزْرِ مَن

---

(١) في (ب): غيره ، وبناء عليه فتضبط مَنْ حَمَّلَ غيرَه وِزْرَهُ. وهو واضح.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل ٧ / ٥٦ برقم ١٩١٧٧ عن جرير عن أبيه ، ومجمع الزوائد ١/ ١٦٧ ، وابن ماجة ١ / ٧٤ رقم ٢٠٤ ، ٧٥ ، ٢٠٧ . بلفظ:من أوزارهم.

عَمِلَ بها))[1]، ولهذا قال علماؤنا: تَعظُمُ المعصيةُ لأجلِ ما يُقَارِنُها مــن التَّأَسِّــي في المستقبل وغير ذلك، وكذلك الطاعة. والشيءُ قد يُسمَّى باسم الشيء إذا كان مثلَه عند أهلِ اللُّغةِ، كقول القآئل: صُغْ هذا الخاتَمَ صياغةَ فُلانٍ، أي مِثْلَ صياغته. وقال الشاعر:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا ما دمتُ حيًّــا   على زيــد بتــسليم الأمــير

أي مِثْلِ تسليم الأميرِ، ومثلُ ذلك قول الله تعالى: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾ [الواقعة:٥٥] يعني مثلَ شُرْبِها. والهيمُ الإبل العطاشُ. فسقط قولُهم.

ومن ذلــك قــول الله تعــالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت:١٣] وهذا يدل على أنه يُحَمِّلُهم أثقالَ غيرهم؛ ويدلّ على أنــه يؤاخــذهم بجريرة غيرهم. **والجواب** عن ذلك أنَّ تفسيرَهم هذا فاسدٌ؛ لدلالة العقل والقــرآن والإجماع، على ما تقدم تحقيقُه، ولِوَجْهٍ آخرَ وهو أنَّ ظاهرَ الآية لا تَعَلَّقَ لهم فيــه، وذلك لأنه تعالى ابتدأ فقال: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مّن شَيْءٍ ﴾ [العنكبوت:١٢]. ثم قال: ﴿وَلَيَحْمِلُنّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ فقــد صرح تعالى بأنهم يحملون أثقالهم، وقوله: ﴿وَأَثْقَالاً ﴾ كَلامٌ مُبْهَمٌ ليس فيه أنه مــن أثقال غيرهم؛ إذ لو كان كذلك لكان مُناقــضًا لقولــه في أوَّل الآيــة ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مّن شَيْءٍ ﴾.

وعلى الجملة فَالْحَمْلُ هوالتَّحَمُّلُ لشيءٍ له ثِقْلٌ. والوِزرُ في أصل اللغــة أصــله

---

(١) أخرجه ابن ماجه١ / ٧٤ رقم ٢٠٣ ، ورقم ٢٠٥ ، ٢٠٦.

الثِّقْلُ[1] فمتى جعلوا الحمل والوزر على غير ذلك كان تَرْكًا للظاهرِ بإجماع؛ ولأنَّ مَنْ حمل مِنْ ثِقْلِ غيره فقد خَفَّفَ عنه من ذلك. والإجماعُ مُنعَقِدٌ على أنَّهُ لا يُخَفَّفُ عَنِ المحمول عنهم مِنْ أوزارهم؛ لأنَّهم يقولون: إنَّ هؤلآء يحملون مِنْ أوزارهم مِن غير أن يُخَفَّفَ عنهم، وهذا خلاف الظاهر، وإذا كان كذلك سَقَطَ تعلُّقهم بالآية.

وأما معنى الآية فقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنّ أَثْقَالَهُمْ﴾ يعني فيما اكتسبوه[2] من الكفر والعصيان، وقوله: ﴿وَأَثْقَالاً مّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾. الأُوْلَى وهي على ما أضافوه إليها ثانيًا مِنِ استغوائهم للمؤمنين، ودعائهم إياهم إلى الكفر، وضمانهم عنهم حَمْلَ أوزارِهم وعلى هذا التفسير لا يتناقَضُ أولُ الآيةِ وآخرها. وهو أيضا موافق لدلالة العقل والقرآن والإجماع؛ فبطَلَ قولُهم مِنْ كل وَجْهٍ، وصَحَّ مذهبُنا بحمد الله تعالى. وعلى هذا النسق يجرى الكلام فيما يتعلقون به.

مسألة في الاستطاعة: والكلام منها[3] يقع في موضعين:

أحدهما في حكاية المذهب وذكر الخلاف. **والثاني** في الدليل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ماذهب اليه الْمُخالفون.

أما الموضع الأول–وهو في حكاية المذهب وذكر الخلاف:

فاعلم أنَّا نعتقدُ أن الله تعالى كَلَّفَ عبادَه ما يطيقون، وأنه تعالى قد أقْدَرَهُم على ما كَلَّفَهُم، وأنَّ قُدَرَ العبادِ مُتَقَدِّمَةٌ على مقدوراتِهم، وغيرُ مُوجِبَةٍ لها، بل هي

---

(١) مختار الصحاح ٧١٩.

(٢) في (ب): اكتسبوا

(٣) في (د): فيها، وهو الأظهر .

تمكينٌ لهم:فإن شآؤُا فَعَلُوها، وإن شاؤا تَركُوها، وليْسُوا بمضطَرِّين إلى فِعْلِهَا ، بل هم مختارون في الفعل والترك. وهذا قول جميع العدليه. وذهبت المجبرة القدرية إلى النقيض مما تقدم.

وأما الموضع الثانى–وهو في الدليل على صحة ما ذهَبْنا إليه، وفساد ما ذهبَ إليه المخالفون.

فإذا أرَدْنَا ذلك تكلّمنا في ستة مواضعَ:**أحدهَا** في أنَّ العباد قادرون. **والثاني** أنَّ كونَهم قادرين إنَّمَا يَثْبُتُ لهم لمعانٍ تَحُلُّ فيهم وهي القُدَر.

والثالث في أنَّ القُدَرَ من الأعراض الباقيات، وأنَّهامتعلقةٌ بالضِّدَّينِ؛ فَالْقُدْرَةُ على الحركةِ قُدرةٌ على السكون. والقُدرةُ على السكون قُدرةٌ على الْحَرَكة، وكذلك سائرُ الأفعالِ المتضادَّةِ كالعِلْمِ والجهل، والإرادة، والكراهةِ ونَحْوِها، بمعنى أنَّه يُمكِنُ إيجادُ كلِّ واحدٍ من الضِّدَّينِ بَدَلاً عن صاحبه. **والرابع** أنَّها متقدمةٌ على المقدُورات، وغيرُ موجِبَةٍ لها. **والخامس** في بيان طَرَفٍ مِمَّا يؤكد ذلك من أدلة الشرع. **والسادس** فيما يتعلقون به من الآيات المتشابهة وبيانِ معانيها.

أما الموضع الأول–وهو[1] **أنَّ العبادَ قادرون**. فالذي يَدُلُّ على ذلك أنَّا قد بَيَّنَّا أنَّ العبادَ هم الْمُحْدِثُون لأفعالهم وتصرفاتِهم، بمعنى أنه كان يُمكِنُهم قَبْلَ إحْدَاثِها أنْ يُحْدِثُوهَا وأن لا يحدثوها، وأن العِلْمَ بذلك على سبيل الجملة ضروري، وهو أحد علوم العقل. وبَيَّنَّا في بيان الصفات أن كل مَنْ صَحَّ منه الفِعْلُ يَجِبُ أنْ يُفَارِقَ

(١) في (ب): وهو في .

مَنْ تعذَّر عليه ذلك بمفارقةٍ لولاها لما صَحَّ منه ما تَعَذَّر على الآخــر، وأنَّ تلــك المفارَقَةَ هي التي عبَّر عنها أهلُ اللغة بكونه قادرا.

وأما الموضع الثاني-وهو أنَّ كونَهم قادرين إنما يثبتُ لمعانٍ تَحُلُّ فيهم وهــي القُدَرُ. والذي يَدُلُّ على ذلك أنه قد ثبت كونُ الواحدِ منا قادرا، فلا يخلُو أنْ يكونَ قادرًا لذاتِه كما يقول النَّظَّامُ ومَنْ تابعه، أوْ لا لذاتِهِ. باطِلٌ أنْ يكون قادرًا لذاتِــه، ولا لِمَا هو عليه في ذاته؛ لأنَّه لو كان كذلك لَمَا صحَّ خروجُه عنها ما دامت ذاتُه، وما دام موجُودا. ومعلومٌ خلافُ ذلك. وإذا كان قادرًا لغيره فلا يخلو أن يكــون قادرا بالفاعل أو لِعَلَّةٍ. باطلٌ أن يكونَ قادرا بالفاعل؛ لأنه كان يجبُ أن يصحَّ الفعلُ بكل جزء من أجزآء الفاعل؛ لأن الصفة بالفاعل تَرجعُ إلى الأجزآء دون الْجُمَــل، ولو كان كذلك لكان يَجِبُ أن يكون الواحد منا بمنزلة قَادِرَينِ؛ لرجـــوع هـــذه الصفة إلى كل جُزْءٍ من أجزآئه.

ومعلومٌ خلاف ذلك فلم يبقَ إلا أنْ يكون قادرا لعلة ثم لا تخلُو[1] أن تكــونَ موجودةً أو معدومةً، والموجودةُ لا تخلو أن تكونَ قديمةً أو مُحْدَثَةً. باطلٌ أن يكونَ قادرا بقدرة معدومة أو قديمة؛ لأنه يكون في تصحيحها إبطالُها، وكل ما كــان في تصحيحه إبطالُه فهو باطلٌ على ما تقدم بيانُ ذلك كلِّه، فلم يبقَ إلا كونُ العبــادِ قَادِرِينَ لمعانٍ تَحُلُّ في أبعاضهم وهي القُدَر.

وأما الموضع الثالث-وهو أن القُدَرَ من الأعراض الباقيــات وأنهــا متعلقــة

---

(١) في (ب): يخلو .

بالضدين على الوجه الذي ذكرْنَاه. **أمَّا** إنها من قِبَل الباقيات فلأنّ مَن طولب بـــرد الوديعة التي عنده ثم مضى من الوقت مقدار ما يقطع به تلك المسافةَ و لم يردَّها-فإن العقلآء يَذُمُّونَه على ذلك، ويَعْلَمُون بضرورة العَقْلِ حُسْنَ ذمِّه على الإخلال بردها بعد ذلك، فلولا أنَّ قدرتَه حالة المطالبةِ بردها باقيةٌ إلى مُضِيِّ الوقت الذي يُمكنـــه قطعُ المسافة لَمَا صحَّ أن يذمَّه العقلآء على الإخلال بردها؛ لأنه يكون ذمًّا للغـــير على ما لا يقدرُ عليه، وذلك قبيح بلا خلاف. وسائر ما يُدَلُّ به على أنها متعلقـــةٌ بالضدين يَدُلُّ على أنها باقية، والذي يدل على أنها متعلقة بالضدين أن القولَ بأنهـــا غير متعلقة بالضدين يؤدي إلى المحال، وما أدى إلى المحال فهو محال. **وإنَّمَا قلنا**:بأن القول بأنها غيرُ متعلقةٍ بالضدين يُؤَدِّي إلى المحال؛ لأنه كان يجوز أن يكونَ بعـــضُ الناس قادرًا على نقل عشرين ألف رِطْل من حديد إلى جهة يُمْنَةٍ، ولا يكون قادرًا على نقل ريشة إلى جهة يَسْرة، وأن يكونَ بعضُ الناس قادرا على مـــشي مـــائتي فرسخ في جهة يَمْنة، ولا يقدرُ على مشي خطوة واحدةٍ في جهة يسرةٍ، بأن تحصلَ فيه القدرةُ على أحد الضدين ولا تحصل القدرةُ للآخر، ومعلومٌ ضرورة اســـتحالةُ ذلك وبطلانُه، فثبت أنه يؤَدي إلى الْمُحَال. **وإنما قلنا**:بأن ما أدى إلى المحال فهـــو محال فلأنَّ في صحته صحةَ الْمُحَال وفي ثبوته ثبوت المحال، فثبت أنَّ القُدرةَ متعلقةٌ بالضدين.

وأما الموضع الرابع-وهو أن القدرةَ متقدمةٌ على المقدورات، وغـــيرُ موجِبَـــة لمقدوراتها. **فالذي** يدل على ذلك أنها لو كانت مُوجِبةً لمقدورها وغيرَ متقدمةٍ عليه

لَمَا كلَّف اللهُ الكافرَ الإيمانَ. ومعلومٌ أنَّه قد كلَّفه الإيمان فثبت أنها متقدمةٌ على المقدور، وغيرُ موجبَة له. **وإنّمَا قلنا:** إنها لو كانت موجبةً لمقدورها وغيرَ متقدمةٍ عليه لَمَا كلَّف اللهُ الكافرَ الإيمانَ. **فالذي** يدل على ذلك أنَّ تكليف ذلك -والحالُ هذه- تكليفُ ما لا يطاق وهو قبيحٌ. **وإنّمَا قلنا:** إنه يكون تكليفا لِمَا لا يُطاق؛ لأنه متى لم يمكنه الانفكاكُ عن الكفر لمكان[1] القدرة الموجبةِ له أو لغيرها من المعاني كما يذهبُ إليه المتأخرون مِنَ الجبْريةِ، و لم تُخْلَقْ فيهِ قدرةُ الإيمان في حال كُفْرِه على قولهم-كان تَكْلِيفُه بالإيمان والانفكاكِ من الكُفْر-والحالُ هذه-تكليفًا لِمَا لا يُطاق لا محالة؛ لأنَّا لا نعني بتكليفِ مالا يُطاق إلا تكليفَ ما لا يمكنُ ولا قدرةَ عليه، إذِ الطاقةُ هي القدرة والاستطاعةُ. **وإنّمَا قلنا:** بأنَّ تكليفَ ما لا يُطاق قبيحٌ، ونُريد بذلك أنَّ البعث بالأمر والنهي على ما لا يمكن قبيح جَرْيًا على قول المجبرة: إن التكليف هو الأمر والنهي، ومخالفةً لمن أجاز منهم تكليفَ ما لا يُطاق بهذا المعنى الذي ذكرناه[2].

والذي يَدُل على قُبْح تكليفِ ما لا يطاق بهذا المعنى أنَّه يُعْلَم باضطرارٍ قُبْحُ تكليفِ الأعمى بنقط المصاحف، ومَنْ لا جَنَاحَ له بالطيران ونحو ذلك؛ ولهذا يشترك العقلآء في العلم بِقُبْح ذلك، ويَعُدُّونَ مَنْ طلب ذلك من الغيْر أو أَمَر به[3] ضعيف العقل ويذُمُّونه على ذلك، وليس ذلك إلاَّ لِعِلْمِهِم بِقُبْحِ ما ذكرناه، وإنما

---

(١) في (ب): لما كانت.
(٢) في (ب): ذكرنا.
(٣) في (ب): وأمر به .

قبح ذلك لكونه تكليفًا لما لا يُطاق، بدليل أنَّ الْحُكْمَ الذي هو القُبْحُ يثبتُ بثبوتِ ما ذكرناه، وينتفي بانتفآئِه وليس هناك[1] ما تعليق الحكم به أولى. **وقد** شــاركه تكليفُ الكافر الإيمانَ-والحالُ هذه-في كونه تكليفًا لما لا يطاق كما تقدم، فيجبُ أَنْ يشاركَه في كَونه قبيحًا؛ لأنَّ الاشتراكَ في العِلَّةِ يوجبُ الاشتراكَ في الْحُكْــمِ. **وقد بَيَّنَّا** في ما تقدم أنه لا يجوز ثبوتُ وَجْهِ القُبْحِ مع انتفآء القُبْحِ، وَبَيَّنَّا أنَّ القبيحَ يَقْبُحُ[2] مِنْ أي فاعل وقع منه. **وقد ثبت** أنه تعالى لا يفعل القبيح، فثبت أنَّ القدرة لو كانت موجِبَةً لمقدورها وغيرَ متقدِّمةٍ عليه لَمَا كَلَّف اللهُ تعالى الكافرَ الإيمانَ.

وأما الأصل الثاني:وهو أنَّ الله تعالى كلَّف الكافر الإيمانَّ فذلك ظاهر؛ فإنــا نعلم من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرورةً أنَّ الكفار مكلفون بالإيمان؛ ولذلك نُسِبَ مَنْ لم يؤمنْ إلى الجحودِ والكفر والتكذيب، وَأُلْحِقَ بهم الوعيدُ الشديدُ، فلا يكون هذا إلاَّ مع التكليف.

وأما الموضع الخامس:
وَهو في إيراد طَرَف مما يُؤَكِّدُ ذلك من أدلة الشرع

فيدل عليه قوله تعالى:﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، والوســع دون الطاقة. قال الشاعر:

---

(١) في (ب) هنالك .

(٢) في (ب): أن القبح يقبح .

كلفتُها الوسْعَ في سيري لها أُصُلاً		والوُســـعُ منـــها دُوَيْـــن الجهـــد

وقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ مَآ آتَاهَا﴾ [الطلاق:٧]، وقوله: ﴿فَاتّقُواْ اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقوله: ﴿وَللّهِ عَلَى النّاسِ حِجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحـج:٧٨]، والحرج هو الضيق.

وقد أخبر الله تعالى أنَّ المنافقين أَخبروا عن أنفسهم بنفي استطاعتهم للخـــروج مع النبي ﷺ وَحَلِفِهِمْ بأهم لو استطاعوا، لَخَرَجُوا وَكَذَّبهم[٢] تبارك وتعـــالى في ذلك. فقال عز قـــآئلا: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة:٤٢] فلو كانتِ القدرة موجبَةً لمقـــدورها لكانوا صادقين في قولهم: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾؛ لأنَّ المـــستطيعَ للـــشيء فاعلٌ له لا محالةَ على هذا القول. فَلَمَّا أكذبهم الله تعالى في ذلك دَلَّ على أهم كانوا مُستطيعين للخروج، وقد يستطيعون الخروج–وإن لم يخرجوا–وذلك يقضي بتقدم القدرة على مقدورها، وأها غيرُ موجِبَةٍ له، وأها قد توجد بدونه، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة: فكثير، نحو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: سَأَلَ موســـى ربَّـــهُ أيُّ

---

(١) يتحدث عن الناقة، والوخد نوع من السير. وفي (ب): دون، وهو يزحف البيت.
(٢) في (ب): وأكذبهم .

عبادِك أعزُّ؟ قال:الذي إذا قَدَر غَفَر [١]. وعنه ﷺ أنه قال حاكيا عن ربه عز وجل:يا ابنَ آدمَ أنا أولى بإحسانك مِنْكَ، وأنتَ أولى بذنبك مِنِّي، لم أَدَعْ تحذيرَك، ولم آخذْك على غِرَّتِك، ولم أُكَلِّفْكَ فوقَ طاقتك [٢]. وعنه ﷺ أنه قال:((عَلَيكُم من الأعمالِ بما تُطيقونَ)) [٣]، وعنه ﷺ [٤] ((إذا أُمِرْتُم بأَمْرٍ فأتو به ما استطعتم)) [٥]. وعن عمران بن الحصين قال:قال رسول الله ﷺ:((أَيَعجزُ أحدكم أن يعملَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ؟ قالوا:ومَنْ يستطيعُ ذلك يا رسولَ الله؟ قال:((كُلُّكُم يَستَطِيعُه. قالوا:ماذا يا رسول الله؟ قال:((سبحانَ الله أعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ أعظمُ مِنْ أُحُدٍ. الحمدُ لله أعظَمُ من أُحُدٍ. واللهُ أكبرُ أعظمُ مِنْ أُحُدٍ)) [٦]. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبته الغرّآء في مَوضِعِ العَدْلِ مِنْهَا بَعْدَ ذِكْرِ الخلق وبيانِ التوحيد:ثُمَّ أمر بتَرْبِيَتِه إلى كَمَالِ تَقْوِيَتِه، وأسبغ عليه النِّعم، ووضَعَ عليه القَلَم عند حال البلوغ، فلَمْ يُكَلِّفْه ما لا يُطيق، أَنظَره بالأمر، ومَدَّ له في العُمر، ثُمَّ كلَّفه دونَ

---

(١) أخرجه الحر العاملي في الجواهر السنية ص٦٤ عن الباقر (ع) قال:مكتوب في التوراة فيما ناجى الله موسى (ع):يا موسى أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي. قال موسى:يا رب أي عبادك أعز عليك؟ قال:الذي إذا قدر عفا.

(٢) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية ص٢٧٩ .

(٣) مسلم ١ / ٥٤٢ برقم ٧٨٥ ، وأحمد بن حنبل ١٠ / ٣١ برقم ٢٥٨٣٠.

(٤) في (ب): بزيادة ((أنه قال)).

(٥) الدار قطني مج١ ج٢ص٢٨١.وفتح الباري١٣/٢٦١باختلاف يسير.

(٦) أخرجه الطبراني ١٨/١٧٤ رقم٣٨٩. والبزار ٢/٤٠٠ رقم ٢٠٩٣ و ٢٠٩٤ . ولفظه:((أما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد عملا؟)) قالوا:يا رسول الله ومن يستطيع أن يعمل كل يوم مثل أحد عملا؟ قال:((كلكم يستطيعه))، قالوا:يا رسول الله ماذا؟ قال:((سبحان الله أعظم من أحد، ولا إله إلا الله أعظم من أحد، والحمد لله أعظم من أحد)). قال في مجمع الزوائد ١٠/٩٠ بعد ما عزاه إليهما:ورجالها رجال صحيح.

الْجُهد، ووضَعَ عنه مادون العَمْدِ. وقد أَطلقه لِلْفِكْرِ، وحثّه على النَّظَرِ، بعدَ وَصْفِه له للأدِلَّة، وإزاحتِه له كُلَّ علة. إلى غير ذلك من السنة.

وأما الإجماعُ: فذلك مِمَّا لا خلافَ فيه بينَ الصحابة والتابعين وهو قولُ أهـــل البيت المطهرين (ع).

وأما الموضع السادس:

وهو فيما يتعلقون به من الآيات المتشابهة، وبيان معانيها

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾ [هود:٢١] وقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ [الكهف:١٠١]، قالوا: فأخبر أنهم لم يكونوا يستطيعون السمع وكانوا مع ذلك مكلفين[(١)].

والجوابُ أنَّ الظاهِرَ لا تَعَلُّق لهم فيه؛ لأنَّ الظاهر يقتضي نفـــيَ اســـتطاعتِهِم السمعَ. والسَّمْعُ ليس بفعلٍ للعبد في الحقيقة، ولا يصح أن تكون[(٢)] له قدرةٌ عليه، فلو ذمَّهم الله تعالى على ذلك لكان قبيحًا جاريًا مَجْرَى ذمِّ الأعمى علـــى كونـــهِ أعمى. وإذا كان كذلك وجب صرفُ ذلك إلى ما هو مِن فِعْلِهم، وهو استثقالُهم الاستماعَ، وإعراضُهم عنه، وتَرْكَهُم لِلتَّفَكُّرِ فيه، وأخبر تعالى عـــن ذلـــك بِنَفْـــيِ الاستطاعة مبالغةً في الوصف. ومن ذلك قولُه تعـــالى: ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾

---

(١) يتظر الرازي مج١١ ج٢١ ص١٧٤.
(٢) في (ب)، (ج): يكون.

[الإسراء:٤٨].

واجواب:أنَّ معنى ذلك أنَّ حِيَل المشركين ضلَّت، فلم يقدروا أن يحتالوا لـــه حيلةً إلاَّ قولَهم إنه ساحر مجنون.

مسألة :ونعتقد أنه تعالى مريد وكاره وفيها ثلاثة فصول:

أحدها في الدلالة على أنه تعالى مريدٌ وكاره. **والثاني** في الدلالة على أنه تعالى لا يُريد الظُّلم ولا يَرْضى الكفرَ ولا يحبُّ الفساد. **والثالث** في إيراد ما يَتعلَّق به المخالفُ وإبطاله مِمَّا حَمَلَ عليه الآياتِ المتشابهةَ:

أما الفصل الأول–وهو في الدلالة على أنه تعالى مريد وكاره

فالذي يدل على ذلك أنه آمِرٌ وناهٍ ومُتَهَدِّدٌ، وكل من كان كذلك فإنه يجب كونه مُرِيدًا وكارهًا، وإنَّما قلنا:بأنه آمرٌ وناهٍ ومتهددٌ؛ لأنَّ ذلك مِمَّا أجمعَ عليه المسلمونَ، وعُلِمَ من ضرورة الدِّين، ونطق به القرآن المبينُ. **وَإِنَّمَا قُلْنَا**:بأنه لا يكون كذلك إلا وَهُوَ مريدٌ وكارهٌ؛ لأنَّ كونَه مُرِيدًا وكارها داخلٌ في حقآئق هذه الأمور، وإذا كان داخلا في حقآئقها وجب أن يكونَ مريدا و كارها.

وإنَّما قُلْنَا:بأن كونه مريدا و كارها داخلٌ في حقآئق هذه الأمور بدليل أنَّ الأمْرَ هو قَوْلُ القآئِل[1] لغيره افعلْ أو لِيَفْعَلْ، أو ما يجري مَجْراهما على جهة الاستعلآء دون الخضوعِ، مع كَوْنِ الْمَوْرِد للصيغة مُريدا لما تَنَاوَلَتْهُ. **قُلنا**:هو قول القآئِل لغيره؛ لأنه لا يكونُ آمِرًا لنفسه. **قُلنا**:افعل؛ لينفصلَ عن النهي، ويكونَ أَمْرًا للحاضر. **قُلنا**:أو لِيَفْعَلْ؛ لئلاَّ يخرجَ عنه أمرُ الغآئِب.

قُلنا:أو ما يجري مَجْراهما نُريد بذلك الأمرَ بصيغةٍ تصلحُ للاثنين والجماعةِ

---

(١) في (ب): أن الآمر هو القائل .

والمؤنث والمذكر غير الواحد. **قلنا:**على جِهَةِ الاستعلآء دون الخضوع احترازا[1] من السؤآل والدعآء؛ فإنه وإن كان بهذه الصيغة؛ فإنه ليس على جِهَةِ الإستعلآء فلا يكون أمرًا. **قُلنا:**مع كونه مريدًا لِمَا تناولتْه الصيغةُ لينفصلَ بذلك عن التهديد بصيغة الأمْرِ فإن التهديد بصيغةِ الأمْرِ قولُ القآئِلِ لغيره:افعلْ أو ليفْعَلْ أو ما يَجْري مَجْرَاهما على جهةِ الاستعلآء دونَ الخضوع، مع كونه كارها لِمَا تناولتْه الصيغةُ، نحو قول الْمُعَلِّم للصبيان:العَبُوا، وهو لا يُريدُ اللَّعِبَ لهم، بل يَكْرُهُهُ منهم.

وأما النهي:فهو قول القآئل لغيره:لا تَفْعَلْ أو لا يَفْعَلْ أو ما يَجْري مَجْراهما على جهةِ الاستعلآء دون الخضوع، مع كونه كارها لِمَا تناولتْه الصيغةُ. والاحترازاتُ فيه على نحو ما تقدم. إلاَّ أنَّ قَوْلَنَا:لا تفعل أوْ لا يفعلْ فَصْلٌ له عن الأمرِ وعن التهديد بصيغة الأمر. **وقلنا:**مع كونه كارها لما تناولتْه الصيغةُ فَصْلاً له عن التهديد بصيغة النهي؛ فإنَّ التهديد بصيغة النهي هو قول القآئل لغيره:لا تفعلْ أو لا يفعلْ أو ما يَجْري مَجْراهما على جهة الاستعلآء دونَ الخضوع، مع كونه مريدا لما تناولتْه الصيغةُ نحو قول المعلم للصبيان:لا تقرأُوا. وهو يُريد القرآءة. **وقد** دخلتْ حقيقةُ التهديد في الأمر والنهي لَمَّا كان منقسما قسمين:تهديد بصيغة الأمر، وتهديد بصيغة النهي. **فثبت** أنَّ كونه مريدا وكارها داخلٌ في حقيقةِ كونهِ آمِرًا وناهيًا ومتهددًا.

وإنَّمَا قلنا:بأنه متى كان كذلك لم يَجُزْ أن يكون آمِرًا وناهيا ومتهددا إلا وهو

---

(١) في (ب): احترازٌ. على تقدير مبتدأ. أي هذا احترازٌ. والنصب مفعول لأجله، وهو أولى.

مُريدٌ وكاره؛ لأنَّه لو لم يكن كذلك لعاد على ما عُلِمَ من حقيقة الأمــر والنـــهي والتهديد بالنقض والإبطال، وذلك مُحَـــالٌ. **يُبَـــيِّنُ** ذلـــك وَيُوَضِّـــحُهُ أنَّ قولــه تعالى:﴿اعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت:٤٠] تهديدٌ بلا خلاف، وقوله:﴿اعْمَلُواْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً ﴾ [سبأ:١٣] أمْرٌ بلا خلاف، وهما على سوآء في كونهما صيغتَيْ أمْرٍ. **فلولا** أنَّه مُريدٌ لما تناولتْه إحداهما، وكارِهٌ لِمَا تناولتْه الأخرى لَمَا كان بينهما فَرْقٌ. **ولكانـــا** أمْرَينِ معًا أوتهديدَينِ معًا، وذلك محالٌ. فثبت أنه تعالى مريد وكـــاره. **وإذا ثبـــت** ذلك فإنه تعالى يريد جميعَ أفعالِهِ سِوَى الإرادة والكراهَةِ عند القآئِلين بأنـــه تعـــالى مُريدٌ بإرَادةٍ هي غيرُ المراد من فعله تعالى.

فأما عند النَّافِيْنَ للفصل بين الإرادة والمرادَ فعندهم أنه تعالى مريـــدٌ لجميـــع أفعالِهِ، **فحصل** من ذلك إجماعُ المسلمين على أنه تعالى مريدٌ لأفعاله على التفـــصيل الذي فَصَّلناه. وقد ذهبتِ الْمُطَرَّفِيَّة إلى أنه تعالى لا يُريد أكثرَ أفعالِهِ، ولا يَقْصِدُها، بل وقع كثير منها من غير أن يُريده ولا يَقْصِده. **وقولُهم** خارج عمَّا عليـــه أهـــلُ الإسلام فلا عبرةَ به .

وأما أفعالُ غيرِ الله تعالى فإنه يُريد منها الطاعاتِ دونَ ما عداها من المعاصـــي وسواها؛ لأنَّه أمر بالطاعاتِ ولا يكون آمِرًا إلا مع كونه مريدا كما تقدم بيانه. ولا يجوز أن يُريدَ المعاصيَ؛ لأن في كونه مريدا لها إدخالَ النقص عليه كما تقدم بيانه، حيث بَيَّنَّا أنَّه تعالى لا يريد القبآئِح والحمد لله تعالى.

وأما الفصل الثاني

وهو أنه تعالى لا يريد الظلم، ولا يرضى الكفر، ولا يحب الفساد

فهذه عقيدتنا أهلَ البيت، وهي عقيدة العَدْلِيَّةِ جميعا. والخلاف في ذلك مع المجبرة القدرية؛ فإهم ذهبوا إلى أن الله تعالى مريد لكل ما يَحْدُث في العالَم من أفعال المخلوقين، سوآء كان حَسَنًا أو قبيحًا، وأنَّهُ ما أراد ما لم يَحْدُث سوآء كان إيمانا أو غيرَه. **وصرَّح** الحسنُ بنُ أبي بشر الأشعري بأنه تعالى رَضِيَ الكفر وأحبَّه، وهو مذهبُ أتباعه[1]. **والذي** يَدُلُّ على صِحَّةِ ما ذهبنا إليه يَتَّضِحُ بأنْ نَتَكَلَّمَ في أربعة مواضع:**أحدها:**أنَّ الرضى والمحبةَ والإرادة ألفاظ مترَادفة على معنىً واحد. **وَالثاني:**أنَّ إرادةَ القبيح قبيحةٌ. **والثالث:**أنَّه تعالى لا يريد القبيح. **والرابع:**في إيراد ما يتعلق به المخالفون وإبطالُه، وَيَدْخُلُ في ذلك طَرَفٌ مما يذكرونه من الآيات المتشابهةِ.

أما الموضع الأول:

وهو في أنَّ الرضى والمحبةَ والإرادة ألفاظٌ مترادفة[2] على معنى واحد.

فالذي يَدُلُّ على ذلك أنه لا يجوز أن يُثْبَتَ بأحد اللفظين وَيُنْفَى باللفظِ

---

(١) الإبانة ص١٨٢. والإرشاد للجويني ص٢١١ حيث قال:ومن أئمتنا من يطلق ذلك عامًا ولا يطلقه تفصيلاً، وإذا سُئِلَ عن كون الكفر مُرَادًا لله تعالى، لم يخصص في الجواب ذكر تعلق الإرادة به، وإن كان يعتقده، ولكنه يجتنب إطلاقه لما فيه من إيهام الزلل؛ إذ قد يتوهم كثير من الناس أن ما يريده الله تعالى يأمر به، ويحرض عليه تعالى الله عن ذلك. قلت:ولله القائل:

وكيف نهانا عنه وهو يريده		مقالة أفاك يقول ولا يدري

(٢) في دعوى ترادف المحبة والإرادة نظر؛ فإنه يجوز أن يخلق الله تعالى فينا إرادة لما لا داعي إليه كدخول النار فإنها تسمى إرادة ولا تسمى محبة. تمت السيد عبدالرحمن شايم.

الآخر، فلا يجوز أن تَقول:أُحبُّ أن تأكلَ طعامي ولا أُريدُ ذلك ولا أرضاه، ولا أنْ تقولَ أُريدُ ذلك ولا أحبُّه ولا أرضاه؛ بل يُعَدُّ مَنْ قال ذلك مناقضا لكلامه، جاريا مَجْرى مَن قال:أريد ذلك ولا أريده، [وأرضاه] [1] ولا أرضاه، وأُحبه ولا أحبـــه. فصحَّ أنَّ معنى هذه الآلفاظ واحد.

وأما الموضع الثاني:وهو أنَّ إرادةَ القبيح قبيحة

فالذي يدل على ذلك أنه لو كان مريدا للقبائح لكان حاصلا على صفةٍ مـــن صفات النقص؛ وذلك لا يجوز. **وإنَّما قلنا:**بأنه لو كان مريـــدا للقبـــائح؛ لكـــان حاصلا على صفة من صفات النقص. **فالذي** يدل على ذلك أنا مـــتى اعتقـــدنا في شخص من الأشخاص أنه من أهل الفضل والدين، وكنا نركن إليـــه في أمورنـــا، ونعتمد عليه في أحوالنا، ثم حكى لنا من نفسه أنه يريد القبائح نحو ما يَجـــري في الأرض من الظلم والجور والفساد، فإن مترلته تَسقُطُ عندنا، كما تَسْقُطُ لو فعـــل ذلك، وليس ذلك إلا لأنه أتى قبيحًا، وهيَ[2] إرادته للقبآئح، وهذه قضيةٌ ظاهرة؛ فإنَّ العقلآء يعلمون ذلك بعقولهم، فإذا كان الله تعالى مريدا للقبائح على قولهم كان حاصلا على صفة من صفات النقص. وهذا أمر لا خَفَى به. **وإنَّما قلنا:**بأن ذلك لا يجوز على الله تعالى لِمَا تقدم ذكره في فصل الرؤية مِنْ أنَّ النقائصَ لا تجوز عليـــه تعالى.

وأما الموضع الثالث:وهو في الدلالة على أنه تعالى لا يريد القبائح.

---

(١) ما بين القوسين محذوفة في (ب) .

(٢) في (ب)، (ج): وهو .

فيدل على ذلك وجوه: **مِنْها** قول الله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى لا يريد المعاصي من وجوه خمسة: **أحدها** أن الله تعالى حكى صريحَ مذهب المجبرة عن المشركين، وَرَدَّ عليهم، وَكَذَّبَهم بقوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. **الثاني** قولُه تعالى: ﴿حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ والبأسُ هو العذابُ، والعذاب لا يُستَحَقُّ إلا على الباطل. **والثالث** قولُه: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾، وهذا مما لا يُقال إلا للمُبْطلِ؛ لأنَّ الْمُبْطِلَ يقول ما لا يعلمه. **والرابع** قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾، ولا شك أنَّ هذا ذم لهم على اتِّباع الظن الذي لا يغني من[1] الحق شيئا. **والخامس** قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]–أي تَكْذِبُون. يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات:١٠]–أي لُعِنَ الكذابون[2]. فكانَ ذلك دليلا على عِظَمِ خَطَإِ مَنْ يَقُولُ بهذه المقالة.

وَمِنْهَا قولُه تعالى: ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، فنَفى إرادةَ الكفر والفساد عن نفسه؛ لأنَّ الرضى والمحبة راجعانِ إلى الإرادة كما تقدم بيانُه حيث بَيَّنَّا أنَّها ألفاظٌ مترادفةٌ على معنىً

---

(١) في (ب): عن .

(٢) في (ب): الكاذبون.

واحد. **وَمِنْهَا:** قوله تعالى: ﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:٣١]. **ومنها:** قوله تعالى: ﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:١٠٨]، فاللهُ تعالى نَفَى عن نفسه إرادةَ كُلِّ ظُلْمٍ على العموم، وإثباتُ ما نفاه الله تعالى عن نفسه لا يجوز؛ لأنه يكون تكذيبا للصادق وذلك لا يجوز، ولأنَّ إثباتَ ما نفاه الله تعالى عن نفسه يكون نَقْصًا على ما تقدم بيانه. **والنقائصُ** لا تَجوز عليه تعالى بإجماع المسلمين.

وَمِنْهَا: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ❖ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ❖ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ [الإسراء:٣٦-٣٨]. ولن تكون مكروهة له تعالى إلاَّ وهو كارهٌ لها. وقال تعالى: ﴿وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦]، وإذا كان تعالى كارها للمعاصي لم يكن مريدا لها.

ولا خلافَ بينَ العدليةِ في أنَّ إرادتَه تعالى مُحْدَثَةٌ، وكذلك كراهتُهُ، بل هم مُجْمِعُون على أنَّ إرادته مُحدَثَةٌ، وكذلك كراهتُهُ، وأنَّ الإرادةَ والكراهةَ فِعْلٌ من أفعَاله وإنِ اخْتَلَفُوا[1]؛ **فمنهم** من جعل الإرادةَ غيرَ المرادِ، والكراهةَ غيرَ المكروه، **ومنهم** من قال: إنَّ إرادتَه لفعله هي مُرادُه، **فمعنى** وصْفِهِ لله تعالى بأنَّه مريد أنَّه فَعَلَ ما فَعَلَهُ وهو عالِمٌ به، وغيرُ ساهٍ عنهُ، ولا مغلوبٍ عليه، فلم يَمتَنع أن يكونَ مُرِيدًا

(١) يظهر من الأمير الحسين (ع) -المؤلف- الميل إلى التوقف في معنى الإرادة كما هو المروي عن أخيه الإمام الحسن بن بدرالدين والإمام المنصور محمد بن المطهر (ع).

لأفعاله كلِّها على هذا المعنى؛ فليس هذا مما يجبُ معرفةُ تفصيلِه على كــلُ أَحَــدٍ، فبطل بذلك قولُ المجبرِة القدريةِ.

وأما الموضع الرابعُ:وهو في إيرادَ ما يَتَعَلَّقُ به المخالف وإبطاله

ويدخل في ذلك طَرَفٌ مما يَتَعَلَّق به المخالف من الآيات المتــشابهة. **فــاحتجَّ** المخالف لقوله بأنْ قال:لو وقع في مِلْكِ الله ما لا يُريده لكــان ضــعيفا عــاجزًا. **والجوابُ**-أنَّ ما ذكره المخالف لا يصحُّ؛ لأنَّا نقولُ له:إنما يَدُلُّ على عجزه وضعفه لو وقع على سبيل الْمُغَالَبةِ. ولا شك أنَّ الله تعالى قادر على منع العصاة من القبيح؛ لكن لو منعهم بالقهر لبطل التكليف؛ ولأن الله تعالى قد أمَرَ بالطاعة، ونهــى عــن المعصية، فَوُجِدَ في ملكه ما نَهَى عنه، ولم يُوجَدْ ما أمر به، فكما أنَّ ذلك لا يــدل على ضعفه وعجزه فكذلك في مسألتنا.

وتعلَّقوا بقول الله تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام:١١٢]، وبقولــه تعالى:ولو شآء الله ما اقتتلوا ، وبقوله تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرْضِ كُلّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩]، وبقولــه تعالى:﴿وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الّذِينَ مِن بَعْدِهِم مّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيّنَاتُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، إلى قوله تعالى:﴿وَلَكِنّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]. قالوا:فأعْلَمَنــا أنه لو شآء أن لا تكون هذه المعاصي لَمَا كَانَتْ، فَدَلَّ على أنه قد شــآء كَوْنَهــا وَفِعْلَهَا[1].

(١) ينظر الفخر الرازي مج٧ ج١٣ ص١٦٤، وقال:وأصحابنا يحتجون به على أن الكفر والإيمان بإرادة الله تعالى، والمعتزلة يحملونه على مشيئة الإلجاء. والطبري مج٧ج١١ ص٢٢٤ .

والجواب:أنه لا تَعَلُّقَ لهم بالظاهر لأنه ليس فيه أكثرُ مِنْ أنَّه تعالى لو شـــآء ألاَّ يَفعلوا ذلك لَمَا فَعَلُوه. وهذا مما لا خلاف فيه، ولكن مِنْ أين أنَّه يَدُل على أنه قد شآء ما فعلوه، وليس في الآية منه ذِكْرٌ، وهو موضع[1] الخلاف. وإنما الآيةُ تُفيد نَفْيَ العجزِ عن الله تعالى، وأنَّه لو شآء لقهر العباد فلم يفعلوا ما يكره؛ لكن لو مـــنعهم عن ذلك لبطل التكليفُ؛ لأنَّ مِن شرائطِ حُسْنِ التكليفِ زوالَ الإلْجَآءِ وَالْمَنْع على ما يأتي بيانُه. **وهذا** المعنى ثابتٌ في اللغة. فإنَّ قَائلَ أَهلِ اللغة لو قال لغيره:لو شئتُ لمنعتُك مما فعلتَ، ولو أردتُ لم تفعلْ كذا وكذا. فهذه الألفاظُ لا تُفيد إرادةَ القائلِ لِمَا يفعلُه ذلك الغيرُ، و لا تُستَعمَلُ في ذلك حقيقةً ولا مجازًا، وإنما تُفيدُ نَفْيَ العَجْزِ عن قائله في مَنْعِه منه وهذا ظاهر.

وتعلَّقوا بقوله تعالى:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللّهُ ﴾[2] [الإنسان:٣٠] قالوا:فبَيَّنَ تعالى أنَّ ما شآء العبدُ مِنْ طاعةٍ أو معصيةٍ فإنَّ اللّه تعالى يشاؤُها[3].

والجوابُ:أنَّ قَولَهم باطل؛ لأنَّ ذلك مذكورٌ في كتاب الله تعالى في مواضـــعَ محصورة:**مِنْهَا** قولـــه تعـــالى في المـــدثر ٥٦:﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللّهُ ﴾. **وَمِنْهَا**:قوله في هل أتى [٢٩-٣٠]:﴿فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىَ رَبِّهِ سَبِيلاً ❖ وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللّهُ ﴾. ومِنْهَا:قوله تعالى:﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ❖ وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ

---

(١) في (ب) و (ج): ذكر موضع.

(٢) تتمة الاية:﴿وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

(٣) ينظر الفخر الرازي مج١٦ ج٣١ ص٧٦.

أَن يَشَآءَ اللّـهُ ﴾ [في سورة التكوير:١٢٨-٢٩]، وهذا كله قاض بخلاف قولهم؛ لأنه تعالى بَيَّن أنَّهم لا يشاؤون الذِّكْرَ، ولا اتخاذَ السبيل، ولا الاستقامة، إلاَّ أن يشآءَ الله، وقد شآءَ اللهُ ذلك، وَأَذِنَ به، فقال:﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف:٢٩]، فجعَلَ المشيِّةَ في ذلك متعلقةً بالمكلفين، وفوَّضَ الأمرَ إليهم، وتوعَّدهم على فعل المعاصي، ونهاهم عن فعلها. **وإذا ثبت** ذلك فَمَشيئتُهم متعلقةٌ بهذه الأمور، وجميع ذلك في الطاعات. ولا خلافَ أنَّ الطاعاتِ كُلَّها بمشيئةِ الله تعالى، وأنَّ العبْدَ لا يشآءُ شيئًا من ذلك ما لم يشإِ اللهُ ذلك؛ لأنه ما لم يُؤتِه الاستطاعةَ لذلك، ولم يُمَكِّنْه منه، ولم يَشأْهُ منه، ولم يَهدِه اليه، ولم يُرِدْه منه، ولم يأمرْهُ به لم يُمْكِنْه أنْ يأتِيَ بذلك، ولا يكونُ ذلك طاعةً إلاَّ بأمره ومشيئته وترغيبه، فالآيةُ حجةٌ لنا عليهم والحمد لله تعالى.

وهكَذا يكونُ الجواب في كل ما يُوردونَه من ذلك. **ويدل** على مذهبنا من جهة السنة ما روي عن جابر[1] أن رجلا قال:يا رسولَ الله! أيُّ الإسلام أفضَلُ؟ قال:((أن تَهْجُرَ ما كَرِهَ ربُّكَ))[2]. وعن النبي ﷺ أنه قال:((إنَّ اللهَ كَرِهَ لكم العَبَثَ في الصلاةِ، والرَّفَثَ في الصِّيَامِ، والضَّحِكَ بينَ المقابر))[3]. فإذا كان اللهُ تعالى يَكره هذه الأفعالَ لم يَجُزْ أن يُنسَبَ إلى الله تعالى إرادةُ قَتْلِ الأنبيآءِ، وسائرِ

(١) في (ب):جابر بن عبد الله .
(٢) البيهقي في السنن ١٠/٢٤٣. بلفظ:أي الهجرة أفضل.. الحديث
(٣) الجامع الكبير للسيوطي ٢ / ٢٨٤ رقم ٥٤١٦ بلفظ:((إن الله تعالى كره لكم ستا: العبث في الصلاة، والمن في الصدقة، والرفث في الصيام ، والضحك عند القبور ، ودخول المساجد وأنتم جنب، وإدخال العيون البيوت [النظر إلى الداخل] بغير إذن)) ..

الفواحش، فَبَطَلَ قولُ القدرية.

مسألةٌ في التكليف

والكلامُ منها يقع في خمسة مواضعَ:**أحدها** في حَدَّ التكليف والمكلِّفِ والمكلَّف. **والثاني** في الدلالة على حُسْنِ التكليف على العموم. **والثالث** في الدلالة على حُسْنِ تكليف من المعلوم من حاله أنه يرد النار. **والرابع** في إيراد طَرَفٍ من شُبَهِهِم التي يتعلقُون بها في قُبْح تكليف مَنْ عَلِمَ اللهُ تعالى مِنْ حَالِهِ أنه يرد النار. **والخامس** في شروط حُسْنِ التكليف.

أما الموضع الأول–فالتكليف له معنيان:لُغَوِيٌّ واصطلاحي.

أما اللُّغَوي فهو البَعْثُ على ما يَشُقُّ من فِعْلٍ أو تَرْكٍ؛ لأنَّ التكليفَ مأخوذٌ من الكُلْفَةِ. **وأما الاصطلاحيُّ** فهو في اصطلاح المتكلمين إعلامُ الغير بوجوب بعض الأفعال عليه وقُبْحِ بعضها منه، وأنَّ الأولى به أنْ يفعل بعضها، وأنَّ الأولى به أنْ لايفعلَ البعض، مع مشقةٍ تلحقهُ في ذلك، أو في سببه، أو ما يتصل به، ما لم يبلغْ ذلك حدَّ الإلجآء. **قُلنا**:إعلامُ الغير، والإعلامُ على ضربين:**خَلْقِ العلوم** الضرورية بِقُبْحِ بعضٍ الأفعال، ووجوب بعضها، وكونِ بعضها مندوبا إلى فِعْله، وكون الآخَرِ مندوبا إلى أنْ لا يفعل. **والثاني** نَصْبُ الأدلة التي بالنظر فيها يُتَوَصَّل[1] إلى العلم بما ذكرناه أيضًا. **وقُلْنَا**:مع مشقة احترازًا مما لامشقةَ فيه؛ فإنه لا يكون تكليفًا؛ لأن التكليف مأخوذ من الكُلْفَةِ وهي المشقة؛ فلأنَّ الغرض بالتكليف إنما هو التَّعريض

---

(١) في (ب):يتوصل بها .

للثواب، وذلك لا يتم إلا معَ المشقة على ما يأتي بيانُه. فلو لم نَذْكُر ذلك في حَـــدِّ التكليف لانْتَقَضَ بالإعلام بوجوب بَعضِ الأفعال عليه، وقُبْح بعـــضها منـــه مـــع الإغنآء[(١)] بالحسن عن القبيح؛ فإنَّه لا يكونُ تكليفا. **وَقُلْنَا** في ذلك: نُريدُ به أن تكونَ الأفعالُ التي يتناولها المكلف[(٢)] شاقةً. **وقُلْنَا:** أو في سَبَبِهِ احترازا مما لا يَشُقُّ فِعْلُه ممـــا يتناوله التكليف-وإن كان سببُه شآقًّا نحو العلم بالله تعالى وبصفاته-فإنَّـــه وإن لم يكن شآقًّا في نفسه، بكونه مما يستروح إليه، فإنه لا يحصل إلا بعد المشقة في فعـــل سببه وهوالنظر.

وقُلْنَا: أو ما يتصل به احترزنا به مما يفعله الْمُنْتَبِهُ من رَقْدَتِه مِنَ المعرفة بالله تعالى فإنَّه وإن لم يكن شآقًّا في نفسه، ولا في سببه فإنه يلزم توطينُ النَّفسِ على دَفْعِ مـــا يَرِدُ عليه من الشُّبَهِ[(٣)] في ذلك وفي هذا المشقَّةُ الظاهرة .

وقُلْنَا: ما لم يكن مُلْجَأً إلى شيءٍ من ذلك، احترازًا عما يكون معه إلْجَآءٌ فإنَّه لا يكون تكليفًا؛ لأن التكليف تعريضٌ للثواب، والْمُلْجَأُ غيرُ معرَّض للثواب؛ لأنه لا يستحق الثواب إلا بأنْ يفعلَ الواجب لوجوبه، والحسَنَ لِحُسْنِهِ، ويتـــركَ القبـــيحَ لِقُبحه، والْمَلْجَأُ إنما يكون منه ذلك لِمَكَانِ الإلْجَآءِ فقط، فهذا هو حد التكليف.

وأمَّا المكلَّفُ فهو فاعلُ التكليف. **والْمُكَلَّفُ** هو مَنْ أُعْلِمَ بوجـــوب بعـــض

---

(١) في (ب): الاغتناء .
(٢) في (ب): التكليف.
(٣) في (ب) و (ج): الشبهة.

الأفعال عليه، وقُبْحِ بعضها منه، وأنَّ الأولى به أنْ يفعلَ بعضَها، وأنَّ الأولى به أن لا يفعل بعضَها، مع مشقة تلحقه في ذلك، أو في سببِهِ، أو ما يتصل به، ما لم يكن مُلْجأً إلى شيءٍ من ذلك. **والذي** يدل على صحة هذه الحدود أنه لا يسبِقُ إلى الأفهام من قولنا: تكليفٌ ومكلِّفٌ ومكَلَّفٌ سوى ذلك؛ ولذلك يَطَّرِدُ المعنى فيه وينعكس، وذلك أمارةُ صحةِ الْحَدِّ. **فثبت** بذلك الموضعُ الأول، وهو في حقيقة التكلِيف والمكلِّف والمكلَّف.

وأما الموضع الثاني

وهو في الدلالة على حسن التكليف على العموم؛

فالذي يدل على ذلك أن التكليف تعريضٌ لنفع عظيم لا يُنَال إلا به مع تَعَرِّيه عن سائر وجوه القبح. وكلُّ تعريض لنفع عظيم لا يُنَال إلا به مع تعريه عن سائر وجوه القبح فهو حسن.

وإنَّمَا قُلْنَا: إنَّهُ تعريض لنفع عظيم لا يُنَال إلاَّ به مع تَعَرِّيه عن سآئر وجوه القبح. **فالذي** يدل على ذلك أنه تعالى إذا خَلَقَنا، وأحيانا، وأكمل عقولنا، وخلق فينا شهوةَ القبيح، ونَفْرَةَ الحسن؛ فلا بُدَّ أن يكون له في ذلك غرض؛ لأنَّ تَعَرِّيَه عن الغرض يكشف عن كونه عَبَثًا. والحكيمُ لا يفعل العَبَثَ كما تقدم.

والغَرضُ في ذلك لا يجوز أن يرجعَ إليه تعالى؛ لأنه لا يجوز أن يفعل فعلا لغرض يرجع إليه تعالى؛ لاستحالةِ المنافع والمضَارِّ عليه، فلم يبقَ إلا أن يكون ذلك الغرضُ راجعًا إلينا، ولا يجوز أن يكون غرضُه سبحانه بذلك استدراجَنَا إلى الهلاك

أو إغراءنا[1] بالقبيح؛ لأنَّ ذلك قبيح.

وقد بيَّنّا أنه تعالى لا يجوز أن يفعل القبيح فلم يبق إلا أن يكون غرضه بذلك تعريضنا بالتكليف إلى منزلةٍ لا تُنَال إلا بالتكليف، وهيَ المنزلة التي لا شيء أعلى منها في المنافع، وهي التي نقول:إنها منزلةُ الثواب، وهي المنافع الدائمة الخالصةُ المفعولة على وجه الإجلال والتعظيم، ولو لا التكليفُ لما صَحَّ من المكلَّف أن ينال ذلك، ولا حَسُنَ من القديم تعالى أن يُرَقِّيَه إلى هذه الرتبة؛ لأن الابتدآء بمثل ذلك لا يَحْسُنَ؛ لأنَّ من حقه أن يفعل على وجهه الإجلال والتعظيم، وهما لا يَحْسُنَانِ إلاَّ مع الاستحقاق كما تقدم بيانه.

ومعلومٌ أنَّه لو لم يُطِع المكلَّفُ لم يستحِق المدحَ والتعظيمَ اللذَيْنِ يَستَحِقُّهما الْمُثَابُ؛ فإذن لا يستَحِقُّ هذا المدحَ والتعظيمَ إلا مع الطاعة، ولا تكون الطاعةُ طاعةً إلاَّ وقد بعث الله تعالى عليها لنفعل[2]. وهذا هو التكليف؛ فإذن لا سبيلَ إلى استحقاق الثواب إلا بالتكليف.

ومعنى كون التكليف تعريضا للثواب هو أنه تعالى أعلمنا بوجوب الواجبات وسائر ماذكرناه في حد التكليف؛ لنفعل ما يشقُّ فعلُه من ذلك، ونترك ما يَشقُّ تَرْكُه؛ لنستحقَّ بذلك الثواب، ومكننا من جميع ذلك مع علمه تعالى بأنا متى أطعناه في ذلك فإنَّه سبحانه يُوصلنا إلى الثواب لا مَحَالة؛ **فثبت** أن التكليف تعريضٌ لمنافعَ لا تتم إلا به.

---

(١) في (ب): وإغراءنا .

(٢) في (ج): ليفعل .

وقلنا: مع تعرِّيه عن سائر وجوه القبُح؛ لأنه لو كان فيه وَجْهٌ من وجوه القبح لما فعله الله تعالى لما ثبت من عدله وحكمتَه؛ ولأنَّ وجوهَ القبح محصورةٌ ولا شَيء منها في التكليف. **أمَّا كَونه ظُلما** فلا يُتَصور في التكليف؛ لأنه ليس بِمَضَرَّةٍ[1]. **فأما اقتران** المشقه ففي مقابلَتِها منافع الثواب العلية. **وأمَّا كَونه عبثًا** فقد بَيَّنَّا أن فيه فائدةً عظمى، وهي كونه تعريضا للثواب. **وأمَّا كونه تكليفا** لما لا يُطاق فليس يُتصور ذلك إلاَّ في تكليف الكافر على ما تذهب اليه المجبرة عليهم لعنةُ الله[2]. **وقد بيَّنَّا** في مسألة الاستطاعة أن الكافر قادر على ما كُلِّفَهُ من الإيمان في حال كفره. **وأما كونه كذبا** فلا يُتَصور ذلك فيه؛ لأن حقيقةَ التكليف مباينةٌ لحقيقة الكذب. **وأمَّا كونُهُ مفسدةً** فليس يُتَصور ذلك إلا في تكليفين: يَكون أحدهما داعيا للمكلَّف إلى تَرْكِ ما تناوله التَّكْلِيفُ الآخرُ، أو يكون تكليفُ أحد الشخصين مفسدةً في تكليف الشخص الثاني، ولو كان كذلك لما فعله القديم تعالى؛ لأن المفسدة قبيحة، وقد ثبت أنه تعالى لا يفعل القبيح.

وإنَّمَا قُلْنَا: بأن كل ما كان تعريضا لنفع عظيم لا يُنال إلا به مع تعريه عن سائر وجوه القبح فإنه حسن. **فالذي** يدل على ذلك ما نعلمه في الشاهد من أنَّ كل مَنَّ عرَّض غيرَه لمنافعَ عظيمةٍ فقد أحسن إليه؛ ولذلك يَحْسُنُ من الواحد منا تعريضُ أولاده، ومَنْ يدبِّر أمْرَهُ للمنازلِ الرفيعة، والمنافع العظيمة بالتعلم والتأدب،

---

(١) في هامش (ب): أي مضرة عارية عن جلب نفع كما هي حقيقة الظلم.

(٢) ينظر: الإرشاد ٢٠٤. المجبرة مثل إبليس لعنه الله قال: رب بما أغويتني؟ وهم قالوا: إن الله أجبرهم على فعل المعاصي، فهم مستحقون للعنة.

وإن كان ذلك شاقًّا على الطِّباع لَمَّا كان تعريضا لنفع لا يتم إلا به. **وإذا كانت** هذه العلةُ حاصلةً في حال التكليف وجب القضآءُ بأنه حَسْنٌ. بل هذه العلة في التكليف أقوى من تعريض الواحد[(١)] لولده؛ لأن تعريض القديم تعالى لنا بالتكليف تعريضٌ نَفْعُهُ خالصٌ لنا؛ لاستحالة المنافع والمضار عليه[(٢)] ولأن المنافع الأخروية وهي منافعُ الثواب مُتَيَقَّنَةُ الحصول، بخلاف المنافع الدنيوية في تعريض الواحد منا لولده فإنها مظنونة فقط؛ ولأن المنافع الأخرويةَ دائمةُ البقآء بخلاف المنافع الدنيوية فإنها زائلةٌ لا محالة بعد الحصول؛ ولأنَّ المنافع الأخروية يقترن بها التعظيم والإجلال بخلاف الدنيوية. فإذا كانت[(٣)] عِلَّةُ الْحُسْنِ في التكليف[(٤)] أقوى وجَبَ القضآءُ بكونه حَسَنًا.

وأما الموضعُ الثالث:

وهو في الدلالة على حُسْنِ تكليفِ مَنِ المعلومُ مِنْ حاله أنه يَرِدُ النار فعندنا أنه حَسَنٌ، وهو قول العدلية جميعا. وذهبت المجبرةُ إلى أنه قبيح. والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه، وفساد ما ذهب إليه المخالفون–أنَّ التكليفَ داخلٌ في زمرة أفعالُه تعالى، وأفعاله كلها حَسَنَةٌ، **يُبَيِّنُ** ذلك ويوضحه أنَّ العلم بأنه تعالى عَدْل حكيم لا يفعل القبيح غيرُ واقف على العلم بهذا التكليف ولا بحالته، وإنما يَقِفُ على العلم

---

(١) في (هـ): الواحد منا لولده .
(٢) في (ب): المنافع عليه والمضار.
(٣) في (ب): كان.
(٤) في (ب) ، (ج): علة الحسن والتكليف.

بكونه تعالى عالِمًا وغنيًّا؛ فمتى علمنا ذلك، وتوصلنا إلى العلم بعدلـه وحكمتـه تعالى، وَصَحَّ[1] لنا أنَّ أفعاله كلها حسنة، ثُمَّ عَلِمْنَا أن هذا التكليف من فعله-عَلِمْنَا يقينًا أنه حَسَنٌ، وإن لم نعلم[2] وجهَ الحكمة فيه. وَلَوْ وَرَدَ علينا الالتبـاسُ عنـد الاستكشاف عن وَجْهِ حُسْنِهِ لوجب أن لا يُزيلَنَا ذلك عن العلم بِحُسْنِهِ مع ثبوت الأَصْلَيْنِ الأولين:وهما أنهُ مِنْ فِعْلِ الله تعالى، وأفعالُه كلُّها حسنه. كما أنه قد يَـرِدُ علينا الالتباسُ في المشاهدات[3]، وإن لم يكنْ مزيلا عَنِ العِلْمِ بالمشاهدات رأسًـا. كذلك في مسألتنا.

دليلٌ ثانٍ-وهو أن الوجه الذي حَسُنَ لأجله تكليفُ مَنِ المعلومُ أَنَّهُ يُؤمنُ ثابتٌ في مَنِ الْمَعْلومُ أنه يكفر، وذلك لأنَّ الأوَّل إنَّمَا حَسُنَ لكونه تعريـضًا لِلْمُكَلَّـفِ للثواب على ما تقدم، وهذا بعينه قآئِمٌ في تكليف مَنِ الْمَعلومُ أنه يكفـر. وإنَّمـا يفترقان من حيثُ أن المؤمنَ أحْسَنَ الاختيار لنفسه، وأجاب داعيَ عقله فآمن. ولم يحسن الكافر الاختيار لنفسه، ولا أجاب داعيَ عقله، بل أجاب داعيَ شهوتِهِ فلـم يؤمن؛ وذلك لا يُخرجُ القديمَ من أن يكونَ متفضلاً عليهما على سوآء، وصـارت الحال في ذلك كالحال فيمن قَدَّم الطعامَ إلى جآئِعَيْنِ قد أشرفا على الهلاك لِمَكَـانِ الجوع؛ فتناول أحدُهما من ذلك الطعام فلم يَمُتْ، ولم يتناولِ الأخَرُ فمات وهلك.

---

(١) في (ب):وضح ، بناء على أنها جواب متى لأن جواب متى: علمنا. والأصح ما في الأصل.
(٢) في (ب): وإن لم نعقل.
(٣) يعني ما في الأرض والسموات من مخلوقات لا نعلم الحكمة منها كالحشرات والحيات والسباع كريهـة المنظر وغيرها.

فكما أنَّ المقدِّمَ للطعام يكون مُنْعِمًا عليهما جميعا، ولا يُقال:إنه منعم على الذي قَبِلَ دون مَنْ لم يقبل. كذلك الحال في مسألتنا.

وعلى هذه الطريقة تَجري الحال فيمن أدلى حَبْلَه إلى غريقين لِيَتَشَبَّثَا به فينجُوَا من الغَرَقِ فتشبَّثَ به أحدُهما فنجا. ولم يتشبث به الآخرُ فَهَلَكَ؛ فإنه مُنْعِمٌ عليهما جميعا[1]، فكذلك مانحن فيه، فَيَجبُ أن يكون التكليفَانِ جميعا حَسَنَينِ وإحسانين إلى الْمُكَلَّفينِ، وإن قَبِلَ أحدُهُما فآمنَ ولم يقبلِ الآخَرُ فكَفَر.

وأما الموضعُ الرابعُ:

وهو في إيراد طَرَفٍ من شُبَهِهِم التي يتعلقون بها في قُبح تكليف مَنْ عَلِمَ الله أنه لا يؤمن. وذِكْرِ الجواب عمايذكرونه من ذلك. **فمنها** قولُهم:إنه إنَّما قَبُحَ تكليفُ الكافر؛ لأنَّه تَعالى قد علم من حالهِ أنه يكفر، أوْ لأنَّه تعالى لم يعلم من حاله أنه يُؤمن. بخلافِ المؤمن فإنه قد علم من حالِه أنه يؤمنُ فيصلُ إلى الثواب[2].

والجواب عن ذلك:أنَّ العِلْم لا يؤثِّر في المعلوم، وإنما يتعلَّق به على ما هو به. وأنَّ القدرةَ على خلافِ المعلوم صحيحةٌ غير مستحيلةٍ كما تقدم، فلا يجوز أن يُؤَثِّرَ في القُبْحَ ولا في الْحُسْنِ؛ ولأنه لو صح ما ذكروه لقَبُح من النبي ﷺ أن يدعوَ الكفار إلى الدِّين الذي[3] قد أعلمهُ الله تعالى بأنهم لا يؤمنون كأبي جهل بن هشام

---

(١) هذان التشبيهان غير واضحين لعدم مساوات ما نحن فيه .وإنما التشبيه الصحيح أن يقال:كمن أعطى غيره شاة وسكينا ليذبحها فقتل بها نفسه ,فالتكليف بمنزلة إعطاء السكين ,وما يراد به ويقصد من الثواب والمنافع كالشاة .هذا هو المثال المناسب كما هو المقرر في مواضعه فينظر . تمت من هامش النسخة هـ .

(٢) ينظر الإرشاد ص٢٠٣والرازي مج ٤ ج ٧ص١٥٢.

(٣) الأولى:الذين لأنه صفة للكفار وهم جمع .

وغيره، ومعلومٌ خلافُ ذلك. وقد اعترضوا بوجهين[1]: **أحدهما**–أنْ قالوا:إن هـــذا التكليفَ عَبَثٌ فيجبُ أن يكونَ قبيحًا. **والجواب** أَنَّا قد قدمنا أنه فُعِلَ لغَرضٍ، وأنَّ فيه فآئدةً عُظْمَى فَبَطَلَ قولُهم:إنه عبث.

الوجه الثاني أنْ قالوا:إنَّ الكافر لا يَقْدِرُ على الإيْمان، فتكليفُه الإيمانَ في حال كفره يكونُ تكليفًا بما لا يُطاق. **والجوابُ** أَنَّا قد بينا فى مسألة الاستطاعة أنَّ الكافر قادر على الإيمان في حال كفره. فَبَطَلَ قولُهم:إنه يكون تكليفَ ما لايُطاق. وعلى هذا النَّسَقِ يكون الجواب لهم عما يعترضون به.

وأما الموضع الخامس:وهوفي شروط حسن التكليف

فله شروط:**منها** ما يَرْجِعُ إلى التكليف في نفسه وهو شرطان:**أحـــدهما** أن لا يكون مَفْسَدَةً؛ لأن الْمَفْسَدَةَ قبيحةٌ. وهو تعالى لا يفعل القبيح. **والثاني** أن يتقـــدم التكليف على وقت الفعل بأوقاتٍ يتمَكَّنُ المكلَّف فيها من الإتيانِ بالفعل؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكان التكليفُ به تكليفا لِما لا يُمكن وهو قبيح. وهو تعالى لا يفعلُه كما تقدم. **ومنها** شرطان يرجعان إلى ما يتناوله التكليـــف:**أحـــدهما** لا يكـــون مستحيلا في نفسه؛ لأن التكليف بما هذه حالُه قبيح من حيث إنه تكليـــفٌ لمـــا لا يمكن، وهو تعالى لا يفعل القبيح كما تقدم. **والثاني** ما يتناوله التكليف على صـــفة الوجوب أو الندب[2] إن كان فعلا. وإن كان تَرْكًا وجب أن يكونَ الفعلُ قبيحا.

---

(١) في (ب) ، (ج): بوجهين آخرين.

(٢) في هامش (ب): بعد لفظ الندب، وهو أن يكون حسنًا، ورمز بظن. والظاهر أنه مناسب لمقابلة قبيحًا الآتية .

أو الأولى[1] أن لا يفعلَ لما بَيَّنَّاه من الدلالة على حُسْن التَّكليف على العموم. **ومنها** ما يرجع إلى الْمُكَلَّف وذلك أمور:**منها** ما يجب تقدمه[2] على الفعـــل، وهـــو أن يكونَ المكلَّف متمكنا من الفعل بالقدرةِ والآلة التي تكون مُوْصِـــلَةً إلى الفعـــل[3]، وليست مَحَلاًّ له ولا جارية مَجْرَى المحل؛ كالقوس في الإصابة فإنها ليستْ مَحَـــلاًّ للإصابة، ولا جاريةً مَجْرى المحل.

والذي يدل على ذلك أنه لو لم يكن قادرا على الفعل، ولا متمكنا منه بالآلـــة لم يصح منه إيجادُه؛ ومتى لم يصح منه إيجاده لم يصح تكليفُه بـــذلك الفعـــل؛ لأن تكليفَه بذلك فَرْعٌ على كونه مقدورا له؛ لأن ما ليس بمقدور يستحيل أن يُوصَف بالوجوب أو القبح[4]. فمتى لم يكن مقدورا له لم تثبت هذه الأحكام، فلا يـــصح إعلامُ المكلَّفِ بها؛ لأن العِلْمَ تابع للمعلوم.

وإذا لم يصح المعلوم ثبت ما قلناه:من أن التمكين شرط في حُسْن التكليف؛ بل

---

(١) في (ب) و(ج):والأولى .

(٢) في (ب) و (ج):تقديمه .

(٣) قال السيد مانكديم في شرح الأصول الخمسة٤٠٩ :إن الآلات تنقسم:فمنها ما يجب تقدمها ولا يجب مقارنتها وذلك كلما يكون وصلة إلى الفعل، نحو القوس وما يجري مجراها، فإنها لابد أن تكون متقدمـــة على الإصابة حتى يصح استعمالها فيها، ولهذا يصح أن تنكسر ولما وقعت الإصابة بعد. ومنها ما يجـــب تقدمها ومقارنتها جميعا، وذلك كلما يكون محلا للفعل وما يجري مجراها، نحو اللسان ,فإنه يجب تقدمـــه حتى يكون معينا على الكلام، ويجب مقارنته حتى يكون محلا . وأما ما يجري مجراه فكالسكين فإنه يجب تقدمه حتى يحصل به الذبح، ويجب مقارنته لأن الذبح إنما يحصل بأن يتخلل السكين في المحـــل المفـــري. ومنها ما يجب مقارنتها ولا يجوز فيها التقدم، وذلك كصلابة الأرض في التصرف فإنها ينبغي أن تكـــون ثابتة في الحال ولا يجب تقدمها .

(٤) في (ب) ، (ج):أو القبيح .

في صحته في نفسه. وقد بينا أن القدرةَ متقدمةٌ على مقدورها، ولا شَكَّ أنَّ حُكْمَ الآلات التي ذكرنا-حُكْمُها؛ فإنه لا يصح الفعلُ إلا بها، فيجب تقديْمها كالقدرة .

ومنها ما يجب مقارنته للفعل وهو أمور:منها أن لا يكون ممنوعا مما كُلِّف؛ لما بيناه من وجوب[(١)] اعتبار التمكين. ومنها أنَ يكون له شهوةٌ في القبيح وفيما الأَوْلَى أن لا يفعل، وما يجري مَجْرى الشهوةِ. وأن يكونَ له نِفَارٌ عن الواجب، أَوْمَا الأَوْلَى أن يفعله؛ لأنه لو لم يكن كذلك لما شق عليه الإقدامُ وَالإحْجَامُ. وَمِنْ حَقَّ التكليفِ حصولُ المشقة. وقد تقومُ الشبهةُ مقامَ الشهوةِ في ذلك، فإن عبادةَ النصارى للصليب وإن لم يتعلق به شهوةٌ، فقد تعلقتْ به شُبْهَةٌ وهي مترتبةٌ على الشهوةِ، فإن النصراني لو لم يتصور في العاقبة وصوله إلى ما يشتهيه لم تصح[(٢)] أن تدعوه الشبهةُ إلى هذه العباده.

ومنها أن يكون المكلف ذا أبعاضٍ وجوارحَ يلحقها اختلالٌ، وَوَهىً[(٣)] بالأفعالِ التِي يُكَلَّف فِعْلَها لتنالَه المشقةُ بسبب ذلك. ومنها ما يجب تقدُّمه ومقارنتُه وهو أمور:منها أن يكون المكلف عاقلا؛ لأنه لو لم يكن عاقلا لم يكن عالما بأحكام الأفعال، ومتى لم يكن عالما لم يكن مكلفًا؛ إذ التكليف بما لا يعلم قبيح، وهو تعالى لا يفعله. ومنها أن يكونَ عالما بصفةِ ما كُلِّف[(٤)] وبكيفية إيقاعه على الوجه الذي

---

(١) في (ب) ، (ج):وجوه .
(٢) في (ب): لم يصح أن يدعوه . وفي (ج): لم يصح أن تدعوه .
(٣) في (ب) ، (ج):اختلال وهي .
(٤) في (ب):كلف به . ظ .

كُلِّفَ إيقاعه عليه؛ لأنا قد بينا أن التكليف هو الإعلام بما ذكرناه، فمتى لم يكن عالما بصفة ما كُلِّفَ[1] وبكيفية إيقاعِه على الوجه الذي كُلِّف لم يصح منه إيقاعُه كذلك. ولو لم يصح منه إيقاعُه على ما كُلِّفَ لم يتعلق به الثواب؛ فينتقض الغرض بالتكليف. **ومنها** اشتراط الآلات التي تكون وُصْلَةً إلى الفعل وَمَحَلاًّ له:نحو اللسان في الكلام والرِّجل في المشي، أو تكون جارية مَجْرى المحل، مع كونها وُصْلَةً إلى الفعل، نحو السكين في القطع؛ فإنه لابد من مداخلتها لأجزآء المقطوع وإن لم تكن مَحَلاًّ لذلك الفعل. **والذي** يدل على اشتراطها ما قدمناه من أنه لا يجوز تكليف الفعل مع عدم ما يُحْتَاجُ إليه. **ومنها** أن يزول عنه الإلجآءُ والاستغنآءُ بالحَسَنِ عن القبيح؛ ليكون متردِّدَ الدواعي فيما كُلِّف؛ لأنه لو لم يكن كذلك لَمَا فَعَل الفعل لوجوبه؛ بل لكونه مُلْجَأً إليه، ولَمَا تَرَكَ القبيح لقبحه؛ بل للإلجآء إلى تركه، ولما شَقَّ عليه تَرْكُ القبيح لكونه مستغنيا عنه بالحسن. ولو كان كذلك لما استَحَقَّ على ما يفعله من ذلك مدحًا ولا ثوابا. وذلك ينقضُ الغرضَ بالتكليف، وذلك محال.

ومن شرآئِط حُسْنِ التكليف ما يرجع إلى الْمُكَلِّف الحكيم وهي أربعة أمور:**أحدها** أن يَعْلَم المكلِّفُ الحكيمُ ما ذكرناه من أحوال المكلَّفِ والتكليفِ، والفعلِ، والتركِ، الذي تناوله التكليف. **وثانيها** أن يكونَ غُرضُه نفعَ المكلَّف، وليس ذلك إلا بأن يريد منه الطاعَات وَيَكْرَهَ المعاصي. **وثالثها** أن يكونَ مُنْعِمًا على المكلَّف بما معه يستحق العبادة، وذلك بأنْ يُنْعِمَ عليه بأصول النعم[2] التي لا تتبع

(١) في (ب):كلف به .

(٢) أصول النعم:هي:١ (خلق الحي .٢) خلق حياته.٣) خلق قدرته .٤) خلق شهوته .٥) تمكينه من

غيرُها-وإن تبعها غيرها. وتكون هذه النِّعَمُ بالغةً في العِظَم مَبْلَغًا لا مَزيدَ عليه فيما توجبُه الحكمةُ-وإن كان تَصح الزيادة عليها من جهة الأجزآء والأعداد. **ورابعها** أن يكون عالِمًا أنه سيثيبه إنْ أَطَاعَهُ، وذلك لأنَّ[1] الغرض بالتكليف هو التعريض للثواب، فلو لم يكن عالما بما ذكرناه من حال التكليفِ والمكلَّفِ والفعلِ والتَّرْك الذي يتناوله التكليفُ، وعالما بأنه سيثيبُه-لانتقض الغرضُ بالتكليف. وقد ثبت أنه تعالى مريد لما كَلَّفْنَا فِعْلَه وكاره لما كلَّفنا تَرْكه.

فأمَّا وجوبُ اشتراط كونه مُنعِمًا بما ذكرناه فلأنه لو لم يكن مُنْعِمًا بما ذكرناه لم يستحق العبادةَ لِمَا قدمناهُ في مسألة الوحدانية، ولو لم يستحق العبادة لَمَا صح أن يُعْلِمَنا وجوبُ شيء علينا؛ لأنَّ العلمَ تابعٌ للمعلوم. **فمتى** لم يجب علينا له شيء لفقد الإنعام لم يصح الإعلام بأنه واجب، فضلا عن أن يحسن ذلك. فصح أنه لابد من اشتراط ماذكرنا. ولا شك أن هذه الشروط بمجموعها حاصلةٌ في تكليف الله تعالى لعباده، فيجب أن يكون حسنًا. وإذا ثبت ذلك فقد تعلَّق المخالفون بآياتٍ: **منها** قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]. **والجواب:** أنَّ اللام في جهنَّم لام العاقبة؛ ومعنى ذلك أن الله تعالى خلقهم للجنة والثواب؛ ولكن عاقبتهم المصير إلى جهنم لكفرهم وعصيانهم. ولامُ العاقبة معروفة في لغة العرب. قال شاعرهم:

المشتهيات. ٦) استكمال عقله .

(١) في (ب): أنَّ .

لِدُوا للموت وابْنُوا للخـــراب		فكلهُم يـــصير إلى ذهـــاب[1]

وإنما يولدُ للنفع ويُبْنَى للمنفعة، ولكنْ ذكر الخرابَ والموتَ؛ لأن عاقبة الولـــد للموت وعاقبة البنآء للخراب، وقال آخر:

أمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيْرَاثِ نَجْمَعُهَا		وَدُوْرُنَا لِخَرَابِ الدهر نَبْنِيْهَا[2]

وقال غيره:

وَلِلْموت تَغْذُوا الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا		كَمَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنَى الْمَسَاكِنُ[3]

يريد بذلك أن عاقبةَ الأولاد للموت، والأموال للورثة، والدُّور للخراب. وعلى ذلك يدل قوله تعالى:﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ [القـصص:٨]، وإنما التقطوه ليكونَ لهم وَلَدًا ينفعهم، فلما كان عاقبَة أمْره[4] أن يكونَ لهم عـــدوًّا وحزنًا أخبَر به كذلك. ومِمَّا تعلقوا به آياتٌ أيْضًا في تكليفِ ما لا يُطاق، فاستدلُّوا بها على حُسْنِ تكليفِ ما لا يطاق. وقد ذكرناها في مَسألة الاستطاعة ، وبَيَّنَّا ما هو

---

(١) للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ينظر هامش الدر المصون ٤/ ٦٤٧ .

(٢) هذا البيت للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[ديوانه١٠٤]، في قصيدة أولها:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت		أن السلامة فيها ترك مـــا فيهـــا

(٣) وقول الآخر أيضا:

ألا كل مولـــودٍ فللمـــوتُ يولـــد		ولـــست أرى حيًّـــا لحـــيٍّ يُخَلَّـــدْ

وأيضا:

وأمُّ سِـــماك فـــلا تجزعـــي		فللمـــوت مـــا تلـــد الوالـــدة

(٤) في (ب):وغيرها:عاقبة أمره .

الصحييح فيها.

مَسْأَلَةٌ في الأَلْطَافِ

ونحن نتكلم فيما يختص ذلك شيئًا شيئًا إن شآءَ الله تعالى. والكلام فيها على الْجُملةِ يقع في ثلاثة مواضع:**أحدها** في حقيقة اللطف. **والثاني** في قسمته. **والثالث** هو الكلام في حكم كل قِسْم منها على التعيين.

أما الموضع الأول:وهو في حقيقة اللطف

فله معنيان:لُغويٌّ، واصطلاحي. **أما اللغوي:**فهو كلما قَرَّب مِنْ نيل الغرض وإدراك المقصود. ولهذا قال شاعرهم:

ما زلتُ آخذ حاجاتي بتلطيف		حتى تركت رقابَ الْجُلْح في الطيف[1]

وأما الاصطلاحي فهو في عرف المتكلمين ما يدعوا الْمُكَلَّفَ إلى فِعْلِ ما كُلِّف فِعْلَه، وَتَرْكِ ما كلف تركه، أو إلى أحدهما مع تمكنه في الحالين. **والذي** يدل على صحته أنه يكشف عن معناه على جهة المطابقة؛ ولهذا يَطَّرِدُ المعنى فيه وينعكس. وهو أمارة صحة الحد.

---

(١) الأظهر:كالطيف، الجلح جمع أجلح، وهو الرجل الذكي الشديد. والمعنى:أنه ما زال يتلطف حتى ترك رقاب أعدائه عدما ووهما وكأنها طيف وخيال، ومثله قول الشاعر:

لو سار ألف مدجج في حاجة		ما نالها إلا الذي يتلطف

وقول آخر:

قد ينال الحليم بالرفق ما ليـ		ـس ينال الكمي يوم الجلاد

وأما الموضع الثاني:وهو في قسمته

فله قِسْمتان:قسمة باعتبار فاعله، فهو باعتبارها على ضربين:**أحدهما** من فِعْل الله سبحانه وتعالى. **والثاني** من فعل غيره. **فالذي** من فعل الله تعالى:**منه** ما يكـــون متقدما على التكليف. **ومنه** ما يكون مقارنا له. **ومنه** ما يكون متأخرا عنه. **أمَّا** ما كان متقدما على التكليف؛ فإنه لا يجب على الله تعالى؛ لأنه إذا لم يَجِـــبْ عليـــه التكليف لم يجب عليه ما هو من توابعه. **وأمَّا** ما كان متأخرا عن التكليف؛ فإنه متى كان حَسَنًا فإنه تعالى يفعله لا محالة من حيث إن في تركه مفسدةً، وفي الإخلال به تَرْكَ إزالةِ العلةِ، وكلُّ ذلك قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح على ما تقدم بيانه.

وأما اللطف الذي هو من فعل غير الله سبحانه فهو على ضربين:**أحدهما** مـــا يكون من فعل العاقل، فهذا يجب على العاقل فِعْلُهُ؛ لانه يجرى مَجْرى دفع الـــضرر عن النفس. ودفعُ الضرر عن النفس واجب إذا كان المدفوع به دون المدفوع، سوآءٌ كان الضرر مظنونا أو معلوما كما تقدم تحقيقه. **وإن كان** مِنْ فعل غير العاقـــل لم يجب عليه فِعْلُه؛ لأنه جارٍ مجرى جلب النفع إلى النفس، وذلك لا يجب وإنما يحسن. **فهذه** القسمة الأولى، وهي قسمةُ اللطف باعتبار فاعله. **وأما قسمته** باعتبار جنسه ونوعه فهو ينقسم إلى قسمين:مضآرٌّ ومنافع. فالمضآرّ كالأمراض والغلآء. والمنافعُ كالرُّخْصِ والرزق ونحو ذلك، **أما الأمـــراض** فـــالكلامُ فيهـــا يقـــع في ثلاثـــة مواضع:**أحدها** أنها[(١)] من فعل الله تعالى. **والثاني** أنها حـــسنة. والثالـــث في وجـــه

---

(١) في (ب):أنه .

حسنها.

أما الموضع الأول: فإنا نعتقد أنها من فعل الله تعالى

وهذا هو قولُ المسلمين عن يدٍ. والخلافُ في ذلك عن الملاحدة، والمطرَّفيـــة، والثَّنَوية، والمجوس، والطبايعية. **والذي** يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهبوا إليه أنَّها محدثة؛ لأنها من جُملة الأعراض. وقد بَيَّنَّا أن الأعراض محدثة. فبطل قـــولُ الملاحدة بِقِدَمِها. وإذا ثبت حدوثُها فلا بُدَّ لها من مُحْدِثٍ لِمَا بينا أنَّ كل مُحْدَثٍ لا بد له من مُحْدِثٍ وفاعل؛ فبطل قول الطبآئعية في إضـــافتها إلى الطبـــآئع؛ لأنَّ الْمُحْدِثَ يجب أن يكون حيا قادرًا. ولو لم تكن من فعله تعالى لكانت مـــن فعـــل القَادِرِينَ بقدرة؛ لِمَا بَيَّنَّا أنه لا قَادِرَ إلا القَادِرُ لذاته وهو الله تعـــالى، أو[1] القـــادر بقدرةٍ وهو الواحد منا. ويبطل بذلك قول الثنوية. ولا يجوز أن تكون[2] من فعـــل القادرين بقدرة؛ لأنها لو كانت من أفعالهم لكانـــت توجـــد بحـــسب قـــصودهم ودواعيهم، وتنتفي بحسب كراهتهم وصوارفهم. ومعلومٌ حـــصولُها وإنْ كرهـــوا حصولَها، وانتفآؤُها وإن أرادوا حصولَها. فلم يبق إلاَّ أن تكون[3] مـــن فعـــل الله سبحانه.

وأما الموضع الثاني: وهو أنها حسنة

---

(١) في (ب) و (د): والقادر .
(٢) في (ب) و (ج): يكون .
(٣) في (ب) و (ج): يكون .

فهذا هو اعتقادنا وهو[1] اعتقاد جميع المسلمين، والخلافُ في ذلك مع الملاحدة والثنويةِ والطبآئعية والمجوس والمطرَّفية؛ فإنهم ذهبوا إلى أنها قبيحة وإن اختلفوا في وجه قبحها. **والذي** يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالفون أنَّهَا من جملةِ أفعالِ الله تعالى على ما تقدم. وقد دَلَلْنَا فيما تقدم على أنَّ أفعاله كلها حسنة.

وأما الموضع الثالث:وهو في وجه حُسْنِها؛ فهي على ضربين:

أحدهما الأمراض والآلام الحاصلة مع المؤمنين وغيرهم من المخلوقين غير المكلفين. وما هذه حالهُ فإنَّا نعتقد أنه يَحْسُنُ؛ للعوض والاعتبار؛ لأنها لو خَلَتْ عن العوض لكانت ظُلما؛ لأن حقيقة الظلم ثابتةٌ فيها على ما تقدم بيانه. والظلمُ قبيح على ما تقدم. ولو خَلَتْ عن الاعتبار لكانت عَبَثًا؛ لأنه يَحْسُنُ من الله تعالى الابتدآء بجنس العوض؛ إذ لا وجه يقتضي قُبْحَه. وهو مقدور لله تعالى فجاز الابتدآءُ به، وإذا حَسُنَ[2] الابتدآءُ به وخلت الأمراض وسآئِرُ الآلام من الاعتبار ثبت كونُها عبثا لا فآئِدة فيها وذلك لا يقع في فعل الحكيم.

فصل في الاعتبار

والاعتبارُ:هو ما يدعو المكلَّفَ إلى فعل الطاعة وَتَرْكِ المعصية، أو إلى أحدهما. ويدل على ثبوته قول الله سبحانه:﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ

---

(١) في (ب):بحذف هو .

(٢) مراده:أن عوض الأمراض يمكن أن يتفضل الله به بدون الابتلاء بالمرض فيبقى المرض عبثا؛ لأن الله قد جاد بالعوض بدون مقابل؛ ولذلك قلنا:إن المرض إما للعوض أو للاعتبار.

الأكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آلم السجدة:٢١] والرجوع لا يكون إلا في حال الدنيا. وقولُه تعالى:﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٠]. وقولُ النبي ﷺ:((إنَّ المؤمنَ إذا أصابه السَّقَمُ ثم عافاه الله كان كفارةً لما مضى من ذنوبه، وموعظةً فيما يَسْتَقْبِل. وإنَّ المنافق إذا مرض ثم عُوفي منه كان كالبعير عَقَلَهُ أهْلُه ثم أرسلُوهُ، فلم يَدرِ لِمَ عَقلوه و لم أرسلوه))؟[1].

فثبت أنَّ ذلك إنما يُفعَلُ للاعتبار. **ويدل** على ثبوته قولُ الله سبحانه وتعالى:﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٦].

والفتنةُ وإن كانت مستعمَلَةً في عشَرَة معان[2]:**أحدها** الامتحانُ، نحو ما ذكرناه، ومثْل قول الله سبحانه:﴿الَمَ(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:١،٢] أي يُمتحنون. ومثله قولُه تعالى:﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾ [الأعراف:١٥٥] أي مِحْنَتُك. **وثانيها** الشِّرك، ومنه قوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة:١٩٣] أي شِرْكٌ. ونحو ذلك. **وثالثها** القتل، نحو قوله تعالى:﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [النسآء:١٠١]، أي يقتلوكم وقوله تعالى:﴿عَلَىَ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس:٨٣]- أي أن يقتلهم. **ورابعها** بمعنى الضلال. ومنه قوله:﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ❖ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾

(١) أخرجه أبو طالب في أماليه ص٤٢٦ . وأبو داوود في سننه ٣/ ٤٦٩ رقم ٣٠٨٩ .
(٢) ينظر في معانيها عمدة الحفاظ ٣/ ٢٤١ .

[الصآفات:١٦٣،١٦٢] أي مُضِلِّينَ ونحو ذلك. **وخامسها** بمعنى المعذرة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أَن قَالُواْ﴾ [الأنعام:٢٣] معناه معذرتهم ﴿إِلاّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبّنَا مَا كُنّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣]. **وسادسها** بمعنى العذاب، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذَابِ اللّهِ﴾ [العنكبوت:١٠] أي في الآخرة. ونَظيرُها قوله تعالى: ﴿ثُمّ إِنّ رَبّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [النحل:١١٠] يعني من بعدما عُذِّبُوا في الدنيا. **وسابعها** بمعنى الصَّدِّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المآئدة:٤٩] معناه أن يَّصُدُّوك،. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسرآء:١١٤] أي لَيَصُدُّونَكَ. **وثامنها** العذاب والتَّحْرِيق، يحكيه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات:١٣] أي يُعذَّبون وَيُحَرَّقُون، وقولُه تعالى: ﴿إِنّ الّذِينَ فَتَنُواْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج:١٠] معناه حرَّقوهم.

وتاسعها بمعنى الكفر. نحو قوله تعالى: ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة٤٩] يعني الكفر، وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣] يعني كُفْرٌ. وقوله: ﴿وَلَـَكِنّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد:١٤] أي كَفرتُم وَشَبَّهْتُمْ على أنفسكم. **وعاشرها** بمعنى الإغواء عن الدين، يحكيه قولُه تعالى: ﴿يَابَنِيَ آدَمَ لاَ يَفْتِنَنّكُمُ الشّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مّنَ الْجَنّةِ﴾ [الأعراف:٢٧] معناه لا يُغْوِيَنَّكم عن الدِّين؛ فإنه لا يجوز أن يكون معنى[1] الفتنة في الآية التي ذكرناها وهي الأُوْلَى شيئًا

---

(١) في (ب) و (د) معناه: الفتنة .

من هذه المعاني سوى الامتحانات. فثبت بذلك أنها لا تحسُن إلا للعوض، والاعتبار جميعًا. وسَنُفْرِدُ للعوض فصلاً يشتمل على مزيدِ إيضاح إن شآء الله تعالى.

الضرب الثاني[(١)]:هو أمراضُ[(٢)] الكفار والفساق. واختلف العلمآءُ في ذلك على قولين:منهم مَنْ مَنَعَ من كونها عقابا لهم، وأجراها مُجْرى أمراضِ المؤمنين في جميع ما تقدم. وهذا هو قول الشيخ أبي هاشم[(٣)] وَمَنْ تابعه. وذهب الشيخ أبـــو علـــي الْجُبَّآئِي[(٤)] إلى أنه يجوز أن يكون عقوبةً لهم.

وهو قول الأئمة الفضلآء:القاسم بن ابراهيم[(٥)]. والهادي إلى الحق يحـــيى ابــن

---

(١) في (ب) و (ج):والضرب الثاني .

(٢) في (ب):مرض .

(٣) عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب الجُبَّائِي نسبة إلى جُبَّى. ولد سنة٢٧٧ هـــ معتزلي متكلم، وإليـه تُنْسَبُ البهشمية ، توفي سنة٣٢١ هـــ . **من آثاره**:كتاب الجامع الكبير ، وكتاب المــسائل العــسكرية، والنقض على أرسطاليس في الكون والفساد والطبائع والنقض على القائلين بها ، والاجتهاد والإنــسان ، والجامع الصغير ، والأبواب الصغير، والأبواب الكبير. **ينظر** الفهرست لابن النديم ص. ٢٤٧ والخطيـب في تاريخه ١١/ ٥٥ . ومعجم المؤلفين ٢/ ١٥٠. والذهبي في السير ١٥/ ٦٣ . والجنــداري في تــراجم رجال شرح الأزهار ١/ ٢٢ . وتوضيح المشتبه٢/ ١٤٠ .

(٤) محمد بن عبدالوهاب الْجُبَّآئِي– والد أبي هاشم –ولد سنة ٢٣٥ هو من متكلمي المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة الجبآئية توفي سنة ٣٠٣ هـــ . له عناية في الرد على الفلاسفة والملحدة وتقرير العدل والتوحيد، وله تفسير القرآن مائة جزء، وشرح على مسند ابن أبي شيبة ، وجملة مصنفات أبي علي مائــة ألــف ورقــة وخمسين ألف ورقة . ينظر طبقات المعتزلة ١٥٦ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٥٦ ، وتراجم رجــال شــرح الأزهار للجنداري ١/ ٣٥ . وتوضيح المشتبه ٢/ ١٤٠ .

(٥) هو الإمام أبي محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علـــي بـــن أبي طالب عليهم السلام، الملقب بالرسي لتمركزه في جبل الرس . وهو من أقمار العترة الرضية ، انتهت إليـــه الرئاسة في عصره وتميز بالفضل على أبناء دهره ، ولد سنة ١٧٠ هـــ . ودعا إلى الخلافة سنة١٩٩ هـــ ، ولبث في دعاء الخلق إلى الله إلى أن توفي في جبل الرس . توفي سنة ٢٤٦ هـــ ، وفيه يقول الشاعر:

الحسين (ع)[1]، والمرتضى لدين الله أبي القاسم محمد بن الهادى[1] يحيى بن الحسين

ولــو أنــه نــادى المنــادي بمكــة		ببطن منى فيمن تــضم المواســم
مَنِ السيد السباق فِــيْ كــل غايــة؟		لقَالَ جميع الناس:لا شــك قاســمُ
إمَــام مــن أبنــآء الأئمــة قــدمت		له الشرفَ المعروفَ والمجدَ هَاشــمُ
أبــوه علــي ذو الفــضآئل والنــهى		وآبــآؤه والأمهَــاتُ الفــواطمُ
بنــاتُ رســولِ الله أكــرم نــسوة		عَلَى الأرض والابآء شُمٌّ خــضارم

وله عَلَيْهِ السَّلامِ العلم العجيب، والتصانيف الرايقة فِيْ علم الكلام ، وغيره من الفنون. **فَمِنْهَــا** كتــاب الدليل الكبير. و الدليل الصغير، والعدل والتوحيد الكبير. والرد على ابن المقفع. والرد عَلَــى النــصارى . والمسترشد، والرد عَلَى المجبرة، وتأويل العرش والكرسي على المشبهة .وكتاب المسألة التي نقلــت عنــه في محاورة الملحد، والناسخ والمنسوخ، والمكنون في الآداب والحكم .ينظر التحف شرح الزلــف ص ١٤٥ . والشافي ١/ ١٦٢ . والأعلام ٥/ ١٧١ . والحدائق الوردية ٢/٢ .

(١) **هو الإمام الهادي** إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسي عليهم السلام ، ولد بالمدينــة سنة٢٤٥ هـــ بين مولده ووفاة جده القاسم سنة كاملة . وهو الإمام الأعظم طود العترة الأشم ، المــشابه للوصي في خلقه وخلقه وشجاعته ونصرته للإسلام وعلمه وبراعته .خرج إلى اليمن مــرتين الأولى ســنة ٢٨٠هـــ حتى بلغ موضعًا يقال له الشرفة بالقرب من صنعاء ، وأذعن له الناس فأقام فيهم مدة يسيرة ، ثم إنهم خذلوه، وانصرف منهم حتى صار إلى الحجاز ، وشمل أهل اليمن من بعده البلاء ووقعت بينهم الفــتن وبعد ذلك كتبوا إلى الإمام الهادي عليه السلام يسألونه النهوض إليهم ويعلنون بتوبتهم؛ فخرج للمرة الثانية سنة٢٨٤ هـــ واليمن مدين له بخلاصهم من القرامطة وخاض معهم نيف وســبعون وقعــة كانــت لــه الانتصارات عليهم و لم يزل مجاهدا حتى توفي سنة٢٩٨ هـــ .بمدينة صعدة وقبره فيها في جامعه، مــشهور ومزور تفوح منه رائحة عطرة.

ومن آثاره:الأحكام ، والمنتخب ، والفنون ، والمسائل ، ومسائل محمد بن سعيد ، والتوحيد ، والقيــاس، والمسترشد ، والرد على أهل الزيغ ، والإرادة والمشيئة ، والرضاع ، والمزارعة ، وأمهات الأولاد ، والعهد ، وتفسير القرآن ستة أجزاء ، ومعاني القرآن تسعة أجزاء ، والفوائد جزآن ، ومــسائل الــرازي جــزآن ، والسنة، والرد على ابن الحنفية ، وتفسير خطايا الأنبيآء ، وأبنآء الدنيا ، والولاء ، ومسائل الحــسين بــن عبدالله الطبري ، ومسائل ابن أسعد ، وجواب مسائل نصارى نجران ، وبوار القرامطة ، وأصول الــدين ، والإمامة وإثبات النبوة والوصاية ، ومسائل أبي الحسن ، والرد على الإمامية ، والرد على أهــل صــنعاء ، والرد على سليمان بن جرير ، والبالغ المدرك في الأصول شرحه الإمام أبو طالب ، والمترلة بين المترلتين، قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة: وقد تركنا قدر ثلاثة عشر كتابًا كراهة التطويل ، وهي عندنا معروفة

(ع). وهو قول الملاحمي[2] وهو الصحيح.

واحتج المانعون من كونها عقوبةً بأن قالوا:لو كانت عقوبةً لما وجب الرضى بها–وفي عِلْمِنَا بأنه يجب الرضى بها–دلالةٌ على أنها ليست بعقوبة. **واالجوابُ** أن ما ذكروه غيرُ مُسَلَّم؛ فإنَّ العقاب مَتى كان من فعل الله تعالى وجب الرضى بـه؛ لأن أفعاله تعالى كلَّها عَدْلٌ وحكمةٌ سوآءٌ كانت عقابًا أوْلا. والفعل الذي وقـع فيـه النزاع، إن كان في الغير وجب الرضى به بالإجماع بين المسلمين، وإن كان في نفس الواحد منا وجب أن يرضى به أيضا. وقياسُهم على أهل النار غيرُ صـحيح؛ لأنَّ أهلَ النار مضطرُّون غيرُ مختارين فلوا أمكنهم الهرب لفعلوا .

موجودة .**ينظر** سيرة الهادي لعلي بن محمد العباسـي ، والمـصابيح لأبي العبـاس، والـشافي ١/ ٣٠٣ ، والحدائق(خ) .والتحف ص١٦٧، والأعلام ٨/ ١٤١ ، ومصادر الفكر العربي في اليمن للحبشي ص ٥٠٦ .

(١) هو الإمام أبو القاسم محمد[المرتضى] بن يحيى [الهادي] ولد سنة٢٧٨ هــ .كان عالِمًا ورعًا ، أصوليًّا مفسرًا فقيهًا شجاعًا دعا إلى الله بعد وفاة أبيه سنة٢٩٨ هــ ، واستمر نحو ستة أشهر ثم سلم الولاية لأخيه أحمد الناصر عليهما السلام ، وتوفي بصعدة سنة٣١٠ هــ ودفن إلى جنب أبيه وقبره مشهور مزو .
ومن آثاره:كتاب الأصول في التوحيد والعدل ، والإيضاح في الفقه، والنوازل، وجواب مسائل المغفلـي، وجواب مسائل مهدي ، والنبوة ، والإرادة، والمشيئة ، والتوبة ، والرد على الروافض ، وفي فضائل أمـير المؤمنين علي عليه السلام ، والرد على القرامطة ، والشرح والبيان، والرضاع ، ومسائل القدميين ، ومسائل الحائرين ، وتفسير القرآن، ومسائل الطبريين ، ومسائل المهدي ، ومسائل ابن الناصر ، ومسائل البيـوع ، ومسائل عبدالله بن سليمان ، وجواب علي بن الفضل القرمطي ، وفصل المرتـضى ، و النـهي .ينظـر الحدائق٢/ ٤١ . والتحف ص ١٩٠. والأعلام للزركلي ٧/ ١٣٥ . والشافي١/ ٣١٩.

(٢) هو محمود بن محمد بن الملاحمي .تلميذ أبي الحسين البصري صاحب المعتمد في أصول الفقـه. وقـد تابعهما خلق كثير من العلمآء المتأخرين كالإمام يحيى بن حمزة، وأكثر الإمامية، والفخر الرازي. واعتمد على رأيه في اللطيف وغيره توفي٥٣٢ هــ وله المعتمد الأكبر .ينظر طبقات المعتزلـة للإمـام المهـدي ص ١١٩. وهامش شرح الأساس ١/ ٢٤٣.

وَوَجْهٌ آخَرُ وهو أنَّ أهلَ النار غيرُ مكلَّفين، بخلاف المعاقَبِ في الـدنيا فإنـه مُكَلَّف. ومن جملة التكليف أنه يجب عليه الرضى بفعل الله تعالى سوآءٌ كان عقابا أو غيرَه، وسوآءٌ حَلَّ به أو بغيره. قال النبي ﷺ حاكيا عن الله تعـالى:((مَـنْ لم يرضَ بقضآئِي، ويَصْبِرْ على بلآئي، ويَشْكُرْ على نعمآئي، فَلْيَتَّخِذْ ربًّا سِواي))[1]. وهذا يُوَضِّحُ ما ذكرناه. فَهَلُمَّ الدلالة على أنه لا يجب عليه ذلك؛ بل قد ثبت كونُ الجزيةِ عقوبةً على مَنْ فُرِضَتْ عليه مِنْ كَفَرَةِ العجم، وهي مع ذلك واجبة عليهم، ولا خلاف بين المسلمين في وجوب الرضى بالواجب؛ فسقط بذلك قولُهم:إنـه لا يجب الرضى بالعقوبة ؛ فإن قيل:ما وَجْهُ وجوبها من جهة العقل؟ قلنا:كونها دفعـا للضرر. وبيانُ ذلك أن الكافر مدفوع إلى ضررين:**أحدهما** القتل. **والثاني** الجزيـة، فيجب عليه دفعُ أعظمِ الضررين بأخَفِّهما. فإن قيل:إذا كان أدآؤُها واجبـا علـى الذمي كانت عبادةً فلا يصح أدآؤها منه-قلنا:إن الواجب قد يجب-وإن لم يكـن عبادة-كشكر النعمة[2] وقضآءِ الدين ورد الوديعة، فإن جميع ذلك واجب-وإن لم يكن عبادةً. ولا خلافَ أنَّ الْجِزْيَةَ يُجْزِى أخْذُها مع الكفر، فسقط القولُ بكونهـا عبادةً. واحتجوا بأنه لوكان عقابا لوجب أن يقترن بهـذه المـضرةِ الاسـتخفافُ والإهانةُ؛ وذلك لا يصح إلا مع الإعلام للمعاقَبِ بذلك؛ فَلَمَّا لم يُعْلِمْهُ الله تعـالى بأنَّ ما أنزلة به عقابٌ قَطَعْنَا أنه ليس بعقاب.

والجواب-أن ذلك لا يصح؛ لأنَّ لقآئِلٍ أن يقول:ما الذي يدل على أنه لا يجوز

---

(١) الطبري في الأوسط ٧/ ٢٠٣ رقم ٧٢٧٣ .

(٢) في (ب):الْمُنْعِم .

انفصالُ الاستخفافِ والإهانةِ عن المضرة فَهُما جزآءان مختلفان، وقد أجَزْتُم ما هو أعظم من ذلك وهو الثواب؛ فإنه حق مستَحَقٌّ على الله تعالى وقد أجَزْتُم انفـــصالَ التعظيمِ والإجلالِ عن المنفعة، وقلتم:بأنه يجوز أن يكون تعظيمُ المــؤمن في الـــدنيا وإجلالُه من جملة الثواب–وإن تأخرت المنفعة.

وقطع بعضُ علمآء التفسير على أنَّ نَصْرَ المؤمنين في يوم بدر كان ثوابا لهـــم. وقد ذكره أيضا أبو على الْجبَّآئِي. فإذا جَوَّزتم هذا في الواجب على الله تعالى فَهَلاَّ جَوَّزْتُمُوه في حقه الذي لا يجب عليه فعلُه، والذي يقضى العقلُ بحسن إســقاطه، والعفوِ عنه–لولا ما تَوَعَّدَ به من إنفاذه في المجرمين، وتخليدِهم فيه في الآخــرة دونَ الدنيا. واحتجوا بأن ذلك تعريضٌ لاعتقاد الجهل، وهو قبيح، فثبــت أنــه لــيس بعقاب.

والجواب:أن ذلك لا يصح؛ لأنه إنما يكون تعريضًا لاعتقاد الجهل، مــتى دلَّ دليلٌ قطعي على أنه لا يجوز أن يكون عقوبةً. **فأمــا** إذا لم يكــن هنــاك دليــل قطعي:فالعقل يُجَوِّز أن يكون عقوبة، ويجوّز أن يكون مصلحة يقع معها الاعتبار، ويجوِّز أن يكون عقوبةً لمن هُوَ به ومصلحةً لغيره.

وإذا لم يكن هناك دلالةٌ قطعية على المنع من كونه عقوبةً، بل ذلك باقٍ على التجويز العقلي– لم يكن المكلَّفُ مُعَرَّضًا لاعتقاد الجهل. **ثم** يجوز أن يَعْلَمَ أنه لا يجوز أن يكون عقوبة بأن يَعْلَمَ قطعًا أنه مؤمن كمَا أشار إليه المرتضى لدينِ الله عليه السلام.

وهذا مبني على أن المرء يمكنه أن يَعْلَمَ ذلك من نفسه، وهو الأصوب؛ فإنــه

يعلم قطعًا بالعقل والشرع أن التآئب لا عقاب عليه، ويمكنه أن يَعْلَمَ قطعًا أنه تآئب، نحو من لا يكون عليه تَبِعَاتٌ للآدميين أصلاً؛ فإنه متى تاب إلى الله تعالى على الجملة والتفصيل الممكن له–عُلِمَ قطعًا أنه تآئب، فيعلم قطعًا أنه في تلك الحال مؤمن غيرُ معاقَبٍ أصلا. ولا يلزم على هذا أن يقال:فيجب إذا تاب العاصي هذه التوبة أن يزول مرضُه لأنا نقول:يجب أن يزول مرضه بلا إشكال إذا لم يكن في إنزاله وَجْهٌ سِوَى كونه عقوبةً. وأما إذا كان مفعولا لوجهين:**أحدهما** كونُه عقوبة. والثاني كونه مصلحة فإنه لا يستمر إلاَّ لكونه مصلحةً فقط ، ولا يجوز أن يقال:إن نَفْسَ ما يَسْتَحِق به الاستخفاف هو عين[(1)] ما لا يستحق به الاستخفاف؛ لأنا نقول:إنها آلام متجددة. فالمستمر غير الماضي؛ ولهذا لو تاب المحدود في أثناء الحد لكان ما قبل التوبة عقابًا عند الجميع منا ومنهم. وعليه يدل قوله تعالى في الزانيَيْنِ:﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢] وما بعد التوبة مصلحة للمحدود، وامتحان عند الجميع أيضًا يستحق عليه العوض، فكذلك ما نحن فيه فقد ورد الشرع بما ذكرناه. **كما** رواه عبدالله بن المغفل[(2)] عن النبي ﷺ أنه جآءه رجل ووجُهه يسيل دمًا، فقال ﷺ ما لك؟ وما أهلَكَكَ؟ فقال:خرجتُ يا رسولَ الله من منزلي فإذا أنا بامرأة فأتبعتُها بَصري فأصابني ما ترى. فقال ﷺ:((إن الله إذا أراد بعبد خيرًا عجَّل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد به شرًا أَمسك عليه بِذَنبِهِ

---

(١) في (ب):غير، الصواب:ما أثبتناه بدليل ما بعده .

(٢) عبد الله بن مغفل هكذا ذكره الذهبي وأيضا الحاكم ، هو صحابي من أهل بيعة الرضوان ، توفي سنة ٦٠هـ ينظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٨٣ .

حتى يوافيَ يوم القيامة كأنه عَيْرٌ))[1]. ووجهُ الدليل من الخبر أنـــه ﷺ أخبرنـــا- وخبرُه صدق بأن الله سبحانه قد يعاقب في الدنيا؛ فاقتضى ذلك ما قلناه:من أنـــه يجوز العقاب في الدنيا.

ويدل على ذلك قوله ﷺ:((مَنْ أَذْنَبَ ذَنبًا فَعُوقِبَ به في الدُّنْيَا فاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أنْ يُثْنِيَ عقوبتَه على عَبْدِه))[2]، **وقولهم**:بأن ذلك يُحمل على الحدود لا يلزم؛ لأن ذلك خلافُ ما يقتضيه الظاهر ، وهو عمل على التأويل على موافقة المذهب فقط، فثبت ما قلناه والله الهادي.

ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا ﴾ [التوبة:٥٥] يعني بالسَّبْي والغنيمـــة للأمـــوال، فـــلا تُعْجبُكَ إذا كان ذلك عاقبتَه. ذكره المفسرون[3]. وكذلك قولـــه:﴿يُعَذّبْهُمُ اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدّنْيَا وَالاَخِرَةِ ﴾ [التوبة:٧٤]، ففي الدنيا بالقتل والأسر، وفي الأخـــرة عذاب النار. وكذلك قوله تعالى:﴿سَنُعَذّبُهُم مّرّتَيْنِ ثُمّ يُرَدّونَ إِلَىَ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١]:إحدى المرتَين في الدنيا، والثانية في القبر. والعذاب العظيم في نار جهنم.

ويدل على ذلك قول الله تعالى:﴿مّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيّئَةٍ فَمِن نّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩] فقولُه:مآ أصابك من حسنة، يعني نِعَـــمَ الـــدنيا

---

(١) أخرجه الحاكم ١/ ٣٤٩ و ٤/ ٣٧٧ عنه . والمعجم الكبير للطبراني ١١/ ٣١٣ برقم ١١٨٤٢، عـــن عكرمة عن ابن عباس . في هامش (هـــ) ما خلاصته: أن التكفير للذنب يستقيم في الصغائر، أما الكبـــائر فلا تسقطها إلا التوبة .

(٢) أحمد بن حنبل ١/ ٢١٣ رقم ٧٧٥ . عن علي عليه السلام . والحاكم ٤/ ٣٨٨ .

(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٢٨٠ . وفي مجمع البيان ج٥/ ص٧٠ .

والدين ، فيدخل[1] فيها الطاعات.

وإنما أضافها إلى الله تعالى -وإن كانت فعلا للعبد على ما تقدم بيانه- فلأنه أمر ببعضها، ونَدَب إلى بعضها، وهدى إليها، ومكَّن منها، وزيَّنها، وحبَّبها، ووعد بالثواب على فِعْلِهَا، وأوعد بالعقاب على ترك ما افترض منها. فَمِنْ هذا المعنى جاز أن يُضافَ إليه، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ يريد ما أصابك بسبب معاصيك فمن نفسك؛ لأن المعاصيَ فِعْلُك فهي عقاب لك.

وروي أن هذه الآية لَمَّا نزلت قال النبي ﷺ: ((لا يُصيبُ رَجُلاً خَدْشُ عُودٍ، ولا عَثْرَةُ قَدَمٍ، ولا اختلاجُ عِرْقٍ إلاَّ بِذَنْبٍ ومَا يَعْفُو اللهُ أَكْثَرُ))[2]، فجرى ذلك مجرى التفسير للآية. وكُلُّ ذلك يدل على صحة ما قلناه والله الهادي.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ﴾ [الروم:٤١]، فإن قيل: وما تلك العقوبة؟ قلنا: كالقحط والغلآء والأمراض، وما ينالهم من المحن والشدآئد؛ ولأن الْمُتَعَارَفِ أن الظلم إذا كَثُر انقطعتِ البركاتُ وأسبابُها وَيُخَلِّي الله بين عباده. ومتى قيل: أيكون ذلك عقوبةً أو محنة؟ قلنا: كلاهما جآئز. **وقد قيل**: بالعدل يُنْبِتُ اللهُ الزرعَ، وَيُدِرُّ الضَّرْعَ، وبالظُّلْمِ يكون القحطُ وضِيقُ الرزق وإِمساكُ المطر.

فصل في العِوَض والكلام فيه يقع في خمسة مواضع:

أحدها في معناه. **والثاني** في حُكْمه في الدوام والانقطاع. **والثالث** في مقداره.

---

(١) في (ب) و (ج): ويدخل .

(٢) شعب الإيمان بلفظ: لا يصيب ابن آدم ٧/ ١٥٣ رقم ٩٨١٥ . والدر المنثور ٥/ ٧٠٦ .

والرابع في أن الله تعالى ينتصف للمظلومين من الظـــالمين. **والخـــامس** في كيفيـــة الانتصاف.

أما الموضع الأول:وهو في معناه؛ فالعوض هو المنافع العظيمة المستَحَقَّةُ المفعولةُ على وَجْهِ الجزآء عاريةً عن المدح والتعظيم. **قلنا:**المنافع العظيمة، جِـــنْسُ الحـــد. **قلنا:**المستحقة، فَصَلْنَاه عن التَّفَضُّل. **قلنا:**المفعولة على وجه الجزآء، فَـــصَلْنَاه عـــن الألطاف التي يستحقها العباد على الله تعالى. **قلنا:**عارية عن المدح والتعظيم، فَصَلْنَاه عن الثواب. والذي يدل على صحة هذا الحد أنه يكشف عن معنى المحدود، ولهـــذا يطَّرد المعنى فيه وينعكس وهو أمارة صحة الحد.

وأما الموضع الثاني:وهو في حكمه في الدوام والانقطاع، فذهب أبو هاشم إلى أنه منقطع[1]. وهو قول كثير من العدلية، خلافًا للشيخ أبي الهذيل؛ فإنه ذهـــب إلى دوام العوض، وأنه غير منقطع، وإلى ذلك ذهب أبو علي أولاً وهو قول الحسين بن القاسم[2] بن علي بن محمد بن القاسم الرسي عليهم السلام. والذي يدل على أنه منقطع أن أروش الجنايات منقطعة بلا خلاف، وإنما كانت منقطعة؛ لكونها جبرًا لنقص مـــن جهة الجابر يَقِلُّ بقلته ويكثر بكثرته؛ بدليل أن الحكم يثبت بثبوت ذلك، وينتفـــي

(١) ينظر شرح الأصول الخمسة ٤٩٤ .

(٢) هو الحسين بن القاسم العياني . ولد سنة ٣٧٦، وكان من كبار علماء الآل ومشهورًا بالزهد والعبادة. ادعى الإمامة سنة ٣٩٣، ولم يزل داعيًا إلى الصدق كابتًا لأرباب الاجرام، معليًا كعب الإسلام حتى قتل في وادي عَرار [بلدة من ناحية رَيدة البون شمالي صنعاء على بعد ٤٩كم]. سنة ٤٠٤هـــ . له مؤلفـــات كثيرة قيل إنها بلغت ٧٣ مؤلفا. منها:المعجز ، وتفسير غرائب القرآن ، ومختصر الأحكـــام ، الإمامـــة ، والرد على أهل النفاق ، وشواهد الصنع ، ونبأ الحكمة ، الرد على الدعي، والتوفيق والتسديد . وغيرهـــا . ينظر الحدائق ٢/ ٦٠ . والتحف ٢٠٢ ومصادر الفكر للحبشي ص٥٢٦ .

بانتفائه، وليس هناك ما تعليقُ الحكمِ به أولى. وقد شاركها العوض في هذه العلـــة، فإنه جبرٌ لنقصٍ وهو الألم من جهة الجابر يقل بقلته ويكثر بكثرتـــه، فيجـــب أن يشاركه في الحكم الذي هو الانقطاع؛ لأن الاشتراك في العلة يوجب الاشـــتراك في الحكم، وإلا عاد على أصل التعليل بالنقض والإبطال. هذه هي حجـــة القـــائلين بانقطاع العوض، ولم يفصلوا بين أن يكون العوض مستحقًا على الله تعالى أو على غيره، إلا أنَّ لقائلٍ أن يقول:إن هذا الدليل إنَّما يصح في العوض المستحق على غير الله تعالى. فأما فيما يستحِق على الله تعالى فإنه لا يصح؛ لأن العلة وهي كونه جَبْرَ النقص من جهة الجابر تَقِل بقلته وتكثر بكثرته–غير موجودةٍ في العوض المـــستحق على الله تعالى؛ فإنه لا يَقل بقلة[1] الألم، بل يجب أن يبلغ مبلغًا عظيما على ما يأتي بيانه. فإن كانت معهم دلالةٌ تدل على انقطاعه غير هذه–وإلا وجب بقآؤه علـــى التجويز العقلي:فيجوز أن يكون دائمًا، ويجوز أن يكون منقطعًـــا، دون العـــوض المستحق على غير الله تعالى؛ فإنه يجب أن يكون منقطعًا للدلالة التي ذكروها. والله الهادي.

وأما الموضع الثالث:وهو في مقدار العوض؛ فالعوض على ضربين:أحـــدهما المستحَق على الله تعالى وهذا يجب أن يكون بالغًا مبلغًا عظيمًا وأن يزيد أضـــعافًا مضاعفةً، بحيث لو خُيِّر الْمَؤَّلَمُ بين الألم وبين الترك؛ لاختار الألم على الترك؛ لما في مقابلته من العوض الزائد المرغوب فيه؛ وذلك لأن[2] الله تعالى آلَمَـــهُ مـــن غـــير

---

(١) في (ب):بقلته .

(٢) في (ب):وذلك أن الله تعالى .

مراضاة[(١)]؛ فيجب أن يبلغ[(٢)] العوض ذلك المبلغ، وإلا كان ظلمًا قبيحًا.

وقد وردَتِ السُّنة بثبوت العوض ، وأن ما يستحق منه على الله تعالى يجب أن يكون بالغًا مبلغًا عظيمًا **نحو قول النبي** ﷺ:((يتمنى أهلُ البلاء في الآخرة لو كان الله تعالى زادهم بلاءً لِعِظَمِ ما أعد لهم في الآخرة)). **وقوله** ﷺ:((مَنْ وُعِكَ ليلةً كَفَّرْت عنه ذنوبَ سنةٍ))[(٣)] .

وقوله ﷺ:((يقول الله عز وجل:إني إذا وَجَّهتُ إلى عبدٍ من عبادي مصيبةً في بدنه أو ماله فاستقبل ذلك بصبر جميل- استحييتُ منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا، أو أنشُرَ له ديوانًا))[(٤)] . **وقوله** ﷺ:((في الْجَنَّةِ شجرةٌ يُقَالُ لها شَجَرَةُ البَلْوى، يُؤتى بِأَهْلِ البَلاءِ يومَ القِيَامَةِ، فلا يُنْشَرُ لهم ديوان، وَلا يُنْصَبُ لهم ميزان، يصُبَّ عليهم الأجرُ صبًّا))[(٥)]، ثم قال:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠][(٦)] .

وقال ﷺ:((إنَّ المؤمن يُشَدَّدُ عَليه وَبِكُلِّ وجع وَجِعَه خطيئةٌ تُحَطُّ عنه،

---

(١) في (ب):مراضاته .

(٢) في (ب) و (د):أن يبلغ ذلك العوض .

(٣) قال في أطراف الحديث ج٨ ص٥٩٩: أخرجه صاحب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية للكحال ، طبعة الحلبي بلفظ فيه اختلاف .

(٤) أخرجه في شمس الأخبار ٢/ ٣١٧ وعزاه إلى الشهاب الشافعي، وقال المخرج:أخرجه الحكيم عن أنس .

(٥) في الأصل:صب والأصح ما أثبتناه من مصادره .

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٩٣ رقم ٢٧٦٥ بلفظ:إن في الجنة ... الحديث، عن الإمام الحسن بن علي (ع) . والدر المنثور ٥/ ٦٠٦ .

وحسنةٌ تكتب، ودرجة ترفع))[1]. وقوله ﷺ:((يقول الله تعالى:إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤمنًا، فَحَمِدَنِي وصبر على ما ابتليتُه فإنه يقوم من مضجعه ذلك اليوم كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الربُّ للحفظةِ:أنا قيَّدت عبدي هذا وابتليته، فأَجْرُوا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر)) وهو صحيح[2]. والأخبار في ذلك كثير[3]. **فهذا** هو الكلام في العوض المستحق على الله تعالى وهو الضرب الأول.

وأما الضرب الثاني:فهو العوض المستحق على غير الله تعالى؛ فإنه يجب أن يكون موازنًا للألم؛ لأنه لو زاد العوض على الألم لخرج الألم عن كونه قبيحًا، ولكان[4] حسنًا وفي علمنا بقبحه دلالة على أنه لا يزيد عليه؛ ولأنه جار مجرى أروش الجنايات، وقيم المتلفات كما تقدم تحقيقه، فكما أن ذلك لا يكون إلا بمقدارها من غير زيادة ولا نقصان كذلك هذا. **فثبت بذلك** ما ذكرناه، وبذلك يثبت الموضع الثالث، وهو في مقدار العوض.

وأما الموضع الرابع:وهو في أن الله تعالى ينتصف للمظلومين من الظالمين

فهذا هو الذي نعتقده. والذي يدل على ذلك:العقل والكتاب والسنة والإجماع. **أما العقل** فهو أن الله تعالى مكن الظالمين من المظلومين وخلى بينهم مع

---

(١) ذكر ما يقارب ذلك في طبقات ابن سعد والحاكم في المستدرك ١/ ٣٤٦ .
(٢) أخرجه في شمس الأخبار ٢/ ٣١٠، وعزاه إلى السمان. وأخرجه أبو نعمي في حلية الأولياء ٩/ ٣٢٢ رقم ١٤٠١٥ ، عن شداد بن أوس .
(٣) في (ب) كثيرة .
(٤) في (ب) وكان .

أن الكل عبيده، وفي دار مملكته، وكل ذلك حسن؛ لأنا قد بَيَّنَّا أن أفعالـــه كلـــها حسنة فيجب أن ينتصف للمظلومين من الظالمين وإلا كان التمكين قبيحًا، وهـــو تعالى لا يفعل القبيح. **وأما الكتاب** فقوله تعـــالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقوله تعالى:﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير:٥]، ولا فائدة في حشرها إلا توفير أعواضها عليها لأنها ليست من أهل الثواب فتثـــاب ولا من أهل العقاب فتعاقب. إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة فقول النبي ﷺ:((إنَّ اللّهَ ينتصِفُ للجمّا من ذات القـــرنين))[(١)]، ويروى:((لِلجَمَّا من القرنَاء)). وقوله ﷺ:((إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ:أنـــا الملك الديَّان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وعليه لأحد من أهل النار مظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعليه لأحد من أهل الجنـــة مظلمة))[(٢)]. وقوله ﷺ:((إن العصفور ليأتي يوم القيامة له دويّ تحت العـــرش، فيقول:رب سل فلانًا بم قتلني))[(٣)]، إلى غير ذلك من الأخبار.

---

(١) أخرج مسلم ٤/ ١٩٩٧، والترمذي ٢٤٢٠ بلفظ:لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . وأحمد ٣/ ٢٨٩ رقم ٨٧٦٤ بلفظ:إن الله يقتص للخلق بعضهم مـــن بعـــض حتى للجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة .

(٢) أحمد بن حنبل ٢/ ٤٢٩ رقم ١٦٠٤٢ بما يوافق ذلك .

(٣) أخرجه النسائي ٧/ ٢٣٩ برقم ٤٤٤٦ بلفظ:((من قتل عصفورًا عبثًا عجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة يقول:يا رب إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة)). وابن حبـــان في صـــحيحه ٧/ ٥٥٦. والطـــبراني في الكبير ٧/ ٣١٧ رقم ٧٢٤٥ ، ٧٢٤٦ . وأحمد بن حنبل ٧/ ١٢٠ رقم ١٩٤٨٧ ، عن الـــشريد بـــن سويد الثقفي . وفي (ب) يا رب .

وأما الإجماع فذلك مما لا خلاف فيه بين المسلمين، وثبت بذلك الموضع الرابع وهو في[1] أن الله تعالى ينتصف للمظلومين من الظالمين.

وأما الموضع الخامس:وهو في كيفية الانتصاف؛ فذهبت العدلية إلى أن المقاصة تكون بالأعواض المستحقة على الآلام وهو الصحيح. وذهبت المجبرة إلى أن المقاصة تكون بالثواب إن كان للظالم ثوابًا أعطي المظلوم منه، وإن لم يَكُنْ أُخِذَ من عقاب المظلوم فَجُعِلَ على الظالم وعوقب به. **وقولهم باطلٌ** أما ما ذكروه من توفير ثواب الظالم على المظلوم فغير صحيح؛ لأن الثواب إنما يستحق على فعل ما كلف المكلف فعله، أو ترك ما كلف تركه، فلا يجوز أن يوفر ثواب الطاعات على من لم يفعلها؛ ولقول الله سبحانه:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىَ ﴾ [النجم:٣٩].

وأما ما ذكروه من نقل عقاب المظلوم إلى الظالم فغير صحيح أيضًا لِمَا بينا أنه تعالى لا يعاقب أحدًا إلا بذنبه، وما فعله الظالم بالمظلوم من الظلم يجب فيه حقان:**أحدهما** لله تعالى وهو العقاب؛ لمكان قبح الظلم، كما يجب ذلك في كل فعل قبيح. **والثاني:**للمظلوم وهو العوض؛ لئلا يبطل حق المظلوم، ولئلا تقبح التخلية بينه وبين الظالم، ولقول الله تعالى:﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ ﴾، **وقوله:**﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقد قدمنا في فصل المجازاة ما يكفي في ذلك، ولأنه لو نُقل عقاب المظلوم عنه لكان قد وقع التخفيف عنه، وذلك لا يجوز لقوله تعالى:﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦]، وقوله تعالى:﴿لاَ يُخَفّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ

(١) في (ب) و (هـ) بدون في .

هُـمْ يُنْظَـرُونَ ﴾ [البقرة:١٦٢]. ولا يجوز أن يجبر الله تعالى ذلك من جهته تفضلا مـــن دون أن يكون من جهة الظالم؛ لأن للمتفضل أن يتفضل وأن لا يتفـــضل، ومـــا يستحقه المظلوم يجب أن يفعل؛ فلا يجوز أن يقوم أحدهما مقام الأخـــر؛ ولأن الله تعالى لو جبر ذلك منه تعالى لكان في ذلك نهاية الإغراء بفعل الظلم؛ فإنه إذا علـــم الظالم أن الله تعالى يتفضل بالقضاء عنه وأنه لا يأخذ من أعواضه شيئًا دعاه ذلـــك إلى فعل الظلم والإغراء بالظلم قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح فلـــم يبـــق إلا أن الانتصاف إنما هو بأن يوفر على المظلومين من أعواض الظالمين التي استحقوها على ما نزل لهم[1] من الآلام والغموم بقدر ما وصل إلى المظلومين مـــن الظـــالمين إذ لا يعقل من الانتصاف سوى ذلك.

فصل:في الآجال[2]

الأَجَلُ هو:الوقت المضروب لحدوث أمر في المستقبل. وهو عآمٌّ فيقال:أَجَـــلُ الدَّيْنِ وأَجَلُ الثَّمَنِ وأَجَلُ الحياة وَأَجَلُ الموت إلى غير ذلك. وَأَجَلُ الحياة هو مُـــدَّةُ الحياةِ، وأجَلُ الموت هو الوقت الذي عَلِمَ الله تعالى بطلانَ حياةِ الحيِّ فيه. **وهو** على ضربين أجل محتوم، وأجل مخروم[3]. فالمحتوم من الله تعالى يفعله كما شاء ومتى شاء وكيفما شاء[4]. قال تعـــالى:﴿نَحـْنُ قَـدّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَـوْتَ وَمَـا نَحـْنُ بِمَـسْبُوقِينَ ﴾

(١) لهم في بقية النسخة .
(٢) ينظر مجموع رسائل الإمام الهادي ٣٠٥ وما بعدها ، والمغني ١١/ ٣، وشرح الأصول الخمسة ٧٨٠ .
(٣) هو الذي يُقتل فيه المقتول، وسُمي خرمًا؛ لأن القاتل خَرَم عمره أي قطعة بما مكنه الله من قـــدرة، و لم يمنعه بل خلى بينه وبينه؛ لمصلحة الابتلاء والتمكين .
(٤) في (ب) و (ج):وكيف شاء .

[الواقعة:٦٠] وقال عز وجل:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً ﴾ [آل عمـران:١٤٥]. والمخروم هو ما كان من فعل العباد، نحو ما يجب فيه القصاص والدية، أو الدية، أو كان قصاصًا أوْ حَدًّا، أو نحو ذلك، فهذا الأجلُ من فعل العباد. ولا يجوز نسبته إلى الله تعالى، والقتلُ فيه موتٌ. **وإنما قلنا:** بأن في القتل موتًا[1]؛ لأن في القتل ثلاثةَ أشيآء: **انتقاض البِنْية** بالْجَرْح، وهو فعل العبد، وفيه القصاص والدية والكفارة على بعض الوجوه. **والثاني** خروج الروح وهو النَّفْسُ المتفرق في الأعضآء، المتردِّدُ في مخارق الحي، وذلك مفوض إلى المَلَك، وقد أعطاه الله آلةً يتمكن بها من إخراج ذلك من بدن الإنسان. **والثالث** الموت وهو فعل الله تعالى لا يَقْدر عليه غيره ، وهو معنى من جملة المعاني كالحياة ، وعليه يدلُّ قول الله سبحانه:﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك:٢] وقد بَيَّنَّا فيما تقدم أنَّ العباد فاعلون لتصرفاتهم ،وأنها ليست بقضاءٍ من الله وَقَدَرٍ بمعنى الْخَلْق ؛ فبطل بذلك قول المجبرة ، **واختلفَ** الناس في الأجل المخروم. مثالُه:المقتولُ إذا قُتِلَ هل كان يجوز أن يَحْيَى، ويجوز أن يموت؟ على أقوال ثلاثة: **فمنهم** مَنْ قَطَعَ على[2] أنه لو لم يُقْتَل لبقي حَيًّا لا محالة. وهذا هو قول البغدادية من المعتزلة[3]. **ومنهم** مَنْ قطع على أنه لو لم يُقْتَلْ لماتَ في ذلك الوقت لا محالة، وهذا هو قول الشيخ أبي الْهُذَيل ومن

(١) في (ب):بأن القتل موت .
(٢) في (ب) بحذف على .
(٣) المغني ١١/ ٣ ، وشرح الأصول الخمسة ٧٨٣ .

تابعه من المعتزلة ،وهو قول الْحَشْوِية[1] . **ومنهم** مَنْ توقف في ذلك فلم يقطع على واحد من الأمرين، وجوّزهما جميعًا، وهذا هو قولُ الشيخين أبي علي وأبي هاشم ومن تابعهما من البصريين[2]، وهو الظاهر من قول جماهير الزيدية وهو الصحيح. **وينبغي** أن نورد ما يَحتج به كل واحد من الفريقين على صحة ما قطع عليه، ونتكلم على ذلك؛لأن ذلك هو حال المتوقف. وبتمام ذلك يتم غرضنا من أن الصحيح في هذه المسألة هو التوقف:أمَّا مَنْ قطع على أنه لو لم يُقْتَلْ لبقي حَيًّا لا محالة، فاحتجوا في ذلك بقول الله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٧٩] قالوا:فدلَّ على أن المقتول قِصاصًا لو لم يُقْتَلْ لبقي حَيًّا لا محالة[3] .

والجواب-إن هذا عدولٌ عن الظاهر؛ لأنه لا خلافَ فيه بين العلماء، وليس فيه ذِكْرٌ لِمَا يَدَّعونه، لا بإثباتٍ ولا بإبطالٍ ؛لأن الآيةَ دلَّت على حياةٍ مُنَكَّرة ما،وإذا سقط تعلقهم بظاهر الآية فهو المطلوب. ويجوز أن تكون تلك الحياة الْمُنَكَّرة هي أنَّ مَنْ عزم على قَتْلِ الغير ثم عَلِمَ بثبوت القصاص، وأنه إذا قتله قُتِل به لم يُقْدِمْ على قتله خوفًا للقصاص؛ فيكون في علمه بثبوت القصاص حياة له مِنْ حيثُ صَرَفَهُ عِلْمُه، وكان لُطْفًا له في ترك القبيح ، ثم يقال لهم:إنكم إذا رجعتم إلى التأويل فقد خرجتم عن الاستدلال بالظاهر، وفي ذلك ما نرومه، ثم لستُم بالتأويل للآية على

---

(١) المغني ١١/ ٣ ، وشرح الأصول الخمسة ٧٨٣ .

(٢) المغني ١١/ ٤ .

(٣) في هامش الأصل:ليس احتجاج البغدادية على الوجه الذي ذكره رحمه الله . وقد احتج بالآية الإمام القاسم بن محمد رحمه الله في الأساس على الوجه الآخر الذي ذكره .

مذهبكم أولى من غيركم، ويكون المرجع في ذلك إلى دلآئلِ غـــيرِ الآيـــة هـــذه. **واحتجوا** بأنه قد يُقْتَلُ في الساعة الواحدة ألوف كثيرة، قالوا:و لم تَجْرِ العادةُ بِمَوت مِثْلِهم في حالة واحدة، فلو لم نَقُلْ بأنهم لو لم يقتلوا لَحَيُوا لا محالة-لأدَّى ذلـــك إلى القول بنقض العادة، وهو أن يموت في الساعة الواحدة[1] ألوفٌ كثيرة. وانتقـــاض العادة لا يجوز إلا في زمان نبي. **الاعتراض** على ذلك هو أن يُقَالَ لهم:إنه لا يمتنـــع أن يموت في الساعة الواحدة ألوف كثيرة في جهات متباعدة، وبـــلادٍ قاصـــية في أطراف الأَرَضِين وغير ذلك، ولا يكون ذلك نقضَ عادة. ويجوزُ أيضا في العَـــدَدِ الكثير والجمِّ الغفير أن يموتُوا في ساعةٍ واحدةٍ بالغَرَقِ والْهَدْمِ، ونحو ذلك ولا يكون في ذلك نقضُ عادة[2]. **ثم** يقال لهم:إنه يجوز انتقاضُ العادة في غير زمان الأنبيـــآء (ع)؛ لأنه لو لم يَجْزْ انتقاضُها لخرجتْ عن كونها عادات، ولحقت بالموجبـــات[3]، وذلك يُفْسِدُ عليهم أصولاً كثيرة.**ثم** نقول:إنه قد وقع نقضُ العادات في غير زمـــانِ نَبِيٍّ ،والوقوعُ فَرْعٌ على الصحة على ما نبينه إن شآء الله تعالى [في مسألة النبوة][4] فبطل ما ذهبت[5] إليه البغدادية[6] من كل وجه.

---

(١) في (ب) بحذف الواحدة .

(٢) في هامش(هـ) وأيضا فلا مانع من أن يكون أجله عندنا هو ذلك الوقت ولا دليل يمنع مـــن ذلـــك الدليل، ولذلك يحسن التأويل المذكور.

(٣) والموجب هو الذي لا يتخلف .

(٤) مابين المعقوفتين غير موجود في الأصل .

(٥) في (ب):ذهب .

(٦) هم أصحاب أبي سهل بشر بن المعتمر الهلالي قيل:هو من أهل بغداد كان زاهدًا عابدًا ،وقيل:دخيل من أهل الكوفة؛ ولعله كان كوفيًا، انتقل إلى بغداد وهو رئيس معتزلة بغداد .وتسمى أيضًا البـــشرية وهـــو

وأما الشيخ أبو الهذيل[1] والحشوية فهم يتعلقون في ذلك بآيات من كتاب الله تعالى: **منها**: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤] قالوا: فجعل لكل نَفْسٍ أجلاً لا يصح[2] أن تموت قبلَه ولا بعدَه، ولا يقتل قبلَه ولا متأخرًا عنه. وجعلوا الأَجَلَ كالْمُوجِبِ للموت والقَتْلِ. **والجواب** عن ذلك أنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّ عند حصول الأَجَلِ لا يصح وقوعُ التقديم والتأخير فيه، وذلك مما لا خلافَ فيه بينَ المسلمين. **فأمَّا** قبلَ حصول الأجَل فلم ينف[3] أن يقع هناك ما يقطع عن بلوغه مِنْ قَتْلٍ ونحوه، ولم يذكره تعالى لا بإبطال ولا بإثبات وهو موضع النزاع. وإذا كان كذلك سقط تعلُّقهم بظاهر الآية. **ومنها** قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٥٤] قالت الحشوية: فبيَّن أن القتل يقع بقضآئه، وأنه لا يقع في ذلك تقديم ولا تأخير.

والجواب: عن ذلك أنَّ الكَتْبَ يأتي على وجوهٍ، ولم يأتِ فيها شيءٌ بمعنى القضآء، لا في القرآن ولا في لغة العرب. وتلك الوجوه: **أحدها** بمعنى الفرض

صاحب الأراجيز المعروفة، وله أربعون ألف بيت في مذهبه . حبسه الرشيد ثم أطلقه . توفي سنة ٢١٠ هـ . ينظر الشافي ١/ ١٣٧ . وموسوعة الفرق ص١٠٣ . والموسوعة الإسلامية للأمين ٥/ ٧٠ .

(١) أبو الهذيل: هو محمد بن الهذيل العبدي ، ولد ١٣٥هـ أو ١٣٤هـ. وهو شيخ معتزلة البصرة، توفي سنة٢٢٧ هـ ، وقيل: غير ذلك، وله مؤلفات كثيرة منها: مناظرة أبي الهذيل لمجنون أهل الدير، ميلاس، اسم مجوسي أسلم على يده .ينظر الأعلام ٧/ ١٣١ . ووفيات الأعيان ١/ ٤٨٠ . ومعجم المؤلفين ٣/ ٧٦٠ .

(٢) أما الصحة فيصح؛ لكن المراد بعدم الصحة عدم تخلف ما علمه الله .

(٣) في (ب): ينتف .

والإيجاب.قال الله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٣] أي فُرِضَ عليكم، وكذلك:﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ الآية [المائدة:٤٥]، أي فرضنا. وثانيها بمعنى الحكم بالشيء، كقوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ﴾ [الحج:٤] أي حُكِمَ عليه به. **وثالثها**:الإخبار كقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٥] أي أَخْبَرْنا بذلك. **ورابعها** بمعنى العِلْمِ كقوله تعالى:﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِيَ ﴾ [المجادلة:٢١] أي عَلِمَ. وعليه يُحمل ما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال:بَيْنَا أنا جالسٌ عند النَّبي ﷺ إذْ أتاه رجل من الأنصار فقال:((يارسول الله، إنا نُصيبُ سَبَيًا ونُحِبُّ الأَثْمانَ[1] فكيف تَرَى في العزل؟ فقال ﷺ:((لا عَلَيْكُم ألاَّ تفعلوا ذلك، فإنَّها لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كتب الله عز وجل أن تخرج إلا وهي خارجة))[2] أي عَلِمَ. **وإذا** كان كذلك؛ لم يَخْلُ قولُه تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ ﴾ [آل عمران:١٥٤]، من أحَدِ هذه الوجوه. ولا يجوز أن يكون بمعنى الفرض والإيجاب؛ لأن القتل لا يُفرضُ على المقتول، خصوصا فيمن قُتِلَ مظلومًا؛ بل يكون ذلك قبيحًا، ولا يجوز أن يكون بمعنى الْحُكْمِ؛ لأن ذلك إنما يكون على سبيل الوجوب. وليس مَنْ يُقْتَلُ مِنْ غير استحقاق محكومًا عليه بالقتل ؛ بل ذلك يكون ظلمًا ؛ لعدم الاستحقاق. وإنما يكون معنى قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ ﴾ بمعنى الخبر والعلم،

---

(١) المعنى:أنهم لا يريدون أن يحملن من الوطء لئلا ينقص الثمن .
(٢) أخرجه البخاري ٢/ ٧٧٧ رقم ٢١١٦ ، وقد تكرر .

ويكون معناه من أخبر الله تعالى أنه يقتل أو علم ذلك من حاله، فإنه يكون كذلك، ولا يلزم أن يكون علمه وخبره قضاء ولا جبرًا، ولا علمه وخبره أيـضًا يوجبـان الأفعال إذ لو كانا يوجبان الأفعال، فهو تعالى يعلم أفعاله، فكان يجب أن يفعل ما أخبر به وعلمه من أفعال نفسه، وذلك محال؛ لأنه يؤدي إلى أمور كلـها باطلـة. منها:أنه كان يجب حصول الثواب في دار التكليف وقد علمنا أنه لا يجوز حصوله لما بينه وبين ا لتكليف من التنافي؛ لأن التكليف يتضمن المشاق كما تقدم بيانـه. والثواب ينافي ذلك ولحصول الدلالة على دوام الثواب وحـصول الدلالـة علـى انقطاع التكليف بالموت والفنآء. ومنها:أنه كان يلزم حصول سائر معلوماته تعالى ولو حصلت لأدى إلى خروجه تعالى عن كونه فاعلاً مختارًا وذلك محال. ومنها:أنه يعلم أنه يعاقب المجرمين في نار جهنم وأنه يقيم القيامة، فكان يلزم حصول ذلك في الحال، وذلك يبطل التكليف؛ لأنهم يصيرون ملجئين إلى فعل الطاعـة، واجتنـاب المعصية، والإلجاء ينافي التكليف كما تقدم، إلى غير ذلك من الجهالات. والـذي يدل على أن العلم لا يؤثر في المعلوم وجوه كثيرة منها:أن العلم بالمعلوم يتبع المعلوم، ولا يتبع المعلوم العلم؛ لأن علم زيد بكون بكر في الدار يتبع كونه في الدار في أنـه يجب أن يعلم أن كونه في الدار حتى يكون علما، وكونه في الدار لم يحـصل مـن حيث علم كونه في الدار، وعلم زيد بكون بكر في الدار لم يوجب كونه، بل كونه في الدار كالموجب؛ لكونه عالما به أن يعلمه وعلمه صحيح وهذا واضح. ومنها:أنه كان يجب إذا أخبرنا أودللنا أو علمنا أوصاف القديم تعالى أن نكون قد جعلناه على

ما هو عليه بالخبر أو بالدلالة أو بالعلم على أنه يجب أن لا يكون العلم بأن يوجب كون المعلوم بأولى من أن يكون المعلوم موجبا للعلم؛ لأنه كما يجب أن يكون المعلوم على ما يتناوله العلم، كذلك العلم إنما يكون علما لوقوع المعلوم على الحد الذي تناوله وهذا ظاهر الفساد. **ومنها**:أنا نعلم المعدومات فكان يجب أن نؤثر فيها؛ لأجل علمنا بها إلى غير ذلك من الأدلة، وهي ظاهرة إلا أن القدرية كابروا في ذلك. ومما يتعلقون به قول الله:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مّؤَجّلاً ﴾ [آل عمران:١٤٥] قالوا فأخبر أنه لا يموت أحد إلا بإذنه فاتضح أن موت الجميع بأجل معلوم جعله الله له فلا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه سواء كان قتلاً أو لا. **والجوابُ**:أنه لا خلاف أن الإنسان يموتُ بأجلِه؛ بمعنى أنه يموت عند الوقت الذي علم الله أنه يموت فيه، وليس في الآية ما يدل على أنَّ أحدًا لا يَقْدِر أن يقتله قَبْل. ولا فيها ذِكْرٌ، لذلك لا بإثباتٍ ولا بإبطال، وهو موضع النزاع؛ فسقط تعلقهم بظاهر الآية. **ثم** يُقال لهم:إن الإذن في اللغة على ثلاثة وجوه لا غير:**أحدها** بمعنى الأمر كما قال الله تعالى:﴿فَإِنّهُ نَزّلَهُ عَلَىَ قَلْبِكَ ﴾ [البقرة:٩٧] أي بأمره. **وثانيها** بمعنى الإباحة والإطلاق، كقوله تعالى:﴿فَانكِحُوهُنّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنّ ﴾ [النسآء:٢٥] أي بإطلاقهم. وقوله:﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النور:٥٨]. وقوله:﴿فَأْذَن لّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ [النور:٦٢]. **وثالثها** بمعنى العلم كقول الحارث بن حِلِّزَة[1]:

(١) هو شاعر جاهلي ، من أهل بادية العراق من آثاره معلقته، جمع بها كثيرًا من أخبار العرب توفي ٥٠ ق.هـ . ينظر معجم المؤلفين ١/ ٥١٨ . والأعلام للزركلي ٢/ ١٥٤. والأغاني ١١/ ٤٢- ٥١ .

رُبَّ ثَاوٍ يُمِلُّ مِنْهُ الثَّوَآءُ		آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أسماءُ
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ اللِّقَاءُ[1]		آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا ثُمَّ وَلَّتْ

ولا يجوز أن يكون المراد به الأمرُ، والإباحة؛ لأن الموتَ ليس إلى الإنسان فيكونَ مأمورا به، ولا مباحا له؛ لأنه ليس من فعله فلم يبقَ إلا أن يُريدَ بقوله:﴿**إلا بإذن الله**﴾ [آل عمران:١٤٥]، أي بعلمه. وَقَدْ ثَبَتَ أن القتل غيرُ الموت. تصديقُه قولُه تعالى:﴿وَمَا مُحَمّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفإِنْ مّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٤٤]؛ فلو كان القتلُ هو الموتَ لكان تقديرُ الكلام أفإن ماتَ أو ماتَ. وهذا خَطْلٌ مِنَ القولِ لا يجوزُ أن يتكلَّمَ به الحكيم تعالى، فبطل ما ذهبوا إليه في ذلك.

ومما يتعلقون به قوله تعالى:﴿هُوَ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن طِينٍ ثُمّ قَضَىَ أَجَلاً وَأَجَلٌ مّسمّى عِندَهُ ﴾ [الأنعام:٢]، قالوا:فذكر أن للإنسان أَجَلَيْنِ، وأنه يجوز أن يقطع القاتلُ على المقتول أحدَهما[2]. **والجوابُ** أنَّ هذا منهم تجاهلٌ عظيم؛ لوجهين:**أحدهما** أن ظاهر الآية يُوجب أنه تعالى:قَضَى أَجَلاً، وَأَنَّ عِنْدَهُ أَجَلاً مُسَمًّى. ولم يُبَيِّن أنَّ كِلا الأَجَلَيْنِ في الدُّنْيَا؛ ولا ذكر ذلك بإثبات ولا بإبطال وهو موضع النزاع. **والمراد** بذلك أنه قضى الآجالَ في الدُّنيا؛ لأنه لا أحدَ إلاَّ ولَهُ وَقْتٌ قد عَلِمَ اللهُ تعالى أنه يموتُ فيه. وقوله تعالى:﴿وَأَجَلٌ مّسمّى عِندَهُ ﴾ أراد به يَوْمَ القيامة؛ ولذلك أضافه

(١) أنظر ديوانه ص٣٧ .
(٢) في الأصل:أحدهما بالضم، والذي يظهر لي أنه مفعول به ليقطع، والفاعل القاتل، والله أعلم.

إلى نفسه، فقال عنده.

الوجه الثاني: يقال لهم: وكيف يجوز أو يُتَصَوَّر أن يكون للإنسان أجلان في الدنيا، وليس يبلغ إلاَّ أحدَهما؛ فإن بلغ الأخيرَ بطل كونُ الأول أجلاً له، وإن لم يبلغ الأخير بطل كونُه أَجَلاً له على أيِّ وَجْهٍ قيل.

وَمِمَّا يتعلقون به قولُه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف:٣٤]، قالوا: وهذا يدل على أنه لا يجوز أن يتقَدَّمه ولا أن يتأخر عنه، وذلك يُوجِبُ أنَّ القدرة على خلاف المعلوم لا تَصح. **والجواب** أن الأجل هو الوقت المضروب لحدوث أمر في المستقبل على ما تقدم، وإن كان قد غَلَب من جهة الاستعمال على أوقات الحياة و الموت؛ فإذا صَحَّ ذلك فكلُّ وقتٍ عَلِمَ الله تعالى أن العبد يموتُ فيه أو أخبر بذلك، أو حَكَم فيه بالموت–فقد جعله أجَلاً لِمَوته، ولا يجوز أن يتقدَّم موتُه ذلك الوقتَ ولا يتأخر عنه، لا لأنه لا يقدر على خلافه من حيث عَلِمَ أن ذلك لا يقع؛ إذهو تعالى قادر على خلاف ما عَلِمَه؛ فإنه تعالى قادر على أنه[1] يُقِيمَ القيامة الآن، مع علمه بأنه لا يُقيمها الآن[2]. والواحدُ مِنَّا قادر على أن يُعَاقِبَ عبده مع عفوه عنه وإضرابه عن عقابه، فلو لم يكن قادرا على عقابه مع عفوه لَمَا حَسُنَ مدحُه على العفو، فقد قَدَرَ على خلاف ما علمه الله تعالى؛ فإنه قَدْ علم أنه يعفومع قدرته على العقاب لعبده وهذا واضح.

---

(١) في (ب):أن .

(٢) في (ب):مع علمه أنه لايقع الآن .

ومما يلزم الشيخ أبا الهذيل على[1] هذه المقالة–وهي أن المقتول لو لم يُقْتَلْ لمات لا محالةَ. ويلزم أيضا مَنْ وافقه فيها من المعتزلةِ والْحَشْوِية أمران:أحـــدهما ســـقوط القصاص؛ إذ المقتولُ لو لم يُقْتَل لَمَاتَ لا محالةَ على قولهم. كما أن القصاص يسقط عمن قَتَلَ بأمر الله، أو بإباحته، وكذلك الإثم.

والثاني سقوط الضمان فيكون من ذبح مواشيَ الغير بغـــير إذن مالكهـــا، ولا بإباحة الشرع–لا يلزمه ضمانها؛ بل يكون مُنْعِمًا على مالكها بِذَبْحِهَا؛ لأنه لـــولا ذَبْحُه لها لماتت ولما انتفع بها؛ لكونها ميتةً؛ فكان على هذا القول يجب شُكْرُهُ على المالك على صنيعه إليه. وعلى قول الحشوية أيضا لمثل ما ذكرناه. **ولوجـــهٍ** آخــر يخصهم دونَ أبي الهذيل ومَنْ طابقه من المعتزلة، وهو[2] أن ذَبْحَهُ لها علـــى قـــولهم بقضاءٍ من الله تعالى وقَدَرٍ، وهما موجِبَانِ؛ فسقط عنه الضمان والإثم والـــذم؛ لأن ذلك فعلُ الله عندهم. وفي عِلْمِنا بِكَوْنِ الفاعل لذلك عاصيًا وظالِمًـــا ومـــستحقًّا للذَّم، ومأخوذًا بالديةِ في الانسان الحر، أو القصاص. وبالقيمة في الأموال–دلالـــةٌ على بطلان مقالتهم جميعا؛ فسقط قول كُلِّ واحد من الفريقين بحمد الله وَمَنِّه، ولم يبق إلا التوقف، والقضاءُ بما دل عليه الدليل، وهو أن المقتولَ يُقْتَلُ بأجلـــه، علـــى معنى أنه يُقْتَل في الوقت الذي عَلِمَ الله تعالى أنه يُقْتَلُ فيه، ولا نقطع[3] على أنه لو لم يقتل لبقي حيًّا لا محالة، ولا على أنه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت لا محالة؛ بـــل

(١) في (ب):عن

(٢) في (ب):وهو على أن .

(٣) في (ب) و (ج):ولا يقطع .

نقول:بأن حياتَه وموتَه ممكنان من جهةِ العقل، وليس في الشرع ما يدل على القطع على أحد الأمرين؛ فلذلك وجب التوقف في هذه المسألة.

مسألة :في الأرزاق وفيها خمسة فصول:

أحدها في معنى الرزق، وهو ما مكن[(1)] من الانتفاع به، ولم يكن لأحد منعه من الانتفاع به ولا نهيه عن الانتفاع به، على بعض الوجوه. **وثانيها** في تعيين فاعلها وهو الله تعالى؛ لأنها من قبيل الأجسام. وقد بينا فيما تقدم أنه تعالى فاعلُ الأجسامِ ولا فاعل لها غيره. **وثالثها** في حُسْنِ اكتسابها. ونحن نعتقد أن اكتساب الرزق حَسَنٌ غير قبيح. والخلاف في ذلك مع الصوفية الضآلة الغوية[(2)]؛ فإنهم ذهبوا أنه لا يحسُن اكتسابها. **والذي** يدل على صحة ما ذهبنا إليه وإبطال قولهم دليلُ العقل والكتاب والسنة والإجماع. **أما دليل العقل:**فهو أن العقلاء يعلمون بعقولهم ضرورةً حُسْنَ اكتساب المنافع، كما يعلمون ضرورةً حُسْنَ دَفْعِ المضار. والأمر في ذلك ظاهر. **وأما الكتاب**؛ فقوله تعالى:﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللّهِ ﴾ [الجمعة:١٠]، وقوله تعالى:﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النسآء:٢٩].

وأما السنة:فما روي عن النبي ﷺ أنَّه قال:((التَّاجرُ الصَّدوقُ مَعَ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا))[(3)]. وقوله ﷺ:((تِسْعَةُ

---

(١) في (ب):ما أمكن .

(٢) يراد بهم بعض الفرق الصوفية التي لاتلتزم الكتاب والسنة وآداب الزهد .

(٣) أخرجه الترمذي ٣/ ٥١٥ رقم ١٢٠٩ . والدامي ٢/ ٢٤٧ .

أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التجارة))[1]. ولما روي أنه ﷺ كان بُرْهَةً من دهره تاجرًا وكان يُسافِر للتجارة. وروي أنه باع واشترى حاضرا حتى قال المشركون:﴿مَا لِهَـٰذَا الرّسُولِ يَأْكُلُ الطّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧]، فأوحى الله إليه:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ إِنّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠]. **ورُوِيَ** عنه ﷺ أنه قال:((مَنْ طلب الدنيا حلالا سَعْيًا على أهله وتعطُّفًا على جاره، واستعفافًا عن المسألة لقي اللهَ ونُورُ وجهِهِ كالقمر ليلَةَ البَدْر))[2]. **وعن** ابن عباس أنه قال:مَرَّ النبي ﷺ بقوم بموضع يقال له:قُبَا بالمدينة، فمنهم من يُصلي، ومنهم مَن يتذاكر العلم، ومنهم من يتدارس القرآن، فوقف عندهم ساعةً، ثم قال:من أنتم؟ قالوا:يارسول الله نحن قوم قرأْنا القرآن فمررنا بقوله تعالى:﴿وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وتَوَكَّلْنَا على اللهِ[3] فهو حسبنا ونحن المتوكلون. فقال:ياقوم قوموا وتفرَّقوا واكتَسِبُوا وابتغوا من فضل ربكم؛ فإن الله لم يأمر بهذا. قال الله تعالى في أسفل الآية:﴿قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق:٣]، يعني لكل أمةٍ رِزْقًا وَحِرْفة وَكَسْبًا وأنتم الْمُتَأَكِّلُون على الناس، إنما المتوكل على الله الذي يُصَلِّي الْخَمْس في جماعة،

(١) أخرجه الهندي في كتر العمال ٤/ ٣٠ برقم ٩٣٤٢ عن نعيم بن عبد الرحمن الأزدي ويحيى بن جابر مرسلا .

(٢) أخرجه المرشد بالله في أماليه ٢/ ١٧٣ . وفي الحالية ٨/ ٢٣٥ برقم ١١٩٩٩ . بلفظ:((من طلب الدنيا حلالا واستعفافا عن المسألة وسعيا على أهله ، وتعاطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر . ومن طلبها حلالا مكاثرا لها مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان)) **وأقول**:إن الغضب بسبب التكاثر والتفاخر حتى وإن كان الطلب من حلال. وشعب الإيمان ٧/ ٢٩٨ رقم ١٠٣٧٤ بلفظ مقارب .

(٣) في (ب): وتوكلنا على الله فنحن المتوكلون على الله . وفي (ج): وتوكلنا على الله ، ونحن المتوكلون.

الناس، إنما المتوكل على الله الذي يُصَلِّي الْخَمْس في جماعة، ويبتغي من فضل ربــه. قال ابن عباس:فما برح رسول الله ﷺ حتى تفرقوا وصاروا بعد ذلــك أصــحابَ التِّجارات[1]. وروي أن عمر بن الخطاب مَرَّ بقوم، فقال:من أنــتم؟ قــالوا:نحــن المتوكِّلُون. قال:كذبتم بل أنتم المتأكلون. إنما المتوكل رجل ألقى الْحَبَّ وهو ينتظــر الغيث[2]. وقال النبي ﷺ:((طَلَبُ الْحَلالِ فريضةٌ بعدَ الفريضةِ))[3]. إلى غير ذلــك من الأخبار. **وأما الإجماع**:فلا خلاف بين المسلمين في أنه يَحْسُنَ اكتساب الحلال.

ورابعها في حكم الأرزاق ونحن نعتقد أن الحلال يكون رزقا ســواءٌ كــان في أيدي العصاة أو المطيعين، وأن الحرام لا يكون رزقا سواءٌ كان في أيدي العصاة أو المطيعين. وهذا هو قول جميع المسلمين[4].

وذهبت الْمجبرة إلى أن ما كان في أيدي الناس من حلال أو حرام فإنه يكون رزقا لهم[5]. **وقولُهم** بعضُه صحيح وبعضه فاسد. **فأما** الصحيح:فهــو أنَّ الحــلال رزق؛ ولهذا مَدَحَ الله الْمُنْفِقِينَ من الحــلال. فقــال[6] ســبحانه:﴿وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[البقــرة:٣] وأباح الأكْلَ منــه؛ فقــال:﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

---

(١) أخرجه في فروع الكافي ٥/ ٨٦ بما يوافق هذه الرواية .

(٢) ربيع الأبرار ٤/ ٣٠٢ .

(٣) أخرجه في كنْز العمال ٤/ ٥ رقم ٩٢٠٣ عن ابن مسعود .

(٤) ينظر رسائل الإمام الهادي عليه السلام٣١٣ ، وشرح الأصول الخمسة٧٨٧ ، والمغني ١١/ ٣٥ .

(٥) قال عبدالملك الجويني في كتابه الإرشاد ص٣٠٧: والذي صح عندنا في معنى الرزق ، أن كل ما انتفع به منتفع فهو رزقه ، فلا فرق بين أن يكون متعديا بانتفاعه وبين أن لا يكون متعديا . والفخر الــرازي مج ٦ ج١٢ ص٧٧ .

(٦) في (ب): قال .

[البقرة:٥٧]. وما شَاكَلَ ذلك من الآيات. وَأَمَّا الفاسِد من قولهم، فهو أنَّ الحرام رِزْقٌ فهذا فاسد؛ لأنه لو كان ما في يد الغاصب رزقا له، وكذلك السارق، وقُطَّاع الطريق من المحاربين والمتغلِّبين-لَمَا كانوا غاصبين بأخذه، ولَمَا وجب على الإمَامِ قَتْلُ المحاربين الذين يَنْهَبُون في طُرُقِ المسلمينَ، ولَمَا وجب عليه قَطْعُ يَدِ السارق متى سرق مِنْ حِرْزٍ مَا يَسْوَى عَشَرَةَ دراهم (قفلةً[1])، وَلَمَا وجب عليه أنْ يسترجع من الغاصب ما غصبه على المسلمين؛ لأنه لو جعله رزقا لهم ثم أَمَـرَ بإجراء هذه الأحكام عليهم[2] لكان ذلك قبيحا وهو لا يفعل القبيح كما تقدم بيانه. يُبَيِّنُ ذلك وَيُوَضِّحُه أنَّ السلطان لو رَزَقَ جُنْدَه مالاً ثم حظر عليهم الانتفاعَ به وعاقبهم على الانتفاع به لكان ذلك قبيحا.

وكذلك لو مَلَّكَهُم مالا ثم منعهم من الانتفاع به لاستقبح العقلاءُ هذا الصنيع منه. ولأنه لو كان رزقا للغاصب كما أنه رزق للمغصوب منه أو مِلْكٌ-لَلَزِمَ إذا ترافعا إلى إمام أو حاكم من حُكَّام المسلمين أن لا يكونَ بأن يقضيَ للغاصب على المغصوب أَوْلَى مِنْ خلافه، وأنْ لا يكونَ هذا الشيء بأنْ يَجْعَلَ ثابتًا في يد الغاصب؛ لأنَّه رزقُه أوْلَى مِنْ أنْ يُنْتَزع مِنْ يده إلى المغصوب منه[3]؛ لأنه مِلْكُه، ولا يتأتَّى أنْ يُجْعَلَ-والحال هذه-رِزقا لهما؛ لأنَّه كان يجبُ أن يَجريَ مَجْرى مالٍ بين شريكين؛ فيكون لكل واحد منهما مثلُ ما لصاحبه؛ ولأنه لو جاز أن يُجْعَل رزقا

---

(١) **القفلة**:ما له وزن من الدرهم . القاموس١٣٥٦ .
(٢) في(ب) بحذف عليهم .
(٣) في (ب)و (ج): إلى يد المغصوب منه .

لهما مَعًا لَجَازَ أن يُجْعلَ مِلْكًا لهما جميعًا؛ ولأنه لو كان رزقا للغاصب وَمَنْ أشبهه لَمَا لزمه عند إتلافه ضمانٌ وغُرْم؛ لأن[1] مَنْ أَكَلَ من رزق نفسه لا تَجب الغرامةُ عليه. و لم نذكر خلاف المطَرَّفية في الرزق، إذْ قد أبطلنا في كتاب الرد عليهم ما[2] ذهبوا إليه في ذلك[3].

وخامسها في ذِكْر طَرَفٍ مما جاء في الكَسْبِ الحرام، قال الله سبحانه:﴿سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسّحْتِ ﴾ [المائدة:٤٢]. وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((كَسْبُ الْمُغَنِّيَةِ سُحْتٌ، وَكَسْبُ الزَّانِيَةُ سُحْتٌ، وَكَسْبُ الْمُغَنِّي سحت، وَحَقٌّ على الله أن لا يَدْخُلَ الْجَنَّة لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ))[4]. **وعن ابن عباس**:لا يقبلُ[5] اللهُ صلاةَ امرئ، في جوفِه حرامٌ. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((مَنِ اكتسب مالاً من حرامٍ لم يقبلِ اللهُ منه صَدَقَةً، ولا عَتَاقًا، ولا حَجًّا، ولا اعْتِمَارًا، وكَتَبَ اللهُ له بِقَدْرِ ذلك أَوْزَارًا، وَمَا بَقِيَ منه بعدَ مَوْتِه كان زادَه إلى النَّارِ))[6]. وعن ابن عمر أنه قال:لو أن رجلا كانت له تسعةُ دراهمَ مِنْ حلالٍ فَضَمَّ إليها دِرْهَمًا مِنْ حرام؛ فَاشْتَرَى بها ثَوْبًا، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ منه فيه صلاة. فقيل

(١) في (ب):لأنه .
(٢) في (ب) في ما.
(٣) ذهبوا إلى أن ما جازه العاصي وقبضه فهو مغتصب له؛ لأن الله لم يأذن له في تناول شيء من رزقه . والظاهر أنه لا فرق بين حلال وحرام فالمهم أن يملكه العاصي وردوا عليهم بإجماع الأمة على أن العاصي يملك ما كسبه من الحلال وأنه يحرم اغتصابه إلا بحق .ينظر عدة الأكياس ج١ص٣١٢.
(٤) أخرجه أبو طالب في أماليه ص٤٠٠ . وكتر العمال ١٥/ ٢٢٦ رقم ٤٠٦٨٩ .
(٥) في (ب) و (ج):أنه قال:لا يقبل .
(٦) نظام الفوائد (خ) .و إتحاف السادة المتقين(٦:١٠) ، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي (٢:٩١) بلفظ مقارب كما في موسوعة أطراف الحديث .

إليها دِرْهَمًا مِنْ حرام؛ فَاشْتَرَى بها ثَوْبًا، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ منه فيه صلاة. فقيل له:سَمِعْتَ[1] هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال:سمعتُه من رسول الله ثلاث مرات[2]. وفي بعض الأخبار أنه قال:صُمَّتْ أذناي إنْ لم أكُنْ سمعتُه مِنْ رسول الله ثلاث مرات إلى غير ذلك من الأخبار؛ فإنَّ بابَ ذلك واسع وفيما ذكرناه تَنْبِيْهٌ على ما لم نذكره

فصل في الألطاف التي من أفعال العباد

وهي على ضربين:**أحدهما** يعلمون بعقولهم أنَّها ألطافٌ لهم جاريةٌ مَجْرى دَفْعِ الضرر عن النفس، وهذا كالعلم بالله تعالى وصفاته وَعَدْلِه وما يتفرع على ذلك من مسائل أصول الدين على ما تقدم بيانُه في أول هذا[3] الكتاب. **والضرب الثاني**:لا يعلمون بعقولهم كَوْنَه لطفا لهم، بل إنَّما يعلمون ذلك مِن قَبلَ الشرع فيجب أن يعرفوا صِدْقَ الأنبياء (ع) حتى يعلموا ما يُؤَدُّونه إليهم من ألطَافهم.

فَصْلٌ:في جواز نسخ الشرائع، ووقوعِه

والكلامُ فيه يقع في موضعين:**أحدهما** في حكاية المذهب وذكر الخلاف. والثاني في الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالف.

أما الموضع الأول:فذهب أهل الإسلام كآفَّة إلى جواز نسخ الشرائع. والخلاف

---

(١) في (ب):أسمعت .
(٢) شرح التجريد ١/ ١٣٦ ، مسألة الصلاة في المغصوب. والاعتصام ١/ ٣٥٠ نقلا عنه .
(٣) في (ب):بحذف هذا .

في ذلك مع اليهود. وذهب قوم ممن يَعْتَزِي إلى الإسلام إلى أنَّ النسخ في شـــريعتنا لايجوز[1]. وقال بجوازه في الشرائع المتقدمة ووقوعه.

وأما الموضع الثاني:وهو في الدليل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهب إليه المخالف:**فالذي** يدل على ذلك وجهان:**أحدهما** أن النسخ في الشرائع قـــد وقـــع. والوقوعُ فرعٌ على الجواز. وإنما قلنا:بأن النسخ في الشرائع قد وقع؛ لما نعلمه أنـــه كان في شريعة آدم عليه السلام جواز تزويج الأخ لأخته التي لم تولد معه. وكان في شريعة يعقوب عليه السلام جواز الجمع بين الأختين، ثم صار ذلك مُحَرَّمًا في شريعة موسى عليه السلام.

ورُوي في التوراة أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفُلْكِ:إني قد جَعَلْتُ كُلَّ دَآبَّةٍ حيَّةٍ مَأْكَلاً لك وَلِذُرِّيَتِكَ، وَأَطْلَقْتُ ذلك لكم، كنبات العُـــشْبِ، ما خلا الدَّمَ فلا تأكلوه. وقال الله تعالى في قـــصة عيـــسى عليه السلام حكايـــة عـــن عيسى[2]:﴿وَلأُحِلّ لَكُم بَعْضَ الّذِي حُرّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمـــران:٥٠]، فَدَلَّ جميعُ ذلك على وقوع النسخ في الشرائع المتقدمة[3]. **فأما** في شريعتنا فالمخالفُ في ذلك دافـــع

(١) وهم غلاة الإمامية والتناسخية كما في معيار العقول ص ٤٢٩. المعتمد عند الإمامية أن نسخ القـــرآن بالقرآن جائز ونسخ القرآن بالسنة القطعية جائز . ينظر مجمع البيان ج١ص ٣٤٢. وأصول الفقه للشيخ محمد آل المظفر ص٣٢٢ .

(٢) في (ب):حكاية عن عيسى محذوفة .

(٣) قال في منهاج الوصول إلى معيار العقول ص٤٢٩: والإجماع منعقدٌ على جواز النسخ الذي هو رفـــع الأحكام بعد ثبوتها، إلا ما روي عن جماعة شذوا، وأظن أكثرهم من الرافضة؛ فإنهم منعوا من جـــواز أن يأمر الله بشيءٍ ثم ينهى عنه، أو يحرمه ثم يبيحه .قلت:ولقد وقفت في بعض التفاسير على رواية جعفر بـــن محمد عليه السلام أنه نفى أن يكون نكاح الأخت جائزا في شريعة آدم ، قال:ولكن الله أنـــزل لابـــن آدم حُورا ينكحها فجازت ابنتها لابن أخيه من حوى أخرى , ثم تناسلوا بعد ذلك لا عن نكاح الأخـــوات، وهذه الرواية إن صحت تدل على أن جعفر كان ممن يمنع النسخ في الشرائع، لكنها رواية مغمـــورة غـــير

للضرورة؛ لأنا نعلم بالاضطرار أنَّ النبي صلى الله عليه واله وسلم كان يتوجه في أول الإسلام إلى بيت المقدس مُسْتَقْبِلاً له في صلاته هو وَمَنْ قد آمن به، وأمرهم الله تعالى بذلك ثُمَّ نَسَخَهُ بقوله تعالى:﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤]. ونحو نَسْخِ وجوب الصدقة قَبْلَ مناجاتِ الرسول في قوله:﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة:١٢]. ثم نسخها بقوله تعالى:﴿إِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ❖أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة:١٢-١٣]. وَنَحْو نسخ إمساك النساء الزَّواني في البيوت في قوله:﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ [النساء:١٥]، نسخ الله ذلك بآية الْجَلد. ونحو نَسْخِ عدة المتوفى عنها زوجها في قوله:﴿مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾ [البقرة:٢٤٠]، نسخ ذلك بقوله:﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ [البقرة:٢٣٤]، إلى غير ذلك. وهذا كله في القران، وهو معلوم بالاضطرار.

وإنما قلنا: بأنَّ الوقوعَ فَرْعٌ على الجواز؛ لأنه لو لم يكن جائزًا لكان قبيحًا، ولو كان قبيحًا لَمَا فَعَلَهُ الحكيم سبحانه؛ لِمَا ثَبَتَ أنَّه تعالى لا يَفْعَلُ القبيح فلا يَبْقَ إلاَّ أنْ يكون جائزًا وحسنًا.

الوجه الثاني أن الشرائع مصالِحُ. والمصالِحُ[1] يَجُوزُ اختلافُها في الأزْمِنَةِ

ظاهرة إلا في الباطنية، وإن صحت فلعل خلافه في الوقوع دون الجواز كما هو رأي أبي مسلم بن يحيى الأصفهاني، وهو معتزلي العقيدة.

(١) في (ب) ، (ج):بحذف ((المصالح)) .

وَالأَمْكِنَةِ وأعيان المكلفين، وإذا جازَ اختلافها جَازَ ورودُ النَّسْخِ عليها.

وإنما قلنا: بأنَّها مصالِحُ؛ لأنها لو لم تكن مصالح لما حَسُنَت ولا وجبت، ولا حَسُنَ من الله تكليفُنا إياها.

وإنما قلنا: بأنَّ المصالح يجوز اختلافها في الأزمنة والأمكنةِ وأعيان الْمُكَلَّفِينَ لِمَا نعلمه في الشاهد أنَّ الطبيبَ العارف بالطِّبِّ قد يأمرُ المريضَ بأن يستعملَ في وقت ومكان ما ينهاه عن استعمالِ مِثْلِهِ في وَقْتٍ آخر، ومكانٍ آخَر، ويأمره في وَقْتٍ ومكانٍ بأن يستعملَ من الأدويةِ ما ينهى غيرُه من المرضى وَالأَعِلاَّءِ عن استعماله في ذلك الوقت، وفي ذلك المكان. والأمر في ذلك ظاهر.

وإنما قلنا بأنه إذا جازَ اختلافُها جاز ورودُ النسخ عليها؛ لأنا لا نعني بجواز ورود النسخ عليها إلاَّ ذلك؛ لأنَّ التَّعَبُّدَ بالشرائع فَرْعٌ على ثبوت المصلحة فمتى اختلفت المصلحة جاز اختلافُ التّعَبُّدِ وهذا واضِحٌ. وقد أكَّدَ الشرع ذلك فيما رُويناه عن النبي ﷺ أنه قال عن الله تعالى: إنَّه سبحانه يقول: ((إنَّ من عبادي المومنين لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلا السُّقْمُ، ولو أَصْحَحْتُه لأفْسَدَهُ ذلك. وإنَّ من عبادي المؤمنين لَمَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَه إلا الصِّحَّةُ ولو أَسْقَمَتْهُ لأَفْسَدَهُ ذلك. إني أُدَبِّرُ أَمْرَ عِبَادِي لِعِلْمِي بقلوبهم. إني عَلِيمٌ خبيرٌ))[1]. **فَثَبَتَ أن ذلك تابع للمصلحة.**

---

(١) أخرجه في تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٨، كما ذكره في موسوعة أطراف الأحاديث النبوية ص٤٣٨. والأولياء لابن أبي الدنيا ص٢٨، ومجمع الزوائد ٢/ ٢٤٨، وعزاه إلى الطبراني في الكبير .

مسألة في النبوءآت والكلام فيها يقع في سبعة مواضع:

أحدها في معنى قولنا:رسولُ الله ونبيُّ الله. **وثانيها** في حسن إرسال الله تعالى للرسل. **وثالثها** في بيان صفة المرسَل. **ورابعها** هو الكلام في الْمُعْجِزْ الدآلّ على نبوة الأنبيآء (ع). **وخامسها** هو الكلام في نبوة نبينا محمد المختار وغيره من الأنبيآء (ع). **وسادسها** في ذكر نبذة من الأخبار الدآلة على كون نبينا محمد ﷺ أفضل الأنبيآء (ع) وأكرمَهم على الله تعالى. **وسابعها** في جواز نسخ الشرآئعِ.

أما الموضع الأول وهو في معنى قولنا:رسولُ الله، ونبيُّ الله:

فالرسولُ:يفيد في أصل اللغة أن مُرْسِلاً أرسله إلى غيره[1] برسالة قد تحملها وقام بقبولها وأدآئها. وفي عرف الشرع لا فرق بين قولنا:رسولُ الله وبين الرسول مطلقا. وهو المتحمل للرسالة عن الله بغير واسطة آدمي.

وقولُنا:نبي الله بغير هَمْز لفظةِ نبيٍّ يُفِيدُ الرفعة لِمَا شهد له اللغةُ في النَّبَاوةِ التي يُراد بها الرفعة. فإذا قلنا:نبيَّ الله بغير همزٍ أفاد كونَه عظيمَ الْمترلةِ عند الله تعالى لِمَا تحمَّل عن الله تعالى من الرسالة بغير واسطة آدمي. وإذا هَمَزْتَ لفظة نبيءٍ كانت من الإنبآءِ وهو الإخبار، ولا يُفيد الرفعة بنفسه، بل لا بد من واسطة وهو أن يكون الله تعالى قد أخبره بمصالح أمته لا بواسطة آدمي، ولا يخبره بذلك إلا على طريق إرساله إليهم فيستحق الرفعة لذلك؛ فلهذا المعنى صار معنى الرسول والنبي في الشريعة واحدًا. وقد أجراهما الله تعالى في كتابه مُجْرىً واحدًا فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيّ

(١) في (ب):أنه مرسل، والتغير واضح على اللفظة .

﴾. وقال:﴿يَـأَيّهَا الرّسُولُ يَـأَيّهَا الرّسُولُ﴾. وكذلك معنى النبوة والرسالة قـــد[1] صار في الشرع واحدا.

وأما الموضع الثاني وهو في حسن إرسال الله تعالى للرسل

فإنا نعتقد كونَ ذلك حَسَنًا، والذي يدل على ذلك أن العقلَ يُجَوِّز أن يكون فيه فآئدة، وأن يَتَعَرَّى عن سآئِر وجوه القبح، وكلُّ ما هذا حالُه فإن العقل يُجَـــوِّزُ حُسْنَهُ. وتحقيق هذه الدلالة أنها مبنية على أصلين:**أحدهما**:أن العقل يُجَوِّزُ أن يكون في إرسال الله تعالى للرسل فآئِدة، وأن يَتَعَرَّى عن سآئِر وجوه القبح. **والثـــاني**:أن كل ما هذه حالُه فإن العقل يجوز حسنه.

أما الأصل الأول:فالذي يدل عليه إمَّا أنه يجوز أن يكون فيه فآئِدة؛ فلأنه يجوز أن يكون مصلحة للمكلفين بأن يحثَّهم على ما في عقولهم فيكونون مع ذلك أقرب إلى الإتيان بذلك، كما ثبت أنَّ لأمْرِ الزهاد وَوَعْظِ الوعاظ هذه المزية مع تجـــويز الخطأ عليهم، فكيف بمن يَظْهَرُ عليهم الْمُعْجز. وهذه فآئِدة عظيمة كافية في ذلك. ثم نقول:وفيه فآئِدة أخرى وهي:أن يَرِدَ الوعيد على سبيل القطع فيكُونَ المكلفـــون مع ذلك أقربَ إلى الانزجار عن القبآئحِ العقلية ويَصْرِفَهم عن فعل القبآئِح العقليـــه التي لم يَبْلُغِ العقلُ إلى معرفة تفصيلها، كما أن الطبيب العارف يُعَرِّفُ المريض مـــن المصالح النافعة له ما لم يكن يَعْرِفُ بعقله تفصيلَهُ. **وإذا** جاز أن يخفى على بعضنا من المصالح النافعة ما لم يعرفه[2] البعضُ الآخَرُ-جازَ أن يخفى علينا مِن مصالحنا ما يعلمه

---

(١) في (ب):فقد .

(٢) في (ب):يعرف. وقال في الهامش:الأولى ما لم يخف على البعض وذلك ظاهر.

علام الغيوب، وإذا جاز ذلك جاز أن يُبَيِّنَه تعالى لنا على ألسنة الرسل. **وإمَّا** أنــه ليس فيه وَجْهٌ من وجوه القُبح؛ فلأنَّ وجوه القُبْحِ محصورة، والعقل يقطـع علـى انتفآء كثير منها عن إرسال الرُّسُلِ. ولا سبيل للمخالف إلى القطع على واحـد[1] منها في ذلك. فهذا هو الأصل الأول.

وأما الأصل الثاني:وهو أنَّ كلما هذه حالهُ فإنَّ العقل يُجَوِّزُ حُسْنَه. **فالـذي** يدل على ذلك ما قدمنا مِنْ أنَّ الْحُسْنَ هو ما كانت فيه فآئِدة، وَتَعَرَّى[2] عن سآئِر وجوه القبح.

وأما الموضع الثالث–وهو في صفة المرسل:

فَالْمُرْسَلُ يَجِبُ أن يكون من جنس مَنْ أُرسِلَ إليهم. وقد نَبَّهَ الله تعالى علـى ذلك بقوله:﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾ [الإسراء:٩٥]. ويجب أن يكونَ في غايةِ الكمال مـن العقـل والتمييز وَحُسْنِ الرأي، وأن لا يكون على صورةٍ مُنَفِّرة[3]، نحو صـورة القِـرَدة والخنازير، ولا يجوز أن يكون أجذمَ، ولا أبرصَ، ولا أن يكون به سَلَسُ البـول، ونحو ذلك مما تقع النَّفْرَةُ عنه لأجله. ويجوز أن يكون صغيرَ السِّن إذا كان كامـلَ العقل نحو عيسى ويحيى (ع).

---

(١) في (ب) و (ج): على حصول واحد .
(٢) في (ب) و (ج): ويعرى .
(٣) في (ب):منفردة، وصَوَّبها في الهامش على ما في الأصل.

ويجوزُ أن يكون أعمى أو أصم[1] ما لم يتعلق أدآءُ الشريعة بهما. فهذا ما يتعلق مِنَ الأوصاف بِالْخِلْقَةِ، ولا يظهر خلاف بين العلمآء في اشتراطها. وَمَنِ الأوصاف ما يتعلق بِشَرْعِه. **والذي** يجب أن يُنفَى عنه في ذلك الكِتْمان، والنسيان، والزيادة، والنقصان، والخطأ في ذلك، والتغيير، والتبديل، وَتَرْكُ الصبر على العـــوارض دونَ الأدآء، وما أشبه ذلك.

ومنها ما لا يتعلق بشرعه. ثم منها ما يتعلق بمعجزته، وذلك أنه يُعْـــصَمُ عـــن الإحسان[2] لِجنسها والإتيانِ به؛ لأن ذلك يُؤَثِّر في سكون الـــنفس إلى مُعْجِزَتـــه، وكَونُه يُحْسِنُ جنس معجزته يُوهِنُ أمرها؛ فيجب أن يُعصَم عن ذلك. **ومنها** ما لا يتعلق بمعجزته، وهو أشيآء:**منها** ما يرجع إلى أخلاقه. **وَمنها** ما يرجع إلى غيرها مِمَّا يتعلق بفعله ومما لا يتعلق بفعله؛ فيجبُ أن يُعْصَمَ عن الفظاظـــة والغلظـــة علـــى المؤمنين، ويُعْصَمَ عن سُوءِ الأخلاق. ويجب أن لا يكون وَلَدَ زنا، ولا يكونَ لقيطًا، ولا حَجَّامًا، ولا حَمَّامِيًّا، ونحو ذلك من الْخِدَم التي يستنكرها[3] القوم الذين يُرْسَلُ إليهم، ويسترذلونها. ويجب أن يُعْصَمَ عن الكبآئِر قَبْلَ النبوة وبعدَها، وعن الكذب صغيرا كان أو كبيرًا، وعن الصغآئِر الْمُسَخِّفة المنفِّرة كالأكل على الطرقات. خلافا

---

(١) في (ب):أعمى وأصم . والظاهر ما في الأصل.

(٢) في هامش (ب): حاشية نصها:ينظر والذي ظهر من قوله عن الإحسان، في سياق الكلام أنه يشترط أن لا يُحسنَ النبيُّ أن يأتي بمثل معجزته من ذات نفسه ؛ لأنه يكون توهينا لشأن المعجزة، وتلبيسًا للمعجـــز بغيره، فلا وجه للنظر على كلام الأمير فهو مستقيم؛ فتأمل ، تمت كاتبها. والخلاصةأن النبي يجـــب أن لا يحسن جنس معجزته.

(٣) في (ب) و (ج):يستكرهها .

للحشوية والكَرَّاميه فإنهم يُجَوِّزُونَ على الأنبيآء الكبآئِرَ قبلَ النبوة وبعدَها. وعندنا أنهم لا يأتون بشيء من الصغآئر إلا على سبيل التأويل دون العمد[1] .

والذي يدل على اعتبار ما تقدم أن الغرض بالبعثة للرسول هو الأَخْـــذُ عنـــه وَالْقَبُولُ؛ لِتَنْزَاح به عِلَّةُ المكلّفين. فكما أنه يجب في الحكمة أن يُمَكِّنَهُ الله من الأدآءِ والتبليغ؛ لئلاَّ يكونَ ذلك مُفَوِّتًا لمصالح المكلّفين–كذلك يجب في الحكمة أن يَعْصِمَه عن كل مُنَفِّرٍ ليكونَ المكلَّفُ أقربَ إلى القبول؛ لأن اللطف ينبغي أن يُفْعَلَ على أبلغ الوجوه.

واعلم أيها المسترشد أن الأنبيآء (ع) بَشَرٌ من الناس كانوا يأكلون الطعـــام، ويمشون في الأسواق، وهم مُرَكَّبُونَ على الخطإ والنسيان إلا فيما أُمِرُوا بتبليغه فإنهم معصومون عن ذلك كما تقدم بيانه. وقد قال الله تعالى في نبينـــا ﷺ:﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىَ ﴾ [الأعلى:٦] فثبت أنه يَعْصِمُهُ عن نسيانِ ما أُمِرَ بتبليغه.

وأما في غير ذلك فجآئِزٌ عليهم النسيانُ. قال الله تعـــالى في آدم ﷺ:﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه:١١٥]. ومعنى قوله:﴿فَنَسِيَ ﴾ أي نسي النظر، وهو فِعْلُه لا فعل الله تعالى. وقيل:النسيان هاهنا بمعنى التَّرْك أي تَرَك النظَر. ومعنى قوله و لم نجد له عزمًا، قيل:عزما على المعصية في المستقبل. وقال تعالى حاكيا عـــن موســـى في اعتذاره إلى العَالِمِ عليهما جميعا السلامُ:﴿لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف:٧٣].

ورُوينَا أن النبي محمدا ﷺ صَلَّى بِجَماعةٍ الظُّهرَ خمسَ ركعات ساهيًا فلمـــا

---

(١) ينظر الفخر الرازي مج٢ ج٣ ص٩.

أَعْلَمُوهُ بذلك استقبلَ القِبلةَ وهو جالس، وسجد سجدتين ليس فيهما قــرآءةٌ ولا ركوعٌ وسَلَّم[1]. ورُوي أنه سهى عن التشهد الأوسط فلم يَعْــدُ لَــهُ، ثم ســجد سجدتي السهو بعد التسليم[2]. وكذلك فإنهم غيرُ معصومين عن الشهوات، بل هم مُرَكَّبُون على شهوةِ القبآئِح والمعاصى؛ لأنهم لو لم يكونوا كذلك لم يكن للواحــد منهم ثوابٌ في لَزْمِ نفسه وقَمْعِها عن القبآئِح، ولَمَا كان محمودًا على تَرْكِ اتِّبَــاع الشهوات؛ ولكنهم أقوى على لَزْمِ أنفسهم عن المحرمات؛ لِمَا شاهدوه من الدلآئِل والمعجزات.

ويجوز أن يصرف الله عنهم بالتوفيق والعصمةِ كثيرا من المحظورات، كما قــال تعالى حاكيا عن يوســف:﴿وَإِلاّ تَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنّ أَصْبُ إِلَيْهِنّ وَأَكُن مّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف:٣٣]. ثم قال تعالى:﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنّ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف:٣٤].

وأما الموضع الرابع:

وهو الكلام في المعجز الدآلّ على نبوة الأنبيآء (ع)

فالكلام فيه يقع في موضعين:**أحدهما** في حقيقة الْمُعْجِز، وبيان صحة الشروط الداخلة في حقيقته. **وثانيهما** في جواز ظهور جنس الْمُعْجِزِ على غير نبي، نحــو أن يكون إكراما لِوَلِيٍّ، أو تكذيبا لِعَدُوٍّ، أو إرهاصا لنبوة نبي.

---

(١) المجموع للإمام زيد ١٢٣، وفي البخاري ١/٤١١ رقم ١١٦٨. ومسلم ١/ ٤٠٢. قبل التسليم.
(٢) البخاري ١/ ٤١١رقم ١١٦٧ . ومسلم ١ / ٣٩٩ رقم ٥٧٠ . قبل التسليم والغــرض الاســتدلال على سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الموضع الأول فالمعجز في اصطلاح المتكلمين هو الفِعْلُ النـــاقضُ للعـــادة الحاصلة من فِعْل الله تعالى، وما يَجْري مَجْرى فِعْلِه الْمُتَعَلِّقِ بدعوى الْمُدَّعِي للنبوة. والذي يدل على صحة هذا الحد أنه يكشف عن معنى المحدود على وجه المطابقـــة، ولا يُفْهَم في اصطلاح المتكلمين سوى ذلك؛ ولهذا يطرد المعنى فيه وينعكس. وكلُّ ذلك من دلآئِل صحة الحد.

وإنما اشترطنا في المعجز أن يكون ناقضا للعادة؛ لأنَّ ما هو معتـــاد لا يكـــون دلالةً على نبوة أحد؛ إِذْ نِسْبَتُه إلى صِدْق المدعِي كنسبتِه إلى كَذِبه لعدم الاختصاص به. **واشترطنا** أن يكون من فعل الله تعالى، نحو قَلْبِ العَصَا حَيَّةً، وإخراجِ النَّاقة مِنْ جَبَلٍ، ونحو ذلك. أو جاريا مَجْرى فعله بأنْ يكون بإقْدَارِه وتمكينِـــه نحـــو إقـــدارِ الْمُدَّعِي للنبوة على الْمَشْيِ على الهوآء أو على المآء ونحو ذلك؛ لأن الله تعالى هـــو الدآلُّ بِالْمُعْجِز على صِدْق رُسُلِهِ فلم يكن بُدٌّ من أن يكون له تَعَلُّقٌ، وليس ذلك إلا بأن يكون على ما قلنا؛ فيكون[1] نسبتُه إليه أولى من نسبته إلى غيره. واشترطنا أن يكون متعلقا بدعوى الْمُدَّعِي.

والمرادُ بذلك أن يكون مطابقا لها، وعقيبها؛ لأنه لو لم يكن كذلك لم يكن بأن يَدُّلَ على نبوته أولى من أن يَدُّلَ على نبوة غيره، ولا بأن يدل على صدقه أولى من أن يدل على كذبه. فما كان على هذه الأوصاف فهو مُعْجز، ومتى اختل شـــيءٌ منها فليس بمعجز.

---

(١) في (ب) و (ج):ويكون .

وأما الموضع الثاني وهو في ظهور جنس المعجز على غير نبي، نحو أن يكـــون إكراما لِوَلِيٍّ أو تكذيبا لعدو، أو إرهاصا لنبوة نبيٍّ فنحن نعتقد جوازَ ذلك. وهـــو قول أهل البيت (ع)، وهو قول سآئِر الزيدية.

والذي يدل على ذلك أنه قد وقع، فلو كان قبيحا لما وقع. **وإنما قلنا**:بأنه قـــد وقع لِمَا رواه العلمآءُ نحو ما رواه صاحب الإكليل[1]:وهو ما أنزله الله تعالى علـــى أعين الناس من التُّراب الذي يُشْبِهُ الطحين مِنْ نواحي زبيد[2] إلى صنعآء إلى الجوف إلى مأرب[3]. وكذلك الظلمة العظيمة الحادثة في زبيد علـــى وجـــهٍ لا يُمَكِّـــنُهُم التصرفَ بالنهار إلا على المصابيح. قال:وهذان أمران ظاهران حادثان في الزمـــان القريب.

ونحو ما نَقَلَتْهُ أربابُ السِّيَر والأخبار أنَّ السحاب كان يُظِلُّ رســـول الله ﷺ قبلَ نبوته[4]. وأن الْمَلآئِكَةَ نزلتْ عليه في حال صِغَرِهِ، وَشَقُّوا صـــدره، وغَـــسَلُوا

---

(١) في (ب) و (ج):صاحب كتاب الإكليل. وهو الحسن بن أحمد الهمداني، ويعرف بابن الحائـــك، ولـــد بصنعاء سنة ٢٨٠هـــ، عالم، أديب ومؤرخ، مشارك في أنواع من العلوم، توفي سنة ٣٣٤هـــ، وقيل:بـــل عاش بعدها، ورجح الشامي أنه توفي سنة ٣٤٠هـــ. وله الإكليل في مفاخر اليمن ، والقصيدة الدامغـــة وشرحها، وكتاب الجوهرتين العتيقتين في الكيميآء وغيرها. ينظر في ترجمتـــه:تـــاريخ الـــيمن الفكـــري ١٨٢/١.

(٢) اسم مدينة بتهامة اليمن تبعد جنوبا يمن بحوالي ١٠٠ كم. بنيت أيام المأمون.

(٣) الجوف ومأرب محافظتان يمنيتان ناحية الشرق من صنعآء على بعد ١٥٠ كم.

(٤) أنظر السيرة النبوية لابن كثير ١ / ٢٢٨:عن ابن عباس قال:خرجت حليمة تطلب النبي صلى الله عليـــه وآله وسلم وقد وجدت البهم تقيل , فوجدته مع أخته، فقالت:في هذا الحر، فقالت أخته:يا أمه ما وجد أخي حرًّا، رأيت غمامة تُظلل عليه إذا وقف وَقَفَتْ، وإذا سار سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

قلبه[1]. وأنَّ الحجارَةَ كانتْ تُسَلِّم عليه. ونحو قصة الفيل وشبهها، مما جعله البصريون معجزًا بزعمهم لنبي في ذلك الزمان اسمه خالد بن سنان[2] لم يترل بذكره كتابٌ ولا وردت به سنة، ولا قامت على نبوته دلالة.

ونحو **كرامات أهل البيت (ع)**[3].

ونحن نورد طَرفًا من كراماهم ليتضح به الأمر.

[كرامات الإمام الحسين عليه السلام]

---

(١) ابن كثير في سيرته ١/ ٢٢٩ .

(٢) **خالد بن سنان العبسي**:حكيم ، واختلف هل هو نبي أم لا، فقد قال بعضهم: إنه لم يكن نبيا ، قال المجلسي:الأخبار الدالة على نبوته أقوى ، كان في أرض بني عبس ، يدعو الناس إلى دين عيسى. قيل:إنه كان بعد المسيح بثلاثمائة سنة، قال ابن الأثير: معجزته أن نارا ظهرت بأرض العرب فافتتنوا فيها وكادوا يدينون بالمجوسية ، فأخذ خالد عصا، فضرها وهو يقول:بَدًّا بَدًّا ، كل هَدْيٍ مؤدًّى، لأدخلنها وهي تلظى، ولأخرجن منها وثيابي تندى، وطفئت وهو في وسطها . وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عندما وفدت إليه ابنته فبسط رداءه وأجلسها عليه، قال:((ابنة نبي ضيعه أهله)) [كتر العمال ١٢/١٤٨ رقم٣٤٤٢٩]، وفي حديث:قال لها ((مرحبًا يا ابنة أخي))، وقال في شرح نهج البلاغة: إن خالدًا لم يكن يقرأ كتابًا ولا يدعي شريعة وإنما كانت نبوته مشاهة لنبوة جماعة من أنبياء بني إسرائيل الذين لم تكن لهم كتب إنما ينهون على الشرك ويأمرون بالتوحيد، وقد أنكر الصادق عليه السلام أن يكون نبيًّا كما ذكر ذلك صاحب الاحتجاج ٢/٣٤٦ قال عليه السلام في أسئلة الزنديق، منها:أخبرني عن المجوس هل بعث إليهم خالد بن سنان؟ قال عليه السلام:إن خالدًا كان عربيًّا بدويًّا، وما كان نبيًّا، وإنما ذلك شيء يقوله الناس. وهو كما يظهر رأي الأمير. **ينظر** الأعلام ٢ / ٢٩٦ . وميزان الحكمة ٤/٣١٨٢ . والنور المبين للجزائري ص٦٠١. والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٩٦.

(٣) الكرامات عند الزيدية مقبولة. وأما المعتزلة فأنكروها .الشافي ٤/ ٤ . وقال إمام الحرمين في كتاب الإرشاد ٢٦٦، فالذي صار إليه أهل الحق جواز انخراف العادات في حق الأولياء . والفخر الرازي في تفسيره مج٤/ ج٨ ص٣٣ في سياق الأية ٣٧ من سورة مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾، قال:هذا دليل جواز الكرامات .

فمن ذلك أن الحسين السبط بن علي الوصي أمير المـــومنين (ع) لَمَّـــا قُتِـــلَ بكربلآء بَكَتْ عليه الأرضُ والسمآءُ، وَقَطَرَتْ-كما رُوِينَاه بالنقـــل الـــصحيح - دَمًا[(١)].

[كرامات الإمام زيد بن علي (ع)]

ومن ذلك كرامات زيد بن علي السجَّاد بن الحسين الشهيد (ع). **ونحن** نذكر من كراماته وهو مصلوبٌ على الخشبة طرفا دون ما عداها من كراماته. **فمنها**:ما رواه سعيد بن خثيم[(٢)]، قال:حدثني شبيب بن غرقدة[(٣)] قال:دخلنا الكُنَّاس[(٤)] لـــيلاً فلما أن كنا بالقرب من خشبة زيد بن علي (ع)-وهو مصلوب عليها-أضآء لنـــا الليل فلم نَزَلْ نسير قريبا من خشبته فنفحـــت رآئِحـــةُ المـــسك، قـــال:فقلـــت لصاحبي:هكذا تُوجد رآئِحةُ المصلبين؟ قال:فهتف بي هاتف:هكذا توجد رآئحـــة أولاد النبيين الذين يَقْضُون بالحق وبه يعدلون[(٥)]. **ومنها**:عنه أيضا[(٦)]، قال:حـــدثني

---

(١) ذكره الشهيد المحلي في الحدآئق الوردية ١/ ١٢٤-١٢٨. وأبو نعيم في دلائل النبوة ص٥٨٢ . والمحب الطبري في ذخائر العقبى ص١٤٥ عن نضرة الأزدية . وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢ / ٣٥٤ . والهيثمـــي في مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦ . والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية:﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ في سورة مريم ٤/٤٧٥. وأيضا في تفسير ســـورة الـــدخان في الآيـــة:﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ ﴾ ج٥/ ص٧٤٩.

(٢) ابن رُشد الهلالي كوفي، قال فيه يحي بن معين:شيعي ثقة، وقدري ثقة. تهذيب الكمال ٤١٣/١٠.

(٣) السلمي، ويقال البارقي الكوفي، تابعي وثقه أحمد ويحي بن معين والنسائي وذكـــره ابـــن حبـــان في الثقات، روى له الجماعة. تهذيب الكمال ٣٧٠/١٢، وتهذيب التهذيب ٢٨١/٤.

(٤) الكناس: موضع بالكوفة صُلب فيه الإمام زيد عليه السلام.

(٥) الحدائق الوردية ١٤٩/١ .

(٦) بحذف أيضا في (ب) .

غيرُ واحدٍ لا أحصي مَنْ سمعتُ منه هذا الحديث أنَّ زيدًا (ع) كان يُوَجَّهُ بوجهه ناحية الفراتِ، فيصبح وقد دارت خَشَبَتُهُ ناحيةَ القبلة مرارًا[1]. وصلبوه عريانا فَعَلَتِ العنكبوتُ حتى نسجتْ على عورته[2]. **ومنها**:ما رويناه عن يوسف بن زفر وكان قد أدرك زيد بن علي (ع)، قال:صُلِبَ زيد بن علي عُرْيَانًا؛ فلم يُمْسِ حتى سقطت سُرَّتُه على عورته فَسَتَرَتْهُ[3]. **ومنها**:ما رُويناه عن سَماعة بن موسى قال:رأيتُ زيد بن علي (ع) مصلوبًا بالكُنَاسة، فما رأى أحدٌ له عورةً، استرسل جِلْدُ مِنْ بَطْنِهِ مِنْ قُدَّامِهِ وَخَلْفِهِ، حَتَّى سَتَر عَورته.

ومنها ما رُويناه عن[4] فاطمة امراة من بني سلامة لَمَّا مَرَّتْ بِزَيْدٍ وهو مصلوبٌ بغير لِحَافٍ حَلَّتْ خِمَارها عن رأسها ثُمَّ رمتْ به على عورتِهِ؛ فاستدار الْخِمَارُ حتى انعقد في وَسَطِه، وهم ينظرون فصعدوا فحلوه؛ فاسترخَتْ سُرَّتُه حتى غَطَّتْ عورتَه؛ فَمَضَوْا يعني الحرسَ إلى يوسف بن عُمَرَ[5] وَالِي هشام بن عبدالملك–لعنهم

---

(١) ابن عساكر ١٩/٤٧٩.

(٢) الحدائق الوردية ١ / ١٤٨ . وعمدة الطالب ٢٨٩ . وتاريخ ابن عساكر ١٩/٤٧٩. وحياة الحيوان للدميري ٢/٢٦٦. مادة العنكبوت عنه.

(٣) مقاتل الطالبين ص١٤٤.

(٤) في (ب) و (ج):ما روينا أن.

(٥) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب، الثقفي أمير من جبابرة الولاة في العهد الأموي. كانت منازل أهله في البلقآء بشرقي الأردن، وولي اليمن لهشام بن عبدالملك سنة١٠٦هـ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة١٢١هـ، وأضاف إليه إمرة خراسان؛ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن، ودخل العراق ، وعاصمته يومئذ الكوفة فقام بها ثم قتل سلفه في الإمارة خالد بن عبدالله القسري تحت العذاب. واستمر إلى أيام يزيد ابن الوليد فعزله يزيد في أواخر سنة١٢٦هـ، وقبض عليه وحبسه في دمشق إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بثأر أبيه سنة١٢٧هـ. وكان يسلك سبيل الحجاج في الأخذ بالشدة والعنف، وكان يضرب به المثل في التيه والحمق، يقال:أتيه من أحمق ثقيف، قال

الله–فأخبروه فقال:امضو فأحرقوه؛ فإذا صار رمادا فاذروه في الفرات[1] إلى غير ذلك من كراماته. وقد ذكرنا طرفا منها في كتاب الإرشاد.

[كرامات الإمام القاسم الرسي عليه السلام]

ونحو كرامات الإمام العالم ترجمان الدين أبي محمد القاسم بن إبراهيم (ع) فإنه دَعَا إلى الله في مَخْمَصَةٍ فقال:اللهم إني أسألك بالاسم الذي دعاك به صاحب سليمان بن داوود فجآءه العرش قَبْلَ ارتداد الطَّرْف؛ فَتَهَدَّلَ البيتُ رُطَبًا على القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

وروينا أنه عليه السلام دعا الله تعالى في ليلة مظلمة، فقال:اللهم إني أسألك بالاسم الذي إذا دُعِيتَ به أجبتَ فامتلأً البيتُ نورًا إلى غير ذلك من كراماته[2] [عليه السلام].

[كرامات الإمام الهادي عليه السلام]

الذهبي:كان مهيبا جبارا ظلوما. ينظر الأعلام ٨/٢٤٣، وسير أعلام النبلاء ٥/٤٤٢.

(١) أنظر الطبري ٧ / ١٨٩ . ومقاتل الطالبيين ص ١٤٤ . وما رواه ابن عساكر ١٩/٤٧١ قال:بعث هشام إليه فقتلوه فقال الموكل بخشبته:رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم وقد وقف على الخشبة، وقال:هكذا تصنعون بولدي من بعدي، يا بني، يا زيد، قتلوك قتلهم الله، صلبوك صلبهم الله، فخرج هذا في الناس، وكتب يوسف بن عمر إلى هشام أن عجل إلى العراق فقد فتنهم، فكتب إليه:أحرقه بالنار، فأحرقه. وفي المقاتل ص١٤٣:فلما ظهر يحي بن زيد كتب الوليد إلى يوسف:أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفا.

(٢) أنظر الحدائق الوردية ٢ / ٤ . ومقاتل الطالبيين للأصفهاني ٥٥٦ . قال أبو الفرج:وأخبرنا أحمد بن سعيد عن محمد بن منصور، قال:سمعت القاسم بن إبراهيم يقول:أعرف رجلا دعا في ليلة وهو في بيت، فقال:اللهم إني أسألك بالاسم الذي دعاك به صاحب سليمان فجاءه السرير؛ فتهدل البيت عليه رطبًا قال:وسمعت القاسم بن إبراهيم يقول:أعرف رجلاً دعا الله تعالى:اللهم إني أسألك بالاسم الذي من دعاك به أجبته–وهو في ظلمة–فامتلأ البيت نورا، قال محمد:عنى به نفسه.

ونحو كرامات الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن القاسم بن إبـــراهيم (ع)[1] . ويكفي في ذلك طيب رآئحتة عند الموت. وكان يقول لولده الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي (ع):يا بُنَيَّ هذا يومٌ ألقى الله فيه، ولقد رجوتُ أن يـــبلغنيَ الله الأمل في جهاد الظالمين، ومنابذة الفاسقين، والله غالب على أمره. قال المرتـــضى لدين الله وهو عليه السلام مع ذلك جالس لم تتغير جلسته غَيْرَ أنَّ الصُّفْرَةَ تعتليه قليلاً قليلاً، وهو يذكر الله ويمجده ثم أدنى برأسه، وخفي صوتُه، قال المرتضى لدين الله:فأضجعتُه فإذا هو قد فارق الدنيا[2] .

[كرامات الإمام الناصر للحق عليه السلام]

ونحو كرامات الإمام الناصر للحق عليه السلام[3]؛ فإنَّ رجلا كان في بَلد[4] الـــدَّيْلَم

---

(١) الإمام الهادي أعظم مصلح عرفه التاريخ اليمني ؛ فقد بذل نفسه ودمه وماله في ســـبيل الـــدعآء إلى الله ورسوله ، وتطبيق الشريعة المطهرة ؛ ليعم الخير والصلاح ، حتى قضى نحبه شهيدا بالسم وتوفي سنة ((٢٩٨ هـــ)) .

(٢) درر الأحاديث النبوية ص٢٠٢.

(٣) من أئمة الزيدية في الجيل والديلم ولد سنة٢٢٥هـــ أثنى عنه الكثير سواء وافقوه في اعتقاده الزيـــدي أم لا. فها هو الطبري في تاريخه يقول:ولم ير الناس مثل عدل الناصر الأطروش وحسن سيرته، وإقامته الحق. أسلم على يده مليون نسمة من أهل الجيل والديلم ت٣٠٤هـــ. وقبره مشهور مزور. ولـــه البـــساط – طبع– والمغني. والباهر، جمعه أبو القاسم إسماعيل البستي. وكتاب التفسير الذي يشتمل على ألـــف بيـــت من ألف قصيدة، وغيرها. قيل:إن مؤلفاته تزيد على ثلاثمائة. **ينظر** التحـــف شـــرح الزلـــف ص١٨٤. والشافي ٣٠٨/١. تراجم رجال شرح الأزهار للجنداري ص١١. ومعجم المـــؤلفين ٥٦٧/١. والفلـــك الدوار ص٣٨. والطبري ١٤٩/١٠ في حوادث سنة٣٠٢هـــ. والحدائق الوردية ٢٨/٢. وأخبـــار أئمـــة الزيدية ص٨٥

(٤) في (ب) و (ج):بلاد .

مُتَلَصِّصًا يقطع الطريق بين الغياض، ويقتل الناس، ومعه كَلْبٌ له قد ضَرَّاه يأكل الناس؛ فكان يَعْمَدُ مِنَ الرجل إلى مذاكيره فيقطعُها فَمَرَّ به الناصرُ عليه السلام فأغرى الرجلُ به الكلبَ فلم يُطِعْه بل بَصْبَص[1] بالناصر، فلما قرب من الناصر أغراه الناصر بمالكه. وقال له: يا كلبُ كُلْهُ؛ فافترس الكلبُ حينئذٍ مولاه وقتله، وبقي بعد ذلك مع الناصر للحق عليه السلام[2]. **ونحو** النور الذي رُئي يُضيءُ من دار الناصر قبلَ موته وهو يصعد إلى السمآء، فما زال كذلك حتى فارق الدنيا، فلما مات انقطع ذلك الضوءُ. **ونحو** أمْرِه للضفدع بأكْلِ الْحَنَشِ فأكَلَتْه[3]. **ونحو** قصة الكلب؛ وهو أنَّ رجلا صنع له طعاما وجعل فيه سُمًّا، ثم أدخلُه عليه وكان مع الناصر عليه السلام الكلب الذي تقدم ذكره الذي أغرى به صاحبَه أوَّلا فأكله، فَلمَّا أُدْخل الناصر على الطعام نبح الكلب نُباحا مستنكرا، وأتاهم إلى موضع الطعام فتركه فأكل منه قبل الناصر عليه السلام؛ فأكل منه ومَات إلى غير ذلك من كراماته[4]؛ فإنها كثيرة.

[كرامات الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان] [5]

---

(١) في الأصل ، نَضْنَضَ. في القاموس ص ٧٩١ بصبص الكلب: حرك ذنبه ، وهو الصحيح.
(٢) أنظر الحدائق الوردية ٢ / ٣٤ . وأخبار الأئمة الزيدية في الديلم٢٢٣.
(٣) ينظر أخبار الأئمة الزيدية٢٢٤ . والحدائق الوردية ج٢ص٣٤.
(٤) انظر أخبار الأئمة الزيدية في الديلم٢٢٣.
(٥) الإمام المتوكل على الله: هو أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ولد سنة ٥٠٠هـ، من أكابر أئمة أهل البيت عليهم السلام، كان من العباد الزهاد المجاهدين، بويع له سنة ٥٣٢هـ ، واستفاض على جميع اليمن، وخطب له بينبع والنخيل، وانقادت لأحكامه الجيل والديلم، وتوفي عليه ٥٦٦هـ، وقبره بحيدان مشهور مزور، وله مؤلفات منها: أصول الأحكام، وحقائق المعرفة، ورسالة عامة، وكتاب المطاعن، وكتاب الهاشمة لأنف الضلال، وشرحها العمدة، والمدخل في أصول الفقه. ينظر التحف ٢٣١، وطبقات الزيدية ١/١٣٤.

ونحو كرامات الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان من ولد الهـــادي (ع) فإنه رُوي أن رجلا من المطرفية الأنجاس كان واقفا مع جماعةٍ من الزيدية بمـــسجدِ حُوثٍ[1]؛ فتذاكروا الإمام المتوكل على الله فسبَّه المطرفي ولعنه فنهاه أهل المـــسجد فنزل ثُعبانٌ من سقف المسجد فالْتوى بحَلْق المطرَّفي، وهو يَخنُقه خَنْقا عظيمًا حـــتى كاد أن يُهلِكه ثم أفلته؛ فتاب المطرفي بعد ذلك وأناب. **ومن كراماته** ما رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام وهو أمور:**منها** أنه أتاه شيخٌ كبير فشكى عليه الصمم فنفث في أذنيه ودعا له فبرئ من الصمم بلطف الله تعالى.

ومنها أنه مسح على رجل أعمى فارتدَّ بصيرًا يرى ويُبصر بلطف الله تعـــالى. **ومنها** أنه في بعض مخارجه لَحِقَ أصحابَه وعسكرَه العطشُ الكثيرُ حتى أَشْفَوْا[2] على الهلاك، وهم في موضع لا مآء فيه؛ فقام عليه السلام فعَلَـــمَ لهـــم فيـــه ثلاثـــةَ أمكنـــة، وقال:احفروا؛ فحفروا موضعين، فلحقوا المآءَ على قامة وبسطة؛ فـــشرب النـــاس كلهم، وسَقَوْا بهآئِمَهُم، وملأُوا مزادهم[3] وجميعَ أسقيتهم، وطهـــروا واســـتقوا وأمسوا إلى الصبح. ثم طهروا وصلوا صلاة الفجر وارتحلوا، فلما فَصَلُوا من المـــآء وصاروا في بعض الطريق، رجع منهم قوم لشيءٍ نَسُوهُ من أدواتِهم فـــأَتَوْا ولـــيس للمآءِ أَثَرٌ، ولا بقيَ منه شيءٌ. فلحقوا بالناس وأعلموهم. وكانوا من أهل الـــصدق

---

(١) حوث: مدينة شمال صنعآء بحوالي ١٥٠ كم.
(٢) في (ج):أشرفوا .
(٣) في (ب):مزاودهم .

والثقة والدين، فَعَجِبَ الناس من ذلك وزادهم ذلك يقينًا. وقال بعض شعرآئهم[1] في المتوكل على الله عليه السلام من جملة أبيات[2]:

ظَهَرَتْ فيــك معجــزاتٌ كبــارٌ		لم نَخَلْهـــا تكـــونُ في إنـــسان
لم نُخَبِّرْ عنــها سَــمَاعًا وَلكنْـــ		ـــنَا رأينـــا يقينَهـــا بالعِيَـــانِ
تُبْرِئُ الأَكْمَهَ البصير[3] وتــشفي		بـــشِفَى الله أعـــينَ العُميـــانِ
وتَسُوق الحيا[4] إلى حيث ماكنـــ		ـــتَ وتُجري الأنهار في الغيطـــا[5]

ومنها أن رجلا من مذحج يقال له:دهمش، وكان غلاما رَيِّسا شجاعا شـــابًّا جاهدَ بين يديه في بلاد يَامٍ[6] فاستشهد صابرًا محتسبًا، وتاب عند القتال، وكـــان قبل ذلك مسترسلا في المعاصي كما يسترسل الشبان، فبقي أهله يَتأسَّفون عليه من النار، فَرُضِخَتْ صبيَّة صغيرة بنت ثلاث سنين، فبينا هي تجود بنفسها إذْ قالـــت:لا تَقْبِرُوني مع الكبار أهل النار، واقبروني مع الصغار أهل الجنة، وإنَّ دَهْمَشًا مِنْ أهل

---

(١) هو القاضي محمد بن عبدالله الحميري وكان من أولياء المتوكل ، وله فيه مدائح ذكر بعضها صـــاحب الحدائق ج٢ص١٣٠..

(٢) مطلعها:

يا ابن بنت الـــنبي كُـــلَّ لـــسانٍ		مادحٍ ما يكونُ مـــدح لـــساني؟!
غـــير أن الـــولي لله لا تنـــــ		ـــكـــر فيـــه خـــصائص الرحمـــان

أنظر الشافي ١/٣٤٥. وهامش (ب) .

(٣) في الشافي ١/٣٤٥:العليل. وهو الأصح.

(٤) الحيا:المطر .

(٥) الغيط–بغين معجمة ومثناة تحتية وطاء مهملة هو:البستان.

(٦) مخلاف شرق صنعاء.

الجنة، وعليه صيامُ شهر رمضان، وهي لا تعرف دهمشا ولا تعرف ما عليه.

ونحو ذلك من كراماته عليه السلام كقصة تراب التيمم[1]. **وقصة** السيل يوم صعدة. **وقصة** ورقة الذرة المكتوب فيها خلقة من الله تعالى:((لا إله إلا الله محمد رسول الله أحمد بن سليمان المتوكل على الله حجة الله))[2]؛ فما تقدم رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام[3] إلا قصة ورقة الذرة فأنا أرويها عن بعض العلمآء.

[كرامات الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام][4]

ونحو كرامات الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ع)[5]؛ فإنا رُوينا أنه كتب كتابَ[6] بَرَكَةٍ الصبي قد ابيضت عَيْنُهُ[7] فما كان إلا أنْ تَعَلَّقَ الكتابُ وأبْصَرَ في الحال وعُوفي.

---

(١) حيث يسر الله له ترابا جافا رغم أن الأرض مبلولة بالمطر. ينظر الشافي ١/٣٤٤.

(٢) أنظر الحدائق الوردية ٢ / ١٢٥.

(٣) أنظر الشافي ١ / ٣٤٢-٣٤٦.

(٤) هو إمام الجهاد والاجتهاد ، ولد سنة ٥٦١هـ، ودعى إلى الله سنة ٥٩٤هـ، ومكث يجاهد بلسانه وسنانه فرق البغي حتى توفي بكوكبان، ثم نقل إلى بكر ، ثم إلى ظفار، وقبره مشهور مزور، وله مؤلفات شهيرة. ينظر في ترجمته التحف ٢٤١، واللطائف السنية ٧٥، والسيرة المنصورية لأبي فراس دعثم، تحقيق الدكتور عبدالغني محمود عبدالعاطي.

(٥) لو اقتصرنا في كراماته على ما شيده في ظفار وكيف استطاع عمار تلك الصخور الضخمة في ذلك العلو الشاهق الذي لا تصل إليه إلا الطيور، أن يبنوها أو حتى يرسبوها فقد زرت ظفارا و لم أستطع الوقوف على الجدران لأن تحتها هواء سحيق. وقد كان الإمام يقلب الحجار بنفسه-لكان أعظم كرامته وأجمل فضيلة تدل على همة فوق السحاب . المحقق.

(٦) في (ب):كتابا . بركة/

(٧) في (ب):عيناه .

ومن كراماته:النورُ الذي وقع على مدينة شبام(١) وقد أقبل الإمام(٢) المنـــصور بالله متوجها إلى بلدهم في أوَّل الليل في آخر شهر، حتى ظنه بعضُهم ضوءَ القمـــر، فلما أظهر ظَنَّه وقال هو ضوءُ القمر عُرِّفَ بغلطه. **وقيل**:إنك في أخر الشهر. **وهي** قصة ظاهرة، وكرامة شاهرة(٣). **ومنها** ما رُوي من الراية الخضرآء الرابعة لراياتـــه الثلاث. **ومنها** فَتْحُه بابَ غمدان بصنعآء بِشَصَّةٍ من نشابة من غير تعب(٤) وكان لا ينفتح بمفتاحه إلا بعد علاج شديد.

ومنها الطيور البيض التي رآها الشيخ أحمد بن الحسن الرِّصَّاص(٥) رحمـــه الله، وهي قدر ثمانيةٍ مُظِلَّةٌ على رأس المنصور بالله عند دخوله مدينة صـــنعآء. إلى غـــير ذلك من كراماته(٦) فإنها كثير.(٧)

[كرامات الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد]

ونحو كرامات الأمير شمس الدين الداعي إلى الحق شيخ العترة يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله المعتضد بالله بن الإمام المنتصر لـــدين

---

(١) شبام كوكبان:شمال غرب صنعآء ب ٥٦ كم. وهناك أربع مناطق يمنية يطلق عليها شبام.

(٢) الإمام محذوفة في (ب) .

(٣) التحف شرح الزلف ص١٦٦.

(٤) ((من غير تعب)) محذوف في (ب).

(٥) هو العلامة أحمد بن الحسن الرصاص من كبار علمآء الزيدية، كان فقيها أصوليا متكلما، تـــوفي ســـنة ٦٢١هــ، وله مؤلفات في الأصولين، منها:مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم. أعيد طبعــه بتحقيقنـــا . والواسطة في أصول الدين. والشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب ، والخلاصة النافعة . أنظر مطلع البدور (خ)، وطبقات الزيدية ١/١٠٩.

(٦) ينظر الحدائق الوردية ٢ / ١٥٢-١٥٤.

(٧) في (ب) ، (ج): كثيرة.

الله أبي القاسم محمد بن الإمام المختار لدين الله أبي محمد القاسم بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق (ع) فإنه عليه السلام مضى في طريقٍ في بلاد خَوْلاَن[1]. وفيها شجرةٌ عظيمة فأصابتْه فدعا عليها فاقتلعها الله تعالى من أصلها في الحال[2].

[كرامات الأمير بدر الدين محمد بن أحمد]

ونحو كرامات أخيه الأميرِ بدرِالدين شيخ العترة الطاهرين، الداعي إلى الحق المبين وَالِدِي [**أي والد المؤلف**] محمد بن أحمد قدس الله روحه، فإنه عند ولادته- وكانتْ في الليل- ارتفعت سُبْلَةُ المصباح وطالت حتى بلغت سقفَ البيت. **ومن كراماته** رضي الله عنه أنَّ شاةً آذَتْهُ بنجس كان فيها فدعا عليها فأماتها الله في الحال ولم يمهلها[3].

ومنها ما أخبرني به الأميرِ تاج الدين أحمد بن بدرالدين أَدام الله سَعَادَتَهُ[4].

---

(١) خولان: قبيلة تقع شمال غرب صعدة ، وهي خولان ابن عامر ، وتوجد قبيلة خولان المشهورة شرق صنعاء وتسمى خولان الطيال.

(٢) لا يناسب الدعآء على شجرة تضفي على المكان بهاءً وجمالاً إلا إذا كانت مزعجة ذات شوك، وفي الطريق. وفي تقديري أن أئمة الهدى ليسوا بحاجة لمثل هذا؛ فسيرقم العاطرة لا تحتاج لشيء آخر؛ لأن قناعة الناس بهم تعود إلى التزامهم بسيرة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) في (ب) تعليقة للسيد مجدالدين حفظه الله صاحب التحف واللوامع قال فيها:الأولى أن تحذف هذه الكرامة في الطبع وإن كان ذلك جآئزًا، ولعل هذه الشاة كانت تأكل النجاسة، فرأى أن الأولى إزالتها ، ولم ير ذبحها لأنها جلالة، ولبعد بعض الأفهام عن المعرفة. تمت

(٤) أخو المؤلف كان معروفًا بالعلم والدين والصلاح جامعًا لخصال الفضل، وله تصنيف في أصول الدين، ولاه الإمام المنصور على صعدة ونجران بعد استشهاد الأمير مجدالدين. ت٦٤٤هـ وعمره ٦٣ سنة إلا

قال:حكى لي الثقة العدل المرضي:أنه كان مع الأميرِ بَدْرِالدين شيخِ آلِ رسول الله صلواتُ الله عليهم في مخرجه إلى نجران، فَبَيْنَاهُ[1] يطهّر وكان بطيءَ الطَّهور[2] جدًّا إذْ بالمطَرِ قد أقبل فأصابنا فَغَرِقْنا جميعا إلاَّ الأميرَ بدرَ الدين فإنَّ الله تعالى جعل على مكانه حيثُ يَطَّهَّر هالةَ صَحْوٍ كهالةِ القمر فما أصابُه شيءٌ أصْلاً مع إبطآئِــه[3] في الطهور، والمطُر مستمر حواليه لا عليه وهو في العَرَا والصَّحَا إلى أن فرغ من طهوره سالِمًا. **قال** الأمير الفاضل تاج الدين طول الله مدته:فعجبتُ من هذه الحكاية عجبًا عظيمًا، ثم وقعتُ مع الأمير بدرالدين رحمةُ الله عليه في مِثْلِ هذه الكرامة، وذلك أني سلكت معه في طريق القِد[4] حتى انتهينا إلى جبل يسمى عُرْبُوصَان، وأصَابَتْنَا مطارة عظيمة غزيرة. فالتجأتُ أنا ورجل معي إلى أصل شجرة بقرب الطريق، فلم تُكَنَّنَّـــا من المطر، بل غرقنا غرقًا عظيمًا إلى أن وقف معنا بجنبها الأمير الكبير بدر الـــدين رضوان الله عليه. قال الأمير تاج الدين خلد الله عُلَوَّهُ فأنا أشهد أن المطر حوالينـــا قابَ الرمح أو أكثر كأفواه القِرَب، وما زاد أصابنا بعد وقوفه معنا حـــتى القطـــرة الواحدة ببركته رضوان الله عليه.

ومن كرامات الأميرين الكبيرين شيخي آلِ رسول الله شمس الـــدين وبـــدره، ورأس الأسلام وصدره:يحي ومحمد رضوان الله عليهما- ما أخبرني بـــه الـــشريف

ثلاثة شهور، وقبره بمشهد الإمام الهادي بصعدة. ينظر تراجم رجال الأزهار ص٣٢ . والتحف ص٢٦١.

(١) كأن كتابة الكلمة ((فبينا هو)).

(٢) قال في المغرب ٢٨/٢:الطهور بالفتح مصدر بمعني التطهر.

(٣) في (ب):بطائه، ولعل الهمزة سقطت.

(٤) قرية في جبل رازح.

الطاهر الفاضل العالم جمال الدين كعبة الشَّرعيين علي بن الحسين أدام الله أيامه[1]، قال:خرجت ذات ليلة إلى قبريهما لزيارتهما، وهي في ليلة مـــن ليـــالي رمـــضان، قال:وإذا برآئِحة العود القاقلي قريبا من قبريهما. قال:فداخلني الرعب وَوَلَّيـــت. ثم قلت:لا بد من المعاودة لأَتَحَقَّقَ مِنْ أين هذه الرآئِحة؟ قال:فعـــدتُ فـــإذا بِهَـــا في قبريهما دون سآئر القبور، وزال ما كان بي من الرُّعب. **إلى غير ذلك من كرامات أهل البيت** (ع).

وجَوَّزْنَا نقضَ العادة إذا كا ن تكذيبا لعدوٍّ؛ لِمَا روي أن مسيلمة الكذاب لَمَّا حُكي له:أن النبي ﷺ تَفَل في بئر، فيها مآءٌ قليل فزاد مآؤها، **ودعا** لأعورَ فرد الله بصره. فتفل مسيلمةُ في بئر فيها مآء فغار مآؤُها. **ودعا** لأعـــور فـــذهبت عينـــهُ الصحيحة. وما أشبهَ ذلك. **فثبت** قولنا:إنَّ ذلك قد وقع. وإنما قلنا:بأنه لـــو كـــان قبيحا لَمَا وقع؛ فالذي يدل على ذلك ماقدمنا من أنه تعالى لا يفعل القبيح.

وأما الموضع الخامس

وهو في الكلام في نبوة نبينا محمد ﷺ

فالذي يدل على إثبات نبوته وجهان:**أحدهما** أنه ظهر على يديه المعجِزُ عقيبَ

---

(١) اتفقت الزيدية على فضله واعتمدت كتبه وكان متواضعًا، أخذ عنه الأمير الحسين مؤلف الينابيع. ولـــه مؤلفات منها اللمع في الفقه وهو من أَجَلِّ كتب الزيدية في الفقه وهي مأخوذة من التحرير لأبي طالـــب، والتجريد للمؤيد بالله، والكواكب. وله القمر المنير على التحرير، والدرر في الفرائض، وقـــد أذن للإمـــام أحمد بن الحسين في إصلاحه، وهداية البرايا والوصايا. توفي سنة ٦٢٧هــ، ودفن في قطابر ناحية صـــعدة إلى جنب ابني عمه شمس الدين وبدر الدين. **ينظر** مطلع البدور (خ). تراجم رجـــال شـــرح الأزهـــار ٢٤/١، وطبقات الزيدية ٧٢٥/٢.

دعواه للنبوة. وكلُّ مَن ظهر على يديه المعجز عقيب دعواه للنبوة فهو نبي صادق.
وتحقيق هذه الدلالة أنها مبنية على أصلين:**أحدهما** أنه ظهر على يديه المعجز عقيب دعواه للنبوة. **والثاني**:أن مَنْ ظهر على يديه المعجز عقيب ادَّعَآئه للنبوة فهو نبي صادق.

أما الأصل الأول وهو أنه قد ظهر على يديه المعجز عقيب ادعائه للنبوة؛ فذلك ظاهر؛ فإنَّه ادَّعى النبوة، ثم جآءَ بالقرآن، وَجَعَلَهُ معجزةً له. ولا شبهةَ في كونه أعظمَ المعجزات. وأعظمُ إعجازهِ بُلوغه في الفصاحةِ مَبْلَغًا عظيمًا. قَصُرتِ الفصحآءُ قاطبةً عن الإتيان بما يُقَاربهُ ويدانيه في ذلك، مع اشتماله على الحقيقة والمجاز، وَالْمُحْكَمِ والمتشابه، وكونه مصونا عن الزيادة والنقصان، وعن الاختلاف والتناقض، ومشتملا من العلوم على ما لا يُحيط به الذِّكر، ومنطويا على قِصَصِ المتقدمين، مُخْتَصَرَةً في بعضه ومستوفاةً في البعض الآخَرَ بحيث لا ينقض كاملُها ناقصَها، ويفيد أحدُهما[1] من الفوآئدِ ما لم يُفِدْه البعضُ الآخَرُ. ومنطويًا على علم الأوَّلين والاخِرين.

وكونه معجزةً باقيةً في هذه الأمة إلي يوم الدِّين، ثم تَحَدَّى أَهْلَ الفصاحة وَقَرَّعَهم بالعجز وادَّعى تمييزه[2] على العرب والعجم لمكانه، وبيَّن أنهم لو تَظَاهَرُوا وتعاونوا على الإتيان بمقدار سورة من مثله في فصاحته ونَظْمِه لَمَا قدروا على ذلك؛ فلما عَجِزُوا عن ذلك عَدَلُوا إلى المحاربة الشَّاقَّة التي فيها إتلافُ الأنفس والأولاد،

(١) في (ب):أحدها .
(٢) في هامش الأصل:تميزه . ظ

وذهاب الطارف من مالهم والتِّلاد[1]. وظهر على يديه ﷺ معجزاتٌ كثيرة؛ فإنه ﷺ أتى بألْفِ معجزة.

وقد رواها العلمآءُ وعدَّدُوها، وهي مشهورةٌ عندهم[2]. **فمنها** مارووه بطريق التواتر، **ومنها** ما رووه بطريق الآحاد. وكلُّهَا محفوظ بحمد الله تعالى:**فمن معجزاته** كلامُ الشاةِ المسمومة له[3] بعد طبخها[4]. **ونحو** مسير الشجرةِ إليه وكلامِها له[5]. **ونحو** كلام الحمار اليعفور[6]، وكلام الجمل[7]، والضب[8]، والظبية[9]، وتسبيح

---

(١) الطارف:المال الحديث المكتسب. والتَّالد، والتِّلاد:المال القديم الأصلي الذي ولد عندك. المختار ٧٨.

(٢) ذكر القاضي عياض في الشفآء ٤٩٣/١:أنه ﷺ أكثر الرسل معجزة، وأبهرهم آيةً، وأظهرهم برهانًا، وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط؛ فإن واحدا منها وهو القرآن لا يُحصَى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر؛ لأن النبي ﷺ قد تحدى بسورة منه فعجز عنها أهل العلم.... ثم قسم معجزاته إلى قسمين:١- متواترة قطعية كالقرآن. ٢- ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع. وهذا القسم الثاني على نوعين:نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين ونوع ممن اختص به الواحد والإثنان.

(٣) في (ب) ، (ج) بحذف له.

(٤) إثبات نبوة النبي ص١٤٤. والقاضي عياض في الشفاء ٦٠٧/١.

(٥) إثبات نبوة النبي ص١٤٧ ، وقال:إنه تكرر في مواضع:منها مكة، والمدينة حتى أقبلت إليه تشق الأرض شقًّا، ومرتين في الصحراء حين أراد قضاء الحاجة اجتمعت له شجرتان فاستتر بهما وقضى الحاجة ثم افترقا. ودلائل النبوة لأبي نعيم ٢ / ٣٨٩. والشفاء للقاضي عياض ٥٧٣/١ بعدة روايات.

(٦) أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة ٢ / ٣٨٧: عن معاذ بن جبل قال:أَتَى النبيَّ ﷺ وهو بخيبر حمارٌ أسودُ، فوقف بين يديه ، فقال له: من أنت؟ ، فقال:أنا عمرو ابن فلان، كنا سبعة أخوة، كلنا رَكِبَنَا الأنبياءُ، وأنا أصغرهم ،كنتُ لك، فملكني رجل من اليهود، فكنت إذا ذكرتُك كبأتُ به فيوجعني ضربًا، فقال النبي له: ((فأنت يعفور)). وينظر الشفاء للقاضي عياض ٦٠٤/١ .

(٧) دلائل النبوة ٢ / ٣٨٢-٣٨٤ . والشفاء للقاضي ٦٠١/١

(٨) دلائل النبوة لأبي نعيم٢ / ٢٧٧ . والشفاء للقاضي ٥٩٤/١.

(٩) رواها أبو نعيم في دلائل النبوة ٣٧٥/٢. في (ب) و (ج):وكلام الذئب . وقد أخرج كلامه القاضي في الشفاء ٥٩٥/١.

الحصى في يده[1]، وحنين الجذع اليه[2]، **ونحو** مسير الصخره فوق المآء إليه، وكلام الصبي في الْمَهْدِ له[3]، **ونحو** نبوع المآء من بين أصابعه[4] ونحو إحيآئِهِ للمـــوتى[5]. وغير ذلك مما لا نُحصيه لكثرته. **فثبت** الأصل الأول وهو أنه ظهر على يديه المعجز عقيب ادِّعآئِه للنبوة–وإن كان ثابتا؛ لأنَّه معلومٌ ضرورةً بطريق التـــواتر–إلا أنَّـــا ذكرناه هكذا على طريقة التَّبْيِيْنِ والاستظهار.

وأما الأصل الثاني– وهو أَنَّ كل مَنْ جآء بالمعجز عقيب ادِّعآئِه للنبوة فهو نبي صادق؛ **فالذي** يدل على ذلك أن المعجز تصديق من الله سبحانه لمن ظهـــر علـــى يديه؛ لأنه لو قال:الذي يدل على صدقي أنكم لا تُحَرِّكـــون أيـــديَكم، أو أن الله تعالى يَقْلِبُ هذه العصا حيَّةَ ثم فعل الله له ذلك–كان[6] ذلك جاريًـــا مَجْـــرَى أن يقول له:صَدَقْتَ. **دليل ذلك** ما نعلمه في الشاهد أن أحَدَنا لـــو ادَّعـــى بحـــضرة السلطان أنه قد وَلاَّهُ على الرعية يتصرف كيف شآء، ثم قال:والذي يـــدل علـــى صدقي أن السلطانَ يترع خاتمه من يده فيجعلهُ في يدي، أو يترع تاجه من فـــوق رأسه فيجعلهُ فوق رأسي؛ ثم فعل السلطانُ له ذلك؛ فإنَّ كُلَّ عاقل يعلم أن ذلـــك

---

(١) أخرجه في دلائل النبوة ٢ / ٤٣٢ . والشفاء للقاضي عياض ١/٥٨٨.

(٢) رواها الإمام المؤيد بالله في إثبات النبوة ص١٤٥. والبخاري ٢ / ٧٣٨ رقم ١٩٨٩.

(٣) أخرجه في دلائل النبوة ج٦ص٥٩.

(٤) رواها الإمام المؤيد بالله في إثبات نبوة النبي ص١٤٥ ، والبخاري ٥ / ٢١٣٥ رقم ٥٣١٦ . والـــشفاء للقاضي عياض ١ / ٥٥٠. وقال:أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا.

(٥) أخرجه في الشفاء ص٦٠٧.

(٦) في (ب) و (ج): لكان.

يكون تصديقا له، وأنه جارٍ مَجْرَى أن يقول له:صدقتَ فيما ادعيتَ من الولاية.

فإذا ثبت ذلك وجب أن يكون مَنْ ظهر عليه الْمعجز صادقا، وإلا وجب أن يكون كاذبا؛ لكون القسمةِ في ذلك دَآئرةً بين النفي والإثبات. ولا يجوز أن يكون كاذبا؛ لأنَّ اللهَ تعالى لو صَدَّقه وهو كاذب كان ذلك قبيحا؛ لأن تصديق الكاذب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح كما تقدم بيانه؛ **فثبت** بذلك نبــوةُ محمـــد ﷺ ووجب تصديقُهُ فيما جآء به من شرآئع الإسلام.

الوجه الثاني:أنه ﷺ جآءَ بالأخبار الكثيرة عن الغيوب الماضيةِ والمستقبَلة على سبيل التفصيل، واستمر ذلك على حَدٍّ لا يُمْكِنُ البَشَرَ الإعلامُ به إلا بـــإعلام الله تعالى. وكلُّ مَنْ جآء بذلك فهو نبيٌّ صادق. وهذه الدلالة تَنْبَنِي على أصلين:**أحدهما** أنه جآء بالأخبار الكثيرة عن الغيوب الماضية والمستقبلة على سبيل التفصيل، واستمر ذلك على حَدٍّ لا يمكن البشرَ الاعلامُ به إلاَّ بإعلام الله تعالى. **والثاني** أنَّ كل مَـــنْ جآء بذلِك فهو نبي صادق.

أما الأصل الأول فذلك ظاهر:**أمَّا** إخباره عن الغيوب الماضية؛ فنحو إخبـــاره بقصة آدمَ وحوَّآء وأولادِهما، ونوحٍ وقومه، وأخبارِ سآئِر الأنبيآء المفصَّلة في القرآن، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ونحو أخبار أهل الكتابين ونـــشر فـــضآئحهم وأفعالهم.

وَأَمَّا إخباره عن الغيوب المستقبلة؛ فنحو إخبارِه بأسرار المنافقين، وما قد عزموا على فعله في المستقبل، وإخباره بأن اليهود لا يتمنون الموت في قوله:﴿وَلَـنْ يَتَمَنَّوْهُ

أَبَداً ﴾ [البقــرة:٩٥] وكان الأمر في ذلك على ما أخبر. **ونحو** إخباره بهزيمة بَدْرٍ قَبْــلَ وقتها، في قوله:﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمــر:٤٥]؛ وكان الأمر على[(١)] ما أخبر. **ونحو** إخباره بقصة ملك الروم وفارس في قوله تعالى:﴿الَـمَ ❖ غُلِبَتِ الـرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم:١-٣]. **ونحو** قوله للزبير بن العوام:((إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيًّا وأنتَ له ظَالِمٌ))[(٢)].

وقد ذكَّرهُ ذلك أميرُ المؤمنين (ع) يوم الجمل فَعَدَلَ عن القتال. **ونحـــو** قولـــه ﷺ لعمَّار بن ياسر رضي الله عنه:((تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ))[(٣)]، فقتله أصحابُ معاويـــة.... يوم صِفِّين. وكان الأمر كما أخبر. **ونحو** وَعْدِهِ لأصحابه بكنوز كسرى وقيـــصر. **وقوله** لسراقة بن جعشم -وقد نظر إلى ذراعيه-:((كأني بك وقد لبستَ سِـــوَاري كسرى)). وكان سراقَةُ أشْعَرَ الذراعين دقيقَهما، فلما افتتح المـــسلمون خـــزآئِن

---

(١) في (ب): بحذف على.

(٢) أخرجه كنز العمال ٣٣٩/١١ رقم ٣١٦٨٩ ورقم ٣١٦٩٠. والبيهقي في الـــدلائل ٤١٤/٦ ، ٤١٥. وابن كثيرفي البداية والنهاية ٢٦٨/٧ . والطبري ٥٠٩/٤. والكامل لابن الأثير ١٢٢/٣. وتاريخ الإسلام (عهد الخلفآء) للذهبي ص٤٨٨-٤٩٨. والإصابة لابن حجر ٥٢٧/١.

(٣) البخاري ج١ص١٧٢رقم٤٣٦ وج٣ص١٠٣٥رقم٢٦٥٧. ومـــسلم ج٤ ص٢٢٣٦ رقـــم ٢٩١٦. والمستدرك ج٣ص٣٨٦ وساق جملة روايات. والترمذي ج٥ص ٦٢٧ رقم٣٨٠٠ حسن صحيح غريـــب. وتأريخ الإسلام عهد الخلفاء ص٥٧٧- ٥٨٢. وطبقات ابن سعد ج٣ص٢٥٢. والمعجم الكبير للطـــبراني ج٤ص٨٥ رقم ٣٧٢٠. ومجمع الزوائد ج٧ص٢٤١ -٢٤٢ وج٩ص ٢٩٥ -٢٩٧ . قال العلامة محمـــد بن إبراهيم الوزير في القواصم والعواصم ١٤٤/٣ بعد ذكر الحديث:فإن الحديث متفق على صحته وشهرته في ذلك العصر، وإنه ما قدح فيه من القدماء أحدٌ . بل قال الذهبي في ترجمة عمار ٤٢١/١:إنـــه حـــديث متواتر.

كسرى على عهد عُمَرَ، وَحُمل المالُ فَوْضِع في المسجد فرأى[1] عمر منظرا لم يَــرَ مثلَه، والذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلألأ، فقال:أين سراقة بن جعشم؛ فأُتِيَ به، فقال له عمر:البَسِ السوارين وهما سِوَارَى كسرى ففعل سراقة، فكان ذلك آيةً ظاهرةً إذْ وقع الأمر كما أخبر[2]. **ونحو** قوله لسلمانَ الفارسي:((سيُوضَــعُ علــى رأسك تاجُ كِسْرى))؛ فكان الأمر على ما أخبر. **ونحو** قوله لعآئِشة:((سَــتَنْبَحُكِ كلابُ الْحَوْأَب))[3]، فكان الأمر كما أخبر. **ونحو** إخباره للصحابة بــأن أُوَيْــسًا القَرَني رحمه الله يرد عليهم بعد وفاته وأن به بَرَصًا دعا الله له فبرئَ كلُّه إلا قــدرَ الدرهم. وكان عمر يسأل عنه ويطلبه حتى ظفر به[4]. **ونحو** نعيه لجعفــر بــن أبي طالب على بُعْدٍ منه، وكان الأمر على ما أخبر[5].

ونحو قوله لأمير المومنين عليه السلام:((لَتُخضَبَنَّ هذه من هذه))[6]؛ فَقَتَلَهُ ابن مُلْجَــمٍ لعنه الله؛ فكان الأمر على ما أخبر. **ونحو** قوله:((سَتُقَاتِلُ النَّــاكثين، والقاســطين، والمارقين))[7]؛ فقاتَل الناكثين:الزبير، وطلحة، وأصحاب الجمل. وقاتل القاســطين

---

(١) في (ب): حمل الماء فوضع في المسجد فنظر..

(٢) أسد الغابة ٤١٤/٢. والرياض المستطابة ص١١. والإصابة لابن حجر ١٨/٢، ١٩. وإثبات نبوة الــنبي للمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ص١٤٨.

(٣) أخرجه المؤيد بالله في إثبات النبوة ص١٤٠. والبداية والنهاية ٢٣٦/٦ وقد ذكره من طــرق كــثيرة. والطبري ٤٥٧/٤.

(٤) أخرجه المؤيد بالله في إثبات النبوة ص١٤٦. ومسلم ١٩٦٨/٤ رقم ٢٥٤٢.

(٥) أسد الغابة ٥٤٤/١ . والسيرة لابن هشام ج٤ص٢٧. وإثبات نبوة النبي ص١٤٧.

(٦) الإستيعاب ٢١٩/٣. ودلائل النبوة ج٢ص٥٥٢ وفي ذخائر العقبى ص١١٢.

(٧) رواه أبو طالب في أماليه ص٦٦. والمستدرك للحاكم ١٣٩/٣ . وفي ذخائر العقبى ص١١٠.

الجآئِرين معاوية، وأهل صِفِّين. وقاتل المارقين عن الدين وهم الخوارج، فكان الأمر على ما أخبر. **ونحو** إخباره لأمير المومنين عليه السلام بأنه يَقْتُل ذا الثديَّة، وهو رجل من الخوارج كان له يد مثل حَلَمَةِ الثدي، وعليها شَعَرٌ مثل شعر الهر، وكان يختم القرآن في ركعتين، ولم ينفعه ذلك بل كان ممن قال الله تعالى فيه وفي أشباهه:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ❖ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ❖ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:٢-٤]. وقُتِلَ يومَ النَّهْرَوان، وأمرهم علي عليه السلام بطلبه وكان آيةً له، وعلامةً أنه على الحق. وأنَّ الخوارج على الباطل فطلبوه فلم يجدوه، فقال:اطلبوه فوالله مَا كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ؛ فأمعنوا في الطلب فوجدوه وأتَوْا به عليا عليه السلام؛ فكبَّر وَحَمِدَ الله وَخَرَّ لله ساجدًا[١] وَمَنْ معه من المسلمين، وكان الأمر على ما أخبر[٢]. إلى غير ذلك مما يطول تعداده، وَيَسْمُجُ إيراده لظهوره واشتهاره، وكثرته واستمراره، ولا شبهةَ في ذلك وفي كون ذلك مما لا يُمْكِنُ البشرَ الإعلامُ به إلاَّ بإعلام الله تعالى؛ فثبت الأصل الأَوَّلُ.

وأما الأصل الثاني وهو أنَّ كل مَنْ جآء بذلك فهو نبي صادق. **فالذي** يدل على ذلك أنه لو لم يكن عَالِمًا لَمَا جاز استمرارُ ذلك على وتيْرة وَاحِدَةٍ، وطريقةٍ مستمرةٍ، وإنما يجوز ذلك على سبيل الاتفاق والشذوذ والنُّدُور[٣]، وذلك ظاهر.

---

(١) في (ب) ، (ج): وخر ساجدا.

(٢) ذكر ذلك أبو طالب في أماليه ص٢٩-٣٤. وأحمد بن حنبل ١/٢٣٠ رقم٨٤٨. وص٢٩٦ رقم١١٨٨، ١١٨٩ . وص٣١٠ رقم١٢٥٤. والكامل لابن الأثير ٣/١٧٥. والبداية والنهاية ٧/٣٢٣. والطبري ٥/٨٨.

(٣) في الأصل:والندور، ثم حدثت الواو الراء، والأظهر ما هو مثبت.

ولن يكون عالما بذلك على سبيل الاستمرار إلاَّ وهو نبي صادق؛ لأنه لا يعلم ذلك إلا بوحي من الله تعالى لِمَا ثبت من أنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، قال تعالى:﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان:٣٤].

ولا يجوز أن يُظْهِرَ الغيبَ على كاذب؛ لأن ذلك قبيح لِمَا فيه من التلبيس والتغرير، وقد بينا[١] أنه تعالى لا يفعل القبيح؛ فيجب أن نقضِيَ[٢] أن هذه الأخبار صادرة من قِبَلِ الله تعالى، وأنَّه ﷺ صادق بما ادَّعاه من النبوة، وأن الله تعالى إنما أعلم بها رسوله تصديقا لقوله وتأييدا لأمره. وهذان الوجهان كافيان في إثبات[٣] نبوة محمد ﷺ؛ وبذلك يَظْهَرُ صدقُه فيما أخبر به من نبوة الأنبيآء (ع)، وصدقهم جميعا فيما جآؤُوا به من الشرآئع والأحكام وبذلك ثبت الكلام في الموضع الخامس.

وأما الموضع السادس:وهو في ذكر نُبذة من الأخبار الدالة على كون نَبيِّنا أفضلَ الأنبيآء، وأكرمَهم على الله تعالى[٤].

فهذا باب واسع، غيرَ أنَّا نختصر من ذلك ما يكون منبِّهًا على غيره مِمَّا لم نذكره. رُوِينا بالإسناد الصحيح إلى رسول الله ﷺ أنه قال:((أُعطيتُ خَمْسًا لم

---

(١) في (ب) و (ج): وقد ثبت.

(٢) غير منقوطة في جميع النسخ ، فيجوز تقضي بالتاء ، ويقضي باليآء ، ونقضي بالنون، ويقضى مغير صيغة.

(٣) ((إثبات)) ساقطة في (ب).

(٤) قد لا نجد تخريجا لتفصيل فضله ﷺ على كل نبي على حدة لكنا نكتفي بقوله ﷺ:((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)) [الحاكم ٢/٦٠٤]، وقد علم أنه أفضلهم وإمامهم وخاتمهم صلى الله عليهم أجمعين. وقوله ﷺ:((لا تفضلوني على يونس بن متى)) يحمل على التواضع وهضم النفس.

يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي:بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسْوَد، ونصرتُ بالرُّعب على مسيرةِ شـــهر، وَجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدا وطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لي الغنآئِمُ، و لم تُحَلَّ لـــنبي قبلـــي، وأعطيتُ الشفاعةَ، وإنه ليس نبي إلا وقد سأل شفاعتَه، وإني ذَخَـــرتُ شـــفاعتي فجعلتُها لمن لا يُشْرِكُ بالله شيئا))[(١)].

وأوحى الله إلى موسى:قُلْ لبني إسرآئيل لا ينفعُكُم إيمانُكم بالتوراة وموســـى، وبالإنْجيل وعيسى حتى تُقِرُّوا بمحمد، وهو من القبيلة المباركة بني هاشـــم. وإنـــه المبعوث في الأمة المرحومة، وإنه خطيبُ مَنْ وَافَى القيامةَ. وشفيعُ مَنْ لم تكن لـــه وسيلة، وإن دينَه خيرُ الأديان، وشرآئِعهُ أسهلُ الشرآئِع، وأتباعـــه خـــيرُ أتبـــاع المرسلين، وإنَّ بين كَتْفَيْهِ خَاتَمَ النبوة، وإن شِعَارَهُ البِـــرُّ، والـــصدق، والعـــدل، والإنصاف، ولباسه التقوى، ودار هجرته طَيْبَة، وهي يثرب.

ومن جُملة ما فضَّله الله به أنه قال:قال لي جبريل:يقول الله لك:يا محمد مَنَنْتُ عليك بسبعة أشياء:**أولها** لم أخلق في السموات والأرَضِينَ[(٢)] أكرمَ علـــيَّ منـــك. **والثاني** أنَّ مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي كلهم مشتاقون إليك. **والثالـــث** لم أُعطِ أمتك مالاً كثيرًا حتى لا يطول عليهم الحساب. **والرابع** لم أطول أعمـــارهم حتى لا تجتمع عليهم الذنوب كثيرًا. **والخامس** لم أُعطهم من القوة كما أعطيتُ مَنْ قبلهم حتى لا يَدَّعوا الربوبية. **والسادس** أخرجتُهم في آخر الزمان حتى لا يكـــونَ

---

(١) وأبو طالب في أماليه ص٤٢ . والبخاري ١ / ١٢٨ رقم ٣٢٨ . ومشكل الآثار ٢ / ٢٦٣. ومـــسلم ١/٣٧٠ رقم٥٢١. وأحمد بن حنبل واللفظ له ١٧٣/٧ رقم١٩٧٥٦. والدارمي ٢٢٤/٢.

(٢)في (ب) و (ج): والأرض.

مُقَامُهم تحت التراب كثيرًا. **والسابع** لا أعاقب أمتك كما عاقبت بني إسرائيل.

ومن جُمْلة فضائله أن يهوديًّا جاء إليه صلى الله عليه وآله فقال:أنت أكرم على الله تعالى أم آدم؟ فقال:((أنا وربِّ الكعبة))، فقال اليهودي:كـذبتَ وربِّ بيـتِ المقدس، فقال ﷺ:((إن الله أعطاني خمـسًا لم يُعـطِ آدم-وإن آدم أبي-ولكـني أعطيتُ ما لم يُعْطَهُ، وأنا أفضل منه ولا فخر ولا عَجَب)). قال اليهودي:وما هذه الخمس؟ قال صلى الله عليه وآله:((**إن** آدم لَمَّا عصى أخرجه الله من الجنة طريـدًا عطشانًا عُريانًا، ولو عصى من أمتي أحد لم يمنعه الله من المساجد. **والثاني** طار عنه الحلي والحلل و لم يُسْلَبْ من أمتي. **والثالث** فَرَّق بينه وبين امرأته و لم يفـرق بـين أمتي. **والرابع** أظهر الله خطيئته. **والخامس** لم يقبل الله توبته حتى بَنَى البيتَ المعمور وطاف حوله. وإنَّ مِنْ أمتي مَنْ ذنوبه أكثرُ مِنْ زَبَدِ البحر وقطر المطر فندم عليهـا واستغفر[1] غفر الله له)). قال اليهودي:صدقت يا محمد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله [ﷺ][2].

ومنها أن موسى عليه السلام سأل ربه:أَنَا أَفْضَلُ أَمْ مُحَمَّد ؟ فقال تعالى:فَضْلُ محمـد عليك كَفَضْلِك على أمتك.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فَضْلُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ على الأنبياء نَبِـيٍّ نَبِيٍّ.

---

(١) في (ب): واستغفر الله.

(٢) ما بي القوسين زائدة من (ب).

[فَضْلُ النَّبِيِّ عليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى آدم عليه السلام]

فمنها فضله على آدم، وقد ذكرناما يدل على ذلك فيما تقدم، وعلى أنه لا خلاف بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أفضل من أبيه آدم عليه السلام، ويدل عليه ما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((فُضِّلْتُ على آدم بخصلتين:كانَ شَيطاني كافرًا فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكان أزواجي عَوْنًا لي على الطاعة. وكان شيطانُ آدم كافرًا، وزوجتُه معينة له على خطيئته))[1].

ومن جملة فضائل آدم أن جعله الله قِبْلَةً لِسُجُود الملائكة، وأعطى محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم مِثْله؛ فإنه صلى بالملآئكة مرارًا. وفضَّله الله بِأَنْ أَمَرَ ثلاثَ مائةٍ وثلاثةَ عشر رسولاً فَصَلُّوا خلفه في بيت المقدس ليلة المعراج[2].

[فَضْلُ النَّبِيِّ عليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى إدريس عليه السلام]

ومنها فضله على إدريس عليه السلام روي عن جابر قال:خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد المنبر فقال:من أنا؟ قلنا:محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، قال:أنا سيد ولد آدم ولا فخر. وَخُصَّ أدريس عليه السلام برَفْعِهِ إلى السماء، قال تعالى:﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانَاً عَلِيّاً ﴾ [مريم:٥٧]، وَرُفِعَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم فوق السموات العُلى حتى وصل الحجب

---

(١) في هامش (ب):يعنى أن حوَّاء لما جاء إبليس إليها وإلى آدم ، وقال:إن هذه الشجرة هي شجرة الخلد وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فبادرت حوَّاء، وداخَلَهَا الحرص، وذكرت ذلك لآدم، ثم طافت حول السنبلة فأخذت واحدةً فأكَلَتْها وادَّخرت واحدة، وهو شيء عجيب ، وحملت خمسًا إلى آدم فأكلها وهي سنابل أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل. تمت. وكانت مكتوبة ضمن النسخ في الصلب ونبَّه أنها حاشية. والحديث المتقدم ضعفه ابن الجوزي في العلل وقال: لا يصح١/١٨١ رقم٢٨٠.

(٢) في سيرة ابن هشام ٢/١٠ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجد في بيت المقدس إبراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جمعوا له فصلى بهم.

فشاهد ما لم يشاهده أدريس، ثم فُضِّلَ محمد برجوعه إلى قومه وإخباره لهم بما شاهد من الايات بخلاف إدريس فإنه لم يرجع إلى قومه.

[فَضْلُ النَّبِيِّ عليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى نوحٍ ﷺ]

ومنها فضْلُه على نوح ﷺ؛ فإنه الله تعالى خَصَّ نوحًا بِجَرْيِ السفينةِ على الماء، وأعطى محمدًا ﷺ جَرْيَ الحجر على الماء، وذلك أعجب كما روي أنه ﷺ دعا عكرمة بن أبي جهل إلى الإسلام؛ فقال:لا، حتى تُرِيني آية، وكان بين يديه غديرٌ، فيه ماء، حوله حجارة[1]، فقال له:ايت ذلك الحجر، فقل له:إنَّ محمدًا يدعوك فجآءَهُ، وقال له:فجرى الحجر على وجه الماء حتى انتصب قائمًا بين يدي النبي ﷺ.

[فَضْلُ النَّبِيِّ عليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى إبراهيم ﷺ]

ومنها فضله على إبراهيم الخليل صلوات الله عليه؛ فإنَّ إبرَاهِيم سُخِّرَتْ له نارُ الدنيا وأعطي محمدٌ ﷺ تسخير نار الآخرة؛ لأن الله تعالى أمَرَها بأن تَكُون طَوْعًا لِمُحَمَّدٍ ﷺ. وكلمتة الشاةُ المسمومة بخيبر فسخرها الله تعالى له، وفي ذلك زيادةٌ، وهي كلامها إياه فإنها قالت إني مسمومة. وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيْلاً، وَاتَّخَذَ مُحَمَّدًا حبيبًا. والحبيب أفضل، إلى غير ذلك من الفضآئِل.

[فَضْلُ النَّبِيِّ عليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى يوسُفَ ﷺ]

---

(١) في (ب):أحجار .

ومنها فَضْلُه على يوسفَ عليه السلام؛ فإنه أُعْطِيَ الْمُلْكَ بعد مِحَنٍ كثيرة، وَأُعْطِـيَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم مُلْكَ الدنيا هنيئًا مريئًا؛ فافتتح أصحابه (رض) بلاد الـروم وفـارس وغيرَهما من بلاد العجم، وملكوا جميع جزآئِر العرب. وقـال صلى الله عليه وآله وسلم:((زُويـتْ لِيَ الأرضُ مشارقُها ومغاربُها، وسيبلغ مُلْكُ أمتي ما زُوِيَ لي منهَا))[1].

[فَضْلُ النَّبِيِّ عَليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى موسَى عليه السلام]

ومنها فضله على موسى عليه السلام؛ فإنه أُعْطِيَ فَلْقَ البحر بعصاه، وَأُعْطِيَ محمـدٌ صلى الله عليه وآله وسلم شَقَّ القمر بإشـارته[2]، وهـو نـور الـسمآء، فكـان أبلـغ. قـال الله سبحانه:﴿اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانشَقّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، اقتربت الساعة قَرُبتِ القيامـة بخروج خاتم الأنبيآء وآخر الأمم. وانشق القمر، انشق بمكة فِلْقَتَيْنِ:فلقة فوق الجبل، وأخرى أسفل من الجبل. فقال صلى الله عليه وآله وسلم:((اللهم فَاشْهَدْ))[3]. وَأُعْطِيَ موسى انفجـارَ المآء من الحجر في التِّيْهِ، وأعطي محمد عليه السلام انفجار المآء من بين أصابعه، كما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري، قال:كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفرٍ فأصابهم عطـش فدعا بِتَوْرِ مآءٍ، وجعل يده في وسطه، وجعل المآءُ يَنْبَعُ من بين أصابعه حتى استقى العسكر، ورَوِيتِ الدوابُّ؛ فقيل لجابر:كم كنتم؟ فقال:ألفٌ وستمآئِة[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢/١٣٠٤ رقم٣٩٥٢.

(٢) أنظر البخاري ٣/١٣٣٠ رقم ٣٤٣٧. ومسلم ٤/٢١٥٨ رقم٢٨٠٠. والنسائي في تفسيره ٢/٣٦٥. وجامع البيان للطبري مج١٣ ج٢٧ ص١١ . والدر المنثور للسيوطي ٦/١٧٥.

(٣) في البخاري ٤/١٨٤٣ رقم ٤٥٨٤.

(٤) أخرجه أبو طالب في أماليه ص٣٧. والبخاري ٥ / ٢١٣٥ رقم ٥٣١٦ ، ذكر فقيل له: كم كنـتم؟ فقال:ألفًا وأربعمائة.

وله ﷺ يوم الخندق معجزتان من هذا الجنس: **إحداهما** أنه أطعم أهل الخندق كلهم من تمر قليل لم يملأ كَفَّيْه، جَعَلَهُ فوقَ ثوب، ثم أمر الصارخَ فجمعهم فأكلوا منه جماعةً بعد آخَرِين إلى أن رشدوا[1] وقاموا وإنه ليسقط من أطراف الثوب لكثرته. **والثانية** أن جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله تعالى صنع له شُوَيهةً وشيئا قليلا من خبز الشعير وأراد أن يُفطر عنده رسولُ الله ﷺ فلما جآء الليل وانصرفوا من الخندق أَعْلَمَ به رسولَ الله ﷺ وَطَلَبَهُ أن يُفْطِرَ عنده، فقال: نعم، ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبدالله، فقال جابر: فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. وأقبل رسول الله ﷺ والناس معه، فجلس وأَخْرَجْنَاهَا إليه. قال: فَبَرَّكَ وَسَمَّى، ثم أكل وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قامُوا، وجآء نَاسٌ حتى صَدَرَ أهلُ الخندق عنها[2]. وفي بعض الأخبار أنهم كانوا ثلاثة آلاف نسمة.

وَأُعْطِيَ موسى اليدَ البيضآء في حالٍ دونَ حال، وأُعطي محمدٌ نورًا كان يُضيءُ عن يَمِينِهِ. وكلَّم الله موسى بطور سَيناآء، وكلم الله محمدا في السمآء السابعة. وَأُعْطِيَ موسى الغمامَ لِيُظِلَّه، وأعطى الله ذلك محمدًا عليه الصلاة السلام، فإن السحاب كان يُظِلُّهُ. وأَلْقى موسى عصاه فصارت حَيَّةً، وَأَعْطَى مُحمَّدًا عليه السلام ثعبانين يوم هَمَّ أبو جهل بقتله[3]. وأحيا له الذراع المسمومة يوم خيبر فكلمته[1].

---

(١) الرشيدية: طعام، ونُسَمِّي في بلادنا طعامُ المسافر رِشادًا. المحقق.
(٢) روى الحادثة أبو طالب في أماليه ص٣٣. ومسلم بتصرف ٣/١٦١٠ برقم٢٠٣٩.
(٣) أخرجه أبو طالب في أماليه ص٢٦.

وكذلك كلمه الجذع[٢]، كما روى جماعة من الصحابة أنه كان يستند إلى جـــذع في مسجده بالمدينة ويخطب؛ فلما كثر الناس اتَّخَذ مِنْبَرًا؛ فلما صَعَد على[٣] المنـــبر حَنَّ إليه الجذع حنينَ الناقة إذا فقدت ولدها، فدعاه فأقبل يَخُدُّ الأرضَ، والنـــاسُ حوله ينظرون إليه، فكلَّمه ثم أمره بالمعاودة إلى مكانه، فَمَرَّ حتى صار في مكانـــه. وروي أنه قال للجذع:إن شئتَ رددتُك على الحآئِط الذي كنتَ فيه فتكونُ كمـــا كنتَ، وإن شئتَ غرستُك في الجنة يأكلُ منك أوليآءُ الله؟ فقال الجذع:بل تَغْرِسُنِي في الجنة. فقال ﷺ:((نَعَمْ قَدْ فعلتُ))[٤].

وخسف الله بقارون بسبب دعآءِ موسى عليه السلام، وخسف الله بسراقة بن مالك، بسبب دعآءِ محمد فإنه ﷺ لَمَّا خرج مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش مآئة ناقـــة لمن يرده عليهم[٥]، فتبعه سراقة ليأخذ المآئِة والحظَّ عند قريش فلما دنا من رســـول الله وأمكنَتْه الفرصة وأيقن بالظَّفَر-دعا عليه رسول الله وهو في قـــاعٍ صَفْـــصَفٍ فصاخَتْ به قوآئِمُ فرسه وخُسِفَ به الأرض، فنادى:يامحمد ادع ربـــك يُطلـــقْ لي

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٣٦٧.

(٢) أبو طالب في أماليه ص٣٢ . والنـــسائي في ســـننه ٣ / ١٠٢ بـــرقم ١٣٩٦. والبخـــاري ٢/٧٣٨ برقم١٩٨٩.

(٣) في (ب): بحذف على.

(٤) قال البوصيري رحمه الله:

ويحَ قومٍ جفـــوا نبيًّـــا بـــأرضٍ		أَلِفَتْـــهُ ضـــباؤها والظـــذِباء
وســـلوه وحـــنَّ جـــذع إليـــه		وقلـــــوه وودهُ الغربـــــآء

(٥) في (ب): إليهم.

فرسي، فَذِمَّةُ[1] الله عليَّ أنْ لا أدُلَّ عليك أحدا؛ فدعا له فوثب جـــواده، وانتـــزع قوآئِمَهُ من الأرْض، وتَبِعَها دخان كالإعصار[2].

[فَضْلُ النَّبِيِّ عَليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى داوود عليه السلام]

ومنها فضله على داوود عليه السلام فإن داوود قَتَل جالوتَ بِحَجَرٍ رماه به، وَقَتَـــل محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم صناديد قريش بكـــفٍّ تُـــرَابٍ أخـــذه مـــن الأرض ورمـــاهم بـــه وقال:((شاهت الوجوه))[3]. وَلَيَّنَ الله لداوود الحديد. وَمَـــسَحَ رســـولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ضَرْعَ شاةِ أُمِّ مَعْبَدٍ وهي يابسة؛ فَتَحَلَّبَتْ لبنا على ما ذلك ظاهر[4].

[فَضْلُ النَّبِيِّ عَليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى سُلَيْمَانَ عليه السلام]

ومنها فضله على سُلَيْمَانَ بن داوود (ع)؛ فإنه أُعطي الريحَ مَرْكَبًـــا وكـــان غدوُّها شهرًا ورواحها شهرًا، وأعطي محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم البُرَاقَ فبَلَّغَه في ساعة واحـــدة سدرة المنتهى.

وكان البراقُ على ما رواه ابن عباس رحمه الله عـــن رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم[5] أنَّ وَجهها كوجه الإنسان، وآذَانَهَا كآذان الفِيَلة، وَعُرْفُها كَعُرْفِ الفرس، وقَوَآئِمَهـــا

---

(١) في (ب) و (ج): وذمة

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٢.

(٣) مسلم ٣ / ١٤٠٢ برقم ١٧٧٧ . والمراد بقتلهم التسبب في هزيمتهم وعمى أبصارهم حـــتى اســـتطاع المسلمون قتلهم في بدر وحنين.

(٤) أبوطالب في أماليه ص٣٠. والقاضي عياض في الشفاء ٦٤٣/١. ودلائل النبوة ٦ص٨٤.

(٥) في هامش الأصل: دابَّة . والأولى حذف أَنَّ.

كقوآئِم البعير، وذنبَها كذنب البقر، وهي فوق الحمار ودون الفرس، رأسُها من ياقوت أحمر، وصدرها درة بيضآء، وعليها رَحْلٌ من رحال الجنة. **وفي رواية أخرى** عنه ﷺ أنه قال:إنَّ جبريل أخذ ضَبُعِي وأخرجني من الباب، وعلى الباب ميكآئِيل وإسرافيل، معهما البراق وهي البيضآء، لها جناحان، ووجهها كوجه الإنسان، عُرْفُها من اللؤلؤ، منسوج بالمرجان، وعقآئصها من ياقوت أحمر، وآذانها من زمرذ[١] أخضر، وعينُها[٢] كَالزُّهْرَةِ والمريخ، وأظلافُها كأظلاف البقر من زمرذ أخضر مُرَصَّعٍ بالياقوت، بطنها كالفضة، وصدرها كالذهب، لونها كالبرق يلوح[٣] بين السمآء والأرض، خَطْوُها منتهى بصرها، ولها زمام من لؤلؤٍ مُكَلَّلٌ بالجوهر، مزمومة بسلسلة من ذهب، عليها راحلة الديباج. وفي الروايتين جميعا أنه قال:فاستصعبَتْ عَلَيَّ، فقال جبريل:مهلا يا بُراق أما تستحيي؟ فوالله ما رَكِبَكَ أحدٌ منذ كنتَ[٤] أكرمُ على الله من محمد، فارتعش البراق حتى لصق بالأرض وانصبَّ عرقها.

وفي الرواية الأخرى قال:فسمعتُ حَشْحَشَةَ اللُّؤْلؤ حين مسح عرقَها. وكان الذي يُمسك رِكَابَها جبريل، وزمامها ميكآئيل. والذي سَوَّى عليه ثيابَه إسرافيل؛ فركِبَ عليها رسول الله ﷺ فبلغتْ به سدرةَ المنتهى وغيرَها[٥].

---

(١) بالذال ، وهو كذلك في مختار الصحاح . وهو الزبرجد. ص٢٧٤.
(٢) في (ب): عيناها-ظ.
(٣) في (ب): تلوح.
(٤) في (ب): مذ ركبت.
(٥) هكذا رويت، ولعل أحاديث الفضائل مما يتسامح فيها ، ويتساهل ، والله أعلم.

[فَضْلُ النَّبِيِّ عَليهِ وَآلَهُ السَّلامُ عَلَى عِيسَى عليه السلام]

ومنها فضله على عيسى عليه السلام؛ فإن عيسى عليه السلام كَلَّم[1] في المهد، ومحمد عليه السلام كَلَّمَه الذئبُ، والضب، والحجَرُ، والجذعُ، وسبَّح الحصى في يده، وغير ذلك.

وروى ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى عيسى: يا عيسى آمِنْ بمحمد، وَأْمُرْ مَنْ أدركه من قومك أن يُؤمنوا به. وأُعطيَ عيسى المآئِدةَ، وأَعْطَى اللهُ محمدًا كـذلك على ما هو مذكور في أخبار أهل البيت عليهم السلام. وقد كلم عيسى في المهد، وهكذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جآءته امرأة بصبي ابن شهرين؛ فقال الغلام وهو في حجر أمه وهي مكفهرة: السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يامحمد بن عبدالله. قال: ومايدريك أني محمد بن عبدالله، وأني رسول الله؟ قال: علمنيه رَبُّ العالمين، والروح الأمين جبريل، وهو قآئِم على رأسك ينظر إليك. فقال: ما اسمك يا غلام؟ قال: سَمُّوني عبدالعُزَّى، وأنا به كافر؛ فَسَمِّني؟ فسماه عبدَالله[2]، فقال له جبريل: هذا تصديقٌ لك بالنبوة، ودلالةٌ لكي يؤمنَ بقيةُ قومِك. فقال الصبي: يارسول الله ادع اللهَ لي يجعلْني مِنْ خَدَمِكَ في الجنة، فقال جبريل: ادعُ؛ فدعا، فقال الغلام: السعيدُ مَنْ آمن بك، والشقي مَنْ كَذَّبَكَ، ثم شهق شهقة فمات. فقالت المرأة: قد رأيتُ ما رأيتُ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ووا أسفي

---

(١) في (هـ) تكلم.

(٢) في (ب): فسَمَّاه رسول الله عبدالله .

على ما فاتني منك[1]، فقال لها:أبشرى، فوالذي أَلْهَمَــكِ الإيمــانَ إني لأنظــر إلى حَنُوطِك وكَفَنِك مع الملآئِكة، فشهقت شهقة وماتَتْ. فَصَلَّى عليها رســولُ الله ﷺ، ودَفَنَهَا. وكَلَّم رسولَ الله الناقةُ[2] والحمارُ والشَّجَرُ[3] وغيرُ ذلك.

وروي عن أم سلمة قالت:أقبل نَفَــرٌ علــى الــنبي ﷺ وكَلَّمــوه. **فقــال الأول**:يامحمد زعمتَ أنك خيرٌ من إبراهيم وهو تعالى اتخذه خليلا؛ فــأيُّ شــيء اتَّخذك؟ قال:؛ اتخذني صفيًّا، والصفيُّ أقربُ من الخليل. **فقال الثاني**:زعمت أنــك خير من موسى، وقد كلم الله موسى، قال:((ويلك كُلِّمَ موسى في الأرض، وأنــا كَلَّمني تحت سُرادق عرشه)). **فقال الثالث**:تزعم[4] أنك خير من عيــسى وكــان يُحْيي الموتى، فأنت متى أحييتَ؟ قال:فغضبَ وصفَقَّ بيديه، وصاح:ياعلي[5]؛ فإذا علي عليه السلام مشتمل بشملةٍ له، وهو يقول:لبيك لبيك يا رسولَ الله، فقال له:مِنْ أَيْنَ؟ قال:كُنتُ في بُستانٍ إذ[6] سمعتُ صوتَك وتصفيقك، فقال[7]:ادنُ مني فوالذي نفس محمد بيده ما ألقى الصوتَ في مسامعك إلا جبريلُ، فدنا علي من رسول الله ﷺ، ثُمَّ كلَّمَه بكلماتٍ لم أسمعها، ثم قال:قم يا حبيبي والبَسْ قميصي هذا، وانطلق بهــم

(١) ((منك)) محذوفة في (ب)) .

(٢)الشفاء ج١ص٦٠١.

(٣) الشفاء ج١ص٥٧٣.

(٤) في (ب): زعمتَ.

(٥) في (ب): وصاح بأعلى صوته:يا علي.

(٦) في (ب): إذا.

(٧) في (ب): قال.

إلى قبر يوسف ابن كعب فأحْيِهِ لهم بإذن محيي الموتى[1]، قالت أم سلمة فخرجـــوا أربعة معا، وأقبلتُ أنا وهم حتى انتهى بهم إلى بقيع الغرقد، إلى قبرٍ دارس، فدنا منه وتكلم بكلمات فتصدَّع القبر، ثم أمره ثانية فتصدع، ثم أمره ثالثـــة فتـــصدع، ثم قال:قم بإذن الله محيي الموتى؛ فإذا شيخ ينفض التراب عن رأسه ولحيته، ويقول:يـــا أرحمَ الراحمين. ثم التفتَ إلى القوم كأنه عارف بهم، ثم قال:ويلكم أَكُفْرٌ بعد إيمان؛ أنا يوسف بن كعب صاحب أصحاب الأخدود، أماتني الله منذ ثلاثمآئة وستين عاما حتى السَّاعة، ثم هتف بي هاتف، وقال:قم صَدِّقْ سيد ولد آدم محمدًا فقد كُـــذِّب. فقال بعضُهم لبعض:ارجع بنا لا يعلم بنا صِبِيةُ قريش فيرجمونا بالحجارة، وناشدوا عَليًّا إلاَّ رددتَه؛ فتكلم بكلامٍ لا أفهمه؛ فإذا الرجل قد رجع إلى قبره وسُوِّي عليـــه التراب. ورجع-يعني عليا عليه السلام-ورجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه المعجزةُ قـــد وقع مثلها أيضا:كما روي عن أبي عبدالله[2] قال:حدثني أبي عن جدي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين ذات يوم فتذاكروا الإدام، فاجتمعوا على أن الإدام خيرٌ من اللحم؛ فرفع النبي رأسه، وقال:أمَا إنه لا عهدَ لي به مـــن كـــذا وكـــذا. فتفرق[3] القوم. وقام رجل من الأنصار إلى امرأته، وقال:يا فلانة هذه غنيمة باردة قالت:وما هي؟ فقص عليها القصة. قالت:فدونك شَاتَك فاذبَحْها، وكـــان لهـــم

(١) في (ب): بإذن الله محيي الموتى.
(٢) تعليقة في (ب): الصادق.
(٣) في (ب) ، (ج) ، وتعليقة في الأصل: فبقي والقوم.

عَنَاق[1] يربوها، فقام إليها فذبحها وشواها ووضعها في مِكْتَلْ[2]، وقَنَّعها بقنـــاع. وقال لابنه:انطلق بها إلى رسول الله ((ص)) وأقِمْ عندَه تنظر مـــا يـــصنع. قـــال الغلام:فأتيتُه بها وهو في مترل أم سلمة؛ فدخلتُ وهو مُسْتَلْقٍ على نِطْع وإحـــدى رجليه على الأخرى، فوضعتها بين يديه، وأخبرتُه أن أبي بعثَ بها إليه فَـــسُرَّ بهـــا، وقال يا غلام:ادعُ لي عليًّا. وقال:يا بلال ايتني بسُفْرة فأتاه بها فوضع العَنَاق عليها، ثم قال:انظر مَنْ في المسجد مِنَ المسلمين؟ قال:ثمانية عشر نفرا. قال:أَدْخِلْهم؛ فلمـــا دخلوا قال:كُلُوا ولا تنهشوا لها عظما، فأكلوا حتى صَدَرُوا ثم نهضوا؛ فقال[3]:يـــا بلال ائتِ به فاطمة، ثم قسم في نسآئِه قبضةً قبضة؛ فلما فرغ ضرَب وَرِكَهـــا[4]، وقال:قومي بإذن الله، فنهضتْ تبادرُ الباب، واتَّبَعها الغلامُ فسبقته إلى المترل فدخل الغلام وأبوه يقول:كأنها عَنَاقُنا التي ذبحناها؛ فقالت امرأته:لعلها لبعض الحي؛ فقال الغلام:والله ما هي لأحد وإنها لَعَنَاقُكم صَنَع بها رسول الله كذا، إلى غير ذلك مـــن الأخبار القاضية بتفضيله[5].

فصل:في تعيين اعتقادنا في القرآن

نعتقد أنَ هذا القرآنَ الذي بيننا هو كلام الله ووحيه وتتريله، وأنـــه حـــق لا

---

(١) العناق: بالفتح الأنثى من ولد المعز.
(٢) شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا.
(٣) في (ب): ثم قال.
(٤) الورك ما فوق الفخذ.
(٥) روى هذا صاحب مدينة المعاجز ص٣١٨ . وهو كتاب حافل بالعجائب والغرائب.

باطلَ فيه، وقد خالفنا في ذلك الأشعريةُ، والكلابيـــةُ[(١)]، والمطرفيـــةُ؛ **فالأشـــعرية** يقولون:إن هذا الذي بيننا ليس بكلام الله، وإنما هو عبارةٌ عن كلام الله تعالى. وهو قول الكلابية، وإن خالفوهم في كلام الواحد منا في الشاهد فإنهم فصلوابين الشاهد والغائب. **والمطرفية** تقول:ليس هذا بكلام الله، وإنما كلام الله تعالى صـــفةٌ قائمـــة بقلب مَلَكٍ يقال له:ميخآئيل.

والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهبوا إليه أن النبي ﷺ كـــان يدين ويُخْبِرُ الناس بأن هذا القرآن المتلوَّ المعروف هو كلام الله تعالى ووحيُه وتنزيلُه، وأنه حق لا باطلَ فيه، وهذا معلوم بالاضطرار لمن عرف الأخبار، وبحث عن الآثار. وهو ﷺ لا يدين إلا بالحق، ولا يُخبر إلا بالصدق؛ لأنَّ ظهورَ الْمُعْجِزِ على يديه قد أَمَّنَنَا من وقوع الخطإ فيما يدين به، وظهور الكذب فيما يُخْبِرُ به، وقد قال الله تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ﴾[التوبة:٦].

وَمعلوم بالاضطرار أنَّ الذي أسمعه رسولُ الله صلى عليه وآله المشركين هو هذا المتلو المعروفُ، وقال الله تعالى:﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ❖ قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩،٣٠]، وقال تعالى:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ❖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾

---

(١) أصحاب عبدالله بن محمد بن كلاب القطان، من متكلمي البصرة، ينظر في أقوالهم موســوعة الفــرق والجماعات الإسلامية ٣٣٠.

[الجن:١-٢]. والمعلومُ أنَّ الْمَسْمُوعَ هو هذا القرآنُ الْمشارُ إليه دونَ غيره، وقال تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ❖ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الآية [فصلت:٤١-٤٢]، فثبت بذلك ما قلنا.

فصل:ونعتقد أنه مُحْدَثٌ مخلوق غير قديم

ولا مكذوب، وهذا هو قول العدلية جميعًا[1]. وقالت الحشوية:إن هذا الذي

---

(١) حَدَثَ في هذه المسألة خلاف مرير؛ بل صراع دامٍ، بدأ أيام المأمون العباسي، فقد حمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن ؛ بدليل أن ما سوى الله مخلوقٌ، وعارضه كثير من المحدثين بزعامة أحمد بن حنبل قائلين بأن القرآن كلام الله قديم، وجرت مناظرات، وتشدَّد المأمون في هذه المسألة، واعتبر القول بقِدَم القرآن خطأً يستحق العقاب؛ ولذلك فقد حُبِسَ أحمد وغيره من القائلين بأن القرآن قديم، وتعرضوا للتعذيب، وعُزِلُوا من أعمالهم. ولَمَّا جاء المتوكل العباسي وقف إلى جانب القائلين بأن القرآن قديم، واتخذ موقفًا أشد عنفًا ووحشية ضد المعتزلة، أدى إلى محوهم من الوجود، ولولا مبادرة الزيدية إلى حفظ تراث المعتزلة لَمُحي هو الآخر، وهذا موقف يُشكر لرجال الزيدية.

روي أن الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام أرسل القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبدالسلام رضي الله عنه، وأمره أن يجلب كتب المعتزلة من العراق إلى اليمن، ونالت استحسان وعناية المدرسة الزيدية. أما رأي الزيدية في مسألة خلق القرآن فهو نفس رأي المعتزلة. وقد آلَمَني ما تَرَكَهُ مثل

بيننا هو قديم، ويقولون:بأنه كلام الله تعالى. والكرَّامية تقول:بأنه كلام الله تعالى وإنه محدث؛ ولكنه غير مخلوق. والمطرفية تقول:إن هذا القرآن الذي ذكرناه ليس بمحدَث ولا قديم. **والذي** يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفساد ما ذهبوا إليه:أمَّا أنه مُحْدَث؛ فالذي يدل عليه أن هذا القرآن المتلوّ في المحاريب المعروف بين المسلمين قد وُجِدَ ونزل على محمد الأمين صلوات الله عليه وعلى آله الأكرمين وهذا معلوم بالاضطرار، فلا يخلو أن يكون لوجوده أوَّل، أم لا. وهذه قسمة صحيحة لترددها بين النفي والإثبات، فإن كان لوجوده أوَّل فهو محدث، وإن لم يكن لوجوده أول؛ فهو قديم؛ فبطل بذلك قول المطرفية؛ لأنهم خرجوا في حكم واحد عن النفي والإثبات، وهذا خروج عن قضايا العقول.

وقد تكلمنا في كتاب نظام درر الأقوال النبوية في بيان كفر المطرفية بما فيه كفاية كافية، وأدلة بتوفيق الله واضحة شافية. ولا يجوز أن يكون قديما لما بَيَّنَّا فيما تقدم أنه لا قديم إلا الله تعالى، وبذلك يبطل قول الحشوية أنه قديم؛ ولأن الله تعالى قد أشار إليه فقال:﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ

هذا الاختلاف من آثار ضارة، وبالأخص في علم الجرح والتعديل، حيث حكم بعضُ المحدثين -بالكفر -على القائلين بخلق القرآن، وقيل في المتوقفين:الواقفة الملعونة. وقد كان السلف رحمهم الله في غنىً عن هذا، ونحن كذلك؛ لأن الله يريد منا العمل بالقرآن والاهتدآء بهديه والتَّأَدُّبَ بآدابه. وَمَثَلُ هذا الاختلاف في مِثْلِ هذا مَثَلُ قوم اجتمعوا على مائدة عليها أشهى الطعام ولذيذ الشراب، فقال بعضهم: هذا الطعام صنعتْهُ عجوز، وقال بعضهم:بل صغيرة، وتعصَّب لهذا قوم، ولهذا قوم، واشتد النزاع حتى اشتبكوا بالسلاح، فسالت دماؤهم وفضلاتهم على المائدة، فلا طعامًا أكلوا، ولا دمًا حقنوا- والأغرب من هذا أنهم فَرِحون بما صنعوا، مُصِرُّون على تكرار ما عملوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. أتمنى لو أن الفرق المعاصرة تتفق على أن القرآن الكريم كلام الله وتكست هنا.

خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾..الآية. [الحشر:٢١]، وقال:﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦]، إلى غير ذلك من الإشارات. ولا إشكال في حدوث هذا الْمُشَارِ إليه.

ومما يوضح حدوثه قوله تعالى:﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ ﴾..الآية [الأنبياء:٢]. وما شاكلها. والذكر هو القرآن؛ لقوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤]، ولقوله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ؛ ولأنه فِعْل من أفعال الله تعالى، والفعل محدث؛ لأنه لا بد من تَقَدُّمِ فاعله عليه، وما تقدم عليه غيره فهو محدَث بالضرورة.

ومما يدل على حدوثه قول الله تعالى:﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىَ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف:١٢]. وما كان قبلَه غيرهُ فهو محدَث بالضرورة؛ وإنما قال ذلك عزوجل ردًا على الكفار وتكذيبًا لهم حيث قالوا:بأنه إفك قديم. ونظام الآية يشهد بذلك، قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ*وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىَ إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف:١٢،١١]؛ وخبرُهُ تعالى صدق؛ لأنه لو لم يكن صدقًا لكان كذبًا، ولا يجوز أن يكون كذبا؛ لأن الكذب قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح على ما مضى بيانه. يزيد ذلك وضوحا قوله تعالى:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً﴾ [الزمر:٢٣]، فوصفهُ بأنه مُنَزَّلٌ والقديم لا يجوز عليه النزول، وَوَصَفَهُ بأنه حَسَن، والحسن من صفات المحدَث، ووصفهُ بأنه حديث، والحديث يناقض القديم، ووصفهُ بأنه كتاب،

والكتاب هو المجموع؛ ولذلك سُميت الكتيبة كتيبة؛ لاجتماعها، والإجتماع من صفات الْمُحْدَث.

ومما يدل على أنه محدث أنه مفعول؛ لأن الله تعالى سَمَّاه أمرًا فقال:﴿**ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ**﴾ [الطلاق:٥]، وقال:﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً**﴾ [النساء:٤٧]. والمفعول لا محالة محدث.

وقد دلت السنة على ذلك حيث قال النبي ﷺ:((ما أَنزَلَ الله في التَّوراةِ ولا في الزَّبُورِ وَلا في الإنْجيلِ ولا في الفُرقان مثلَ فاتِحَةِ الكتاب، وهي أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وبين عبده، ولعبده ما سأل))[(١)] والقديم لا يوصف بالنزول؛ **فثبت** أنه محدَث؛ وإذا ثبت أنه موجود، وأنَّ لوجوده أوَّلا-فعندنا أنه مخلوق عُرفا وشرعا، فلا يجوز أن يُقال بقدمه؛ إذ هو معجزة لنبينا ﷺ.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:((القرآنُ موجودٌ في ثلاثةِ مواضع:في الصحف مكتوب، وعلى الألسن متلو، وفي القلوب محفوظ)). ويطابق هذا الخبرَ قولُ الله تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ❖ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٨].

ولا يقدح في ذلك أن يقال:إذا كان كلاما وجب عَدَمُه في الوقت الثاني، وإذا قلتم بأنه بَاقٍ كان متنقلاً، وذلك مما لا يصح في الكلام؛ لأنا نقول:إن الدلالة قد

---

(١) أحمد بن حنبل ٨ / ٨ رقم ٢١١٥٢ ، ورقم ٢١٥٣ عن أبي بن كعب . والدارمي في سننه ٢ / ٤٤٦ . والترمذي ٥/ ٢٧٨ رقم ٣١٢٥ ، وصححه . والسيوطي في الدر المنثور ١ / ٢١ وذكر كثير ممن أخرج الحديث.

دلت على أنه باق فيجب الانقياد لها، والقارئ له يشتمل ما يَلفظ به على الحكاية وَالْمَحْكِي، والتلاوة والمتلو، والقراءة والمقرُوء؛ فالمقروء، والمتلُوّ والمحكي فِعْـلُ الله تعالى عُرفًا وشرعًا. والتلاوة والحكاية والقراءة فِعْلُ القارىء والتالي والحاكي؛ ولهذا يثاب على ذلك إذا فعله مع الطهارة من الجنابة، ويعاقب عليه إذا فعله مع فقدها.

وأما الانتقال فإن الأعراض تكون في حكم المنتقلة بانتقال محالها؛ لأن الزعفران والمسك وغيرهما إذا نُقل ذلك من بلد إلى بلد فإنَّ رِيْحَهُ في حكم المنتقل بانتقـال محله وهو الزعفران والمسك ونحوهما، فكذلك نزول القرآن وانتقاله من بلـدة إلى أخرى[(١)].

وأمَّا أنه مخلوق؛ فمعنى وَصْفِنا له بأنه مخلوق أنه مُصَوَّرٌ، مُرَتَّبٌ، مُقَدَّرٌ، مُنَزَّلٌ، على مقدار معلوم، مطابقٌ للمصلحة؛ فهذا هو معنى قولنا:إنه مخلـوق، وقـد ورد وصف ما هذه حالهُ بأنه مخلوق لغة وشرعا:أما اللغة فقال زهير في هرم بن سـنان الغطفاني[(٢)]:

ولأنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُم لا يَفْرِي

أي إنك تقطع ما قدَّرت، وبعضُ القوم يُقَدِّرُ ثم لا يقطع. وقال بعض المتقدمين في اللغة مفتخرًا على غيره:لا أَعِدُ إلاَّ وفيت، ولا أخْلُق إلا فريت[(٣)]، أي لا أقَدِّر إلا

(١) في (ب):من بلد إلى آخر .

(٢) من أجواد العرب في الجاهلية يضرب به المثل ، وهو ممدوح زهير. توفي نحو ١٥ق.هـ. ينظر الأعـلام ٨/٨٢.

(٣) هو قول الحجاج كما في التاج ١٣/١٢١ بلفظ:ما خلقت إلا فريت، وما وعدت إلا وفيت.

وأقطع كما قَدَّرتُ، يعني أنه لا يخطئ في التقدير، ولا يعجِز عن قطع ما قدره. وهذا هو معنى قولنا:بأن القرآن مخلوق؛ لأنه مُصَوَّرٌ مرتب مقدر متزل على مقدار معلوم، مطابقٌ لمصلحة العباد.

وأما الشرع:فقال الله تعالى:﴿فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤]؛ أي المصورين .

وقال في عيسى عليه السلام:﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ [المائدة:١١٠]؛ أي تُقَدِّرُ وتُصَوِّرُ على مقدار معلوم. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((مَا خَلَقَ اللهُ مِن سَمَآءٍ ولا أرضٍ ولا سهل ولا جبل أعْظَمَ من سورة البقرة، وأعظمُ ما فيها آيةُ الكرسي))[1] . وقال صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين:((كَانَ اللهُ ولا شيءَ، ثم خلق الذِّكر))[2]، والذِّكْرُ هو القرآن كما تقدم.

وروى أنس عن عمر بن الخطاب أنه قال:اقرؤوا القرآن ما ائتَلَفْتُم((فإذا أختلفتم فكِلُوه إلى خالقه))؛ ولأن هذا القرآن لا يخلو أن يكون خالقًا أوْ لا. بل هو مخلوق، وهذه قسمة صحيحة لترددها بين النفي والإثبات، ومعلوم أنه ليس بخالق فلم يبق إلا أنه مخلوق، ومن قال:بأنه مخلوق بمعنى أنه مكذوب فهو كافِرٌ برب العالمين؛ فاعرِفْ ذلك أيها المسترشد.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١ / ٥٧٣ عن ابن مسعود . والبيهقي في الأسماء والصفات. والترمذي في سننه ٥ / ١٤٨ برقم ٢٨٨٤.

(٢) الطبراني في الكبير ١٨ / ٢٠٤ رقم ٤٩٩ عن عمران بن حصين.

فصل في الإمامة :وفيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى في ثبوت إمامة علي عليه السلام. **والثانية** في إمامة الحسن والحسين (ع)، **والثالثة** في إثبات الإمامة بعدهما.

المسألة الأولى :ففيها ثلاثة مطالب:

الأول في ثبوت إمامة علي عليه السلام. وثانيها في ذكر طَرَفٍ يسير من فضائله. وثالثها في إيراد ما يحتج به القدرية على إمامة أبي بكر وعمر.

أما المطلب الأول وهو في ثبوت إمامته؛

فأعلم أنا نعتقد أنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل، وأن طريق إمامتِه هي النص، وهذا هو قول جميع الزيدية[1]. **والخلاف** في ذلك مع المعتزلة والحشوية فإنهم ذهبوا إلى أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بن أبي طالب؛ **والذي** يدل على صحة ما ذهبنا إليه وفسادِ ما ذهب إليه المخالفون الكتابُ والسنةُ والإجماعُ.

أما الكتاب: فقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، والكلام في هذه الآية يقع في موضعين: **أحدهما** أنها نازلة في أمير المؤمنين علي عليه السلام. **والثاني** أن ذلك يفيد معنى الإمامة.

---

(١) ينظر تثبيت الوصية والصفوة للإمام زيد، وكتاب تثبيت الوصية للإمام الهادي، وكتاب الدعامة لأبي طالب المطبوع باسم ((نصرة مذاهب الزيدية)) والمنسوب إلى الصاحب ابن عباد.

أما الموضع الأول:وهو أنها نازلة في علي عليه السلام وجهان:**أحدهما** إجماع أهل النقل على أن المراد بها علي عليه السلام، وأنها نزلت فيه مع تباين أغراضهم إلاَّ من لا يعتد به، وأجمعوا على أنه المتصدق بخاتمه في ركوعه دون غيره. فإن قيل:أين ذكره المخالفون؟ قلنا:هو مذكور في كتاب الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري، فإنه روى أنها نزلت في علي عليه السلام، وأنه المتصدق بخاتمه في حال ركوعه في الصلاة. وهو مذكور في كتاب ابن المغازلي؛ فإنه ذكر في تفسير هذه الآية ما رواه بإسناده إلى عبدالله بن عباس أنه قال:إن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام في قوله:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [المائدة:٥٥]، قال الذين آمنوا علي بن أبي طالب[(١)].

وروى ابن المغازلي أيضا وهو الفقيه الشافعي أبو الحسن علي بن محمد الطيب المعروف بالمغازلي الواسطى[(٢)] ما رفعه بإسناده إلى ابن عباس أنه قال:مَرَّ سائل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده خاتم فقال:((مَنْ أَعْطَاكَ هَذَا الْخَاتَمَ؟))، قال:ذلك الراكع، وكان علي يصلي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((الْحَمْدُ لِله الذي جَعَلَهَا فيَّ وفِي أهل بيتي ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وتلى الآية[(٣)].

---

(١) ص١٩٣ رقم ٣٥٤-٣٥٨ . وشواهد التتريل ١ / ١٦١ برقم ٢١٦ إلى رقم ٢٢٠. وذخائر العقبى ص٨٨ . وأسباب الترول للواحدي ص١٦٨.

(٢) فاضل عالم برجالات واسط وحديثهم، وكان حريصا على سماع الحديث وطلبه ت٤٨٠هـ وله كتاب في مناقب الشافعي. والأربعين في فضائل قريش، والقضاء والشهادات على مذهب الشافعي شرح الجامع الصحيح للبخاري. وكتاب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .انظر ترجمته في مقدمة المناقب ص٩.

(٣) ص١٩٤ . وشمس الأخبار ١ / ١٠١ بألفاظ مقاربه . وشواهد التتريل ١ / ١٦٦ من رقم ٢٢٣-٢٣٠ . وأسباب الترول للواحدي ص١٦٨. و روح المعاني مج٤ ج٦ ص٢٤٤-٢٤٥.

وهو مذكور أيضا في تفسير الثعلبي-وهو الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي[(١)] فإنه روى فيه ما رفعهُ بإسناده إلى السُّدي[(٢)] وغالب ابن عبدالله ما لفظه:إنَّما عنى بقوله سبحانه وتعالى:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]-عليَّ بن أبي طالب؛ لأنه مَرَّ بِهِ سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه[(٣)].

وروى الثعلبي بإسناده أيضا إلى عبدالله ابن عباس أنه قال:بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول:قال رسول الله ﷺ إذْ أقبل رجل معتم بعمامة [مُتَلَثِّم][(٤)]؛ فجعل ابن عباس لا يقول:قال رسول الله، إلا وقال الرجل:قال رسول الله؛ فقال له ابن عباس:سألتك بالله من أنت؟ فكشف عن وجهه، وقال:يا أيها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جُنْدب ابن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فَصُمَّتا، ورأيته بهاتين وإلا فعَمِيَتَا يقول:((عليٌّ قائدُ البَرَرة، وقاتل الكفرة، منصورٌ مَنْ نصره، مخذولٌ مَنْ خَذَلَه))، أما

---

(١) كان حافظًا مفسرًا وأحد أوعية العلم، بصيرًا بالعربية، طويل الباع في الوعظ، صحيح النقل، كثير الشيوخ، كثير الحديث، موثوق فيه . ت٤٢٧هـ، **وله** التفسير المسمى الكشف والبيان عن تفسير القرآن، وربيع المذاكرين، وكتاب العرائس في قصص الأنبياء. **ينظر** سير أعلام النبلاء ١٧/٤٣٥، ومعجم الأدباء مج٣ ج٥ ص٣٦. ووفيات الأعيان ١/ ٢٢ .

(٢) وعتبه بن أبي حكيم. ساقط من النسخ وأثبتناه من العمدة.

(٣) أنظر العمدة لابن البطريق ١٦٧ وعزاه إلى الثعلبي. والدر المنثور ٢ / ٥١٩ . والطبري ٤ / ٣٨٩ . والزمخشري ١ / ٦٤٩ ، والفتوحات الإلهية ١٢ / ٥٠٤ . والميزان ٦ / ٢١ . والقرطبي مج٣ ج٦ ص١٤٤.

(٤) ما بين القوسين زيادة من (ب) .وهي بين السطور في الأصل وعليها ظ.

أني صليتُ مع رسول الله ﷺ يوما من الأيام صلاةَ الظهــر، فــسأل ســائل في المسجد فلم يُعْطِه أحد، فرفع السائل يدهُ إلى السماء، وقال:اللهم اشهد أني ســألتُ في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئًا، وكان علي راكعًا؛ فأومــأ بخنــصره اليمنى–وكان يتختم فيها–فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعــين رسول الله ﷺ. فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال:اللهم إن موسى سأل فقال:﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيَ أَمْرِي﴾ [طـه:٢٥-٣٢]؛ فأنزلت عليه:﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص:٣٥]، ((اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري وأجعــل لي وزيرا من أهلي عليا أشدد به ظهري)). قال أبوذر:فما استتم رســول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبريل عليه السلام من عند الله تعالى فقال:يا محمد اقرأ، فقال:ومــا أقرأ؟ قال اقــرأ:﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1] [المائدة:٥٥]، فما عُذْرُ المخالفين لنا مــع شــهادة أئمتهم بأنها نازلة في علي عليه السلام؟.

---

(١) الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ١/١٢٢. ٣/١٤١. والشبلنجي في نور الأبصار ص٨٦. والعمدة لابــن البطريق ص١٦٨، وكل واحد منهم عزاه إلى الثعلبي في التفسير. وأخرج الطبرسي في مجمع البيــان ٣/٣٦١ ما يوافق هذه الرواية. أقول:قد أجمع المفسرون على نزول الآية في علي (ع) فلا حاجة لسرد الروايات الــتي لا تفيد شيئا سوى الحشو وخلط السليم بالسقيم.

واعلم أيها المسترشد أنا قد جعلنا الرواية مضافة إلى هؤلاء الرواة ونسبناها إلى كتبهم؛ لاشتهار كتبهم عندهم؛ فإن الصحاح مشهورة، والفقهاءُ عن يدٍ يعتمدون على ما فيها، فَأَلْزَمْنَا الخصوم قبولَ رواية أهل مذهبهم وأئمتهم ليكـــون أبلـــغ في الاحتجاج، وَتَنَكَّبْنَا عن[1] طريق رواية أهل البيت (ع) وشيعتهم الهداة الأعلام على اتساع نطاقها، وثبوت ساقها؛ ليعلمَ المستبصرُ أن طريق الحق واضـــحة، وأعلامـــه لائحة.

فإذا كان المخالفون يروون في كتبهم أن هذه الآية نازلةٌ في علي عليه السلام مع رواية سائر الموافقين- اتضح بذلك الكلامُ في الوجه الأول وهو أنها نازلة في علي عليه السلام.

الوجه الثاني: أنه لا يجوز أن يكون المراد بها غيرَه؛ لأن الله تعالى وصف الوليَّ في هذه الآية بصفةٍ لم توجد إلا في علي عليه السلام، وهي الصدقة بخاتمه في حال الركـــوع، ولا يقدح في ذلك كونُ اللفْظ لفظَ الْجَمْعِ في قوله:﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ إلى أخـــره؛ لأنه إنما ورد بلفظ الجمع تفخيما لشانه وتعظيما لحاله، وقد قال تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ؛ فذكر لفظ الجمـــع هاهنـــا في خمـــسة مواضع، والمرادُ الحكيمُ تعالى وَحْدَه، ومثلُهُ كثير في اللغة العربية. **وجَهٌ ثالث** وهـــو أن المعطوف يقتضي غير المعطوف عليه بالاتفاق بين أهل اللغة العربيـــة، وبعـــضه للتفخيم عندنا على خلافٍ في ذلك مع الإطباق على الأول، فإذا لم يَجُزْ عطـــفُ قوله:﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ على جميع مَنْ أريد بالضمير في قوله:﴿وَلِيُّكُمُ﴾[2]، وَحُمِلَ

(١) في (ب): بحذف ((عن)).

(٢) يحقق كلام الأمير هنا:فليس وليكم معطوفًا ولا معطوفًا عليه، وإنما المعطوف عليـــه الله، والمعطوفـــان

على الغير المتفق عليه، أو البعض المختلف فيه-فالغيرُ أو البعضُ المختلــفُ فيــه لا يكون إلا أميرَ المؤمنين عليه السلام. ومما يزيد ذلك وضوحًا أن الآية أفادت مُخَاطِبًا هو الله تعالى، وَمُخَاطِبًا هم المؤمنون، وَوَلِيًّا هو اللهُ ورسولُه وأميرُ المؤمنين، وثبت بــذلك الموضع الأول وهو في أنها نازلة في أمير المؤمنين.

وأما الموضع الثاني:وهو أن ذلك يفيد معنى الإمامة؛ فالذي يدل على ذلك أن السابق إلى الأفهام من معنى لفظةِ **وَلِيٍّ** هو المالك للتصرف، كما يقــال:هــذا ولي المرأة، وولي اليتيم، الذي يملك التصرف عليهما فلما كان الله تعالى مالكا للتصرف في عباده، وكذلك الرسول-وجب مثلُ ذلك لأمير المومنين.

ووجه آخر[(١)] وهو أنا لو سل منا أن لفظة **ولي** ليست بحقيقة مفــردة فيمــا ذكرناه[(٢)] بل مشتركةً في المالك للتصرف وفي غيره من سائر معانيها؛ فإنه لا يخلــو [إما][(٣)] أن تُحْمَلَ على جميع معانيها-دخل فيها المالك للتصرف، وفي ذلك ثبوت الإمامة، **أولا** تحمل على شيء من معانيها وذلك محال؛ لأنه يلحق كلام الحكــيم تعالى بالْهَذَر والعبث [الذي لافائدة فيه، أو تُحمل على بعضٍ منها مُعَيَّنٍ دون بعض

رسوله والذين آمنوا والأولى أن يقال:أفادت أن ثمة مولى ومولى عليــه، وهــو ضــمير المخــاطبين في قوله:﴿وَلِيّكُمُ﴾، ولا يمكن أن يكون المولى والمولى عليه واحدًا، ولعل هذا هو مقصود الأمــير الحــسين عليه السلام، فسبق ذهنه إلى العطف سهوًا ، والله ولي التوفيق. تمت مولانا مجد الدين.

(١) في (ب) و (ج): وجه.

(٢) في (ب) ، (ج):ذكرنا .

(٣) زيادة من (ب) . ظ .

من غير مُخَصَّصٍ فهذا لا يجوز؛ لأنه يكون إثباتا للأحكام] [1] بغير دلالة. وذلـــك يفتح باب كل جهالة.

شبهة أَوْرَدَهَا الطرثيثي [2] المعتزلي على الاحتجاج بهذه الآية، وهي أنه قال مـــا لفظهُ:والذي يُصَحِّحُ ذلك، يعني أنها لا تدل على الإمامة أنَّ قولــه تعـــالى:﴿إِنَّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ﴾، لا يجوز أن يكون أراد به إمَامَكم الله.

والجواب:أنَّ هذا عدول عن الانصاف، وركوبٌ لمتن الخلاف، فإن أحدا مـــن الزيدية لم يقل بأنها تفيد لفظ الإمامة فيلزمهم هذا الاعتراض، وحينئذ لا محـــيصَ [3] لهم منه. وإنَّما قلنا:بأنه يُفيد ملك التصرف الذي هو معنى الإمامة، ولا مانع مـــن ذلك فكأنه [4] سبحانه قال:إنما المالكُ التصرف [5] عليكم الله ورسولُه وعليٌّ بـــن أبي طالب فلا يختل معنى الآية، ولا يفسد نظمها، وبذلك تزول شبهَتُه، وتسقط حجته والحمد لله سبحانه.

وأما السنة:فكثير نحو خَبَر الغدير، وهو قول النبي ﷺ لَمَّا خطـــب النـــاس بغدير خم:((أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ))؟، قالوا:بلى يا رسولَ الله، قال:((فَمَنْ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ب) .

(٢) الطريثيثي نسبة إلى طريثيث بلدة بناحية نيسابور، وفي (ب):الطريقي نسبة إلى علي بن المنذر الطريقي مـــن أئمة الكوفة.

(٣) في (ب) و (ج): مخلص . كأنها كانت في (أ) مخلص ثم نقط اللام بنقطتين من أسفل بدليل وجود نقطة فوق الخاء . ومعنى مخلص أو محيص متقارب.

(٤) في (ب):وكأنه .

(٥) في (ب) و (ج):للتصرف .

كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ))، وقد روى هذا الخبرَ المخالفون في كتبهم أيضًا[1] .

فروى ابن المغازلي ما رفعه باسناده إلى الوليد بن صالح عن ابْنِ امْرأةِ زيد بن أرقم قال:أقبل نبي الله ﷺ من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، فأمر بِالدَّوْحَاتِ فَقُمَّ ما تحتهن من شوك، ثم نادى:الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر وإنَّ[2] مِنَّا لَمَنْ يضع رداءه على رأسه وبعضه[3] تحت قدميه من شده الحر حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ، فصلى بنا الظهر، ثم انصرف إلينا فقال:((الحمد لله نَحمَدهُ ونستعينُه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هاديَ لمن أَضَلَّ ولا مُضِلَّ لمن هدى، وأشهد أن لاَّ إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسوله. أما بعد:أيها الناس، فإنه لم يكن لنبي من العُمُر إلا نِصْفُ ما عُمِّر مَنْ قَبْلَه، وإنَّ عيسى

---

(١) مسند أحمد ج١ص١٨٢ رقم٦٤١ ورقم ٩٥٠ ورقم٩٦٤ ورقم١٣١٠ مسند علي. ومجمع الزوائد ج٩ص١٠٣ ، ١٠٤ ومابعدها، بروايات عديدة. وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء ص٦٣١-٦٣٢. وتذكرة الحفاظ ج١ص١٠. وابن حبان المذكور رقم ٦٨٩٢. وأمالي أحمد بن عيسى ج٤ ص٣١٠. وكتر العمال ج١١ص٣٣٢ رقم٣١٦٦٢. وقد ساقه في مواضع كثيرة جدا من نفس الجزء، وأجزاء أخرى. والمستدرك ج٣ص١٣٤. وينظر مختصر زوائد مسند البزار ج٢ص٣٠٢ ومابعدها رقم١٩٠٠ وساق روايات من طرق متعددة. والمسند لأبي سعيد الشاشي ج١ص١٦٦. والبداية والنهاية لابن كثير مج٤ ج٧ص٣٨٣ ومابعدها. وهو من المتواتر. وقد صنف الشيخ عبدالحسين الأميني موسوعة بحالها في شأن حديث الغدير هذا سَمَّاه ((الغدير في الكتاب والسنة والأدب)) خصص الجزء الأول لطرق حديث الغدير، ثم ظل يلاحق الغدير في الشعر والنثر حسب الطبقات-طبع منه ١١مجلدا-الطبعة الرابعة- دار الكتاب العربي-بيروت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٢) في جميع النسخ:إن، وأثبتنا ما في المناقب لابن المغازلي .

(٣) في الأصل و (ب):ويضعه، وأثبتنا في المناقب و (ج) وهو الأصح .

بنَ مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أَشْرَعْتُ في العشرين، وإني أوشـك أنْ أُفَارِقَكم، ألا وإني مسئولٌ وأنتم مسؤلون فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟)).

فقام من كل ناحيةٍ منَ القوم مُجيبٌ يقولون:نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلَّغت رسالاته وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتـاك الـيقين، جزاك الله عنا خيرَ ما جزى نَبِيًّا عن أمته؛ فقال:((ألستُم تشهدونَ أن لا إلَه إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ الجنةَّ حَقٌّ، وأنَّ النارَ حَـقٌّ، وتؤمنون بالكتاب كُلِّه؟، قالوا:بلَى، قال:أَشْهَدُ أَنَّكُم قد صَدَقْتُم وصدَّ قتمـوني، ألا وإني فَرَطُكُم وأنكم تَبَعِي يوشك أن تَرِدُوا عليَّ الحوض فَأَسْأَلَكُم حين تلقوني عـن ثَقَلَيَّ، كيف خَلَفْتُمُوني فيهما؟))، قالوا:فاعتلَّ[(١)] علينا ماندري ما الثقلان؟.

حتى قام رجل من المهاجرينَ قال[(٢)]:بأبي وأمي أنت[(٣)] يارسول الله ما الثقلان؟، فقال:((الأكبرُ منهما:كتابُ الله سَبَبٌ؛ طَرَفٌ بيد الله تعالى، وَطَـرَفٌ بأيـديكم؛ فَتَمَسَّكُوا به ولا تَوَلَّوا فتضِلُّوا، والأصْغَرُ منهما:عِتْرَتِي، مَنِ استقبلَ قِبْلَتِي وأجـاب دعوتي فلا تَقْتُلوهم، ولا تَقْهَرُوهُمْ، ولا تُقَصِّرُوا عنهم، فإني قد سـألتُ لهمـا[(٤)] اللطيفَ الخبيرَ فأعطاني، ناصِرُهما لي نَاصِرٌ، وخَاذِلُهُما لِي خَاذِلٌ، ووليُّهُما لِيْ وَلِيٌّ، وَعَدُوُّهُمَا لِي عَدُوٌّ، ألا فإنها[(٥)] لم تَهْلِك أُمَّةٌ قَبْلَكُمْ حتى تَدْينَ بأهوائهـا، وتظـاهَر

---

(١) في (ج):فأعيل. وهو كذلك في المناقب .
(٢) في (ب):فقال .
(٣) في (ب):بأبي أنت وأمي .
(٤) في المناقب: لهم .
(٥) في المناقب:وإنها . وفي (ب):بدون ألا .

عَلَى نُبُوَّتِها، وتقتُلَ مَنْ قام بالقسط منها)) ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فرفعها، وقال:((مَنْ كُنْتُ وَلِيُّهُ؛ فهذا وَلِيُّه[1]، اللهم وَالِ مَنْ وَالاَهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ))[2]. والكلام في هذا الخبر يقع في موضعين:**أحدهما:**في صحته في نفسه. **والثاني:**أنه يفيد معنى الإمامة.

أما الموضع الأول:وهو في صحته في نفسه؛ **فالذي** يدل على ذلك أنَّ هذا التفصيلَ الأخيرَ الذي رواه ابن المغازلي قد ورد تفصيلُه في الصحاح ما يَخْتَصُّ أهلَ البيتِ مُفْرَدًا، وما يختص بحديث ولايةِ علي عليه السلام وَحْدَهُ أيضا، ورواه أيضا بطريقٍ أُخرى كالأول. وفيه زيادةُ قولِ عمر بن الخطاب:بَخٍ بَخٍ[3] لك يا ابن أبي طالب أصبحتَ مولاي ومولى كُلِّ مؤمن ومؤمنة؛ قال:فأنزل الله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣][4].

وروى أيضا مثلَ هذا الخبر رَفَعه إلى اثني عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم سرد الخبر[5]. ورفعَ الحديثَ أيضًا مُفَرَّعًا إلى مائةٍ من أصْحَاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم-منهم العشرة-وَمَتْنُ الْحَدِيثِ فيها واحِدٌ، ومعناه واحد، وفيه زياداتٌ نافعةٌ

---

(١) في المناقب: من كنت مولاه فهذا مولاه، ومن كنت وليه فهذا وليه .

(٢) المناقب ص٢٩ برقم ٢٣ . قالها ثلاثا .

(٣) بَخْ:كلمة مدح، وتَكَرَّر للمبالغة بخ بخ ، وتخفض وتنون للوصل بخٍ بخٍ.

(٤) المناقب ص٣١ برقم ٢٤ . والعمدة لابن البطريق ١ / ١٣٩ . وأحمد بن حنبل في مسنده ٦ / ٤٠١ برقم ١٨٥٠٦ بطريقين إلى البراء بن عازب ، وبلفظ مقارب. شواهد التنزيل ج١ص١٥٦.

(٥) انظر المناقب لابن المغازلي ص٣١-٣٦ .

في أوَّلِ الحديث وآخِره، وسلك فيه[1] اثني عشرة طريقًا، بعضُها يؤدي إلى غيرِ ما أدَّى إليه صاحبُه من أسماءِ الرجال الْمُتَّصِلين بالنبي ﷺ. وقد ذكر محمد بن جريرالطبري[2] صاحبُ التاريخ خبرَ يوم الغدير وَطُرُقَه من خمسٍ وسبعين طريقًا[3]، وأفردَ له كتابًا سَمَّاه كتاب الولاية. وذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة خبرَ يوم الغدير وأفردَ له كتابًا. وَطُرُقُه من مائة طريق وَخَمْسِ طُرُق.

ذكر جميعَ ذلك الإمامُ المنصور بالله[4] عليه السلام، وَصَحَّتِ الروايةُ في ذلك لنا عنه. ولا شك ولا إشكال في بلوغه حَدَّ التواتر وحصولِ العلم به. والأُمَّةُ بين مُحْتَجٍّ به على الإمامة، وَمُتَأَوِّلٍ فيه، إلا مَنْ كابَرَ وركب متن العناد. وقد تنكَّبنا طريقَ رواية العترة (ع)، وشيعتِهم الهداة الأعلام لهذا الخبر؛ لأنا أردنا إلزام الحجة للمخالفين بما رواه علماؤُهم، وشهد بصحته كتبُ الصحاح، وإلاَّ فروايةُ العترة وشيعتهم فوقَ ما حكيناه عن غيرهم؛ لأنهم أهلُ هذا الشان، وهم أهل الجري في هذا الميدان، فهذا هو الكلام في الموضع الأول وهو الكلام في صحة هذا الخبر في نفسه.

وأما الموضع الثاني: وهو أَنَّهُ يفيد معنى الإمامة، فماورد في هذا الخبر بلفظ

---

(١) في (ب):ويسلك فيه إلى اثني عشر. وما في الأصل أصح .

(٢) محمد بن جرير الطبري محدث، فقيه ، مقرئ، مفسر ، مؤرخ ، ولد سنة ٢٢٤ ، وتوفي يوم السبت في شوال سنة ٣١٠. معجم الأدبآء ج١٨ ص٤٠ ، وله تاريخ الأمم والملوك ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن.

(٣) قال ياقوت في معجم الأدبآء ج١٨ ص٨٠ من ترجمته:وله كتاب فضائل الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم ثم تلاه بالفضائل و لم يتم .

(٤) ينظر الشافي: ١ / ١١٧.

الولي؛ فالذي يدل على أنه يفيد معنى الإمامة مثلَ ما قدمناه[(١)] في لفظ ولي في الآية فلا فائدة في التكرار.

وأما ما ورد بلفظ مولى، فاعلم أن أكثر ما قيل أو وُجِد في لفظةِ مولى:إنها تحتمل عشرةَ معانٍ[(٢)] أوَّلُها:**الأوْلَى** وذلك ثابت في اللغة لا يُنْكِرُ ذلك مَنْ له أدنى مسكة من معرفة، وقد ذكر ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى[(٣)] في تفسير قوله:﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد:١٥]، قال:معنى مولاكم:أي هي أولى بكم على ما جاء في التفسير[(٤)]، واستشهد بقول لَبِيد[(٥)]:

---

(١) في (ب) ، (ج): قدمنا

(٢) ينظر المعنى اللغوي لكلمة (مولى) في اللغة:الأضداد ص٤٦ للأنباري فقد ذكر جميع ما استشهد به الأمير من الأشعار . والعمدة لابن البطريق ص١٥٨.

(٣) التيمي بالولاء، ولد بالبصرة سنة١١٠ . أديب لغوي ، نحوي ، عالم بالبعيد والقريب والأخبار . ت ٢٠٩هـ. وله معاني القرآن ، ونقائض جرير والفرزدق ، ومقاتل الفرسان . ينظر في ترجمته تارخ بغداد ١٣ / ٢٥٢ . ووفيات الأعيان ٢/١٠٥ . ومعجم المؤلفين ٣ / ٩٠١ .

(٤) غريب القرآن للإمام زيد ص٣٢٤ ، وأشار بهامشه ابن قتيبة في تفسيره غريب القرآن ص٤٥٣. ومجمع البيان ج٩ص٣٩٢. والكشاف ٤/٤٧٦ . والطبري في تفسيره مج١٣ ج٢٧ ص٢٩٦ .

(٥) شرح ديوانه ٣١٣. لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من أهل عالية نجد أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ ويعد من أصحابه ومن المؤلفة قلوبهم وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا ، قيل هو:

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه		والمرء يُصلِحه الجليس الصالح

وسكن الكوفة وعاش مائة وسبعة وخمسين سنة وهو أحد أصحاب المعلقات ومطلع معلقته:

عَفَتِ الديار محلها فمقامها		بمنى تأبد غولها فرجامها

وكان كريمًا. جمع بعض شعره في:ديوان صغير، ترجم إلى الألمانية . ت٤١هـ . ٦٦١م . ينظر الأعلام

مَوْلَى الْمَخَافَــةِ خَلْفَهَــا		فَغَدَتْ كِلاَ الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ

مَعْنَاهُ:أَوْلَى بالمخافة. يريد أن هذه الظبية تحيرت فلم تدر أخلفها أولى بالمخافــة أو أَمَامَهَا[2] ؟. وبقول الأخطل[3] في عبد الملك بن مروان[4] :

وأحرى قــريشٍ أن تُهَــابَ		فَأَصْبَحَتْ مَوْلاَهَا من النـــاس

فخاطبه بلفظة مولى، وهو عند نفسه خليفةٌ مطاعُ الأمرِ من حيـــث اخـــتص بالمعنى الذي احتمله، وليس أبو عبيدة مُتَّهمًا بالتقصير في علم اللغة، ولا مظنونا به الْمَيْلُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام بل هو معدود في جملة الخوارج. وقد شاركه في هـــذا التفسير ابن قتيبة[5]، ومعلوم أنه لا ميلَ له إليه، بل هو مائلٌ عنه عليه السلام، إلاَّ أنه لـــو

٥/٢٤٠. والمعارف ص٣٣٢.

(١) مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة ٢/٩٠٣.

(٢) حاشية في الكشاف ٤ / ٤٧٦.

(٣) هو غياث بن غوث التغلبي ، شاعر مشهور ولد سنة ١٩هـ ، ومات نصرانيًا سنة٩٠هـــ، وكـــان مقدما عند خلفاء بني أمية ، لمدحه لهم وانقطاعه إليهم ، ومدح معاوية وابنه يزيد وهجا الأنصار رضـــي الله عنهم . تهاجى مع جرير والفرزدق وتناقل الرواة شعره . انظر خزانـــة الأدب ١ / ٤٦١ . ومعجـــم المؤلفين ٢ / ٦٠٥.

(٤) هو أحد جبابرة بني أمية ولد سنة٢٦هـــ استعمله معاوية على المدينة وهو في ١٦سنة، تولى الملك بعـــد أبيه ٢١ سنة ، وبعده أربعة من أولاده . قال الذهبي:أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل، وهـــو الذي ولى الحجاج العراق والحجاز واليمن. ت٨٦هـــ . ينظر ميزان الاعتدال ٢ / ١٥٣ ، وتاريخ بغـــداد ١٠/ ٣٨٨.

(٥) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ولد سنة ٢١٣هـــ. ولـــه مـــشاركه في جميـــع العلـــوم ت٢٦٧هـــ، وله غريب القرآن ومعانيه ، وغريب الحـــديث، وأدب الكاتـــب، والإمامـــة والـــسياسة، والمعارف ، وغيرها . أنظر معجم المؤلفين ٢ / ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ١ / ٣١٤ . وتاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ .

علم أن الحق في غيره لقاله[1]. وقال الكلبي في قولــه تعـــالى:﴿مَأْوَاكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾؛ قال:هي أولى بكم[2]. وقد حصل من ذلك غرضنا. ويدل على ذلـــك قول الله تعالى:﴿وَلِكُلّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأقْرَبُونَ﴾ [النساء:٣٣]، ولا خلاف بين المفسرين أنَّ المراد بالموالي من كان أَمْلَكَ بالميراث وأولى بحيازته وَأحقَّ به. وقال الفَرَّا:إن الولي والمولى في لغة العرب واحد، ومثله ذكر الأنباري[3] أيضا، وقرأ عبدالله بن مسعود:﴿إن ما مولاكم الله ورسوله﴾ في الآية الأولى مكانَ ﴿إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾[4].

وفي الحديث:((أَيُّما امْرأَةٍ تَزَوَّجَتْ بغيرِ إِذْنِ مَوْلاَهَـــا فنكاحُهـــا باطـــل))[5]، والمعلوم أنَّ المراد وليُّها الذي هو أولى الناس بها. وذكر المبرد أن الولي هو الأحَـــقُّ والأولى، قال:ومثله المولى.

والمعنى الثاني:في لفظة[6] مولى-مالكُ الرِّق. قال الله سبحانه:﴿وَهُوَ كَلّ عَلَىَ مَوْلاهُ﴾ [النحل:٧٦]، أي مَالِكُ رِقِّه، وهو ظاهر.

---

(١) كما فعل في كتابه الإمامة والسياسة مما جعل الكثير يحاول إنكار نسبته إليه.

(٢) ذكر ذلك الرازي في تفسيره مج١٥ ج٢٩ ص٢٢٨ ، حيث قال الكلبي:يعني أولى بكم، وهـــو قـــول الزجاج، والفراء ، وأبي عبيدة.

(٣) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري صاحب الأضداد. ولد ببغداد عام ٢٧١هـــ. أحد أعلام الأدب في عصره، وإمام في النحو واللغة والتفسير، وكان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شـــاهدا في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيرًا بأسانيدها ت٣٢٧هـــ. ومن آثـــاره الأضـــداد ، والأمـــالي، والسبع الطوال، وغيرها. ينظر معجم الأدباء ٣٠٦/١٨. وتاريخ بغداد ١٨١/٣.

(٤) الدر المصون ٣١٣/٤.

(٥) أخرجه الحاكم ٢ / ١٦٨. .

(٦) في (ب): لفظ.

والمعنى الثالث: الْمُعْتِقُ، وهذا واضح. **والمعنى الرابعُ:** الْمُعْتَقُ، وهو كذلك أيضا.

والمعنى الخامسُ: ابنُ العم. قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآئِي ﴾ [مريم:٥] يعني بني العم. ومنه قول الفضل بن العباس[1] العباسي[2]:

مَهْلاً بَنِي عَمِّنا مَهْلاً مَوَالِينَا		لاَ تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَـــا كـــانَ

والمعنى السادسُ: الناصر؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم:٤]، **أي ناصره** .

وقـــال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد:١١] يريد: لا ناصر لهم.

والمعنى السابع: الْمُتَوَلِّي الْمُتَضَمِّنُ الجريرة، وتحوز الميراثِ، قد ذكـــره بعـــض الناس. **والمعنى الثامن:** الْحَلِيفُ. قال الشاعر[4]:

* مَوَالِي حِلْفٍ لا مَوالِي قَرابـــة *

وقال آخر:

كانُوا مَوالِي حِلْفٍ يَطْلُبُـــون		فأدركوه ومـــا مَلُّـــو ولا

---

(١) في (ب) و (ج): عباس.

(٢) ليس من بني العباس بل هو الفضل بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب، شاعر من فصحاء قـــريش، كـــان معاصرًا للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار في مدح عبدالملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أمويًّـــا. ت٩٥هـــ. ينظر الأعلام للزركلي ٥/١٥٠ .

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١١/٥٣.

(٤) هو الجعدي . وعجزه: ولكِنْ قَطِينًا يَسْأَلُونَ الأَتَاوِيَا. تاج العروس ٢٠/٣١١.

(٥) في الأضداد: ولعبوا .

والمعنى التاسع:الجارُ. قال الشاعر:**مولى اليمين ومولى الجار والنَّسَب**

والمعنى العاشر:الإمامُ السيد المطاع. قال الإمام المنصور بالله عليه السلام[1]:وهذه الأقسام التسعة بعد الأَوْلَى [هو الأول] إذا تُؤمّل المعنى فيها وُجِدَ رَاجِعًا إلى معنى الأَوْلى؛ لأنَّ مالك الرق لَمَّا كان أولى بتدبير عبده من غيره كان مولاه دون غيره. والْمُعْتَقُ لَمَّا كان أولى بميراث الْمُعْتَقِ من غيره كان لذلك مولاه. والْمُعْتَقُ لَمَّا كان أولى بمعتِقه في تحمل جريرته وألصقَ به من غيره كان لذلك مولاه. وابنُ العم لَمَّا كان أولى بالميراث مِمَّن بَعْدُ عن نسبه وأولى بنصرة ابن عمه من الأجنبي -كان مولاه لأجل ذلك. والناصرُ لَمَّا اختص بالنصرة فصار بها أولى -كان من أجل ذلك مولى. والمتولي المتضمنُ الجريرةَ[2] لَمَّا ألزم نفسه ما يَلْزَمُ المعتِق كان بذلك أولى مِمَّن لم يقبل الوَلَى، وصار به أولى بميراثه فكان لذلك مولى. والحليف لاحِقٌ في معناه بالمتولى؛ فلهذا السبب كان مولى. والجارُ لَمَّا كان أولى بنصرةِ جَارَه ممن بَعُدَ عن داره، وأولى بالشفعة في عقاره؛ فلذلك صار مولى. والإمام السيد المطاع لَمَّا كان بتدبير الرعية، وملك التصرف عليهم وَطاعتهم له مِمَّا يُمَاثل الواجبَ بملك الرِّق- كان لذلك مولى؛ فصارت جميعُ هذه المعاني كما ترى ترجع إلى معنى الوجه الأول وتكشف عن صحة معناه على الوجه الذي ذكرناه في حقيقته، ووصفناه تم كلامه عليه السلام.

وإذا ثبت ذلك فإنه يفيد معنى الإمامة؛ لأنا لا نعني بقولنا:فلان إمام إلا أنه أولى

---

(١) الشافي ١/ ١١٩ .

(٢) كان في الأصل كما هو مثبت ثم أصلحها:والمتولي لِيَضْمَن الجريرة .

من غيره بالتصرف على الكافة في أمور مخصوصة وبتنفيذ أحكام معلومةٍ.

يزيد ذلك بيانا ماحدثني به أبي وسيدي بدر الدين الداعي إلى الحق المبين عماد المحققين شيخ العترة محمد بن أحمد رضي الله عنه بإسناده إلى الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين قدس الله روحه يرفعه بإسناده إلى الصادق جعفر بن الباقر محمد بن علي (ع) أنه سُئِل:ما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لعلي عليه السلام:((مَنْ كُنتُ مَولاه فَعَلِيٌّ مولاه))؟ فقال:سُئِلَ عنها والله رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:((اللهُ مَولايَ أَوْلَى بِي مِنْ نفسي لا أمْرَ لِي معه، وأنا مولى المؤمنين أَوْلَى بهم من أنفسهم لا أمْرَ لهم معي، وَمَنْ كنتُ مولاه أَوْلَى به من نفسه لا أمْرَ لَه معي فعليٌّ مولاه أَوْلَى به مِنْ نَفْسِه لا أمْرَ له معه))[1]. وهذا[2] تصريح بمعنى الخبر وأن المراد به إثباتُ الإمامة لعلي عليه السلام. وقد بسط علمآؤنا رحمهم الله الكلام في الاستدلال بهذا الخبر على إمامة علي عليه السلام، كالمنازل الخمس وغيرها بما يشفى غليل الصدور.

ومن جملة الأدلة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة السنة أيضا[3] خبر المنزلة وهو مجمع على صحته، وغير مختلف في ثبوته، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:((أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ من موسى إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بَعْدِي))[4]؛ فَلَمَّا استثنى

---

(١) الأمالي الصغرى ص١٠٢ . رقم٨ .

(٢) في (ب):هذا .

(٣) في (ب):بدون أيضًا .

(٤) ورد بألفاظ كثيرة. فينظر الأحكام ١/ ٣٨ للهادي. والأمالي الصغرى ص١٠٤. والبخاري ٣/١٣٥٩ رقم ٣٥٠٣، ورقم ٤١٥٤ . ومسلم ٤/١٨٧٠ رقم ٢٤٠٤ . والطبراني في الأوسط ٣/١٣٨ برقم ٢٧٢٨. ٥/٢٨٧ برقم ٥٣٣٥ ، وغيرها . والترمذي ٥/٥٩٩ برقم ٣٧٣٠ -٣٧٣١ . وأحمد بن حنبل ١/ ٣٩١رقم١٦٠٨، ١٠/٤١٢ رقم٢٧٥٣٧. وهو متواتر.

النبوة عرفنا أنه لو لم يستثنها لدخلت في غرضه بالخطاب؛ فدل على أنه دخـــل في غرضه كُلُّ ما عداها. **ومن** جُملةِ ذلك مِلْكُ التصرف على الأمة؛ فإنه لا خـــلاف بين الأمة في[1] أن هارون لو بقي بعد موسى لكان هو المالك للتصرف على أمتـــه، فيجب ثبوت ذلك لعلي عليه السلام وذلك هو معنى الإمامة، فإنا لا نعنى بقولنا:فلان إمام إلاَّ أنه يَمْلِك التصرف على الكآفّة،كما تقدم في أمورٍ مخصوصة، وتنفيذِ أحكـــام معلومة، وهذا واضح.

وجه ثالث: مما يدل على إمامته عليه السلام وهو أنَّ خبر المترلة وخبر الغدير جميعًا يدل كل واحد منهما على ثبوتِ عِصْمَتِهِ[2]، والقطعِ على مُغَيَّبِهِ،[3] ووجوبِ موالاتـــه، وتحريم معاداته، وكونه أفضلَ الأُمَّةَ بَعْدَ رسولها صلى الله عليه وآله وسلم؛ فلهذا قلنا:إن عليًّا عليه السلام أولى بالإمامة من سائر الصحابة (رض) لوجهين:**أحدهما:**أنه أَفْضَلُ الـــصحابة بمقتـــضى هذين الخبرين؛ وَلِخَبرِ الطير[4]. والإمامةُ لا تكون[5] إلا للأفضل؛ لإجماع الصحابة (رض) على ذلك وإجماعهم حجة. **الوجه الثاني:**أنه قد ثبت بمقتضى هذين الخبرين وجوبُ عصمته، ووجوب موالاته، وتحريم معاداته، والقطع على مُغَيَّبِه؛ فوجب أن يكون أولى بالإمامة؛ لأن الإسلام والعدالة معتبران في الإمامة بالإجمـــاع، وهمـــا معلومان فيمن ثبتت عصمته دون من لم تَثْبُتْ عصمتُه، فلا يجوز العدول عمن عُلِمَ

---

(١) في (ب):بدون في .

(٢) أي إيمانه وصلاحه في الباطن مثل الظاهر. وهذا هو معنى العصمة .

(٣) في بعض النسخ على تعيينه .

(٤) سيأتي تخريجه في موضعه .

(٥) في (ب):لا تصح .

إسلامه إلى من لم يُعْلَمْ ذلك من حاله، كما لا يجوز العدولُ إلى الاجتهاد مع وجود النص، أو الإجماع[(١)] المعلوم، فَوَجب أن يكون أحقَّ الخلق بالتصرف في الأُمة بعد النبي ﷺ.

ومما يدل على أنه أفضل الصحابة طُرًّا[(٢)] قول الله سبحانه وتعالى:﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء:٩٥]، وظاهرهُ يقتضي تفضيلَهُ عليهم؛ إذ المعلوم من حاله أن عَنَاهُ[(٣)] في الجهاد كان أعظمَ من عِنَايتهم[(٤)] جميعا، ولا خلاف أنَّ الخلفاءَ الأربعةَ أفضلُ من غيرهم، إلاَّ أنَّ المعلوم أن غَنَا أميرِ المومنين لم يكن كَغَنَائِهم[(٥)]، ولا كان جهادُهم كجهاده، ولا تأثير أبي بكر وعمرَ كتأثيره في الإسلام، وكيف ومقاماتُه في المواقف مشهورةٌ، وقصةُ مَنْ قَتَله من الصناديد مذكورة، نحو قَتْلِه للفضفاض[(٦)]، وَقَتْلِه لِمَرحَبٍ، وغيرهما من صناديد العرب. ولم يُرْوَ مثلُ ذلك لغيره. فمن ادعى خلاف ذلك فقد كابر؛ ولأن الناس اختلفوا في التفضيل:فمنهم من فَضَّل أبا بكر على الجميع، ومنهم من فَضَّل عليا على الجميع، ومنهم من توقف.

---

(١) في (ب):أو الإيماء، ولعله يريد إيماء النص. مثل قوله ﷺ:((عليك الكفارة))، جوابا لمن قال:جامعت أهلي في نهار رمضان؛ فالنبي ﷺ لم يقل:من جامع في رمضان عليه الكفارة؛ لكن النص يؤدي إلى هذا المعنى قطعا.
(٢) في (ب) و (ج):بدون طُرّاً .
(٣) تعليقه في الأصل: عنايته. ظ .
(٤) في (ب):من عنايهم ، وكأنها من عنائهم بالهمز .
(٥) في (ب):عنا .. كعنائهم .وفي هامشها الأولى أن عناءهم لم يكن مثل عنائه كما قال في الجهاد فتأمل.
(٦) لم نجد هذا الاسم ضمن مَن قتلهم الإمام علي، إلا إذا كان من ألقاب عمرو بن ود العامري فالله أعلم.

والذي يدل على أنه أفضلُ من أبي بكر وُجُوهٌ: **منها**: إجماعُ الصحابة؛ فإن أبا بكر قال على المنبر: وُلِّيتُكم ولستُ بِخَيْركم[1]، ولم يُنْكِرْ عليه مُنْكِرٌ ولا رَدَّ عليه رَادٌّ. ولا شبهةَ أنَّ غيرَ أميرِ المؤمنين عليه السلام من العشرةِ ليس بأفضلَ من أبي بكر؛ فلم يبق إلاَّ أن عليًا عليه السلام خيرٌ منه. ولا يصح أن يقال: خيرُهم نسبًا؛[2] لأنه تخصيص من غير دليل. ولا يصح أن يقال: إنه أراد بذلك التواضعَ وطريقةَ تبكيت النفس، وذلك لأن[3] هذه الأحوال لا توجبُ أباحة الكذب. ولا يصح أن يقال: إن المراد النَّفْعَ؛ لأنَّ الخير في عُرْفِ الشرع يُرَادُ به الفضلُ، فلا يُعْدَلُ عن الحقيقة لغير دلالة.

ومنها: ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أُهْدِيَ[4] إليه طيرٌ مشويٌ فقال: ((اللهم ائتِني بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيكَ يأكُلْ مَعِي من هَذَا الطَّيْرِ))؛ فأقْبَلَ علي عليه السلام وأكل معه[5]... الخبرَ بطوله. وهذا الخبر مما احتج به أميرُ المؤمنين عليه السلام يومَ الشورى بمحضر الصحابة ولم يُنْكِرْ عليه منهم مُنْكِرٌ. وقوله: أحبِّ خَلْقِك إليك المرادُ به أعظمُهم

---

(١) ابن سعد في الطبقات ٣/١٨٢. والعقد الفريد ٤/٥٩، وعيون الأخبار لابن قتبة ٢/٦٢٥.

(٢) يعني قول أبي بكر: لستُ بخيركم في النَّسَبِ ؛ لأن نفي الخيرية عن النسب دون غيره تخصيص بغير دليل.

(٣) في (ب): وذلك أن .

(٤) في (ب): ما روي عن النبي (ص) أنه أهدي إليه ..

(٥) أحمد ابن حنبل في فضائله ٢/٥٦٠. والعمدة لابن البطريق ص٣٠٣ والشافي ج٣ص١٤٦. والطبراني في الكبير ١/٢٥٣ رقم ٧٣٠. والأوسط ٢/٢٠٦ رقم١٧٤٤. و ٦/٩٠ رقم ٥٨٨٦ و رقم ٦٥٦١ . والخطيب ٣/١٧١. والحاكم ٣/١٣٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والذهبي في تأريخ الخلفاء ص٦٣٣. ومجمع الزوائد ج٩ص١٢٦. وذخائر العقبى ص٦١. وابن المغازلي ص٨٨ رقم ١٥٥، وينابيع المودة للقندوري ج١ص٦٦. وقد روى أربعة وعشرون رجلاً حديث النظر عن أنس منهم سعيد بن المسيب والسدس وإسماعيل وغيرهم.

ثوابا، وأكرمُهم وهو الأفضلُ. ولا يصح أن يقال:إنه يدخل فيه النبي ﷺ؛ لأنــه مستثنىً بوجهين:**أحدهما** أنه لا يدخل في الخطاب إذ هو المخَاطِبُ. **والثــاني** أنــه مخصوص بدلالة الإجماع وغيره من الأدلة[1].

ومنها:أن أمير المؤمنين عليه السلام جمع من[2] خصال الفضل كُلِّها؛ فاختص بها على وجوه لم يشاركه فيها أحدٌ **فمنها** ما سبق به جملة الصحابة (رض) فلم يــشاركوه فيه، وهذا كالإيمان بالله؛ فإنه أول مَنْ آمن، ثم المؤآزرة والمعاضدة له[3]، وتَحَمُّــلِ المشاقِّ فيه قبل الهجرة، في الشعب وغيره، وعند الهجرة وبعدها في مقامات القتال، وجهاده بين يدي رسول الله ﷺ، وعلمه بالأصول والفــروع. **ومــن** ذلــك اختصاصُه بجميع خصال الفضل مع تفرقها في غيره، وتقدمه عليهم فيما شــاركوه فيه[4]، كما قال الأول:

تجمع فيه ما تفــرق في الــورى		فمن لم يُعَدِّدْهُ فــإني مُعَــدِّدُ[5]

---

(١) في هامش الأصل: في العبارة تسامح: إذ الخطاب لله عزوجل:والصواب أنه ﷺ خارج بقرينــة إذ لا يُريد ايتني بنفسي.

(٢) في (أ):من . وبين تعليقه ظ . وفي (ب):جمع خصال .

(٣) في (ب):بحذف له .

(٤) في (ج):بدون فيه .

(٥) وقول العلامة الامير في التحفة العلوية:

كُــلَّ مَــا لِلْــصَّحْبِ مِــنْ مَكْرُمَــةٍ		فَلَــهُ الــسَّبْقُ تَــرَاهُ الأوَّلِيَّــا
جُمِعَــتْ فِيْــهِ وَفِــيْهِمْ فُرِّقَــتْ		فَلِهَــذَا فَــوْقَهَمْ صَــارَ عَلِّيَــا

وهذا أمر ظاهر. وإذا ثبت أنه أفضلهم كان أولى بالإمامة كما تقدم.

ومن جملة الأدلة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام إجماع العترة. وتحريره أن العترة (ع) أجمعوا على ذلك، وإجماعُهم حجة. **وإنما قلنا**:بأن أهل البيت (ع) أجمعوا على ذلكَ لِمَا هو معلوم لنا وللعارفين أنه لا خلاف بينهم في أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصْل هو أمير المؤمنين عليه السلام، وأن إمامتة طريقُها النص–وإنِ اختلفوا في كيفية النص. **وإنما قلنا**:بأن إجماعهم حجة لِمَا يشهد له الكتاب والسنة:

أما الكتاب:فقوله سبحانه:﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:٧٨]؛ فإن قيل:إنَّ الآية خطاب لولد إبراهيم جميعًا قلنا:لا خلاف في أن إجماعَ مَنْ عدا أولاد الحسن والحسين (ع) من اليهود وغيرهم من قريش وسائر ولد إبراهيم ليس بحجة، فلم يبق إلا أن يكون ذلك في أهل البيت (ع)؛ إذ لو بطل ذلك فيهم مع بطلانه في غيرهم لخرج الخطابُ عن الفائدة، وهو خطابُ حكيم لا يجوز ذلك فيه. وهذه الآية قد استدل بها الحسنُ بن علي (ع) على المنبر بمحضر جماعة الصحابة (رض) في وقته فَأَقروه على ذلك ولم يُنْكِرْهُ عليه منهم مُنْكِرٌ.

ووجهُ الاستدلال:بهذه الآية على أن إجماعهم حجة ظاهرٌ؛ فإن الله تعالى اختارهم له شهودًا بقوله:﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾؛ فإنَّ الاجتباء:هو الاختيار، وهو لا يختار له شهداء إلا العدول الذين لا يُجْمِعُون على ضلالة ولا خطإٍ ولا يشهدون إلا

بالحق؛ لأنه لو اختار للشهادة من[1] ليس بعدل لكان ذلك قبيحًا، وقد أجمعوا على أن متابعَتهم واجبة، ومخالفتَهم قبيحةٌ؛ فوجب أن يكون ذلك حقًا، وذلك هو معنى قولنا:إن إجماعَهم حجة. وقد ذكرنا تحقيق هذه الدلالة في ((كتـاب الإرشـاد إلى سوي الاعتقاد)).

دليل آخر:ويدل على ذلك من[2] الكتاب قولُ الله سـبحانه:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب:٣٣]. ووجـه الأستدلال:بهذه الآية أن الله تعالى أذهب عنهم الرجس المتعلقَ بالأفعال وهو رجس الذنوب[3]، وذلك يقتضي عِصْمَةَ جماعتهم عن جميع الذنوب. وإذا[4] ثبت ذلـك وجب القضاءُ بأن ما أجمعوا عليه فهو حق لا باطلَ فيه، وقـد أجمعـوا علـى أنَّ متابعتهم واجبة، ومخالفتَهم محظورة، فوجب أن يكون ذلك حقًا، وذلك هو معـنى قولنا:إن إجماعهم حجة. وتحقيق هذه الدلالة مذكور في ((كتاب الإرشـاد)) وفي كتابنا الموسوم بـ ((نظام درر الأقوال النبوية)).

وأما السنة فقول النبي صلى الله عليه وآله في الخبر المشهور:((إنِّي تَارِكٌ فـيكم ما إن تَمَسَّكْتُم به لن تَضِلُّوا من بعدي أبدًا كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، إنَّ اللطيفَ الخبيرَ نَبَّأَني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض))[5]، ولا شبهة في كـون هـذا

---

(١) في (ب): من كان ليس.

(٢) في (ب) و (ج):من قبل .

(٣) فتح القدير ج٤ ص٢٧٨ .

(٤) في (ب):فإذا .

(٥) رواه الإمام زيد بن علي عن آبائه في المجموع ص ٤٠٤. وعلي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته

الخبر متواترًا. **ووجهُ الاستدلال** به:أن النبي صلى الله عليه وآله قد أمَّننا من الضلال إذا تَمَسَّكْنَا بعترته، كما أَمَّنَنَا من الضلال إذا تَمَسَّكْنَا بالكتاب. وعِتْرةُ رسول الله صلى الله عليه وآله هم وَلَدُهُ وولَدُ ولَدِه.

والمرادُ بالتمسك بهم الاتِّباعُ لهم والاقتداءْ بهم، وقد ثبت أن المتمسك بالكتاب لا يَضِلِ فكذلك المتمسك بالعترة. وإذا ثبت ذلك وجب في إجماعهم أن يكون حجةً. وتحقيقُ هذه الدلالة أنها مبنيةٌ على خمسة أصول قد حققناها في ((كتاب النظام)) ودللنا على كل أصل منها.

دليل ثانٍ من السنة على أن إجماعَهم حجة وهو قول النبي ﷺ:((أهلُ بيتي فيكم كسفينةِ نُوحٍ مَن رَكِبَهَا نَجَا، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ وَهَوَى))[1]. ولا شبهة

ص٤٦٤. ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/١٨٧٣ رقم٢٤٠٨، عن جابر. والترمذي عن جعفر بن محمد عن أبيه ٥/٦٢١ رقم ٣٧٨٦، وقال: حديث حسن غريب. وقال:وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد، وقال:حسن غريب من هذا الوجه، ورواه برقم ٣٧٨٨ عن زيد بن أرقم ، وقال:حسن غريب. والطبراني في الكبير عن زيد ٥/١٨٦ رقم ٥٤٠. ومسند أحمد عن أبي سعيد ٤/٣٠ رقم ١١٠٤. وج٧/٨٤ رقم ١٩٣٣٢ عن زيد بن أرقم . وج٨/١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ عن زيد بن ثابت. وابن كثير في البداية النهاية ٥/٢٢٨. وقال:قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي:وهذا حديث صحيح.

(١) أخرجه الهادي في الأحكام ١ / ٤٠ . والإمام علي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ص٤٦٤ بلفظ:((أهل بيتي فيكم كسفينه نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها زج في النار)). والمرشد بالله في أماليه ١/١٥٢ . وأبو طالب في أماليه ١٣٦ . والحاكم ٢/٣٤٣ ، عن أبي حنش الكناني قال:سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة: أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكر فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول:((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى)) ، وقال:حديث صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه أيضا في ٣/١٥٠ . وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والطبراني في الأوسط ج٥ برقم ٥٣٩٠. والكبير ٣/٤٥ برقم٢٦٣٦. والبزار ٢ / ٣٣٤ رقم١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر .

في كون معناه[1] متواترًا.

ووجه الاستدلال به ظاهرٌ فإنه لا شبهة أيضًا في أنه لم ينجُ من أمةِ نوح عليه السلام سوى مَنْ ركب في السفينة، فكذلك لا ينجو من أمة محمد صلى الله عليه وآله إلا من تمسك بأهل بيته، وإلا بطل التشبيه بسفينة نوح عليه السلام وذلك لا يجوز؛ لأنه كلامُ نبيٍّ صادق لا يدين إلا بالحق، ولا يُخْبِرُ إلا بالصدق، فثبت بذلك الكلامُ في المطلب الأول، وهو في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما المطلب الثاني:

وهو في ذكر طَرَفٍ يسير من فضائله ومناقبه؛

فله فضائل كثيرة، ومناقب شهيرة، وهي مدونة في الكتب المشهوراتِ[2]، كالصحاح وغيرها مما رواه المخالفون والموالفون، وهي أكثر من أن نأتي على جميعها في كتابنا هذا؛ فَلْنَقْصر على ذكر طَرَفٍ يسير مما رواه المخالفون من فضائله عليه السلام ونضيفه إلى كتبهم ؛ لأنها كالشاهدة عليهم، وشهادةُ الخصم لخصمه من أقوى الشهادات؛ لأنها لا تحتاج إلى عدد ولا تفتقر إلى تعديل، ولا تُرِدُّ يَجرح، ولا يقدح فيها الرجوع بعد ثبوتها.

---

(١) في (ب) ، (ج):معناها .

(٢) في (ب) ، (ج):المشهورة .

وأما ما رواه آباؤنا الأئمة الأعلام عليهم أفضل الصلاة والسلام، أو رواه أتباعهم من علماء أهل الإسلام فهذا باب واسع، ولو ذكرنا طَرَفًا منه لَخَرَجْنا عن الغرض في هذا الكتاب، ولدخلنا في الإسهاب والإطناب. فَلْنَذْكُرْ طَرَفًا مما رواه المخالفون فقط، ونورد ذلك فضيلة فضيلةً ونُضيفها إلى الكتابِ[1] المذكورةِ فيه.

فنقول وبالله التوفيق إلى واضح الطريق:

فضيلة تبليغ سورة برآءة

رُوينا بالإسناد الموثوق به أنَّ سورة برآءة لَمَّا نزلت في سَنَةِ تسع أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر إلى مكة ليحج بالناس، ودفعها إليه لِيَقرأها عليهم، فلما مضى بها أبو بكر وبلغ ذا الْحُليفة نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بدفع برآءة إلى علي عليه السلام ليقرأها على الناس، فخرج عليٌّ عليه السلام على ناقةِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه، فرجع أبو بكر وقال:يا رسولَ الله هل نزل فيَّ شيء؟ قال:((لا، ولَكِنْ لاَ يُبَلِّغُ عَنِّي غيري أو رجلٌ مني. فسار أبو بكر مع علي عليه السلام؛ فلما كان يوم النحر قام علي عليه السلام فأذَّن في الناس وقرأ سورة برآءة. وقيل:قرأها يوم عرفة، وكان ينادي:لا يطوف بالبيت عُرْيَان. ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَعَهْدُه إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فَعَهْدُه أربعةُ أشهر. ولا تَدخل[2] الجنة إلا نَفْسٌ مؤمنة، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك؛ [فقالت قريش:نبرأُ

---

(١) في (ب) ، (ج):الكتب .

(٢) في (ب) ، (ج):يدخل .

من عهدك وعهد ابن عمك][1]. وهذا رُويناه من كتاب التهذيب في التفسير[2]، و لم يكن صاحبه زيديًّا في أوله بل كان معتزليًّا؛ فإذا منع الله ورسوله أبا بكر من تبيلغ سورة برآءة، وجعلا ذلك مقصورًا على علي عليه السلام -كيف تُجَوِّزُ الأُمة تقديْمَه على علي عليه السلام في الإمامة، واختصاصَه بالزعامة، واتخاذه بالقيام بأمور الإسلام العآمَّة.

فضآئل الرَّاية والمترلة والمباهلة

روينا بالإسناد الموثوق به إلى الإمام المنصور بالله عليه السلام ما رَفَعَه بإسناده إلى عامر بن سعد أن مُعَاوِيَة بن أبي سفيان أمر إليه[3] ما منعك من سب أبي تراب؟ فقال:أمَّا ما ذكرتُ له ثلاثا، قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسُبَّه؛ لأنْ تكونَ لي واحدةٌ منهن أحبُّ[4] إلي من حُمْرِ النعم، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:وقد خَلَّفه في بعض مغازيه، فقال علي:يا رسول الله خَلَّفتني مع النساءِ والصبيان؟ فقال له رسول الله

(١) ما بين المعقوفتين فيه نظر؛ لأن قريشًا قد أسْلَمَت وعاملها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتكرم والصفح وكثير منهم حسن إسلامه، ولا يصدر مثل هذا الكلام دون أن يؤدبهم الرسول؛ لأنه نقض للعهد وردة، والله أعلم.

(٢) التهذيب أهم مرجع استند إليه الزمخشري، بل قيل:إن تفسير الكشاف منه. وهو تأليف العلامة: أبي سعيد محسن بن كرامة الحاكم الجشمي الزيدي ويقع في تسعة مجلدات ، فإنه يذكر الآيات جميعها أولا ، ثم اللغة، ثم الإعراب وما يشكل في إعراب الآية، يبين معاني الآية ، ثم الأحكام ويبين ما يستنبط من الأحكام الشرعية، وعلى هذا جرى في القرآن جميعًا . ويذكر ضمن المعنى أقوال المفسرين باختصار، وهو ما زال مخطوطا لم ير النور . وهناك رسالة دكتوراه:الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير؛ للدكتور عدنان زرزور.

(٣) لفظ الشافي ١ / ١٢٧ قال:عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:أمر معاوية سعدا فقال:ما منعك أن تَسُبَّ أبا تراب . وقد صلَّحها في الأصل:أمر إلى أبيه. وفي هامش (ب) قال له.

(٤) **أحَبُّ** مرفوع خبرٌ للمصدر المنسبك من أن وتكون أي كونُ واحدةٌ لي أحبُّ، **ولي** خبر تكون، **وواحدة** اسمها.

ﷺ:((أَمَا تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إلاَّ أَنَّهُ لا نَبيَّ بَعْدَي)).
وسمعته يقول يوم خيبر:((لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه))؛ فَتَطَاوَلْنَا[1] لها، فقال:((ادْعُوا لِي عَلِيًّا)) فَأُتِيَ به أَرْمَدَ العين[2]؛ فبصق في عينيه، ودفــع الرايــةَ إليه، ففتح الله على يديه.

وَلَمَّا نزلت هذه الآية:﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ [آل عمــران:٦١] دعا رســول الله ﷺ عليا وفاطمة والحسن والحسين، وقال:((اللهم هؤلاءِ أهلُ بيتي))[3].

وهذه الفضآئل الثلاثُ:خَبَرُ المترلة، وخبرُ الراية، وَخَبَرُ المباهلة مذكورةٌ بهــذا اللفظ من غير زيادة ولا نقصان في أول الجزء الرابع من صحيح مسلم من أولــه في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، وهي مذكورة أيضًا في صحيح البخاري بما معناه معــنى ذلك[4]، وإن اختلف لفظه.

وذكر أيضًا في صحيح مسلم في الجزء الرابع بإسناده إلى عمر بن الخطاب بعد قَتْلِ عامر[5] أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب وهو أرمد وقال:((لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه))، قال:فأتيــت

---

(١) في (ب):قال:فتطاولنا.
(٢) في (ب):العينين . وفي الأصل رَمِدَ العين.
(٣) مسلم ٤ / ١٨٧١ في فضائل الإمام علي . والترمذي ٥ / ٥٩٦ رقم٣٧٢٤. وأحمد بن حنبل ٣٩١/١ رقم ١٦٠٨. والنسائي في خصائصه ص٣٢ رقم ٩. و ص٧٠ رقم٧٢ . والحاكم ١٠٨/٣.
(٤) البخاري أخرج حديث الراية في ج٣ ص١٣٥٧ برقم ٣٤٩٨ ، ٣٤٩٩ ، ص١٣٥٨ رقــم٣٥٠٠ . وحديث المترلة في ج٣ ص١٣٥٩ رقم٣٥١٣ .
(٥) يعني بعامر:عامر بن الأكوع. صح هكذا في الأصل.

قال:فأتيت عليا فجئت به أَقُودُهُ فبصقَ في عينيه فَبَرأَ وأعطـــاه[1] الرايـــة. وخـــرج مرحب فقال:

قد عَلِمَتْ خيبرُ أنِّـــي مرحـــبُ		شَاكي السلاح بَطَـلٌ مُجَـــرَبٌ

إذا الحـــــروب أقبلـــــت تَلَهَّـــــبُ

فقال علي عليه السلام:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّـــيْ حَيْـــدَرَه		كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيـــهِ الْمَنْظَـــرَه

أُوفِيهِمُ بالصاع كيـــلَ الـــسَّنْدَرَه[2]

قال:فضربَ رأسَ مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه، ثم ذكر أيضًا هـــذا الخبرَ بطوله، ورَفَعَهُ باسنادٍ آخر إلى عكرمة بن عمار، ورفعه أيضًا في هذا الكتـــاب إلى عبدالله بن عباس.

ومن تفسير القرآن للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الـــثعلبي في معنى قوله:﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مّسْتَقِيماً ﴾ [الفتح:٢٠]، قال:وذلك في فتح خيبر[3]. **ثم** روى بإسناده، قال:حاصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل خيبر حتى أصابتنا مخمصة شديدة [مجاعة] فأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللوآءَ[4] عُمَرَ بنَ الخطاب ونهض مَنْ نهض معه من

(١) في (ب):فأعطاه.

(٢) مسلم ٣ / ١٤٤١ . والنسائي في خصائصه ص٣٧ رقم ١٤ ، ص٤٨ رقم ١٥ . والاســـتيعاب ٢ / ١١٢ ، في ترجمة عامر بن الأكوع . أحمد بن حنبل ٥ / ٥٥٦ رقم ١٦٥٣٨ . وابن المغازلي في مناقبـــه ١٣٥.

(٣) العمدة لابن البطريق ص١٩٨ وعزاه إلى الثعلبي.

(٤) في (ب):الراية.

الناس فَلَقُوا أهل خيبر فانكشف عمرُ وأصحابُه ورجعوا إلى رسول الله ﷺ يُجَبِّنُهُ أصحابه وَيُجَبِّنُهُم، وكان رسول الله ﷺ قد أخذتْه الشقيقة(١) فلـــم يخـــرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رايةَ رسولِ الله ﷺ ثم نهض يقاتل، ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل ثم رجع فَأُخْبِرَ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:((أَمَا والله لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلا يحبُّ اللهَ وَرَسُولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسُولُه يأخذها عَنْوةً [قَهْرًا]، وليس ثُمَّ عَلِيٌّ فَلَمَّا كان الغَدُ تطاول لها أبو بكر وعمر ورجال من قريش، رَجا كلٌّ واحدٍ منهم أن يكون صاحبَ ذلك؛ فأرسل رسولُ الله ﷺ ابنَ الأكوع إلى علي فدعاه فجاءَه على بعير له حتى أناخ قريبا من رسول الله ﷺ، وهو أرمد وقد عـــصب عينيه(٢) بشقة بُرْدٍ قَطَرِيٍّ ، قال سلمة [بن الأكوع]:فجئت به أقوده، قال المنصور بالله عليه السلام:ولفظُ هذا الحديث يدل على أن عمر قاده بعض المسافة ، وسَـــلَمَةَ بـــن الأكوع بعضها–قال سلمة:فأتيتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:مَالَكَ ؟ قال:رَمِدْتُّ. قال:((ادْنُ مِنِّي))، فدنا منـــه فتفل في عينيه، فما شكى وَجَعَهُما بعدُ، حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الرايةَ؛ فنهض بالرايَةِ وعليه خِلْعَةُ أرجوان حمراء–وقد أخرج كميها–فأتى مدينة خيبر، فخـــرج(٣) مرحب وَعليه مِغْفَرٌ مُصَفَّرٌ، وَحَجَرٌ قد نَقَبَه مثلَ البيضة، وهو يرتجز، وهو يقول:

---

(١) نوع من صداع يعرض في مُقَدَّم الرأس، وإلى أحد جانبيه. النهاية ٤/٢١٢.
(٢) في (ب): عينه.
(٣) في (ب): وخرج .

قد علمتْ خَيْبَرُ أنِّــي مرحـــبُ		شَاكي السلاح بَطَـلٌ مُجَـرَّبٌ
أطْعن أحيانًا وحِينًـــا أضْــرب		إذا[1] الحروب أقبلــتْ تَلَهَّـبُ

كان حِمَــايَ كــالحمى لا يُقْــرَبُ

فبرز علي صلوات الله عليه، وهو يقول:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّــي حَيْـدَرَه		كَلَيْثِ غَابَاتٍ شــديدٍ قَــسْوَرَه

أكليكم بالــسيف كيــل الــسندرة

فاختلفا ضربتين، فَبَدَرَهُ عليٌّ بضربته فَقَدَّ الْحَجَرَ والْمِغْفَرَ وَفَلَقَ رأسه حتى وقع السيفُ في الأضراس، فأخذ المدينةَ وكان الفتحُ على يديه[2].

وقد رواه ابن المغازلي الفقيه الشافعي في مناقب علي عليه السلام بأســانيدَ كــثيرة، وطرقٍ جَمَّة، وذَكَرَ في بعضها أنَّ أمَّ علي عليه السلام فاطمة بنت أسد لَمَّا ولدته سَــمَّته أَسَدًا، فلما قدم أبو طالب كره ذلك، وسَمَّاه عليا، فلما ارتجز علي عليه السلام ذكر مــا سَمَّتْه به أمُّه، وَحيدرةُ من أسماءِ الأسَدِ، وكذلك القسورة[3]. والسَّنْدَرَةُ شَــجَرٌ[4] يُعمَل منها القِسيِّ. قال المنصور بالله عليه السلام:يُحْتَمَلُ أن يكون يُعْمَلُ منــها مَكاييــل جايرة، أو تكون السندرةُ أمرأةً تكيل كيلا وافيا فَمَثَّل به، وقد قيل:نشارة العيدان.

---

(١) في (ب) و (ج): إذ .

(٢) ذكره الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في الشافي ٣ / ١٩٨ ، وعزاه إلى الثعلبي في تفــسيره. وابــن البطريق في العمدة ص١٩٨.

(٣) في (ب): قسوة.

(٤) في (ب): شجرة.

وخبرُ الراية مذكورٌ أيضًا في صحيح الترمذي مثل هذا الخبر بطوله[1]. قال المنصور بالله عليه السلام:وقد قلتُ في ذلك أبياتًا؛ لأنَّ رايةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رُدَّتْ مهزومةً حتى كاد مَنْ لا بصيرةَ له ييأسُ من الفتح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:ما قال في الخبر، والأبياتُ هي هذه:

قد عُرِّفُوا طُرُقَ التعريفِ لو عَرَفُوا		لكنهم جَهِلُوا، والجهلُ ضَرَّارُ
سَارُوا برايته فاسترجعوا هربًا		والخيلُ تَعْثُرُ والأبطال فُرَّارُ
حتى إذا انسدَّ وجهُ الفتح واختلجتْ		خواطرٌ من بني الدنيا وأفكارُ
نادى أبا حَسَنٍ مُوفِي مواعِدِه		صُبحًا وقد شخصتْ في ذاك أبصارُ
فجاءَ كالليث يمشي خلفَ قَائِدِهِ		إذْ كان في عينه ضُرٌّ وعُوَّارُ
فمجَّ فيها بِرِيقٍ طَعْمُهُ عَسَلُ		وَرِيْحُهُ الْمِسْكُ لَمْ يَفْضُضْهُ عطَّارُ
وقال:خُذْهَا وَصَمِّمْ يَا أَبَا حسنٍ		فكان فتحٌ وباقي الجيش صُدَّارُ[2]

فضيلة الوزارة

ذكرها ابن حنبل[3] في مسنده ورفعه[4] بإسناده إلى أسماءَ بنتِ عُمَيس أنها

---

(١) الترمذي ٥ / ٥٩٦ رقم ٣٧٢٤ في الحديث المروي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية ....إلخ ، فقال:ما منعني أن أسب أبا تراب ، فقال: أما ما ذكرت له ثلاثا، فلهن رسول الله ...وذكر خبر الراية .

(٢) ذكر هذه الأبيات حُميد المحلي في الحدائق الوردية ٢ / ١٤٥ ، وعزاه إلى الإمام المنصور عبدالله بن حمزة في الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة (خ) . ديوان.

(٣) في (ب) ، (ج): ذكر ابن حنبل . فضائل الصحابة ٢/٨٤٤ رقم١١٥٩.

(٤) في (ب): رفعه.

قالت:سَمِعتُ رسول الله ﷺ، يقول:اللهم إني أقولُ كما قال أخي موسى:اللهم اجْعَلْ لي وزيرًا من أهلي، عَلِيًّا أخي، أشدد به أزري، وَأَشْرِكْهُ في أمري، كي نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إنَّك كنتَ بنا بصيرًا.

فضيلة حديث العهد وغيره

مذكورٌ في مناقب الفقيه ابن المغازلي الشافعي رفعه بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنه[1] عن رسول الله صلي الله عليه وآله أنه قال:((أيها الناس مَنْ آذى عليًا فقد آذاني، وإن عليا أَوَّلُكُم إيمانا، وأوفاكم بعهد الله. يآأيها الناس مَنْ آذى عليا بُعِثَ يوم القيامة يهوديا أونصرانيا))، فقال جابر بن عبدالله الأنصاري:يا رسول الله وإن شهد أن لا إله إلا الله وأنَّك محمد رسول الله، فقال:((يا جَابِر كَلمةٌ يَحْتَجِزُون بها أنْ لا تُسْفَكَ دِمَاؤُهُم وأموالُهُم وأنْ يُعْطُوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون))[2].

فَصْلٌ:قال المنصور بالله عليه السلام:وقد تواترت الأخبارُ أنه عليه السلام أوَّل الصحابة إيمانا كما ذكره في هذا الخبر. وصرَّح في الخبر هذا أنَّه أوفاهم بعهد الله، فَكَان ذلك

---

(١) أوَّله:قال:كنتُ عند النبي ﷺ، إذا أقبل علي بن أبي طالب غضبانَ، فقال له النبي ﷺ:ما أغضبك؟ قال:آذوني فيك بنو عمك! فقام رسول الله ﷺ مغضبًا فقال:يا أيها الناس . إلخ ص٥٢ رقم ٧٦.
قلت: قوله آذوني على لغة أكلوني البراغيث حيث جمع بين ضمير الجماعة ، ثم ذكر الفاعل وهو بنو.
وجاء في المستدرك ج٣ص١٢١ عن أم سلمة رضي الله عنها حين دخل عليها أبو عبدالله الجدلي، ورواية أخرى شبيب بن ربعي:فقالت:أيسب رسول الله فيكم أو في ناديكم؟ فقالوا:معاذ الله .. قالت:فعلي بن أبي طالب:قالوا:إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا. قالت:فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:((من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى)).

(٢) أي إن الشهادتين مع أذية علي لا تمنع المواذين إلا من سفك الدمآء وأخذ الأموال وإعطاء الجزية ، وما عدا ذلك لا تنفع في شيء كالمنافق ، ويشهد لذلك قوله ﷺ:((لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)) المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي ١/٥٤٨ رقم٤٨٩.

إشارةً إلى أنه أولى بالإمامة؛ لأن الله سبحانه قد ذكرها بلفظ العهد في قوله تعـالى لإبراهيم:﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤]؛ فجعل الإمامة عهدًا؛ فهو أوفى بأمانة الله. وتضمَّنَ الخبرُ أنَّ مَنْ آذى عليا فقد آذاه، وقد ثبت أنَّ أذَاهُ [أي النبي] كُفْرٌ بالإجماع. وقد صرَّح في الخبر بأنه يُحشر يوم القيامة يهوديًا أو نصرانيا، ولا يحشر بهذه الصفة إلا المـشركون؛ فما ظَنُّك بِمَنْ حاربه وأَجْرَى سبَّه على المنابر وفي محاريب المساجد ما يكون اسمه غدًا عند الله تعالى بعد خبر الصادق المصدوق؟!.

فضيلة حديث الإمارة

رواه ابن المغازلي الشافعي بإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول يومَ الْحُدَيبية وهو آخذ بِضَبُع علي بن أبي طالب عليه السلام:((هذا أميرُ الْبَرَرَةِ، وقاتلُ الفَجَرَةِ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ، مخذولٌ مَنْ خذله))[1].

فضيلة حديث باب مدينة العلم

ذكر ابن المغازلي بإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:وقد مَدَّ صوته:((أنا مدينةُ العِلْم وعليٌّ بابُها؛ فمن أراد العلم فَلْيَأْتِ البابَ))[2].

---

(١) المناقب ص٧٢ رقم١٢٥. والحاكم في المستدرك ١٢٩/٣، وقال:صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والخطيب في تاريخه ٢١٩/٤. والطبرسي ٣٦١/٣.

(٢) المناقب ص٧١-٧٣ ، رقم ١٢٠-١٢٦ . والحاكم في مستدركه ٣ / ١٢٦. والخطيب في تاريخه ٤ / ٣٤٨ عن ابن عباس . ٧ / ١٧٣ . ١١ / ٤٨ . ٢ / ٣٧٧ عن جابر وقد سئل عنه يحيى بن معين ، فقال:صحيح، كما ذكر ذلك الشوكاني في الفوائد المجموعة ص٣٤٩. والمحب الطبري في ذخائره ص٧٧.

فصل:وقد نهى الله تعالى عن إتيان البيوت من ظهورها، وأمر بإتيانها من أبوابها، فأفاد ذلك أنَّ الْمُتَّصل بالرسول من غير علي أمير المؤمنين قد أتى البيوت من حيث نُهِي عن إتيانها، وذلك إشارةٌ إلى أنه الإمامُ بلا فَصْلٍ.

فضيلة حديث قل هو الله أحد

رواه ابن المغازلي عن النعمان بن بشير قال:قال رسول الله ﷺ:((إنما مَثَلُ علي في هذه الأمة مَثَلُ قل هو الله أحد))[(١)].

فصل:فشَبَّهَهُ بِقُل هُوَ اللهُ أحَدٌ، وهي سورة الإخلاص؛ فإذَنْ الاخلاصُ بِوُدِّهِ. وفيها معنى التوحيد ولَفْظِهِ؛ فكانت الإمامةُ له وحده دون غيره، وفيها معنى الصَّمَدِ، وهو يفيد معنى الإمامة؛ لأن الصَّمَدِ هو السيدُ المطاع. قال الشاعر:

علوته بحسامٍ ثم قلتُ له		خذها إليك فأنت السيدُ الصمدُ

وقال آخر:

ألا بَكَّرَ الناعي بخير بني أسد		بِعَمْرِ بنِ مسعودٍ وبالسيد الصمد

فضيلة حديث الولاية

وهو مذكور في كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي[(٢)]، ذكره في قافية الواو،

والكنجي في كفايته ص٢٢٠ . وابن عبد البر في الاستيعاب . وقد ذكره الأميني في الغدير ٦ / ٦١ ، وما بعدها ، وذكره من مائة وثلاثة وأربعين مصدرا .

(١) المناقب ص٦٢ رقم١٠٠.

(٢) مسند الفردوس هو تأليف شيرويه بن شهردار بن شيرويه الهمذاني محدث ومؤرخ توفي سنة٥٠٩. ومن مؤلفاته تاريخ همذان، وفردوس الأخبار وقد أخرجه ابنه شهراد ، والآنس لعقلاء الإنس في معرفة أحوال النبي وتاريخ الخلفآء بعده والكتاب لم يتيسر لنا. ينظر معجم المؤلفين١/٨٢٠-٨٢٣.

ورفعه باسناده إلى أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤] عن ولاية علي بن أبي طالب[١].

فضيلة حديث مصاحبة الحق له

قال النبي ﷺ: ((اللهم أَدِرِ الحقَّ معَ عليٍّ حَيثُ دار))[٢]، وهذا الخبر معناه يَقْرُبُ أن يكون متواترا[٣]؛ فلهذا لا يحتاج فيه إلى ذكر إسنادٍ، ولا إضافةٍ إلى كتاب؛ لأنها قد وردت أخبارٌ كثيرةٌ في هذا المعنى، ونحن نُورد طرفًا منها بعون الله. قال ﷺ: ((عليٌّ مع الحق، والحقُّ معه))[٤]. وقال ﷺ لعلي عليه السلام: ((إن الله سيهدي قَلْبَكَ ويُثَبِّتُ لِسَانَكَ))[٥]. وقال صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: ((إنَّه يُؤَدِّي عَنِّي ولا يؤدي عَنِّي غَيْرُهُ)). وقال ﷺ لعلي عليه السلام: ((إنَّك تُقَاتِلُ على تَأويلِ القُرآنِ كما قاتلتَ على تنزيلِه))[٦]. وقال: ((أَنَا مَدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها))[٧]. وقال ﷺ: ((سَتَكُونُ من بعدي فِتَنٌ؛ فإذا كان كذلك فَالْزَمُوا عليَّ بنَ أبي طالب؛ فإنه

---

(١) أخرجه المرشد بالله ١/١٤٤. والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١/١٥٦ رقم٧٥. وشواهد التتريل ٢/١٠٦. وتفسير فرات الكوفي ص٣٥٥. ومجمع البيان ج٨ص٣٠١. والماوردي ج٥ص٤٤.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ص٢٤، وقال: حديث صحيح. والترمذي ج٥ص٥٩١ برقم ٣٧١٤.
(٣) كأن المؤلف رحمه الله يريد تواتر المعنى.
(٤) أخرجه ابن المغازلي في المناقب ص٩١، والشافي ج٣ص١٥٨.
(٥) الاستيعاب ج٣ص٢٠٤. والذهبي في تأريخ الخلفاء ص٦٣٧. وطبقات ابن سعد ج٢ص٣٣٧. وأحمد بن حنبل ج١ص١٨٢. رقم ٦٣٦، والحاكم ج٣ص١٣٥ بلفظ مقارب، والترمذي ج٥ص٥٩٤ بلفظ مقارب.
(٦) كتاب الشافي ج٣ص١٥٧. والذهبي ص٦٤٢ عهد الخلفاء , والبداية والنهاية ج٦ص٢٤٣، ودلائل النبوة ص٤٣٦.
(٧) سبق تخريجه. والشافي ج٣ص١٥٨. والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ص٣٦٦. رقم ٣٢٠٧١.

أَوَّلُ مَنْ يَراني يوم القيامةِ، وأوَّلُ مَنْ يُصَافِحُني. وهو الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ، وهو فاروقُ هذه الأُمَّةِ، وهو يَعْسُوبُ المؤمنين))[1]، إلى غير ذلك. ولا يجوز أن تَشْتَهِرَ هذه الأخبارُ إلا وفي جملتها ما هو صحيح، ويجري الكلام في ذلك مَجرى العِلم بشجاعة عَنترة وكرمِ حاتم، فإن ذلك اشتهر بأخبارِ الآحاد الكثيرةِ، فقطعنا على أنه لابد أن يكون في جُملتها ما هو صحيح؛ والعلةُ الرابطةُ بين ذلك تطابقُ الأخبارِ من جهة الآحاد على معنى واحد؛ فوجب كونُ ذلك المعنى صحيحًا، ويقرب أن يكون متواترًا. وإذا ثبت ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال:((اللهم أدِرِ الحقَّ مع علي حيث دار))؛ فقد عَلِمْنَا إجابةَ دعوته صلى الله عليه وآله وسلم. ومن قول علي عليه السلام- أنه الامامُ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصْل؛ فيجب أن يكون ذلك حَقًّا؛ فلا يجوز تعدِّيهِ إلى غيره، وهذا الخبر قد رواه ابن المغازلي أيضا[2]. ومما رواه أيضا فضيلة حديث الجواز، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلا مَنْ جآء بجوازٍ مِنْ عَلِي بن أبي طالب))[3].

فصلٌ:وإذا كان هذا هكذا كان تقديْمَه واجِبًا، واعتقادُ ولايته على هذه الأُمة بعد رسولها فَرْضًا لازبًا[4].

ومما رواه أيضا فضيلةُ حديث الوالد، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((إِنَّمَا مَثَلُ عليٍّ في

---

(١) أخرجه الكنجي في كفاية الطالب ص١٨٧. والمعجم الكبير للطبراني ج٦ص٢٦٩ رقم ٦١٨٥، ومختصر مسند البزار ج٢ص٣٠١ رقم ١٨٩٨. ومجمع الزوائد ج٩ص١٠٢.

(٢) ص٩١ رقم ١٥٤..

(٣) ص٩٣ رقم ١٥٦ ، وتأريخ بغداد ج١٠ص٣٥٧.

(٤) في (ب): لازما.

هذه الأُمَّةِ مَثَلُ الوَالد))[1].

فصل:وحق الوالد عظيم قال تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء:٢٣]، وقال تعالى:﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [العنكبوت:٨] ﴿إِحْسَاناً﴾ [الأحقاف:١٥] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((رِضَى الرَّبِّ في رضا الوالدين، وسخَطُ الرَّبِّ في سخط الوالدين))[2]؛ فاقتضى ذلك أن طاعة علي عليه السلام واجبة على جميع الصحابة (رض).

فضيلة المباهلة:

في قوله تعالى:﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]، أطبق أهل النقل كافة مع اختلاف أغراضهم واعتقاداهم، وأجمع عليه المخالفُ في إمامته والموالفُ، وإذا كان كذلك فَلْنَذْكرِ اللفظ الذي رواه المخالفون ليكون أَلْزمَ للحجة، وهو ما ذكره الثعلبي؛ فإنه رَوَى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج محتضنًا للحسين، وآخذًا بيد الحَسن، وفاطمةُ تمشي خلفه، وعلي خلفهما، وهو يقول لهم:((إذا دعوتُ فَأَمِّنُوا))؛ فقال أَسْقُف النصارى:إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله؛ فلا تبتهلوا:فلا يبقى على وجه الأرْض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة، فقالوا:يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نُلاعِنَك، ونثبتَ على ديننا وأنت على دينك،

(١) المناقب ٤٩ رقم ٧٠ بلفظ ((حق عليّ على المسلمين كحق الوالد على ولده)).

(٢) الترمذي ٤ / ٢٧٤ رقم ١٨٩٩ . والحاكم في المستدرك ٤ / ١٥٢.

وأعطوه الصلح في كل عام ألفي حُلَّة: نصف في رجب، ونصف في صفر. وقال ﷺ: ((والذي نفسي بيده إنَّ العذاب قد تَدَلَّى على أهل نَجْرَان، وَلَوْ لاَعَنُوا لَمُسخُوا قِرَدَةً وخنازير، ولاضطرَم الوادي عليهم نارًا، ولا سْتَأْصَل الله تعالى نجرانَ وأهلَه حتى الطيرَ على الشجر، وَلَمَا حال الحول على النصارى كُلِّهم حتى هلكوا))

فقال الله تعالى: ﴿إن إنّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاّ اللّهُ وَإِنّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] [آل عمران:٦٢].

فصل: قال الإمام المنصور بالله عليه السلام: وهذا الخبر مفيد جدًا؛ لأنه أثبتَ أنَّ ولَدَيْ عليٍّ وهما الحسن والحسين وَلَدَانِ لرسول الله ﷺ. وذلك ثابتٌ في ظاهر قولِهِ: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ﴾ ؛ فكانَ الحسنُ والحسينُ (ع). وأثبت الخبرُ أنَّ المراد بقوله في الآية: ﴿وَنِسَآءَنَا ﴾ فاطمةَ، فخرجتْ زَوْجَاتُه عن مقتضى الآية والخبر.

ولا خلافَ بين الأمة أنه لَمْ يدْعُ أحدًا من زوجاته، ولا دعا أحدا من النسآء غيرَ فاطمة (ع)، وأن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا ﴾ محمد وعلي صلوات الله عليهما[2]. فكيف يَجُوز لِنَفْس أن تَتقدم على نَفْسِ رسول الله ﷺ، وكيف يعتري الشَّكُّ في كونه أفضلَ الصحابة (رض)، وكم من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون، ويتلونها وهم عنها عَمُون، وما يعقلها إلا العَالِمُونَ.

فضيلة سد الأبواب التي كانت إلى المسجد

(١) ابن البطريق في العمدة ص٢٤٠ وعزاه إلى الثعلبي في التفسير؛ وقد سبق تخريجه.

(٢) في هامش (ب) الأولى أن يقال: وإن المراد بأنفسنا علي، لأن الإنسان لا يدعو نفسه فإذن تكون نفس علي نفس رسول الله ﷺ فتدبر . والله ولي التوفيق..

فإنه ﷺ قال يوما:((سُدُّوا هذه الأبوابَ إلاَّ بابَ عليٍّ))؛ فتكلم في ذلك ناس، قَالَ:فقام رسول الله ﷺ ثم قال:((أما بعد فإني أمَرْتُ بِسَدِّ هذه الأبوابِ غيرَ باب علي))، فقال فيه قائلُكم، والله ما سدَدْتُ شيئًا ولا فتحتُه، ولكني أُمِرْتُ بشيء فاتَّبعتُه))، ذكره الثعلبي في كتابه، ثم كرره بأسانيده ثلاثا أو أربعا، وفي بعضه زياداتٌ من قول أبي بكر وعمر والعباس، وكُلُّ شيء من ذلك دليلٌ على مزية الاختصاص فوجب الإقرارُ بالتقديم له[1] في الإمامة؛ لأنه لا ينبغي للأمة أن تُخرِجَ من أدخله الله ورسوله، وميَّزه على الكافة من خلاصة الصحابة (رض)[2].

فضيلة الْمُشَابهة:

رواه ابن المغازلي بإسناده إلى علي بن ثابت قال:((خرج رسول الله ﷺ المسجد فقال:((إنَّ اللهَ أَوْحَى إلى نَبِيِّه موسى أَنِ ابْنِ لي مسجدًا طاهرًا لا يَسْكُنُه إلا

---

(١) في (ب): الإقرار له بالتقديم.

(٢) اخرجه المرشدبالله في اماليه١/٤٢. والترمذي ٥/٥٩٩رقم ٣٧٣٣ . واحمد بن حنبل ٧/٧٩ رقم ١٩٣٠٧. والنسائي في الخصائص. والحاكم في المستدرك ٣/١٢٥. وتاريخ بغداد ٧/٢٠٥. وحلية الأولياء ٤/١٦٨. والعمدة لابن البطريق ص٢٢٥ من عدة طرق . وابن أبي شيبة ٦/٣٧٠ رقم ٣٢٠٩٩. وابن حجر فتح الباري ٧/١٤-١٥ في سياق رواية: ((سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر))، وقال:إن الأمر بسد الأبواب إلا باب علي صحيح لا نطعن فيه، وقال:إن ظاهره يعارض سد الأبواب إلا باب أبي بكر، وبما أن الحديث في علي أصح وأرجح فقد وفَّق بينهما بأن حمل باب أبي بكر على الخوخة أي النافذة، أمَّا عليٌّ فبابه على الحقيقة وكان يمر وهو جُنُبٌ، وساق رواية عن الترمذي [٥/٥٩٧ رقم٣٧٢٧] عنه ﷺ:((لا يحل لأحد يَجْنُبُ في هذا المسجد غيري وغيرك)). ولعل الرواية في أبي بكر (رض) يراد بها معارضة الفضيلة التي اختصها الله بعلي كما هو معروف؛ فإن فضائل علي لا تكاد تسلم من الغمز واللمز مع أن حديث ترك باب علي والسماح له بالمرور جنبًا يعضده القرآن وهو قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب:٣٣] فعلي طاهر مطهر. والله أعلم.

موسى وهارون وابنا هارُونَ. وإنَّ الله أوحى إليَّ أنِ ابْنِ مسجدًا طاهرًا لا يَسْكُنُه إلاَّ أنا وعليٌّ وابْنَا عَلِيٍّ))[(١)].

فانظر أيها المسترشد إلى هذه الفضيلة بالمشابهة بين علي وهارونَ، وابْنَيْ هارون وابْنَيْ علي في هذا الخبر، وإلى الفضيلة بِسُكْنَى المسجد دون سائر البشر فانظر كيف أَحَلَّه رسول الله ﷺ حيث حَلَّ وَأَدْخَلَهُ حيث دخل، وبَاهَلَ به إذ باهل، وَقَرَنَهُ بنفسه في المؤآخاة، وهذا دليل على القطع على مُغَيَّبه وعلى صلاح الباطن والظاهر فَمَنْ أولى منه بالأمر لولا العصبيةُ والحميةُ ودفع الأدلة الْجَلِيَّة؟!.

فضيلة المؤآخاة:

رواه عبدُالملك بنُ هشام عن محمد بن إسحاق بن يَسَار الْمُطَّلِبِي في كتابِ سيرة رسول الله ﷺ، وهو ممن يقول بفضل الشيخين وتقديْمِهِمَا، رُويناعنه ما رواه بإسناده أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه:((تآخَوْا في الله أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال:((هَذَا أَخِي)) فكان رسولُ الله ﷺ وعليٌّ بن أبي طالب أَخَوَيْنِ، وكان حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله وَعَمُّ رسولِ الله وزيدُ بنُ حارثةَ مولى رسول الله ﷺ أخوين، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحُد. وجعفر الطيار في الجنة بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين. وكان أبو بكر بن أبي قحافة وخارجة بن زيد أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبو عبيدةُ بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٥٦٦ ، في تفسير الآية ٨٧ من سورة يونس . وابن المغازلي في المناقب ١ / ١٦٤ رقم ٣٠١ ، ص١٨٧ رقم ٣٤٣ ، وأخرجه أيضا السيوطي في الخصائص .

أخوين، والزبير بن العوام وسلامة بن وقش أخوين. ويقال:أخو الزبير عبدالله بن مسعود، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين[1] ثم كذلك[2] ذكر سآئرهم والغرض الاختصار.

فصل:وذكر بعضُ المعتزلة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا آخى بين الصحابة جعل عُمَرَ وأبا بكر أخوين، وعثمان وعبدالرحمن أخوين[3].

وذكر الحاكم في شرح العيون[4]:ولا خلافَ بين أهل النقل أنه جعل نفسه صلى الله عليه وآله وسلم وأميرَ المؤمنين أخوين، وإذا ثبت ذلك فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا علم بأن عليا عليه السلام يليه في الفضل ولا يساويه أحد في ذلك آخى بينه وبين نفسه، ويؤيد ذلك أنه عليه السلام كان يقول بمحضر الصحابة (رض):((أنا عبدُالله وأخو رسولِ الله لا يقولها بعدي ولا قبلي إلا كذَّاب))[5]؛ فَيُقِرُّونَهُ على ذلك ولا ينكرونه، فكان ذلك دليلا على

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام ٢ / ١١٨ ، ١١٩ . والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٧٧، وطبقات ابن سعد ج٣ص٢٢. قال:إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين آخى بين أصحابه وضع يده على منكب علي ثم قال:أنت أخي ، ترثني وأرثك .. والإصابة ج٢ص٥٠١ ، والاستيعاب ج٣ص٢٠٢. وابن أبي شيبة ج٦ص٣٧٥. رقم ٣٢١٤١.

(٢) في (ب): بحذف كذلك.

(٣) أخرج الحاكم في المستدرك ٣ / ١٤ ، عن ابن عمر قال:إن رسول الله [وآله آخى بين أصحابه، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وبين طلحة والزبير ، وبين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف . فقال علي عليه السلام: يا رسول الله إنك قد آخيت بين أصحابك فمن أخي؟ ، قال رسول الله [وآله:؛أما ترضى يا علي أن أكون أخاك؟ قال ابن عمر:وكان علي رضي الله عنه جلدا شجاعا، فقال علي:بلى يا رسول الله ، فقال رسول الله (ص):؛أنت أخي في الدنيا والآخرة« وسكت عنه الذهبي ومحمد بن سليمان في المناقب ١/٣٢٥ رقم٢٤٦.

(٤) ترجم فيه لجماعة من رجال الزيدية وضمنه كتاب شيخه عبدالجبار ((طبقات المعتزلة)) وأضاف إليه.

(٥) أخرجه الإمام زيد بن علي في مجموعه ص٤٠٨. وابن ماجه ١ / ٤٤ رقم١٢٠ . والنسائي في

فضله.

فضيلة السرية:

روى ابن حنبل في مسنده ما نذكره بلفظه ومعناه بإسنادٍ رفعه إلى عمرانَ ابنِ حُصين قال:بعث رسول الله ﷺ سرية وأمَّر عليا فأحدث شيئًا في سفره، قال عمران:فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ أن يذكروا أَمْرَهُ لرسول الله صلى الله عليه وآله، قال عمران:وكنا إذا قدمنا من سفر بَدَأْنَا برسول الله ﷺ فسلمنا عليه، فدخلوا عليه، فقام رجل منهم فقال:يا رسول الله إن عليًّا فعل كذا وكذا؛ فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال كذلك، فأعرض عنه، ثم قام الثالث؛ فأعرض عنه، ثم قام الرابع، فقال:يارسول الله إنَّ عليا فعل كذا وكذا. قال:فأقبل رسول الله ﷺ وقد تغير وجهه فقال:((دَعُوا عَلِيًّا؛ إنَّ عَلِيًّا مِنِّيْ وَأَنَا مِنْهُ، وهو وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ بَعْدَيْ))[1].

فضيلة الأداء

من مسند ابن حنبل رَوَى بإسناده إلى حبشي بن جنادة السلولي قال:سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:((عَلِيٌّ مني وَأَنَا مِنْه، ولا يُؤَدِّي عَنِّي إلاَّ أَنَا أَوْ عَلِيٌّ))[2].

خصائصه ص٢٩ رقم ٦ . والحاكم في المستدرك ٣ / ١١٢ . وابن أبي شيبة ٦ / ٣٦٧ رقم ٣٢٠٧٩ . وابن عساكر ١٣٦/١. ومحمد بن سليمان في المناقب ٣٠٨/١ برقم٢٢٧. والاستيعاب ج٣ص٢٠٢.

(١) المسند ٧ / ٢١٥ برقم ١٩٩٤٨ ، عن عمران بن حصين . وأخرجه الإمام المرشد بالله في أماليه الخميسية ١ / ١٣٤. وابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٨١ . والترمذي بلفظ: ما تريدون من عليه / ٥٩٠ ، رقم ٣٧١٢ . والنسائي في الخصائص ص٧٧ برقم ٦٥، ص٩٢ رقم ٨٦ وإسناده صحيح . والحاكم في المستدرك ٣ / ١١٠ ، وقال على شرط البخاري ومسلم وسكت عنه الذهبي .

(٢) هذا الحديث ورد بألفاظ كثيرة وقد أخرجه بعض المحدثين والمفسرين ؛ لأنه مختص بتبليغ سورة برآءة ؛

فضيلة النور

من مسند ابن حنبل أيضًا، رَوَى بطرقه ورجاله ما رفعه بإسـناده إلى سـلمانَ الفارسي قال:سمعتُ حبيبي رسولَ الله ﷺ يقول:((كُنتُ أَنَا وعليٌّ نورًا بَيْنَ يدي اللهِ عز وجل قبلَ أن يَخْلُقَ اللهُ آدمَ بأربعَةَ عَشَرَ ألفَ عامٍ؛ فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ قَسَمَ ذلك النورَ جُزْئَيْنِ:فجزءٌ أنا، وجزءٌ عَلِيٌّ))، وقد ذُكِرَ من طريق ابن المغازلي رفعه بإسناده مثلَ لفظ هذا الخبر، وزاد فيه:((حَتَّى افْتَرَقْنَا من صُلْبِ عبـدالمطلب:فَفِيَّ النُّبُوَّةُ، وفي عليٍّ الخلافةُ))، ومثله سواءٌ ذَكَرَه في كتاب الفردوس لابـن شـيرويه الديلمي بغير زيادة ولا نقصان[1].

فضيلة البساط[2]

روى ذلك ابن المغازلي الفقيه الشافعي الواسطي في مناقبه روى ما رفعه بإسناده

فقد ذكر المفسرون أن الرسول بعث أبا بكر ليبلغها عنه، ثم أمر عليا أن يأخذها منه ويبلغها عنه، وسنورد بعض من ذكر ذلك:

المسند ١ / ١٨ رقم ٤ ، ص٣١٨ برقم ١٢٩٦ ، ٦ / ١٦٣ رقم ١٧٥١٨ ، رقم ١٧٥١٩ ، ١٧٥٢٠ . والترمذي ٥ ٥٩٤ / رقم ٣٧١٩ . والنسائي في الخصائص ص٨٢. والطبري في تفسيره مج٦ ج١٠ ص٨٤. والكشاف ٢/ ٢٤٣ . والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ٣٧٨ ، ٣٧٩. وابن أبي شيبة ٦ / ٣٦٦ ، رقم ٣٢٠٧١ . والمحب الطبري في ذخائر العقبى ص٦٩ . والحاكم في المستدرك ٣ / ٥١ . وابن ماجة في سننه ١ / ٤٤ برقم ١١٩. والرازي في تفسيره مفاتيح الغيب مج٨ ج٥١٥ ص٢٢٦ ، والكوفي في المناقب ٤٦٢/١ رقم ٣٦٤. وغيرها .

(١) المناقب ص٧٤ رقم ١٣٠ من قبل آدم بألف عام ص٧٥ رقم ١٣٢. وميزان الاعتدال ٢٣٥/١ . ولسان الميزان ٢ / ٢٢٩ ، والرياض النضرة ٢ / ١٦٤ . وكفاية الطالب ص٣١٥.

(٢) قال السيد العلامة الوالد مجدالدين المؤيدي حفظه الله:إن كتاب ينابيع النصيحة من نفـائس مؤلفـات العترة الأطهار .. لولا أنه يتساهل في نقل بعض الروايات كقصة البسـاط، والمنجنيـق في غـزوة ذات السلاسل، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قتل يوم بدر سبعة وستين رجلا . ينظر لوامع الأنوار ٥٤٥/١.

إلى أنس بن مالك قال:أُهْدِيَ لرسول الله ﷺ بساط من بِهَنْدِفَ[1]؛ فقال لي:يا أنسُ ابسطه فبسطتُه، ثم قال:ادعُ العشرةَ فدعوتُهم فلما دخلوا أمرهم بالجلوسِ على البساط، ثم دعا عليًّا فناجاه طويلا، ثم رجع عليٌّ فجلس على البساط، ثم قال:يَا ريحُ احملينا؛ فَحَمَلَتْنَا الريحُ قال:فإذا البساط يدفُّ بنا دَفًّا، ثم قال:((يَا رِيحُ ضَعينا؛ ثم قال:تَدْرُون في أي مكانٍ أنتم؟ قلنا:لا، قال:هذا موضِعُ أصحابِ الكهفِ والرقيم؛ فَقُومُوا فسلِّموا على إخوانكم. قال:فقمنا رجلا رجلا؛ فَسلَّمْنا عليهم؛ فلم يردوا علينا السلام، فقام علي فقال:السلام عليكم معشرَ الصِّدِّيقِينَ والشهداء؛ فقالوا:عليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال:فقلت:ما بالُهم رَدُّوا عليك و لم يردوا علينا؟ فقال لهم علي:ما بالُكم لم تردوا على أصحابي؟ فقالوا:إنا معشرَ[2] الصديقين والشهداء لا نُكَلِّمُ بعدَ الموتِ إلا نبيا أو وصيا. قال:يا ريحُ احملينا؛ فَحَمَلَتْنَا تَدفُّ دَفًّا. ثم قال:يا ريحُ ضَعِينَا؛ فوضعتْنا فإذا نحن بالْحَرَّةِ.

قال:فقال علي عليه السلام:نُدْرِك النبي ﷺ يقرأ في آخرِ ركعةٍ، فَطَوَينا وَأَتَينا وإذا النبيُّ ﷺ يقرأ في آخر ركعة:﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً ﴾[3] [الكهف:٩].

فصل:وفي هذا الخبر دَلاَلَةٌ على فضائلَ لأمير المؤمنين عليه السلام من وجوه:**أحدها**

---

(١) قرية في آخر النهروان في العراق، وقد جاءت بلفظ:حندف وخندف.

(٢) في المناقب لابن المغازلي:معاشر.

(٣) أنظر مناقبه ص١٥٥ ، رقم ٢٨٠ . والعمدة لابن البطريق ص٤٣٣ ثم قال:وقد ذكر خبر البساط الثعلبي. ومحمد بن سليمان الكوفي ١/٥٥٢ رقم ٤٩١.

رفع البساط إلى الهواء كما كان لسليمان بن داود (ع). **وثانيها** بلوغهم إلى الكهف في اليوم الواحد وَعَوْدُهم كما كان لسليمان عليه السلام:﴿غُدُوّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢]. **وَثَالِثُها** سلامته وأصحابه[1] عند النزول كسلامتهم عند الصعود. **ورابعُها** المشي في الهواء على الريح. **وخامسها** إحياءُ الموتى؛ لأجل أمير المؤمنين عليه السلام، وإخبارُهم عن حالهم مثل ما كان لعيسى بن مريم عليه السلام. **وسادسها** كلامُ أهل الكهف له بأنه وصي؛ لقولهم:إنهم لا يُكَلِّمُون إلا نبيًا أو وصيا، وقد عَلِمْنا أنه ليس بنبي؛ فثبت كونُه وصيًّا. فانظر أيها المسترشد، كيف انتهتْ هذه الفضائلُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لولاه لَمَا كان شيء من ذلك؛ فكفى بذلك دلالة على فضله، ولكن عَمِيَتِ القلوبُ والأبصار، واستولت العصبيةُ على كثير من النُّظّار.

فضيلة السطل

روى ابن المغازلي بإسناده إلى أنس بن مالك قال:قال:رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وعمر:امْضِيَا إلى عليٍّ حتى يحدثَكما ما كان منه في ليلته، وأنا على إِثْرِكُما، قال أنس:فمضيا ومضيتُ معهما، فاستأذن أبو بكر وعمر على عليٍّ فخرج إليهما؛ فقال:يا أبابكر[2] حَدَثَ شيء؟ قال:لا، قال:وما حَدَثَ إلا خَيْرٌ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعمر:امضيا إلى عَليٍّ يُحَدِّثْكُمَا ما كان منه في ليلته. وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال:يا عليّ، حَدِّثْهما ما كان منك في ليلتك قال:أستحي يا رسول الله،

---

(١) في (ب): هو وأصحابه .

(٢) في الأصل:فقال أبوبكر، وليس بصحيح؛ لأن المتكلم علي، ولعله سبق قلم. وفي المناقب:يا أبا بكر، كما أثبتناه.

فقال:حدثهما إنَّ الله لا يستحيي من الحق، فقال علـــي:أردتُ المـــاءَ للطهـــارة، وأصبحتُ وخِفْتُ أن تفوتني الصلاة؛ فوجهت الحسنَ في طريق، والحسينَ في طريق في طلب الماء؛ فَأَبْطآ عليَّ، فأحزنني ذلك؛ فرأيتُ السقفَ قد انشقَّ ونزلَ عليَّ سَطْلٌ مغطًّى بمنديل، فلما صار في الأرض نَحَّيتُ المنديل عنه، وإذا فيه مـــآء، فتطهـــرت للصلاةِ واغتسلتُ وصليتُ، ثم ارتفع السطل والمنديل والْتَأَمَ السقفُ، فقـــال الـــنبي ﷺ لعلي عليه السلام:((أمَّا السَّطْلُ فمن الجنة، وأما المآءُ فَمِنْ نهر الكوثر، وأما المنـــديلُ فَمِنْ استبرق الجنة. مَنْ مِثْلُكَ يا عليُّ، وجبريلُ يَخْدُمُهُ))[1].

فضيلةُ رَدّ الشمس

من هذا الكتاب أيضًا رفعه بإسناده إلى فاطمةَ بنتِ الحسين عن أسمـــآءَ بنـــت عميس قالت:كان رسول الله ﷺ يُوحَى إليه–ورأسه في حجر علي فلـــم يُـــصَلِّ العصر حتَّى غربت الشمس؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:اللهم إنَّ عليا كان في طاعتِكَ وطاعةِ رسولك فَارْدُدْ عليه الشمس؛ فرأيتُها غربتْ ثم رأيتُها طلعتْ بعد ما غربت.

وقد رُوِيَ هذا الحديثُ بطرق:**منها** ما رُفع إلى أبي رافع وغيرِه وَذُكِرَ في آخـــر الحديث ما لفظه:فقام عَليٌّ فصلَّى العصرَ؛ فلمَّا قَضَى صلاتَه غابتِ الشَّمْسُ؛ فـــإذا النجومُ مشتبكةٌ[2].

---

(١) ابن المغازلي ص٧٩ رقم ١٣٩ . وابن البطريق ص٤٣٦. والمناقب للكوني ١/٥٥١ رقم٤٩٠. وكفايـــة الطالب ص٢٨٩ الباب٧٢.

(٢) **حديث رد الشمس**:أخرجه القاضي عياض في الـــشفاء ١ / ٥٤٨ . وابـــن المغـــازلي ص٨٠ رقـــم

فضيلة القضيب

من هذا الكتاب أيضًا رُويناه عنه، ورفَعَهُ بإسناده إلى ابن عباس قال:قال رسول الله ﷺ:((مَنْ أَحَبَّ أنْ يَتَمَسَّكَ[1] بالقضيبِ اليَاقوتِ الأحمرِ الذي غَرَسَهُ اللهُ فِـــي جَنَّةِ عَدْنٍ فَلْيَسْتَمْسِكْ بِحُبِّ عليٍّ بن أبي طالب))[2].

١٤٠،١٤١ . وكفاية الطالب ٣٨٤ . وهو حديث صحيح وقد كثرت طرقه مما جعل أكثر الحفـــاظ قـــد يقطع بصحته ، بل إن جماعة من الحفاظ أفرد له كتابا كما ذكرهم محمد باقر المحمودي في تحقيقه لترجمـــة الإمام علي عليه السلام لابن عساكر ٢ / ٢٨٣ . ومنهم السيوطي فقد صنف رسالة سماهـــا: ((كـــشف اللبس عن حديث رد الشمس)) أورد طرقه بأسانيد كثيرة ، وصححه بما لا مزيد عليه ، وهي موجـــودة في دار الكتب المصرية . قال القاضي عياض بعد ما عزاه إلى الطحاوي في مشكل الآثار من طريقين: وهـــذان الحديثان ثابتان، ورواهما ثقات. وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول:لا ينبغي لمن سبيله العلـــم التخلف عن حفظ حديث الشمس؛ لأنه من علامات النبوة. وكذلك العلامة محمد بن إسماعيل الأمـــير في شرح التحفة العلوية ص ١٤٨ ، وذكر ما يؤكد صحته ؛ فليراجع . وقال ابن حجـــر في شـــرح همزيـــة البوصيري ص١٢١ في شق القمر:ويناسب هذه المعجزة ردُّ الشمس له بعد مـــا غابـــت حقيقـــة .... إلى قوله:فردت ليصلي علي . وقد تكلم الأميني في الحديث مصادره في الغدير ٣ / ١٢٦-١٤١ ؛ فليراجـــع. ومما يؤكد ذلك قول الإمام الشافعي وغيره كل ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبينا محمد ﷺ نظيرها أو أبلغ منها وقد صح أن الشمس حبست على يوشع ليالي قاتل الجبارين فلا بد أن يكون لنبينا ﷺ ذلك فكانت هذه القصة والله أعلم . وقال الصاحب ابن عباد مخاطبا أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

كان الـــنبي مدينـــة العلـــم الـــتي		حوت الكماة وكنت أفـــضل بَـــابِ
ردت عليه الشمس وهـــي فـــضيلة		بَهَرَتْ فلـــم تُـــسْتَرْ بِلَـــفِّ نِقَـــابِ

(١) في (ب): يتمسك . وكذلك في المناقب. وفي الأصل:يستمسك.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد ٨٢٧/٢، وابن المغازلي ص١٤٨ رقـــم ٢٦٠. إلى ص١٥٠ رقـــم ٢٦٤ . وفي الكبير للطبراني ١٩٤/٥ رقم٥٠٦٧:((من أحب أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة الخلـــد الـــتي وعدني ربي عز وجل ؛ فإن ربي عز وجل غرس قضبانها بيده؛ فليتول علي بـــن أبي طالـــب؛ فإنـــه لـــن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة)). وحلية الأولياء ١٢٧/١ رقم ٢٦٧. وأمالي المرشد بـــالله ١٤٤/١. ولسان الميزان ٣٤/٢.

فضيلة الوصية

رُويناه عنه ورفعه أيضًا بإسناده إلى عمـــار قـــال:سمعـــت رســـول الله ﷺ يقول:((أُوْصِيْ مَنْ آمَنَ بي وصدَّقني بولاية عليٍّ بن أبي طالب؛ فَمَنْ تَـــوَلاَّهُ فقـــد تَوَلاَّنِي، ومن تَوَلاَّني فقد تَوَلَّى اللهَ عَزَّ وجل، وَمَنْ أَحَبَّه فقد أَحَبَّنِيْ، وَمَنْ أَحَبَّنِـــي فقد أَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فقد أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَـــضَنِي فقـــد أَبْغَـــضَ اللهَ عَـــزَّ وجل))[1]. فانظر أيها المسترشد:هل كان مُعَاوِيَة أحبه وتولاه أم أبغضه وعاداه.

فضيلة حديث الكوكب

رُوينا عنه أيضًا ما رواه بإسناده إلى ثابت بن أنس، قال:انقَضَّ كوكبٌ علـــى عهد رسول الله ﷺ؛ فقال ﷺ:((انظُرُوا إلى هَذَا الكَوْكَبِ فَمَنِ انْقَضَّ في داره فهو الخليفةُ مِنْ بَعْدَي))؛ فَنَظَرُوا فإذا هو قد انقضَّ في منْـــزل علـــيٍّ؛ فـــأنزل الله تعالى:﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىَ ❖ مَا ضَلّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىَ ❖ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىَ ❖ إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَىَ ﴾[2] [النجم:١-٤].

فضيلة حديث الحائط

رُوينا من مسند أبي عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني عنـــه، ورواه بإسناده إلى عبد المؤمن عن أبي المغيرة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:طلبني رسول

---

(١) ابن المغازلي ص١٥٣ رقم ٢٧٧ إلى رقم ٢٧٩ . والمرشد بالله في أماليه الخميـــسية ١/١٣٤ . ومجمـــع الزوائد ٩ / ١٠٨رقم٣٥٣. والمناقب للكوفي بما يوافقه ١/٢٢١ رقم١٤٠.

(٢) ابن المغازلي ص١٧٢ رقم ٣١٣ . و المناقب للكوفي ١/٥٥٦ رقم٤٩٣-٤٩٥ عن ابن عباس. وشواهد التتريل ٢/٢٠١ رقم٩١٠.

الله ﷺ فوجدني في حائط نائمًا؛ فضربني برجله فقال:((قُمْ والله لأُرْضِيَنَّكَ أنــتَ أخي، وأبو وَلَدِي، تُقَاتِلُ على سُنَّتِي، مَنْ مَاتَ على عَهَدْي فهو في كَنْزِ الله، ومَنْ مَاتَ على عَهْدِكِ فقد قَضَى نَحْبَهُ، ومَنْ ماتَ بِحُبِّك بَعْدَ مَوْتِكَ يَخْتِمُ اللهُ له بالأمنِ والأمَانِ ما طَلَعَتْ شَمْسٌ أو غَرَبَتْ))[1].

فضيلة اللواء

رَوَى أيضًا في هذا الكتاب بطريقٍ ذَكَر فيها سليمانَ بن الربيع إلى رســول الله مثلَ ذلك وزاد فيه:((عَلِيٌّ أخي وصاحبُ لوائي)). وإذا ثبتَ ذلك فهذه الأخبــار التي رويناها في فضل علي أمير المؤمنين عليه السلام هي مَجَّةٌ من لُجَّةٍ، وَقَطْرَةٌ من مَطــرةٍ من مناقبه التي رواها المخالفون، وذكرها أئمتُهم وعلماؤهم في جملة مناقبه عليه السلام التي رووها وذكروها.

فلَمَّا صح لنا سماعُها عنهم من كتبهم التي هي صحيح مــسلم[2]، وصــحيح البخاري[3]، ومن كتاب الجمع بين الصحيحين لأبي عبــدالله محمــد بــن نــصر الحميدي[4]، ومن كتاب الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري[5]، والــسنن[6]

(١) فضائل الصحابة ٢/٨١٥ رقم ١١١٨.
(٢) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري. ولد سنة٢٠٦. ت٢٦١ هـ.
(٣) هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. ولد سنة١٩٤. ت:٢٥٦هـ
(٤) سير أعلام النبلاء ١٩/١٢٠. ومعجم الأدباء ١٨/٢٨٤، وهو ظاهري المذهب، تلميذ ابن حزم وصاحبه. ت٤٨٨هـ.
(٥) مؤرخ محدث ت٥٣٥هـ. له التجريد بين الصحاح الستة.
(٦) في (ب) ، (ج): ومن السنن .

لأبي دواود السجستاني[(١)]، وصحيح الترمذي[(٢)]، ومن صحيح النسائي[(٣)]، ومن جمع البدري[(٤)]، ومن مسند ابن حنبل، وتفسير الثعلبي[(٥)].

[خاتمة عن الفضائل]

ومما رواه ابن المغازلي الواسطي فَلْنقتصر عليها ليكونَ ذلك أقوى للحجة، وأبلغَ في إيضاح المحجة، وتنكَّبنا طريقَ روايةِ الشيعة لفضائله عليه السلام؛ لكونِ أهلِ جِهَتِك أيها الطالبُ مائلين إلى فقهاء العآمَّة، ومعتمدين على أئمتهم في الفقهَ؛ فألزمناهم ما رواه أئمتُهم، وإلا فروايةُ الشيعة كثيرةٌ، ولهم في فضائله كتبٌ جليلةٌ خطيرةٌ. تشْتمل على ألوفِ أحاديث، وكذلك تركنا ما اختصَّ بروايته أباؤُنا الأئمةُ الكرام عليهم أفضلُ الصلاة والسلام مع اتِّساع نطاقها، وثبوت ساقها؛ لهذه العلة التي ذكرناها؛ فهل بَقِيَ معذرةٌ لِمُرْتادِ الرَّشاد، أو حجةٌ يَدْفَعُ بها يومَ المعادِ؟ بعد أن أوضحنا الأدلةَ،

---

(١) هو سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ولد سنة٢٠٢، وت٢٧٥هـ.

(٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ولد سنة٢٠٩هـ. وتوفي٢٩٧هـ.

(٣) أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ولد سنة٢١٤ أو٢١٥هـ. وكان سبب وفاته أنه خرج من مصر سنة٣٠٢هـ إلى دمشق فسأله أصحاب معاوية من أهل الشام عما يرويه لمعاوية من فضائل، فقال:ما أعرف له إلا لا أشبع الله بطنه، فما زال أهل الشام يضربونه في خصيتيه بأرجلهم حتى أخرجوه من المسجد ثم حمل إلى مكة ومات بها سنة ٣٠٣هـ.

(٤) في هامش (ب): الظاهر المنذري.

(٥) ((وهي النقطة الأولى معجمة بثلاث من أعلى، والثانية بواحدة من أسفل هذا في الأخبار. وأما في اللغة فالأولى معجمة بأثنتين من أعلا، والثانية بواحدة من أسفل، وفي الأولى العين غير معجمة، وهو راوي الأخبار، وفي الثاني العين معجمة بواحدة من أعلا وهو المذكور في اللغة)) ما ذكر مكتوب في صلب (أ) . والظاهر أنه حاشية أدرجها الناسخ؛ لأنها لا توجد في بقية النسخ.

وجعلناها منيرةً كالأَهِلَّةِ ثم نقول:إنه لا خلافَ في أنَّ عليا عليه السلام له فَضْلُ الجهادِ كما تقدَّم؛ فلا يشاركُه فيه مشاركٌ، وهو المالك لزِمَام العِلْمِ فلا يَمْلِكُه من الصحابة عليه مَالِكٌ ﴿أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقّ أَحَقّ أَن يُتّبَعَ أَمّن لاّ يَهِدّيَ إِلاّ أَن يُهْدَىَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس:٣٥]؛ فثبتَ الْمطلبُ الثاني وهو:**ذِكْرُ طَرَفٍ يسير من فضائل أمير المؤمنين** عليه السلام.

وأما المطلب الثالث

وهو ما تحتج به الْمُجْبِرَةُ القَدَرِيَّةُ على إمامة أبي بكر وعمر

فاحتجوا على ذلك بوجوه، واعتَقَدوا كونها أدلة. وهي على الحقيقة شُبْهَةٌ واهيةٌ. ونحن نوردها شبهةً شبهةً، ونجيب عن كل واحدة منها بِمَنِّ الله تعالى وعونه.

الشبهة الاولى:أن يقال:إن أبا بكر سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صِدِّيقا، والصدِّيقُ يجب أن يكون إمامًا. **والجواب**:عن ذلك أن لفظة الصِّدِّيقُ لا تفيد الإمامة لابلفظها، ولا بمعناها، ولا بصريحها، ولا بمفهومها، ولا بفحواها. ولا تَكْشِفُ عن شيء من ذلك لا في اللغة، ولا في العرف ، ولا في الشرع ، وبذلك يَبْطُلُ قولهم. **وبعدُ** فإن الله تعالى قد أشرك جميع المؤمنين في هذا الاسم بقوله تعالى:﴿وَالّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـَئِكَ هُمُ الصّدّيقُونَ ﴾ [الحديد:١٩]؛ فلو كان اسم الصديق يفيد الإمامة للزم في كل مَنْ آمَنَ بالله ورسله[1] أن يكون إمامًا، وفي ذلك من الوَهَى

---

(١) في (ب):ورسوله .

والفساد ما لا خفاء به؛ فإنه كان يجب أن يكون مُؤْتَمًّا في حال كونه إمامًا، وذلك خَطَلٌ من القول.

وبعدُ فإنا رُوينا عن رسول الله ﷺ أنه قال -حاكيا عن ربه عزوجل-:((يَـــا مُحَمَّدُ إني انْتَجَبْتُكَ لِرِسَالَتِي، واصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي، وأنْتَ نَبِيِّي وَخِيرتي مِنْ خَلْقِي. ثُمَّ الصِّدِّيقُ الأكْبَرُ، الطَّاهِرُ الْمُطَهَّرُ، الَّذِي خَلَقْتُه مِنْ طِينَتِكَ، وَجَعَلْتُهُ وَزِيرَكَ، وَأَبَا سِبْطَيْكَ، السَّيِّدَيْنِ الشَّهِيدَيْنِ الطَّاهِرِينِ الْمُطَهَّرَين، سَيِّدَيْ شَـــبَابِ أَهْـــلِ الْجنَّـــة. وَزَوْجَتَهُ خَيْرَ نِسَآءِ العَالَمِينَ. أنتَ شجرةٌ، وعَليٌّ أغصانُها، وفاطمـــةُ ورَقُهَـــا[1]، والحسنُ والحسينُ ثِمَارُها، خلقتُهما من طينةِ عِلِّيِّيْنَ، وخلقتُ شيعتَكُم منكم، إنهم لو ضُرِبُوا عَلى أعْنَاقِهِم بالسُّيوفِ لم يَزْدَادُوا لَكُمْ إلاَّ حُبًّا)) ثم قال ﷺ:قلت:((يَا رَبِّ! وَمَنِ الصِّدِّيقُ الأكْبرُ؟)) قال:((أخُوك عَليٌّ بنُ أبي طالب)).

ورُوينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ما معناه:بَشَّرَني رسول الله ﷺ بذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال. وهذا الخبر من عيون الأخبار، وَغُرَرِ الآثار؛ لأنه مـــؤرخ قبل الهجرة بثلاثة أحوال[2]، فهو قبل نكاح علي بفاطمةَ (ع)؛ لأنه تزوج بها بعد[3]

---

(١) في (ب):ورقتها .

(٢) أخرجه الإمام زيد بن علي من مجموعه ص٤٠٥، قال السيد مجد الدين في لوامع الأنوار ١٤٣/١ بعـــد تمام هذا الخبر، وعلى فصوله شواهد ونظائر لا تحصى ولا تستقصى .

(٣) في (ب):تزوجها قبل. وهو وَهمٌ؛ فإنه صلى الله عليه وآله زوَّجها من علي بعد أحد وبنى بها بعد تزوجه بسبعة أشهر ونصف، وقيل بعد زواج عائشة بأربعة أشهر. والبناء بعائشة تم بعد غـــزوة بـــدر في شـــوال سنة٢هـــ. وقيل:في شوال على رأس ١٨ شهرًا من هجرته وعمرها تسع سنوات. ينظر تهـــذيب الكمـــال ٢٢٧/٣٥ رقم٧٨٨٥. وفي تاريخ الطبري ٣٩٨/٢ قيل بعد ٨ أشهر من هجرته في ذي القعدة، وبعـــضهم في شوال لسبعة أشهر من الهجرة. وأما الزواج بعائشة فقد وقع في مكة قبل الهجرة بثلاث ســـنين. المنـــتظم ٦٩/٣.

الهجرة بسنة كاملة على ما ذكره صاحب كتاب المصابيح فهو من أخبار الغيـوب المستقبلة ، فكان الأمر فيه على ما أخبر رسول الله[1] صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإذا ثبـت ذلـك لم يُشارك أحد من الصديقين-وهم جميع مَنْ آمن بالله ورسله-عَلِيًّا عليه السلام في مقتـضى الخبر هذا. فيكون له خآصَّةً دونهم، وقد شاركهم أيضًا في مقتضى الآية الأولى التي شهدَتْ لكل مِنْ آمَنَ بالله ورسله بكونه صِدِّيقًا، فإنه لا خلافَ في أن عليًّا عليه السلام لم يعبد شيئا من دون الله تعالى بخلاف أبي بكر وعمر فإنهما عَبَدَا الأصنام من دون الله سبحانه، ثم أسلما بعد ذلك؛ فاختص أمير المؤمنين عليه السلام بـذلك. واختـص بأنـه الصِّدِّيقُ الاكبرُ؛ لمقتضى الخبر الذي ذكرناه ، ولِمَا رواه الباقر محمـد بـن علـي السجاد عن آبائه (ع) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه:((خُذُوا بحَجْـزَةِ هـذا الأنزعِ -يعني عليًّا عليه السلام-فإنَّهُ الصِّدِّيقُ الأكْبرُ والهادي لِمَنِ اتَّبَعَهُ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بـه أَخذَ بِحَبْلِ اللهِ، وَمَنْ تَرَكَهُ مَرَقَ مِنْ دِينِ اللهِ تَعَالى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عنـه مَحَقَـهُ اللهُ، وَمَنْ تَرَكَ وِلاَيَتَهُ أَضَلَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَخذَ بِولاَيَتِهِ هَدَاهُ اللهُ))[2].

ثم اخْتُصَّ علي[3] عليه السلام بالعصمة كما تقدم تحقيقه[4]؛ فلم يعص الله عزوجـل

---

(١) في (ب)، (ج):أخبر صلى الله .إلخ. أسد الغابة ٢١٦/٧ رقـم٧١٨٣. وتهـذيب الكمـال ٢٤٧/٣٥ رقم٧٨٩٩. وفي سيرة ابن كثير في صفر سنة٢هـ ج٥ص٣٣٠.

(٢) قال في لوامع الأنوار ٤٩٢/٢:قال في تفريج الكروب:على فصوله شواهد. أقول:إن شواهده مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم:علي مع الحق. وحبه إيمان. وتركت فيكم. واللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. وأهـل بـيتي كسفينة نوح. المحقق.

(٣) في (ب):عليًّا .

(٤) في (ب):بحقيقته .

بمعصية كبيرة. فكم بَيْنِ صِدِّيقٍ قد سَمَّاه الصادقُ المصدوق[1] ﷺ بأنه الـــصديق الأكبر، وهو مع ذلك معصوم عن الفحشاءِ والمنكر–وبينَ أبي بكر الذي قد كَفَـــر بالله تعالى وَعَبَدَ الأصنام، ثم رجع ودخل في الإسلام بلا خـــلاف في ذلـــك بـــين المسلمين، وقد قال الله سبحانه:﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية:٢١].

شبهة أخرى في إمامة عمر خاصة:

وهي أن يقال:إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سَمَّى عُمَـــرَ بـــن الخطـــاب الفاروقَ، ومعناه هو:الذي يَفْرُقُ بين الحق والباطل، وذلك يُفيد معنى الإمامة؛ فإن الحاجة إلى الإمام لتعريف الأحكام وإنفاذِها على الأنام، والتمييـــز بَـــيْنَ الحـــلال والحرام، وذلك هو عُمَرُ الفاروق.

والجواب:عن ذلك أنَّ ذلك لا يُفِيدُ معنى الإمامة فإنَّ عبـــدالله بـــن العبـــاس رضي الله عنه كان يَفْرُقُ بين الحق والباطل، وكذلك عبدالله بن مسعود رحمه الله وغيرهما من علماء الصحابة و لم يقل أحد بأنهم أئمة لأجل ذلك.

وبعدُ فإنه لا خلافَ بين علماءِ المـــسلمين المخـــالِفينَ في إمامـــة علـــي عليه السلام والموافقين في أنَّ عليًّا عليه السلام كان أعلمَ من عمر؛ فيجب كونُه أولى بالإمامه منه. ولا شُبْهَةَ في أنَّ الصحابةَ مِنْ عُمَرَ فَمَنْ دونه كانوا يَرجعُون إلى علي عليه السلام في العِلْمِ ولا يَرجعُ إليهم، وكان عمرُ يُخطِئُ في المسائل فيردُّه علي عليه السلام، نحو ما روي أنَّ امرأة

---

(١) في (ب):المصدق .

زَنَتْ فحملتْ عن الزنا فأمر عمر بن الخطاب برجمها وهي حُبْلى فقال لـــه علـــي عليه السلام:هذا سلطانك عليها فما سلطانُك على ما في بطنها؟ فترك عمـــر رَجْمَهـــا، وقال:**لَولا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ**[1]. وغير ذلك مما حكم به عمر وهو غير صواب فيرده علي عليه السلام، حتى قال:لا أبقاني الله لِمُعْضِلَةٍ ليس فيها ابنُ أبي طالـــب[2]. وقـــال في بعضها:لا أراني الله معضلة في الدين لا يكون عليٌّ بجنبي. وكلُّ ذلك اعترافٌ مِـــنْ عمر بكون أمير المؤمنين عليه السلام أعلمَ منه.

وقد ذكر العلماء (رض) رجوع عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثٍ وعشرين حكومة.

وذكرهُ أيضًا أبو القاسم الْبُستي[3] رحمه الله. وكيف يُقاس عُمر بعلـــي عليه السلام، وَلِعُمَر في الْجَدِّ والْجَدَّةِ سبعون قضية[4]، ثم يقول:يا ليتني سألت رســـول الله عـــن حكم الجدة. وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام بأنهُ أعلم الـــصحابة؛ فقـــال

---

(١) ينظر الأحكام للهادي ٢/٢٢٠. والمجموع للإمام زيد ص٣٣٥. وفرائد الـــسمطين ١/٣٥١. والمحـــب في الرياض النضرة ٢/١٩٤، وقد ذكر الأميني في الغدير ٦/٨٣ أمثلة كثيرة حول الموضوع .

(٢) فرائد السمطين ١١/٣٤٨. والفخر الرازي في تفسير سورة التين مج١٦ ج٣٢ ص١١ . وذخائر العقبى ص٨٢، وقال أخرجه أحمد وأبو عمر. وابن عساكر ٣/٥٠ وذكر في هامشه ما يدل على تواتره.

(٣) هو إسماعيل بن علي بن أحمد البستي. أحد أساطين الشيعة ، حافظ المذهب وشيخ الزيدية في العراق، مـــن أصحاب المؤيد بالله ، أخذ على القاضي عبدالجبار متكلم. ناظر أبا بكر الباقلاني فقطعه، وكـــان القاضـــي يعظمه توفي في حدود العشرين. وله الموجز وكتاب التحقيق في التكفير والتفسيق مجلد، والمراتب في مناقـــب أهل البيت، والباهر على مذهب الناصر. ينظر مطلع البدور (خ) . وتراجم الرجال ص٧.

(٤) أخرجه البيهقي ٦/٢٤٥ عن عبيده قال:إني لأحفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعـــضها بعضًا، وقال الزمخشري:وكان عمر يفتي كثيرًا بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه، وقضى في الجد مع الأخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال:من أراد أن يقتحم جهنم فليقـــل في الجد برأيه.

[ﷺ]:((عليٌّ أعلمُكُمْ عِلمًا وَأَقْدَمُكُمْ سِلْمًا)).

وقال ﷺ:((أَقْضَاكُمْ عليٌّ))[(١)]؛ ولا يكون المرء قاضيًا إلا وهو من أهل الاجتهاد. وقال ﷺ في علي عليه السلام:((هُوَ عَيْبَةُ[(٢)] عِلْمِي، ولو أنَّ رجلا عَبَدَ اللهَ ألفَ سنةٍ حتى صار كالْحنايا، وصام حتى صار كالوَتَر، وَعَبَدَ اللهَ بين الرُّكنِ والْمَقَامِ، ثم لقي اللهَ وفي قلبه بُغْضُ عليٍّ لَكَبَّهُ اللهُ على وجهه)).

قال أبو القاسم البستي:قال قاضي القضاة رحمة الله عليهما جميعا:وهذا الخبر كما يدل على فضله عليه السلام فإنه يدل على أن الكبآئر تُحْبِطُ الأعمالَ، وعلى أنَّ بغضَ أمير المؤمنين كبيرةٌ. وَلَمَّا أخرجه إلى اليمن قال:يا رسولَ الله تُخْرِجُني[(٣)] إلى قوم هم أسَنُّ مني فكيف أقضي بينهم؟ قال:فضربَ رسول الله ﷺ يَدَه على صدره وقال:((اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَسَدِّدْهُ وَلَقِّنْهُ فَصْلَ الْحُكْمِ[(٤)]))، قال علي عليه السلام:فما شَكَكْتُ في قضاءٍ بين اثنين بعد ذلك اليوم.[(٥)] وقد بَيَّنَّا قوله صلى الله عليه وآله:((عَلَيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ))[(٦)] مع ما أضفناه[(١)] إليه من الأخبار المطابقة

---

(١) في البخاري في كتاب التفسير في قوله تعالى:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾.. ٤/ ١٦٢٨ برقم ٤٢١١ عن عمر قال:أقرؤُنا أُبيٌّ، وأقضانا عليٌّ.. والمستدرك ٣ / ٣٠٥.

(٢) وعاءٌ من جلْدٍ يوضع فيه الثياب . ومن الرجل موضع سِرِّهِ .القاموس ص١٥٢ .

(٣) في (ب):أتخرجني .

(٤) في (ب):فصل الخطاب .

(٥) وهو حديث صحيح لكثرة طرقه . أخرجه ابن ماجة ٢ / ٧٧٤ برقم ٢٣١٠ . والحاكم في مستدركه ٣ / ١٣٥ ، وقال:صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وأحمد بن حنبل ١ / ١٨٢ رقم ٦٣٦. والنسائي في الخصائص ٥٠-٥٤ برقم ٣١-٣٦ . وأبو داوود ٤ / ١١ برقم ٣٥٨٢ . والبيهقي في سننه من طرق كثيرة ١٠/ ٨٦ .

(٦) أمالي أبي طالب ص٥٥ . ومجمع الزوائد ٢٣٥/٧ . وتأريخ البغدادي ج١٤ ص٣٢١، وزاد:((ولن

له في معناه. وهو التَلَيْكِلا الذي خَطَب على المنبر بحضرة المهاجرين والأنصار ثم أشار إلى بطنه كُنَيْفٌ[٢] مُلِئَ عِلْمًا لو وجدتُ له طَالِبًا، فوالله لو كُسِرَتْ أو قال:ثُنِيَتْ لي وِسَادٌ[٣] لَحكمتُ لأهل التوراة بتوراهم، ولأهل الأنجيل بأنجيلهم، ولأهل القــرآن بقرآنهم حتى يُنَاديَ كُلُّ كتابٍ بأن هذا حُكْمُ الله فِيَّ، ووالله ما نزلتْ آيةٌ في لَيــلٍ ولا نهارٍ ولا سَهْلٍ ولا جَبَلٍ ولا سَفَرٍ ولا حَضَرٍ إلا عَرَفتُ متى نَزَلَــتْ، وَفِــيْمَنء نَزَلَتْ، وعرفتُ ناسِخَها، ومنــسوخَها، وَمُحْكَمَهَــا، ومتــشابِهَهَا، وَمُفَــصَّلَها، وَمُجْمَلَها[٤]. **فأين** هذا من أبي بكر الذي قال في نفسه على المنبر:أقيلــوني فــإني وُلِّيتُكُم وَلَستُ بِخيِّرِكُم[٥].

وقال أيضًا:أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا قلــتُ في القــرآن برأيــي؟[٦] ومعلومٌ أن المجتهد عند تعارض الآياتِ والسُّنَنِ ودلالةِ الشرع يجبُ أن يكونَ له في القرآن رأي.

ومن الظاهر الجلي عند الْحَشْوية أنهم يَدَّعُون أنَّ أبا بكر كان أعلمَ من عُمَــرَ، ويَرْوُوْنَ إنكارَ عمر لموتِ النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما قالوه؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّــا

يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)) عن أم سلمة . والبزار ٢ / ١٧٣ برقم ١٦٣٨ عن سعد بــن أبي وقاص .

(١) في (ب):أضفنا .

(٢) وعاء . القاموس ١٠٩٩ . وفي بعض النسخ كيف .

(٣) في (ب):وسادة .

(٤) القرطبي ٢٧/١.

(٥) سيرة ابن هشام ج٤ص٣١٨.

(٦) ينظر الطبراني مج١ ج١ ص٥٥.

مات قام عمر بن الخطاب فقال:إنَّ رجالا من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله ﷺ ماتَ، وإن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه. والله[1] ليرجعَنَّ رسول الله ﷺ فَلَيقطعنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم يزعمون أن رسول الله ﷺ مات. وأقبل أبو بكر فنظر إلى وجه رسول الله ﷺ ثم أكبَّ عليه وقبَّلَه ثم قال:بأبي أنت وأمي أمَّا الموتَةُ التي كتبها الله عليك فقد ذُقْتَهَا، ثُم رَدَّ الثوبَ على وجهه ﷺ ثم خرجَ- وعمر يكلم الناس-فقال:على رِسْلِك ياعمرُ فأَنْصِتْ؛ فأبى إلاَّ يَتَكَلَّمُ فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِتُ أقبل على الناس فَلَمَّا سمع الناسُ كلامه، أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:أيها[2] الناس إنه مَنْ كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلى قول الله تعالى:﴿وَمَا مُحَمّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفإِنْ مّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ﴾.. [آل عمران:١٤٤] إلى آخر الآية.

قال الراوي:فوالله لَكَأَنَّ الناس لَمْ يعلموا أنَّ هذه الآيةَ نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يَومَئذٍ، وأخذها الناس عن أبي بكر وإنما هي في أفواههم. قال عمر:فوالله ما هو إلاأن سمعتُ أبا بكر يتلوها فعثرتُ حتى وقعتُ الأرض ما تحلمني رِجْلاَي، وعرفتُ أن رسول الله ﷺ قد مات.

روى ذلك الطبري في تاريخه[3]، وهو كالمائل عن أهل البيت (ع). فكيف

(١) في (ب) ، (ج):ووالله .
(٢) في (ب) ، (ج):يا أيها .
(٣) في (ب) ، (ج):روى جميع ذلك الطبري في تاريخه. ٢٠١/٣.

يُقَاسُ عِلْمُ عمر بِعِلْمِ أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إن وَلَّيتُمْ عَلِيًّا تَجِدُوهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا))[1]؛ فكونه هاديا مَنْقَبَةٌ في العلم ليست إلاَّ لـــه، وكونـــه مَهْدِيًّا مُعَلَّمًا مُعَرِّفًا لِلْحَقِ مَنْقَبَةٌ أخرى. وفي أمير المؤمنين عليه السلام قال الفقيه محمد بـــن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة:لَولا عَلِيٌّ لَمَا عرفنا حُكْمَ أهل البغي[2].

قال أبو القاسم البستي رحمه الله:ولمحمد بن الحسن[3] كتاب يشتمل على ثلاثـــة آلاف مسئلة في قتال أهل البغي بناها على فِعْل أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم مما يدل على أنه أعلمُ-إجماعُ العترة (ع)؛ فإنهم أجمعوا على أنَّ عليًّـــا عليه السلام أعلمُ الأمة، وإجماعهم حُجَّةٌ كما تقدم بيانه.

وقصةُ الجاثليق ظاهرة في قدومه على عمر وسؤالِه عَمَّا عجز عن جوابه؛ فلمـــا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٣٢/١ رقم٨٥٩. والإصابة ٣٥٠٣/٢. والاستيعاب ٢١٢/٣. وأمالي المرشد بالله ١٤٣/١.

(٢) قال السيد محمد بن إبراهيم الوزير في ((إيثار الحق على الخلق ص٤٥٨)):وكذلك أجمعت الأمة علـــى الاحتجاج بسيرة علي (ع) في قتالهم (البغاة).

(٣) هو محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان ولد سنة١٣١هـــ . ومات سنة ١٨٩هـــ إمام بالفقه والأصول. قال الشافعي:لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغته لقلت؛ لفصاحته. وكان يقول أنا على مذهب زيد إن آمنت على نفسي وإن لم فأنا على مذهب أبي حنيفة. تولى القضاء بالرقة ثم عزل. ولـــه الموقـــف الذي قام لله عز وجل بين يدي هارون الرشيد لما أراد الغدر بالإمام يحيى بن عبدالله (ع)، وأراه كتـــاب الأمان الذي كان أنفذه إلى الديلم فرأوا الكتاب وعرفوا صحته و لم يتجاسر أحد بالكلام، فقال محمد بن الحسن:هذا أمان لا يجوز نقضه، ومن نقضه فعليه لعنة الله. فغضب هارون وضربه بالدواة فشجه شـــجة خفيفة. ولمحمد بن الحسن أصحاب، ومن أصحابه وكتبه انتشر علم أبي حنيفـــة ومنـــهم زفـــر. تـــوفي سنة١٩٢هـــ. وله كتب كثيرة في الفقة والأصول منها الجامع الصغير، والكبير، والزيـــادات، والآثـــار، والسير، والموطأ، والأمالي، والمخارج في الحيل، والأصل، والحجة على أهل المدينة، وكلا من هـــذه قـــد طبع. والزيادات، والمبسوط. **ينظر**:الشافي ١٤٩/١. والأعلام ٨٠/٦. والفلك الدوار ص٥٥. وتـــراجم رجال شرح الأزهار ص٣٣ ، وتاريخ بغداد ١٧٢/٢.

لم يعرف الجواب تقدم به عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمر الجاثليق بسؤاله، فسأله الجاثليق عن جميع مسائله؛ فأجابه بأحسن جوابَ، فلما فرغ قال الجاثليق:إنما أنتَ خليفةُ رسول الله لا عمر. فأسلم وحَسُنَ إسلامه.

وروى أن عمر بن الخطاب حَكَمَ بِحُكْمٍ فغلط فيه فرده معاذ بن جبل فرجع، وقال:لولا معاذ لهلك عمر[1]. وَرُوِيَ أنه حكم بحكم آخر فغلط فيه أيضًا فَرَدَّتْ عليه امرأةٌ من نسآء المسلمين حُكْمَهُ فرجع عن خطئه حتى قال للناس:كُلّكُم أَفْقَهُ من عمر، حتى الْمُخَدَّرَاتِ في البيوت[2]. أين عُمَرُ ممن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((أَنَا مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِيْنَةَ فَلْيَأْتِ البَابَ))؛ فحظر على كل سائل في أمر دينه أن يسأل غيره.

وقال الله سبحانه:﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة:١٨٩]؛ فكان سؤال غير علي عليه السلام مخالفة لله تعالى ولرسوله.

وروينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]؛ جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا، والقصة معروفة. ونحن نقصِدُ الغرض منها وهو أنه دعاهم فقال:((إنَّ اللهَ تعالى أمرني أَنْ أُنْذِرْ

---

(١) سنن البيهقي ٧/ ٤٤٣ .

(٢) أخرجه الزمخشري في الكشاف ١/ ٤٩١ بلفظ:أنه قام خطيبًا فقال:أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء ... فقامت إليه امرأة فقالت له:يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقنا جعله الله لنا والله يقول:﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً ﴾ فقال:كل أحد أعلم من عمر، ثم قال لأصحابه:تسمعوني أقول مثل هذا القول قد تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم الناس. والقرطبي ٥/٦٦. والخازن ٢/٣٨ فيهما أيضا:أصابت امرأة وأخطأ عمر. ذكر الرازي في الأربعين ص٤٦٧ كما في الغدير ٦/٩٨. وفي غيره:حتى ربات الحجال.

عشيرتك الأقربين، وأنتم عشيرتي الأقربون، وإن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا جعل له من أهله أخا ووزيرا ووصيا ووارثا، فَأَيُّكُم يقوم فَيُبَايِعَنِي على أَنَّهُ أخِي، ووزيري، ووارثي دون أهلي، ووصيي، وخليفتي في أهلي، وهو مِنِّي بمنزلة هارون من موسى غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي))؛ فسكتَ القوم فقال:لَيَقُومَنَّ قائِمُكم أو ليكونَنَّ في غيركم؛ فقام علي عليه السلام وهم ينظرون إليه كلُّهم فبايعه وأجابه إلى ما دعاه إليه، فقال:ادنُ مِنِّي وَافْتَحْ فاكَ، فدنا منه وفتح فاه فمَجَّ فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وبين يديه. فقال أبو لهب:بئس ما حبوتَ به ابنَ عمك أجابك فملأتَ فاه ووجهَهُ بُزَاقًا[1]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:بل مَلأتُه حِلْمًا [وَعِلمًا][2] وحكمًا وَفَهْمًا[3].

وروينا أنه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة (رض):((زَوَّجْتُكَ أعظَمَهم حِلْمًا، وأقدمهم سِلْمًا، وأكثَرهم علمًا))[4]. **وروينا** عن أبي ذر رحمه الله الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَآءُ ولا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ على ذي لهجةٍ أصدَقَ من

---

(١) في (ب):بزقا .

(٢) ما بين القوسين محذوفة من (ب):، و (ج) .

(٣) شواهد التنزيل ١ / ٤٢٠ رقم ٥٨٠ . والطبري في تفسيره مج١١ ج١٩ ص١٤٩ . والنسائي بما يوافق ذلك في الخصائص ص٧٦ رقم ٦٣ . وابن عساكر في ترجمته ١ / ٩٧، ٩٨ وأحمد بن حنبل ١/٢٣٦ برقم٨٨٣. والبداية النهاية ج٣ص٥٣. والسيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٨١ . دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ١٧٨ . وقد ورد لنا في كتب التأريخ وغيرها بهذا اللفظ: ((فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم))، فأحجم القوم عنها جميعًا، وأنا أحدثهم سنًا فقلت:يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال:((هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)) إلى نهاية القصة. الطبري ج٢ص٣٢١. وجامع البيان للطبري مج١١ج١٩ص١٤٩. وتفسير الخازن ٦/٥٠٧. والشافي ١/٥٦.

(٤) أخرجه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ١ / ١٩٥. وابن أبي شيبة ٦ / ٣٧٤ برقم ٣٢١٣١ . وأحمد بن حنبل ٧ / ٢٨٨ رقم ٢٠٣٢٩ . وكنز العمال ١١ / ٦٠٥ رقم ٣٢٩٢٤-٣٢٩٢٧ . ومجمع الزوائد ٩ / ص١١٤ .

أبي ذر))[1] - أنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام:((أنـــتَ الـــصِّدِّيقُ الأكْبرُ، وأنتَ الفاروقُ الذي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطلِ، وأنت يَعْـــسُوبُ المـــؤمنينَ، والمالث يعسوبُ الكافرين))[2] .

وفي خبر آخر عنه ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام:اليعسوبُ أميرُ النَّحْلِ، وأنتَ أمـــيرُ المؤمنين؛ فهذا كله تصريح بتصحيح ما قلناه:من أنه عليه السلام هو الفاروق تسميةً ومعنىً لا عمرُ بنُ الخطاب.

شبهة ثالثة:في إمامة أبي بكر

رُبَّمَا يحتجون بقول الله تعالى:﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]، وهذا يفيد الإمامةَ؛ لأنه إشارة إليها.

والجواب:عن ذلك أنَّا نقول:لا علاقة بذلك في باب الإمامة على نحو ما تقدم بيانه في لفظة الصِّدِّيق؛ فإن تعلَّقُوا بذلك في فضله فصَّلنا القَـــوْل فيـــه بعـــون الله، **فقلنا**:أمَّا قوله:﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَـارِ ﴾ فما من اثنين إلا ويجوز أن يـــضاف أحدهما إلى الآخر. تصديقه، قوله تعالى:﴿مَا يَكُونُ مِن نّجْوَىَ ثَلاَثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧]؛ فإنه يدخل فيه المسلم والكـــافر والبَـــرُّ[3] والفاجر؛ فلم يدل ذلك على الفضل، مع كون الله تعالى رابعَ الثلاثَـــةِ، وســـادسَ

---

(١) الترمذي ٥ / ٦٢٨ برقم ٣٨٠١ ، ورقم ٣٨٠٢ . وابن ماجة ١ / ٥٥ برقم ١٥٦ . وأحمد بن حنبل ٢ / ٥٦٠ رقم ٦٥٢٩ .

(٢) رواه المرشد بالله في أماليه ١ / ١٤٤ . وفرائد الـــسمطين ١ / ١٣٩ . وتـــاريخ دمـــشق ١ / ٨٧ . والحاكم في المستدرك ٣ / ١٣٧ . والخطيب في تاريخه ١١ / ١١٢ . ومجمع الزوائد ٩ /١٠٢ .

(٣) في (ب):البار .

الخمسة، إلى غير ذلك؛ لقوله:﴿وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾؛ فكذلك لا يدل كونُ النبي ﷺ ثانيا لأبي بكر–على فضل أبي بكر.

وأما قوله تعالى:﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾؛ فإن لَفْظَ[1] الصاحب لا يدل على الفضل أصلا؛ بل يدخل فيه المؤمن والكافر. تصديقُه قول الله سبحانه:﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمّ مِن نّطْفَةٍ ثُمّ سَوّاكَ رَجُلاً ﴾ [الكهف:٣٧]؛ فأطلق عليه سبحانه لفظ[2] الصاحب وهو كافر بالله تعالى و لم يدل ذلك على فضله، بل لم يدل على كونه مسلما. وقد كان من جملة الصحابة عبدُالله بنُ أبي وهو منافق و لم يدل ذلك على فضله.

وأما قوله:﴿لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللّهَ مَعَنَا ﴾ فما نهاه رسول الله ﷺ إلاَّ عن مكروه، إلا أن يقول المخالفون:إن أبا بكر نهى رسول الله عن الحزن فغيرُ مُسَلَّمٍ وغيرُ صحيحٍ بإجماع علمآء التفسير، ثم لو سَلَّمْنَا ذلك تسليم جَدَلٍ لَمَا كان لأبي بكر أن يقول مثلَ ذلك لرسول الله ﷺ.

وبعدُ فإن الله اختص نبيه ﷺ بالرحمة والتأييد دون أبي بكر كما في سياق الآية. قال الله تعالى:﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيّدَهُ بِجُنُودٍ لّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة:٤٠]، يريد بذلك محمدًا ﷺ بلا خلاف، فَهلاَّ أَشْرَكَ أبابكر في السكينة كما أشركَ أمير المؤمنين عليه السلام وَمَنْ وقَفَ معه يومَ حُنَينٍ في السكينة، في قوله تعالى:﴿ثُمّ أَنزَلَ اللّهُ

(١) في (ب):لفظة .
(٢) في (ب):لفظة .

سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة:٢٦]؛ فَدَلَّتْ هذه الآيةُ على نقيضِ ما ادَّعُوْهُ من الفضل لأبي بكر.

شبهة رابعة في إمامة أبي بكر خاصة:

احتجوا بأن رسول الله ﷺ أمره أنْ يُصليَ بالناس فكان ذلك تنبيهًا على إمامته. **والجواب:** عن ذلك أنَّ روايتهم في ذلك مأخوذة عن عائشةَ؛ لأنها قالت لبلال: امُرْ[1] أبَا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس حكايةً عن رسول الله ﷺ. **فانظر** أيها المسترشد كيف انتهتْ دلالتهم إلى امرأةٍ، وهي بنصف شاهد، ثم لو صح ذلك ففي تمام الخبر ما يَهْدِمُ ما ادَّعَوْهُ من الفضل؛ فإنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام وأمره بالخروج ليصلي بهم فَتَمَسَّحَ وَتَوَضَّأَ، وخرج يتهادى بين عليٍّ والفضل بن العباس وقدماه تَخُطَّانِ في الأرض حتى دخل المسجد[2].

وَرُوِيَ أنه لَمَّا سمع قرآءة أبي بكر، وعرف أنَّ ذلك من عائشة أنكر عليها، وقال: ((إِنَّكُنَّ صُوَيْحِبَاتِ يوسف)). ثم لَمَّا وصل المسجد نحَّى أبا بكر عن القبلة وصلى رسول الله ﷺ بالناس وأزاح أبا بكر عن المحراب. **فلو** سلمنا أنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَ عائشة بتقديمه في الصلاة؛ فقد رَوَيْنَا وروى المخالفون لنا أنَّ رسول الله ﷺ أَخَّرَ أبا بكر عن المحراب؛ فيجب أن يكون ذلك نَقْصًا لأبي بكر وليس بفضل، ولئن كان التقديم تولية؛ فالتأخير له أعظم عزل. **فأما** ما ادَّعاه بعضهم من

(١) في (ب): مُرْ.
(٢) ما يقارب ذلك في طبقات ابن سعد ٢/٢١٨. والبخاري من رقم ٦٣٣ إلى ٦٥١.

أنَّ رسول الله ﷺ كان متقدما على أبي بكر، وأبو بكر صَفٌّ وحده متقـــدم[(١)] على الناس، فلو صح فهو غيرُ دليل على الإمامة إنَّمَا مِثْله مِثْـــلُ الـــصف الأول في الصلاة، وحكمه حكمهم، وهذا مما لا يختص به أبو بكر دون ســـآئر صـــفوف المؤمنين المتقدمة في الصلاة.

وأمَّا قولهم: إنه كان يرفع صوتَه بالتكبير في الصلاة ليسمعَ الناس فليس بـــدليل على الفضل أيضًا؛ لأن رسول الله ﷺ في حال ضعفه وعلته أقوى من قَـــوِيِّهِم في حال شدته وصحته، وإذا كان كذلك فلا حاجةَ إلى رفع أبي بكر صوتَه بالتكبير.

وَبَعْدُ فقد نهى اللهُ عن رفع الأصواتِ فوقَ صوت النبي ﷺ فقد أتى أبو بكر بالمنهيِّ عنه وذلك نَقْصٌ فيه وليس بفضل. وتصديقُ ذلك ما رواه الإمام الناصـــر عليه السلام في كتاب البساط؛ فإنه روى أنَّ أبا بكر وعمر لما استشارهما رسول الله ﷺ فيمن يُؤَمِّرُ على بني تميم مِنْ وفدهم-اختلفا واختصما حتى علَتْ أصواتُهما فحظَرَ اللهُ رفعَ الصوت عند النبي ﷺ حتى كان عمرُ بعد ذلك إذا حدَّثه بِـــشيء كـــان كالسرار من خفض صوته[(٢)]. **فإن قيل:** ومتى نهى الله عن رفع الصوت فوق صوت النبي ؟ قلنا: قال الله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجــرات:٢]. وبعدُ فلو سلَّمنا لهم تسليم جدل أن أبا بكر صلى برسول

---

(١) في (ب) ، (ج): صفا وحده متقدما؛ والنصب على أنه خبر كان، وأبوبكر اسمها، وحـــذفت لدلالـــة الأولى عليها، والله أعلم، المحقق.

(٢) في (ب): الصوت. أخرجه في البساط ص٥٦. والبخاري ٤/١٨٣٣ رقم٤٥٦٤.

الله ﷺ وبالمسلمين–لما كان ذلك دليلا على الإمامة؛ لأن إمامة الصلاة ليست من الإمامة العامَّةِ في شيء، ولا صلاةَ النبي ﷺ خَلْفَ أبي بكر تدل على الإمامة العامة أيضا؛ لأن رسول الله ﷺ صلى في صحته خلف عبدالرحمن بن عوف ركعةً من الصبح، وصلَّى خلف عَتَّاب بن أسيد وهو أميره على مكة والمتولي للقضاء من جهته فيها. ولم يكن في ذلك حجةٌ على إمامتهما، مع أن رسول الله ﷺ لم يعزلْهُما عن الصلاة، وقد عزل أبا بكر عن الصلاة. وبعدُ فقد ولَّى على الصلاة مَن لا تصحُّ إمامتُه عندنا وعندهم، فإنَّه استعمل في غزوة أُحُدٍ ابنَ أمِّ مكتوم على المدينة ليصليَ بالناس وهو أعمى[(١)].

وهكذا أمَّر رسول الله ﷺ عَمْرًا بنَ العاص على المسلمين في غزاة[(٢)] ذاتِ السلاسل، وفيهم أبو بكر مأمورا[(٣)] غير أمير، وكان عمرو بن العاص يَؤُمُّ بهم في الصلاة ويأتم به أبو بكر، فصلى بهم ذات يوم وهو جنب لم يغتسل، فهلا دل ذلك على فضل عمرو وإمامته، ولم يُقَدِّمْ عليه أبو بكر، وادُّعِيَ كونُه إمامًا. وإنما حملهم على ذلك الْمَيلُ عن واضحات الأدلة واتِّباع الشبه[(٤)] المضلة.

شبهة يحتجون بها على فضل الشيخين:

(١) سنن أبي داوود ١/٣٩٨ رقم٥٩٥.

(٢) في (ب) ، (ج):غزوة.

(٣) في (ب):مأمور. والرفع على أنه مبتدأ، ((وفيهم)) متعلق بالخبر، والنصب على الحال. والله أعلم . المحقق.

(٤) في (ب):الشبهة. ذكر ذلك ابن كثير في سيرته ٣ /٥١٨ . وأبو داوود في سننه ١ / ٢٣٨ برقم ٣٣٤، ٣٣٥ . والواقدي في سيرته ٢ / ٧٧٣ . والطبري ٣/٣٢، ولم يذكر أنه جنب . وكذلك ابن الأثير في الكامل ٢/١٥٦.

ورُبَّما يحتج بها جُهَّالهم على الإمَامة، وهي قولهم:إن أبا بكر وعمر ضـــجيعا رسول الله ﷺ في قبره.

والجوابُ:أن هذا ليس من الإمامة في شيء. فأمَّا ما يتعلقون به مـــن إثبـــات الفضل فغيرُ مُسَلَّمٍ وغيرُ صحيح؛ لأن رسول الله ﷺ قُبِرَ في بيته بالإجمـــاع، ولا خلاف أنه لم يُقْبَر في بيت أبي بكر ولا في بيت عمر، وإذا ثبت ذلك فقد قـــال الله تعالى:﴿لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحـــزاب:٥٣]. وهما لم يستأذنا في ذلك رسول الله، ولا ادَّعَاهُ لَهُمَا مُدَّعٍ، ولا رُوِيَ ذلك في خبر ولا أثـــر، لا مِـــنْ أتباعهما، ولا من مخالفيهما؛ فيكف يكون الفضلُ بفعلِ ما نهى الله عنه! لا يكـــون أبدًا. وإنَّمَا تَسَنَّمَ المخالفون سَنَامَ العناد، وتنكبوا طريقَ الرشاد؛ فحمَلَهم ذلك على الاعتماد على ما لا دلالة فيه.

شبهة أخرى لهم في مثل ذلك

واحتجوا أيضًا بكون الشيخين من السابِقِينَ الأولين وقد رضي الله عنهم. **فأمَّا** تعلقهم به في الإمامة فغيرُ صحيح؛ فإنَّه لا يدل على ذلك كما لم يدل على إمامـــةِ غيرهم من السابقين. وأما تعلُّقُهم بلفظ الرِّضى وأن ذلك يدل على الاستمرار على الرضى عنهم فغيرُ مُسَلَّمٍ، بل هو إِخبارٌ عن الحال، ولا يمتنع تغييره بفعلِ معصية في وقت آخر.

كما ورد مثل ذلك في آية أخرى وهي قوله[(١)] تعـــالى:﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

(١) في (ب):وهي قول الله .

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]؛ فإن الرضى في الآيتين جميعاً قد عَمَّ جميع المبايعينَ وَسَمَّاهم الله بالمؤمنين، ثم قال في آخر الآية الثانية:﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىَ نَفْسِهِ﴾ [الفتح:١٠]؛ فبَانَ بذلك أنه لا يُقْطَعُ على استمرار الرضى من الله تعالى.

شبهة أخرى

احتجوا بها على أن العشرة من أهل الجنة على سبيل القطع وذلك ما رُوي عن النبي ﷺ قال:((عَشَرَةٌ في الجنة:أبو بكر في الجنة، عمرُ في الجنة، عثمانُ في الجنة، عليٌّ في الجنة، طلحةُ في الجنة، الزبيرُ في الجنة، سعدُ بنُ مالكٍ في الجنة، عبدُالرحمن بنُ عوفٍ في الجنة، سعيدُ بنُ زيد بن عمرو بن نُفيل في الجنة))[1]، قالوا:فيجب القطع على أنهم من أهل الجنة.

والجواب عن ذلك:أن هذا الخبر يدل على فضلهم فقط، وهو إخبار عن الحال لا عن المآل، ولن يَتِمَّ الفضلُ ودخول الجنة إلا بالخواتم الحسنة. والكلام في هذا الخبر كالكلام في الآية الأولى. **وبعدُ** فإنَّ مِنْ جُمْلَةِ العشرة عُمَرَ وعثمانَ وقد انهزما

(١) أبي داود ٥/٣٩ رقم٤٦٤٩. والترمذي ٥/٦٠٦ رقم٣٧٤٨. والحاكم في المستدرك ٣/٣١٦. وقد جمعهم الشاعر:

عَلـيٌّ والثلاثةُ وابنُ عَوْف		وَسَعْدٌ مِنْهُمُ وكذا سَعيدُ
كَذاك أبو عبيدةَ فَهْوَ مِنْهُم		وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ولا مَزِيدُ

يوم أُحُدٍ وتركا رسول الله ﷺ، ونكثا بيعة الرضوان[1]، وفي ذلك اليوم ثَبَتَ علي عليه السلام ثباتاً عظيما، وقتل يوم أُحُدٍ سبعةً من أصحابِ راياتِ الكفار من بيت واحد. وفي ذلك[2] اليوم وُرُودُ ذي الفقار[3]، وفيه نادى جبريل عليه السلام:لا فتى إِلاَّ علي، ولا سيفَ إِلاَّ ذو الفقار.

وفيه قال جبريل (ع) للرسول ﷺ:هذا هو المواساةُ، فقال:((مَنْ أَولَى بِهَا مِنْهُ، وهو منِّي وأنا مِنْه كهارونَ من موسَى))[4]. ولا خلافَ بين الرواة في هَرَبِ عمر وعثمان، وفي أبي بكر خلاف:هل هرب أو لا؟ ولا خلافَ أنه[5] لم يقاتل بنفسه و لم يَخْدِشْ في ذلك اليوم كافرا. وكذلك فإِنَّ من العشرة الزبيرَ وطلحةَ وقد

---

(١) بيعة الرضوان وقعت بعد أحد، ولعل الانهزام وقع أيضا في معركة حنين.

(٢) في (ب):في ذلك، بحذف الواو .

(٣) كأن العبارة:وفي ذلك اليوم ورد في ذي الفقار قول جبريل (ع):لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وذو الفقار من السيوف المشهورة، كان للعاصي ابن منبه فلما قتل مع المشركين يوم بدر صار إلى النبي ﷺ ثم أعطاه النبي ﷺ لعلي لكن ساعد علي وبسالته وشجاعته النادرة شهرت السيف وصار مضرب الأمثال.

(٤) أخرج ابن المغازلي في المناقب ص١٤٠ رقم٢٣٤. والطبري في تاريخه ٢/٥١٤، قال:لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي:احمل عليهم، ففرق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر ابن لؤي فقال جبريل:يا رسول الله إن هذه للمواساة، فقال ﷺ:إنه مني وأنا منه. فقال جبريل:وأنا منكما قال:فسمعوا صوتا:

لا سَيْفَ إلاَّ ذُوْ الْفقَار		ولا فَتَى إلاَّ عَلِي

والمحب الطبري في ذخائره ص٧٤ قال:عن أبي جعفر محمد بن علي قال:نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان أن:**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**. ينظر ابن أبي الحديد في الشرح عن الواقدي وكذلك غيرهم.

(٥) في (ب):في أنه.

فسقا بخروجهما يومَ الجَمَلِ[١] على أمير المؤمنين عليه السلام، ونَكْثِهِمَا بيعتَه، سوآء قيل:إنهما تابا أم لا[٢]. **فثبت** ما ذكرناه أنَّ الخبرَ إنْ صح فإنه إخبار عن الحال فقط لا عن المآل[٣]. ولْنَقْتَصِر على هذا القدر من احتجاجاتهم الواهية، و لم نوردها طلبا

---

(١) معركة الجمل وقعت بسبب أن طلحة والزبير نكثا بيعة علي، وذهبا إلى مكة فأخذا عائشة وفلول بني أمية والمنحرفين عن علي وتوجهوا إلى العراق ونزلوا بالبصرة، وأحدثوا أحداثا؛ فتوجه علي واستنفر أهل الكوفة، وطلب مقابلة الزبير وذكره حديثا مفاده أن عليا دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس ومعه الزبير فقام الزبير فاعتنقه فقال صلى الله عليه وآله وسلم:أتحبه يا زبير؟ فقال:كيف لا وهو ابن خالي؟ فقال:أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم. فقال الزبير:ذكرتني ما أنسانيه الدهر. فرجع نادما. فقتله ابن جرموز غدرا بوادي السباع. وجاء برأسه إلى علي (ع) فهز علي سيف الزبير وعيناه تدمعان وقال:سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله فقال ابن جرموز:الجائزة. فقال علي:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:بشر قاتل ابن صفية بالنار. فقتل ابن جرموز نفسه، وقيل:قتل مع الخوارج. وكانت عائشة على جمل اتخذه جيشها بمثابة الراية واستمر الموت حوله. وسمي بيوم الجمل، وقتل أكثر من ثلاثين ألف، وانتصر عليهم الإمام علي فعاملهم معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للطلقآء يوم فتح مكة.

(٢) في (ب) ، (ج): أو لا . والأصح ما في الأصل. أرجو أن يكون طلحة والزبير وعائشة قد تابوا.

(٣) إن صح الحديث فهو إخبار عن الحال؛ لأن بعض المبشرين بالجنة في الحديث صدر منهم أمور تحير العقلآء ;فعثمان أنكر عليه الصحابة أشياء تسببت في قتله ,والذي لم يشترك في قتله منهم لم ينصره . وطلحة والزبير نكثا بيعة الإمام علي(ع) بدون مبرر وتسببا مع عائشة في قتل ثلاثين ألف أو أكثر في معركة الجمل ، وهذا الفعل من عظائم الأمور .ثم إن الحديث أحادي ظني ، رواه الترمذي رقم ٣٧٤٧ رغم ما أثير حوله من خلاف، كما أن الترتيب فيه بين الصحابة يوحي بالصنعة، وهو ما حمل كثيرا من علمآء الزيدية وأئمة أهل البيت على رده ؛ لأن الله سبحانه–وهو الحكيم–لا يخبر أحدا أنه من أهل الجنة إلا إذا علم أنه لا يفعل كبيرة ، وإلا كان إغراء له على القبيح .وقد أجمعت الأمة على تفسيق من قاتل إمام حق ونكث بيعته وشق عصى المسلمين، فكيف بالخلاف على من حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في النبوة؟ ومن حبه إيمان وبغضه نفاق؟ وهذا دليل قاطع بعدم صحة الحديث. وهذا بخلاف العمومات الدالة على رضى الله عن أهل بيعة الرضوان وغيرهم التي تقبل التقييد في قوله تعالى:﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىَ نَفْسِهِ﴾؛ فالعموم يتناول من استمر على صلاحه إلى الموت، والتقييد يخرج من انقلب . نسأل الله التوبة وحسن الخاتمة آمين.

لنقص[1] الشيخين أبي بكر وعمر، ولا للوضع من حقهما، ولا للتتبع لعثراتهما[2]، معاذ الله أن نقصِدَ شيئا من ذلك فهما صَاحِبَا رسولِ الله ﷺ. وقد جاهدا معه، وقاما بِنُصْرَتِهِ، وَأَبْلَيَا في الإِسلام بلآءً حسنَاً، إلاَّ أَنَّا نعرف أنَّ عليا أفضلُ منهما وأولى بالإِمامة. وأردنا أن نُبَيِّنَ أنَّ ما احتج به هؤلآءِ القومُ على إِمامتهما وكونِهما أفضلَ من علي عليه السلام غيرُ صحيح، وأَن ما اعتمدوا عليه ليس بدليل، بل هو قولٌ باطل، وعن الصراط السوي عادِلٌ.

فصل:

وقد غلا قوم في خالد بن الوليد، وقالوا:هو سيفُ الله، وهذا اسمٌ لأمير المؤمنين عليه السلام فسَلَبوه اسمه وسَمَّوا به خالداً. ولا شُبْهَةَ في أنَّ عليا سيفُ الله سَلَّه على المشركين والمنافقين، استأصلَ به صناديدَ قريش؛ فسَبَقَ بالجهاد جميعَ الصحابة (رض). كما روي أن رسول الله ﷺ كان يخرج من بيته-وأحداثُ العرب يرمونه بالحجارة حتى أَوْرَمُوا كعبيه وعُرْقوبَيْه-فخرج عليهم عليٌّ كالأسد فطردهم. قال الراوي:سألتُ مَنْ هذا وهؤلآء وهذا الفتى؟ قالوا:محمد[3] يَدَّعي النبوة، وهؤلآءِ أحداثُ قريش يؤذونه، وهذا علي بن أبي طالب ابنُ عمه يُحامي عنه؛ فترل فيه وفيهم:﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ❖ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:٥٠-٥١] شَبَّهه بالأسد،

(١) في (ب):للنقص من.
(٢) في (ب):لعثرهما .
(٣) في (ب) ، (ج):هذا محمد .

وشبَّههم بحُمُر[1] الوحش[2].

ومن مقاماته المشهورة:

قَتْلُ أسدِ بن غُويلم فاتك العرب؛ فإنه خرج وسأل البِرَاز؛ فأحجم الناس، فقال النبي ﷺ:((يا عليُّ اخْرُجْ ولكَ الإِمَامةُ بعدي))؛ فخرج فضربه على مفرق رأسه، فذهب السيف في بدنه حتى خر بنصفين؛ فخرج علي عليه السلام وهو يقول:

ضربتُه بالسيف وسـط الهامـة		أنا عليٌّ صـاحبُ الصمصامة
أخـو نـبي الله ذي العلامـة		قد قال إِذ عَمَّمَنـي العِمَامـة
أنت الذي بعدي له الامامـة[3]		[أنت أخي ومعدن الكرامة][4]

ذكره أهل التفسير (على هذا الوجه)[5]. وكفى له بليلة الغار؛ فإنه أمسى على فراشِ رسول الله ﷺ بَاذِلاً لمهجته واقِياً له بنفسه تحت ظلال أربعمائة سيف[6] قد تبايعوا على قتل رسول الله ﷺ من أربعمائة قبيلة ليصيرَ دمُه هَدَراً. فكانوا يَرْمُونه

---

(١) في (ب):حمير، وما في الأصل أشهر .
(٢) لم يجد هذه الرواية في أي مصدر لا في كتب أهل البيت ولا في كتب غيرهم فيما تيسر لنا. والله اعلم.

(٣) في (ب):لك .
(٤) الشافي ٣/ ٢٠٠، عن الناصر . ولم نجدها في مصادر متيسرة لنا .
(٥) ما بنين المعقوفتين في (ب) .
(٦) المعروف أنهم أربعون شابا، وليسوا أربعمائة ، ولم تكن قبائل قريش قد بلغت أربعمائة قبيلة ، وفي السيرة الحلبية ١/ ٣٠٦ تفاوت العدد ولم نجدها في مصادر أخرى متيسرة لنا وما بين المعفوفتين زيادة من الشافي .

فكانوا يَرْمُونه بالحجارة وهو يصبر لا يقوم، فقال قائل:هو محمد، وقال قائل:ليس بمحمد؛ فإنه يَتَضوَّر–ومحمد لا يتضَّور يعني يتحرك بنفسه ويجمع أطرافه لألَمِ الحجارة ، وبَاتَ جبريلُ وميكائيلُ (ع) أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، وهما يقولان:بخ بخ يا علي مَنْ مِثْلُكَ–واللهُ يباهي بك الملآئكة[1]. روينا ذلك مسندا؛ فأنزل الله فيه:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧][2].

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في علي حين بات على فراش رسول الله ﷺ. وقَتلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام سبعين رجلا من صناديد قريش.

وذكر الشيخ أبو القاسم البستي رحمه الله في كتاب المراتب في فضآئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أنه قتل يوم بدر سَبعةً وسِتِّين رجلا بحضرة رسول الله ﷺ[3] في ذلك اليوم، قال الشيخ:وليس في العادة أن يقوى بنو جِنسِنَا على

---

(١) روي في قصة المبيت زيادة مدسوسة جاءت في ابن هشام ٢٢/ ٩٦ وسيرة ابن كثير٢/ ٢٢٩، وهي أن النبيﷺ قال لعلي عليه السلام:((نم على الفراش فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه)) . والغرض من هذه الرواية سرقة هذه الفضيلة . وهكذا يفعل الحسد لأولي الفضل فقاتلِ الله الحسد والحاسدين.

(٢) انظر شواهد التنزيل ١/ ٩٦ . وأسد الغابة ٤/ ٩٨ . نقلاً عن الثعلبي .وتفسير الألوسي٢/ ١٤٦ . ومجمع البيان للطبرسي ج٢ص٥٦ . وتفسير القرطبي مج٢ ج٣/ ١٦ . والأعقم ٤٥ . وتفسير الرازي ٣/ ٢٢٢ .

(٣) المشهور أنه عليه السلام قتل ثلاثة وعشرين رجلاً، وشارك في آخرين، وقتلى المشركين كلهم سبعون . وقد علق الوالد:مجد الدين المؤيدي حفظه الله في هامش نسخته التي رمزنا إليها بالحرف(ب) قائلا: لم يكن القتلى يوم بدر كلهم إلا نحو هذا العدد، فما الذي بقي لحمزة بن عبدالمطلب ولعبيدة بن الحارث ولسائر الأبطال من المهاجرين والأنصار، وياليت الأمير الحسين نزه كتابه هذا العظيم عن أمثال هذه الروايات السخيفة التي هي من روايات القصاص الذين لا يبالون ما يروون ، وفي فضائل أمير المؤمنين (ع) المعلومة الصحة ما يغني ويكفي، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومثل هذا قصة البساط ، والمنجنيق وقتل عامر ابن

هذه العدة من القتل، قال:فهو كالمعجز. وروى علماءُ التفسير في مقاماته يوم بدر، قالوا:وهي أول حرب شهدها أُحْصِيَ له فيها خمس وأربعون من الجراح والقتل، وقيل:بل سبعون. فسأَلَ عنه[1] أبو جهلٍ عبدالله بن مسعود، فقال:هو علي بن أبي طالب، فقال أبو جهل:هو الذي فعل الأفاعيل.

ومن مقاماته: أن المسلمين جعلوه في المنجنيق ورموا به إِلى حصن ذات السلاسل ونزل على حائط الحصن، وكان الحصن قد شُدَّ على حيطانه سلاسل، فيها غراير من تبن وقطن حتى لا يعمل فيه المنجنيق إِذا رُمِيَ إِليها الحَجَرفمَرَّ علي عليه السلام في الهواءِ والتَّرس تحت قدمه، ونزل على الحائط، وضرب السلاسل ضربة واحدة فقطعها وسقطت الغرائر وفتح الحصن. وقد قال في ذلك علمآءُ شيعتنا إِنَّ عليا عليه السلام شارك إِبراهيم الخليل صلى الله عليه[2] في الرمي من المنجنيق إلا أن إبراهيم عليه السلام رُمِيَ به مشدودا مُكْرَهاً إِلى النار، ورُمِيَ بعلي -عليه السلام-وهو مختار إِلى السيوف، وسَلِمَا جميعا صلوات الله عليهما. إلى غير ذلك من مقاماته نحو قتله لعامر

الطفيل وغير ذلك مما لا أصل له ولا صحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ولأن مكن الله من نسخ هذا الكتاب المفيد الفريد وطبعه لأزيلن منه ما لا أصل له من أمثال هذه الروايات التي لا أصل لها والله ولي التوفيق .انتهى كلامه بلفظه.

أقول:و لم يمنعنا من حذف مثل هذا إلا أمانة النقل، ولا يخلو كتاب من هفوات ونحن في المدرسة الزيدية العظيمة تستند في الحكم على صحة الروايات على كتاب الله وعلى العقل ثم ما تواتر وصح ورواه الأئمة العدول ، علما بأن أحاديث الفضائل غالبا ما تسرد على وجه التسامح، وقد اجتهدنا في إسناد كل شاردة وواردة خدمة للقرآن العظيم وإبرازا لإلتزام علماء الزيدية خاصة بالإنصاف والتقيد بالحق لا تأخذهم في الله لومة لائم، والله من وراء القصد.

(١) في (ب):منه .

(٢) في (ب):صلوات الله عليهما .

بن الطفيل، أحد الشياطين فأدرك منه ثأر المسلمين، ونحو قتله الثقفي داهية العرب وشجاعها، وسَبْيِه لأمرأته وأخْذِهِ لِمَالِهِ، وقصته ظاهره[1]. وإحصآء مقاماته مما يكثر وهو مذكور في الكتب المبسوطة في هذا الشأن.

[موقفه يوم الأحزاب]

وله يومُ الأحزاب مع شدته كما حكى الله تعالى في قوله:﴿إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنّونَ بِاللّهِ الظّنُونَاْ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب:١٠-١١].

وكفى الله المؤمنين القتال بقتل أمير المؤمنين عليه السلام لعمرو بن عبدِ وُدٍ.

ورُوينا أنَّ عَمْراً خَرج مُعْلَماً لِيُرى مكانُه فلما وقف وخيلَه قال:مَنْ يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له:يا عمرو إنك قد كُنْتَ عاهدتَ الله لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين[2] إلا أخذتها منه، قال له:أجل. فقال له علي عليه السلام:إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال:لا حاجة لي بذلك، قال:فإني أدعوك

---

(١) كثيرًا ما تنسج الخيالات والأساطير حول الأبطال، ويُطْلِقُ القُصَّاص أقلامهم حول سيرهم ، والإمام علي من عجائب الزمان ولعل قصة رميه بالمنجنيق وقتله لعامر بن الطفيل والثقفي من هذا الباب؛ لأنه لم يُرْمَ به ولا قتل عامرًا ولا الثقفي، مع أن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة روى في الشافي ٣/ ١٩٩ أن عليًّا عليه السلام قتل أسد بن عويلم يوم الصوح. لكني لم أجد فيما تيسر من المراجع هذا الاسم ولا هذا اليوم والعلم لله وحده.

(٢) ينظر المستدرك٣/٣٢ ويروى أنها ثلاث خلال والمعنى أن عمرًا ألزم نفسه بإجابة من دعاه ثلاث مرات، حاول علي رضي الله عنه أن يستفيد من عمرو كسبا للإسلام فدعاه إلى الإسلام لكنه رفض ثم دعاه إلى الرجوع بمن معه لعل الله يهديهم مستقبلا فرفض فلم يجد بدا من الثالثة وهو دعوته للمبارزة وهذا يدل على شجاعة وثبات وعقل وفهم للإسلام وتواضع من جانب علي(ع) فلله مدرسة تخرج منها ومعه كرام المهاجرين والأنصار !.

قال:فإني أدعوك إلى البراز، فقال له:لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أَنْ أقتلك، قال له علي:ولكني والله أُحِبُّ أَنْ أقتلك، فحَمِيَ عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا[1] وتجاولا فقتله علي، وخرجت خيل عمرو منهزمةً هاربة، فقال علي عليه السلام:

نَصَرَ الحِجَارَةَ من سفاهةِ رأيه		ونَصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصَوابِ
فَصَدَدتُ حين تَرَكْتُه مُتَجَدِّلا		كالجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ ورَوابِي
وعَففتُ عن أثوابه ولَوَ انَّنِي		كنتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أثوابي
لا تَحْسَبَنَّ اللهَ خاذِلَ دينه		ونبيَّه يامعشَرَ الأَحزاب[2]

وروى أنَّ عَمْراً لما ضربه عليٌّ سبَّه فولى عنه حتى بَرَدَ غيظُه ثم قتله فنزل جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وقال:لو وُزِنَ بها إيمانُ العالَمِين لرجح، يعني ثواب علي عليه السلام على ذلك. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:لِقَتَالُ عليٍّ مع عمرو

---

(١) في (ب) فتبارزا .

(٢) ينظر في سيرة ابن هشام ٢٤٨/٣ والحاكم و لم يذكر هذه الأبيات، وإنما ذكر أبياتا أخرى وهي جواب علي على رجز عمرو الذي جاء فيه:

ولقد بُحِحْتُ مِنَ الندآ		ء بجمعكم هل من مبارزٍ

إلى آخرها .فأجابه علي عليه السلام بأبيات منها:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتا		ك مُجيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عاجز

إلى آخرها ...وابن كثير في البداية ٣/ ٢٠٣ . والواقدي ٢/ ٤٧٠ . و لم يذكر الأبيات. وقال الرازي في تفسيره مج ٣ ج ٦ ص٢١٣ ، كما روي أنه قال بعد محاربة علي لعمرو:كيف وجدت نفسك يا علي؟ قال:وجدتها لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم .فقال:تأهب فإنه يخرج من هذا الوادي فتى يقاتلك. والحديث مشهور .

بن عبد ود أفضلُ من أعمال أمتي إلى يوم القيامة)). رواه أهل التفسير.

موقفه يوم خيبر

وله في يوم خيبر ما هو ظاهر من قَتْل مُرَّة وعنتر ومرحب قَدَّه من قرنه إلى أضراسه. وقَدَّ الحجر والبيضة، وقيل:قده إلى قَرَبُوس سرجه بضربة واحدة[(١)].

ومن مقاماته

قَتْلُه لسبعة من بيت واحد وهم أصحابُ الرايات وهم بنو طلحة يوم أحد[(٢)] ذكره البستي رحمه الله، قال:وقدرواه الناصر الكبير عليه السلام.

وقد اختُلِفَ في سيفه ذي الفَقَار فقال قوم:هو من السماءِ أُنزل في يوم أُحد؛ فأعطاه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام. وتأولوا عليه قولَه تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال قوم:كان سَعْفَةَ نخلٍ فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام ونَفَثَ فيه، فأخذه عليٌّ وهزَّه فصار سيفا فكان ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وآله[(٣)].

وله في يوم أحد شهادةُ جبريلَ عليه السلام حيث قال:((هذا[(٤)] هو المواساة))[(٥)]، فقال

---

(١) من أجمل فضائل الإمام علي عليه السلام أن الزحف الإسلامي تعثر بقيادة أكابر الصحابة؛ فاستدعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا بعد أن قال:((لأعطين الراية.. إلخ))، فأخذها علي وافتتح الحصون قبل أن يتكامل الجيش معه، وهذه هي الفضائل .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ج٣/ ١٤٢ .

(٣) يروى أنه سيف منبه بن الحجاج ، والسيف الخشبي أعطاه صلى الله عليه وآله وسلم لأبي دجانة. والعبرة بالساعد الذي حَمَل السيف .

(٤) في (ب):هذه المواساة .

(٥) أخرجه الطبري في تأريخه ٢/ ٥١٤ بلفظ:إن هذه للمواساة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إنه مني وأمنا منه)) فقال جبريل:((وأنا منكما)) .

النبي ﷺ:((مَنْ أولى بها منه! وهو مني وأنا منه، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، اللهم اشدد به أزري)).

[قَلْعِهِ باب خيبر]

وهزَّ حصن خيبر حتى قالت صفيةُ زوجُ النبي صلى الله عليه وآله:((كنتُ قد أُجْلِسْتُ عَلَى طاق كما تَجلس العروس فوقعتُ على وجهي فظننتُ الزِّلْزَلَةَ فقيل لي[1]:هذا عليٌّ هَزَّ الحصن يُرِيدُ أن يقلع الباب، ثم قلع الباب الحديد بطوله وثِقْلِهِ ثم أمسكه على يده حتى عبر عليه عسكرُ رسول الله ﷺ. قال البستي: لم يقوَ على حمل الباب ثمانون رجلا.

[موقفه يوم حنين]

ثم وقوفه عليه السلام يوم حنين في وسط الكفار يَحْمِي ويَحْمِل عليهم ويقاتل أربعةً وعشرين ألفا إلى أن أُنْزِلَ الملآئكةُ مَدَدًا وَهُزِمَ القوم. وهو الذي أقسم الله تعالى بدآبتَّه في قوله:﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾[2] [العاديات:١]. رواه الزجاج في معانيه فإنه روى أن ذلك أنزل في علي عليه السلام حين صَبَّح بني زهرة، إلى غير ذلك من مقاماته المشهورة المحمودة، كَلِيلةِ الْهَرِير فإنه كَبَّر فيها ستمائةَ تكبيرة وأَسقط بكل تكبيرةٍ عدوا من أعداءِ الله[3]، فهذا هو سيف الله الذي لا يخطي.

---

(١) في (ب):فقيل لي:لا ..

(٢) مجمع البيان ج١٠ ص٤٢٢ .

(٣) أنظر وقعة صفين للمنقري ص٤٧٩ قال:قتل ٥٠٠ قتيلاً . والمسعودي في المروج ٢/ ٣٨٩ وذكر أنه قتل ٥٢٣ رجلاً في تلك الليلة .

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال:((يَا عَلِيُّ أنتَ فارسُ العربِ وقاتلُ الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت أخي ومولى كُلِّ مؤمن ومؤمنة من بعدي، وأنت سيف الله الذي لا يُخطئ وأنت رفيقي في الجنة)).

وروى الشيخ أبو القاسم البستي رحمه الله ما هو ظاهر، وهو نداءُ جبريلَ في يوم[1] أُحد من السماء:لا فتى إلا علي ولا سيفَ إلا ذو الفقار. وذكر أنَّ الخبر بذلك متواتر. وما ذُكِرَه أبو القاسم البستي رحمه الله فهو خبر صحيح، وقد نظمه فيما ذكر حسان بن ثابت فقال في بعض أشعاره:

ولقد سمعتُ مناديا من فوقنا		نادى فأسمع كُلَّ أهل المحفل
لا سيفَ إلا ذو الفقَار ولا فتى		في النَّاس طُرًّا كلِّهِم إلا علي

وروى الناصر للحق عليه السلام أنَّ أبا أيوب رحمه الله بعد قتال أهل البصرة دخل عليه جماعة من الصحابة، فيهم عمار بن ياسر رحمه الله، فقال أبو أيوب:لا تَرَوْنَا أنَّا سفكنا الدمآءَ واستحللنا الأموال -يعني المأخوذة من البغاة- بغير أمْرٍ أُمِرْنا به؛ فنحن إذَن لا على شيء، ولكنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَنا بقتال ثلاثةٍ:النَّاكثين والقاسطين والمارقين ؛ **فأما** الناكثون فقد كفاناهم الله؛ طلحة والزبير وأشياعهما. **وأما** القاسطون فقد أوجهنا إليهم إن شاء الله:معاوية وأهل الشام؛ **وأما** المارقون فوالله ما رأيتُهم بعدُ، ولكنَّ رسول الله ﷺ حدثنا أنَّ قوما يخرجون بطرقاتِ أرضٍ يقال لها:النهروان، فقلت:يا رسول الله أمرتَنا أن نقاتل هؤلآء مَعَ مَنْ؟ قال:مع علي

---

(١) في (ب):يوم أحد بدون في .

بن أبي طالب، فَسِرْنا هذا المسير بأمر الله وأمر رسوله[1]. **وروينا** عن الحاكم رحمه الله ما رفعه بإسناده إلى سعيد بن جبير رحمه الله أنه قال:كان مع علي عليه السلام يوم صفين ثمانُمائةٍ من الأنصار وتسعمآئة ممن بايع تحت الشجرة. **ورُوينا** عن الحاكم رحمه الله ما رفعه بإسناده إلى الْحَكَمِ بن عُتَيْبَة[2] أنه قال:شَهِدَ مع علي عليه السلام يوم صفين ثمانون بَدْرِيًّا، وكان معه سيدُ التابعين أُويس القَرَني[3]. وروى أن عسكر علي عليه السلام في صفين كانوا تسعين ألفًا، وكان عسكر معاوية مائةَ وعشرين ألفًا.

ورُوينا عن المنصور بالله عليه السلام بطريق روايتنا لكتابه الشافي أنَّ جملة القتلى في صفين سبعون ألفا من أصحاب علي عليه السلام خمسةٌ وعشرون ألفا، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفا، وأن جملة القتلى في حرب الجمل ثلاثون ألفا. وما رويناه عن المنصور بالله مذكورٌ في الجزء الرابع من كتاب الشافي ص٢٩. وعليٌّ عليه السلام لم يكن على ظهره جوشن حديد فَسُئِلَ عن ذلك فقال:إنَّما يحتاج إليه مَنْ يهربُ من عدوه ليحفظ ظهره وأنا لا أَهْرُبُ. وقيل له:لِمَ لا تقاتل على الفرس؟ فقال:إنَّ الفرس يحتاج إليه من يَهْرُب من العدو أو يهرب العدو منه فيلحقه، وأنا لا أهرب ولا أترك العدو يهرب. وقيل:قال في حرب البغاة:إني لا أَفِرُّ ولا أَكُرُّ على مَنْ يَفِرُّ؛ فالبغل والفرس سواء؛ فثبت بما ذكرناه أن عليا عليه السلام هو سيف الله الذي لا

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٠ عن أبي أيوب الأنصاري قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي بن أبي طالب:تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات، قال أبو أيوب:قلت:مع من يا رسول الله نقاتل هؤلاء؟ قال:مع علي بن أبي طالب .

(٢) هو عالم الكوفة، ولد نحو سنة ٤٦هـ . ومات سنة ١٥. سير النبلاء ٥/ ٢٠٨ .

(٣) ابن الأثير ٣/ ١٦٥. وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢ ذكر أنه قتل مع علي في صفين .

يُخْطِي. فأما خالد بن الوليد فقد عمل في بني جذيمة مـــا لم يـــرضَ بـــه الله[1] ولا رسوله؛ فإنه بُعِثَ داعيا و لم يُبْعث مقاتلا؛ فلما وطئ بني جذيمة أخـــذوا الـــسلاح ليحاربوه، فقال:دعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فلما وضعوا السلاح أمر بهـــم فَأُوثِقُوا كِتَافًا[2] ثم ضربَ أعناقهم إلا من أراد تركه، وسبى ذراريَهم؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رفع يديه إلى السمآء بعدَ أن قام مستقبلَ القبلة ثم قال:((اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الوليدُ))[3]، ثم بعث عليًّا عليه السلام بمالٍ فَوَدَاهُمْ حتى إنـــه لَيَدِي مَيْلَغَةَ الكلب. وَفَضَلَ معه مال ، قيل:خمسمآئة. وقيل:أكثر. فقال:هذا لكـــم فيما لا يَعْلَمُ رسولُ الله ﷺ ولا تعلمون)). **ورُوِي** أنه قال:هذا لكم بروعـــات[4] النساء والصبيان؛ فَأَحِلُّوا على رسول الله ﷺ. **وروى** الإمام الناصر الحسن بـــن علي الأطروش عليه السلام أن خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وجعل رأسه أثفية القِدْر، وَبَنى بامرأته مـــن ليلتـــه، و لم يَسْتَبْرِهَا حتى أنكر ذلك عمر بن الخطاب. **وروى** الطبري في تأريخه[5]:أن خالـــدا قتل مالك بن نويرة وأصحابه وهم مسلمون وهم يشهدون أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله. وأن أبا قتادة الحارث بن ربعـــي الانـــصاري كان يُحَدِّث أن خالدا لما غشيهم تحتَ الليل أخذوا السلاح، وكان أبو قتادة مـــع

---

(١) في (ب):يُرضِ الله .
(٢) في (ب):فأوثقوا أكتافًا .
(٣) الطبري ج٣ ص٦٥ ، البخاري ج٤ ص١٥٧٧ رقم ٤٠٨٤ ، النسائي ج٨ ص٢٣٧ .
(٤) في (ب):تروعات، وفي الأصل بغير نقط، وأثبتنا ما في (ج) لظهوره. والمعنى:بترويع .
(٥) ج٣ ص٢٨٠ .

خالد في تلك السرية قال:فقلنا:إنا المسلمون، فقالوا[(١)]:ونحن مسلمون، قلنا:فما بال السلاح؟ قالوا:فما بال السلاح معكم ؟ قلنا:فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، فوضعوها وَصَلَّيْنَا وَصَلَّوا ثم قَدَّم خالدٌ مالكَ بنَ نويرة فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فانكسر[(٢)] أبو قتادة وفارق خالدا، وعاهد الله أن لا يشهد مع خالد حربا بعدها، وأنكر عمر بن الخطاب أشَدَّ الإنكار، وتكلم عند أبي بكر، وقال:عَدَو الله عدى على مُسْلم فقتله، ثم نزل[(٣)] على امرأته. وأقبل خالد حتى دخل المسجد مُعَمَّمًا[(٤)] بالعمامة قد غرز فيها أسهما، فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال:قتلتَ امرأ مسلما، ثم نزوتَ على امرأته؟:والله لأرجمنك بأحجارك؛ فلم يُكَلِّمْهُ خالد، ودخل إلى أبي بكر فاعتذر إليه فَقَبِلَ عذره، فخرج خالد–وَعُمَرُ جالسٌ في المسجد، فقال:هلم إليَّ يابنَ أم شملة، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عن خالد، فقام عمر فدخل بيته.**وقال** لأبي بكر:إن في سيف خالد رَهَقًا، فقال[(٥)] أبو بكر: لم أكن لأَشِيمَ[(٦)] سيفًا سلَّه اللهُ على الكافرين. وقَدِمَ متمم بنُ نويرة أخو مالك يَنشُد أبا بكر دمَ مالك، ويطلب إليه في سبيهم. فقال عُمَر:إنَّ في سيف خالد رَهَقًا؛ فإن يكن هذا حقا حَقَّ عليه أن يُقِيدُه. وأكثر عليه في ذلك، ولم يكن

---

(١) في (ب):قالوا .
(٢) في (ب):فأنكر .
(٣) في (ج):نزى. وهو الأظهر.
(٤) في (ب):متعمم .
(٥) في (ب):قال .
(٦) شام السيف: أدخله الغمد .

أبو بكر يُقِيدُ مِنْ عُمَّاله، و لم يُقْبَلْ من عمر. وَوَدَى مَالِكًا. وأمر بِرَدِّ سبيهم. وهذا كله في تأريخ الطبري، وهو ممن يَرَى تفضيل الشَّيخين ويقدمهما[1]؛ فيجبُ القضآءُ بأن خالدا ليس بسيف الله؛ لأنه يُخطي، وإنما سيفُ الله أميرُ المؤمنين عليه السلام؛ لأنــه كان[2] لا يخطئ ولا يفعل إلا ما أمر به رسولُ الله عن جبريل عــن الله. وبــذلك يثبت[3] الكلام في المطلب الثالث. وبثبوته يثبت الكلام في إمامة علي عليه السلام **وهــي المسألة الأولى من مسائل الإمامة.**

وأما المسألة الثانية:

وهي في إمامة الحسن والحسين (ع)

فالكلام فيها يقع في ثلاثة فصول:**أحدها** في الدلالة على إمامتهما. **والثاني**-في ذكر طَرَفٍ يسيرٍ مِنْ فضائلهما. **والثالث** في الإشارة إلى طرف يسير من مثالــب معاوية وولده يزيد؛ ليتضح بذلك أيها المسترشد-الحقُّ من الباطل، والناقص مــن الكامل.

أما الفصل الاول:

وهو في إمامة الحسن والحسين (ع) فالذي يدل على ثبوتها الكتاب والــسنة والإجماع. أما الكتاب:فقول الله سبحانه في إبــراهيم عليه السلام:﴿إِنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ

(١) في (ب):وتقديمها .
(٢) في (ب):بحذف كان .
(٣) في (ب):ثبت .

إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤].

ولا خلاف بين علمآء الاسلام في إجابة دعوة إبراهيم (عليه السلام)، وأنَّ قولــه:﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ استثناءٌ أَخْرَجَ به الظالمين بعد إجابة الدعوة عن استحقاق الإمامة. وإذا ثبت ذلك فقد جعل الله الإمامة فيمن لم ينتظم[1] في سِلْك الظالمين من ولد إبراهيم (عليه السلام)[2]، ولم تقع العصمة فيمن علمنا من ولد إبراهيم (عليه السلام) إلا في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع)، فثبت بذلك إمامَتُهما على القطع، ويــدل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى:﴿الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾... الآية [الحج:٤١].

وهما بلا إشكال بهذه الصفة، بخلاف معاوية وولده يزيد؛ فإنهما لم يكونا بهذه الصفة، فوجب كون الحسن والحسين (ع) إمامين، ولزم القــضاء بكونهمــا أولى بالامامة وأجدَرَ بفضيلة الزعامة.

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية [الطور:٢١]، وهما سلام الله عليهما ممن آمَنَ أهلُهُمــا واتَّبَعَــاهُم بإيمان، وقفياهم بإحسان فَلَحِقَا بهم، وقد استحق أبواهما محمد وعلي (ع) الإمامةَ، وقد شرك الحسن والحسين (ع) في شروط استحقاق أبويهما (ع) الإمامة فوجب أن يلحقا بهما في استحقاقها والقيام بها.

---

(١) في (ب):ينضم .

(٢) في هذه الآية لا يستقيم الكلام إلا كذا ؛ فإن الأنبياء من ولد إبراهيم عليهم السلام معصومون قطعًــا، أولهم إسماعيل وإسحقاق ويعقوب . تمت من الوالد مجد الدين .

وأما السنة:فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((الحسنُ والحسينُ إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما))[1]، ولا شبهة في كون هذا الخبر مما تلقته الأمة بالقبول، وبلغ حد التواتر[2]؛ فصح الاحتجاج به، وهو نص صريح في إمامتهما، وإشارة قوية إلى إمامة أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ لا يكون أحدٌ من الرعية خيرًا من الإمام بالإجماع؛ فإذن لا يكون خيرًا من الإمام إلاَّ إمامٌ.

وأما الإجماع:فلا خلاف بين المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم من المؤمنين في كونهما إمامين، ولم يخالف في ذلك إلا جماعة الحشوية، وهي فرقة خارجة من الإسلام، فلا يُعْتَدُّ بخلافهم[3].

وبعد فإن أهل البيت (ع) أجمعوا على ثبوت إمامتهما، وإجماعُهم حجة كما تقدم بيانه. **وبعدُ** فإن كل واحد منهما قام ودعا إلى الإمامة مع تكامل شروط الإمامة فيه، وبايعه[4] أهل الحل والعقد. وكل من كانت هذه حاله فهو إمام. **وبعدُ** فإنه لا خلاف في كونهما أفضلَ الأمةِ في وقتهما وفي وقت قيامهما وطلبهما الإمامة، وهذا إجماع معلوم على فضلهما، وأنهما أفضلُ الأمة عند طلبهما للإمامةِ؛

---

(١) حديث متلقى بالقبول عند آل محمد عليهم السلام وقد أجمعوا على صحته كما ذكره في لوامع الأنوار ٣/ ٣٧ . ومجموع رسائل الإمام الهادي ص١٩٥ ، وأخرجه المؤلف في شفآء الأوام ٣/ ٤٩٧، والإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٣/ ١٥١، ٤/ ٧٩ . والطبرسي في مجمع البيان ٢/ ٣١١ . وعلل الشرائع للصدوق ١/ ٢٤٨ وساق سنده إلى الحسن بن علي (ع).

(٢) لعله يريد بالتواتر:اشتهاره على ألسنة أهل البيت عليهم السلام حتى لا يحتاج إلى نظر فيمن رواه . والله أعلم.

(٣) يحمل الحكم بالخروج من الإسلام على من تعمد رد قطعي أجمعت عليه الأمة.

(٤) في (ب) و (ج):وتابعه .

والأفضل هو الأولى والأحق بالإمامة بإجماع الصحابة (رض) على ما فصَّلنا ذلك في غير هذا الموضع؛ فثبت بذلك إمامتهما، وثبت بذلك[(١)] الفصل الاول.

وأما الفصل الثاني:وهو في ذكر طَرَفٍ يسير من فضائلهما.

فمن ذلك اختصاصهما بأبوة الرسول، وولادة البتول:أما اختصاصهما بأبوة الرسول فيدل عليه الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب:فقول الله سبحانه في آية المباهلة:﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران:٦١]، فأجمعت الأُمة على أنَّ مَنْ دعا رسول الله ﷺ كان عليًّا وفاطمة والحسن والحسين (ع)، فكانتِ الأبنآءُ الحسنَ والحسينَ (ع)، وكانت النسآءُ فاطمةَ (ع) دون زَوَجَاتِ النبي ﷺ، وكانَتِ الأنفُسُ[(٢)] محمدًا وعليًّا (ع) وهذا أمر معلوم[(٣)].

---

(١) بذلك محذوفة في ((ب)) .

(٢) وليس المراد بقوله:﴿وَأَنْفُسَنَا ﴾ نفس محمد ؛ لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره وأجمعوا على أن ذلك الغير كان عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فدلت الأية على أن نفسُ علي هي نفس محمد . والمراد أنَّ هذه النفس مثلُ تلك النفس ، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه وترك العمل بهذا العموم في حق النبوة.

(٣) أنظر الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٨ . والكشاف ١/ ٣٦٩- ٣٧٠، وتيسير العلي القدير لاختصارتفسير ابن كثير ١/ ٢٧٩، ومجمع البيان ٢/ ٣١٠ . وأسباب الترول للواحدي ٥٨، ٥٩. وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ٤/ ٦٧. وتفسير الطبري مج٣ج٣ص٤٠٩-٤١٠. وقال الفخر الرازي في تفسيره مج ٤ ج ٨ص٩٠:هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله، وَعَدَ أن يدعُوَ أبناءه؛ فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه . ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿وَمِن ذُرّيّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيّوبَ ﴾... إلى قوله:﴿وَزَكَرِيّا وَيَحْيَىَ وَعِيسَىَ ﴾ ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأم لا بالأب،

ويدل على كونهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـول الله تعـالى:﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ❖ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٦]؛ فجعل عيسى من ذرية نـوح، وإنما هو ابن ابنته؛ وهذا أمر معلوم، فيجب في أولاد فاطمة أن يكونوا من ذريتـه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما السنة:فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((كلُّ بني أُنْثَى يَنْتَمُونَ إلى أبيهم إلاَّ ابْنَيْ فاطمـة فأنا أبوهما وَعَصَبَتُهُما))[1]. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:((الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ ابنـاي))[2]. وقولـه صلى الله عليه وآله وسلم:((إنَّ اللهَ جعل ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبيٍّ من صُلْبِه، وإنَّ اللهَ جعل ذُرِّيتي في صُلْب علـي بن أبي طالب))[3].

وهذا يوجب أن يكون جميعُ ولد علي عليه السلام ذريةً لرسول الله، إلا أنَّ مَنْ عدا أولاد فاطمة (ع) مخصوصون بالإجماع؛ فإنه لا خلاف في أنَّ مَنْ عدا أولاد فاطمة (ع) ليسوا من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله صلى الله عليه وآله:((كُلُّ أَولاد أُنثى، أبوهم عَصَبَتُهُم إلا أولادَ فاطمة فأنا أبوهم وعَصَبَتُهُم))[4]. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:((لكل بني

فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابنا. والله أعلم.

(١) درر الأحاديث النبوية ص٥٢، والطبراني في الكبير ج٣ ص٤٤ رقـم ٢٦٣١ ومجمـع الزوائـد ج٩ ص١٧٣.

(٢) المرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢. وكنز العمال بلفظ:((ابناي هذان الحسن ولحسين))ج١٢ ص ١١٢.

(٣) الطبراني في الكبير ٣/ ٤٤ رقم ٢٦٣٠ .

(٤) الخطيب في تاريخ ١١/ ٢٨٥ .

أُنثى عصبةٌ ينتمون إليه إلا ابْنَيْ فاطمة فأنا وَلِيُّهم وعصبتُهم))[1]. **ورُوينا** أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا رأى الحسن والحسين يمشيان وقد تَهَلَّلَ لهما التفتَ إلى أصحابه وقال:((أولادُنَا أكبادُنَا تَمْشي على الأرْضِ))[2].

وأما الاجماع:فلا خلاف في أن الصحابة (رض) كانوا يقولون للحسن والحسين:هما ابنا رسولِ الله ويُعْلِنُونَ بذلك في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، وهذا أمر معلوم لمن عرف أخبارهم واقتص آثارهم. **وأما اختصاصُهما** بولادة البتول فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم فهو معلوم ضرورة.

ومن فضآئلهما:

ما رُويناه عن ابن مسعود رحمه الله أنه قال:كان رسول الله ﷺ يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا مَنْعَهما أشار إليهم:دَعُوهما؛ فلما انصرف من صلاته وضعهما في حِجْره وقال:((مَنْ أحبَّني فليحبَّ هذينِ))[3]. فقال في ذلك المنصور بالله عليه السلام:

(١) الطبراني في بالكبير ٣/ ٤٤ رقم ٢٦٣٢ . والحاكم في مستدركه ٣/ ١٦٤ . واللفظ له .
(٢) تنبيه الغافلين ١٤٨ .
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤٤ . والبيهقي في السنن ٢/ ٢٦٣ . وابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٤٨ رقم ٨٨٧ . والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٧٩ ، وقالك رجال ثقات . والبزار ٢/ ٣٣٩ رقم ١٩٧٨ . والطبراني في الأوسط ٥/ ١٠٢ رقم ٤٨٩٥ عن أبي هريرة:((من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني)).

ثم يُـــشِيرُ اتْرُكُـــوه لا تَرَكَـــتْ		صَلَّى لديه امتطى على صُـــلْبه
أَلَمْ يكـــن والـــدي هُبلْـــتَ إذا		لك الرزايـــا مـــالاً لِمُنتَهِبـــه[1]

ومن جملة[2] ذلك حَمْلُه لهما يوم الحديقة يومَ فَقَدَتْهُمَا أُمُّهُمَا فاطمةُ الزهـــرآء وبَكَتْ فقال لها رسول الله ﷺ:((يا بنية لا تبكي فإنَّ لهما ربًا هو أحفظُ لهما[3]، وأرأف بهما مِنِّي ومنك)). ثم نزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بهما وسُرّي عنه وهـــو يضحك حتى بدت نواجذه[4] وقال:((هذا حبيبي جبريـــل يُخـــبرني عـــن الله أنَّ ابنيَّ:الحسن والحسين في حظيرةٍ لبني النجار، وقد وَكَلَّ الله بهما ملكًا من الملآئكـــة جعل أحدَ جناحيه تحتَهما وأظلَّهما بالآخَر))، ثم قال لأصحابه:((قوموا نَنْظُرْ إلَيهما على هذه الصفة))؛ فأتاهما النبي ﷺ ودخلها فوجدهما نائمين والمَلَكُ موكلٌ بهما، فانكَبَّ عليهما يُقَبّلهما وبكى فرحًا مِمَّا رآهما عليه، ثم أيقظَهُما فحمل الحسنَ على عاتقه الأيمن والحسينَ على عاتقه الأيسر؛ فلما خرج من الحظيرة اعترضه أبو بكر؛ فقال يا رسولَ الله:أَعطِني أحدَ الغلامين أحمِلْه عنك فقال:((يا أبا بكر نِعْمَ الحامـــلُ

---

(١) ديوانه ص٢٠٢، الشافي ٣/ ٧٥ . ويليهما:

أنا ابـــنُ مَـــنْ إذا أصـــابه غَـــضَبٌ		يغضب ربُّ السماءِ مِنْ غَـــضَبِه
خليفـــــةِ الله مِـــــنْ بريَّتِـــــه		وهو شـــريك الـــنبي في نَـــسَبِه
دون بني هاشـــم ودون ذوي القـــر		بى إليـــه مـــن عبـــاد مطَّلِبـــه

والإمام عبد الله بن حمزة أشعر الأئمة بلا نزاع وسنحقق ديوانه إنشاء الله .

(٢) في (ب):بحذف جملة .

(٣) في (ب):بهما .

(٤) النواجذ:الأنياب .

والمحمولُ، وأبوهما خيرٌ منهما)). فاعترضه عمر بمثل قول أبي بكر فأجابــه بمثــل جوابه، وقال:((والله لأُشَرِّفَنَّهُمَا كما شَرَّفهما الله)). والقــصة طويلــة والغــرض الاختصار.

وفي بعض الأخبار ((فنعم المطيةُ مطيتُهما، ونعم الراكبان هما، وأبوهمــا خــير منهما))[1]، فقال:في ذلك السيد الحميري من قصيدة له في أهل البيت (ع):

أتى حَــسَنًا والحــسينَ الرسـو		لُ وقد بَرَزَا ضــحوةً يلعبــان
فَـــــضَمَّهُمَا وَتَفَـــــدَّاهُمَا		وَكَانَا لَدَيــهِ بِــذَاكَ الْمَكَــان
ومـــرًّا وتحتـــهما منكبَـــا		هُ فـــنعم المطيـــةُ والرَّاكبـــان

ومن فضائلهما:ما رويناه من كتاب المصابيح، وهو أن جبريل عليه السلام كان يأتي منْزلَ فاطمة الزهراء صلوات الله عليها فإذا ارتفع ضربَ بجناحه فتنافرت[2] زَغبُ[3] ريشِهِ فكانت فاطمةُ (ع) تأخذه فتجمعه وتعجنه بعرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفوح[4] منه رائحة المسك. ومِنْ غير هذه الطريق فتجعلُهُ تَمَائِم للحسن والحسين (ع) تُعَلّقه عليهما[5]. وقد ذكرَ أيضًا في المصابيح إلى غير ذلك من فضائلهما؛ فإنها أكثرُ مِنْ أن نأتي على جميعها. وليس غرضُنا إلا الإشارةَ فقط؛ إذ فضلهما مما لا يُحتاج فيه إلى شرح وبرهان لكونه في ظهوره كالمشاهدة بالعيان، وبذلك ثبت الفــصل الثــاني

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٦٥/ رقم ٢٦٧٧ . وفي ذخائر العقبى ص١٣٠ ومجمع الزوائد ٩/ ١٨٢.
(٢) في (ب):فتناثر.
(٣) الزغب:الشعيرات الصفر على رأس الفرخ . المصباح ص٢٧٢ .
(٤) في (ب):فيفوح .
(٥) الطبري في ذخائره ص١٣٤ . والشافي ٤/ ١١٥ . و لم يذكر أن فاطمة كانت تعجنه بعرق رسول الله.

وهو:في ذكر طرف يسير من فضائلهما.

وأما الفصل الثالث:

وهو في ذكر طرف يسير من مثالب معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد بن معاوية [....] ففي ذلك مطلبان:

أحدهما:في ذكر معاوية، **والثاني**:في ذكر يزيد:

أما المطلب الاول:

وهو في ذكر معاوية وأبيه صخر وولده يزيد الجبار العنيد

أما أبوه صخر فهو قائد الأحزاب، ومخالف حكم الكتاب، الذي ركب بعيرًا أحمرَ يوم الاحزاب، ومعاوية يسوق به، وعتبةُ بن صخر أخو معاوية يقودُ به، فلعن رسولُ الله ﷺ الجملَ والقائدَ والراكبَ والسائق[1]. ولعن رسولُ الله ﷺ أبا سفيان، وهو صخر في سبعة مواطن:**لَعَنَهُ** يومَ لقيه خارجًا من مكة مهاجرًا إلى المدينة وأبو سفيان واصلٌ من الشام فوقع فيه وسبَّه وكَذَّبه وأوعده وهمَّ أن يبطش به فصدَّه الله عنه. **وَلَعَنَهُ** يوم أُحُد حين قال أبو سفيان:أُعلُ هُبَل، فقال النبي

(١) الطبراني ٣/ ٧٢ برقم ٢٦٩٨. مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١١٣، وذكر بعده: فقال عمار يوم صفين:والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعوانًا أظهروه ٧/ ٢٤٧. وشرح نهج البلاغة ٢/ ٤٦١ في مناشدة الحسن ومعاوية وعمر .

ﷺ:((اللهُ أعلى وأجَلّ))، فقال أبو سفيان:لنا العزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال النبي ﷺ:((اللهُ مولانا ولا مولى لكم، ولعنةُ الله وملائكته ورسُلِهِ عليكم. **وَلَعَنَهُ** يوم بدر. **وَلَعَنَهُ** يوم الأحزاب. **ولعنه** يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة وهم اثنا عشر رجلاً:سبعةٌ من بني أمية وأبو سفيان منهم[1]. **وَلَعَنَهُ** يوم همَّ أبو سفيان أن يُسلِمَ فنهاه معاوية عن الإسلام[2] وكتب إليه شعرًا يقول فيه:

يا صَخرُ لا تُسْلِمَنْ طوعا فتفضحَنَا		بعد الَّذِينَ ببدر أصبحوا مِزقَا
جدي[3] وخالي[4] وعَمُّ الأم[5] يا لهمُ		**قومًا وحنظلةَ الْمُهْدِي لنا الأرَقا[6]**
فالموتُ أهونُ من قول السِّفاه لقد		خَلَّى ابنُ حَرْبٍ لنا العُزَّى لنا
فإن أتيتَ أَبَيْنا ما تريدُ فلا[7]		**نُثني عن اللات والعزى لنا عُنُقَا[8]**

(١) في (ب) ، (ج):فيهم .

(٢) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/ ٤٦١، عن الحسن و لم يذكر السابعة أنه يوم همَّ أن يسلم وربما السابعة أنه يوم الجمل في يوم المناشدة . والأميني في الغدير ذكر ما يؤكذ ذلك ١٠/ ٨١ .

(٣) جده أبو أمه هند:عتبة بن ربيعة الذي قتله عبيدة بن الحارث عبد المطلب ضي الله عنه .

(٤) خاله أخو أمه:الوليد بن عتبة، قتله الإمام عليه بن أبي طالب عليه السلام . وفي الأصل: وعمي، والأصح:وخالي .

(٥) عم أمه هو:شيبة بن ربيعة قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٦) في شرح النهج الأبيات كلها مع اختلاف في البيتين التاليين:

جدي وخالي وعم الأم ثالثهم		وحنظل الخير قد أهد لنا الأرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد		حاد ابن حرب عن العزى لنا فرقا

(٧) في الأصل و (ب):ولا . والأصح ما ذكر؛ لأن جواب الشرط مربوطا بالفاء .

(٨) أنظر شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٦١ . في حديث المناشدة .

وَلَعَنَهُ يوم الهدي معكوفًا أن يبلغ مَحِلَّه فرجع رسـول الله ﷺ و لم يَطُـفْ بالبيت، و لم يقضِ نُسُكَه[1]. وهو الذي نكث البيعة[2]. وهو الذي قال للعباس بـن عبدالمطلب بعد أن أسلم بزعمه:إنَّ ابنَ أخيك أصبح في ملك عظـيم، فقـال لـه العباس:إنه نبوة، فقال صخر:إن في نفسي منه شَيئًا، وهذا يدل على نفاقه، وهـو الذي قال بعد ما كُفَّ بَصَرَهُ يوم بويع لعثمان:أرجو أن يعودَ دِينُنَـا كمـا عـاد مُلْكُنا[3]، يعني بدينهم عبادَةَ الأصنام.

ثم معاوية أمه هند بنتُ عتبة آكلة أكباد الشهداء في يوم أحد فإن من قـصتها أنها حَرَّضت على القتال، وأنشدت الأشعار تَحُثُّ بها الأبطال، فقالـت في بعـض قولها:

وَيْهًـا بـني عبدِالـدار		ويهـا حمـاةَ الأدبـار[4]
ضَـرْبًا بكـل بَتَّـار		

وقالت[5] وهي تضرب بالدف:

(١) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/ ٤٦٢، وهي إحدى السبع. والأميني في الغدير ١٠/ ٨٢ . هو يوم الحديبية .

(٢) ربما أراد بيعة الإسلام حيث أظهره وأبطن الكفر .

(٣) روى المقريزي في النزاع والتخاصم ص٢٠:دخل أبو سفيان على عثمان حين صارت الخلافـة إليـه فقال:قد صارت إليكم بعد تيم وعدي ؛ فأدرها كالكرة واجعل أوتادها لبني أمية ، فإنما هو الملـك ولا أدري ما جنة ولا نار. وفي لفظ المسعودي ج١:يا بني عبدمناف؛ تلقفوها تلقف الكرة ؛ فوالذي حلـف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة.

(٤) في الأصل:الأذمار، والمحفوظ والمشهور ما ذكر .

(٥) في (ب):وقالت أيضًا .

نحـــن بنـــاتُ طـــارق		نمــشي علــى النمــارق[1]
إن تُقبلــــوا نعـــانق		ونفــــرش النمــــارق
أو تــــدبروا نفـــارق		فـــراق غـــير وامـــق

ثم مَثَّلت بالشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ هي والنسوة من قريش، وَكُنَّ يُجَدِّعْنَ الآذان والأُنُف، حتى اتَّخذت هندٌ من أذان الرجـال وأُنُفِهـم خَـدَمًا[2] وقلائد، وأعطتْ خَدَمَها وقلائدَها وقِرطَتْها وَحْشِيًّا، عبد جبير بن مطعم، وهو قاتلُ حمزة رحمه الله- وبقَرَتْ هندٌ عن كبد حمزة فَلاكَتْها فلم تستطع أن تُسيغَها فلفظتْها ،ثم عَلَتْ على صخرة مُشْرِفَةٍ فصرخت بأعلى صوقما فقالت:

نحن جزينــاكم بيــومِ بــدر		والحربُ بَعْدَ الحرب ذاتُ سُعْر
ما كان عن عتبةَ لي من صــبر		ولا أخــي وعَمِّـه وبكْــرِي
شفيتَ نفسي وقضيتَ نَــذْري		شَفَيتَ وحشيٌّ غَليلَ صــدري
فشكرُ وَحْشِيٍّ علــيَّ عُمْــرِي		حتَّى تَرِمَّ أعظمي في قــبري[3]

وأما معاوية فلم يدخل في الاسلام إلا فَرَقًا، و لم يُقِمْ عليه إلاَّ نفاقًا. ثم من جُمْلة مثالبه منازعتُه الخلافةَ لعلي عليه السلام، وقد قال النبي ﷺ:((مَنْ نازع عَلَيًّا الخلافةَ فهو

(١) في (ب) زيادة بعدة:والمسك في المفارق .

(٢) الخدمة-محركة:السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير فيشد إليها سرائح نعلها. القاموس ص ١٤٢١ . وفي بعض النسخ:خذما والخذم:القطع، وخضمت الشيء قطعته. مقاييس اللغة ٢٩١ .

(٣) أنظر سيرة ابن هشام ٣/ ٧٦- ١٠٦، وابن كثير في سيرته ٣/ ٣١- ٧٤، والمغازي للواقدي ١/ ٢٢٥ وما بعدها إلى نهاية غزوة أحد. والسيرة الحلبية ٢/ ٢٢٥ .

كافر))[1]، فكان ذلك معاوية. ورُوينا عن النبي ﷺ:((مَنْ قاتل عليًّا على الخلافة فاقتلوه كائنًا مَنْ كان))[2]، فكان ذلك معاوية. وروينا عنه ﷺ أنــه قــال:((إذا رأيتُم معاوية على منبري فاضربوا عنقه))[3]، رواه جماعة منهم أبو سعيدٍ الْخُــدْرِي وجابر وحذيفة وابن مسعود في آخَرِينَ. قال الحسن بن أبي الحسن البصري:فلــم يفعلوا فَأَذَلَّهُم الله[4]. وروينا عن محمود بن لبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال:((إنَّ هذا- وأشار إلى معاوية- سَيُرِيدُ الأمر بعدي فمَنْ أدركه منكم وهو يريدُه فَلْيَبْقَر[5] بطنَه))[6]. وروينا عن عبدالله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال:((يطلعُ عليكم رجلٌ من

---

(١) ابن المغازلي ص ٤٨رقم٦٨ . إذا صح الحديث فيحمل على أنه كافر تأويل ;أو كافر نعمة ، ويتوجه الحديث لمن حمل السيف في نزاعه مع علي فهو هالك قطعا سواء سمي فاسقا أو كافرا؛ لأن حكم علــي حكم النبي ﷺ ما عدا النبوة .كما وردت بذلك النصوص القاطعة

(٢) أخرجه المتقي في كتر العمال ١ /٢٠٩ رقم ١٠٤٦ ، وعزاه إلى الديلمي

(٣) تأريخ بغداد بلفظ:فاقتلوه ١٢/١٨١ عن الحسن . والذهبي في ميزانه وصححه ٢ / ١٢٩ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ / ١١٠ ، ٧ / ٣٢٤ ، والطبري في تاريخه ، والــبلاذري في أنــساب الأشــراف بإسنادين صحيحين ، وابن عدي في الكامل ج٥ ص٩٨، ١٠٣ بسندين في ترجمة عمر بن عبيــد عــن الحسن، وعن أبي سعيد ٦/٤٢٢، وعنه أيضا بلفظ:فارجموه ٥/٢٠٠. وأيضا عنه:((إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه))، وأيضًا عن ابن مسعود ٢/١٤٦ ، ٢٠٩ ، وعن أبي سعيد أيضا ٥/١٠١ ، ٣١٤. وقد استوفى الأميني في الغدير [١٠/١٤٣] ما قيل حول إسناده فليراجع . ويقوي هــذا الحــديث مــا روى:إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الأخر منهما؛ فهذا الحديث كالصريح في قتل معاوية . وحــديث:((مــن قاتل عليًّا على الخلافة فاقتلوه كائنًا من كان)). والذهبي في تاريخ الإسلام عهد معاوية ص٣١٢ . ومحمد بن سليمان الكوفي ٢/٣١٨.

(٤) الخطيب في تاريخه ١٢/١٨١.

(٥) بَقَرَهُ كَمَنَعَهُ: شقَّه ووسَعَّه ، القاموس٤٥٠.

(٦) الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٤ / ٤١ .

أهل النار))[1]، فاطَّلع معاوية. وروينا

عنه ﷺ أنه قال:((يَموت معاوية على غير ملتي))[2]، فأخبرنا ﷺ بأنه يموتُ

على غير ملته. وخبره صِدْقٌ لا كَذِبَ فيه. وَسُئِلَ الحسنُ بنُ أبي الحسن البصري رحمه الله:معاوية أفصحُ أم الحسنُ بنُ عليٍّ؟ فقال:معاوية حِمَارٌ نَهَّاق[3]. وروينا أن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) قال لمعاوية في جملة كلامٍ زَرَى عليه فيه أفعاله، وذَكَر مثالبه ثم قال:ومنها أنَّ عمر بن الخطاب وَلاَّكَ الشام فخنتَه، وولاَّك عثمانُ بن عفان فتربصتَ به ، وقاتلتَ عليًّا على أمرٍ كان أَوْلى به منك عندالله، فلما بلغ الكتابُ أجله صار إلى خير منقلب ، وصرتَ إلى شر مثوى ، وقد خفَّفتُ عنك من عيوبك[4]، فأقره معاوية و لم يكذبْه وهو في معرض المجادلة.

وكان معاوية كافرًا في الباطن مظهرًا للإسلام، فكان من جملة المنافقين، ثم كان يعمل الأصنامَ ويأمر بها على وجه التجارة تباع له في بلد الكفار.

---

(١) ينظر المناقب للكوفي ٣١٣/٢ في هامش الأصل:ليت هذا الحديث كف من عرام عبدالله بن عمرو وأبيه؛ فإن أصحاب معاوية كلهم لم يقاتل الواحد منهم إلا بسيف واحد، وقاتل عبدالله بسيفين في صفين.

(٢) أخرجه محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ٣١١/١، وفي هامشه:أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف بسندين في ترجمة معاوية.

(٣) الشافي ١ / ١٦٠ بلفظ:يا أبا سعيد ! أمعاوية كان أحلم أم الحسن، فقال:وهل كان معاوية إلا حمارا نهاقا ، وأيضا برواية أخرى ١٦٥/١ ، أنه لما سئل عنه فقال:هل كان إلا حمارا نهاق وكيف يكون حليما من نازع الأمر أهله وطلب ماليس له وسب خير خلق الله ، وحارب عترة رسول الله .

(٤) معناه: أنه لم يذكر كل عيوبه.

ثم لَمَّا مات الحسن بن علي عليه السلام استلحق زيادَ ابن أبيه–هذه تسميتُه عندهم– وقد أجمعت الأُمةُ على صحة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((الولدُ للفراش وللعاهر الْحَجَــرُ))؛ فاستلحق زيادًا وادعى أنه أخوه بالعِهْر، وصحَّح نَسَبَه بذلك فكان ردًا لما عُلِمَ من دين النبي ضرورة، والرآدُّ لما هذه حالهُ كافر بالإجماع بين المــسلمين المتمــسكين بشريعة الإسلام، وكَفَرَ[1] ظاهرًا وأظهر ما كان يُبْطِنه من الكفر وقد قال الشاعر في استلحقاقه زيادًا:

ألا أَبْلِغْ[2] معاوية بــنَ حَــرْبٍ		مُغَلْغَلَةً من الرَّجُــلِ اليَمَــانِي
أَتَغْضَبُ أن يُقال:أَبُــوك عَــفٌّ		وَتَرْضَى أن يُقالَ:أَبُــوكَ زَانِ!
فأُقسمُ إنَّ إلَّــكَ[3] مــن زيــادٍ		كإلِّ الفيل من ولد الأَتــان[4]

وروي عن الحسن بن أبي الحسن البصري[5] أنه قال:أربع خصال في معاوية لو لم تَكن فيه إلا واحدة منهن كانت موبقة:**خروجُه** على هذه الأُمة بالسفهاءِ حــتى ابتزَّها أمْرَها بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة. **واستخلافُه** يزيد، وهــو سِــكِّير خِمِّير، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. **وادِّعآؤه** زيادًا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله:((الوَلَدُ لِلفِرَاشِ وَللعاهر الْحَجَرُ))[6]. **وَقَتْلُهُ** حُجر بن عَدِي. فيا له من حُجــرٍ

---

(١) في (ب): فكفر.
(٢) في (ب):بَلِّغ.
(٣) الإلُّ:القرابة.
(٤) هو ليزيد بن مفرغ الحميري. ينظر الشافي ١/١٦١ . والطبري ٥/٣١٨. والأغاني ١٨/٤٣٦.
(٥) تابعي زاهد مفسر ومحدث، توفي ١١٠هــ. ينظر المعارف ٤٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣.
(٦) رواه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ١ / ١٦١ حيث قال:قد أجمعت الأمة على صحة قــول الــنبي

وأصحاب حُجْرٍ[1].

ومن مثالب معاوية:أنَّه أول من تكلم بالْجَبْرِ[2] في هـذه الامـة، وأول مـن اختطب به فيمن يعتزي إلى الإسلام، كما روينا أنه اختطب بالشام فقال:إنما أنـا خازن من خُزَّان الله أُعطي مَنْ أعطاه اللهُ، وأمنع من منعه الله، فقام أبو ذر رحمه الله فقال:كذبت يا معاوية إنك لَتُعْطِي مَنْ منعه الله، وتمنع من أعطاه الله ، فقال:عبادة بن الصامت رحمه الله:صدق أبو ذر، وقال أبو الدرداءِ رحمه الله:صدق عبـادة[3]. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يَقْنُتُ بلعن خمسة وهم:معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن

صلى الله عليه وآله وسلم: ((الولد للفراش وللعاهر الحجرُ)) ، وعلمنا ضرورة أن معاوية استلحق زيـادًا، وادعـى أخوتـه بالقهر، وصحح نسبه بذلك ؛ فكان ردًّا لما علم من دين النبي ضرورة ، والراد لما علم مـن ديـن الـنبي ضرورة كافر بإجماع أهل العلم. وأخـرج هـذه الحـديث أبـو داوود:[٢ / ٧٠٥ رقـم ٢٢٧٣]. والنسائي:[٦ / ١٨٠ رقم ٣٤٨٢ ، ٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤ ، ٣٤٨٥ ، ٣٤٨٦] . وابن ماجـة:[١ / ٦٤٧ رقم ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧] . وأيضا البخاري:[٢ / ٧٧٣ رقـم ٢١٠٥ ، ٢ / ٨٥٢ رقـم ٢٢٨٩ ، ٣ / ١٠٠٨ رقـم ٢٥٩٤ . ٤ / ١٥٦٥ رقـم٤٠٥٢ ، ٦٣٦٨، ٦/ ٢٤٨٤ رقـم٦٣٨٤ ، ٦ / ٢٤٩٩ رقم٦٤٣٢، ٦/ ٢٦٢٦ رقم٦٧٦٠]. وأحمد بن حنبل [٢٢٣/١ رقم٨٢٠ . ج٣ ص٢٨ رقم٧٢٦٦ ، وغيرها من الروايات . أما **قصة الاستلحاق** فهي مشهورة متواترة، ينظر تأريخ الطبري ٢١٤/٥. وابـن الأثير ٣ / ٢١٩-٢٢١ . والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٩٤-٤٩٥ . وابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ١٠٢ . والشافي ١ / ١٦١ . والمسعودي في مروج الذهب ٨/٣. قال الإمام عبدالله بـن حمـزة في الشافي [٣٨/٣]:أما أنا وآباؤنا عليهم السلام لم نختلف في تكفير معاوية؛ لخلافه لما علم من دين رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة من ادعائه زيادا وهذا لا يمكنه إنكاره، وإنكار الخبر .

(١) الطبري ٢٧٩/٥. وابن الأثير ٢٤٢/٣ بتفاوت يسير. وابن كثير في البداية والنهاية ١٣٩/١. والاصابة ٣١٣/١ رقم ١٦٢٩ ، وأسد الغابة ٦٩٨/١ رقم ١٠٩٣ ، والاستيعاب ٣٩٠/١.

(٢) الْجَبْر قول العاصي بأنه مُجْبَرٌ من الله على فعل المعصية، كقول إبليس:﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾.

(٣) رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام في الشافي ١ / ١٣١ ، ٤/ ١٢٧ . وأبو طالب في شرح البالغ المدرك ص٩٩، والاساس ٢٨/٢.

العاص، وأبو الأعور السلمي، وأبو موسى الأشعري، وبُسرُ بن أرطأة[1]

فصل :في شُبَهِ الحشوية التي يحتجون بها:

الشبهة الاولى:

قولهم:إن معاوية كاتبُ الوحي[2] وذلك يقتضي الفضيلة. وجوابها:أنَّ كتابة الوحي لا تدل على فضله؛ لنقضه لذلك بفعله؛ إذ قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ عبدُالله بن سعد بن أبي سَرْح، ولا شك ولا إشكال في كفره ونفاقه. ومِنَ الظاهر عند العلماء أنه كان يكتب الوحيَ مكانَ غفورٍ رَحيمٍ، عليم حليم،

(١) لاشك لدى علماء المسلمين أن عليًّا عليه السلام خليفة راشد ، وكبير الصحابة ، وله من السابقة والجهاد والزلفة من الله ما يجعله جديرًا بالحديث الشريف:((لعنتك من لعنتي)) ، مجموع الإمام زيد ٤٠٤، فمن لعنه عليٌّ فكأنما لعنه النبي ﷺ ولا مسوغ لاستثناء الصحابة من هذا الحكم فحكم الإسلام جارٍ على الجميع، ولا شأن لنا بمن يضفي التعديل على جميع الصحابة حتى غير العدول ذهابًا إلى سد الطريق أمام الروافض كما يقال:فخيار الأمور أوسطها لئلا نظلم بريئا أو نبرئ ظالِمًا. والله أعلم. وزادوا الوليد بن عقبة، وكان شديد البغض لعلي عليه السلام وهو الفاسق المذكور في الآية:﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ﴾.. الأية، وأبوه عقبة بن أبي معيط قتله الإمام علي عليه السلام في غزوة بدر، وقد جلد الإمام علي عليه السلام الوليد في خلافة عثمان حدا، وعزله عثمان عن الكوفة. والضحاك بن قيس. وحبيب بن مسلمة. ومروان بن الحكم. أخرج ذلك الإمام الهادي في الأحكام ١٠٩/١. والإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٤٨/٤، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٩ عن نصر بن مزاحم في وقعة صفين ص٥٥٢. والطبري في تاريخه ٧١/٥. وابن كثير في البداية والنهاية، وذكر أنه لما بلغ ذلك معاوية قنت وكان يلعن عليًّا وحسنًا وحسينًا والأشتر وابن عباس. ينظر ابن الأثير في الكامل ١٦٨/٣، وهو خبر مشهور.

(٢) الصحيح أنه ما كتب الوحي ، وإنما كتب إلى الملوك كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد وغيره. ولو سلمنا بكتابة الوحي فذلك أعظم حسرة، وأكبر حجة على كاتب وحي يرتكب العظائم في حق الإسلام والمسلمين، فلو فعل ذلك عامر بن الطفيل أو نحوه لهان الأمر.

فيقول:أَمْرُهُمَا سواءٌ[(١)]، فلما أملى النبي ﷺ قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾ فلما بلغ آخر الآية تعجَّب ابن أبي سرح فقال:تبارك اللهُ أحسنُ الخـالقين، فقـال ﷺ:فهكذا أُنزلَ فَشَكَّ ابن أبي سرح وارتد ثم أسلم))[(٢)]. **وقيل**:إن الـنبي ﷺ هَدَرَ[(٣)] دمه، فلما كان يومُ الفتح شفع فيه عثمان بن عفان فـشفَّعه رسـولُ الله ﷺ، وولاَّهُ عثمانُ في ولايته مِصْرَ فأثار الفتنة حتى قُتِلَ عثمان. وأخبر النبي ﷺ بأنَّ الارض لا تقبله، فلما مات دُفِنَ فلفظته الأرض و لم تقبله، فلو كانـت كتابـةُ الوحي دلالةً على الفضل على كل حال لوجب القضاءُ بفضل ابن أبي سـرح، وفي عِلْمِنَا ضرورةً بخلاف ذلك دلالةٌ على أنها لا تقتضي الفضل[(٤)].

وقد روينا أن رسول الله ﷺ أَمَر يومًا معاوية ليكتب له، وأرسل إليه رسولاً فرجع بغير شيء، وقال الرسول:هو يأكل، فأعاد ذلك مرارًا كُل ذلك يقول:هـو يأكل، فقال النبي ﷺ:((اللهم لا تُشْبِعْ بطنَه))[(٥)]. وذكر ذلك الحسن بن علـي (ع) لمعاوية في جملة الكلام الذي ذكرنا بعضًا منه أوَّلا ثم قال له:فنـشدتُك الله[(٦)]،

---

(١) أخرج ذلك بن الأثير في أسد الغابة ٣/٢٦٠ قال:كان يكتب الوحي لرسول الله ثم ارتـد مـشركا ، وصار إلى قريش بمكة فقال لهم:إني كنت أصدق محمدا حيث أريد، كان يملـي علـي عزيـز حكـيم، فأقول:أو عليم حكيم، فيقول:نعم كل صواب.

(٢) في هامش (ب) ينظر في ذلك . فالذي يظهر أن هذه القصة لا تصح أصلا.

(٣) في (ب) ، و(ج):نذر . وفي هامش (ب): هدر.

(٤) في (ب): لا تقضي بالفضل.

(٥) أخرجه مسلم ٣٤ / ٢٠١٠ برقم ٢٦٠٤ عن ابن عباس. والنسائي ١/٥ من مقدمة الحسنن، عنـدما قيل له:ألا تخرج فضائل معاوية كما أخرجت فضائل علي؟ قال:أي شيء أخرج؟ اللهم لا تشبع بطنـه ، فقتله أهل الشام كما هو مشهور.

(٦) في (ب) بالله.

ألستَ تعرفُ تلك الدعوةَ في نَهْمَتِكَ وأَكْلَتِكَ ورغبة بطنك؟[1]. فلم يُنكر عليه معاوية قولَه، وأقره عليه في معرض الحجاج والجدال.

الشبهة الثانية:

قولهم: إنَّ معاوية من الصحابة (رض) فَلَهُ حقُّ الصحبة، وهي تقتضي الفضل. **جوابها:** أن الصاحب قد يكون مؤمنًا، وقد يكون كافرًا، وقد يكون بَرًّا، وقد يكون فاجرًا. قال الله سبحانه: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف:٣٧]، وقد كان عبدالله بن أُبي بن سلول من جملة من شمله اسمُ الصحابة، وكذلك صخر ابن حرب. فَصُحْبَةُ معاوية كصحبتهما؛ إذ هو من جنسهما، وحُكْمُهُ حُكْمُهُمَا.

الشبهة الثالثة:

قولهم: إنَّه صِهْرُ رسول الله ﷺ، وخالُ جميع المؤمنين، وكلُّ ذلك دليل على الفضل. **جوابها:** أن صفية ابنة حيي بن أخطب رحمة الله عليها كانت تحت رسول الله ﷺ وضرب عليها الحجاب، كما كانت أم حبيبة ابنة أبي سفيان تحته، وكان أخو صفيةَ يهوديًّا، وهو مع ذلك صِهْرُ الرسول، وخالُ المؤمنين، فلم تعصمه الصهارة والْخُؤُولة عن النار، وعن الحكم عليه بالإكفار، وأوصت له أختُه صفيةُ رحمة الله عليها بثلاثين ألفًا مع استمراره على اليهودية، فأجاز وصيتَها المسلمون وصار ذلك أصلاً في جواز الوصية للكفار الْمُعَاهَدِينَ، فكذلك صهارةُ معاوية

---

(١) ابن أبي الحديد ٢ / ٤٦١ ، عندما بعث إليه ليكتب كتابا إلى بني خزيمة.

وخؤولته لن يعصماه من النار ، وعن وخيم القَرار.

وبعد فإنَّ حَالَ معاوية في القرابة بالصهارة وبكونه خالاً للمؤمنين لا يزيدُ على حال أبي لهب وهو عم الرسول بلا خلاف، وكان من أهل النار قطعًا؛ ولأنَّ وِلاَدَةَ النُّبُوَّةِ أبلغُ في باب الحرمة من خوؤلة الإيمان، فلم تعصم ولدَ نوح عليه السلام ولادتُه لَمَّا عصى الله عزوجل، فإذا كان كذلك في أولاد الانبياء (ع) فبطريقة الأَوْلَى أنَّ معاوية بذلك أولى. أين معاوية مِنْ أمير المؤمنين؟ الذي قال فيه الصادق[1] الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الأكرمين:((يَا عليُّ بِحُبِّكَ يُعْرَفُ المؤمنون، وَبِبُغْضِكَ يُعْرَفُ المنافقون. مَنْ أَحَبَّكَ مِنْ أُمَّتِي فقد بَرِئَ من النِّفَاقِ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ لَقِيَ اللهَ عزَّ وَجَلَّ مُنَافِقًا))[2] . **وقال فيه أيضًا**:((أنتَ أميرُ المؤمنين، وخيرُ الوصيين، وأولى الناسِ بالنبيين، وقائدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ))[3] .**وعنه** عليه السلام أنه قال:دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضع رأسه في حِجر دحية الكلبي[4]، فسلمتُ عليه، فقال لي دِحْيَةُ:وعليكمُ السلام يا أمير المؤمنين، وفارسَ المسلمين، وقائدَ الغرّ المحجَّلِينَ، وقاتلَ النَّاكِثِينَ، والمارقين، والقاسطين، وإمامَ المتقين، ثم قال لي:تعالَ خُذْ رأس نَبِيِّك في حجرك فأنت أحق بذلك، فَلَمَّا دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووضع رأسه على حجري لم أر دحية، وفتح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عينه[5]، فقال لي:((لم يكن

---

(١) في (ب): بزيادة الْمُصَدَّق . وكتب فوقها حشو زائد.

(٢) مجموع الإمام زيد ص٤٠٥.

(٣) على فصوله شواهد وقد سبق تخريجها.

(٤) كان جبريل يترل في صورة دحية بطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن صورته كانت بهية.

(٥) في الأصل:ظنَّن عليها. وفي (ب) ، (ج):ساقطة ولا يصح المعنى إلا بها.

دحيةَ، وإنما كان جبريل أتاك لِيُعَرِّفك أن الله سَمَّاك بهذه الأسمآء))[1] . **وفي الحديث** أنَّ النبي ﷺ أَمَرَ أصحابَه أن يُسلموا على عليٍّ بأمير المؤمنين، فقال عمر بن الخطاب:هذا رأيٌ رأيتَه، أم وَحْيًا[2] نزل؟ فقال النبي ﷺ:بل وَحْيٌ نزل. فقال عمر بن الخطاب:

سمعًا للهِ وطَاعةً. **وروينا** أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال:((أَخِي، ووصيي، ووارثي، وخليفتي في أهلي، ومنجزُ وَعْدي، وقاضي ديني، عليُّ بن أبي طالب)). **ووضع** يده على صدره فقال:((أنا المنذرُ وَلِكُلِّ قومٍ هاد))، وأوما بيده إلى علي، فقال:((أنتَ الهادي، بك يهتدي المهتدون من بعدي)). **وقال** ﷺ:((عليٌّ سيدُ البَشَرِ))، قالت عآئشة:أنت يا رسولَ الله سيدُ البشر! قال:((أَنَا سَيِّدُ الرُّسُلِ، وعليٌّ سيدُ البَشَرِ)). **وقال** ﷺ:((عَلِيٌّ خيرُ البشرِ فَمَنْ أَبَى فقد كَفَرَ))[3] . **وعن أبي هريرة** أنه قال:نظر رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ، فقال:((أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ))[4] .

---

(١) الحدائق الوردية ١/ ٢٤ .

(٢) في (ب):وهامش (أ):وحي؛ وكأن المعنى أم هو وحي .

(٣) محمد بن سليمان الكوفي ٢/٥٢٣. و الخطيب في تاريخه ٧/٤٢١. . وابن عساكر ٢/٤٤٤، عن حذيفة بن اليمان. وص٤٤٦ عن جابر.

(٤) الترمذي ٥/٦٥٦ رقم ٣٨٧٠ عن زيد بن أرقم . قال المقبلي في الأبحاث المسددة ص٢٤٢:وحديث: ((أنا حَرْبٌ لمن حاربتم، وسلمٌ لمن سالمتم)). قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم . أخرجه أحمد والطبراني ٣/٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١ والحاكم. وفي معناه عدة أحاديث. بعضها يعمهم، وبعضها يخص الحسن والحسين حين خاطبهما وفي بعضها ما يعم أهل البيت في الجملة، فمجموعها يفيد التواتر المعنوي ، وشواهدها لا تحصى مثل أحاديث قتل الحسين ، وأحاديث ما تلقاه فراخ آل محمد وذريته ، بألفاظ وسياقات يحتمل مجموعها مجلدًا ضخمًا فمن كان قلبه قابلاً فهومن أوضح الواضحات في

فليت شعري ما تقول الحشوية والأُموية إذا كان معاوية حربًا لعلي عليه السلام ولأسباطه؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَرْبَه بمقتضى هذا الخبر، كيف ينجو مَنْ حارَبه الرسولُ؟ وكيف يَعْتَقِدُ إمامتَه أحدٌ مِنْ أهل العقول؟ وبذلك ثبت المطلب الأول وهو في ذكر مثالب معاوية.

أما المطلب الثاني:وهو في ذكر يزيد بن معاوية [....]

أما يزيد فلا شبهة في خروجه من الدين وانتظامه في سلك الكفرة المتمردين وهو الذي سفك دمآء الذرية جهرًا، وسبى نساءَهم قهرًا. ولا شبهة عند العارفين أن المحن في الأولاد والأهل بمنزلة المحن في النفس، وتَجري مَجراه، وأنَّ ذلك من جملة البلآء، العظيم على الآبآء. وتصديقُ ذلك قول الله تعالى:﴿وَإِذْ نَجّيْنَاكُم مّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلآءٌ مّن رّبّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٤٩].

ويزيدُ الملعون **هو الذي** قَتَل من أولاد المهاجرين والأنصار ستةَ آلاف نسمة محرمة، وهم قَتْلَى حَرَّةَ واقمٍ[١]، وأمرُهم ظاهر عند العلمآء. **وهو الذي** أباح حَرَم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، وقد حَرَّمه من عَير إلى ثور، وهما جبلان. **وهو الذي** نَكَتَ

كل كتاب، ومن ينبو قلبه عنها فلا معنى لمعاناته بالتطويل. انتهى كلام العلامة المقبلي.

(١) هي بظاهر المدينة المنورة .

(٢) يشير إلى وقعة الحرة وسببها أن أهل المدينة رفضوا بيعة يزيد وبايعوا عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة فأرسل يزيد جيشا أثنى عشر ألفا بقيادة مسلم بن عقبة المري فاستباح الجيش اليزيدي مدينة الرسول ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون الأموال، كان ذلك يوم الأربعاء ٢٨ ذي الحجة ٦٣هـ ينظر الطبري ٥/٤٨٢ وما بعدها.

بالقضيب فَمَ الحسين عليه السلام، فإنه لَمَّا قُتِلَ وَحُمِلَ رأسه إليه قَرَع ثناياه بالقـــضيب، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقبِّلها، وتمثل يزيد عند نكته ثناياه بالقضيب بأبيات ابن الزِّبْعَرى:

ليت أشياخي ببــدر شـــهدوا		جزع الخزرج من وقع الأسل[1]

إلى آخرها ، وزاد فيها:

لأَهَلُّــوا واسْـــتَهَلُّوا فرحًـــا		ثُمَّ قالوا يـــا يزيـــدُ لا شـــلل
لستُ من عتبَةَ[2] إن لم أنـــتقم		من بني أحْمَدَ مـــا كـــان فعـــل

فقال له بعض القآئلين:نَحِّ قضيبَك عن فمه فأشهدُ لقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقَبِّلُ موضع قضيبك منه. ورُوينا عن ابن عباس أنه قال:اشـــتد برســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرضُه الذي مات منه، فَحَضَرْتُه وقد ضَمَّ الحسينَ عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقـــه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول:((مَا لِي وَلِيَزِيدَ؟ لا بَارَكَ اللهُ فيه، اللَّهُمَّ الْعَنْ يزيدَ. ثم غُشِيَ طويلاً وأفاق فجعل يُقبِّل الحسينَ، وعيناه تَـــذْرُفَانِ، ويقـــول:((أَمَـــا إنَّ لي وَلِقَاتِلِكَ مَقَامًا بينَ يَدَيِ اللهِ)).

واختُلِفَ في سبب موت يزيد، فقيل:سَكِرَ فرقص وسقط فأصاب رأسَه الْهَاوَنُ فانصدع. وقيل:اندقت عنقه[3]. وفيه يقول الشاعر:

---

(١) البداية لابن كثير ٨/ ٢٢٢ .

(٢) لعله يشير إلى عتبة بن ربيعة والد أمه .

(٣) ينظر سير أعلام النبلاء ٤/٣٧، وقال:وعن محمد بن أحمد بن مسمع قال:سكر يزيد فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه، وقال:وكان ناصبيًا، فظا غليظا، جلفا، يتناول المسكر، ويفعـــل المنكـــر ، افتتح دولته بمقتل الحسين، واختتمها بواقعة الحرة.

أبني أمية إن آخــر ملككــم		جسد بَحُوَّارين[1] ثَــمَّ مقــيم
جاءت منيتهُ وعنــد وســادِهِ		زِقٌّ وكـــوزٌ زاعـــف مزنـــوم
وَمُرِنَّةٍ تبكـــي علـــى شَـــنَواتِه		بالصُّبح تَقعـــد تـــارةً وتقـــوم

ومثالبه أكثر من ذلك، فَلْنقتَصِرْ على هذا القدر منها. وبذلك ثبت الكـــلام في المسألة الثانية من مسائل الإمامة.

المسألة الثالثة: في إثبات الإمامة بعد الحسن والحسين في أبنائهما (ع) دون غيرهم: وفيها ثلاثة فصول:

الأول: في إثبات الإمامة فيهم دون غيرهم ما بقي التكليف. **والثاني**: في ذكـــر طرف يسير من فضائلهم ومناقبهم. **والثالث**: في ذكر أَتْبَاعِهِم وفضائلهم.

أما الفصل الأول: وهو في إثبات الإمامة بعدهما في أبنائهما الطاهرين عليهم صلوات رب العالمين ففيه مبحثان:

أحدهما: في الدلالة على أنها لا تَجوز فيمن عداهم. **والثاني**: في الدلالـــة علـــى جوازها فيهم، وبذلك يتم غرضنا من أنها محصورة فيهم.

أما المبحث الأول: وهو في الدلالة على أن الإمامة لا تجوز فيمن عداهم ما بقي التكليف ؛ فالذي يدل على ذلك أن العترة أجمعت على ذلك وإجماعُهم حجة على

---

(١) بلد بجانب حمص .

ما بَيَّنَّا ذلك في كتاب الإرشاد، وفي كتاب النظام فثبت قولنا[(١)]:أنها لا تجوز فيمن عداهم ما بقي التكليف ، وبذلك ثبت المبحث الأول.

وأما المبحث الثاني: وهو في الدلالة على جوازها فيهم؛ فالذي يدل على ذلك أن الإمامة شرعيةٌ؛ إذ العقل يقضي بقبحها؛ لأنها تقتضي التصرف في أمور ضارَّةٍ نحو القتل والصلب والجلد ونحو ذلك، فيجب أن يكون دليلُها شرعيًا، وهو إجماعُ الأمة على جوازها فيهم، وإجماع العترة على جوازها فيهم لا في غيرهم[(٢)]. وقول الإمامية باطِلٌ[(٣)]؛ لأن التعبد بالإمامة عَامٌّ، فلو كان ما ادعوه من النص صحيحًا لوجب أن يكون ظاهرًا مشهورًا، ومعلوم أنه غير ظاهر ولا مشهور؛ فصح قولنا:إنَّها جائزة في أهل البيت (ع)، وإنها فيهم محصورة، وعلى سواهم ما بقي التكليف محظورة.

فإن قيل:قد دللتم على أنها فيهم محصورة وعلى من سواهم ما بقي التكليف محظورة فما الذي يدل على وجوب الإمامة؟ قلنا:الذي يدل على ذلك وجهان:أحدهما أن الصحابة (رض) أجمعت على وجوبها وإجماعهم حجة على ما فصلنا ذلك في كتاب النظام.

الوجه الثاني:قول الله سبحانه:﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ

---

(١) في (ب) ، (ج):على أنها .
(٢) ينظر الدعامة ص١١١. المطبوع تحت عنوان: نصرة مذاهب الزيدية.
(٣) يشير إلى قول الإمامية بأن الأئمة أثنا عشر نصَّ النبي ﷺ عليهم بأسمائهم وأوصافهم وتفاصيل حياتهم بدقة فالمؤلف يقول:إن كلامهم لو كان صحيحًا لما أستأثر بعلمه الإمامية دون سواهم إذ لا سبب يسوغ ذلك.

جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢]، وقوله تعالى:﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائـدة:٣٨]، ونحو ذلك من آيات الحدود، ووجه الاستدلال بهذه الآيات أن الله تعالى أمرنا بإقامة الحدود على الإطلاق من دون أن يُعَلِّق ذلك بشرط، والأمر يقتضي الوجوب فكان ذلك واجبًا، وذلك لا يتم إلا بوجوب الإمام فيجب أن تكون الإمامة واجبة.

وتحقيق هذه الدلالة أنها مبنية على خمسة أصول قد فصلناها وأوضحناها في كتاب النظام، والغرض هاهنا هو الاختصار.

فإن قيل:فهل[1] تعتبرون في الإمامة شروطًا مخصوصة أو لا ؟ فإن كنتم تعتبرون شيئًا من ذلك فَبَيِّنوه، قلنا:إن للإمامة شروطًا:منها أن يكون الْمُدَّعي لها حرًا، وأن يكون فاطميًا يعتزي بنسبته من قبل أبيه إلى الحسن أو الحسين (ع)، وأن يكون بالغًا. عاقلاً. قويًّا على تدبير الأمر بحيث لا آفة به تمنعه ولا نقص في عقله يوهنه عن النظر في أمور الدين. وأن يكون مؤمنًا شديدَ الغضب لله على المجرمين كثير التَّحَنُّنِ بالمؤمنين. وأن يكون وَرِعًا في الظاهر، وتفسيره:أن يكون كافًّا عن المحرمات، قائمًا بالواجبات، فيكون عدلاً ظاهر العدالة في ظاهر الحال دون باطنه، وأن يكون شجاعًا بحيث لا يَجْبُنُ عن لقاء أعدآء الله تعالى، ويجب أن يكون له من المواطن المشهورة ما يُعْلَمُ به شجاعتُه، ويُستَدَلُّ به على رباطة جأشه، وثبات قلبه حتى يُعَدَّ شجاعًا وإن لم يكثر قَتْلُه وقتاله. وأن يكون سَخِيًّا بحيث لا يكون معه بخل يمنعه عن وضع الحقوق في مواضعها ودفعها إلى مستحقيها.

---

(١) في (ب) ، (ج): هل.

وأن يكون عالِمًا بتوحيد الله تعالى وعدله وما يتفرع عليهما، وبجميع أصـــول الشرائع، فَهِمًا بأوامر القرآن، والــسنة، ونواهيهمـــا، وعامِّهمـــا، وخاصِّـــهما، وَمُجْمَلِهَما، وَمُبَيِّنِهِمَا، وناسخِهما، ومنسوخِهما، عارفًا بما اشتمل عليه كتابُ الله تعالى من اللغة، وبجملة من النحو إن لم يكن عربي اللسان بصيرًا بمواضع الإجمـــاع، وَطَرَفٍ من الخلاف، عارفًا بجملةٍ من الأخبار، وبما يوجب العِلْمَ منها والعَمَلَ، وبما يوجب العَمَلَ منها دونَ العِلْمِ ، وأن يكون عالِمًا بجملة من وجوه الاجتـــهاديات والمقاييس؛ ليمكنَه رد الفرع إلى أصله، وما لابُدَّ منه في هذا الفن من العلم بأحكام أفعال النبي (ع) وتقريراتِه، وأفعال العتـــرة (ع) ، وتقريـــراتهم، وأفعـــال الأمـــة وتقريراتهم.

وأن يكون فاضلاً بحيث يكون أشهر أهل زمانه بالزيادة على غيره في خـــصال الإمامة. وأن يكون له من جَوْدَةِ الرأي وحُسْنِ التمييز ما يقتضي أن يُفْزَعَ إليـــه في المشورة عند التباس الأمور، ولا يجب أن يكون أسدَّ[1] الأمة رأيًا، ولا أن يكـــون أعلمَهم ولا أسخاهم ولا أشجعَهم؛ لأن ذلك مِمَّا يتعذر العلم به فيكون القـــول بوجوب اعتباره ساقطًا.

والذي يدل على اشتراط هذه الشروط أن الـــصحابة (رض) أجمعـــت عَلَـــى وجوب اعتبارها في الإمام، عَلَى ما ذكرناه في كتاب النظام وبيناه، لا يخرج عـــن إجماعهم إلا اعتبارُ كونه فاطميًا فلم يُجْمِعُوا عليه، وقد دللنا على وجوب اعتبـــار

---

(١) في (الأصل): أشَدَّ، وهو خلاف الأظهر.

كونه فاطميًا فيما تقدم ، فلا فائدة في إعادته وبذلك ثبت الكلام في الفصل الأول ، وهو في ثبوت الإمامة في أهل البيت (ع) دون غيرهم ما بقي التكليف[1] .

وأما المطلب الثالث

وهو ما تحتج به الْمُجْبِرَةُ القَدَرِيَّةُ على إمامة أبي بكر وعمر

فاحتجوا على ذلك بوجوه، واعتَقَدوا كونها أدلة. وهي على الحقيقة شُـــبْهَةٌ واهيةٌ. ونحن نوردها شبهةً شبهةً، ونجيب عن كل واحدة منها بِمَـــنِّ الله تعـــالى وعونه.

الشبهة الاولى:أن يقال:إن أبا بكر سماه رسول الله ﷺ صِدِّيقا، والـــصدِّيقُ يجب أن يكون إمامًا. **والجواب**:عن ذلك أن لفظـــة الـــصِّدِّيقُ لا تفيـــد الإمامـــة لابلفظها، ولا بمعناها، ولا بصريحها، ولا بمفهومها، ولا بفحواها. ولا تَكْشِفُ عن شيء من ذلك لا في اللغة، ولا في العرف ، ولا في الشرع ، وبذلك يَبْطُلُ قـــولهم. **وبعدُ** فإن الله تعالى قد أشرك جميع المؤمنين في هذا الاسم بقوله تعـــالى:﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديـــد:١٩]؛ فلو كان اسم الصديق يفيد الإمامة للزم في كل مَنْ آمَنَ بالله ورسله[2] أن يكون إمامًا، وفي ذلك من الـــوَهَى والفساد ما لا خفاء به؛ فإنه كان يجب أن يكون مُؤْتَمًّا في حال كونه إمامًا، وذلك

---

(١) قاعدة الحكم عند المسلمين لم تقم أساسًا، فالبعض يجيزها للغاصب والظالم ويوجب طاعته وبعـــضهم يجيزها بالوصية والوراثة وبعضهم يحصرها في قريش، والإمامية قصرتها على إثني عشر من أهل البيت مـــن نسل الحسين، وبعضهم يجيزها في العرب والعجم، والزيدية تحصرها في أولاد فاطمة بـــشروط معروفـــة، وياليت الشروط اكتملت في الحكام وكانوا من مسلمي الجن .

(٢) في (ب):ورسوله .

خَطَلٌ من القول.

وبعدُ فإنا رُوينا عن رسول الله ﷺ أنه قال -حاكيا عن ربه عزوجل-:((يَا مُحَمَّدُ إني انْتَجَبْتُكَ لِرِسَالَتِي، واصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي، وأنْتَ نَبِيِّي وَخِيرتي مِنْ خَلْقِي. ثُمَّ الصِّدِّيقُ الأكْبَرُ، الطَّاهِرُ الْمُطَهَّرُ، الَّذِي خَلَقْتُه مِنْ طِيْنَتِكَ، وَجَعَلْتُهُ وَزِيرَكَ، وَأَبَا سِبْطَيْكَ، السَّيِّدَيْنِ الشَّهِيدَيْنِ الطَّاهِرِينِ الْمُطَهَّرَين، سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجنَّة. وَزَوْجَتَهُ خَيْرَ نِسَآءِ العَالَمِينَ. أنتَ شجرةٌ، وعَليٌّ أغصانُها، وفاطمةُ ورَقُهَا[1]، والحسنُ والحسينُ ثِمَارُها، خلقتُهما من طينةِ عِلِّيِّيْنَ، وخلقتُ شيعتَكُم منكم، إنهم لو ضُرِبُوا عَلى أعْنَاقِهِم بالسُّيوفِ لم يَزْدَادُوا لَكُمْ إلاَّ حُبًّا)) ثم قال ﷺ:قلت:((يَا رَبِّ! وَمَنِ الصِّدِّيقُ الأكْبرُ؟)) قال:((أخُوك عَليُّ بنُ أبي طالب)).

ورُوينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ما معناه:بَشَّرَني رسول الله ﷺ بذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال. وهذا الخبر من عيون الأخبار، وَغُرَرِ الآثار؛ لأنه مؤرخ قبل الهجرة بثلاثة أحوال[2]، فهو قبل نكاح علي بفاطمةَ (ع)؛ لأنه تزوج بها بعد[3] الهجرة بسنة كاملة على ما ذكره صاحب كتاب المصابيح فهو من أخبار الغيوب

---

(١) في (ب):ورقتها .

(٢) أخرجه الإمام زيد بن علي من مجموعه ص٤٠٥، قال السيد مجد الدين في لوامع الأنوار ١/١٤٣ بعد تمام هذا الخبر، وعلى فصوله شواهد لا تحصى ونظائر لا تستقصى .

(٣) في (ب):تزوجها قبل. وهو وَهمٌ؛ فإنه صلى الله عليه وآله زوَّجها من علي بعد أحد وبنى بها بعد تزوجه بسبعة أشهر ونصف، وقيل بعد زواج عائشة بأربعة أشهر. والبناء بعائشة تم بعد غزوة بدر في شوال سنة٢هـ. وقيل:في شوال على رأس ١٨ شهرًا من هجرته وعمرها تسع سنوات. ينظر تهذيب الكمال ٣٥/٢٢٧ رقم٧٨٨٥. وفي تاريخ الطبري ٢/٣٩٨ قيل بعد ٨ أشهر من هجرته في ذي القعدة، وبعضهم في شوال لسبعة أشهر من الهجرة. وأما الزواج بعائشة فقد وقع في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين. المنتظم ٣/٦٩.

المستقبلة ، فكان الأمر فيه على ما أخبر رسول الله[1] ﷺ؛ فإذا ثبت ذلك لم يُشارك أحد من الصديقين -وهم جميع مَنْ آمن بالله ورسله- عَلِيًّا عليه السلام في مقتضى الخبر هذا. فيكون له خاصَّةً دونهم، وقد شاركهم أيضًا في مقتضى الآية الأولى التي شهدَتْ لكل مِنْ آمَنَ بالله ورسله بكونه صِدِّيقًا، فإنه لا خلافَ في أن عليًّا عليه السلام لم يعبد شيئا من دون الله تعالى بخلاف أبي بكر وعمر فإنهما عَبَدَا الأصنام من دون الله سبحانه، ثم أسلما بعد ذلك؛ فاختص أمير المؤمنين عليه السلام بذلك. واختص بأنه الصِّدِّيقُ الاكبرُ؛ لمقتضى الخبر الذي ذكرناه ، ولِمَا رواه الباقر محمد بن علي السجاد عن آبائه (ع) أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه:((خُذُوا بحُجْزَةِ هذا الأنزع -يعني عليًّا عليه السلام- فإنَّهُ الصِّدِّيقُ الأكْبرُ والهادي لِمَن اتَّبَعَهُ، وَمَنِ اعْتَصَمَ به أَخَذَ بِحَبْلِ الله، وَمَنْ تَرَكَهُ مَرَقَ مِنْ دِينِ الله تَعَالى، وَمَنْ تَخَلَّفَ عنه مَحَقَهُ اللهُ، وَمَنْ تَرَكَ وِلاَيَتَهُ أَضَلَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَخَذَ بِوِلاَيَتِهِ هَدَاهُ اللهُ))[2].

ثم اخْتُصَّ علي[3] عليه السلام بالعصمة كما تقدم تحقيقه[4]؛ فلم يعص الله عزوجل بمعصية كبيرة. فكم بَيْنِ صِدِّيقٍ قد سَمَّاه الصادقُ المصدوق[5] ﷺ بأنه الصديق

---

(١) في (ب)، (ج):أخبر صلى الله .إلخ. أسد الغابة ٢١٦/٧ رقم٧١٨٣. وتهذيب الكمال ٢٤٧/٣٥ رقم٧٨٩٩. وفي سيرة ابن كثير في صفر سنة٢هـ ج٥ص٣٣٠.

(٢) قال في لوامع الأنوار ٤٩٢/٢:قال في تفريج الكروب:على فصوله شواهد. أقول:إن شواهده مثل قوله ﷺ:علي مع الحق. وحبه إيمان. وتركت فيكم. واللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. وأهل بيتي كسفينة نوح. المحقق.

(٣) في (ب):عليًّا .

(٤) في (ب):بحقيقته .

(٥) في (ب):المصدق .

الأكبر، وهو مع ذلك معصوم عن الفحشاء والمنكر-وبينَ أبي بكر الذي قد كَفَر بالله تعالى وَعَبَدَ الأصنام، ثم رجع ودخل في الإسلام بلا خلاف في ذلك بين المسلمين، وقد قال الله سبحانه:﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية:٢١].

شبهة أخرى في إمامة عمر خاصة:

وهي أن يقال:إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سَمَّى عُمَرَ بن الخطاب الفاروقَ، ومعناه هو:الذي يَفْرُقُ بين الحق والباطل، وذلك يُفيد معنى الإمامة؛ فإن الحاجة إلى الإمام لتعريف الأحكام وإنفاذِها على الأنام، والتمييز بَيْنَ الحلال والحرام، وذلك هو عُمَرُ الفاروق.

والجواب:عن ذلك أنَّ ذلك لا يُفِيدُ معنى الإمامة فإنَّ عبدالله بن العباس رضي الله عنه كان يَفْرُقُ بين الحق والباطل، وكذلك عبدالله بن مسعود رحمه الله وغيرهما من علماء الصحابة و لم يقل أحد بأهم أئمة لأجل ذلك.

وبعدُ فإنه لا خلافَ بين علماءِ المسلمين المخالِفينَ في إمامة علي عليه السلام والموافقين في أنَّ عليًّا عليه السلام كان أعلمَ من عمر؛ فيجب كونُه أولى بالإمامه منه. ولا شُبْهَةَ في أنَّ الصحابةَ مِنْ عُمَرَ فَمَنْ دونه كانوا يَرجِعُون إلى علي عليه السلام في العِلْمِ ولا يَرجِعُ إليهم، وكان عمرُ يُخطِئُ في المسائل فيردُّه علي عليه السلام، نحو ما روي أنَّ امرأة زَنَتْ فحملتْ عن الزنا فأمر عمر بن الخطاب برجمها وهي حُبْلى فقال له علي عليه السلام:هذا سلطانك عليها فما سلطانُك على ما في بطنها؟ فترك عمر رَجْمَها،

وقال:**لَولا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ**[1]. وغير ذلك مما حكم به عمر وهو غير صواب فيرده علي عليه السلام، حتى قال:لا أبقاني الله لِمُعْضِلَةٍ ليس فيها ابنُ أبي طالب[2]. وقال في بعضها:لا أراني الله معضلة في الدين لا يكون عليٌّ بجنبي. وكلٌّ ذلك اعترافٌ مِنْ عمر بكون أمير المؤمنين عليه السلام أعلمَ منه.

وقد ذكر العلماء (رض) رجوع عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثٍ وعشرين حكومة.

وذكرهُ أيضًا أبو القاسم الْبُستي[3] رحمه الله. وكيف يُقاس عُمر بعلي عليه السلام، وَلِعُمَر في الْجَدِّ والْجَدَّةِ سبعون قضية[4]، ثم يقول:يا ليتني سألت رسول الله عن حكم الجدة. وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام بأنهُ أعلم الصحابة؛ فقال [صلى الله عليه وآله وسلم]:((عليٌّ أعلمُكُمْ عِلمًا وَأَقْدَمُكُمْ سِلْمًا)).

---

(١) ينظر الأحكام للهادي ٢/٢٢٠. والمجموع للإمام زيد٣٣٥. وفرائد السمطين١/٣٥١. والمحب في الرياض النضرة ٢/١٩٤، وقد ذكر الأميني في الغدير ٦/٨٣ أمثلة كثيرة حول الموضوع .

(٢) فرائد السمطين ١١/٣٤٨. والفخر الرازي في تفسير سورة التين مج٦١ ج٢٣ ص١١ . وذخائر العقبى ص٨٢، وقال أخرجه أحمد وأبو عمر. وابن عساكر ٣/٥٠ وذكر في هامشه ما يدل على تواتره.

(٣) هو إسماعيل بن علي بن أحمد البستي. أحد أساطين الشيعة ، حافظ المذهب وشيخ الزيدية في العراق، من أصحاب المؤيد بالله ، أخذ على القاضي عبدالجبار متكلم. ناظر أبا بكر الباقلاني فقطعه، وكان القاضي يعظمه توفي في حدود العشرين. وله الموجز وكتاب التحقيق في التكفير والتفسيق مجلد، والمراتب في مناقب أهل البيت، والباهر على مذهب الناصر. ينظر مطلع البدور (خ) . وتراجم الرجال ص٧.

(٤) أخرجه البيهقي ٦/٢٤٥ عن عبيده قال:إني لأحفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضًا، وقال الزمخشري:وكان عمر يفتي كثيرًا بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه، وقضى في الجد مع الأخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال:من أراد أن يقتحم جهنم فليقل في الجد برأيه.

وقال ﷺ:((أَقْضَاكُمْ عليٌّ))[1]؛ ولا يكون المرء قاضيًا إلا وهو من أهل الاجتهاد. وقال ﷺ في علي عليه السلام:((هُوَ عَيْبَةُ[2] عِلْمِي، ولو أنَّ رجلا عَبَدَ اللهَ ألفَ سنةٍ حتى صار كالْحنايا، وصام حتى صار كالوَتَر، وَعَبَدَ اللهَ بين الرُّكنِ والْمَقَامِ، ثم لقي اللهَ وفي قلبه بُغْضُ عليٍّ لَكَبَّهُ الله على وجهه)).

قال أبو القاسم البستي:قال قاضي القضاة رحمة الله عليهما جميعا:وهذا الخبر كما يدل على فضله عليه السلام فإنه يدل على أن الكبآئر تُحْبِطُ الأعمالَ، وعلى أنَّ بغضَ أمير المؤمنين كبيرةٌ. وَلَمَّا أخرجه إلى اليمن قال:يا رسولَ الله تُخرِجُني[3] إلى قوم هم أسَنُّ مني فكيف أقضي بينهم؟ قال:فضربَ رسول الله ﷺ يَدَه على صدره وقال:((اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَسَدِّدْهُ وَلَقِّنْهُ فَصْلَ الْحُكْمِ[4]))، قال علي عليه السلام:فما شَكَكْتُ في قضاءٍ بين اثنين بعد ذلك اليوم.[5] وقد بَيَّنَّا قوله صلى الله عليه وآله:((عَلَيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ))[6] مع ما أضفناه[1] إليه من الأخبار المطابقة

---

(١) في البخاري في كتاب التفسير في قوله تعالى:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾.. ٤/ ١٦٢٨ برقم ٤٢١١ عن عمر قال:أقرؤُنا أُبيٌّ، وأقضانا عليٌّ.. والمستدرك ٣ / ٣٠٥.

(٢) وعاءٌ من جلْدٍ يوضع فيه الثياب . ومن الرجل موضع سِرِّهِ .القاموس ص١٥٢ .

(٣) في (ب):أتخرجني .

(٤) في (ب):فصل الخطاب .

(٥) وهو حديث صحيح لكثرة طرقه . أخرجه ابن ماجة ٢ / ٧٧٤ برقم ٢٣١٠ . والحاكم في مستدركه ٣ / ١٣٥ ، وقال:صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وأحمد بن حنبل ١ / ١٨٢ رقم ٦٣٦. والنسائي في الخصائص ٥٠-٥٤ برقم ٣١-٣٦ . وأبو داوود ٤ / ١١ برقم ٣٥٨٢ . والبيهقي في سننه من طرق كثيرة ١٠/ ٨٦ .

(٦) أمالي أبي طالب ص٥٥ . ومجمع الزوائد ٧/٢٣٥ . وتأريخ البغدادي ج٤١ ص٣٢١، وزاد:((ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)) عن أم سلمة . والبزار ٢ / ١٧٣ برقم ١٦٣٨ عن سعد بن

له في معناه. وهو عليه السلام الذي خَطَب على المنبر بحضرة المهاجرين والأنصار ثم أشار إلى بطنه كُنَيْفٌ[2] مُلِئَ عِلْمًا لو وجدتُ له طَالِبًا، فوالله لو كُسِرَتْ أو قال:ثُنِيَتْ لي وِسَادٌ[3] لَحكمتُ لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الأنجيل بأنجيلهم، ولأهل القرآن بقرآنهم حتى يُنَادِيَ كُلُّ كتابٍ بأن هذا حُكْمُ الله فِيَّ، ووالله ما نزلتْ آيةٌ في لَيلٍ ولا نهارٍ ولا سَهْلٍ ولا جَبَلٍ ولا سَفَرٍ ولا حَضَرٍ إلا عَرَفتُ متى نَزَلَتْ، وَفِيْمَنْ نَزَلَتْ، وعرفتُ ناسِخَها، ومنسوخَها، وَمُحْكَمَهَا، ومتشابِهَهَا، وَمُفَصَّلَها، وَمُجْمَلَها[4]. **فأين** هذا من أبي بكر الذي قال في نفسه على المنبر:أقيلوني فإني وُلِّيتُكُم ولَستُ بِخيرِكُم[5].

وقال أيضًا:أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا قلتُ في القرآن برأيي؟[6]

ومعلومٌ أن المجتهد عند تعارض الآياتِ والسُّنَنِ ودلالةِ الشرع يجبُ أن يكونَ له في القرآن رأي.

ومن الظاهر الجلي عند الْحَشْوية أنهم يَدَّعُون أنَّ أبا بكر كان أعلمَ من عُمَرَ، ويَرْوُوْنَ إنكارَ عمر لموتِ النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما قالوه؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا

أبي وقاص.

(١) في (ب):أضفنا.

(٢) وعاء. القاموس ١٠٩٩. وفي بعض النسخ كيف.

(٣) في (ب):وسادة.

(٤) القرطبي ٢٧/١.

(٥) سيرة ابن هشام ج٤ص٣١٨.

(٦) ينظر الطبراني مج١ ج١ ص٥٥.

مات قام عمر بن الخطاب فقال:إنَّ رجالا من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله ﷺ مات، وإن رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه. والله[1] ليرجعَنَّ رسول الله ﷺ فَلَيقطعنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم يزعمون أن رسول الله ﷺ مات. وأقبل أبو بكر فنظر إلى وجه رسول الله ﷺ ثم أكبَّ عليه وقبَّلَه ثم قال:بأبي أنت وأمي أَمَّا الموتَةُ التي كتبها الله عليك فقد ذُقْتَهَا، ثُم رَدَّ الثوبَ على وجهه ﷺ ثم خرجَ- وعمر يكلم الناس-فقال:على رِسْلِك ياعمرُ فأَنْصِتْ؛ فأبى إلاَّ يَتَكَلَّمُ فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِتُ أقبل على الناس فَلَمَّا سمع الناسُ كلامه، أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:أيها[2] الناس إنه مَنْ كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلى قول الله تعالى:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفإِنْ مّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ﴾.. [آل عمران:١٤٤] إلى آخر الآية.

قال الراوي:فوالله لَكَأَنَّ الناس لَمْ يعلموا أنَّ هذه الآيةَ نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يَومَئذٍ، وأخذها الناس عن أبي بكر وإنما هي في أفواههم. قال عمر:فوالله ما هو إلاأن سمعتُ أبا بكر يتلوها فعثرتُ حتى وقعتُ الأرض ما تحلمني رِجْلاَي، وعرفتُ أن رسول الله ﷺ قد مات.

روى ذلك الطبري في تاريخه[3]، وهو كالمائل عن أهل البيت (ع). فكيف

---

(١) في (ب) ، (ج):ووالله .

(٢) في (ب) ، (ج):يا أيها .

(٣) في (ب) ، (ج):روى جميع ذلك الطبري في تاريخه. ٢٠١/٣.

يُقَاسُ عِلْمُ عمر بِعِلْمِ أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إن وَلَّيتُمْ عَلِيًّا تَجدُوهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا))[1]؛ فكونه هاديا مَنْقَبَةٌ في العلم ليست إلاَّ لـه، وكونه مَهْدِيًّا مُعَلِّمًا مُعَرِّفًا لِلْحَقِ مَنْقَبَةٌ أخرى. وفي أمير المؤمنين عليه السلام قال الفقيه محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة:لَولا عَلِيٌّ لَمَا عرفنا حُكْمَ أهل البغي[2].

قال أبو القاسم البستي رحمه الله:ولمحمد بن الحسن[3] كتاب يشتمل على ثلاثة آلاف مسئلة في قتال أهل البغي بناها على فِعْل أمير المؤمنين عليه السلام .

ثم مما يدل على أنه أعلمُ-إجماعُ العترة (ع)؛ فإنهم أجمعوا على أنَّ عليًّا عليه السلام أعلمُ الأمة، وإجماعهم حُجَّةٌ كما تقدم بيانه.

وقصةُ الجاثليق ظاهرة في قدومه على عمر وسؤالِه عَمَّا عجز عن جوابه؛ فلما

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٣٢/١ رقم٨٥٩. والإصابة ٣٥٠٣/٢. والاستيعاب ٢١٢/٣. وأمالي المرشد بالله ١٤٣/١.

(٢) قال السيد محمد بن إبراهيم الوزير في ((إيثار الحق على الخلق ص٤٥٨)):وكذلك أجمعت الأمة على الاحتجاج بسيرة علي (ع) في قتالهم (البغاة).

(٣) هو محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان ولد سنة١٣١هـ . ومات سنة ١٨٩هـ إمام بالفقه والأصول. قال الشافعي:لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغته لقلت؛ لفصاحته. وكان يقول أنا على مذهب زيد إن آمنت على نفسي وإن لم فأنا على مذهب أبي حنيفة. تولى القضاء بالرقة ثم عزل. ولـه الموقف الذي قام لله عز وجل بين يدي هارون الرشيد لما أراد الغدر بالإمام يحيى بن عبدالله (ع)، وأراه كتاب الأمان الذي كان أنفذه إلى الديلم فرأوا الكتاب وعرفوا صحته و لم يتجاسر أحد بالكلام، فقال محمد بن الحسن:هذا أمان لا يجوز نقضه، ومن نقضه فعليه لعنة الله. فغضب هارون وضربه بالدواة فشجه شجة خفيفة. ولمحمد بن الحسن أصحاب، ومن أصحابه وكتبه انتشر علم أبي حنيفة ومنهم زفر. توفي سنة١٩٢هـ. وله كتب كثيرة في الفقة والأصول منها الجامع الصغير، والكبير، والزيادات، والآثار، والسير، والموطأ، والأمالي، والمخارج في الحيل، والأصل، والحجة على أهل المدينة، وكلا من هذه قد طبع. والزيادات، والمبسوط. **ينظر**:الشافي ١٤٩/١. والأعلام ٨٠/٦. والفلك الدوار ص٥٥. وتراجم رجال شرح الأزهار ص٣٣ ، وتاريخ بغداد ١٧٢/٢.

لم يعرف الجواب تقدم به عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمر الجاثليق بسؤاله، فسأله الجاثليق عن جميع مسائله؛ فأجابه بأحسن جوابَ، فلما فرغ قال الجاثليق:إنما أنتَ خليفةُ رسول الله لا عمر. فأسلم وحَسُنَ إسلامه.

وروى أن عمر بن الخطاب حَكَمَ بِحُكْمٍ فغلط فيه فرده معاذ بن جبل فرجع، وقال:لولا معاذ لهلك عمر[1]. وَرُوِيَ أنه حكم بحكم آخر فغلط فيه أيضًا فَرَدَّتْ عليه امرأةٌ من نسآء المسلمين حُكْمَهُ فرجع عن خطئه حتى قال للناس:كُلُّكُم أَفْقَهُ من عمر، حتى الْمُخَدَّرَاتِ في البيوت[2]. أين عُمَرُ ممن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((أَنَا مَدِيْنَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِيْنَةَ فَلْيَأْتِ البَابَ))؛ فحظر على كل سائل في أمر دينه أن يسأل غيره.

وقال الله سبحانه:﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [البقرة:١٨٩]؛ فكان سؤال غير علي عليه السلام مخالفة لله تعالى ولرسوله.

وروينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]؛ جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا، والقصة معروفة. ونحن نقصِدُ الغرض منها وهو أنه دعاهم فقال:((إنَّ اللهَ تعالى أمرني أَنْ أُنْذِرْ

---

(١) سنن البيهقي ٧/ ٤٣٣ .

(٢) أخرجه الزمخشري في الكشاف ١/ ٤٩١ بلفظ:أنه قام خطيبًا فقال:أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء ... فقامت إليه امرأة فقالت له:يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقنا جعله الله لنا والله يقول:﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً ﴾ فقال:كل أحد أعلم من عمر، ثم قال لأصحابه:تسمعوني أقول مثل هذا القول قد تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم الناس. والقرطبي ٥/٦٦. والخازن ٢/٣٨ فيهما أيضا:أصابت امرأة وأخطأ عمر. ذكر الرازي في الأربعين ص٤٦٧ كما في الغدير ٦/٩٨. وفي غيره:حتى ربات الحجال.

عشيرتك الأقربين، وأنتم عشيرتي الأقربون، وإن الله تعالى لم يبعث نبيا إلا جعل له من أهله أخا ووزيرا ووصيا ووارثا، فَأَيُّكُم يقوم فَيُبَايِعَنِي على أَنَّهُ أخِي، ووزيري، ووارثي دون أهلي، ووصيي، وخليفتي في أهلي، وهو مِنِّي بمترلة هارون من موسى غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي))؛ فسكتَ القوم فقال:لَيَقُومَنَّ قائِمُكم أو ليكونَنَّ في غيركم؛ فقام علي عليه السلام وهم ينظرون إليه كلُّهم فبايعه وأجابه إلى ما دعاه إليه، فقــال:ادنُ مِنِّي وَافْتَحْ فاكَ، فدنا منه وفتح فاه فمَجَّ فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وبين يديــه. فقال أبو لهب:بئس ما حبوتَ به ابنَ عمك أجابك فملأتَ فاه ووجهَهُ بُزَاقًــا[(١)] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:بل مَلأتُه حِلْمًا [وَعِلمًا] [(٢)] وحكمًا وَفَهْمًا[(٣)] .

وروينا أنه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة (رض):((زَوَّجْتُكَ أعظَمَهم حِلْمًــا، وأقدمهم سِلْمًا، وأكثَرهم علمًا))[(٤)] . **وروينا** عن أبي ذر رحمه الله الذي قــال فيــه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((مَا أَقَلَّتِ الغَبْرَآءُ ولا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ على ذي لهجةٍ أصدَقَ من

---

(١) في (ب):بزقا .

(٢) ما بين القوسين محذوفة من (ب):، و (ج) .

(٣) شواهد التتريل ١ / ٤٢٠ رقم ٥٨٠ . والطبري في تفسيره مج١١ ج١٩ ص١٤٩ . والنسائي بما يوافــق ذلك في الخصائص ص٧٦ رقم ٦٣ . وابن عساكر في ترجمته ١ / ٩٧، ٩٨ وأحمد بــن حنبــل ٢٣٦/١ برقم٨٨٣. والبداية النهاية ج٣ص٥٣. والسيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٨١ . دلائل النبــوة للبيهقــي ٢ / ١٧٨ . وقد ورد لنا في كتب التأريخ وغيرها بهذا اللفظ: ((فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، ويكون أخــي ووصيي وخليفتي فيكم))، فأحجم القوم عنها جميعًا، وأنا أحدثهم سنًا فقلت:يا رسول الله أكون وزيــرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال:((هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا)) إلى نهاية القصة. الطبري ج٢ص٣٢١. وجامع البيان للطبري مج١١ج١٩ص١٤٩. وتفسير الخازن ٥٠٧/٦. والشافي ٥٦/١.

(٤) أخرجه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ١ / ١٩٥. وابن أبي شيبة ٦ / ٣٧٤ برقم ٣٢١٣١ . وأحمد بن حنبل ٧ / ٢٨٨ رقم ٢٠٣٢٩ . وكتر العمال ١١ / ٦٠٥ رقم ٣٢٩٢٤-٣٢٩٢٧ . ومجمع الزوائد ٩ / ص١١٤ .

أبي ذر))[1] - أنه قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام:((أنتَ الصِّدِّيقُ الأكْبرُ، وأنتَ الفاروقُ الذي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطلِ، وأنت يَعْسُوبُ المؤمنينَ، والمالُ يعسوبُ الكافرين))[2].

وفي خبر آخر عنه ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام:اليعسوبُ أميرُ النَّحْلِ، وأنتَ أميرُ المؤمنين؛ فهذا كله تصريح بتصحيح ما قلناه:من أنه عليه السلام هو الفاروق تسميةً ومعنىً لا عمرُ بنُ الخطاب.

شبهة ثالثة:في إمامة أبي بكر

رُبَّمَا يحتجون بقول الله تعالى:﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وهذا يفيد الإمامةَ؛ لأنه إشارة إليها.

والجواب:عن ذلك أنَّا نقول:لا علاقة بذلك في باب الإمامة على نحو ما تقدم بيانه في لفظة الصِّدِّيق؛ فإن تعلَّقُوا بذلك في فضله فصَّلنا القَوْل فيه بعون الله، **فقلنا**:أمَّا قوله:﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ فما من اثنين إلا ويجوز أن يضاف أحدهما إلى الآخر. تصديقه، قوله تعالى:﴿مَا يَكُونُ مِن نّجْوَىَ ثَلاَثَةٍ إِلاّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]؛ فإنه يدخل فيه المسلم والكافر والبَرُّ[3] والفاجر؛ فلم يدل ذلك على الفضل، مع كون الله تعالى رابعَ الثلاثَةِ، وسادسَ

---

(١) الترمذي ٥ / ٦٢٨ برقم ٣٨٠١ ، ورقم ٣٨٠٢ . وابن ماجة ١ / ٥٥ برقم ١٥٦ . وأحمد بن حنبل ٢ / ٥٦٠ رقم ٦٥٢٩ .

(٢) رواه المرشد بالله في أماليه ١ / ١٤٤ . وفرائد السمطين ١ / ١٣٩ . وتاريخ دمشق ١ / ٨٧ . والحاكم في المستدرك ٣ / ١٣٧ . والخطيب في تاريخه ١١ / ١١٢ . ومجمع الزوائد ٩ /١٠٢ .

(٣) في (ب):البار .

الخمسة، إلى غير ذلك؛ لقوله:﴿وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾؛ فكذلك لا يدل كونُ النبي ﷺ ثانيا لأبي بكر -على فضل أبي بكر.

وأما قوله تعالى:﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾؛ فإن لَفْظَ[(١)] الصاحب لا يدل على الفضل أصلا؛ بل يدخل فيه المؤمن والكافر. تصديقُه قول الله سبحانه:﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف:٣٧]؛ فأطلق عليه سبحانه لفظ[(٢)] الصاحب وهو كافر بالله تعالى و لم يدل ذلك على فضله، بل لم يدل على كونه مسلما. وقد كان من جملة الصحابة عبدُالله بنُ أبي وهو منافق و لم يدل ذلك على فضله.

وأما قوله:﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ فما نهاه رسول الله ﷺ إلاَّ عن مكروه، إلا أن يقول المخالفون:إن أبا بكر نهى رسول الله عن الحزن فغيرُ مُسَلَّمٍ وغيرُ صحيحٍ بإجماع علمآء التفسير، ثم لو سَلَّمْنا ذلك تسليم جَدَلٍ لَمَا كان لأبي بكر أن يقول مثلَ ذلك لرسول الله ﷺ.

وبعدُ فإن الله اختص نبيه ﷺ بالرحمة والتأييد دون أبي بكر كما في سياق الآية. قال الله تعالى:﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠]، يريد بذلك محمدًا ﷺ بلا خلاف، فَهَلاَّ أَشْرَكَ أبابكر في السكينة كما أشركَ أمير المؤمنين عليه السلام وَمَنْ وقَفَ معه يومَ حُنَينٍ في السكينة، في قوله تعالى:﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ

---

(١) في (ب):لفظة .

(٢) في (ب):لفظة .

سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة:٢٦]؛ فَدَلَّتْ هذه الآيةُ على نقيضِ ما ادَّعُوْهُ من الفضل لأبي بكر.

شبهة رابعة في إمامة أبي بكر خاصة:

احتجوا بأن رسول الله ﷺ أمره أنْ يُصليَ بالناس فَكان ذلك تنبيهًا على إمامته. **والجواب:** عن ذلك أنَّ روايتهم في ذلك مأخوذة عن عائشةَ؛ لأنها قالت لبلالٍ: امُرْ[1] أبَا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس حكايةً عن رسول الله ﷺ. **فانظر** أيها المسترشد كيف انتهتْ دلالتهم إلى امرأةٍ، وهي بنصف شاهد، ثم لو صح ذلك ففي تمام الخبر ما يَهْدِمُ ما ادَّعَوْهُ من الفضل؛ فإنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام وأمره بالخروج ليصلي بهم فَتَمَسَّحَ وَتَوَضَّأَ، وخرج يتهادى بين عليٍّ والفضل بن العباس وقدماه تَخُطَّانِ في الأرض حتى دخل المسجد[2].

وَرُوِيَ أنه لَمَّا سمع قرآءة أبي بكر، وعرف أنَّ ذلك من عائشة أنكر عليها، وقال: ((إِنَّكُنَّ صُوَيْحِبَاتِ يوسف)). ثم لَمَّا وصل المسجد نَحَّى أبا بكر عن القبلة وصلى رسول الله ﷺ بالناس وأزاح أبا بكر عن المحراب. **فلو** سلمنا أنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَ عائشة بتقديمه في الصلاة؛ فقد رَوَيْنَا وروى المخالفون لنا أنَّ رسول الله ﷺ أَخَّرَ أبا بكر عن المحراب؛ فيجب أن يكون ذلك نَقْصًا لأبي بكر وليس بفضل، ولئن كان التقديم تولية؛ فالتأخير له أعظم عزل. **فأما** ما ادَّعاه بعضهم من

---

(١) في (ب): مُرْ.

(٢) ما يقارب ذلك في طبقات ابن سعد ٢/٢١٨. والبخاري من رقم ٦٣٣ إلى ٦٥١.

أنَّ رسول الله ﷺ كان متقدما على أبي بكر، وأبو بكر صَفٌّ وحده متقـــدم[1] على الناس، فلو صح فهو غيرُ دليل على الإمامة إنَّمَا مِثْله مِثْـــلُ الـــصف الأول في الصلاة، وحكمه حكمهم، وهذا مما لا يختص به أبو بكر دون ســـآئر صـــفوف المؤمنين المتقدمة في الصلاة.

وأمَّا قولهم: إنه كان يرفع صوتَه بالتكبير في الصلاة ليسمعَ الناس فليس بـــدليل على الفضل أيضًا؛ لأن رسول الله ﷺ في حال ضعفه وعلته أقوى من قَـــوِيِّهِم في حال شدته وصحته، وإذا كان كذلك فلا حاجةَ إلى رفع أبي بكر صوتَه بالتكبير.

وَبَعْدُ فقد نهى اللهُ عن رفع الأصواتِ فوقَ صوت النبي ﷺ فقد أتى أبو بكر بالمنهيِّ عنه وذلك نَقْصٌ فيه وليس بفضل. وتصديقُ ذلك ما رواه الإمام الناصـــر عليه السلام في كتاب البساط؛ فإنه روى أنَّ أبا بكر وعمر لما استشارهما رسول الله ﷺ فيمن يُرَأَّسُ على بني تميم مِنْ وفدهم-اختلفا واختصما حتى علَتْ أصواتُهما فحظَرَ اللهُ رفعَ الصوت عند النبي ﷺ حتى كان عمرُ بعد ذلك إذا حدَّثه بِـــشيء كـــان كالسرار من خفض صوته[2]. **فإن قيل:** ومتى نهى الله عن رفع الصوت فوق صوت النبي ؟ قلنا: قال الله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجـــرات:٢]. وبعدُ فلو سلَّمنا لهم تسليم جدل أن أبا بكر صلى برسول

---

(١) في (ب) ، (ج): صفا وحده متقدما؛ والنصب على أنه خبر كان، وأبوبكر اسمها، وحـــذفت لدلالـــة الأولى عليها، والله أعلم، المحقق.

(٢) في (ب): الصوت. أخرجه في البساط ص٥٦. والبخاري ٤/١٨٣٣ رقم٤٥٦٤.

الله ﷺ وبالمسلمين–لما كان ذلك دليلا على الإمامة؛ لأن إمامة الصلاة ليست من الإمامة العامَّةِ في شيء، ولا صلاةَ النبي ﷺ خَلْفَ أبي بكر تدل على الإمامة العامة أيضا؛ لأن رسول الله ﷺ صلى في صحته خلف عبدالرحمن بن عوف ركعةً من الصبح، وصلَّى خلف عَتَّاب بن أسيد وهو أميره على مكة والمتولي للقضاء من جهته فيها. ولم يكن في ذلك حجةٌ على إمامتهما، مع أن رسول الله ﷺ لم يعزِلْهُما عن الصلاة، وقد عزل أبا بكر عن الصلاة. وبعدُ فقد ولَّى على الصلاة مَن لا تصحُّ إمامتُه عندنا وعندهم، فإنَّه استعمل في غزوة أُحُدٍ ابنَ أمِّ مكتوم على المدينة ليصليَ بالناس وهو أعمى[1].

وهكذا أمَّر رسول الله ﷺ عَمْرًا بنَ العاص على المسلمين في غزاة[2] ذاتِ السلاسل، وفيهم أبو بكر مأمورا[3] غير أمير، وكان عمرو بن العاص يَؤُمُّ بهم في الصلاة ويأتم به أبو بكر، فصلى بهم ذات يوم وهو جنب لم يغتسل، فهلا دل ذلك على فضل عمرو وإمامته، ولم يُقَدِّمْ عليه أبو بكر، وادُّعِيَ كونُه إمامًا. وإنما حملهم على ذلك الْمَيلُ عن واضحات الأدلة واتِّباع الشبه[4] المضلة.

شبهة يحتجون بها على فضل الشيخين:

---

(١) سنن أبي داوود ١/٣٩٨ رقم٥٩٥.

(٢) في (ب) ، (ج):غزوة.

(٣) في (ب):مأمور. والرفع على أنه مبتدأ، ((وفيهم)) متعلق بالخبر، والنصب على الحال. والله أعلم . المحقق.

(٤) في (ب):الشبهة. ذكر ذلك ابن كثير في سيرته ٣ /٥١٨ . وأبو داوود في سننه ١ / ٢٣٨ برقم ٣٣٤، ٣٣٥ . والواقدي في سيرته ٢ / ٧٧٣ . والطبري ٣/٣٢، ولم يذكر أنه جنب . وكذلك ابن الأثير في الكامل ٢/١٥٦.

ورُبَّما يحتج بها جُهَّالهم على الإمَامة، وهي قولهم:إن أبا بكر وعمر ضـــجيعا رسول الله ﷺ في قبره.

والجوابُ:أن هذا ليس من الإمامة في شيء. فأمَّا ما يتعلقون به مـــن إثبـــات الفضل فغيرُ مُسَلَّمٍ وغيرُ صحيح؛ لأن رسول الله ﷺ قُبِرَ في بيته بالإجمـــاع، ولا خلاف أنه لم يُقْبَر في بيت أبي بكر ولا في بيت عمر، وإذا ثبت ذلك فقد قـــال الله تعالى:﴿لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحـــزاب:٥٣]. وهما لم يستأذنا في ذلك رسول الله، ولا ادَّعَاهُ لَهُمَا مُدَّعٍ، ولا رُوِيَ ذلك في خبر ولا أثـــر، لا مِـــنْ أتباعهما، ولا من مخالفيهما؛ فيكف يكون الفضلُ بفعلِ ما نهى الله عنه! لا يكـــون أبدًا. وإنّمَا تَسَنَّمَ المخالفون سَنَامَ العناد، وتنكبوا طريقَ الرشاد؛ فحمَلَهم ذلك على الاعتماد على ما لا دلالة فيه.

شبهة أخرى لهم في مثل ذلك

واحتجوا أيضًا بكون الشيخين من السابِقِينَ الأولين وقد رضي الله عنهم. **فأمَّا** تعلقهم به في الإمامة فغيرُ صحيح؛ فإنَّه لا يدل على ذلك كما لم يدل على إمامـــةِ غيرهم من السابقين. وأما تعلُّقُهم بلفظ الرِّضى وأن ذلك يدل على الاستمرار على الرضى عنهم فغيرُ مُسَلَّمٍ، بل هو إِخبارٌ عن الحال، ولا يمتنع تغييره بفعلِ معصية في وقت آخر.

كما ورد مثل ذلك في آية أخرى وهي قوله[1] تعـــالى:﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

(١) في (ب):وهي قول الله .

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨]؛ فإن الرضى في الآيتين جميعاً قد عَمَّ جميع المبايعينَ وَسَمَّاهم الله بالمؤمنين، ثم قال في آخر الآية الثانية:﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىَ نَفْسِهِ ﴾ [الفتح:١٠]؛ فبَانَ بذلك أنه لا يُقْطَعُ على استمرار الرضى من الله تعالى.

شبهة أخرى

احتجوا بها على أن العشرة من أهل الجنة على سبيل القطع وذلك ما رُوي عن النبي ﷺ قال:((عَشَرَةٌ في الجنة:أبو بكر في الجنة، عمرُ في الجنة، عثمانُ في الجنة، عليٌّ في الجنة، طلحةُ في الجنة، الزبيرُ في الجنة، سعدُ بنُ مالكٍ في الجنة، عبدُالرحمن بنُ عوفٍ في الجنة، سعيدُ بنُ زيد بن عمرو بن نُفيل في الجنة))[١]، قالوا:فيجب القطع على أهم من أهل الجنة.

والجواب عن ذلك:أن هذا الخبر يدل على فضلهم فقط، وهو إخبار عن الحال لا عن المآل، ولن يَتِمَّ الفضلُ ودخول الجنة إلا بالخواتم الحسنة. والكلام في هذا الخبر كالكلام في الآية الأولى. **وبعدُ** فإنَّ مِنْ جُمْلَة العشرة عُمَرَ وعثمانَ وقد الهزما

---

(١) أبي داود ٥/٣٩ رقم٤٦٤٩. والترمذي ٥/٦٠٦ رقم٣٧٤٨. والحاكم في المستدرك ٣/٣١٦. وقد جمعهم الشاعر:

عَلِيٌّ والثلاثةُ وابنُ عَوْف		وَسَعْدٌ مِنْهُمُ وكذا سَعيدُ
كَذاك أبو عبيدةَ فَهْوَ مِنْهُم		وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ ولا مَزِيدُ

يوم أُحُدٍ وتركا رسول الله ﷺ، ونكثا بيعة الرضوان[1]، وفي ذلك اليوم ثَبَتَ علي عليه السلام ثباتاً عظيما، وقتل يوم أُحُدٍ سبعةً من أصحابِ راياتِ الكفار من بيت واحد. وفي ذلك[2] اليوم وُرُودُ ذي الفقار[3]، وفيه نادى جبريل عليه السلام:لا فتى إِلاَّ علي، ولا سيفَ إِلاَّ ذو الفقار.

وفيه قال جبريل (ع) للرسول ﷺ:هذا هو المواساةُ، فقال:((مَنْ أَولَى بِهَا مِنْهُ، وهو منّي وأنا مِنْه كهارونَ من موسَى))[4]. ولا خلافَ بين الرواة في هَرَبِ عمر وعثمان، وفي أبي بكر خلاف:هل هرب أو لا؟ ولا خلافَ أنه[5] لم يقاتل بنفسه و لم يَخْدِشْ في ذلك اليوم كافرا. وكذلك فإِنَّ من العشرة الزبيرَ وطلحةَ وقد

---

(١) بيعة الرضوان وقعت بعد أحد، ولعل الانهزام وقع أيضا في معركة حنين.

(٢) في (ب):في ذلك، بحذف الواو .

(٣) كأن العبارة:وفي ذلك اليوم ورد في ذي الفقار قول جبريل (ع):لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. وذو الفقار من السيوف المشهورة، كان للعاصي ابن منبه فلما قتل مع المشركين يوم بدر صار إلى النبي ﷺ ثم أعطاه النبي ﷺ لعلي لكن ساعد علي وبسالته وشجاعته النادرة شهرت السيف وصار مضرب الأمثال.

(٤) أخرج ابن المغازلي في المناقب ص١٤٠ رقم٢٣٤. والطبري في تاريخه ٢/٥١٤، قال:لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله ﷺ جماعة من مشركي قريش فقال لعلي:احمل عليهم، ففرق جماعتهم، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر ابن لؤي فقال جبريل:يا رسول الله إن هذه للمواساة، فقال ﷺ:إنه مني وأنا منه. فقال جبريل:وأنا منكما قال:فسمعوا صوتا:

لا سَيْفَ إلاَّ ذُوْ الْفقَار		**ولا فَتَى إلاَّ عَلِي**

والمحب الطبري في ذخائره ص٧٤ قال:عن أبي جعفر محمد بن علي قال:نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان أن:**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**. ينظر ابن أبي الحديد في الشرح عن الواقدي وكذلك غيرهم.

(٥) في (ب):في أنه.

فسقا بخروجهما يومَ الجَمَلِ[(١)] على أمير المؤمنين عليه السلام، ونَكْثِهِمَا بيعتَه، سوآء قيل:إِنهما تابا أم لا[(٢)]. **فثبت** ما ذكرناه أنَّ الخبرَ إِنْ صح فإِنه إِخبار عن الحال فقط لا عن المآل[(٣)]. ولْنَقْتَصِر على هذا القدر من احتجاجاتهم الواهية، و لم نوردها طلبا

---

(١) معركة الجمل وقعت بسبب أن طلحة والزبير نكثا بيعة علي، وذهبا إلى مكة فأخذا عائشة وفلول بني أمية والمنحرفين عن علي وتوجهوا إلى العراق ونزلوا بالبصرة، وأحدثوا أحداثا؛ فتوجه علي واستنفر أهل الكوفة، وطلب مقابلة الزبير وذكره حديثا مفاده أن عليا دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس ومعه الزبير فقام الزبير فاعتنقه فقال صلى الله عليه وآله وسلم:أتحبه يا زبير؟ فقال:كيف لا وهو ابن خالي؟ فقال:أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم. فقال الزبير:ذكرتني ما أنسانيه الدهر. فرجع نادما. فقتله ابن جرموز غدرا بوادي السباع. وجاء برأسه إلى علي (ع) فهز علي سيف الزبير وعيناه تدمعان وقال:سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله فقال ابن جرموز:الجائزة. فقال علي:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:بشر قاتل ابن صفية بالنار. فقتل ابن جرموز نفسه، وقيل:قتل مع الخوارج. وكانت عائشة على جمل اتخذه جيشها بمثابة الراية واستمر الموت حوله. وسمي بيوم الجمل، وقتل أكثر من ثلاثين ألف، وانتصر عليهم الإمام علي فعاملهم معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للطلقآء يوم فتح مكة.

(٢) في (ب) ، (ج): أو لا . والأصح ما في الأصل. أرجو أن يكون طلحة والزبير وعائشة قد تابوا.

(٣) إن صح الحديث فهو إخبار عن الحال؛ لأن بعض المبشرين بالجنة في الحديث صدر منهم أمور تحير العقلآء ;فعثمان أنكر عليه الصحابة أشياء تسببت في قتله ,والذي لم يشترك في قتله منهم لم ينصره . وطلحة والزبير نكثا بيعة الإمام علي(ع) بدون مبرر وتسببا مع عائشة في قتل ثلاثين ألف أو أكثر في معركة الجمل ، وهذا الفعل من عظائم الأمور .ثم إن الحديث أحادي ظني ، رواه الترمذي رقم ٣٧٤٧ رغم ما أثير حوله من خلاف، كما أن الترتيب فيه بين الصحابة يوحي بالصنعة، وهو ما حمل كثيرا من علمآء الزيدية وأئمة أهل البيت على رده ؛ لأن الله سبحانه–وهو الحكيم–لا يخبر أحدا أنه من أهل الجنة إلا إذا علم أنه لا يفعل كبيرة ، وإلا كان إغراء له على القبيح .وقد أجمعت الأمة على تفسيق من قاتل إمام حق ونكث بيعته وشق عصى المسلمين، فكيف بالخلاف على من حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في النبوة؟ ومن حبه إيمان وبغضه نفاق؟ وهذا دليل قاطع بعدم صحة الحديث. وهذا بخلاف العمومات الدالة على رضى الله عن أهل بيعة الرضوان وغيرهم التي تقبل التقييد في قوله تعالى:﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىَ نَفْسِهِ﴾؛ فالعموم يتناول من استمر على صلاحه إلى الموت، والتقييد يخرج من انقلب . نسأل الله التوبة وحسن الخاتمة آمين.

لنقص[1] الشيخين أبي بكر وعمر، ولا للوضع من حقهما، ولا للتتبع لعثراتهمـــا[2]، معاذ الله أن نقصِدَ شيئا من ذلك فهما صَاحِبَا رسولِ الله ﷺ. وقد جاهدا معه، وقاما بِنُصْرَتِهِ، وَأَبْلَيَا في الإِسلام بلآءً حسنَاً، إلاَّ أَنَّا نعرف أنَّ عليا أفــضلُ منـــهما وأولى بالإِمامة. وأردنا أن نُبَيِّنَ أنَّ ما احتج به هؤلآءِ القومُ على إِمامتهما وكونِهما أفضلَ من علي عليه السلام غيرُ صحيح، وأَن ما اعتمدوا عليه ليس بدليل، بل هو قـــولٌ باطل، وعن الصراط السوي عادِلٌ.

فصل:

وقد غلا قوم في خالد بن الوليد، وقالوا:هو سيفُ الله، وهذا اسمٌ لأمير المؤمنين عليه السلام فسَلَبوه اسمه وسَمَّوا به خالداً. ولا شُبْهَةَ في أنَّ عليا ســـيفُ الله سَـــلَّه علـــى المشركين والمنافقين، استأصلَ به صناديدَ قريش؛ فسَبَقَ بالجهاد جميـــعَ الـــصحابة (رض). كما روي أن رسول الله ﷺ كان يخرج من بيته-وأحـــداثُ العـــرب يرمونه بالحجارة حتى أَوْرَمُوا كعبيه وعُرْقوبَيْه-فخرج عليهم عليٌّ كالأسد فطردهم. قال الراوي:سألتُ مَنْ هذا وهؤلآء وهذا الفتى؟ قالوا:محمد[3] يَدَّعي النبوة، وهؤلآءِ أحداثُ قريش يؤذونه، وهذا علي بن أبي طالب ابنُ عمه يُحامي عنه؛ فـــترل فيـــه وفيهم:﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر:٥٠-٥١] شَـــبَّهه

(١) في (ب):للنقص من.
(٢) في (ب):لعثرهما .
(٣) في (ب) ، (ج):هذا محمد .

بالأسد، وشبَّههم بحُمُر[1] الوحش[2].

ومن مقاماته المشهورة:

قَتْلُ أسدِ بن غُويلم فاتك العرب؛ فإنه خرج وسأل البِرَاز؛ فأحجم الناس، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((يا عليُّ اخْرُجْ ولكَ الإِمَامةُ بعدي))؛ فخرج فضربه على مفرق رأسه، فذهب السيف في بدنه حتى خر بنصفين؛ فخرج علي عليه السلام وهو يقول:

ضربتُه بالسيف وسط الهامة — أنا عليٌّ صاحبُ الصمصامة

أخو نبي الله ذي العلامة — قد قال إِذ عَمَّمَنِي العِمَامة

أنت الذي بعدي له الامامة[3] — [أنت أخي ومعدن الكرامة][4]

ذكره أهل التفسير (على هذا الوجه)[5]. وكفى له بليلة الغار؛ فإنه أمسى على فراشِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بَاذِلاً لمهجته واقِياً له بنفسه تحت ظلال أربعمائة سيف[6] قد تبايعوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أربعمائة قبيلة ليصيرَ دمُه هَدَراً. فكانوا يَرْمُونه بالحجارة وهو يصبر لا يقوم، فقال قائل:هو محمد، وقال قائل:ليس بمحمد؛ فإنه

---

(١) في (ب):حمير، وما في الأصل أشهر .
(٢) لم يجد هذه الرواية في أي مصدر لا في كتب أهل البيت ولا في كتب غيرهم فيما تيسر لنا. والله اعلم.

(٣) في (ب):لك .
(٤) الشافي ٣/ ٢٠٠، عن الناصر . ولم نجدها في مصادر متيسرة لنا .
(٥) ما بنين المعقوفتين في (ب) .
(٦) المعروف أنهم أربعون شابا، وليسوا أربعمائة ، ولم تكن قبائل قريش قد بلغت أربعمائة قبيلة ، وفي السيرة الحلبية ١/ ٣٠٦ تفاوت العدد ولم نجدها في مصادر أخرى متيسرة لنا وما بين المعفوفتين زيادة من الشافي .

بمحمد؛ فإنه يَتَضوَّر-ومحمد لا يتضَّور يعني يتحرك بنفسه ويجمــع أطرافــه لألَــمِ الحجارة ، وبَاتَ جبريلُ وميكائيلُ (ع) أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليــه، وهما يقولان:بخ بخ يا علي مَنْ مِثْلُكَ-واللهُ يباهي بك الملآئكة[1]. روينــا ذلــك مسندا؛ فــأنزل الله فيــه:﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّهِ ﴾ [البقرة:٢٠٧][2].

قال ابن عباس نزلت هذه الآية في علي حين بات على فراش رسول الله ﷺ. وقَتلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام سبعين رجلا من صناديد قريش.

وذكر الشيخ أبو القاسم البستي رحمه الله في كتاب المراتب في فــضآئل أمــير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قتل يوم بدر سَبعةً وستِّين رجلا بحضرة رســول الله ﷺ[3] في ذلك اليوم، قال الشيخ:وليس في العادة أن يقوى بنو جنسِنَا علــى

---

(١) روي في قصة المبيت زيادة مدسوسة جاءت في ابن هشام ٢٢/ ٩٦ وسيرة ابن كثير٢/ ٢٢٩، وهي أن النبيﷺ قال لعلي عليه السلام:((نم على الفراش فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه)) . والغرض من هذه الروايــة سرقة هذه الفضيلة . وهكذا يفعل الحسد لأولي الفضل فقاتلِ الله الحسد والحاسدين.

(٢) انظر شواهد التتريل ١/ ٩٦ . وأسد الغابة ٤/ ٩٨ . نقلاً عن الثعلبي .وتفــسير الألوســي٢/ ١٤٦ . ومجمع البيان للطبرسي ج٢ص٥٦ . وتفسير القرطبي مج٢ ج٣/ ١٦ . والأعقم ٤٥ . وتفسير الــرازي ٣/ ٢٢٢ .

(٣) المشهور أنه عليه السلام قتل ثلاثة وعشرين رجلاً، وشارك في آخرين، وقتلى المشركين كلهم ســبعون . وقد علق الوالد:مجد الدين المؤيدي حفظه الله في هامش نسخته التي رمزنا إليها بالحرف(ب) قائلا: لم يكــن القتلى يوم بدر كلهم إلا نحو هذا العدد، فما الذي بقي لحمزة بن عبدالمطلب ولعبيدة بن الحارث ولــسائر الأبطال من المهاجرين والأنصار، وياليت الأمير الحسين نزه كتابه هذا العظيم عن أمثال هــذه الروايــات السخيفة التي هي من روايات القصاص الذين لا يبالون ما يروون ، وفي فضائل أمير المؤمنين (ع) المعلومــة الصحة ما يغني ويكفي، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومثل هذا قصة البساط ، والمنجنيق وقتــل عــامر ابــن الطفيل وغير ذلك مما لا أصل له ولا صحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ولأن مكن الله من نــسخ

هذه العدة من القتل، قال:فهو كالمعجز. وروى علماءُ التفسير في مقاماته يوم بدر، قالوا:وهي أول حرب شهدها أُحْصِيَ له فيها خمس وأربعون من الجراح والقتل، وقيل:بل سبعون. فسأَلَ عنه[1] أبو جهلٍ عبدالله بن مسعود، فقال:هو علي بن أبي طالب، فقال أبو جهل:هو الذي فعل الأفاعيل.

ومن مقاماته:أن المسلمين جعلوه في المنجنيق ورموا به إِلى حصن ذات السلاسل ونزل على حائط الحصن، وكان الحصن قد شُدَّ على حيطانه سلاسل، فيها غراير من تبن وقطن حتى لا يعمل فيه المنجنيق إِذا رُمِيَ إِليها الحَجَرفمَرَّ علي عليه السلام في الهواءِ والتَّرس تحت قدمه، ونزل على الحائط، وضرب السلاسل ضربة واحدة فقطعها وسقطت الغرائر وفتح الحصن. وقد قال في ذلك علمآءُ شيعتنا إِنَّ عليا عليه السلام شارك إِبراهيم الخليل صلى الله عليه[2] في الرمي من المنجنيق إلا أن إبراهيم عليه السلام رُمِيَ به مشدودا مُكْرَهاً إِلى النار، ورُمِيَ بعلي -عليه السلام-وهو مختار إِلى السيوف، وسَلِمَا جميعا صلوات الله عليهما. إلى غير ذلك من مقاماته نحو قتله لعامر بن الطفيل، أحد الشياطين فأدرك منه ثأر المسلمين، ونحو قتله الثقفي داهية العرب

هذا الكتاب المفيد الفريد وطبعه لأزيلن منه ما لا أصل له من أمثال هذه الروايات التي لا أصل لها والله ولي التوفيق .انتهى كلامه بلفظه.

أقول:و لم يمنعنا من حذف مثل هذا إلا أمانة النقل، ولا يخلو كتاب من هفوات ونحن في المدرسة الزيدية العظيمة تستند في الحكم على صحة الروايات على كتاب الله وعلى العقل ثم ما تواتر وصح ورواه الأئمة العدول ، علما بأن أحاديث الفضائل غالبا ما تسرد على وجه التسامح، وقد اجتهدنا في إسناد كل شاردة وواردة خدمة للقرآن العظيم وإبرازا لإلتزام علماء الزيدية خاصة بالإنصاف والتقيد بالحق لا تأخذهم في الله لومة لائم، والله من وراء القصد.

(١) في (ب):منه .

(٢) في (ب):صلوات الله عليهما .

وشجاعها، وسَبْيه لأمرأته وأخْذِهِ لِمَالِهِ، وقصته ظاهره[1]. وإِحصآء مقاماتـــه ممـــا يكثر وهو مذكور في الكتب المبسوطة في هذا الشأن.

[موقفه يوم الأحزاب]

وله يومُ الأحزاب مع شدته كما حكى الله تعالى في قولـــه:﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَاْ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب:١٠-١١].

وكفى الله المؤمنين القتال بقتل أمير المؤمنين عليه السلام لعمرو بن عبدِ وُدٍ.

ورُوينا أنَّ عَمْراً خَرج مُعْلَماً لِيُرى مكانُه فلما وقف وخيلَه قال:مَنْ يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له:يا عمرو إنك قد كُنْتَ عاهدتَ الله لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إِحدى خلتين[2] إلا أخذتها منه، قال له:أجل. فقال له علـــي عليه السلام:إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال:لا حاجة لي بذلك، قال:فإني أدعوك إلى البراز، فقال له:لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أُحِبُّ أَنْ أقتلك، قال له علي:ولكـــني

---

(١) كثيرًا ما تنسج الخيالات والأساطير حول الأبطال، ويُطْلِقُ القُصَّاص أقلامهم حول سيرتهم ، والإمـــام علي من عجائب الزمان ولعل قصة رميه بالمنجنيق وقتله لعامر بن الطفيل والثقفي من هذا الباب؛ لأنه لم يُرْمَ به ولا قتل عامرًا ولا الثقفي، مع أن الإمام المنصور عبدالله بن حمـــزة روى في الـــشافي ٣/ ١٩٩ أن عليًّا عليه السلام قتل أسد بن عويلم يوم الصوح. لكني لم أجد فيما تيسر من المراجع هذا الاسم ولا هذا اليوم والعلم لله وحده.

(٢) ينظر المستدرك ٣/٣٢ ويروى أنها ثلاث خلال والمعنى أن عمرًا ألزم نفسه بإجابة من دعـــاه ثـــلاث مرات، حاول علي رضي الله عنه أن يستفيد من عمرو كسبا للإسلام فدعاه إلى الإسلام لكنه رفـــض ثم دعاه إلى الرجوع بمن معه لعل الله يهديهم مستقبلا فرفض فلم يجد بدا من الثالثة وهو دعوته للمبـــارزة وهذا يدل على شجاعة وثبات وعقل وفهم للإسلام وتواضع من جانب علي(ع) فلله مدرسة تخرج منها ومعه كرام المهاجرين والأنصار !.

له علي:ولكني والله أُحِبُّ أَنْ أقتلك، فحَمِيَ عمرو عند ذلك فاقتحم عـن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا[1] وتجاولا فقتله علي، وخرجت خيل عمرو منهزمةً هاربة، فقال علي عليه السلام:

نَصَرَ الحِجَارَةَ من سفَاهةِ رأيه		ونَصْرتُ ربَّ محمدٍ بصَوابِ
فَصَددتُ حين تَرَكْتُه مُتَجَدِّلا		كالجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ ورَوابي
وعَففتُ عن أثوابه ولَوَ انَّني		كنتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّني أثوابي
لا تحْسَبَنَّ اللهَ خاذِلَ دينه		ونبيِّه يامعشَرَ الأَحزاب[2]

وروى أنَّ عَمْراً لما ضربه عليٌّ سبَّه فولى عنه حتى بَرَدَ غيظُه ثم قتله فنزل جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وقال:لو وُزِنَ بها إيمانُ العالَمِين لرجح، يعني ثواب علي عليه السلام على ذلك. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:لِقَتَالُ عليٍّ مع عمرو بن عبد ود أفضلُ من أعمال أمتي إلى يوم القيامة)). رواه أهل التفسير.

---

(١) في (ب) فتبارزا .

(٢) ينظر في سيرة ابن هشام . ٢٤٨ / ٣ والحاكم و لم يذكر هذه الأبيات، وإنما ذكر أبياتا أخرى وهي جواب علي على رجز عمرو الذي جاء فيه:

ولقد بُحِحْتُ مِنَ الندآ		ء بجمعكم هل من مبارزٍ

إلى آخرها .فأجابه علي عليه السلام بأبيات منها:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتا		ك مُجيبُ صَوْتِكَ غَيْر عاجز

إلى آخرها ...وابن كثير في البداية ٣/ ٢٠٣ . والواقدي ٢/ ٤٧ . و لم يذكر الأبيات. وقال الرازي في تفسيره مج ٣ ج ٦ص٢١٣ ، كما روي أنه قال بعد محاربة علي لعمرو:كيف وجدت نفسك يا علي؟ قال:وجدتما لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم .فقال:تأهب فإنه يخرج من هذا الوادي فتى يقاتلك. والحديث مشهور .

موقفه يوم خيبر

وله في يوم خيبر ما هو ظاهر من قَتْل مُرَّة وعنتر ومرحب قَدَّه من قرنه إلى أضراسه. وقَدَّ الحجر والبيضة، وقيل:قده إلى قَرَبُوس سرجه بضربة واحدة[1].

ومن مقاماته

قَتْلُه لسبعة من بيت واحد وهم أصحابُ الرايات وهم بنو طلحة يوم أحد[2] ذكره البستي رحمه الله، قال:وقدرواه الناصر الكبير عليه السلام.

وقد اختُلِفَ في سيفه ذي الفَقَار فقال قوم:هو من السماءِ أُنزل في يوم أُحد؛ فأعطاه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام. وتأولوا عليه قولَه تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد:٢٥]، وقال قوم:كان سَعْفَةَ نخلٍ فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام ونَفَثَ فيه، فأخذه عليٌّ وهزَّه فصار سيفا فكان ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وآله[3].

وله في يوم أحد شهادةُ جبريلَ عليه السلام حيث قال:((هذا[4] هو المواساة))[5]، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((مَنْ أولى بها منه! وهو مني وأنا منه، وهو مني بمترلة هارون من

---

(١) من أجمل فضائل الإمام علي عليه السلام أن الزحف الإسلامي تعثر بقيادة أكابر الصحابة؛ فاستدعى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا بعد أن قال:((لأعطين الراية.. إلخ))، فأخذها علي وافتتح الحصون قبل أن يتكامل الجيش معه، وهذه هي الفضائل .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ج٣/ ١٤٢ .

(٣) يروى أنه سيف منبه بن الحجاج ، والسيف الخشبي أعطاه صلى الله عليه وآله وسلم لأبي دجانة. والعبرة بالساعد الذي حَمَل السيف .

(٤) في (ب):هذه المواساة .

(٥) أخرجه الطبري في تأريخه ٢/ ٥١٤ بلفظ:إن هذه للمواساة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إنه مني وأمنا منه)) فقال جبريل:((وأنا منكما)) .

موسى، اللهم اشدد به أزري)).

[قَلْعِهِ باب خيبر]

وهزَّ حصن خيبر حتى قالت صفيةُ زوجُ النبي صلى الله عليه وآله:((كنتُ قد أُجلِسْتُ عَلَى طاق كما تَجلس العروس فوقعتُ على وجهي فظننتُ الزِّلْزَلَةَ فقيل لي[1]:هذا عليٌّ هَزَّ الحصن يُرِيدُ أن يقلع الباب، ثم قلع الباب الحديد بطوله وثِقْلِهِ ثم أمسكه على يده حتى عبر عليه عسكرُ رسول الله ﷺ. قال البستي: لم يقوَ على حمل الباب ثمانون رجلا.

[موقفه يوم حنين]

ثم وقوفه عليه السلام يوم حنين في وسط الكفار يَحْمِي ويَحْمِل عليهم ويقاتل أربعةً وعشرين ألفا إلى أن أُنْزِلَ الملآئكةُ مَدَدًا وَهُزِمَ القوم. وهو الذي أقسم الله تعالى بدآبتّه في قوله:﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً ﴾[2] [العاديات:١]. رواه الزجاج في معانيه فإنه روى أن ذلك أنزل في علي عليه السلام حين صَبَّح بني زهرة، إلى غير ذلك من مقاماته المشهورة المحمودة، كَلِيلةِ الْهَرِير فإنه كَبَّر فيها ستمائةَ تكبيرة وأَسقط بكل تكبيرةٍ عدوا من أعداءِ الله[3]، فهذا هو سيف الله الذي لا يخطي.

كما روي عن النبي ﷺ أنه قال:((يَا عَليُّ أنتَ فارسُ العربِ وقاتلُ الناكثين

(١) في (ب):فقيل لي:لا ..

(٢) مجمع البيان ج١٠ ص٤٢٢ .

(٣) أنظر وقعة صفين للمنقري ص٤٧٩ قال:قتل ٥٠٠ قتيلاً . والمسعودي في المروج ٢/ ٣٨٩ وذكر أنه قتل ٥٢٣ رجلاً في تلك الليلة .

والمارقين والقاسطين، وأنت أخي ومولى كُلِّ مؤمن ومؤمنة من بعدي، وأنت سيف الله الذي لا يُخطئ وأنت رفيقي في الجنة)).

وروى الشيخ أبو القاسم البستي رحمه الله ما هو ظاهر، وهو نداءُ جبريلَ في يوم[1] أُحد من السماء:لا فتى إلا علي ولا سيفَ إلا ذو الفقار. وذكر أنَّ الخبر بذلك متواتر. وما ذُكِرَه أبو القاسم البستي رحمه الله فهو خبر صحيح، وقد نظمه فيما ذكر حسان بن ثابت فقال في بعض أشعاره:

ولقد سمعتُ مناديا من فوقنا		نادى فأسمع كُلَّ أهل المحفل
لا سيفَ إلا ذو الفقَار ولا فتى		في النَّاس طُرًّا كلِّهِم إلا علي

وروى الناصر للحق عليه السلام أنَّ أبا أيوب رحمه الله بعد قتال أهل البصرة دخل عليه جماعة من الصحابة، فيهم عمار بن ياسر رحمه الله، فقال أبو أيوب:لا تَرَوْنَا أَنَّا سفكنا الدمآءَ واستحللنا الأموال -يعني المأخوذة من البغاة- بغير أمْرٍ أُمِرْنا به؛ فنحن إذَن لا على شيء، ولكنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أَمَرَنا بقتال ثلاثةٍ:النَّاكثين والقاسطين والمارقين ؛ **فأما** الناكثون فقد كفاناهم الله؛ طلحة والزبير وأشياعهما. **وأما** القاسطون فقد أوجهنا إليهم إن شاء الله:معاوية وأهل الشام؛ **وأما** المارقون فوالله ما رأيتُهم بعدُ، ولكنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثنا أنَّ قوما يخرجون بطرقاتِ أرضٍ يقال لها:النهروان، فقلت:يا رسول الله أمرتَنا أن نقاتل هؤلآء مَعَ مَنْ؟ قال:مع علي بن أبي طالب، فَسِرْنا هذا المسير بأمر الله وأمر رسوله[2]. **وروينا** عن الحاكم رحمه

(١) في (ب):يوم أحد بدون في .

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٠ عن أبي أيوب الأنصاري قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي

الله ما رفعه بإسناده إلى سعيد بن جبير رحمه الله أنه قال:كان مع علـــي عليه السلام يـــوم صفين ثمانُمائةٍ من الأنصار وتسعمآئة ممن بايع تحت الشجرة. **ورُوينا** عن الحـــاكم رحمه الله ما رفعه بإسناده إلى الْحَكَمِ بن عُتَيْبَة[1] أنه قال:شَهِدَ مع علي عليه السلام يـــوم صفين ثمانون بَدْرِيًّا، وكان معه سيدُ التابعين أُويس القَرَني[2]. وروى أن عسكر علي عليه السلام في صفين كانوا تسعين ألفًا، وكان عسكر معاوية مائةَ وعشرين ألفًا.

ورُوينا عن المنصور بالله عليه السلام بطريق روايتنا لكتابه الشافي أنَّ جملة القتلـــى في صفين سبعون ألفا من أصحاب علي عليه السلام خمسةٌ وعشرون ألفا، ومـــن أصـــحاب معاوية خمسة وأربعون ألفا، وأن جملة القتلى في حرب الجمل ثلاثون ألفـــا. ومـــا رويناه عن المنصور بالله مذكورٌ في الجزء الرابع من كتاب الشافي ص٢٩. وعلـــيٌّ عليه السلام لم يكن على ظهره جوشن حديد فَسُئِلَ عن ذلك فقال:إنَّما يحتاج إليـــه مَـــنْ يهربُ من عدوه ليحفظ ظهره وأنا لا أَهْرُبُ. وقيل له:لِمَ لا تقاتل على الفـــرس؟ فقال:إنَّ الفرس يحتاج إليه من يَهْرُب من العدو أو يهرب العدو منه فيلحقه، وأنا لا أهرب ولا أترك العدو يهرب. وقيل:قال في حرب البغاة:إني لا أَفِرُّ ولا أَكُرُّ علـــى مَنْ يَفِرُّ؛ فالبغل والفرس سواء؛ فثبت بما ذكرناه أن عليا عليه السلام هو سيف الله الذي لا يُخْطِي. فأما خالد بن الوليد فقد عمل في بني جذيمة مـــا لم يـــرضَ بـــه الله[3] ولا

بن أبي طالب:تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنـــهروانات وبالـــشعفات، قـــال أبـــو أيوب:قلت:مع من يا رسول الله نقاتل هؤلاء؟ قال:مع علي بن أبي طالب .

(١) هو عالم الكوفة، ولد نحو سنة ٤٦هـــ . ومات سنة ١٥. سير النبلاء ٥/ ٢٠٨ .

(٢) ابن الأثير ٣/ ١٦٥. وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢ ذكر أنه قتل مع علي في صفين .

(٣) في (ب):يُرضِ الله .

رسوله؛ فإنه بُعِثَ داعيا و لم يُبْعث مقاتلا؛ فلما وطئ بني جذيمة أخـــذوا الـــسلاح ليحاربوه، فقال:دعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فلما وضعوا السلاح أمر بهـــم فَأُوثِقُوا كِتَافًا[1] ثم ضربَ أعناقهم إلا من أراد تركه، وسبى ذراريَهم؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رفع يديه إلى السمآءِ بعدَ أن قام مستقبلَ القبلة ثم قال:((اللهُمَّ إنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الولِيدُ))[2]، ثم بعث عليًّا عليه السلام بمالٍ فَوَدَاهُمْ حتى إنـــه لَيَدِي مَيْلَغَةَ الكلب. وَفَضَلَ معه مال ، قيل:خمسمآئة. وقيل:أكثر. فقال:هذا لكـــم فيما لا يَعْلَمُ رسولُ الله ﷺ ولا تعلمون)). ورُوِي أنه قال:هذا لكم بروعـــات[3] النساء والصبيان؛ فَأَحِلُّوا على رسول الله ﷺ. وروى الإمام الناصر الحسن بـــن علي الأطروش عليه السلام أن خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وجعل رأسه أثفية القِدْر، وَبَنى بامرأته مـــن ليلتـــه، و لم يَسْتَبْرِهَا حتى أنكر ذلك عمر بن الخطاب. وروى الطبري في تأريخه[4]:أن خالـــدا قتل مالك بن نويرة وأصحابه وهم مسلمون وهم يشهدون أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله. وأن أبا قتادة الحارث بن ربعـــي الانـــصاري كان يُحَدِّث أن خالدا لما غشيهم تحتَ الليل أخذوا السلاح، وكان أبو قتادة مـــع خالد في تلك السرية قال:فقلنا:إنا المسلمون، فقالوا[5]:ونحن مسلمون، قلنا:فما بال

---

(١) في (ب):فأوثقوا أكتافًا .
(٢) الطبري ج٣ ص٦٥ ، البخاري ج٤ ص١٥٧٧ رقم ٤٠٨٤ ، النسائي ج٨ ص٢٣٧ .
(٣) في (ب):تروعات، وفي الأصل بغير نقط، وأثبتنا ما في (ج) لظهوره. والمعنى:بترويع .
(٤) ج٣ ص٢٨٠ .
(٥) في (ب):قالوا .

السلاح؟ قالوا:فما بال السلاح معكم ؟ قلنا:فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، فوضعوها وَصَلَّيْنَا وَصَلَّوا ثم قَدَّم خالدٌ مالكَ بنَ نويرة فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فانكسر[(١)] أبو قتادة وفارق خالدا، وعاهد الله أن لا يشهد مع خالد حربا بعدها، وأنكر عمر بن الخطاب أشَدَّ الإنكار، وتكلم عند أبي بكر، وقال:عَدَو الله عدى على مُسْلم فقتله، ثم نزل[(٢)] على امرأته. وأقبل خالد حتى دخل المسجد مُعَمَّمًا[(٣)] بالعمامة قد غرز فيها أسهما، فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها، ثم قال:قتلتَ امرأ مسلما، ثم نزوتَ على امرأته؟:والله لأرجمنك بأحجارك؛ فلم يُكَلِّمْهُ خالد، ودخل إلى أبي بكر فاعتذر إليه فَقَبِلَ عذره، فخرج خالد-وَعُمَرُ جالسٌ في المسجد، فقال:هلم إليَّ يابنَ أم شملة، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عن خالد، فقام عمر فدخل بيته.**وقال** لأبي بكر:إن في سيف خالد رَهَقًا، فقال[(٤)] أبو بكر: لم أكن لأَشِيمَ[(٥)] سيفًا سلَّه اللهُ على الكافرين. وقَدِمَ متمم بنُ نويرة أخو مالك يَنشُد أبا بكر دمَ مالك، ويطلب إليه في سبيهم. فقال عُمَر:إنَّ في سيف خالد رَهَقًا؛ فإن يكن هذا حقا حَقَّ عليه أن يُقِيدُه. وأكثر عليه في ذلك، ولم يكن أبو بكر يُقِيدُ مِنْ عُمَّاله، ولم يُقْبَلْ من عمر. وَوَدَىَ مَالِكًا. وأمر بِرَدِّ سبيهم. وهذا

---

(١) في (ب):فأنكر .

(٢) في (ج):نزى. وهو الأظهر.

(٣) في (ب):متعمم .

(٤) في (ب):قال .

(٥) شام السيف: أدخله الغمد .

كله في تأريخ الطبري، وهو ممن يَرَى تفضيل الشَّيخين ويقدمهما[(١)]؛ فيجبُ القضآءُ بأن خالدا ليس بسيف الله؛ لأنه يُخطي، وإنما سيفُ الله أميرُ المؤمنين عليه السلام؛ لأنه كان[(٢)] لا يخطئ ولا يفعل إلا ما أمر به رسولُ الله عن جبريل عن الله. وبذلك يثبت[(٣)] الكلام في المطلب الثالث. وبثبوته يثبت الكلام في إمامة علي عليه السلام **وهي المسألة الأولى من مسائل الإمامة.**

وأما المسألة الثانية:

وهي في إمامة الحسن والحسين (ع)

فالكلام فيها يقع في ثلاثة فصول:**أحدها** في الدلالة على إمامتهما. **والثاني**-في ذكر طَرَفٍ يسيرٍ مِنْ فضائلهما. **والثالث** في الإشارة إلى طرف يسير من مثالب معاوية وولده يزيد؛ ليتضح بذلك أيها المسترشد-الحقُّ من الباطل، والناقص من الكامل.

أما الفصل الاول:

وهو في إمامة الحسن والحسين (ع) فالذي يدل على ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب:فقول الله سبحانه في إبراهيم عليه السلام:﴿إِنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرّيّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤].

---

(١) في (ب):وتقديمها .
(٢) في (ب):بحذف كان .
(٣) في (ب):ثبت .

ولا خلاف بين علمآء الاسلام في إجابة دعوة إبراهيم (عليه السلام)، وأنَّ قولــه:﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾ استثناءٌ أَخْرَجَ به الظالمين بعد إجابة الدعوة عن استحقاق الإمامة. وإذا ثبت ذلك فقد جعل الله الإمامة فيمن لم ينتظم[1] في سِلْك الظالمين من ولد إبراهيم (عليه السلام)[2]، و لم تقع العصمة فيمن علمنا من ولد إبراهيم (عليه السلام) إلا في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع)، فثبت بذلك إمامَتُهما على القطع، ويــدل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى:﴿الّذِينَ إِنْ مّكّنّاهُمْ فِي الأرْضِ أَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾... الآية [الحج:٤١].

وهما بلا إشكال بهذه الصفة، بخلاف معاوية وولده يزيد؛ فإنهما لم يكونا بهذه الصفة، فوجب كون الحسن والحسين (ع) إمامين، ولزم القــضاء بكونهمــا أولى بالامامة وأجدَرَ بفضيلة الزعامة.

ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى:﴿وَالّذِينَ آمَنُواْ وَاتّبَعَتْهُمْ ذُرّيّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرّيّتَهُمْ﴾ الآية [الطور:٢١]، وهما سلام الله عليهما ممن آمَنَ أهلُهُمــا واتَّبَعَــاهُم بإيمان، وقفياهم بإحسان فَلَحِقَا بهم، وقد استحق أبواهما محمد وعلي (ع) الإمامةَ، وقد شرك الحسن والحسين (ع) في شروط استحقاق أبويهما (ع) الإمامة فوجب أن يلحقا بهما في استحقاقها والقيام بها.

وأما السنة:فقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):((الحسنُ والحسينُ إمامان قاما أو قعدا، وأبوهمــا

---

(١) في (ب):ينضم .

(٢) في هذه الآية لا يستقيم الكلام إلا كذا ؛ فإن الأنبياء من ولد إبراهيم عليهم السلام معصومون قطعًــا، أولهم إسماعيل وإسحقاق ويعقوب . تمت من الوالد مجد الدين .

خير منهما))[1] ، ولا شبهة في كون هذا الخبر مما تلقته الأمة بالقبول، وبلـــغ حـــد التواتر[2] ؛ فصح الاحتجاج به، وهو نص صريح في إمامتهما، وإشارة قوية إلى إمامة أبيهما أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ إذ لا يكون أحدٌ من الرعية خيرًا من الإمام بالإجمـــاع؛ فإذن لا يكون خيرًا من الإمام إلاَّ إمامٌ.

وأما الإجماع:فلا خلاف بين المسلمين من الصحابة والتابعين وتـــابعيهم مـــن المؤمنين في كونهما إمامين، ولم يخالف في ذلك إلا جماعة الحشوية، وهـــي فرقـــة خارجة من الإسلام، فلا يُعْتَدُّ بخلافهم[3] .

وبعد فإن أهل البيت (ع) أجمعوا على ثبوت إمامتهما، وإجماعُهم حجة كما تقدم بيانه. **وبعدُ** فإن كل واحد منهما قام ودعا إلى الإمامة مع تكامـــل شـــروط الإمامة فيه، وبايعه[4] أهل الحل والعقد. وكل من كانت هذه حاله فهو إمام. **وبعدُ** فإنه لا خلاف في كونهما أفضلَ الأمةِ في وقتهما وفي وقـــت قيامهمـــا وطلبـــهما الإمامة، وهذا إجماع معلوم على فضلهما، وأنهما أفضلُ الأمة عند طلبهما للإمامةِ؛ والأفضل هو الأولى والأحق بالإمامة بإجماع الصحابة (رض) على ما فصَّلنا ذلـــك

---

(١) حديث متلقى بالقبول عند آل محمد عليهم السلام وقد أجمعوا على صحته كما ذكره في لوامع الأنوار ٣/ ٣٧ . ومجموع رسائل الإمام الهادي١٩٥ ، وأخرجه المؤلف في شـــفآء الأوام ٣/ ٤٩٧، والإمـــام عبدالله بن حمزة في الشافي ٣/ ١٥١، ٤/ ٧٩ . والطبرسي في مجمع البيان ٢/ ٣١١ . وعلـــل الـــشرائع للصدوق ١/ ٢٤٨ وساق سنده إلى الحسن بن علي (ع).

(٢) لعله يريد بالتواتر:اشتهاره على ألسنة أهل البيت عليهم السلام حتى لا يحتاج إلى نظر فيمن رواه . والله أعلم.

(٣) يحمل الحكم بالخروج من الإسلام على من تعمد رد قطعي أجمعت عليه الأمة.

(٤) في (ب) و (ج):وتابعه .

في غير هذا الموضع؛ فثبت بذلك إمامتهما، وثبت بذلك[1] الفصل الاول.

وأما الفصل الثاني:وهو في ذكر طَرَفٍ يسير من فضائلهما.

فمن ذلك اختصاصهما بأبوة الرسول، وولادة البتول:أما اختصاصهما بـــأبوة الرسول فيدل عليه الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب:فقول الله سبحانه في آية المباهلـــة:﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمـــران:٦١]، فأجمعت الأُمة على أنَّ مَنْ دعا رسول الله ﷺ كان عليًّا وفاطمـــة والحسن والحسين (ع)، فكانتِ الأبنآءُ الحسنَ والحسينَ (ع)، وكانت النسآءُ فاطمةَ (ع) دون زَوَجَاتِ النبي ﷺ، وكانَتِ الأنفُسُ[2] محمدًا وعليًّا (ع) وهـــذا أمـــر معلوم[3].

---

(١) بذلك محذوفة في ((ب)) .

(٢) وليس المراد بقوله:﴿وَأَنْفُسَنَا ﴾ نفس محمد ؛ لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غـــيره وأجمعـــوا على أن ذلك الغير كان عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فدلت الأية على أن نفسُ علي هي نفس محمد . والمراد أنَّ هذه النفس مثلُ تلك النفس ، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه وترك العمل بهذا العموم في حق النبوة.

(٣) أنظر الدر المنثور للـــسيوطي ٢/ ٦٨٠ . والكـــشاف ١/ ٣٦٩- ٣٧٠، وتيـــسير العلـــي القـــدير لاختصارتفسير ابن كثير ١/ ٢٧٩، ومجمع البيان ٢/ ٣١٠ . وأســـباب الـــترول للواحـــدي ٥٨، ٥٩. وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ٤/ ٦٧. وتفسير الطـــبري مـــج٣ج٣ص٤٠٩- ٤١٠. وقال الفخر الرازي في تفسيره مج ٤ ج ٨ص٩٠:هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله، وَعَدَ أن يدعُوَ أبناءه؛ فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه . وممـــا يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿وَمِن ذُرّيّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيّوبَ ﴾... إلى قولـــه:﴿وَزَكَرِيّا وَيَحْيَىَ وَعِيسَىَ ﴾ ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأم لا بـــالأب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابنا. والله أعلم.

ويدل على كونهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـــولُ الله تعـــالى:﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❖ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ❖ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٤-٨٦]؛ فجعل عيسى من ذرية نـــوح، وإنما هو ابن ابنته؛ وهذا أمر معلوم، فيجب في أولاد فاطمة أن يكونوا من ذريتـــه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما السنة:فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((كلُّ بني أُنْثَى يَنْتَمُونَ إلى أبيهم إلاَّ ابْنَيْ فاطمـــة فأنا أبوهما وَعَصَبَتُهُما))[1]. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:((الْحَسَنُ والْحُسَيْنُ ابنـــاي))[2]. وقولـــه صلى الله عليه وآله وسلم:((إنَّ اللّهَ جعل ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبيٍّ من صُلْبِه، وإنَّ اللّهَ جعل ذُرِّيتي في صُلْب علـــي بن أبي طالب))[3].

وهذا يوجب أن يكون جميعُ ولد علي عليه السلام ذريةً لرسول الله، إلا أنَّ مَنْ عدا أولاد فاطمة (ع) مخصوصون بالإجماع؛ فإنه لا خلاف في أنَّ مَنْ عدا أولاد فاطمة (ع) ليسوا من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقوله صلى الله عليه وآله:((كُلُّ أَولاد أُنثى، أبوهم عَصَبَتُهُم إلا أولادَ فاطمة فأنا أبوهم وعَصَبَتُهُم))[4]. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:((لكل بني

---

(١) درر الأحاديث النبوية ص٥٢، والطبراني في الكبير ج٣ ص٤٤ رقـــم ٢٦٣١ ومجمـــع الزوائـــد ج٩ ص١٧٣.
(٢) المرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢. وكنز العمال بلفظ:((ابناي هذان الحسن والحسين))
(٣) الطبراني في الكبير ٣/ ٤٤ رقم ٢٦٣٠ .
(٤) الخطيب في تاريخ ١١/ ٢٨٥ .

أُنثى عصبةٌ ينتمون إليه إلا ابْنَيْ فاطمة فأنا وَلِيُّهم وعصبتُهم))[(١)] . **ورُوينا** أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا رأى الحسن والحسين يمشيان وقد تَهَلَّلَ لهمـــا التفـــتَ إلى أصـــحابه وقال:((أولادُنَا أكبادُنَا تَمْشي على الأرْضِ))[(٢)] .

وأما الاجماع:فلا خلاف في أن الصحابة (رض) كـــانوا يقولـــون للحـــسن والحسين:هما ابنا رسولِ الله ويُعْلِنُونَ بذلك في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاتــه، وهذا أمر معلوم لمن عرف أخبارهم واقتص آثارهم. **وأما اختــصاصُهما** بـــولادة البتول فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم فهو معلوم ضرورة.

ومن فضآئلهما:

ما رُويناه عن ابن مسعود رحمه الله أنه قال:كان رسول الله ﷺ يصلي فـــإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا مَنْعَهما أشار إليهم:دَعُوهما؛ فلما انصرف من صلاته وضعهما في حِجْره وقال:((مَنْ أحبَّني فليحبَّ هذينِ))[(٣)] . فقال في ذلك المنصور بالله عليه السلام:

---

(١) الطبراني في بالكبير ٣/ ٤٤ رقم ٢٦٣٢ . والحاكم في مستدركه ٣/ ١٦٤ . واللفظ له .

(٢) تنبيه الغافلين ١٤٨ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤٤ . والبيهقي في الـــسنن ٢/ ٢٦٣ . وابـــن خزيمـــة في صحيحه ٢/ ٤٨ رقم ٨٨٧ . والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٧٩ ، وقالك رجال ثقات . والبـــزار ٢/ ٣٣٩ رقم ١٩٧٨ . والطبراني في الأوسط ٥/ ١٠٢ رقم ٤٨٩٥ عن أبي هريرة:((من أحـــب الحـــسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني)).

أَلَمْ يكــن والــدي هُبلْــتَ إذا		صَلَّى لديه امتطى على صُــلُبه
ثم يُـــشِيرُ اتْرُكُـــوه لا تَرَكَـــتْ		لك الرزايــا مــالاً لِمُنتَهِبــه[1]

ومن جملة[2] ذلك حَمْلُه لهما يوم الحديقة يومَ فَقَدَتْهُمَا أُمُّهُمَا فاطمةُ الزهــرآء وبَكَتْ فقال لها رسول الله ﷺ:((يا بنية لا تبكي فإنَّ لهما ربًا هو أحفظُ لهما[3]، وأرأف بهما مِنِّي ومنك)). ثم نزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بهما وسُرّي عنه وهــو يضحك حتى بدت نواجذه[4] وقال:((هذا حبيبي جبريــل يُخــبرني عــن الله أنَّ ابنيَّ:الحسن والحسين في حظيرةٍ لبني النجار، وقد وَكَلَّ الله بهما ملكًا من الملآئكــة جعل أحدَ جناحيه تحتَهما وأظلَّهما بالآخَر))، ثم قال لأصحابه:((قوموا نَنْظُرْ إلَيهما على هذه الصفة))؛ فأتاهما النبي ﷺ ودخلها فوجدهما نائمين والمَلَكُ موكلٌ بهما، فانكَبَّ عليهما يُقَبّلهما وبكى فرحًا مِمَّا رآهما عليه، ثم أيقظَهُما فحمل الحسنَ على عاتقه الأيمن والحسينَ على عاتقه الأيسر؛ فلما خرج من الحظيرة اعترضه أبو بكر؛ فقال يا رسولَ الله:أَعطِني أحدَ الغلامين أحمِلْه عنك فقال:((يا أبا بكر نِعْمَ الحامــلُ

---

(١) ديوانه ص٢٠٢، الشافي ٣/ ٧٥ . ويليهما:

أنا ابــنُ مَــنْ إذا أصــابه غَــضَبٌ		يغضب ربُّ السماءِ مِنْ غَــضَبِه
خليفـــــةِ الله مِـــــنْ بريَّتِـــــه		وهو شــريك الــنبي في نَــسَبِه
دون بني هاشــم ودون ذوي القــر		بى إليــه مــن عبــاد مطَّلِبــه

والإمام عبد الله بن حمزة أشعر الأئمة بلا نزاع وسنحقق ديوانه إنشاء الله .

(٢) في (ب):بحذف جملة .

(٣) في (ب):بهما .

(٤) النواجذ:الأنياب .

والمحمولُ، وأبوهما خيرٌ منهما)). فاعترضه عمر بمثل قول أبي بكر فأجابه بمثل جوابه، وقال:((والله لأُشَرِّفَنَّهُمَا كما شَرَّفهما الله)). والقصة طويلة والغرض الاختصار.

وفي بعض الأخبار ((فنعم المطيةُ مطيتُهما، ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما)) [1]، فقال:في ذلك السيد الحميري من قصيدة له في أهل البيت (ع):

أتى حَسَنًا والحسينَ الرسو		لُ وقد بَرَزَا ضحوةً يلعبان
فَضَمَّهُمَا وَتَفَدَّاهُمَا		وَكَانَا لَدَيهِ بِذَاكَ الْمَكَان
ومرًّا وتحتهما منكبَا		هُ فنعم المطيةُ والرَّاكبان

ومن فضائلهما:ما رويناه من كتاب المصابيح، وهو أن جبريل عليه السلام كان يأتي منْزلَ فاطمة الزهراء صلوات الله عليها فإذا ارتفع ضربَ بجناحه فتنافرت [2] زَغبُ [3] ريشِهِ فكانت فاطمةُ (ع) تأخذه فتجمعه وتعجنه بعرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفوح [4] منه رائحة المسك. ومِنْ غير هذه الطريق فتجعلُهُ تَمَائِم للحسن والحسين (ع) تُعَلّقه عليهما [5]. وقد ذكرَ أيضًا في المصابيح إلى غير ذلك من فضائلهما؛ فإنها أكثر مِنْ أن نأتي على جميعها. وليس غرضُنا إلا الإشارةَ فقط؛ إذ فضلهما مما لا يُحتاج فيه إلى شرح وبرهان لكونه في ظهوره كالمشاهدة بالعيان، وبذلك ثبت الفصل الثاني

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٦٥/ رقم ٢٦٧٧ . وفي ذخائر العقبى ص١٣٠ ومجمع الزوائد ٩/ ١٨٢.

(٢) في (ب):فتناثر.

(٣) الزغب:الشعيرات الصفر على رأس الفرخ . المصباح ص٢٧٢ .

(٤) في (ب):فيفوح .

(٥) الطبري في ذخائره ص١٣٤ . والشافي ٤/ ١١٥ . و لم يذكر أن فاطمة كانت تعجنه بعرق رسول الله.

وهو:في ذكر طرف يسير من فضائلهما.

وأما الفصل الثالث:

وهو في ذكر طرف يسير من مثالب معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد بن معاوية [....] ففي ذلك مطلبان:

أحدهما:في ذكر معاوية، **والثاني**:في ذكر يزيد:

أما المطلب الاول:

وهو في ذكر معاوية وأبيه صخر وولده يزيد الجبار العنيد

أما أبوه صخر فهو قائد الأحزاب، ومخالف حكم الكتاب، الذي ركب بعيرًا أحمرَ يوم الاحزاب، ومعاوية يسوق به، وعتبةُ بن صخر أخو معاوية يقودُ به، فلعن رسولُ الله ﷺ الجملَ والقائدَ والراكبَ والسائق[1]. ولعن رسولُ الله ﷺ أبا سفيان، وهو صخر في سبعة مواطن:**لَعَنَهُ** يومَ لقيه خارجًا من مكة مهاجرًا إلى المدينة وأبو سفيان واصلٌ من الشام فوقع فيه وسبَّه وكَذَّبه وأوعده وهمَّ أن يبطش به فصدَّه الله عنه. **وَلَعَنَهُ** يوم أُحُد حين قال أبو سفيان:أُعلُ هُبَل، فقال النبي

(١) الطبراني ٣/ ٧٢ برقم ٢٦٨٩. مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١١٣، وذكر بعده: فقال عمار يوم صفين:والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر فلما رأوا عليه أعوانًا أظهروه ٧/ ٢٤٧. وشرح نهج البلاغة ٢/ ٤٦١ في مناشدة الحسن ومعاوية وعمر .

ﷺ:((اللهُ أعلى وأجَلّ))، فقال أبو سفيان:لنا العزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال النبي ﷺ:((اللهُ مولانا ولا مولى لكم، ولعنةُ الله وملائكته ورسُلِهِ عليكم. **وَلَعَنَهُ** يوم بدر. **وَلَعَنَهُ** يوم الأحزاب. **ولعنه** يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة وهم اثنا عشر رجلاً:سبعةٌ من بني أمية وأبو سفيان منهم[1]. **وَلَعَنَهُ** يوم همَّ أبو سفيان أن يُسلِمَ فنهاه معاوية عن الإسلام[2] وكتب إليه شعرًا يقول فيه:

يا صَخرُ لا تُسْلِمَنْ طوعا فتفضحَنَا		بعد الَّذِينَ ببدر أصبحوا مِزقَا
جدي[3] وخالي[4] وعَمُّ الأم[5] يا لهمُ		**قومًا وحنظلةَ الْمُهْدِي لنا الأرَقا[6]**
فالموتُ أهونُ من قول السِّفاه لقد		خَلَّى ابنُ حَرْب لنا العُزَّى لنا
فإن أتيتَ أَبَيْنَا ما تريدُ فلا[7]		**نُثني عن اللات والعزى لنا عُنُقَا[8]**

---

(١) في (ب) ، (ج):فيهم .

(٢) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/ ٤٦١، عن الحسن و لم يذكر السابعة أنه يوم همَّ أن يسلم وربما السابعة أنه يوم الجمل في يوم المناشدة . والأميني في الغدير ذكر ما يؤكد ذلك ١٠/ ٨١ .

(٣) جده أبو أمه هند:عتبة بن ربيعة الذي قتله عبيدة بن الحارث عبد المطلب ضي الله عنه .

(٤) خاله أخو أمه:الوليد بن عتبة، قتله الإمام عليه بن أبي طالب عليه السلام . وفي الأصل: وعمي، والأصح:وخالي .

(٥) عم أمه هو:شيبة بن ربيعة قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٦) في شرح النهج الأبيات كلها مع اختلاف في البيتين التاليين:

جدي وخالي وعم الأم ثالثهم		وحنظل الخير قد أهد لنا الأرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد		حاد ابن حرب عن العزى لنا فرقا

(٧) في الأصل و (ب):ولا . والأصح ما ذكر؛ لأن جواب الشرط مربوطا بالفاء .

(٨) أنظر شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٦١ . في حديث المناشدة .

وَلَعَنَهُ يوم الهدي معكوفًا أن يبلغ مَحِلَّه فرجع رسول الله ﷺ و لم يَطُفْ بالبيت، و لم يقضِ نُسُكَه[1]. وهو الذي نكث البيعة[2]. وهو الذي قال للعباس بن عبدالمطلب بعد أن أسلم بزعمه:إنَّ ابنَ أخيك أصبح في ملك عظيم، فقال له العباس:إنه نبوة، فقال صخر:إن في نفسي منه شَيَئًا، وهذا يدل على نفاقه، وهو الذي قال بعد ما كُفَّ بَصَرَهُ يوم بويع لعثمان:أرجو أن يعودَ دِيْنُنَا كما عاد مُلْكُنا[3]، يعني بدينهم عبادَةَ الأصنام.

ثم معاوية أمه هند بنتُ عتبة آكلة أكباد الشهداء في يوم أحد فإن من قصتها أنها حَرَّضت على القتال، وأنشدت الأشعار تَحُثُّ بها الأبطال، فقالت في بعض قولها:

وَيْهًا بني عبدِالدار		ويها حماةَ الأدبار[4]

ضَرْبًا بكل بَتَّار

وقالت[5] وهي تضرب بالدف:

---

(١) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/ ٤٦٢، وهي إحدى السبع. والأميني في الغدير ١٠/ ٨٢ . هو يوم الحديبية .

(٢) ربما أراد بيعة الإسلام حيث أظهره وأبطن الكفر .

(٣) روى المقريزي في النزاع والتخاصم ص٢٠:دخل أبو سفيان على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال:قد صارت إليكم بعد تيم وعدي ؛ فأدرها كالكرة واجعل أوتادها لبني أمية ، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار. وفي لفظ المسعودي ج١:يا بني عبدمناف؛ تلقفوها تلقف الكرة ؛ فوالذي حلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة.

(٤) في الأصل:الأذمار، والمحفوظ والمشهور ما ذكر .

(٥) في (ب):وقالت أيضًا .

نحــــن بنــــاتُ طــــارق		نمــشي علــى النمــارق[1]
إن تُقبلــــوا نعــــانق		ونفــــرش النمــــارق
أو تــــدبروا نفــــارق		فــــراق غــــير وامــــق

ثم مَثَّلت بالشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ هي والنسوة من قريش، وَكُنَّ يُجَدِّعْنَ الآذان والأُنُف، حتى اتَّخَذت هندٌ من أذان الرجــال وأُنُفِهــم خَــدَمًا[2] وقلائد، وأعطتْ خَدَمَهَا وقلائدَها وقِرطَتْهَا وَحْشِيًّا، عبد جبير بن مطعم، وهو قاتلُ حمزة رحمه الله- وبقَرَتْ هندٌ عن كبد حمزة فَلاكَتْها فلم تستطع أن تُسيغَها فلفظَتْها ،ثم عَلَتْ على صخرة مُشْرِفَةٍ فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزينــاكم بيــومِ بــدر		والحربُ بَعْدَ الحرب ذاتُ سُعْر
ما كان عن عتبةَ لي من صــبر		ولا أخــي وعَمِّــه وبكْــرِي
شفيتَ نفسي وقضيتَ نَــذْري		شَفَيتَ وحشيٌّ غَليلَ صــدري
فشكرُ وَحْشِيٍّ علــيَّ عُمْــرِي		حتَّى تَرِمَّ أعظمي في قــبري[3]

وأما معاوية فلم يدخل في الاسلام إلا فَرَقًا، ولم يُقِمْ عليه إلاَّ نفاقًا. ثم من جُمْلة مثالبه منازعتُه الخلافةَ لعلي عليه السلام، وقد قال النبي ﷺ:((مَنْ نازع عَلَيًّا الخلافةَ فهو

---

(١) في (ب) زيادة بعدة:والمسك في المفارق .

(٢) الخدمة-محركة:السير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير فيشد إليها سرائح نعلها. القاموس ص ١٤٢١ . وفي بعض النسخ:خذما والخذم:القطع، وخضمت الشيء قطعته. مقاييس اللغة ٢٩١ .

(٣) أنظر سيرة ابن هشام ٣/ ٧٦- ١٠٦، وابن كثير في سيرته ٣/ ٣١- ٧٤، والمغازي للواقدي ١/ ٢٢٥ وما بعدها إلى نهاية غزوة أحد. والسيرة الحلبية ٢/ ٢٢٥ .

كافر))[1]، فكان ذلك معاوية. ورُوينا عن النبي ﷺ:((مَنْ قاتل عليًّا على الخلافة فاقتلوه كائنًا مَنْ كان))[2]، فكان ذلك معاوية. وروينا عنه ﷺ أنـــه قـــال:((إذا رأيتُم معاوية على منبري فاضربوا عنقه))[3]، رواه جماعة منهم أبو سعيدٍ الْخُـــدْرِي وجابر وحذيفة وابن مسعود في آخَرِينَ. قال الحسن بن أبي الحسن البصري:فلـــم يفعلوا فَأَذَلَّهُم الله[4]. وروينا عن محمود بن لبيد عن رسول الله ﷺ أنه قال:((إنَّ هذا- وأشار إلى معاوية- سَيُرِيدُ الأمر بعدي فمَنْ أدركه منكم وهو يريدُه فَلْيَبْقَرْ[5] بطنَه))[6]. وروينا عن عبدالله بن عمرو أنَّ النبي ﷺ قال:((يطلعُ عليكم رجلٌ من

---

(١) ابن المغازلي ص ٤٨رقم٦٨ . إذا صح الحديث فيحمل على أنه كافر تأويل ;أو كافر نعمة ، ويتوجه الحديث لمن حمل السيف في نزاعه مع علي فهو هالك قطعا سواء سمي فاسقا أو كافرا؛ لأن حكم علـــي حكم النبي ﷺ ما عدا النبوة .كما وردت بذلك النصوص القاطعة

(٢) أخرجه المتقي في كتر العمال ١ /٢٠٩ رقم ١٠٤٦ ، وعزاه إلى الديلمي

(٣) تأريخ بغداد بلفظ:فاقتلوه ١٢/١٨١ عن الحسن . والذهبي في ميزانه وصححه ٢ / ١٢٩ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٥ / ١١٠ ، ٧ / ٣٢٤ ، والطبري في تاريخه ، والـــبلاذري في أنـــساب الأشـــراف بإسنادين صحيحين ، وابن عدي في الكامل ج٥ ص٩٨، ١٠٣ بسندين في ترجمة عمر بن عبيـــد عـــن الحسن، وعن أبي سعيد ٦/٤٢٢، وعنه أيضا بلفظ:فارجموه ٥/٢٠٠. وأيضا عنه:((إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه))، وأيضًا عن ابن مسعود ٢/١٤٦ ، ٢٠٩ ، وعن أبي سعيد أيضا ٥/١٠١ ، ٣١٤. وقد استوفى الأميني في الغدير [١٠/١٤٣] ما قيل حول إسناده فليراجع . ويقوي هـــذا الحـــديث مـــا روى:إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الأخر منهما؛ فهذا الحديث كالصريح في قتل معاوية . وحـــديث:((مـــن قاتل عليًّا على الخلافة فاقتلوه كائنًا من كان)). والذهبي في تاريخ الإسلام عهد معاوية ص٣١٢ . ومحمد بن سليمان الكوفي ٢/٣١٨.

(٤) الخطيب في تاريخه ١٢/١٨١.

(٥) بَقَرَهُ كَمَنَعَهُ: شقَّه ووسَّعَه ، القاموس٤٥٠.

(٦) الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٤ / ٤١ .

أهل النار))[1] ، فاطَّلَع معاوية. وروينا

عنه ﷺ أنه قال:((يَموت معاوية على غير ملتي))[2] ، فأخبرنا ﷺ بأنه يموتُ

على غير ملته. وخبره صِدْقٌ لا كَذِبَ فيه. وَسُئِلَ الحسنُ بنُ أبي الحسن البصري رحمه الله:معاوية أفصحُ أم الحسنُ بنُ عليٍّ؟ فقال:معاوية حِمَارٌ نَهَّاق[3] . وروينا أن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) قال لمعاوية في جملة كلامٍ زَرَى عليه فيه أفعاله، وذَكَر مثالبه ثم قال:ومنها أنَّ عمر بن الخطاب وَلَّاكَ الشام فخنتَه، وولَّاك عثمانُ بن عفان فتربصتَ به ، وقاتلتَ عليًّا على أمرٍ كان أَوْلَى به منك عندالله، فلما بلغ الكتابُ أجله صار إلى خير منقلب ، وصرتَ إلى شر مثوى ، وقد خفَّفتُ عنك من عيوبك[4] ، فأقره معاوية و لم يكذبْه وهو في معرض المجادلة.

وكان معاوية كافرًا في الباطن مظهرًا للإسلام، فكان من جملة المنافقين، ثم كان يعمل الأصنامَ ويأمر بها على وجه التجارة تباع له في بلد الكفار.

---

(١) ينظر المناقب للكوفي ٢/٣١٣ في هامش الأصل:ليت هذا الحديث كف من عرام عبدالله بن عمرو وأبيه؛ فإن أصحاب معاوية كلهم لم يقاتل الواحد منهم إلا بسيف واحد، وقاتل عبدالله بسيفين في صفين.

(٢) أخرجه محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه ١/٣١١، وفي هامشه:أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف بسندين في ترجمة معاوية.

(٣) الشافي ١ / ١٦٠ بلفظ:يا أبا سعيد ! أمعاوية كان أحلم أم الحسن، فقال:وهل كان معاوية إلا حمارا نهاقا ، وأيضا برواية أخرى ١/١٦٥ ، أنه لما سئل عنه فقال:هل كان إلا حمارا نهاق وكيف يكون حليما من نازع الأمر أهله وطلب ماليس له وسب خير خلق الله ، وحارب عترة رسول الله .

(٤) معناه: أنه لم يذكر كل عيوبه.

ثم لَمَّا مات الحسن بن علي عليه السلام استلحق زيادَ ابن أبيه-هذه تسميتُه عندهم- وقد أجمعت الأُمةُ على صحة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((الولدُ للفراش وللعاهر الْحَجَـــرُ))؛ فاستلحق زيادًا وادعى أنه أخوه بالعِهْر، وصحَّح نَسَبَه بذلك فكان ردًا لما عُلِمَ من دين النبي ضرورة، والرآدُّ لما هذه حالهُ كافر بالإجماع بين المــسلمين المتمـــسكين بشريعة الإسلام، وكَفَرَ[1] ظاهرًا وأظهر ما كان يُبْطِنه من الكفر وقد قال الشاعر في استلحقاقه زيادًا:

ألا أَبْلِغْ[2] معاوية بـــنَ حَـــرْبٍ		**مُغَلْغَلَةً من الرَّجُـــلِ اليَمَـــانِي**
أَتَغْضَبُ أن يُقال:أَبُـــوك عَـــفٌّ		**وَتَرْضَى أن يُقالَ:أَبُـــوكَ زَانٍ!**
فأُقسمُ إنَّ إلَّـــكَ[3] مـــن زيـــادٍ		**كإلِّ الفيل من ولد الأَتـــان[4]**

وروي عن الحسن بن أبي الحسن البصري[5] أنه قال:أربع خصال في معاوية لو لم تَكن فيه إلا واحدة منهن كانت موبقة:**خروجُه** على هذه الأُمة بالسفهاءِ حـــتى ابتزَّها أمْرَها بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة. **واستخلافُه** يزيد، وهـــو سِـــكِّير خِمِّير، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. **وادِّعآؤه** زيادًا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله:((الولَدُ لِلفِرَاشِ وَللعاهر الْحَجَرُ))[6]. **وَقَتْلُهُ** حُجر بن عَدِي. فيا له من حُجـــرٍ

---

(١) في (ب): فكفر.
(٢) في (ب):بَلِّغ.
(٣) الإلُّ:القرابة.
(٤) هو ليزيد بن مفرغ الحميري. ينظر الشافي ١/١٦١ . والطبري ٥/٣١٨. والأغاني ١٨/٤٣٦.
(٥) تابعي زاهد مفسر ومحدث، توفي ١١٠هـ. ينظر المعارف ٤٤٠، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣.
(٦) رواه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ١ / ١٦١ حيث قال:قد أجمعت الأمة على صحة قـــول الـــنبي

وأصحاب حُجْرٍ[1].

ومن مثالب معاوية: أنَّه أول من تكلم بالْجَبْرِ[2] في هـذه الامـة، وأول مـن اختطب به فيمن يعتزي إلى الإسلام، كما روينا أنه اختطب بالشام فقال: إنما أنـا خازن من خُزَّان الله أُعطي مَنْ أعطاه اللهُ، وأمنع من منعه الله، فقام أبو ذر رحمه الله فقال: كذبت يا معاوية إنك لَتُعْطِي مَنْ منعه الله، وتمنع من أعطاه الله ، فقال: عبادة بن الصامت رحمه الله: صدق أبو ذر، وقال أبو الدرداءِ رحمه الله: صدق عبـادة[3]. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يَقْنُتُ بلعن خمسة وهم: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن

صلى الله عليه وآله وسلم: ((الولد للفراش وللعاهر الحجرُ)) ، وعلمنا ضرورة أن معاوية استلحق زيـادًا، وادعـى أخوتـه بالقهر، وصحح نسبه بذلك ؛ فكان ردًّا لما علم من دين النبي ضرورة ، والراد لما علم مـن ديـن الـنبي ضرورة كافر بإجماع أهل العلم. وأخـرج هـذه الحـديث أبـو داوود: [٢ / ٧٠٥ رقـم ٢٢٧٣]. والنسائي: [٦ / ١٨٠ رقم ٣٤٨٢ ، ٣٤٨٣ ، ٣٤٨٤ ، ٣٤٨٥ ، ٣٤٨٦] . وابن ماجـة: [١ / ٦٤٧ رقم ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧] . وأيضا البخاري: [٢ / ٧٧٣ رقـم ٢١٠٥ ، ٢ / ٨٥٢ رقـم ٢٢٨٩ ، ٣ / ١٠٠٨ رقـم ٢٥٩٤ . ٤ / ١٥٦٥ رقـم٤٠٥٢ ، ٦٣٦٨، ٦/ ٢٤٨٤ رقـم٦٣٨٤ ، ٦ / ٢٤٩٩ رقم٦٤٣٢، ٦/ ٢٦٢٦ رقم٦٧٦٠]. وأحمد بن حنبل [٢٢٣/١ رقم٨٢٠ . ج٣ ص٢٨ رقم٧٢٦٦ ، وغيرها من الروايات . أما **قصة الاستلحاق** فهي مشهورة متواترة، ينظر تأريخ الطبري ٢١٤/٥. وابـن الأثير ٣ / ٢١٩-٢٢١ . والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٩٤-٤٩٥ . وابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ١٠٢ . والشافي ١ / ١٦١ . والمسعودي في مروج الذهب ٨/٣. قال الإمام عبدالله بـن حمـزة في الشافي [٣٨/٣]: أما أنا وآباؤنا عليهم السلام لم نختلف في تكفير معاوية؛ لخلافه لما علم من دين رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة من ادعائه زيادا وهذا لا يمكنه إنكاره، وإنكار الخبر .

(١) الطبري ٢٧٩/٥. وابن الأثير ٢٤٢/٣ بتفاوت يسير. وابن كثير في البداية والنهاية ١٣٩/١. والاصابة ٣١٣/١ رقم ١٦٢٩ ، وأسد الغابة ٦٩٨/١ رقم ١٠٩٣ ، والاستيعاب ٣٩٠/١.

(٢) الْجَبْر قول العاصي بأنه مُجْبَرٌ من الله على فعل المعصية، كقول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾.

(٣) رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام في الشافي ١ / ١٣١ ، ٤/ ١٢٧ . وأبو طالب في شرح البالغ المدرك ص٩٩، والاساس ٢٨/٢.

العاص، وأبو الأعور السلمي، وأبو موسى الأشعري، وبُسرُ بن أرطأة[1]

فصل :في شُبَهِ الحشوية التي يحتجون بها:

الشبهة الاولى:

قولهم:إن معاوية كاتبُ الوحي[2] وذلك يقتضي الفضيلة. وجوابها:أنَّ كتابة الوحي لا تدل على فضله؛ لنقضه لذلك بفعله؛ إذ قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ عبدُالله بن سعد بن أبي سَرْح، ولا شك ولا إشكال في كفره ونفاقه. ومِنَ الظاهر عند العلماء أنه كان يكتب الوحيَ مكانَ غفورٍ رَحيمٍ، عليم حليم،

---

(١) لاشك لدى علماء المسلمين أن عليًّا عليه السلام خليفة راشد ، وكبير الصحابة ، وله من السابقة والجهاد والزلفة من الله ما يجعله جديرًا بالحديث الشريف:((لعنتك من لعنتي)) ، مجموع الإمام زيد ٤٠٤، فمن لعنه عليٌّ فكأنما لعنه النبي ﷺ ولا مسوغ لاستثناء الصحابة من هذا الحكم فحكم الإسلام جارٍ على الجميع، ولا شأن لنا بمن يضفي التعديل على جميع الصحابة حتى غير العدول ذهابًا إلى سد الطريق أمام الروافض كما يقال:فخيار الأمور أوسطها لئلا نظلم بريئا أو نبرئ ظالِمًا. والله أعلم. وزادوا الوليد بن عقبة، وكان شديد البغض لعلي عليه السلام وهو الفاسق المذكور في الآية:﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُ﴾.. الأية، وأبوه عقبة بن أبي معيط قتله الإمام علي عليه السلام في غزوة بدر، وقد جلد الإمام علي عليه السلام الوليد في خلافة عثمان حدا، وعزله عثمان عن الكوفة. والضحاك بن قيس. وحبيب بن مسلمة. ومروان بن الحكم. أخرج ذلك الإمام الهادي في الأحكام ١٠٩/١. والإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٤٨/٤، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٩ عن نصر بن مزاحم في وقعة صفين ص٥٥٢. والطبري في تاريخه ٧١/٥. وابن كثير في البداية والنهاية، وذكر أنه لما بلغ ذلك معاوية قنت وكان يلعن عليًّا وحسنًا وحسينًا والأشتر وابن عباس. ينظر ابن الأثير في الكامل ١٦٨/٣، وهو خبر مشهور.

(٢) الصحيح أنه ما كتب الوحي ، وإنما كتب إلى الملوك كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد وغيره. ولو سلمنا بكتابة الوحي فذلك أعظم حسرة، وأكبر حجة على كاتب وحي يرتكب العظائم في حق الإسلام والمسلمين، فلو فعل ذلك عامر بن الطفيل أو نحوه لهان الأمر.

فيقول:أَمْرُهُمَا سواءٌ[(١)]، فلما أملى النبي ﷺ قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾ فلما بلغ آخر الآية تعجَّب ابن أبي سرح فقال:تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين، فقال ﷺ:فهكذا أُنزلَ فَشَكَّ ابن أبي سرح وارتد ثم أسلم))[(٢)]. **وقيل**:إن النبي ﷺ هَدَرَ[(٣)] دمه، فلما كان يومُ الفتح شفع فيه عثمان بن عفان فشفَّعه رسولُ الله ﷺ، وولاَّهُ عثمانُ في ولايته مِصْرَ فأثار الفتنة حتى قُتِلَ عثمان. وأخبر النبي ﷺ بأنَّ الارض لا تقبله، فلما مات دُفِنَ فلفظته الأرض و لم تقبله، فلو كانت كتابةُ الوحي دلالةً على الفضل على كل حال لوجب القضاءُ بفضل ابن أبي سرح، وفي عِلْمِنَا ضرورةً بخلاف ذلك دلالةٌ على أنها لا تقتضي الفضل[(٤)].

وقد روينا أن رسول الله ﷺ أَمَر يومًا معاوية ليكتب له، وأرسل إليه رسولاً فرجع بغير شيء، وقال الرسول:هو يأكل، فأعاد ذلك مرارًا كُل ذلك يقول:هو يأكل، فقال النبي ﷺ:((اللهم لا تُشْبِعْ بطنَه))[(٥)]. وذكر ذلك الحسن بن علي (ع) لمعاوية في جملة الكلام الذي ذكرنا بعضًا منه أوَّلا ثم قال له:فنشدتُك الله[(٦)]،

---

(١) أخرج ذلك بن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٢٦٠ قال:كان يكتب الوحي لرسول الله ثم ارتد مشركا ، وصار إلى قريش بمكة فقال لهم:إني كنت أصدق محمدا حيث أريد، كان يملي علي عزيز حكيم، فأقول:أو عليم حكيم، فيقول:نعم كل صواب.

(٢) في هامش (ب) ينظر في ذلك . فالذي يظهر أن هذه القصة لا تصح أصلا.

(٣) في (ب) ، و(ج):نذر . وفي هامش (ب): هدر.

(٤) في (ب): لا تقضي بالفضل.

(٥) أخرجه مسلم ٣٤ / ٢٠١٠ برقم ٢٦٠٤ عن ابن عباس. والنسائي ١/ ٥ من مقدمة الحسنن، عندما قيل له:ألا تخرج فضائل معاوية كما أخرجت فضائل علي؟ قال:أي شيء أخرج؟ اللهم لا تشبع بطنه ، فقتله أهل الشام كما هو مشهور.

(٦) في (ب) بالله.

ألستَ تعرفُ تلك الدعوةَ في نَهْمَتِكَ وأَكْلَتِكَ ورغبة بطنك؟[1]. فلم يُنكر عليه معاوية قولَه، وأقره عليه في معرض الحجاج والجدال.

الشبهة الثانية:

قولهم:إنَّ معاوية من الصحابة (رض) فَلَهُ حقُّ الصحبة، وهي تقتضي الفضل.

جوابها:أن الصاحب قد يكون مؤمنًا، وقد يكون كافرًا، وقد يكون بَرًّا، وقد يكون فاجرًا. قال الله سبحانه:﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ [الكهف:٣٧]، وقد كان عبدالله بن أُبي بن سلول من جملة من شمله اسمُ الصحابة، وكذلك صخر ابن حرب. فَصُحْبَةُ معاوية كصحبتهما؛ إذ هو من جنسهما، وحُكْمُهُ حُكْمُهُمَا.

الشبهة الثالثة:

قولهم:إنَّه صِهْرُ رسول الله ﷺ، وخالُ جميع المؤمنين، وكلُّ ذلك دليل على الفضل. **جوابها:**أن صفية ابنة حيي بن أخطب رحمة الله عليها كانت تحت رسول الله ﷺ وضرب عليها الحجاب، كما كانت أم حبيبة ابنة أبي سفيان تحته، وكان أخو صفيةَ يهوديًّا، وهو مع ذلك صِهْرُ الرسول، وخالُ المؤمنين، فلم تعصمه الصهارة والْخُؤُولة عن النار، وعن الحكم عليه بالإكفار، وأوصت له أختُه صفيةُ رحمة الله عليها بثلاثين ألفًا مع استمراره على اليهودية، فأجاز وصيتَها المسلمون وصار ذلك أصلاً في جواز الوصية للكفار الْمُعَاهَدِينَ، فكذلك صهارةُ معاوية

---

(١) ابن أبي الحديد ٢ / ٤٦١ ، عندما بعث إليه ليكتب كتابا إلى بني خزيمة.

وخؤولته لن يعصماه من النار ، وعن وخيم القَرار.

وبعد فإنَّ حَالَ معاوية في القرابة بالصهارة وبكونه خالاً للمؤمنين لا يزيدُ على حال أبي لهب وهو عم الرسول بلا خلاف، وكان من أهل النار قطعًا؛ ولأنَّ وِلاَدَةَ النُّبُوَّةِ أبلغُ في باب الحرمة من خوؤلة الإيمان، فلم تعصم ولدَ نوح عليه السلام ولادتُه لَمَّا عصى الله عزوجل، فإذا كان كذلك في أولاد الانبياء (ع) فبطريقة الأَوْلَى أنَّ معاوية بذلك أولى. أين معاوية مِنْ أمير المؤمنين؟ الذي قال فيه الصادق[(١)] الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الأكرمين:((يَا عليُّ بِحُبِّكَ يُعْرَفُ المؤمنون، وَبِبُغْضِكَ يُعْرَفُ المنافقون. مَنْ أَحَبَّكَ مِنْ أُمَّتِي فقد بَرِئَ من النِّفَاقِ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ لَقِيَ اللهَ عزَّ وَجَلَّ مُنَافِقًا))[(٢)].

وقال فيه أيضًا:((أنتَ أميرُ المؤمنين، وخيرُ الوصيين، وأولى الناسِ بالنبيين، وقائدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ))[(٣)]. **وعنه** عليه السلام أنه قال:دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضع رأسه في حِجر دحية الكلبي[(٤)]، فسلمتُ عليه، فقال لي دِحْيَةُ:وعليكمُ السلام يا أمير المؤمنين، وفارسَ المسلمين، وقائدَ الغرّ المحجَّلِينَ، وقاتلَ النَّاكِثِينَ، والمارقين، والقاسطين، وإمامَ المتقين، ثم قال لي:تعالَ خُذْ رأس نَبيِّك في حجرك فأنت أحق بذلك، فَلَمَّا دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووضع رأسه على حجري لم أر دحية، وفتح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عينه[(٥)]، فقال لي:((لم يكن

---

(١) في (ب): بزيادة الْمُصَدَّق . وكتب فوقها حشو زائد.

(٢) مجموع الإمام زيد ص٤٠٥.

(٣) على فصوله شواهد وقد سبق تخريجها.

(٤) كان جبريل يترل في صورة دحية بطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن صورته كانت بهية.

(٥) في الأصل:ظنَّن عليها. وفي (ب) ، (ج):ساقطة ولا يصح المعنى إلا بها.

دحيةَ، وإنما كان جبريل أتاك لِيُعَرِّفك أن الله سَمَّاك بهذه الأسمآء))[1] . **وفي الحديث** أنَّ النبي ﷺ أَمَرَ أصحابَه أن يُسلموا على عليٍّ بأمير المؤمنين، فقال عمـــر بـــن الخطاب:هذا رأيٌ رأيتَه، أم وَحيًا[2] نزل؟ فقال النبي ﷺ:بل وَحْيٌ نزل. فقـــال عمر بن الخطاب:

سمعًا للهِ وطَاعةً. **وروينا** أيضًا عن النبي ﷺ أنه قـــال:((أَخِـــي، ووصـــيي، ووارثي، وخليفتي في أهلي، ومنجزُ وَعْدي، وقاضي ديني، عليٌّ بن أبي طالـــب)). **ووضع** يده على صدره فقال:((أنا المنذرُ وَلِكُلِّ قومٍ هاد))، وأوما بيده إلى علـــي، فقال:((أنتَ الهادي، بك يهتدي المهتدون من بعدي)). **وقال** ﷺ:((عليٌّ ســـيدُ البَشَرِ))، قالت عآئشة:أنت يا رسولَ الله سيدُ البشر! قال:((أَنَا سَيِّدُ الرُّسُلِ، وعليٌّ سيدُ البَشَرِ)). **وقال** ﷺ:((عَلِيٌّ خيرُ البشرِ فَمَنْ أَبَى فقد كَفَـــرَ))[3] . **وعـــن أبي هريرة** أنه قال:نظر رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ، فقال:((أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ))[4] .

---

(١) الحدائق الوردية ١/ ٢٤ .

(٢) في (ب):وهامش (أ):وحي؛ وكأن المعنى أم هو وحي .

(٣) محمد بن سليمان الكوفي ٢/٥٢٣. و الخطيب في تاريخه ٧/٤٢١. . وابـــن عـــساكر ٢/٤٤٤، عـــن حذيفة بن اليمان. وص٤٤٦ عن جابر.

(٤) الترمذي ٥/٦٥٦ رقم ٣٨٧٠ عن زيد بن أرقم . قال المقبلي في الأبحاث المسددة ص٢٤٢:وحـــديث: ((أنا حَرْبٌ لمن حاربتم، وسلمٌ لمن سالمتم)). قاله لعلي وفاطمة والحسن والحـــسين رضـــي الله عنـــهم . أخرجه أحمد والطبراني ٣/٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١ والحاكم. وفي معناه عدة أحاديث. بعضها يعمهـــم، وبعضها يخص الحسن والحسين حين خاطبهما وفي بعضها ما يعم أهل البيت في الجملة، فمجموعها يفيد التواتر المعنوي ، وشواهدها لا تحصى مثل أحاديث قتل الحسين ، وأحاديث ما تلقـــاه فـــراخ آل محمـــد وذريته ، بألفاظ وسياقات يحتمل مجموعها مجلدًا ضخمًا فمن كان قلبه قابلاً فهومن أوضح الواضحات في

فليت شعري ما تقول الحشوية والأُموية إذا كان معاوية حربًا لعلي عليه السلام ولأسباطه؟ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَرْبَه بمقتضى هذا الخبر، كيف ينجو مَنْ حارَبه الرسولُ؟ وكيف يَعْتَقِدُ إمامتَه أحدٌ مِنْ أهل العقول؟ وبذلك ثبت المطلب الأول وهو في ذكر مثالب معاوية.

أما المطلب الثاني:وهو في ذكر يزيد بن معاوية [....]

أما يزيد فلا شبهة في خروجه من الدين وانتظامه في سلك الكفرة المتمردين وهو الذي سفك دمآء الذرية جهرًا، وسبى نساءَهم قهرًا. ولا شبهة عند العارفين أن المحن في الأولاد والأهل بمترلة المحن في النفس، وتَجري مَجراه، وأنَّ ذلك من جملة البلآء، العظيم على الآبآء. وتصديقُ ذلك قول الله تعالى:﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩].

ويزيدُ الملعون **هو الذي** قَتَل من أولاد المهاجرين والأنصار ستةَ آلاف نسمة محرمة، وهم قَتْلَى حَرَّةَ واقمٍ[(١)]، وأمرُهم ظاهر عند العلمآء. **وهو الذي** أباح حَرَم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(٢)]، وقد حَرَّمه من عَير إلى ثور، وهما جبلان. **وهو الذي** نَكَتَ

كل كتاب، ومن ينبو قلبه عنها فلا معنى لمعاناته بالتطويل. انتهى كلام العلامة المقبلي.

(١) هي بظاهر المدينة المنورة .

(٢) يشير إلى وقعة الحرة وسببها أن أهل المدينة رفضوا بيعة يزيد وبايعوا عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة فأرسل يزيد جيشا أثنى عشر ألفا بقيادة مسلم بن عقبة المري فاستباح الجيش اليزيدي مدينة الرسول ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون الأموال، كان ذلك يوم الأربعاء ٢٨ ذي الحجة ٦٣هـ ينظر الطبري ٤٨٢/٥ وما بعدها.

بالقضيب فَمَ الحسين عليه السلام، فإنه لَمَّا قُتِلَ وَحُمِلَ رأسه إليه قَرَع ثناياه بالقـــضيب، وقد كان رسول الله ﷺ يُقبِّلها، وتمثل يزيد عند نكته ثناياه بالقضيب بأبيات ابن الزَّبْعَرى:

ليت أشياخي ببـــدر شـــهدوا		جزع الخزرج من وقع الأسل[1]

إلى آخرها ، وزاد فيها:

لأَهَلُّـــوا واسْـــتَهَلُّوا فرحًـــا		ثُمَّ قالوا يـــا يزيـــدُ لا شـــلل
لستُ من عتبَةَ[2] إن لم أنـــتقم		من بني أَحْمَدَ مـــا كـــان فعـــل

فقال له بعض القآئلين:نَحِّ قضيبَك عن فمه فأشهدُ لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُ موضع قضيبك منه. ورُوينا عن ابن عباس أنه قال:اشـــتد برســـول الله ﷺ مرضُه الذي مات منه، فَحَضَرْتُه وقد ضَمَّ الحسينَ عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقـــه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول:((مَا لِي وَلِيَزِيدَ؟ لا بَارَكَ اللهُ فيه، اللَّهُمَّ الْعَنْ يزيدَ. ثم غُشِيَ طويلاً وأفاق فجعل يُقبِّل الحسينَ، وعيناه تَـــذْرُفَانِ، ويقـــول:((أَمَـــا إنَّ لي وَلِقَاتِلِكَ مَقَامًا بينَ يَدَيِ اللهِ)).

واختُلِفَ في سبب موت يزيد، فقيل:سَكِرَ فرقص وسقط فأصاب رأسَه الْهَاوَنُ فانصدع. وقيل:اندقت عنقه[3]. وفيه يقول الشاعر:

---

(١) البداية لابن كثير ٨/ ٢٢٢ .

(٢) لعله يشير إلى عتبة بن ربيعة والد أمه .

(٣) ينظر سير أعلام النبلاء ٣٧/٤، وقال:وعن محمد بن أحمد بن مسمع قال:سكر يزيد فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه، وقال:وكان ناصبيًا، فظا غليظا، جلفا، يتناول المسكر، ويفعـــل المنكـــر ، افتتح دولته بمقتل الحسين، واختتمها بواقعة الحرة.

أبني أمية إن آخــر ملككــم		جسد بَحُوَّارين[1] ثَــمَّ مقــيم
جاءت منيتهُ وعنــد وســادِهِ		زِقٌّ وكــوزٌ زاعــف مزنــوم
وَمُرِنَّةٍ تبكــي علــى شَـنَواتِه		بالصُّبح تَقعــد تــارةً وتقــوم

ومثالبه أكثر من ذلك، فَلْنقتَصِرْ على هذا القدر منها. وبذلك ثبت الكـــلام في المسألة الثانية من مسائل الإمامة.

المسألة الثالثة: في إثبات الإمامة بعد الحسن والحسين في أبنائهما (ع) دون غيرهم: وفيها ثلاثة فصول:

الأول: في إثبات الإمامة فيهم دون غيرهم ما بقي التكليف. **والثاني**: في ذكـــر طرف يسير من فضائلهم ومناقبهم. **والثالث**: في ذكر أَتْبَاعِهِم وفضائلهم.

أما الفصل الأول: وهو في إثبات الإمامة بعدهما في أبنائهما الطاهرين عليهم صلوات رب العالمين ففيه مبحثان:

أحدهما: في الدلالة على أنها لا تَجوز فيمن عداهم. **والثاني**: في الدلالـــة علـــى جوازها فيهم، وبذلك يتم غرضنا من أنها محصورة فيهم.

أما المبحث الأول: وهو في الدلالة على أن الإمامة لا تجوز فيمن عداهم ما بقي التكليف ؛ فالذي يدل على ذلك أن العترة أجمعت على ذلك وإجماعُهم حجة على

---

(١) بلد بجانب حمص .

ما بَيَّنَّا ذلك في كتاب الإرشاد، وفي كتاب النظام فثبت قولنا[1]:أنها لا تجوز فيمن عداهم ما بقي التكليف ، وبذلك ثبت المبحث الأول.

وأما المبحث الثاني:وهو في الدلالة على جوازها فيهم؛ فالذي يدل على ذلك أن الإمامة شرعيةٌ؛ إذ العقل يقضي بقبحها؛ لأنها تقتضي التصرف في أمور ضارَّةٍ نحو القتل والصلب والجلد ونحو ذلك، فيجب أن يكون دليلُها شرعيًا، وهو إجماعُ الأمة على جوازها فيهم، وإجماع العترة على جوازها فيهم لا في غيرهم[2]. وقول الإمامية باطِلٌ[3]؛ لأن التعبد بالإمامة عَامٌّ، فلو كان ما ادعوه من النص صحيحًا لوجب أن يكون ظاهرًا مشهورًا، ومعلوم أنه غير ظاهر ولا مشهور؛ فصح قولنا:إنَّها جائزة في أهل البيت (ع)، وإنها فيهم محصورة، وعلى سواهم ما بقي التكليف محظورة.

فإن قيل:قد دللتم على أنها فيهم محصورة وعلى من سواهم ما بقي التكليف محظورة فما الذي يدل على وجوب الإمامة؟ قلنا:الذي يدل على ذلك وجهان:أحدهما أن الصحابة (رض) أجمعت على وجوبها وإجماعهم حجة على ما فصلنا ذلك في كتاب النظام.

الوجه الثاني:قول الله سبحانه:﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ

---

(١) في (ب) ، (ج):على أنها .
(٢) ينظر الدعامة ص١١١. المطبوع تحت عنوان: نصرة مذاهب الزيدية.
(٣) يشير إلى قول الإمامية بأن الأئمة أثنا عشر نصَّ النبي ﷺ عليهم بأسمائهم وأوصافهم وتفاصيل حياتهم بدقة فالمؤلف يقول:إن كلامهم لو كان صحيحًا لما أستأثر بعلمه الإمامية دون سواهم إذ لا سبب يسوغ ذلك.

جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢]، وقوله تعالى:﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائـدة:٣٨]، ونحو ذلك من آيات الحدود، ووجه الاستدلال بهذه الآيات أن الله تعالى أمرنا بإقامة الحدود على الإطلاق من دون أن يُعَلِّق ذلك بشرط، والأمر يقتضي الوجوب فكان ذلك واجبًا، وذلك لا يتم إلا بوجوب الإمام فيجب أن تكون الإمامة واجبة.

وتحقيق هذه الدلالة أنها مبنية على خمسة أصول قد فصلناها وأوضحناها في كتاب النظام، والغرض هاهنا هو الاختصار.

فإن قيل:فهل[1] تعتبرون في الإمامة شروطًا مخصوصة أو لا ؟ فإن كنتم تعتبرون شيئًا من ذلك فَبَيِّنوه، قلنا:إن للإمامة شروطًا:منها أن يكون الْمُدَّعي لها حرًا، وأن يكون فاطميًا يعتزي بنسبته من قبل أبيه إلى الحسن أو الحسين (ع)، وأن يكون بالغًا. عاقلاً. قويًّا على تدبير الأمر بحيث لا آفة به تمنعه ولا نقص في عقله يوهنه عن النظر في أمور الدين. وأن يكون مؤمنًا شديدَ الغضب لله على المجرمين كثير التَّحَنُّنِ بالمؤمنين. وأن يكون وَرِعًا في الظاهر، وتفسيره:أن يكون كافًّا عن المحرمات، قائمًا بالواجبات، فيكون عدلاً ظاهر العدالة في ظاهر الحال دون باطنه، وأن يكون شجاعًا بحيث لا يَجْبُنُ عن لقاء أعدآء الله تعالى، ويجب أن يكون له من المواطن المشهورة ما يُعْلَمُ به شجاعتُه، ويُستَدَلُّ به على رباطة جأشه، وثبات قلبه حتى يُعَدَّ شجاعًا وإن لم يكثر قَتْلُه وقتاله. وأن يكون سَخِيًّا بحيث لا يكون معه بخل يمنعه عن وضع الحقوق في مواضعها ودفعها إلى مستحقيها.

---

(١) في (ب) ، (ج): هل.

وأن يكون عالِمًا بتوحيد الله تعالى وعدله وما يتفرع عليهما، وبجميع أصول الشرائع، فَهِمًا بأوامر القرآن، والسنة، ونواهيهما، وعامِّهما، وخاصِّهما، وَمُجْمَلِهَما، وَمُبَيِّنِهِمَا، وناسخِهِما، ومنسوخِهِما، عارفًا بما اشتمل عليه كتابُ الله تعالى من اللغة، وبجملة من النحو إن لم يكن عربي اللسان بصيرًا بمواضع الإجماع، وَطَرَفٍ من الخلاف، عارفًا بجملةٍ من الأخبار، وبما يوجب العِلْمَ منها والعَمَلَ، وبما يوجب العَمَلَ منها دونَ العِلْمِ ، وأن يكون عالِمًا بجملة من وجوه الاجتهاديات والمقاييس؛ ليمكنَه رد الفرع إلى أصله، وما لابُدَّ منه في هذا الفن من العلم بأحكام أفعال النبي عليه السلام وتقريراتِه، وأفعال العترة (ع) ، وتقريراتهم، وأفعال الأمة وتقريراتهم.

وأن يكون فاضلاً بحيث يكون أشهر أهل زمانه بالزيادة على غيره في خصال الإمامة. وأن يكون له من جَوْدَةِ الرأي وحُسْنِ التمييز ما يقتضي أن يُفْزَعَ إليه في المشورة عند التباس الأمور، ولا يجب أن يكون أسدَّ[1] الأمة رأيًا، ولا أن يكون أعلمَهم ولا أسخاهم ولا أشجعَهم؛ لأن ذلك مِمَّا يتعذر العلم به فيكون القول بوجوب اعتباره ساقطًا.

والذي يدل على اشتراط هذه الشروط أن الصحابة (رض) أجمعت عَلَى وجوب اعتبارها في الإمام، عَلَى ما ذكرناه في كتاب النظام وبيناه، لا يخرج عن إجماعهم إلا اعتبارُ كونه فاطميًا فلم يُجْمِعُوا عليه، وقد دللنا على وجوب اعتبار

---

(١) في (الأصل): أشَدَّ، وهو خلاف الأظهر.

كونه فاطميًا فيما تقدم ، فلا فائدة في إعادته وبذلك ثبت الكلام في الفصل الأول ، وهو في ثبوت الإمامة في أهل البيت (ع) دون غيرهم ما بقي التكليف[1] .

وأمَّا الفصل الثاني:

وهو في ذكر طَرَفٍ يسير من فضائلهم ومناقبهم

فاعلم أنَّ الأخبار في فضائلهم ومناقبهم، مدونةٌ في الكتب المبسوطة، ولا يمكن حصرها ولا حصر عُشُرِها في كتابنا هذا، فإنَّا رُوينا أنَّ حَيَّ الفقيه العالم الزاهد بقيةَ الحفاظ فخرَ الدين زيد بن الحسن البيهقي الخراساني رحمة الله عليه ورضوانه[2] ما كان أكثر ما دعاه إلى الخروج إلى اليمن إلا الرغبة في زيارة قبر الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ (ع)، وكانَ يروي فضائلَ أهل البيت (ع) ومناقبَهم بالأسانيد الصحيحة إلى رسول الله ﷺ في يوم الخميس ويوم الجمعة كُلَّمَا دَارَا في

---

(١) قاعدة الحكم عند المسلمين لم تقم أساسًا، فالبعض يجيزها للغاصب والظالم ويوجب طاعته وبعضهم يجيزها بالوصية والوراثة وبعضهم يحصرها في قريش، والإمامية قصرتها على إثنى عشر من أهل البيت من نسل الحسين، وبعضهم يجيزها في العرب والعجم، والزيدية تحصرها في أولاد فاطمة بشروط معروفة، ويااليت الشروط اكتملت في الحكام وكانوا من مسلمي الجن .

(٢) هو إمام المعقول والمنقول الزيدي، اشتهر بنسبته إلى جدِّه، قال القاضي أحمد بن سعد الدين: إنه زيد بن علي بن الحسن بن علي. تتلمذ على يد الحاكم الجشمي وغيره، كان كثير العبادة والورع، واسع الهمة، ممن اتصل إسناد المجموع بهم، تخرج عليه الكثير من علماء اليمن والعراق. خرج إلى اليمن سنة٥٤١هـ وأخذ عليه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام، والذي قدم عليه إلى هجرة محبكة ومعه كتب غريبة وعلوم عجيبة فَسُرَّ به الإمامُ وتلقاه، وكان ممن أخذ عليه أيضًا القاضي جعفر بن عبدالسلام، وكان السبب في رجوع الكثير من المطرفية. توفي بتهامة اليمن راجعًا إلى العراق عام٥٥١هـ، وموضع قبره في جهة الشقيق على بعد يوم من مدينة صبيا المسماة الآن بالثِّرَّآء وهو مشهور مزور. ينظر التحف ص٢٣٥. وتراجم الرجال للجنداري ص١٤. والفلك الدوار ص١١٣. والروض النضير ١/١٥. ومطلع البدور (خ).

سنة كاملة، لَمْ يُعِدْ خَبَرًا مما رواه في فضائلهم ومناقبهم إلى أن كَمُلَت الـــسَّنَةُ[1]، ويُفِيدُ المسلمين في سآئر العلوم في غير هذا الفن من فنون العلـــم في غـــير هـــذين اليومين، فإذا كان كذلك- وهو عالم واحد- كيف ممن عداه من سآئر العلمـــآء؟[2].

واعلم أن أهل البيت (ع) على ضربين: **منهم** من ورد فيه النص معينًا باسمه، أو لقبه أو بهما جميعًا، أو وُصِفَ بصفةٍ هي كالإشارة إليه، وكالتنبيه عليه. ومنهم من شمله ما ورد من الفضائل **فيهم** عامة. فَلْنَذْكُرِ الضرب الأول واحدًا واحدًا، ونذكر طَرَفًا مما ورد فيه على الخصوص، ثم نُتْبِعُ ذلك بذكر نبذة مما ورد في جماعتهم على وجه العموم فنقول وبالله التوفيق.

أولهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وفضائلُه كثيرةٌ **منها**: قولُ الله سبحانه: ﴿إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُواْ الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، نزلـــت في علـــي (عليه السلام) لَمَّا تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة، وعلى ذلـــك إجمـــاعُ العتـــرة (ع).

---

(١) في هامش (ب): بل مدة سنتين ونصف ، ذكر ذلك. والجنداري في تراجم رجال شرح الأزهـــار ص١٥. ومطلع البدور ٢/١٣٥ (خ).

(٢) هذا العالم موسوعي، فعندما يورد النص يُسهب في الاستطراد والاستشهاد ويتعمق في البحـــث وإثـــارة دفائن النصوص ومدلولاتها بحيث يمكنه أن يشرح حول النص الواحد شهرًا كاملاً أو أسبوعًا أو نحو ذلـــك ولا أظن بأنه في هذه المدة يسرد الأحاديث سردًا، ثم إن الحديث إنما هو في يـــومين في الأســـبوع، ولعلـــه يقتصر على حديث أو اثنين فيذكر الإسناد وأحوال الرجال ويتعرض لشيء من سيرهم وهكذا، كما يحتاج للاستشهاد بالقرآن ونحوه، فلا يظن المطلع أن في كلام المؤلف مجازفة.

وإجماعُهم حجة[1] كما تقدم بيانه.

ومنها قوله تعالى:﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٦-٤٧]. **رُوي**[2] عن عبدالله بن العباس (رض) أنَّ الأعراف موضع عالٍ على الصراط، عليه العباسُ وحمزةُ وعليٌّ وجعفرٌ (رض) يَعْرِفُون محبيهم ببياضِ الوجوه، ومبغضِيْهم[3] بسواد الوجوه[4]، تَمَّ كلامه (رض). ومتى قيل:فَلِمَ تأخر دخولهم الجنة؟ قلنا:لأنهم تعجلوا اللَّذةَ بالشماتة على الأعدآء، وإن تَأخَّر دخولهم لظهور فضلهم، وجلالة موقعهم فيشمتون بأهل النار، ويهنئُون أهل الجنة وهم يطمعون، وهو طَمَعُ يقينٍ كقول إبراهيم عليه السلام:﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾[5] [الشعرآء:٨٢].

ومنها قوله تعالى:﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [المجادلة:١٢]. ذكر علمآء التفسير أن الصحابة كانوا قد أكثروا السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الأغنيآء ربما يَتَوَلَّوْنَ ذلك

(١) بل وإجماع المفسرين. ينظر الدر المنثور ٢/٥١٩ والطبري مج٤ ج٦ص٣٨٩ . وفتح القدير ٥٣، وقد سبق تخريجها.

(٢) في (ب):وروي.

(٣) في (ب):ومبغضهم.

(٤) مجمع البيان ٤/٢٦١، وذكر أن الثعلبي ذكره بالإسناد في تفسيره.

(٥) وهو قول الحسن وأبي علي الجبائي. أنظر مجمع البيان ٤/٢٦٢.

دون الفقرآء، فأراد الله أن يخفف على نبيه، ويرفعَ منزلةَ الفقرآء، فنزلت آيةُ الصدقة قَبْلَ المناجاة، وهي ما تقدم ذِكْرُها فبَخِل الأغنياء بِمَالِهِمْ، فما ناجاهُ إلاَّ عَليٌّ عليه السلام قَدَّم دينارًا ثم ناجاه، فما عمل بهذه الآية، منهم سواه بلا خلاف بين المحصلين من الرواةِ، ولهذا قال عليه السلام:إنَّ في كتابِ الله لآيةً ما عَمِلَ بها أحدٌ قبلي، ولا يَعْمَلُ بها أحد بعدي[1]. وهو صادقٌ في قوله؛ لأنَّ الله نسخ حُكْمَها بقوله تعالى:﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾..الآية. [المجادلة:١٣].

ومنها قوله تعالى:﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ﴾.. الآية [الحج:١٩].

روى الإمام الحاكم العالم أبو سعيد المحسن بن كرامة الجشمي رحمه الله[2]، بإسناده

---

(١) الزمخشري ٤ / ٤٩٤ . والقرطبي مج٩ ج١٧ ص١٩٧ . وشواهد التنزيل ٢ / ٢٣١ رقم٩٤٩-٩٦٢.والدر المنثور ٦/٢٧٢. وتفسير الطبري مج١٤ج٢٨ص٢٧. ومفاتيح الغيب مج١٥ ج٢٩ ص٢٧٣. ومجمع البيان مج٩ ج٢٨ ص٤١٧ .

(٢) هو أبو سعيد الْمُحَسِّن بن كرامة الجشمي البيهقي الحاكم ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية ، ولد ٤١٤هـ ونشأ نشأة كريمة تليق بمكانة أسرته، بإقليم خراسان. شهرته تغني عن التعريف به فهو علامة عصره، وفريد دهره في علم التفسير والعدل والتوحيد، وكتبه شاهدة له بالتقديم والتبريز، كان معتزليًا في الأصول وحنفيا في الفروع، لكنه تحول إلى مذهب الزيدية . وتوفي شهيدًا بالبلد الحرام على يد المجبرة ٤٩٤هـ، بسبب تأليف كتابه العجيب ((رسالة أبي مرة إلى إخوانه المجبرة)). وقيل:اسمها ((رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس)) وقد اطلعتُ عليها فبهرتني بأسلوبها الرائع البديع. وله التهذيب في التفسير. قيل:إن الكشاف مأخوذ منه بزيادة تعقيد. وتنبيه الغافلين عن فضائل أمير المؤمنين وخصصه في الآيات التي نزلت في الإمام علي، وفي سائر أهل البيت، ثم يذكر الآثار الدالة على أنها نزلت فيهم، وعيون المسائل وشرحه. والمؤثرات. والإمامة. وتنزيه الأنبياء والأئمة. وجلاء الأبصار في تأويل الأخبار. والسفينة. والرسالة الغراء. وترغيب المبتديء وتذكرة المنتهي. ونصيحة العامة. والمنتخب في فقه الزيدية. وغيرها. ينظر مطلع البدور. ولوامع الأنوار ١/٤٥٤. وللدكتور عدنان زرزور رسالة حول الحاكم ومنهجه في التفسير.

إلى قيس بن عباد القيسي[1]، قال:سمعتُ أبا ذر يُقسم قَسَمًا أن هذه الآيــة، وهـــي قوله تعالى:﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ﴾. إلى آخرها، نزلت في الذين بَرَزُوا يـــوم بدر، الثلاثة والثلاثة:علي وحمزة وعبيدة، وعتبة وشيبة والوليد[2].

ومنها: ما رواه الحاكم أيضًا بإسناده إلى عبدالله بن العباس أنه قال:ما أنزل الله في القرآن:﴿يَآ أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ﴾، إلا وعليٌّ أميرُها وشريفُها، ولقـــد عاتـــب الله أصحاب محمد في غير آية من كتابه وما ذكر عليا إلا بخير[3].

ومنها: ما رواه أيضًا عن عبدالله بن العباس رضي الله عنه أنه قال:في قوله تعالى:﴿الّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللّيْلِ وَالنّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾ [البقـــرة:٢٧٤]، نزلت في علي بـــن أبي طالب، لم يملك من المال إلا أربعةَ دراهمَ:تَصَدَّق بدرهم ليلاً، وبـــدرهم نهـــارًا، وبدرهم سرًا، وبدرهم علانية. فقال رسول الله:ما حملك على هذا ؟ فقال:حملـــني

---

(١) تابعي من أهل البصرة، قدم المدينة أيام عمر بن الخطاب، وكان ثقة، قليل الحديث، روى لـــه الجماعـــة سوى الترمذي، وهو ترابي، وخرج مع ابن الأشعث، قتله الحجـــاج. ينظـــر تهـــذيب الكمـــال ٢٤/٦٤، وطبقات ابن سعد ٧/١٣١.

(٢) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين للحاكم ١٦٧، والبخـــاري [٤ / ١٤٥٨ رقـــم٣٧٤٧. وص١٤٥٩ رقم٣٧٤٨ ، ٣٧٤٩ ، ٣٧٥٠ ، ٣٧٥١]. ومسلم في التفسير باب قوله تعالى: ﴿هَـٰذَانِ خَصْمَانِ﴾.. ، [٤ / ٢٣٢٣ رقم٣٠٣٣]. والحاكم في شواهده [١/٣٨٦ رقم٥٣٢ ، ص٣٩٢ رقم٥٤٤]. وذكره المزي في ترجمة قيس بن عباد ٢٤/٦٩، وقال:أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من حديث هشيم؛ فوقع لنا بدلا عاليا . وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة من حديث ابن مهدي عن سفيان عن أبي هاشم ؛ فوقـــع لنـــا عاليا بدرجتين، وليس له عند ابن ماجة غيره.

(٣) الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص٣١، والحاكم الحسكاني في شواهده ١ / ٤٩-٥٤ رقـــم ٧٠-٨٢. وحلية الأولياء لأبي نعيم ١/١٠٣ . وكنز العمال ١١/٦٠٤ رقم ٣٢٩٢٠، وفي كفاية الطالـــب ص١٤٠، وقال: هكذا رواه البخاري وقد وقع إلينا عاليا من هذه الطريق. وابن عساكر في تاريخ دمشق بست طرق ٢/٤٢٨. رقم ٩٣٥.

عليه أن أستوجب على الله ما وعدني. فقال ﷺ:((ألا إنَّ ذلك لك))، فأنزل الله هذه الآية[1].

ومنها:ما رواه أيضًا بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنه قال:لَمَّا خرج رسول الله ﷺ ليلة الغار، وبات علي على فراشه يَقِيه بنفسه–أهبط الله جبريل على رأسه وميكائيل على جسده، يقولان:بخ بخ لك، مَنْ مثلُك يابنَ أبي طالب يُبَاهي الله بك الملائكة. فأنزل الله تعالى:﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللّهِ ﴾.. الآية[2]. [البقرة:٢٠٧].

ومنها:ما رواه أيضًا بإسناده عن أنسٍ في قوله تعالى:﴿أَمّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ اللّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الاَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبّهِ ﴾... الأية. [الزمر:٩]، نزلت في علي بن أبي طالب[3].

ومنها قوله:﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاّ يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة:١٨] نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة لَمَّا باهاه. رواه الحاكم أيضًا عن الحسن بن علي (ع) وعن غيره[4].

---

(١) تنبيه الغافلين ٤١، والواحدي في أسباب الترول ص٧٦. والطبراني في الكبير ٩٦/١١ رقم١١١٦٤. وشواهد التتريل للحسكاني ١٠٩/١ رقم ١٥٥. وص١١٥ رقم ١٦٣. والدر المنثور ١/ ٦٤٢. وأسد الغابة ٩٨/٤. وابن عساكر في ترجمته ٤١٣/٢ بطريقتين.

(٢) تنبيه الغافلين ٣٨، وشواهد التتريل ١ / ٩٦ رقم ١٣٣–١٤٢ . ومجمع البيان ج٢ص٥٦.

(٣) تنبيه الغافلين ٢٠٤، وتفسير فرات الكوفي ص٣٦٣.

(٤) أخرجه الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ١٨٩، والحاكم الحسكاني ٤٤٦/١ برقم ٦١٠–٦٢٣. وتفسير فرات ص٣٢٨. والواحدي في أسباب الترول ص٢٩١. والدر المنثور ٣٤١/٥. والطبري مج١١ ج٢١ ص١٢٩.

ومنها:ما ذكره محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن ابـــن عبـــاس في قولـــه تعالى:﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:٧]، فأومأ بيده إلى علي فقال:((أنتَ الهادي، يا عليُّ بك يهتدى المهتدون من بعدي))[١].

ومنها:قوله تعالى:﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾. [الصافات:٢٤] يعني عـــن ولايـــة علي بن أبي طالب .ذكره أبو الأحوص عن أبي[٢] إسحاق[٣].

ومنها:ما رُوِينَاه عن أبي خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي (ع) أن رسول الله ﷺ قال:في قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴾ [مريم:٥٠]، قال:((أنتَ اللِّسانُ يا عليُّ، بولايتك يهتدي المهتدون))[٤].

ومنها:ما رويناه عن الإمام الناصر للحق بإسناده إلى عليٍّ (ع) أنه قال في قوله تعالى:﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هـود:١٧] قال:على بينة من ربه رسولُ الله، ويتلوه شاهدٌ منه أنا، وفيَّ نزلت[٥].

ومنها:ما رواه أيضًا بإسناده أنَّ قوله تعـــالى:﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ

---

(١) الحاكم في شواهد التنزيل ١ /٢٩٣ رقم٣٩٨-٤١٥. والطبري في تفسيره مج٨ ج١٣ص١٤٢. والـــدر المنثور ٤/ ٨٧، والمستدرك ٣ / ١٢٩. والرازي في تفسيره مج١٠ ج١٩ ص٢٠.

(٢) في (ب) ، (ج): ابن، وهو تصحيف ، والمقصود به أبو إسحاق السبيعي كما في الحاكم الحسكاني.

(٣) انظر شواهد التنزيل ٢ /١٠٦-١٠٨ رقم٧٨٥-٧٩٠. ومجمع البيان ٨/٣٠١.

(٤) شواهد التنزيل ١ / ٣٥٧ رقم٤٨٨ ذكر أنها نزلت في علي.

(٥) أنظر الحاكم الجشمي ١٤٤، وشواهد التنزيل ١ / ٢٧٥-٢٨٢ من رقم ٣٧٢-٣٨٧. وتفسير الحـــبري ص٢٧٩. وابن المغازلي في المناقب ص١٧٥ رقم٣١٨. والطبري في تفسيره مج٧ ج١٢ ص٢٢. والسيوطي في الدر المنثور٢/٥٨٦ .

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ ﴾ [التوبة:١٩]، نزلت في علـــي بـــن أبي طالـــب[١].

ومنها:قوله تعالى:﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٢]. رُوينا عن رسول الله ﷺ أنـــه قال:سألتُ الله أن يجعل ذلك الأُذنَ عليا ففعل[٢].

ومنها:قوله تعالى:﴿إِنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب:٥٧] يعني أوليآء الله نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام[٣]. وتصديقُ ذلك ما رويناه عن زيد بـــن علـــي بإسناده إلى علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال:((مَنْ آذى شَعَرَةً منك فقد آذاني)). الْخَبَرَ بطوله[٤]. ونظيره ما رُوِيناه عن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام يرفعه بإسناده إلى النبي عليه السلام أنه قال:((مَنْ أَحَبَّك فقد أحبَّنِي.. إلى آخره[٥].

---

(١) شواهد التتريل ١ / ٢٤٤-٢٥١ رقم٣٢٨-٣٣٩ . والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ٣٩٥. والطـــبري في تفسيره مج٦ ج١٠ ص١٤٢٦٤. وابن المغازلي في المناقب ص١٩٨ رقم٣٦٧ ، ٣٦٨.

(٢) الحاكم في تنبيه الغافلين ١٢٩، والكشاف ج٤ص٦٠٠ . والطبري في تفـــسيره مـــج١٤ ج٢٩ ص٦٩ . والرازي في مفاتيح الغيب مج١٥ ج٣٠ ص١٠٨. والدر المنثور ٦ / ٤٠٧ . والقرطبي في تفـــسيره مـــج٩ ج١٧ ص١٧١. والحاكم الحسكاني في شـــواهد التتريـــل ٢ / ٢٧٢-٢٨٤ مـــن رقـــم١٠٠٧-١٠٢٩. والواحدي في أسباب الترول ص٣٦١. والعمدة لابن البطريق ص٣٥٢ وعزاه إلى الثعلبي. وحلية الأوليـــآء ١/١٠٨.

(٣) شواهد التتريل ٢ / ٩٣ رقم٧٧٥، وتنبيه الغافلين ١٩٧.

(٤) شواهد التتريل ٢ / ٩٨ رقم ٧٧٦، وتنبيه الغـــافلين ١٩٧، في الحـــديث المسلـــسل عـــن أبي خالـــد الواسطي:قال:حدثني زيد بن علي وهو آخذ بشعرة قال:حدثني علي بن الحـــسين وهـــو آخـــذ بـــشعرة قال:حدثني الحسين بن علي، وهو آخذ بشعرة، قال:حدثني علي بن أبي طالـــب وهـــو آخـــذ بـــشعرة ، قال:حدثني رسول الله ﷺ وهو آخذ بشعرة: ((من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقـــد آذى الله ، ومن آذى الله فعليه لعنة الله)).

(٥) الأحكام ٢/٥٥٥ في باب:القول في فضل من يوالي آل محمد ، والخبر:((يا علي من أحب ولـــدك فقـــد أحبك، ومن أحبك فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبه الله، ومن أحبه الله أدخلـــه الجنـــة. ومـــن أبغـــضهم أبغضك، ومن أبغضك أبغضني، ومن أبغضني أبغض الله، ومن أبغض الله كان حقيقًا علـــى الله أن يدخلـــه

ومنها: قوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:5].. الآية، هو علي عليه السلام[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم:96]؛ فإنها نزلت في علي عليه السلام، فما مؤمن ولا مؤمنة إلاَّ وفي قلبه محبةٌ لعلي[2] عليه السلام[3]. وأضاف اللهُ المحبةَ إلى نفسه تعالى مِنْ حيثُ أمر بها، ولطف فيها. وقيل: من حيث وهب لعلي من الخصال ما يحب لأجلها.

وعن زيد بن علي عليه السلام عن علي عليه السلام أنه قال: لقيني رجل فقال: يا أبا الحسن أما والله إني لأُحِبُّكَ في الله، فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرتُه بقول الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ اصطنعتَ إليه معروفًا؟ قال لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحمدُ لله الذي جعلَ قلوبَ المؤمنين تتُوقُ إليك بالمودةِ))، قال: فنزلت الآية[4]. **وعن** عمَّار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي: ((طُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وصدَّق فيك، وويلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَّبَ فيك))[5]. **وعن** أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي: ((مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُكَ فقد كَذَبَ))[1].

النار)). أو درر الأحاديث ص٥١ للهادي.

(١) في شواهد التنزيل ١ / ٦٧ رقم ٦ . ١ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني بيانا ونورا للمتقين علي بن أبي طالب الذي لم يشرك بالله طرفة عين.

(٢) في (ب): لعلي بن أبي طالب.

(٣) أنظر شواهد التنزيل ١ / ٣٥٩ رقم٤٨٩ ، ص٢٦٧ رقم٥٠٩ . وابن المغازلي ص٢٠١ رقم٣٧٤-٢٠٢ رقم٣٧٥. والدر المنثور ٢ / ٥١٢، والكشاف ٣ / ٤٧ . والطبراني في الأوسط ٥/٣٤٨ رقم ٥٥١٦. والثعلبي في تفسيره كما ذكره بن البطريق في العمدة ص٣٥١. والمناقب للكوفي ١/١٩٤.

(٤) أمالي أبي طالب ص٦٨، كفاية الطالب عن زيد بن علي عن آبائه (ع) ص٢٤٨.

(٥) المرشد بالله في أماليه ١ / ١٤٢ . والحاكم في مستدركه ٣ / ١٣٥. وابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٩١ . والخطيب في تاريخه ٩ /٧٢.

زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُكَ فقد كَذَبَ))[1].

والأخبارُ كثيرٌ في هذا. **وعنه** صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي عليه السلام:((لا يُحِبُّكَ إلا مُــؤمن، ولا يُبْغِضُكَ إلاَّ مُنَافِقٌ))[2] إلى غير ذلك من الآيات فإنها أكثرُ من أن نُحصِيَه هاهنا. و لم نذكر ما ذكرناه من الآيات النازلة في أمير المؤمنين عليه السلام إلا لكونهــا أقــوى في الحجة، وأبلغ في إيضاح المحجة، إذ ما يتعلق بالقرآن هو شفآء كلِّ ســقيم، وهــو الدوآء من الدآء العقيم. وإذْ قد ذكرنا طرفًا مما يتعلق بالقرآن فَلْنَذْكُرْ طرفًا مما يتعلق بالسنة. **فمن** ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((مَنْ أرادَ أن ينظرَ إلى آدم في عِلمِه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حِلْمه، وإلى يحيى بن زكريا في زهده، وإلى موســى بــن عمران في بطشه ، فلينظر إلى علي بن أبي طالب))[3].

ومنها كَسْرُهُ للأصنام:كما فعل إبراهيم الخليــل عليه السلام، قــال الله تعــالى في إبراهيم:﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً ﴾ [الأنبيآء:٥٨]، وعن علي عليه السلام أنه قال:انطلق بي رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أتى الكعبةَ، فقال لي:اجلس فجلستُ إلى جنب الكعبــة، فــصعد رسولُ الله صلي الله عليه وآله على منكبي، ثم قال لي:انْهَضْ فنهضتُ؛ فلمــا رآى ضعفي تحته قال لي:اجلس فجلستُ، فنزل وقال:يا عليُّ اصْعَدْ على منكبي فصعدتُ

(١) الاعتصام ١ / ٦٢ . والبداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٣٩١ .

(٢) هو حديث متواتر رواه الأئمة ، رواه المرشد بالله ١ / ١٣٥. وابن المغازلي الشافعي ص١٣٧ رقــم ٢٢٥ ص١٣٨ رقم٢٢٩-٢٣١. والترمذي ٥ / ٦٠١ رقم٣٧٣٦ . أحمد بــن حنبــل في مــسنده ١٧٦/١٠ رقم٢٦٥٦٩ . والنسائي في السنن ٨ / ١١٦ رقم ٥٠١٨ في الخصائص بثلاث طرق ص١٠٢ رقــم ٩٩، ومسلم بلفظ: ((لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق..)) ، ١ / ٨٦ رقم٧٨ ، وغيرهم كثير.

(٣) المرشد بالله في أماليه ١ / ١٣٣ بلفظ: من أراد أن ينظر إلى موسى في بطشه ، ومن أراد أن ينظر إلى نوح في حلمه فلينظر إلى علي بن أبي طالب. وذخائر العقبى ص٩٣، ولوامع الأنوار ٢ / ٦٣٨.

على مَنكِبِه، ثم نهض بي، فَلَمَّا نهض خُيِّل إليَّ أني لَوْ شِئْتُ نِلْتُ أُفُقَ السَّمآء، فصعدتُ فوق الكعبةِ، وَتَنَحَّى النبيُّ ﷺ فقال:ائتِ صَنَمَهُم الأكْبَرَ صَنَمَ قُريشٍ، وكان من نحاس موتدًا بأوتادِ حَدِيد إلى الأرض فقال لي:عَالِجْهُ وكان يقول:إِيهٍ إيهٍ جآء الْحق وزهق الباطل إنَّ الباطلَ كانَ زهوقا، فلم أزلْ أعالجه حتى استمكنتُ منه، فقال لي:اقْذِفْهُ فقذفتُه وتكسر، ونزلتُ من فوق الكعبة فانطلقتُ أنا والنبيُّ ﷺ نسعى، وخشينا أن يرانا أحد من قريش، أو غيرهم[(١)].

ومنها: مبيته على فراش رسول الله ﷺ تسليمًا لنفسه. كما فعله إسماعيل عليه السلام في تسليمه لنفسه إلى أبيه إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام ليذبحه، وروينا عن عبدالله بن العباس وغيره قالوا:شرى على نفسه فلبس ثوب رسول الله ﷺ، ثم نام على مكانه قال ابن عباس:وكان المشركون يَرْمُون رسول الله ﷺ فجآء أبو بكر -وعليٌّ نائمٌ- وأبو بكر يحسب أنه رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله، فقال له علي:إنَّ نبيَ الله قد انطلقَ نحوَ بئرِ ميمون فَأَدْرِكْهُ، قال فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، وجعل عليٌّ يُرْمَى بالحجارة كما يُرْمَى رسول الله وهو يَتَضَوَّر[(٢)]، وقد لَفَّ رأسه في الثوب لا يخرجه، فلما أصبحوا قام علي عن فراشه فعرف المشركون أنه ليس بالنبي فترل

---

(١) المستدرك ٣٦٦/٢. ومسند أحمد ١٨٣/١ رقم٦٤٤. والخطيب في تاريخه ٣٠٢/١٣. والكشاف ٦٨٨/٢ في تفسير:﴿جَآءَ الْحَقّ﴾.. . والمحب الطبري في الذخائر ص٨٥. وابن أبي شيبة ج٧ص٤٠٣. والمواهب اللدنية ٣٢١/١ في فتح مكة. وقال الأمير الصنعاني في الروضة الندية ص٢٤:فعلى هذا يكون صعد مرتين قبل الهجرة وبعدها . والمناقب للكوفي ٦٠٦/٢. ومجمع الزوائد ٢٣/٦ورجاله ثقات، وقال في الرواية الأخرى:ورجاله رجال الصحيح.

(٢) التَّلَوِّيْ من الضَّرْب . القاموس ص٥٥١.

فترل قول الله تعالى:﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ الآية [الأنفال:٣٠].

وفي تلك الليلة قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

وقيتُ بنفسي خيرَ مَــنْ وَطِــئَ		وَمَنْ طاف بالبيت العتيــق وبِــالْحِجْرِ
رسولَ إلهٍ خاف أن يمكروا بــه		فَنَجَّاه ذو الطَّوْلِ الإلــه مــن المكــر
وبات رسول الله في الغار آمنًــا		مُوَقَّى وفي حفــظ الإلــه وفي ســتر
وبِتُّ أراعــيهم ومــا يُثْبِتُــونَني		**وقد وُطِّنَتْ نفسي على القتل والأسر**[١]

ومنها:فتحه للقلاع:كما فعل يوشع عليه السلام[٢]. **ومنها**:رَدُّ الشمس عليه كما فُعِلَ ليوشع عليه السلام[٣]. **ومنها:أنه قُتِلَ بسبب امرأة**:وهي قَطَام، كما فُعِل بيحيى بن زكريا عليه السلام فإنه ذُبِح في طست بسبب امرأةٍ، وهي من بني إسرائيل[٤]. وقــصةُ الجميــع

---

(١) أخرج الحادثة الحاكم في المستدرك ٤/٣، وقال:صحيح و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. والمناقــب للكــوفي ١٢٤/١. وشواهد التتريل ٩٨/١ رقم١٣٤-١٤١.

(٢) يوشع بن نون فتح مدينة الجبارين كما ذكر ذلك ابن الأثير في تاريخه ١ / ١١٣-١١٤ . والطــبري في تاريخه ١ / ٤٤٥. وابن كثير في قصص الأنبياء، وذكر الخلاف هل كان بعد وفاة موسى أم لا.

(٣) ذكر ابن الأثير في تاريخه ١ / ١١٤ أن موسى قدم يوشع إلى أريحاء في بني إســرائيل، فدخلــها وقتــل الجبارين، وبقيت منهم بقية، وقد قاربت الشمس الغروب-فخشى أن يدركهم الليل فيعجــزوه فــدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى. وقال الطبري في تاريخــه ١ / ٤٤٠ لما غربت الشمس دعا الله فقال للشمس:إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله اللهم اردد علي الشمس، فردت عليه الشمس. أقول:وهذا يقارب ما دعى به نبينا عليه وآله الصلاة والسلام في حادثــة رد الــشمس على علي عليه السلام وقد تقدم ذكر الحادثة.

(٤) ذكر في قصص الأنبياء ص٣٦٩ أن أحد حكام فلسطين يقال له:(هيرودس)، وكانت له بنت أخ يقــال لها:(هيروديا) بارعة الجمال ، أراد عمها أن يتزوج منها، وكانت البنت وأمها تريدان ذلك، غير أن يحيــى عليه السلام حَرَّمَ هذا الزواج ؛ فحقدت الأم وزينت بيتها فراودها عمها فامتنعت إلا إذا قدم لها رأس يحيى علــى

معروفة، والغرض الاختصار. **ومنها**:أنه قُتِلَ في الليلة التي رُفِعَ فيها عيسى صلوات الله عليه.كما رُوينا بالإسناد الصحيح أن عليًّا عليه السلام لما مات صعد الحسن بن علي (ع) المنبر فخطب خُطبةً بليغةً، وكان[1] مما قال:أيها الناسُ لقد فَاتَكُمْ رجلٌ ما سَبَقَهُ الأولون، ولا يُدْرِكُه الآخِرُون، إلى أن قال:ولقد قُبِضَ في الليلة التي قُبِضَ فيها يوشع بن نون، والليلةِ التي رُفِعَ فيها عيسى، والليلةِ التي أُنزل فيها القرآن[2]. **ومنها** خبر المنزلة:وقد تقدم ذكره.

ومنها:إخراجه العَيْنَ حين خرج إلى صفين، كما فعل عيسى عليه السلام، وذلك أن عليًا عليه السلام لَمَّا خرج إلى الأنبار سار إلى بَرِّيَّةٍ فأخرج بها عينًا بقرب دَيْرٍ، فَسُئِلَ الراهبُ، فقال:إنما بُنِي هذا الدَّيْر لهذا العين، وإنها عينُ راحومآء، ما استخرجَها إلا نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ، ولقد شَرِبَ بها[3] سبعون نبيًا، وسبعون وصيًا فأخبروا بذلك عليًا عليه السلام[4].

ومنها:حديث السفرجلة. وهو ما رواه ابن عباس قال:نزل جبريل في بعض الحروب، وناول عليا سَفَرجَلَةً ففتقها فإذا في وسطها حريرةٌ خضرآء مكتوبٌ عليها

طيف ففعل. تاريخ ابن الأثير ١ / ١٧٣ . وقد ذكر قصة ابن ملجم لعنه الله مع قطام عندما طلبت رأس عليٍّ مهرًا لها . الطبري ٥ / ١٤٤ فليراجع.

(١) في (ب):فكان.

(٢) مجمع الزوائد ١٤٦/٩. ومقاتل الطالبيين ٥٢. والمغازلي ص٢٥ رقم١٥. والطبري في تاريخه ١٥٧/٥. والذهبي في تاريخ الإسلام عهد الخلفاء ص٦٥٢ وأبو نعيم في الحلية ١٠٥/١. والمناقب للكوفي ٥٧٤/٢. وابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٠/٦.

(٣) في (ب): منها.

(٤) المناقب للكوفي ٣٦/٢. ونصر بن مزاحم في وقعة صفين ص١٤٥. والخطيب في تاريخه ٣٠٥/١٢.

تحيةُ الطالبِ الغالبِ على علي بن أبي طالب، فهذا كقصة الرمانة.

ومنها: حديث الرمانة. عن ابن عباس قال: بينمـــا رســـول الله ﷺ يطـــوف بالكعبة إذْ بَدَتْ رمانة من الكعبة فَاخْضَرَّ المسجدُ لحسن خضرتها فمَدَّ رســـولُ الله ﷺ يده فتناولها، ومضى رسول الله ﷺ في طوافه، فلما انقضى طوافه صلى في المقام ركعتين، ثم فَلَقَ الرمانة قسمين، فكأنها قُدَّتْ فأكل النصفَ، وأعطى عليًّا عليه السلام النِّصْف، فرنَّحت[1] أشداقُهما لعذوبتها، ثم التفت رسولُ الله ﷺ إلى أصـــحابه، فقال: ((إنَّ هذا قِطْفٌ من قُطُوفِ الجنة لا يأكله إلا نبيٌّ أو وصيُّ نبيٍّ لـــولا ذلـــك لأطعمناكم))[2][3].

ومنها: مشابهته لعيسى عليه السلام، كما رُويناه عن النبي عليه السلام أنه قال: ((أنت يا عليُّ في أمتي كعيسى بن مريم، أحبَّه قومٌ فدخلوا النارَ، وأبغضه قـــومٌ فـــدخلوا النـــار. [حاشية][4]: الذينَ أحبوا عيسى هم النصارى فأفرطوا في المحبة، فقالوا: هو ابن الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ النّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، فـــدخلوا النـــار بذلك، والذين أبغضوه هم اليهود فأفرطوا في البغض فقالوا: هو ولد زنا، وقالوا لمريم (ع): ﴿يَأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمّكِ بَغِيّاً ﴾ [مريم:٢٨] أي زانية فدخلوا النار لذلك[5]. **كذلك** علي عليه السلام أحبه قومٌ فجعلوه إلهًا، وأبغضه قـــومٌ

---

(١) رنَّح: تمايل من السكر وغيره . مختار الصحاح٢٥٨.
(٢) في النسخ: أطعمناكم، ولا بد من اللام؛ لجواب لولا، ولذلك أثبتناه.
(٣) المناقب للكوفي ٥٤٨/١ عن ابن عباس.
(٤) هكذا في النسخ.
(٥) لذلك ساقطة في (ب).

فجعلوه كافرًا. قال علي عليه السلام:يَهْلِكُ فِيَّ اثنان:مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّضُنِي [يمدحني] بما ليس فِيَّ، ومُبغض مُفْرِطٌ يحمله شنآنُه على أن يَبْهَتَنِي. ألا وإني لستُ بِنَبِيٍّ، ولا يُوحى إليَّ، ولكنني أعملُ بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعتُ، فما أمرتُكم به من طاعة الله فحقٌّ عليكم من[1] طاعتي فيما أحببتُم وكَرِهْتُم، وما أمرتكم به من معصية الله أنا أو غيري فلا طاعةَ لأحدٍ في معصية الله، إنما الطاعةُ في المعروف[2].

ورُوينا أن جماعةً جاءوا إلى علي عليه السلام وقالوا:هو ربُّهم فقال:لا. فاستتابهم فَأَبَوْا؛ فضرب أعناقَهم وحرَّقهم، وَلَمَّا همَّ بإحراقهم وتوعَّدهم بالحريق بالنار، قالوا:عرفنا أنك ربُّنا؛ لأنه لا يعاقبُ بالنار إلا الله، فضرب أعناقهم وَحَرَّقهم[3].

وأنشأ يقول:

إني إذا رأيتُ أَمرًا مُنكرًا		أوقدتّ ناري ودعوتُ قنبرا[4]

فأما الذين كَفَّروه فهم علمآء الخوارج.

ومنها:ما رواه أبو ذر، وجابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((خُلِقْتُ أنا وعَلي بن أبي طالب من نورٍ واحد، قد سَبَّح اللهَ يمنةَ العرش قبل أن خلق اللهُ آدمَ بألفي عام،

---

(١) في (ب): من ، مشطوبة بعد ثبوتها.

(٢) ابن المغازلي ١ / ٦٤ ، رقم ١٠٤. والحاكم في المستدرك ٣ / ١٢٣ . والمحب الطبري في ذخائره ص٩٢ . وأحمد بن حنبل ١/ ٣٣٦ رقم١٧٧٦ ، ورقم ١٣٧٧. وابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٩٢ . قال محمد بن إسماعيل الأمير:

وبعيسى صح فيه مثلٌ		فسعيدًا عُدَّ منهم وشقيًّا

(٣) ذخائر العقبى ص٩٣ . والاعتصام ٥ / ١٣٨ . أنه أحرق زنادقه. وكذلك قضاء الإمام علي ص٢٣٧.

(٤) بعضهم يروي البيت:لَمَّا رأيت الأمر أمرًا منكرًا ..إلخ. وَقَنْبَر:عبد الإمام علي .

فلما أن خلق اللهُ آدمَ جعل ذلك النور في صُلْبِهِ. ولقد[(١)] سكن آدمُ الجنةَ ونحن في صلبه، ولقد هَمَّ بالخطيئة ونحن في صلبه. ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه، ولقد قُذِفَ إبراهيمُ في النار ونحن في صلبه، فلم يَزَلْ ينقُله الله تعالى من أصلاب طاهرة، إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا[(٢)] إلى عبدالمطلب فَقَسَمَنَا بنصفين:وجعلني في صلب عبدالله، وجعل عليًا في صُلب أبي طالب، وجعل فِيَّ النبوةَ والبركَةَ، وجعل في عليٍّ الفصاحة والفروسية، وشقَّ لنا اسمين من أسمائه، فذو العرشِ محمودٌ وأنا محمد، والله الأعلى وهذا عليٌّ))[(٣)]. ولنقتصر على هذا القدر من فضائله فإنها أكثر من أن نحصيها في كتابنا هذا.

فاطمة الزهرآء (ع)

قال الله سبحانه في آية المباهلة:﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ ﴾ [آل عمران:٦١]، ولا خلاف بين أمة محمد ﷺ في أنه لم يَدْعُ من النسآء غير فاطمة، فكانت هذه الفضيلة لها خاصة دون نسآء العالمين؛ ولأنها خامسة الخمسة المعصومين بإجماع المسلمين، وبالأدلة المؤدية إلى العلم اليقين كآية التطهير وغيرها[(٤)]، وعن ابن عباس قال:كان النبي ﷺ جالسًا مع عائشة فدخلت فاطمة فعانقها النبي ﷺ وقَبَّلَها، وشم

---

(١) في (ب):وقد.

(٢) في (ب):انتهينا.

(٣) تنبيه الغافلين للحاكم الجشمي ٣٦، وأخرج ما يوافق ذلك ابن عساكر في ترجمته ١ / ص١٥٢ . وابن المغازلي الشافعي ص٧٤ رقم ١٣٠-١٣٢ . ونهاية هذا يوافق حديث الأشباح الذي ذكره حميد المحلي في الحدائق ١ / ١٤. والله أعلم.

(٤) قال تعالى:﴿إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُـمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيـراً ﴾.

شفتيها فقالت عائشة ما أكثر ما تُقَبِّل فاطمة؟ قال:يا حميرآء أتدرين لِمَاذَا أُقَبِّلــها؟ قالت:لا. قال:((إنَّه لَمَّا أَسْرى بي جبريل إلى السمآء وأدخلني الجنة فرأيتُ على بابها شجرةً يقال لها:طوبى، حملها أصغر من الرمان، وأكبر من التفاح، وأحلـى مـن العسل، وأبيض من اللبن، وألين من الزُّبد، وأعذب من الشهد، ليس لـه عَجْـم، فناولني جبريل واحدة منها وأكلتها[1] فإذا عند أصل الشجرة عين يقال لها:سلسبيل. أبيض من اللبن، وأضوأ من الشمس، فسقاني جبريل من ذلك المآء، فشربتُ فلمـا نزلتُ إلى[2] الأرض اشتهيتُ خديجةَ فواقعتُها فحَمَلتْ بفاطمة فهي حورآء إنـسيةٌ ليس يخرج منها ما يخرج من النسآء عند الحيض، وإذا اشتهيتُ رائحةَ الجنةِ قَبَّلتُها، وَشَمَمْتُ منها رائحةَ الْجَنَّةِ))[3].

---

(١) في (ب): فأكلتها . وفي المراجع وفي الأصل:وأكلتها.

(٢) في (ب) بحذف إلى.

(٣) الطبراني ٢٢ / ٤٠٠ رقم ١٠٠٠ . والمحب في الذخائر ص٣٦ . والمناقب ٢/٢٠٦. وهذا الحديث وغيره الذي جآء فيه أنه ﷺ كان يمص لسانها يحمل على حال صغرها. أما في حال الكبر فلا يصح، والحـديث برمته مشكلٌ؛ لأن الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة بسنة واحدة، وفاطمة عليها السلام وُلدت قبل النبـوة بخمس سنوات أي إن عمرها الشريف عند الإسراء حول الخمس عشرة سنة. وخديجة الكبرى رضـي الله عنها لم تدرك حادثة الإسراء والمعراج؛ لأنها توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات. والنبي صلى الله عليه وآلـه وسلم ذهب إلى الطائف بعد موتها وموت أبي طالب، وأسري به بعد رجوعه من الطائف بفترة. كمـا أن الإسراء ليس إلى الجنة، وإنما إلى بيت المقدس. ثم المعراج إلى السموات العلى. كما أن الحـديث وارد علـى غير موضوع فالجنة لم تخلق على مذهب الإمام الهادي عليه السلام. ينظر حول حـادث الإسـراء:تـاريخ الإسلام سيرة الرسول للذهبي ص٢٤١. وتاريخ ابن الأثير ٢/٣٣. وابن كـثير ٢/٦٩٣. وحـول مولـد فاطمة:طبقات ابن سعد ٨/١٩. والاستيعاب ٤/٤٤٨ ذكر أن مولدها بعد مولد النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم بإحدى وأربعين سنة. وحول وفاة خديجة:أسد الغابة ٧/٨٦. وتاريخ الطبري ٢/٣٤٣. وابن الأثـير ٢/٦٣. وتاريخ الإسلام للذهبي ص٢٣٦. وطبقات ابن سعد ٨/١٨. وسيرة ابن هشام ٢/٢٩. وابن كثير ٢/١٣٢. وسيرة المصطفى للحسني ص١٩٩.

وعن النبي ﷺ أنه قال:((فاطمةُ بِضْعَةٌ مني، مَنْ آذاها فقد آذاني))[1].

وعنه ﷺ أنه قال:((فاطمةُ بِضْعَةٌ مني، يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا))[2]. دل ذلك على فضلها، وعلو شرفِها ونُبْلِها. ومَنْ قال:بأن أبا بكر أفضلُ منها فقد جَهِل؛لأنها إذا كانت من لحم رسول الله ﷺ نصًا جليًا بقوله:((فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّي))، فلا أحدَ أفضلُ من رسول الله ولا جَسَدَ أكرمُ من جسده.

وهذا الخبر مما رواه المخالف والموالف، ولم ينكره لبيب عارف. وعنه ﷺ أنه قال:((فاطمة حصَّنتْ فرجَها من النار[3]، فحرَّم اللهُ ذُرِّيَّتَها من النار))[4]، يعني مَنْ وَلَدَتْهُ بنفسها. وقال ﷺ على المنبر:((إنَّ بني هِشَام بْنِ الْمُغِيرةِ اسْتأْذَنُوا أن يُنْكِحُوا ابْنَتَهُم علي بن أبي طالب فلا آذَنُ لهم، ثُمَّ لا آذنُ لهم، ثم لا آذَنُ لهم، إلاَّ أن يحب علي بن أبي طالب أن يُطَلِّقَ ابنتي وَيَنْكِحَ ابنتهَم، فإنما ابنتي بَضْعَةٌ مني يُريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها))[5]. وقال لها ﷺ:((إنَّ اللهَ تعالى يَغْضَبُ لِغَضَبِكِ

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢٠٠٤ برقم ٤٩٣٢، بلفظ:يؤذيني ما أذاها . والترمذي ٥ / ٦٥٦ برقم ٣٨٦٩ . وقال:حديث حسن صحيح . والطبراني في الكبير ٢٢ / ٤٠٤ رقم ١٠١٠ ، ١٠١١.

(٢) أخرجه البخاري ٤ / ٢٠٠٤ رقم ٤٩٣٢ ،. والترمذي ٥ / ٦٥٥ رقم ٣٨٦٧ . وفي أسد الغابة ج٢ص٢١٩، عن علي عليه السلام أن النبي قال لفاطمة: ((إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)).

(٣) لا معنى لذكر النار هنا، فزيادة ((من النار)) مخلة؛ فإنها حصنت جميع جسدها من النار، ولعله غلط من الكاتب

(٤) الخطيب في تاريخه ٣ / ٥٤ عن علي بن موسى الرضا بلفظ ((إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار)) وقال خاص للحسن والحسين. والحاكم ٣ / ١٥٢ . وقال صحيح ، ولم يخرجاه. والمحب الطبري في ذخائره ص٢٦ . وقال:أخرجه الحافظ الدمشقي . وأبو نعيم في الحلية ٤ / ٢٠٩ . وكفاية الطالب ٣٦٧.

(٥) البخاري ٥/٢٠٠٤. ومسلم ٤/١٩٠٢ رقم٢٤٤٩. أقول:إن عليًّا من الطراز النادر في الوفآء، وإن فاطمة من عيون نسآء الدنيا جمالاً وكمالاً، ولا يتمنى عليٌّ زوجًا أكرم منها، ولذلك فأنا أستبعد هذا منه

وَيَرْضَى لِرِضَاكِ))[(١)] . وقال ﷺ لعلي عليه السلام:((أُوتيتَ ثلاثًا لم يــؤتَهُنَّ أحَــدٌ، ولا أنا:أوتيتَ صِهْرًا مِثْلِي، و لم أوتَ أنا مِثْلِي، وأوتيتَ صِدِّيقة مثــلَ ابــنتي، و لم أوتَ مِثْلَهَا زوجة، وأوتيتَ الحسنَ والحسينَ من صلبك، ولَمْ أوتَ مثلهما من صــلبي، وَلَكِنَّكُم مِنِّي وَأَنَا مِنْكُمْ))[(٢)] .

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال:((كأني أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلتْ يومَ القيامةِ على نجيب من نور، عن يمينها سبعةُ آلاف مَلَك، وعن يسارها سبعةُ آلاف مَلَك، وبين يديها كذلك، وخَلْفَها كذلك، تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة)). ورويناأنه:إذا كان يوم القيمة يُنَادَى يا أهلَ الموقف غُضُّوا أبصَارَكُم حتى تجوزَ فاطمةُ (ع)[(٣)] .

وروينا أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال:((إذَا كَانَ يومَ القيامةِ نادى منادٍ من تحت الْحُجُب:يا أهلَ الْجَمْعِ، غُضُّوا أبصارَكم، وَنَكِّسُوا رؤسَكم، هذه فاطمةُ ابْنَةُ محمد ﷺ تُرِيدُ أن تَمُرَّ على الصراط))[(٤)] .

كما أستبعد لو افترضنا رغبة علي في الزواج بامرأة أخرى–أن ير النبي ﷺ بمثل هذه القــسوة؛ لأن دينــه يبيح لعلي أن ينكح أربعًا ؛ لقوله سبحانه:﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ**﴾ ، ومثل علي فعل النبي ﷺ مع خديجة؛ فإنه لم يتزوج عليها طيلة حياتها وفاء لها، ولأنها امرأة كاملــة. مــع أن تعــدد الزوجات قد يكون لأغراض تخدم الإسلام، والمعان النبيلة فلا علاقة له بالوفاء أو انتقاص الزوجــة الأولى، ولماذا عارض ﷺ هذه المسألة العائلية من فوق المنبر؟ فالعلم لله وحده.

(١) أسد الغابة ٢١٩/٧ عن علي. والإصابة ٣٦٦/٤. الحاكم في المستدرك ١٥٤/٣، وقال:صحيح الإسناد، والإمام علي بن موسى في صحيفته ص٤٥٩، وكفاية الطالب ص٣٦٤.

(٢) صحيفة على بن موسى الرضى ص٤٥٨.

(٣) صحيفة علي بن موسى ٤٦٠، وكفاية الطالب ٣٦٤.

(٤) الحاكم ١٥٣/٣، والمناقب لابن المغازلي ٢٢١ رقم ٤٠٤.

وعنه ﷺ أنه قال:((إنما سُمِّيتْ ابنتي فاطمَة؛ لأن الله فَطَمها وفَطَم مَنْ أَحَبَّها من النار))[(١)]. وعن جعفر الصادق ﷺ أنه قال:لفاطمةَ ثمانيةُ أسمـــآء:الــصديقة، والزهرآء، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والبتول، وفاطمة.

[زواج علي عليه السلام من فاطمة (ع)]

وقال النبي ﷺ:((أُمرتُ أن أَنكِحَ إليكم، وأُنكِحَكم إلا فاطمة)) وذلـــك أن الأخبار المتطابقة على ما معناه أنَّ الصحابة اجتمعوا وقالوا:إنَّ قلـــب رســـول الله ﷺ مشغول بفاطمة فلا أُمَّ لها، ولا مشفق، فلو أزلنا عن قلبه هذا الشغل، فقالوا لأبي بكر:اخطُبْها فجآء إلى الرسول ﷺ وَقَصَّ عليه وخطبها. فقال:إن أمْرَها إلى الله، فقيل لعمر، فكان هذا جواب الرسول ﷺ، فقيل لعثمان فقال:قد تزوجـــتُ باثنتين ومَضَتَا وكلتهاهما تحتي وأنا استحيي أن أخطبها، فجاءوا إلى أمير المـــؤمنين وهو في بستان يسقي ليهودي المآء، كُلُّ دلو بتمرة، وفي البلد قحط فترع خمـــسة وعشرين دلوًا، فخاطبوه بذلك وسألوه أن يخطبها.فقال لهم:حُبًّا وكرامة ومـــشى معهم إلى رسول الله ﷺ ودخل ووضع التمرات بين يديه ووقـــف كالْمُرِيـــبِ مطرق مستحي لا ينظر إلى الرسول الله ﷺ فقال له:ما ورآءك يا أبـــا الحـــسن؟ فأطرقَ رأسه، وقال:غلبني الحيآء جئتُ أخطب فاطمة، فأطرق الرســـول ﷺ ولم يكلمه، فإذا بجبريلَ عليه السلام قد نزل وقال للرسول ﷺ إن العليَّ الأعلـــى يُقْـــرِؤُكَ السلام، ويُعَرِّفكَ أنه أَمَرَ راحيل أن يخطب وهو أفصح مَلَكٍ في السمآء، وجعلـــني

(١) صحيفة علي بن موسى ٤٥٩، وكتر العمال ٣٤٢٢٧.

قابلاً للنكاح عن علي، وكان اللهُ تعالى وليَّها، وأحضر حملة العرش للشهادة، وأمر رضوان أن ينثر من شجرة طوبى زُمُرُّدًا ولؤلؤًا وَزَبَرْجَدًا، وينثر الحور العين، وأمرك أن تُزَوِّجها منه، فرفع النبي رأسه إلى علي وقال:ما الذي معك ؟ قال:درعي، قال:كم يساوي؟ قال:طُلِبَ مني بأربع مائة درهم. فَدَعَى بالناس وزوجها منه على ذلك ، وأمر بإحضار طبق من بُسْرٍ [تمر]، وقال:انتهبوا النُّثَار، ثم أمر عليًّا ببيع الدرع، ويشتري لها قميصًا وسراويلاً[1] ومقنعة ووقاية وعَبًا وفروة وَمَخَدَّتين، ويصرف الباقي إلى عطر. فمرَّ[2] عليٌّ في ذلك. وأمر ﷺ بغسل رأسها، وَأَلْبَسَها ما حَمَل عليَّ، وأطعم الهاشميات والأقارب، ثم قال لهم:انصرفوا، فانصرفوا إلا أسمآء بنت عميس امرأة جعفر الطيار، وكانت هي التي رَبَّت فاطمة، فوقفت فقال لها الرسول ﷺ:لِمَ لم تلحقي بأهلك؟ قالت يا رسول الله:إن النسآء لابُدَّ لهن من امرأة في مثل هذه الليلة يكشفن إليها أسرارَهُنَّ، وأنا ربيتُها، فلا يطيبُ لي تَرْكُها وَحَدْهَا، فدعى لها، ثم خلط الطيب ودعى بفاطمة وَطَيَّبَ فَرْقَها وعنقها وبين ثدييها، وقال لها:على بركة الله، فلما دخل البيت، دعا بعليٍّ واستعمل باقيَ الطيب فيه، ووضع يده على ظهره، وقال:على بركة الله، فدخل عليٌّ عليها، ولم ينظر إلى جانبها حتى صلى ركعتين وسجد لله شكرًا على رِزْقِهِ إياه مِثْلَها.

ورُوينا عن ابن المغازلي الشافعي ما رفعه بإسناده في كتابه إلى أنس:أنَّ أبا بكر خطب فاطمة إلى النبي ﷺ فلم يَرُد إليه جوابًا، ثم خطبها عمر فلم يرد جوابًا، ثم

---

(١) في (ب): مصلحة سراويل، وهو الأظهر؛ لأنه اسم لا ينصرف.

(٢) في (ب): فمضى.

جمعهم فزوجها علي بن أبي طالب. وقيل:أقبل على أبي بكر وعمر فقال:إن الله عز وجل أمرني أن أزوجها من علي، ولم يأذن لي في إفشائه إلى هذا الوقت، ولم أكن لأفشي ما أمرني الله عزوجل به[1].

وفي حديث آخر أنه لما زوّج الله تبارك وتعالى فاطمة (ع) مِنْ علي أَمَرَ الملائكةَ المقربين أن يُحدقوا بالعرش وفيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل فأحدقوا بالعرش، وأمر الحور العين أن يتزيَّنَّ، وأمر الْجِنان أن تَزَخْرَفَ، فكان الخاطبُ الله تبارك وتعالى والشهودُ الملائكةَ، ثم أمر الله شجرة طُوبى أن تَنثر[2] عليهم، فنثرت اللؤلؤ الرَّطْبَ مع الدر الأخضر، مع الياقوت الأحمر، مع الدُّرِّ الأبيض، فتبادرن الحورُ[3] العين يلتقطن من الحلي والحلل، ويقلن:هذا من نثار فاطمة بنت محمد (ع)[4].

وفي آخر حديث طويل حذفناه لطوله، وناوله جبريلُ قَدَحًا فيه خَلُوق من الجنة وقال:حبيبي مُرْ فاطمةَ تَلْطَخْ رأسَها ويديها[5] وثَدْيها من هذا الخلوق، فكانت فاطمة (ع) إذا حَكَّت رأسها شم أهل المدينة رائحة الخلوق[6].

وفي حديث آخر أنه قال للملآئكة:ما الذي أَحْدَرَكُم؟ قالوا:جئنا لترف فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى زوجها علي بن أبي طالب، فَكَبَّر جبريل، وكبَّر ميكائيل،

---

(١) المناقب ٢١٧ رقم ٣٩٧ ، وذخائر العقبى ص٣٠ باختلاف يسير.
(٢) في (ب):تنتثر.
(٣) فيه جمع بين فاعلين، وهلي لغة رديئة، وتسمى لغة أكلوني البراغيث.
(٤) المناقب ص٢١٥ رقم ٣٩٥، والحدائق الوردية (خ) ١/٢٢.
(٥) في بعض النسخ:بدلها.
(٦) الحدائق الوردية ١/٢٢.

وكَبَّرتِ الملآئكةُ وكبَّر رسول الله ﷺ فوقع التكبير على العرآئس من تلك الليلة.

وفي حديث آخر فلما كانت ليلةُ الزفاف أَتى النبي ﷺ ببغلتِه الشهبآء وثَنَى عليها قطيفةً، وقال لفاطمة اركبي، وأمر سلمان أن يقودها، والنبي ﷺ يسوقها فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي ﷺ وَجْبَةً فإذا هو بجبريل صلى الله عليه في سبعين ألفا، وميكائيل صلى الله عليه في سبعين ألفًا. فقال النبي ﷺ ما أهبطكما إلى الأرض؟ قالوا:جئنا نَزَفُّ فاطمةَ (ع) إلى زوجها علي بن أبي طالب فكبر جبريل، وكبرِ ميكائيل، وكبَّرت الملائكة، وكبر محمد ﷺ فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة.

وأخبارُ النكاح كثيرة اقتصرنا على هذا القدر منها، وفيه كفاية؛ فإنه ما كان في نكاح أحد من الأولين ولا يكون في الآخرين كنكاحها من علي (عليه السلام)؛ لأن العاقدَ هو الله تعالى، والقابلَ جبريل، والخاطبَ راحيل، والشهودَ حملة العرش، ورضوان خازن الجنة صاحبُ النثار، وَطَبَقُ النثار شجرة طوبى، والنثار الدر والؤلؤ والزمرد والزبرجد، والذي التقطه حور العين. والعاقد في الأرض رسول الله سيد النبيين وخاتمُهم سلام الله عليهم أجمعين، وهو الذي مشطها بيده الطاهرة؛ إذ هو الذي طيَّبها بخلوق الجنة، وبخلوق الدنيا، والملائكة (ع) هم الزَّافُّون والمكبِّرُون ، والزوج أمير المؤمنين وسيد الوصيين ويعسوب المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). وأولادهما هم أئمةُ الخلق، والهداةُ إلى الحق إلى يوم القيامة بحكم الله سبحانه.

فهل يعتري الشكُّ مرتادَ الرشاد في شرفها؟ أو هل يوازي فضلُ مَنِ ارتكب الكبائر التي منها:الشركُ وعبادةُ الأصنام، ثم تاب ورجع إلى الإسلام- فَضْلَها؟ أو

هل يقول قائل فيصدق بأنها ارتكبت كبيرة منذ كانت إلى أن ماتت في رحمة الله تعالى؟ لولا العنادُ، وموافقةُ أهلِ الفساد وعُمْيِ البصيرة في الإصدار والإيراد. وقد علمنا أنَّ بَعْضَ من في تلك الجهات يُفَضِّل أبا بكر عليها، وأين الثريا من يد المتناوِل؟

أليس ممن[1] عبد الاصنام وعكفَ على الآثام، ثم أسلم بلا إشكال، ثم فَرَّ عن زحف رسول الله ﷺ بلا إنكار، وتقدَّم عَلَى[2] أمير المؤمنين عليه السلام مع قوله على المنبر بإجماع الرواة في بعض كلامه:وُلِّيتُكم ولستُ بخيِّرِكُم. فإن كان صادقًا فهو كما قال، وإن كان كاذبًا نقَّصه ذلك عن درجة الجلال، وحَطَّه عما مَدَّ إليه عُنُقَه من الكمال. يا من طلب المآء في الآل [السَّرَاب]، أين الهدى من الضلال، وأين الأجاجُ من المآء العذب السلسال؟.

تأمل ما ذكرناه في كتابنا هذا بعين البصيرة إن كنتَ ممن يخشى العَالِمَ بالسريرة. وابحث أهلَ المعرفة بالسيرة، ألم يقتل خالدُ بنُ الوليد ذا التاج؟ وَبَنَى خالد بزوجته تلك الليلة من دون استبرآء. وذو التاج هو مالك بن نويرة. ويقال:إنَّ خالدا رأى زوجةَ مالك بن نويرة فَفُتِنَ بها فقتله لأجلها. وقيل:إنه قتله بعد أن أسره، وقتل غيره معه لئلا يُقال:إنه إنما قتله لأجلها. وإي اه عنى أبو فراس[3] بقوله:

---

(١) في (ب): أليس هو ممن .

(٢) في (ب) ((على)) محذوفة.

(٣) الحمداني، ولد ٣٢٠هـ، أديب، فاضل، وفارس، وشاعر، كان الصاحب يقول:بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس، وأبا فراس الحمداني، قتل سنة ٣٥٧هـ. ينظر:وفيات الأعيان ١٢٧/١.

بقوله:

وَجَرَّتْ منايا مالكِ بنِ نُــويرةٍ		عَقِيلَتُه الحسنآءُ أَيَّــامَ خَالِــدِ[1]

ولما بنى بها من ليلتها من دون استبرآء أنكر ذلك العلمآء والصلحآء. وروي أنَّ ممن أنكر ذلك عُمَرُ على خالد، وهو والي أبي بكر وتوعَّده بأن يُرْمَى بالحجـــارة، فلما دخل إلى أبي بكر وأرضاه بحديثه، وكان لا يَقْبَلُ على ولاته فلم يَظْهَرْ منه عليه إنكار[2]. فتأملوا يا أولي الأبصار، أين الجنةُ من النار؟ وأين القطرة من البحر التيار.

والمعلومُ من السيرة المحمدية، والأفعالِ الصحابية، والسِّيَر الإمامية أنه لا يجـــوز وَطْءُ الأَمة المسبية إلا بعد استبرائها، والحديث ظاهر عن النبي ﷺ أنه قـــال:((لا تُوطَأ حاملٌ حتى تضعَ، ولا حائلٌ حتى تحيضَ))[3]. والأمرُ في ذلك ظاهر.

وهذا مما رواه الإمام الطاهر الحسنُ بن علي الملقب بالناصر [الأطـــروش] عليه السلام وأنكر ذلك أشد الإنكار من فِعْل أبي بكر. وذلك مذكور في موضـــوعاته، وهـــو مذكورفي كتب التواريخ والسير[4]. أين ذلك من فضل فاطمة الرضـــية الإنـــسيَّة

---

(١) ديوانه ١٠٣، من قصيدة يذكر أسره وبعض حساده، ومطلعها:

لمن جاهــد الحـــساد أجـــر المجاهـــد   وأعجز ما حاولت إرضـــاء حاســـد

(٢) الطبري ٢٨٠/٣، وخزانة الأدب ٣٢/٢. وذكر أن عمر لما أتى عليا، فقال: إن في حق الله أن يقاد هـــذا بمالك قتل رجلا مسلما ثم نزا على امرأته كما يترو الحمار.

(٣) أحمد في المسند ١٢٥/٤ رقم ١٥٩٦، والبيهقي في السن ٢٤/٩ ، والمستدرك ١٦٢/٢، وقال: صـــحيح على شرط مسلم.

(٤) ينظر اليعقوبي ١٨/٢، وتأريخ دمشق ٢٧٤/١٦.

الحورية الطاهرة الزكية المعصومة من الكبائر المفضلة بلا تناكر. وقد قدمنا طرفًا من فضلها. فإن الإتيان على جملته مما ينافي غرضنا في هذا الكتاب من الاختصار. وفيما ذكرنا[(١)] كفاية لمن كان له قلب رشيد، أو ألقى السمعَ وهو شهيد ممن لم يُعْمِ التعصبُ عين بصيرته، و لم يُذهبِ الرَّانُ[(٢)] أنوار معرفته.

السبطان الحسنان (ع)

قال الله تعالى:﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١] أجمع[(٣)] المخالف والموَالف أنَّ مَنْ دعا يوم المباهلة كان الحسنَ والحسينَ فكانت هذه الفضيلة لهما خاصة دون أبنآء العالَمِيْنَ كافَّةً. وقال النبي ﷺ:((رَيْحَانتايَ الحسنُ والحسينُ))[(٤)]. وقال ﷺ:((الحسنُ والحسينُ ابنَاي، مَنْ أَحَبَّهما أحبَّني، وَمَنْ أحبَّني أحبَّهُ اللهُ، ومَن أحبَّه اللهُ أدخله الجنةَ. ومَنْ أَبْغَضَهُمَا فقد أَبْغَضَنِي، ومَنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَهُ اللهُ، ومَنْ أَبْغَضَهُ اللهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ على وجهه))[(٥)].

---

(١) في بقية النسخ:ذكرناه.

(٢) في (ب) الحسد بدل الران.

(٣) في (ب): وأجمع.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧١/٣ رقم ٣٥٤٣ و ٢٢٣٤/٥، رقم ٥٦٤٨، عن ابن عمر بلفظ:((هما ريحانتاي من الدنيا)) ، وأحمد بن حنبل ٣٨٦/٢ رقم ٥٧٧٢، عن عبدالله ابن عمر رقم ٥٩٤٧، ورقم ٦٤١٥. والترمذي ٦١٥/٥ رقم ٣٧٧ بلفظ:((إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا))، وغيرهم.

(٥) أخرج الحاكم بلفظه ١٦٦/٣ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والترمذي ٦١٤/٥ رقم ٣٧٦٩ بلفظ:((هذان ابناي وابنا إبنتي ، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)) والهيثمي ١٨١/٩، بلفظ: ((الحسن والحسين من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله جنات نعيم ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله جهنم وله عذاب مقيم))، وقال: رواه الطبراني.

الحسن السبط عليه السلام

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إنَّ ابْني هذا سيدٌ، وَلَيُصْلِحَنَّ اللهُ على يديه بينَ فئتَين مِنَ المسلمين عظيمتين))[(١)].

الحسين السبط عليه السلام

قال فيه رسول الله صلي الله عليه صلى الله عليه وسلم:((حُسَيْنٌ مني وأنا مِنْ حُسَينٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ يُحِبُّ حُسَينًا، حسينٌ سِبطُ من الأسباط))[(٢)].

الْمَعْصومون الخمسه صلوات الله عليهم

روينا عن ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه وأله أنه قال:لما أمر الله آدم بالخروج من الجنة رفع طَرْفَه نحو السمآء فرأى خمسةَ أشباح على يمين العرش، فقال:إلهي خلقتَ خلقًا قبلي؟ فأوحى الله إليه:أما تنظر إلى هذه الأشباح؟ قال:بلى، قال:هؤلآء الصَّفْوَةُ من نُوري اشتققتُ أسمآءهم من اسمي، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الْمُحْسِنُ وهذا الْحَسَنُ، وَلِيَ الأسمآء الحسنى وهذا الحسين. قال آدمُ:فبحقهم اغفر لي. فأوحى الله إليه:قد غفرتُ لك. قال بعضُ علمآء التفسير:وَهي[(٣)] الكلمات التي قال الله تعالى:﴿فتلــق ى آدم

---

(١) البخاري ١٣٦٩/٣ رقم ٣٥٣٦، و لم يذكر كلمة عظيمتين ، وأبو داود ٤٨/٥ رقم ٤٦٦٢ ، والنسائي ١٠٧/٣ رقم ١٤١٠ والترمذي ٦١٦/٥ رقم ٣٧٧٣.

(٢) الترمذي ٦١٧/٥ رقم ٣٧٧٧.

(٣) في (ب): وهذا.

من ر به كلمات ﴾ [البقرة:٣٧] [1].

وَلْنَقْتَصِرْ على هذا القدر من فضائل الخمسة، فإنَّ فضائِلهم أكثرُ من أن نَـأتيَ على عُشْرِ عُشُرِهَا في كتابنا هذا.

زين العابدين علي بن الحسين السبط (ع)

رُوينا عن رسول الله ﷺ أنه قال:((يُولدُ للحسين[2] ابْنٌ يقال له:عَلِيٌّ، إذا كان يومُ القيامةِ نادَ منادٍ لِيَقُمْ سيدُ العابدين)) [3].

الباقر محمد بن على زين العابدين (ع)

رُوينا أَنَّ جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله عاش إلى أن أدرك بَـاقِرَ عِلْـمِ الأنبيآءِ محمد بن علي، فقال له جابر:يا محمد إنَّ رسول الله ﷺ أوصاني أن أُبَلِّغَكَ عنه السلام. وجابرٌ يومئذ شيخ كبير أعمى[4].

أخوه زيد بن علي (ع)[5]

---

(١) تنبيه الغافلين ٣٦، وحميد في الحدائق الوردية ١/١٤، وعزاه إلى الحاكم في السفينة ، وممن ذكر أن الكلمات التي تلقاها آدم التوسل بحقهم. السيوطي في الدر المنثور ١/١١٤، والكوفي في المناقب ١/٥٤٧، وابن المغازلي ٥٩ رقم ٨٩.

(٢) في (ب):الحسين بن علي.

(٣) أخرجه الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين ٦٣٥، وشمس الأخبار ١/١١٨.

(٤) دلائل الإمامة ٢١٨ لمحمد بن جرير بن رستم الطبري ، ومدينة المعاجز ٣٢٢.

(٥) هو أبو الحسين إمام الأئمة، حليف القرآن، ولد بالمدينة سنة ٧٥ هـ على الأصح، ونشأ بها.ورضع العلم من بيت النبوة على يد والده وأخيه الباقر، كان من عظماء أهل البيت علمًا وزهدًا، وشجاعةً ودينًا وكرمًا، وكان قد شاب عصره من الأفكار الدخيلة على الدين فقام بثورته الفكرية ضد القدرية والمجسمة والمشبهة وغيرهم، فألف الرد على القدرية والجبرية، والرد على المرجئة، والصفوة، وإثبات الوصية، وإثبات الإمامة، وغيرها. وبعد ذلك بدأ في ترسيخ أهم مبادئه العظيمة ((مبدأ الخروج على الظلمة)) ودفع من أجله حياته،

رُوينا عن الباقر محمد أنه قال حدثني أبي عن أبيه عـن جـده أن الـنبي ﷺ قال:((يَخْرُجُ من ولده[1] رجل يقال له:زيد، يُقْتَلُ بالكوفةِ، وَيُصْلَبُ بالكُنَاسةِ، يُخْرَجُ من قبره نَبْشًا، تُفْتَحُ لروحه أبوابُ السمآء، يُبْهِجُ أهلَ السماوات، يقولون:هؤلآء دعاةُ الحق))[2].

وعن الصادق أبي عبدالله جعفر بن الباقر (ع) بإسناده إلى رسول الله ﷺ أنه قال للحسين ((يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِكَ رَجل يقال له:زيد، يتخطى هو وأصحابُه رقابَ الناسِ يومَ القيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ، يدخلونَ الجنةَ))[3].

وعن حذيفةَ بن اليمان أنه قال:نظر رسول الله ﷺ إلى زيد بن حارثة، فقال:((المقتولُ في اللهِ، والمصلوبُ فى أمتي، والمظلومُ من أهل بيتي سَمِيٌّ هذا))، وأشار بيده إلى زيد بن حارثة. فقال:((ادْنُ مني يا زيدُ، فقد زادك اسمُك عندي حُبًّا فأنت سَمِيٌّ الحبيبِ مِنْ أهلِ بيتي))[4].

وعن علي عليه السلام أنه قال:الشهيدُ مِنْ ذُرِّيَتِي، والقائمُ بالحق مِنْ ولدي المصلوبُ

وكان قد حاول الأمويون إلغاء هذا المبدأ وأسسوا مبدأ طاعة ملوك الجور حتى وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك، وهتك عرضك، وأجروا ذلك على لسان رسول الله ﷺ. ففتح باب الجهاد، وكان قد بايعه من الفقهاء الذين أخذوا عنه أبو حنيفة وأعانه بمال كثير، وقد انطوى ديوانه على خمسة عشر ألف مقاتل من الكوفة، وخرج معه من القراء والفقهاء الكثير، واستشهد في ٢٥ محرم ١٢٢هـ .

(١) في (ب):من ولدي.

(٢) شمس الأخبار ١/١٢١ بلفظ مقارب. ومقاتل الطالبيين باختلاف يسير ص١٣١.

(٣) شمس الأخبار ١/١٢١، وفي تخريج الجلال قال:أخرجه الحاكم في جلاء الأبصار. وأبي الفرج في المقاتل ص١٣٠، وسلوة العارفين ٥٤٥.

(٤) شمس الأخبار ١/١١٩ وعزاه إلى الموفق بالله. وابن عساكر في تاريخه ١٩/٤٥٨.

بِكُنَّاسَةِ كوفان، إمام المجاهدين[1]، وقائدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِين، يأتي يومَ القيامة هو وأصحابه تلقاهم الملائكةُ المقربون، ينادونهم:ادْخُلُوا الْجَنَّه لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون[2]. والأخبار فيه أكثرُ من أن نُحْصِيْهَا[3].

النفس الزكية:

وهو الإمام محمد بن عبدالله العالم بن الإمام الحسن الرضى بن الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين وصي رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين.

رُوينا عن الشيخ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد البستي رحمه الله أنه رَوى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((يُقْتَلُ مِن ولدي عندَ أحجار الزيت رجلٌ اسمه اسمِي واسمُ أبيه اسمُ أبي، وإنَّه النفس الزكية))، فكان ذلك محمد بن عبدالله عليه السلام.

وروينا عن الشريف العقيقي[4] مصنف كتاب الأنساب ما مثاله قال:كتب إليَّ عباد يُخبرني عن يحيى بن حمَّاد عن عُمَر قال:كنتُ مع محمد بن عبدالله في مترله، فذكرنا النفس الزكية فخرجنا حتى انتهينا إلى أحجار الزيت، فقال عليه السلام:هاهنا يا أبا حفص يُقْتَلُ النفسُّ الزكية. وإنما ذكر ذلك لِمَا جآء في الحديث أنَّ النفس الزكية

---

(١) في الأصل فقط إمام المهاجرين.

(٢) أبو طالب في أماليه ص١٠٥.

(٣) في (ج): من أن تحصى.

(٤) يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام السجاد زين العابدين، أبو الحسين العبيدلي العقيقي، ولد سنة ٢١٤هـ، مؤرخ نسابة، من أهل المدينة، وهو أول من صنف في أنساب الطالبيين، كان من أصحاب القاسم بن إبراهيم، وتلاميذ الحافظ بن عقدة، توفي سنة ٢٧٧هـ، وله أنساب الطالبيين، وأخبار مكة، ومسائل الإمام القاسم. ينظر الأعلام ١٤١/٨، وأعلام المؤلفين الزيدية ١٠٩٦.

يُقتل فيسيل دمُه إلى أحجار الزيت. لِقَاتِله ثُلُثُ عذابِ أهل النار[1].

وروى جماعةٌ من علمآء المدينة أنهم أتوا علي بن الحسين عليه السلام فذكروا له القيام، فقال محمد بن عبدالله:أولى بهذا مني، وذكر حديثًا طويلاً فقال، ثم أوقفني عند أحجار الزيت، فقال:هاهنا يُقْتَلُ النفس الزكية.

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:النَّفسُ الزكية من ولد الحَسَنِ فلما قتل محمد بن عبدالله عند أحجار الزيت عرف أنه النفس الزكية.

وروي عن محمد بن عبدالله عليه السلام أنه قال:آيَةُ قَتْلِ النفس الزكية أن يسيل الدَّمُ حتى يدخلَ بيت عاتكة. قال فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى يدخل بيت عاتكة؟ فكان يومًا مطيرًا فسال الدمُ حتى دخل بيتَ عاتكة[2]. وهذه الأخبار مأخوذةٌ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن الله تعالى ؛ لأنها أخبار[3] غيوب.

الإمام الحسين [الفخي]

ابن علي العابد ابن الإمام الحسن الرضى (ع) وعن يحيى بن زيد عن أبيه زيد بن علي (ع) أنه قال:انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى موضع فَخٍّ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز ، ثم قال:((يُقْتَلُ هاهنا رجلٌ من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، يُنَزَّلُ عليهم بأكفانٍ وحَنُوطٍ من الجنة، تَسْبِقُ أرواحُهم أجسادَهم)). وذكر من فضلهم

---

(١) الشافي ١/١٩٩، ومقاتل الطالبين ١٦٧، والحدائق الوردية (خ) ١/١٦٦ بلفظه ، ورسائل العدل والتوحيد ٢/٧٢/٧٣.

(٢) مقاتل الطالبيين ١٨٣، والحدائق الوردية (خ) ١/١٦٦.

(٣) في (ب):إعلام.

أشيآء لم يحفظها الراوي[1].

وعن الباقر عليه السلام أنه قال:مَرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بِفَخٍّ، فترل فصلى ركعةً، فلما صلى الثانية بكى وهو في صلاته، فلما رآه الناس يبكي بَكَوْا، فلما انصرف قال:ما يُبْكِيكُم؟، قالوا:لَمَّا رأيناك تبكي بكينا يا رسولَ الله، قال:نَزَل عليَّ جبريل لَمَّا صليتُ الركعةَ الأولى، فقال لي:يا محمدُ إنَّ رجلاً من ولدك يُقْتَلُ في هذا المكان أجرُ الشهيد معه أجرُ شهيدين[2].

ورُوي أنَّ جعفر الصادق بن محمد الباقر (ع) لما انتهى في طريقه من المدينة إلى فخ يُريد مكة توضأ وصلى ثم ركب فَسُئِلَ:هل هذا شيء من مناسك الحج أو لا؟ قال:لا ، ولكن يُقْتل رجل من أهل بيتي هاهنا في عصابة من المؤمنين تَسبِقُ أرواحُهم أجسادَهم[3] إلى الجنة[4].

وروي مثلُ ذلك عن عبدالله بن الحسن الرضى (ع) إلا أنه لم يتوضأ، ولم يُصَلِّ فكان المقتول في هذا الموضع هو الحسينُ بن علي العابد، ولذلك سُمِّيَ **الفخي** عليه السلام.

الإمام الرضى علي بن موسى الكاظم

ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر (ع):روينا عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول

---

(١) الشافي ١/٢١٧-٢١٨. ومقاتل الطالبين ٤٣٦، والرازي في أخبار فخ ٢٨٠.
(٢) الحدائق الوردية ١/١٧٦. ومقاتل الطالبيين ٢٩٠. والشافي ١/٢١٨.
(٣) في (ب):وأبدانهم.
(٤) مقاتل الطالبين ٢٩٠. والشافي ١/٢١٨.

الله ﷺ أنه قال:((سَتُقتل بَضْعَةٌ مني بخراسان، مازارها مكروبٌ إلا نفَّسَ اللهُ كربتَه، ولا مذنبٌ إلا غفر الله ذنبه))[1]. وعن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال:((سَتُلْقَى بضعة مني بخراسان لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة، وحرم جسده على النار)).

وعن الباقر عليه السلام أنه قال:مَنْ زار قبر ابني بِطوس غفر الله له مَا تَقَدَّم من ذنبه، وإذا كان يوم القيامة نُصِبَ له منبرٌ بحذا مِنْبَرِ رسول الله ﷺ.

وعن الرضى علي بن موسى (ع) أنه قال:((ألا وإني مقتول بالسم ظلمًا، ومدفون في موضع غربة، مَنْ شَدَّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤُه، وَغُفِرَ ذَنْبُهُ.

وكُلُّ هذه الأخبار قاضيةٌ بفضل علي بن موسى الرضى، إذْ هذه الأماراتُ كُلُّها فيه؛ فإنَّ المأمون أنكحه ابنته متحيلاً لِقَتْلِهِ، ثم دسَّ له السم فقتله به، ثم أظهر الجزع عليه، ودفنه بطُوسٍ في أرض خراسان ، والأمْر فيه ظاهر مشهور وقبره بطوس مزور[2].

الإمام القاسم [الرسي]

(١) في (ب):غفر له الله ذنبه.

(٢) مقاتل الطالبين ٥٦٦. والشافي ٢٦٥/١. قد زرته عند ذهابي إلى إيران بدعوة من السيد جواد الشهرستاني، وكيل المرجع الأعلى السيد علي السيستاني ، ووجدت الزحام على قبره يشبه الطواف حول الكعبة ، ويسمى عليه السلام:بملك خراسان وأكثر عقارات (مشهد) وتلك الديار أوقاف الإمام علي بن موسى لكن قبور أئمة كبار من آل البيت مهجورة مثل الناصر الاطروش والإمام الداعي والمؤيد بالله ، فأرجو أن يلتفت إليها الأخوة في تلك الديار وعلى رأسهم المرشد آية الله الخامنئي والذي أصدر توجيها بعمارة قبر الناصر كما بلغني.

ابن إبراهيم الغَمْر[(١)] طباطبا بن إسماعيل الديباج[(٢)] بن إبراهيم الشَّبَه؛ لأنه كان يشبه رسول الله ﷺ بن الإمام الحسن الرضى بن الإمام الحسن السبط (ع):كان عليه السلام معروفًا بالفضل، أجمع على فضله المخالف والموالف، ولم يُنكِرْه عالِمٌ عارف، وبلغ في الزهد مبلغًا عظيمًا، وكان بجميع فنون العلم عليمًا.

ونحن نروي أنه دعا الله في مَخْمَصَةٍ فتهَدَّل البيت عليه رُطَبًا، ودعا الله في ظلمة فأَمدَّه بالنور في الحال فزالت عنه الظلمة[(٣)]. **فأما** ما ورد فيه من الأخبار فمما هـو في أفواه الناس، ويروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال لفاطمة (ع):((يا فاطمةُ منك هَادِيهَا وَمَهْدِيها وَمُسْتَلَبُ الرباعيتين)). يعني القاسم بن إبراهيم، هكـذا يروونـه مُفَسَّرًا، ولم تصح لي فيه الرواية عمن أثق به إلى رسول الله ﷺ ونعوذُ بـالله أن نقولَ على رسول الله ﷺ مالم يَقُلْ، ثم رَوَى لي من أثق به بإسناده إلى رسـول ﷺ أنه قال لفاطمةُ (ع)[(٤)]:((يا فاطمة منـك هاديهـا ومهـديها ومُـسْتَرَقُ الرباعيتين، لو كان بعدي نبيٌّ لكان نَبيًّا)).

الإمام الهادي إلى الحق

يحيى بن الحسين الحافظ بن الإمام القاسم بن إبراهيم الغَمْر (ع):رُوينـا عـن رسول الله ﷺ أنه أشار بيده إلى اليمن، وقال:((سيخرج رجلٌ من وَلَدِي في هذه

---

(١) بالفتح:الكثير المعروف. وسمي بذلك لجوده .
(٢) سمي الديباج لجماله .
(٣) ذكره في الشافي ١/ ٢٦٤ .
(٤) في (ب):بحذف لفاطمة.

الجهة اسمُه يحيى الهادي، يُحْيِيْ اللهُ به الدِّين))[(١)].

وعن الباقر عليه السلام، أنه قال:إذا قَتَلَ أهلُ مصر كبيرَهم، وظهر اليمانيُّ باليمن، فإنه يملأ الأرض عدلاً. فَقَتَلَ أهل مصر كبيرهم سنة قام الهادي إلى الحق عليه السلام[(٢)].

وعن أبي العباس القيراني، أنه قال:صَاحبُ الحقِّ حَسَنِيٌّ، يظهر باليمن، اسمُ أبيه ستَّةُ أحرف[(٣)]. ورُوي أنه لَمَّا وُلِدَ يحيى بن الحسين الهادي عليه السلام حُمِلَ إلى جده القاسم، فَوُضِعَ في حجره المبارك، وعوَّذه ودعا له، ثم سأل أباه الحسين ما سَمَّاه؟ قال:يحيى، فبكى القاسم عليه السلام، وقال:هو واللهِ يحيى صاحبُ اليمن. وإنما قال ذلك لأخبار رُويَتْ فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[(٤)]. فمنها ما تقدم، ومنها قول أمير المؤمنين علي عليه السلام:تكونُ فِتَنٌ بين الثمانين والمائتين، فيخرجُ مِنْ عترتي رجل اسمُه اسمُ نَبِيٍّ يُمَيِّزُ بين الحق والباطل، وَيُؤَلِّفُ الله تعالى قلوب المؤمنين على يديه[(٥)].

ومنها قول الصادق عليه السلام:أَوَّلُ ما يأتيكم الفرجُ من اليمن. إلى غير ذلك من الأخبار، فإنها مما لا يمكننا[(٦)] حصرها في كتابنا هذا.

الإمام الناصر للحق الحسن

---

(١) الحدائق الوردية ٢/ ١٤ . والتحف شرح الزلف ص١٠٠ .

(٢) سيرة الهادي ص٢٩. حيث قتل والي مصر وهو خمارويه بن أحمد بن طولون عام ٢٧٢هـ . ينظر الطبري ١٠/٤٢ . وسيرة الهادي ص٢٠ . وهو نفس العام الذي دخل الهادي عليه السلام صنعاء .

(٣) سيرة الهادي ص٣٠، قال عن أبي عباس الفرياني.

(٤) الحدائق الوردية ٢/١٣. والتحف شرح الزلف ص١٦٧.

(٥) سيرة الهادي ص٣١، والحدائق الوردية ٢/١٤. والتحف شرح الزلف ص١٦٨.

(٦) في (ب):يمكن.

ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين (ع). **وهو المعروف بالأطروش.**

رُوينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدهُ اليمنى علي كتفي:((يا عليُّ يكون من أولادك رجلٌ يُدْعى بزيد المظلوم، يأتي يوم القيامة مع أصحابه على نُجُبٍ من نور، يَعْبُر على رؤوس الخلائق كالبرق اللامع يَقْدُمهم زيد، وفي أعقابهم رَجُلٌ يُدْعى بناصر الحق، يقفون على باب الجنة فتستقبلُهم الحورُ العينُ، وتَجْذِبُ بِأَعِنَّةِ نُجُبهم إلى أبوابِ قُصُورِهم)).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خطب خطبة بليغة بالكوفة اشتملت على أمور كثيرة وذكر فيها خروجَ الشيخ، وأنه يخرج نحوَ الديلم من جبال طبرستان[1].

ورُوينا من خطبته عليه السلام يوم النهروان قولُه:وظهر العَلَمُ الأحمر، والرايةُ الصفرآء من أرض جيلان، والشيخُ الأصَمُّ مع أقوام مستضعفين. ثم قال:تلك رايةٌ يسير بها رجلٌ من ولدي اسمُه اسمُ ابني يُظْهِرُ الحق. وإنما أراد بقوله:اسم ابني يعني:الحسن بن علي (ع). وإنما قال:الأصم؛ لأنَّ أعدآء الله تعالى هجموا عليه في داره وقد ظهر عليهم أنَّه يُريد الخروج عليهم وأنه قد أجابه قوم، فقبضوه وسألوه عمن قد أجابه، ووعدوه التخليةَ عن سبيله إنْ هو أخبرهم بمن قد أجابه، فأبى أن يُخْبِرَهم فضربوه ثلاثمائة سوط، بعد أن ضربوه خمسين سوطًا قبل ذلك، وهو لا يُخبرهم مع ذلك حتى سقط كالميت، والدَّمُ يخرج من إحدى أذنيه، ويدخل إلى الآخرى، فتجمَّد

(١) الحدائق الوردية ٢/٢٩.

فيها، فأصابه الطَّرَشُ لذلك مع أنه كان يسمع إذا جُهِرَ لـــه، ويُجيـــبُ المـــتعلمين والسائلين عن مسآئِلِهم.

ومن جملة ما ورد من البشارات بالناصر للحق عليه السلام ما أنزل الله تعالى في كتاب دانيال[1]، فإنَّ فيه:أنَّ الشيخ الأصَمَّ يخرج في بلد يقال لها:ديلمان، ويكابـــدُ مـــن أصحابه وأعدائه جميعًا ما لا يُقَادَرُ قَدْرُه ، ولكنَّ عاقبته محمودة[2].

المهدي [المنتظر] عليه السلام

رُوينا عن أم سلمةَ (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((كيف تَهْلِكُ أُمَّةٌ أَنَا أَوَّلُها، والمهديُّ وسطها، والمسيحُ آخِرُها))، وقالت أم ســـلمة:مَـــنِ الْمَهْـــدِيُّ ؟ قـــال صلى الله عليه وآله وسلم:((مِنْ بَنِي فاطمةَ))[3]. وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((نحنُ سبعةٌ ساداتُ أهل الجنة:أنا، وأخي عليٌّ، وعمي حمزة، والحسنُ، والحسينُ، وجعفرٌ، والمهـــديُّ، (ع))[4]. وعن ابن عباس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((أَوَّلُ سَبْعَةٍ يدخلون الجنة:أنا، وحمزةُ، وجعفرٌ، وعليٌّ، والحسنُ، والحسينُ، والمهديُّ محمد بن عبدالله)). **وعـــن** عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((لا تذهبُ الدُّنْيَا حتى يَمْلِـــكَ العـــربَ

---

(١) دانيال: اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل. وكتابه متزل من عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) الشافي ٣٠٩/١. وأخبار الأئمة الزيدية ص٢١٣.

(٣) الكتر ٢٦٩/١٤ رقم٣٨٦٨٢، عن ابن عباس، وبلفظ:((كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى بن مريم في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها)). وفي ابن ماجة ١٣٦٨/٢ عن سعيد بن المسيب قال:كنا عنـــد أم سلمة، فتذاكرنا المهدي، فقالت:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:((المهدي من ولد فاطمة)).

(٤) ابن ماجة ١٣٦٨/٢ برقم ٤٠٨٧ وبلفظ مقارب. وذخائر العقبى ص١٥. وفضائل الصحابة لأحمد جـــزء منه ٧٨٩/٢.

رَجُلٌ من أهل بيتي يواطيءُ اسْمُه اسمي، وَاسمُ أَبيهِ اسمَ أبي، يملأُ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْرًا وظُلْمًا))[1]. وفي خبر آخر:((يَمْلِكُ الأرضَ سبعَ سنين)).

وفي حديث أبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال:((فيجيء الرجلُ فيقولُ:يا مهديُّ أَعْطِني قال[2]، فيَحْثِي له في ثوبه ما استطاع أن يَحْمِلَه))[3]. وفي حديث جابر عنه ﷺ أنه قال:((يكونُ في آخرِ الزمان خَليفَةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّه))[4]. إلى غير ذلك من الأخبار فأنها كثيرةٌ.

جماعة مُعَيَّنُونَ

روينا عن النبي ﷺ أنه قال:((إنَّ اللهَ يبعث لهذه الأمة على رأسِ كُلِّ مائة سنةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها دِينَها))[5]. تَمَّ كلامه ﷺ.

وأقول:إنَّا نظرنا في أهل البيت (ع) مَنْ كان منهم في هذا الوقت يصلح للإمامة والإفادة للمسلمين عامة[6]، **فكان على رأس** مائة سنة زيدٌ ومحمد الباقر ابنا علي زين العابدين. **وعلى رأس المأتين** محمد والقاسم [الرسي] ابنا إبراهيم. **وعلى رأس الثلاثمائة** المرتضى لدين الله محمد بن الهادي والناصران جميعًا الحسن بن

---

(١) أخرجه الترمذي ١ / ٤٣٨ رقم٢٢٣٠ ، وقال:حديث حسن صحيح. وأبو نعيم في الحلية ٥ / ٨٧ . وفي هذا المقام أحاديث كثيرة بألفاظ متعددة.

(٢) في (ب):بحذف قال.

(٣) الترمذي ٤/٤٣٩ برقم ٢٢٣٢.

(٤) مسلم ٤/٢٢٣٥ عن جابر وأبي سعيد. وأحمد بن حنبل ٥/١٥٦ رقم ١٤٤١٣، بلفظ مقارب.

(٥) أخرجه أبو داوود ٤/٤٨٠ رقم ٤٢٩١. والحاكم ٢/٥٢٢.

(٦) في (ب):ولإفادة المسلمين عامة.

علي الأطروش، وأحمد بن الهادي. **وعلى رأس الأربعمائة** المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني[1]. **وعلى رأس الخمسمائة** أبو طالب يحيى ابن الأمير أبي القاسم ابن الإمام المؤيد بالله. **وعلى رأس الستمائة** المنصور بالله عبدالله بن حمزة صلوات الله عليهم جميعًا، وعلى آبآئهم الأكرمين[2].

ومَنْ عرف أخبارهم واقتص سيرتهم وآثارهم عَلِمَ أنَّ مِنْ هولآء مَنْ دعا إلى الإمامة لرأس المائة السنة. ومنهم مَنْ كَمُلَتِ المائةُ وقد صار مِنَ العلم والفضل بالمنزلة التي معها يُهْتَدى به ، ويُغْتَرَفُ من بحر علمه ، ويُفزَعُ إليه في المهمات ويُفتَحُ بعلمه أقفالُ المشكلات.

فصل :في فضل أهل البيت على العموم

اعلم أيها المسترشد أنَّ هذا بابٌ واسع، ولو استقصينا ماورد فيه لخرجنا عن الغرض بالكتاب، ولدخلنا في المكروه من الإطناب والإسهاب. فَلْنَذْكُرْ من ذلك ما

---

(١) ولد سنة ٣٣٣هـ، وهو بحر لا يترف، وإمام في كل فن، حتى قيل:إنه في عدله وأهل البيت في عدله، وبويع له بالخلافة سنة ٣٨٠هـ، وتوفي سنة ٤١١هـ، وله مؤلفات منها:شرح التجريد والإفادة والهوسميات والزيادات والتفريعات والتبصرة والأمالي الصغرى والنوات والبلغة وسياسة المريدين. ينظر التحف ٢١١.

(٢) والمجدد على رأس السبعمائة الإمام المتوكل على الله المظلل بالغمام المطهر بن يحيى وولده الإمام المهدي محمد بن المطهر. [التحف٢٦٥]. وعلى رأس الثمانمائة الإمام الهادي إلى الحق علي بن المؤيد بن جبريل [التحف٢٨٥]. وعلى رأس التسعمائة الإمام المؤتمن عزالدين بن الحسن [التحف٢٩٦]. وعلى رأس الألف الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد [التحف٣٢١] والإمام عبدالله بن علي من أحفاد الإمام عزالدين بن الحسن. وعلى رأس الألف والمائة الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم [التحف٣٤٤]. وعلى رأس الألف والمائتين الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أحمد بن الكبسي المغلس [التحف٣٥٢]. وعلى رأس الألف والثلاثمائة الإمام محمد بن القاسم الحوثي [التحف٣٦٤-٣٦٥]. هذا ما ذكره الوالد مجدالدين مؤلف التحف.

هو كالتنبيه عليه، وكالإشارة إليه.

ذكر فضلهم على غيرهم

روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((نَحْنُ أهل البيت شجرةُ النبوة، ومعدن الرسالة، ليس أحد من الخلائق يَفْضُلُ أهلَ بيتي غيري))[1].

وجوب الصلاة عليهم

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((ارفُعوا أصواتكم بالصلاةِ عليّ وعلى أهل بيتي فإنها تَذْهَبُ بالنِّفَاق))[2]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((لا تُصَلُّوا عليَّ الصلاةَ البترآء، ولكن صَلُّوا عَلَيَّ وعلى آلِي مَعِي، فإنَّ اللهَ لا يقبلُ الصلاةَ عليَّ إلا بالصلاةِ على آلِي))[3].

وجوب مَوَدَّتِهِمْ

قال الله سبحانه:﴿قُل لاّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَىَ﴾ [الشورى:٢٣] فجعل الله سبحانه مودتهم مُسْتَحَقَّةً؛ لأنه جعلها أجرًا. والأجرُ لا يكون

---

(١) المرشد بالله ١/١٥٤. والشافي ١/٧٢.

(٢) أمالي أبي طالب ص٣٥٥، وفي هامش (ب) تعليق للوالد مجدالدين عافاه الله ضعف حديث ارفعوا أصواتكم؛ لعدم صحة طرقه بعد البحث والتحقيق؛ ولأن بعض رواته من الغلاة وهو أحمد بن محمد البرقي، وقد قدح فيه بعض الإمامية مع أنه منهم، والحديث وإن رواه بعض أئمتنا المتأخرين فقد أوضحوا سنده فالعهدة على المطلع في النظر في الرجال، وقد قال النجاشي:إنه -أي البرقي- قد أكثر الرواية عن الضعفاء، واعتمد على المراسيل، وفي الخلاصة للحلي من الأمامية والنجاشي عن الغضائري أن القميون طعنوا عليه، وليس للطعن فيه، إنما الطعن في من يروي عنه، فإنه كان لا يبالي عمن يأخذ على طريقة أهل الأخبار. وهذا الكلام منقول من أعيان الشيعة للأميني ٣/١٠٦، وقد ساق الأميني توثيقه عن كبارهم، ثم استدل الوالد مجد الدين بأنه مخالف لقوله تعالى:﴿وَاذْكُر رّبّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعاً وَخِيفَةً﴾، ونحوها، ولم يشرع رفع الصوت إلا في الأذان والخطب وإمام الصلاة، والتلبية.

(٣) الشافي ٤/٩٦، وذكر أنه رواه عن أبيه مسندًا.

إلا مستَحَقًّا. ولا خلاف بين المسلمين في وجوب تسليم الأُجْرَة إلى الأجير. وقال ﷺ:((أعطُوا الأجيرَ أَجْرَه قبل أن يَجفَّ عرقُه))[1]. ولفظةُ:**القُرْبَى** المرادُ بها القرابةُ بدليل قوله سبحانه:﴿وَاعْلَمُوَا أَنّمَا غَنِمْتُمْ مّن شَيْءٍ فَأَنّ للّهِ خُمُسَهُ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىَ ﴾ [الأنفال:٤١].

ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ المراد به قرابةُ رسول الله ﷺ، وقد أوضحنا ذلك عند كلامنا في الأخماس في كتاب ثمرة الأفكار في أحكام الكفار. ولما نزلت هذه الآية وهي قوله تعالى:﴿قُل لاّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَىَ ﴾، قيل:يارسول الله، مَنْ قرابتُكَ الذين أُمِرْنا بمودهم؟ فقال ﷺ:((فاطمةُ وولدُها))[2]. وعنه ﷺ أنه قال:((أنَا وأهْلُ بيتِي شجرةٌ في الجنةِ، أغصانُها في الدنيا، فمَن شآءَ اتَّخذَ إلى ربه سبيلا. وإنَّ اللهَ جعل أجري عليكم المودةَ في أهل بيتِي. وإني سَائِلُكم غدًا فَمُحْفٍ بكم[3] في المسألة))[4]. **وعنه** ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام:((مَنْ أَحَبَّ وَلَدَك فقد أَحَبَّك، ومَنْ أَحَبَّك فَقَد أحبَّني، ومَنْ أَحَبَّني فقد أَحَبَّه اللهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ الله أَدْخَلَهُ الجنةَ))[5]. **وعنه** ﷺ أنه قال:((واللهِ لا تؤمنون حتى

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٨١٧/٢ رقم ٢٤٤٣. والطبراني في الصغير ص٥٢ رقم ٣٤. والبيهقي في السنن ١٢٠/٦.

(٢) شواهد التتزيل ١٣٠/٢ رقم٨٢٢-٨٢٩. والطبراني في الكبير ٤٧/٣ رقم ٢٦٤١. والعمدة لابن البطريق ص٩١. وأحمد بن حنبل كما في هامش العمدة وقد سبق تخريجها.

(٣) في (ب) بدون في.

(٤) الصواعق لابن حجر ص١٥٠..

(٥) الأحكام ٥٥٥/٢.

تحبُّوني، والله لا تُحِبُّوني حتى أكونَ عند المؤمن آثَرَ مِن نفسه. وأهلُ بيتي آثَرَ عنده مِنْ أهل بيته. وولدي أحب إليه من ولده. وأزواجي أحب إليه من أزواجه)). **وعنه** ﷺ أنه قال:((لو أنَّ عبدًا عَبَدَ الله بين الركن والمقام ألفَ عام، ثم ألفَ عام، و لم يَقُلْ بحبنا أهلَ البيت أكبَّه اللهُ على منخره في النار)).

وجوب إكرامهم وقضاء حوائجهم

روينا عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال:((أربعةٌ أنا شفيعٌ لهم يومَ القيامة:المكرمُ لِذُرِّيَّتِي، والقاضي لهم حوائجَهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحبُّ لهم بقلبِه ولسانه))[1]. **وعنه** ﷺ أنه قال:((ثلاثةٌ أنا شفيعٌ لهم يوم القيامة:الضاربُ بسيفه أمَامَ ذُرِّيَّتِي، والقاضي لهم حوائجَهم عند ما اضطروا إليه، والمحبُّ لهم بقلبِه ولسانِهِ))[2]. **وعنه** ﷺ أنه قال:((مَنِ اصطَنَعَ إلى أحدٍ من أهل بيتي معروفًا فعجِزَ عن مكافأتِهِ كنتُ أنا الْمُكَافِي له يومَ القيامة))[3].

حكم باغضهم وقاتلهم والمعتدي عليهم

رُوِيْنَا عن رسول الله ﷺأنه قال:((اشْتدَّ غضبُ الله على اليهود، واشْتدَّ

---

(١) علي بن موسى ص٤٦٣. وفرائد السمطين ٢/٢٧٧. وذخائر العقبى ص١٨. وكنز العمال ١٢/١٠٠ رقم ٣٤١٨٠.

(٢) أمالي أبي طالب ص٤٤٣.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢/١٢٠ رقم ١٤٤ بلفظ:((من صنع إلى أحد من ولد عبدالمطلب يدا فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غدا إذا لقيني)). ورواه الجعابي في تاريخ الطالبيين كما ذكره الأمير . ينظر كشف الخفا ٢/٢٢٥.

غضبُ الله على النَّصارى، واشْتَدَّ غضبُ الله على مَنْ آذاني في عِتْرتي))[(١)] . **وعنـــه** ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام:((يا عليُّ مَنْ أبغضَ وَلَدَكَ فقد أبغضَك، ومَنْ أبغضك فقد أبغضَني، ومَنْ أبغضني فقد أبغضَ اللهَ، ومَنْ أبغضَ اللهَ أدخله النار))[(٢)] . **وعنه** ﷺ أنه قال:((حُرِّمَتِ الجنةُ على مَنْ ظلم أهْلَ بيتي وقاتلَهم، والْمُعِينِ علـــيهم، وَمَـــنْ سَبَّهم، أولئك لا خَلاَقَ لهم في الآخرة ولا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامة ولا يُزَكِّيهم ولهم عذاب أليم))[(٣)] . **وعنه** ﷺ أنه قال:((الويلُ لظالمِ أهل بيتي، عذابُهم مع المنـــافقين في الدَّرك الأسفل من النار))[(٤)] . **وعنه** ﷺ أنه قال:((اشْتَدَّ غضبُ الله وغـــضبُ رسوله على مَنْ أهرق دَم ذريتي، وآذاني في عترتي))[(٥)] . **وعنه** ﷺ أنه قال:((مَنْ أبغضنا أهلَ البيت بعثه الله يهوديًّا. قيل:وإنْ صَامَ وصلى وَزَعَم أَنَّهُ مُسْلِمٌ؟ قال:وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم))[(٦)] . **وعنه** ﷺ أنه قال:((مَن كان في قلبـــه حبـــةُ خَردلٍ عداوةً لي ولأهل بيتي لم يَرَحْ رائحةَ الجنة)). **وعنه** ﷺ أنه قال:((في أهل بيته قَدِّمُوهم ولا تَقَدَّمُوهم، وتَعَلَّمُوا منهم ولا تُعَلِّموهم، ولا تخالفوهم فتضِلُّوا، ولا تشتُموهم فتكفروا)) فقضى ﷺ وهو لا يقضي بالهوى إن هو إلاَّ وحي يُـــوحى

---

(١) كترل العمال ١٢/٩٣ رقم ٣٤١٤٣٧، ٥/٢٧٦. وفيض القدير للمناوي ١/٥١٥ كما ذكره في فضائل الخمسة.
(٢) الأحكام ٢/٥٥٥.
(٣) أمالي أبي طالب ص١٢١. وصحيفة الإمام علي الرضى ص٤٦٢.
(٤) صحيفة علي بن موسى الرضى ص٤٦٤.
(٥) المناقب لابن المغازلي ص٤٦ رقم ٦٤. ولسان الميزان ٥/٣٦٢. والبساط ص٩٨.
(٦) الطبراني في الأوسط ٤/٢١٢ رقم ٤٠٠٢.

بالضلال على من خالفهم والكفر على من شتمهم. **وعنه** ﷺ أنه قال:((لا يُبْغضنا أهلَ البيت إلا ثلاثةٌ:مَنْ يُؤتَى من دبره، ومَنْ كان لغير رِشدة، وَمَنْ حَمَلَتْ به أُمُّه في غُبَّرِ[1] حيضة))[2] يريد[3] آخر حيضة. إلى غير ذلك من الأخبار في كونهم أمانًا لأهل الأرض. **روينا عن** النبي ﷺ أنه قال:((النجومُ أمانُ أهلِ السمآء، وأهلُ بيتي أمانُ أهلِ الأرض، فإذا ذهبتِ النجومُ من السمآء أتى أهلَ السمآء ما يوعدون، وإذا ذَهَبَ أهلُ بيتي من الأرض أتى أهلَ الأرض ما يُوعَدُون))[4].

وفي بعض الأخبار:((فإذا انقرضُوا من الأرض صَبَّ الله عليهم العذابَ صَبًّا))، يعني على أهل الأرض. **وعنه** ﷺ أنه قال:((بِنَا أهلَ البيت بدأ اللهُ الدنيا، وبنا يَختِمُ الدنيا)). وفي وجوب إجابة دعوتهم قولُ النبي ﷺ:((مَن سَمِعَ وَاعِيَتَنَا أهلَ البيت فلم يُجِبْها كَبَّه الله على منخريه في نار جهنم))[5].

وفي اتباع مذهبهم وعصمة جماعتهم

قال الله سبحانه:﴿إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب:٣٣]. وروينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ أنه دَعَى بعلي

---

(١) غبره:بقية دم الحيض . القاموس ص٥٧٥.
(٢) أخرجه المرشد بالله حديثًا بنفس المعنى قال:((من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث: إما منافق، وإما لزنية، وإما امرؤ حملت به أمه في غير طهر)). والمناقب للكوفي ٦٠١/٢بلفظ:((لايبغض أهل بيتي من الناس إلا ثلاثة:رجل وضع على فراش أبيه لغير أبيه، ورجل جاءت به أمه وهي حائض، ورجل منافق)).
(٣) في (ب):يريد في .
(٤) نهج البلاغة الخطبة رقم ٩٨ ص٢٧١.
(٥) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢٥٥/٢. والطبري في تاريخه ٤٠٧/٥ في سياق كلام الحسين عليه السلام.

وفاطمة والحسن والحسين (ع) وأجلسهم عن يمينه ويساره ومِنْ خَلْفِهِ وقُدَّامــه ثم جَلَّلَهم بكسآء فَدَكِي، ثم قال:((اللهم إنَّ هولآءِ أهلُ بيتي فَأَذْهِبْ عنهم الــرجسَ وَطَهِّرْهُم تطهيرا)). فقَالتْ أمُّ سَلَمَةَ (رض):وأنا من أهل بيتــك يــا رســول الله ؟فقال:لستِ منهم وإنك لعلى خير[1]، فَسُمِّيَتْ بعد ذلك[2] أُمَّ سَلَمَةَ الخير.

وفي ذلك أخبارٌ غَيْرُ هذا عن عائــشة، وأُمِّ ســلمة (رض) حــذفناها هنــا للإختصار. وإذا ثبت ذلك فالآيةُ وإن كانت نازلةً فيمن تقدم ذِكْرُه وهم الخمــسة صلوات الله عليهم؛ فإنه لا يجب قَصْرُ الآية عليهم؛ لأنَّ الدليل هو الخطابُ، وهــو عامٌّ، فيجبُ إجراؤُه على عمومه. واستعمالُه فيمن يتناولُه اسمُ البيت حقيقــةً؛ لأنَّ السَبَبَ ليس بدليلٍ فيقال بوجوب قَصْرِ الخطاب عليه. وقــال الله ســبحانه:﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ مّلّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النّاسِ﴾ [الحج:٧٨] فاختارهم له شهدآء، وهو لا يختار شهودًا إلا العدول الــذين لا يُجْمِعُوْن على ضلالة ولا خطإٍ، فثبت بذلك عــصمةُ جماعتــهم. وقــال الــنبي ﷺ:((أهْلُ بيتي فيكم كسفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومن تَخَلَّف عنــها غــرق وهوى))[3]. والمعلومُ أنه لم ينجُ من أمة نوح إلا مَنْ ركب في السفينة، فيجب أن لا ينجوَ من هذه الأمة إلا مَن تَمَسَّك بالعترة، واتبع مذاهبَهُم، واعتصم بهم، وإلا بطل

---

(١) الكوفي في المناقب ١٣٢/٢. وشواهد التنزيل ٥٥/٢.
(٢) في (ب):لذلك.
(٣) سبق تخريجه.

التشبيهُ، وهو كلامُ حكيمٍ لا يجوز ذلك فيه. وقال النبي ﷺ:((إني تاركٌ فيكم ما إن تَمَسَّكْتُم به لن تَضِلُّوا أبدًا[1]:كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، إنَّ اللطيفَ الخبير نَبَّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوضَ))[2].

فجعل التمسك بهم كالتمسك بالكتاب، فكما أن المتمسك بالكتاب لا يَضِلُّ، فكذلك المتمسك بهم. وإلا بَطَلَتْ فائدةُ الخطاب.

وجوب نصرتهم والقيام معهم والذَّبِّ عنهم

روينا عن زيد بن علي عن آبائه عن علي أمير المؤمنين (ع) أنه قال:((بايعتُ رسول الله ﷺ، وكنتُ أبايع له على السمع والطاعة في العسر واليسر وفي الأثرة علينا وأن نُقيمَ ألسنتنا بالحق، ولا يأخذَنا في الله لومةُ لائم. فلمَّا ظهر الإسلام وكثر أهله قال ياعليُّ:((أَلْحِقْ فيها أن تمنعوا رسولَ الله وذريتَه من بعده مما منعتم منه أنفسَكم وذراريَكم))، قال علي:فوضعتُها على رقاب القوم، وَفَى بها مَنْ وَفَى، وهلك بها من هلك[3].

وفي زيارة قبورهم

قول النبي ﷺ:((من زار قبرًا من قبور أهل البيت ثم مات في عامه الذي زار[4] فيه وَكَّلَ الله بقبره سبعين ملكا يسبِّحون له إلى يوم القيامة))[5]. ولنقتصر

---

(١) في (ب):بعدي أبدًا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مجموع الإمام زيد ٤٠٢، وأبي طالب ص١٢٦.

(٤) في (ب):زاره.

(٥) أبي طالب ص١١١.

على هذا القدر من فضائل أهل البيت (ع) فليس غرضنا إلا التنبيه لا غير ونحن نسأل الله أن يجعلنا ممن أخذ في هذا الفضل بنصيب، وأن يكفينا شر يوم عصيب، ويصلي على محمد وآله.

فصل: إن قيل: قد رَوَيْتُم في كتابكم هذا أن النبي ﷺ جعل أهل بيته أحد الثَّقَلَين، وأنَّ الثقلين هما الكتاب والعترة، وأنه يجب التمسك بهما، وأن من تمسك بهما نجا، وقد ثبت أن في أهل البيت عصاةً لا تجوز موالاتهم، ومخالفون[1] للحق وأهله لا يحل اتِّباعهم.

قلنا: وكذلك في القرآن منسوخ سقط حكمه فلا يجوز لأهل الأيمان العمل به، ومتشابه يتبعه أهل الزيغ والضلال يجب رده إلى أدلة العقول وَمُحْكَمِ القرآن، ولا يحل العَمَلُ بما يقتضيه ظاهره. فإن قلت: لا يجب اتِّباع القرآن كذلك[2] فقل في أهل البيت (ع) كذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. [الحديد:٢٦]، فلم يُسْقِطْ[3] فِسْقُ الفاسقين وجوب اتِّباع الهداة الصادقين، ولا إخراجهم من وِرَاثة الكتاب، فِعْلُ أهلِ الزيغ والارتياب. ونقول: بأن كثيرا مما ذكرناه من فضائلهم من وجوب موالاتهم، ونصرتهم، ومودتهم ونحو ذلك إنما يختص به منهم المؤمنون،

---

(١) في هامش (ب): مخالفين. ((ومخالفين)) عطف على اسم أنَّ، ((ومخالفون)) على أنه مبتدأ و((في أهل البيت)) خبر مقدم؛ لأن، وهو دليل على خبر مخالفون، والتقدم، وفي أهل البيت مخالفون من الثاني لدلالة الأول عليه.

(٢) في (ب): لذلك، وقد كانت في الأصل ((لذلك)) ثم زاد كافا

(٣) في (ب): فلم يسقط في.

ويخرج منه المجرمون، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩] وقال: ﴿لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ الآية [المجادلة:٢٢].

وأما الفصل الثالثُ:

وهو في ذِكْرِ طرفٍ يسير من مناقبِ أتباعهم وشيعتهم

فقال الله تعالى حاكيًا عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦]، فأقَرَّه الله تعالى و لم يُعْقِبْه بإنكار، فثبت كون أَتْباعِهِ منه. وسمع إبراهيم بن عبدالله صاحب باخمرا عليه السلام[1] بعض شيعته وقد ضَرَبَ رجُلاً من المسوِّدة يقول: خذها وأنا الغلام الحداد، قال عليه السلام: لِمَ تقول: أنا الغلام الحداد؟ قل: أنا الغلام العلوي؛ فإن إبراهيم صلى الله عليه يقول: فمن تبعني فإنه مني، فأنتم منا ونحن منكم، لكم ما لنا وعليكم ما علينا[2]. فعلى هذا نقول: إن

(١) هو إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، كان عالِمًا فاضلاً خطيبًا مصقعًا شاعرًا مفلقًا شجاعًا، بحيث لا يبالي دخل على الموت أو خرج إليه، واجتمع معه من الزيدية والمعتزلة، وأصحاب الحديث ما لم يجتمع مع أحد من أهل بيته، دعا بعد مقتل أخيه النفس الزكية (ع)، وقد كان بلغه خبر استشهاده يوم العيد غرة شوال فصلى بالناس صلاة العيد ثم رقى المنبر وخطب ، وذكر مقتل أخيه ، ونعاه إلى الناس؛ فلما نزل بايعه الكثير من العلماء والفقهاء والزهاد، واستشهد في ١ / ذو الحجة سنة١٤٥هـ بباخمرا، وهي منطقة بين البصرة والكوفة، في المعركة التي كانت بينه وبين عيسى بن موسى، ودفن هناك.

(٢) أمالي أبي طالب ص١٢٢. والحدائق الوردية ١/١٧٣.

أتباع محمد وأهل بيته (ع) يجب أن يكونوا منهم في فضائلهم ومناقبهم.

روى الناصرُ بإسناده عن الصادقِ عن آبائه (ع) عن النبي ﷺ أنه قال ((إن في السمآء حرسًا وهم الملآئكة، وإن في الأرض حرسًا وهم شِيْعَتُكَ يا عليّ لن يُبَدِّلوا ولن يُغَيِّروا))[1].

فصل:والذي يَجْمَعُ الشيعةَ [الزيدية] من القول تفضيلُ أمير المؤمنين على سائر الصحابة، وأنه كان أولى بالإمامة، ويرون الخروج على الظلمة، والقيامَ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الإمامةَ تُسْتَحَقُّ بالفضلِ والطلب دون الوِرَاثَةِ وأنه لا نَصَّ على أعيان الأئمة بعد الحسين بن علي (ع). وذهبت الجارودية إلى حصر[2] الإمامة في ولد فاطمة من أبنآء الحسن والحسين إلى غير ذلك من مذاهبهم. **وقال النبيُّ** ﷺ حاكيًا عن ربه عز وجل:((أنت شجرةٌ، وعليٌّ أغصانُها، وفاطمة ورقُها، والحسنُ والحسينُ ثمارها. خلقْتُها من طينةِ عليينَ، وَخَلَقْتُ شِيعَتَكُم مِنْكم، إنهم لو ضُرِبُوا على أعناقِهم بالسيوفِ لم يزدادوا لكم إلا حُبًّا))[3]. وقوله:وخلقتُ شيعتَكم منكم فيه توسُّعٌ ومجازٌ، وذلك لتشبُّهِهِم[4] بهم، واحتذائهم بسيرتهم، ودخولهم في مِلَّتِهم؛ ولأنهم لَمْ يَتَّبِعُوا إلا أهل البيت (ع) الذين قد شهد الكتابُ ببرائتهم من رجس المعاصي في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ

---

(١) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين ١٧٤.

(٢) في (ب):قصر.

(٣) هذا جزء من حديث ذكر في الشافي ١/١٧٨. ومسند الإمام زيد ص٤٠٦.

(٤) في (ب): لتشبيههم.

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب:٣٣] والذين شهدَ لهم الرسولُ بالعدالة في قوله:((إني تاركٌ فيكم مَّا إن تَمَسَّكْتُم به لن تَضِلُّوا من بعدي أبدًا:كتابَ الله وعِتْرَتِيْ أهلَ بيتي، إنَّ اللطيفَ الخبيرَ نَبَّأني أنَّهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوضَ)).

وغيرِ ذلكَ من الأدلة الدالةِ على وجوب إتِّباع العِتْرة الطاهرة، فكان ذلك دليلاً على فَضْلِ شِيْعَتِهِمْ وَأَتْبَاعِهِم، وقول النبيُّ ﷺ:((تَخَتَّمُوا بالعقيقِ فإنَّه أَوَّلُ حَجَرٍ شَهِدَ لله تعالى بالوحدانية، وَلِيْ بالنُّبُوةِ، ولعليٍّ بالوصية، ولأهل بيته بالإمامةِ ولشيعته بالْجَنَّةِ))[1]. وقول النبي ﷺ لعلي عليه السلام:((يا عليُّ إنَّ شيعَتَنَا يَخرُجُونَ من قبورهم يوم القيامه على ما بهم من العُيوبِ والذنُوب وجُوهُهُم كالقمرِ في ليلة البدر، وقد فُرِّجَتْ عنهم الشدائدُ، وسُهِّلَتْ لهم الموارِدُ، وَأُعْطُوا الأمنَ والأمانَ، وارتفعت عنهم الأَحْزَانَ يخَافُ الناسُ ولا يخافون، ويَحْزَنُ الناسُ ولا يحزنون، شُرُكُ نعالهم تتلألأ نُورًا، على نُوقٍ بيض لها أجنحةٌ قد ذُلِّلَتْ من غير مَهانة، وَنَجِبَتْ[2] من غيرِ رياضةٍ، أعناقُها من ذهبٍ أحْمرَ أَلْيَنُ من الحريرَ؛ لكرامَتِهم على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))[3]. **وقَول النبي** ﷺ لعلي عليه السلام:((خُلِقْنَا من شجرةٍ واحدةٍ:أنا أصلُها، وفاطمةُ فَرْعُها، وأنتَ لِقَاحُها، والحسنُ والحسينُ ثَمَرُهَا[4]، وشيعَتُنَا ورقُها. يا عليُّ لو أنَّ رجُلاً عبد الله عز وجل ألفَ سنةٍ حتى صار كالأوتار من صومه، وكالْحَنايا

---

(١) المناقب للكوفي ١/٥٥. وابن المغازلي ص١٧٩ رقم ٣٢٦. والعمدة لابن البطريق ص٤٣٨.
(٢) هكذا ضبطت في الأصل، والقياس ((نَجُبَتْ)) مثل ظَرُفت. المختار ص٦٤٥.
(٣) شمس الأخبار ١/١٤٤.
(٤) في (ب):ثمارها.

وكالْحَنايا من صلاتِه، ثم لَقِيَ اللهَ وفي قلبه مِثْقَالُ ذرةٍ من بُغْضِكَ لكبَّــهُ اللهُ علــى منْخريه في النَّار)) [1]. فقال في ذلك الشاعر [2]:

ياحبذا دوحةً في الْخُلْــدِ نابتَــةً		ما مِثْلُهَا نَبَتَتْ في الأرضِ من شجرِ [3]
المصطفى أصلُها والفرع فاطمــةٌ		ثم اللِّقَــاحُ عَلِــيٌّ سَــيِّدُ البَــشَرِ
والهاشميان سِــبْطَاهُ لهــا ثَمَــرٌ		والشيعةُ الورقُ الملتــفُّ بالــشَّجَرِ
هذا مَقالُ [4] رسولِ الله جَآء بــه		أهلُ الرواية في العالي مــن الْخَبَــرِ
إني بِحُبِّهِمُ أرجو النجــاةَ غَــدًا		وَالْفَوْزَ مَعْ زُمْرَةٍ من أفضلِ الزُّ مَــرِ

وعن جعفر الصادق عليه السلام قال:نَزل قولُــه تعــالى:﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾[5] [الشعرآء:١٠٠] فينا. وفي شِيعتِنَا، وذلك أنَّ الله تعالى يُفَضِّلُنَا وشِيعَتَنَا حتى إنا لنــشفع ويشفعون، فإذا رأى ذلك مَن لَيْسَ منهم قــالوا:﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾. **وروى الناصرُ** للحق الحسنُ بن علي (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((يَدْخُلُ الجنةَ من أُمَّتِــي سَبْعُونَ ألفًا لاحِسَاب عليهم))، ثم التفتَ إلى علي فقال:((هــم شِــيعَتُكَ وأنــتَ إمامهم)) [6].

(١) أخرجه الكنجي في الكفاية ص٤٢٥. والحاكم ٣/١٦٠، وان استنكر متنه فقد صــحح إســناده، وأمــا شذوذ متنه، فلأنه ذكر فيه فضائل الخمسة صلوات الله عليهم وشيعتهم لكن نكتفي ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل. وذخائر العقبى ص١٦.
(٢) هو أبو يعقوب الطبراني . الحدائق الوردية ١١/١٦.
(٣) ما في الجنان لها شبه من الشجر . الكفاية ص٤٦٢.
(٤) حديث الكفاية ص٤٦٢.
(٥) تنبيه الغافلين ١٧٤.
(٦) الكوفي في المناقب ٢/٢٨٥. والمناقب لابن المغازلي ١٨٤ رقم ٣٣٦، وتنبيه الغافلين ١٧٤.

وقيل في قوله تعالى:﴿وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الفتح:٧] إنَّهُمُ الزيديةُ[١]. **وعن** الصادق بن الباقر (ع) أنَّه قال:((كُلُّ رايَةٍ في غيرِ الزيديةِ فهي راية ضَلالٍ)). **وعن** إبراهيم بن عبدالله (ع) أنه قال:لو نزلت رايَةٌ من السمآءِ لم تنزل إلا في الزيدية))[٢].

أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه وعقيدته

كان ممن يعتقدُ وجوبَ محبَّةِ أهل البيتِ (ع)، ووجوبَ نُصْرَتِهِم، ومعاونَتِهِم، وتحريْمِ عَدَاوتِهم وبغضهم وكَراهَتِهِم[٣].

وَلَمَّا قام زَيدٌ بنُ عَليٍّ (ع) اعتذر إليه في القيام معه بأَعْذَارٍ حقَّقَ بعضها، وأعْذارٍ أجْمَلَها وَكَتَمَهَا، فمِن جُمْلَةِ ما اعتذر به ودائعُ كانت عندَهُ للنَّاسِ، ثم أعانَهُ بِمَالٍ اخْتُلِفَ في كمِّيته فقيل:هو ألفُ دينار.

وَلَمَّا قام إبراهيمُ بنُ عبدِالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) كتب إليه أبو حنيفة كتابًا من جملته قولُه أما بَعدُ:فإذا أظْهَرَكَ الله على آلِ عيسى بن موسى فَسِرْ فيهم بِسِيرَةِ[٤] أبيكَ في أهل صفينٍ، فإنه قتل المـدْبِرَ، وأجهز على الجريح[٥]، ولا تسر بسيرته في أهل الْجَمَل فإنه لم يقتل المدبر، ولم يُجْهِزْ على

---

(١)في هامش (ب):جنود السماء الملائكة، وجنود الأرض الزيدية. الشافي ٢/١٢٠، وسلوة العارفين ٥٤٤.

(٢) ذكره في الاعتبار وسلوة العارفين ٥٤٤، والشافي لجعفر بن محمد (ع) ١/١٧٨. و ٢/١٢٠.

(٣) روى أبو الفرج في المقاتل ص١٤٠ إن محمد بن جعفر بن محمد قال في أبي حنيفة:رحم الله أبا حنيفة لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي.

(٤) في (ب): سيرة.

(٥) المقاتل ص٣٦٧، والإفادة ص٨٤.

الجريح. فَوُجِدَ الكتابُ فكتمه أبو جعفر الدوانيقي الملقَّب بالمنصورِ حتى انقضَتْ حروبُ إبراهيمَ عليه السلام، وسَكَنَ النَّاسُ ، ثم أَشْخَصَهُ إلى بغدادٍ. فسُقِيَ شربةً مات منها [سنة ١٥٠هـ] [١] ، فهو شَهِيدٌ في حُبّنا أهلَ البيت ودُفِنَ في بغدَاد [رحمه الله].

وقام عليه رجل[٢] فقال:يا أبا حنيفةَ ما اتَّقيتَ اللهَ في فتواكَ أَخِي بالخروج[٣] مع إبراهيم بن عبدالله فَقُتِلَ؟ فقال أبوحنيفة مجيبًا له:قَتْلُ أخيك مع إبراهيم خيرٌ له من الحياة، قال:فما مَنَعَكَ أنتَ من الخروج؟ قال:ودائعُ للناس عندي[٤]. وسأله رجلٌ[٥] تلك الأيام عن الحج، أو الخروج إلى إبراهيم عليه السلام؟ فقال:غزوةٌ خيرٌ مِنْ خمسين حجة.

ومِمَّن خرج مع إبراهيم عليه السلام طبقاتُ أصحابِ الحديث في عصرهم:شعبةُ ابن الحجاج[٦]، وهُشَيمُ بن بشير[١] ، وعبَّاد بنُ العوَّام[٢]، ويزيدُ بنُ

---

(١) المقاتل ص٣٦٧-٣٦٨. قال الزمخشري ١/١٨٤ في تفسير قوله تعالى:﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾، وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سرًا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهما، وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه، وقالت له امرأة:أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبدالله بن الحسن حتى قتل، فقال:ليتني مكان إبنك، وكان يقول في المنصور وأشباهه:لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت. وذكر صاحب مرآة الجنان أنه مات في السجن مسموما سنة ١٥٠هـ.

(٢) هو أبو إسحاق الفزاري، واسمه إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن حارثة.

(٣) في بقية النسخ:للخروج.

(٤) مقاتل الطالبيين ص٣٦٤. والإفادة ص٨٦.

(٥) هو إبراهيم بن سويد الحنفي. ينظر المقاتل ص٣٧٩..

(٦) شعبة بن الحجاج ولد سنة ٨٠هـ، وقيل:٨٢هـ. كان من سادات أهل زمانه حفظًا وإتقانًا وورعًا، كان الثوري يقول عنه:أمير المؤمنين في الحديث، وقال الشافعي:لولا شعبة ما عرف الحديث، وقال الأصمعي: لم نر أحدًا أعلم بالشعر منه، خرج مع إبراهيم بن عبدالله وروى أبو الفرج عن أبي سهل

هارون[٣]، إلى غيرهم[٤]. فالغرض الاختصار. وسُئِلَ شعبةُ عن الخروج مع إبراهيم والقيام معه. قال:سألوني عن إبراهيم صلوات الله عليه وعن القيام معه والله لهي بَدْرٌ الصغرى[٥]. وقال شُعبةُ-لَمَّا جآء العِلْمُ بِقَتل إبراهيم-:لقد بكى أهل السمآء على قتل إبراهيم، إنْ كَان مِن الدِّين لبمكان.

مالك بن أنس رحمة الله عليه وعقيدته

جرى على هذا الحال، ونَسَج على هذا المنوال، فإنه كان يعتقد مثلَ ما تقَدَّم، وكَان يَدينُ به. **ولَمَّا** قام محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام حَثَّ على نُصْرَته، وقضى بوجوبه، وأتاه قوم ممن قد بايع أبا جعفر الملقب بالمنصور وهو أبو الدوانيق،

قال:مازلت أسمع أن شعبة كان يقول في نصرة إبراهيم بن عبدالله للناس إذا سألوه:ما يقعدكم؟ هي بدر الصغرى. ينظر تهذيب الكمال ١٢ / ٤٧٩. وسير أعلام النبلاء ٢٠٢/١٢. والمقاتل ص٣٦٥. والفلك الدوار ص٦١٥.

(١) هُشَيْمُ بن بشير:محدث بغداد وحافظها ، ولد سنة ١٠٤هـ ، سكن بغداد ، ونشر بها العلم، وصنَّف التصانيف. قتل أخوه وابنه في الجيش الذي كان يقاتل فيه مع إبراهيم ابن عبدالله كما ذكره صاحب المقاتل ص٣٦٥. توفي سنة ١٨٣هـ. ينظر تذكرة الحفاظ ٢٤٩/١. سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٨.

(٢) عباد بن العوام الواسطي:كان من الأعلام ، حبسه الرشيد على التشيع ثم خلى عنه، ثقة، قال الذهبي:أظنه خرج مع إبراهيم لذلك سجنه، نعم إن ذلك سبب سجنه فهو أحد قواده، كما ذكره أبو الفرج الأصفهاني ص٣٦٤، وقد هدم الرشيد داره ومنعه من الحديث، وروي أبو الفرج في المقاتل ص٣٦٢ عن رحمويه، قال المهدي لابن علاثة:أبغي قاضيا لمدينة الوضاح، قال:قد أصبته، عباد بن العوام، فقال له:وكيف مع ما في قلوبنا عليه. توفي سنة ١٨٥هـ. ينظر تذكرة الحفاظ ٢٦١/١. وسير أعلام النبلاء ٥١١/٨. وطبقات ابن سعد ٣٣٠/٧. والفلك الدوَّار ص٣٦٢.

(٣) يزيد بن هارون، كان ثقة ، كثير الحديث، ولد سنة ١١٨هـ. وتوفي سنة ٢٠٦هـ. وكان ممن خرج مع إبراهيم بن عبدالله كما ذكره صاحب المقاتل ص٢٦٤، وطبقات ابن سعد ٣١٤/٧. وسير أعلام النبلاء ٣٥٨/٩.

(٤) ذكر هؤلاء أبو الفرج ص٣٧٧. والفلك الدوار ص١١٥.

(٥) المقاتل ص٣٦٥. والفلك الدوار ص١١٥.

فسألوه عن بَيْعَتِهِم له-يَرُومُون الاعتذار بالبيعةِ عن القيام مع محمـد عليه السلام، فقـالوا له:إنَّ في رقابنا لأبي جعفر يمينًا، وقد قام محمد بن عبدالله فما ترى؟ قال:انفِرُوا إليه، وليس على مُكْرَهٍ يَمين[1] .

وهكذا محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رحمه الله وعقيدته

كان من أوليائنا وَهْوُ داعيةُ الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابـن علي بن أبي طالب عليه السلام[2] . وكان يقول بفضل أهل البيت، ويعترفُ به، وَيُعَـرِّفُ به، ويعتقد وجوبَ مودهم، وتحريمَ عداوتهم. وهو القائل:

إنْ شـئتَ تمـدحُ قومًـا		لله لا لِتَعِلَّـــهْ
فَاقْـصِدْ بمـدحك قومًـا		هُـم الهـداةُ الأدِلَّـهْ
أخبـارهم عـن أبـيهم		عـن جبرئيـلَ عَـنِ اللهْ

وهو القائل أيضًا شعرًا:

ياراكبًا قِفْ بالْمُحَصَّبِ من مِنًى		واهْتِفْ بواقِفِ خَيْفِها والنَّـاهِضِ
سَحَرًا إذا فاضَ الحجيجُ إلى مِنًى		سَيْلاً كَمُلْتَطِمِ الفُرَاتِ الفـآئضِ

(١) المقاتل ص٢٨٣. والطبري ٧/٥٦٠. وأما الإمام مالك فقد خلع كتفه أمير الحرمين جعفر بن سـليمان عم الخليفة المنصور العباسي بعد أن ضربه بالسياط كما بينه صاحب مرآة الجنان؛ لأنه كان يـروم قلـب الخلافة العباسية عندما أفتى بعدم صحة بيعة المنصور لأنها كانت عن إكراه، وبايع محمد بـن عبـدالله بـن الحسن بالخلافة وكان من أعوانه. ينظر سر انحلال الأمة العربية ووهن المـسلمين لمحمـد سـعيد العـرفي ص١٢١.

(٢) الحدائق الوردية ١/١٨٢. والتحف شرح الزلف ص١٣٠.

قِفْ ثم نَــادِ بــأَنَّني لِمُحَمَّــدٍ		ووصيِّه وابْنَيْهِ لَــستُ بِبَــاغِضِ
إن كان رفضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّــدٍ		فَلْيَشْهَدِ الثَّقلانِ أَنِّــي رَافِــضي[(١)]

وهذا مما يدل على حُسْنِ اعتقاده، وأنه مباين لطرائقِ كثيرٍ ممن ينتسب إليــه في هذا الزمان؛ لأنَّ عندَهم، أو عندَ أكثرهم من البِغْضة[(٢)] لأهل بيت النبوةِ (ع) مالا يخفى على مَنْ عَرَفَهُمْ واختبر أحوالَهم، بل قد تعدى الأمر حتى صاروا يبغضون كُلَّ من انتسب إليهم، وعُرِفَ بأنه شيعي من شيعتهم، وصار هذا الاسمُ معدودًا عندهم من جملة الشتم، والذِّكْرِ القبيح؛ فيدخلون ببغضهم تحتَ ماورد به الخبرُ عن ســيد البشر ﷺ فيما رويناه عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال:خَطَبَنَا رســول الله ﷺ فقال:((مَنْ أَبْغَضَنَا أهلَ البيتِ حَشَرَهُ اللهُ يوم القيامة يهوديًا)). قلتُ:وإن صَامَ وصَلى وزعم أنه مسلم؟ قال:((وإن صام وصلى وزَعَمَ أنَّه مُسلمٌ))[(٣)]. إنما احْتَجَــزَ بذلك من سَفْكِ دَمِه، وأن يُعطِيَ الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغر. وقــد علمنــا أيهــا المسترشد أن الجزية لا يُعطيها عن يد وهو صاغرٌ إلا أهلُ الذمــة والعهــدِ مــن الكافرين. إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين؛ ولكن لا تُبْصِرُها أفئدةُ العَمِــينَ، ومــا يعقلها إلا العالمون[(٤)].

---

(١) أنظر ديوانه ص٥٥. ومناقب الشافعي ٢/٧١.
(٢) في (ب) ، (ج): البغاضة.
(٣) أخرجه الإمام الناصر في البساط ص٩٨. وسبق تخريجه.
(٤) يوجد من الشافعية وغيرهم كثير من أهل الأنصاف.

مسألة :ونعتقد وجوبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متى تكاملتْ شرائطُهما. **والكلام فيهما يقع في أربعة فصول:**

أحدها في معاني هذه الألفاظ التي هي الأمْرُ، والمعروفُ، والنهي، والمنكـــر؛ لأنه لا يحسنُ أن نتكلم[1] في أحكام أمرٍ وَلَمَّا نَعْلم[2] ذلك الأمر.

فَالأمر:هو قولُ القائل لغيره افْعَلْ، أو لِيَفْعَلْ، أو ما يجري مَجْراهما على جهـــة الاستعلآء دونَ الخضوع، مع كون الْمُورِدِ للصيغة مُريدًا لحدوثِ المأمور به على ما هو مذكور في غير هذا الموضع. **والمعروفُ:**هو كُلُّ فِعْل عُرِفَ فَاعِلُه، أو دل على أن لفعله مَدْخلاً في استحقاق المدح. **والنَّهيُ:**هو قول القائل لغيره:لا تَفْعَـــلْ، أو لا يَفْعَلْ، أو ما يجري[3] مجراهما على جهة الاستعلآء دون الخضوعِ، مع كون الْمُورِدِ للصيغة كارهًا للمنهي عنه. **والمنكَرُ:**هو كلُّ فِعْل عُرِفَ فاعلُه، أو دَلَّ على أنَّ لفعله مَدْخلاً في استحقاق الذم، على ما هو مُفَصَّل في غير هذا الموضع[4].

والفصل الثاني :في حُكْمِهمَا

واعلم أيها المسترشد أهما واجبان متى تكاملت شرائطهما، والذي يدل علـــى وجوهما الكتاب والسنة والإجماع. **أما الكتاب** فقوله تعـــالى:﴿وَلْتَكُن مّنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ

---

(١) في (ب): يتكلم.

(٢) في (ب): يعلم.

(٣) في (ب): وما يجري.

(٤) في أصول الفقه.

﴾ [آل عمران:١٠٤]. وقوله عزَّ قائلاً:﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ❖ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ❖ تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٨٠]. فبين سبحانه أنَّ من جُمْلَةِ ما لَعَنَهم به تَرْكَهُمْ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنةُ: فكثيرٌ نحو ما أخبرني به والدي وسيدي بدرُالدين عمادُ الإسلام رضي الله عنه[1] بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((لا يَحِلُّ لعين تَرَى الله يُعْصَى فَتَطْرِفَ حتى تُغَيِّر، أو تَنْتَقِلْ))[2]. وفي السماع المتصل بالمنصور بالله عليه السلام:((حتى تُغَيِّرَ أو تَنصرِفَ))[3]. **ونحو** ما رويناه إلى زيد بن علي عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا تأمرُ بمعروف ولا تَنْهَى عن مُنْكَرٍ، ولا تَأْخُذُ على يدِ ظَالِمٍ، ولا تُعينُ المحسِنَ، ولا تَرُدَّ الْمُسِيءَ عن إساءته))[4]. **ونحو** ما رويناه عن الحاكم رحمه الله يرفعه بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((أوحى اللهُ إلى نَبيٍّ من أنبيائه إنِّي معذِّبٌ من أُمَّتِكَ مائةَ ألفٍ:أربعين ألفًا من شرارهم، وستين ألفًا من خِيارهم. قال يارب:هؤلآءِ الأشرارُ، فما بالُ الأخيار؟ قال:داهنُوا أهلَ المعاصي، و لم

(١) هو الأمير بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى (ع) .
(٢) الأحكام ٢/٥٤٠. ورأب الصدع ٣/١٥٨٩.
(٣) درر الأحاديث النبوية ص٣٦.
(٤) المجموع ص٤٢٠.

يَغْضَبُوا لِغَضَبي))[(١)] . **ونحو** قوله ﷺ:((لَتَأمُرُنَّ بالمعروفِ وَلَتَنْهُنَّ عن الْمُنَكَرِ، أو لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ شِرَارَكُمْ على خِيارِكم فيقتلونَكم فلا يبقى أحدٌ يأمرُ بمعـــروفٍ، ولا يَنهى عن منكرٍ، ثم لَتَدْعُنَّ اللهَ فَيَمْقُتُكُمْ))[(٢)] . **وفي الحـــديث**:((الْمُـــسْتَمِعُ أحَـــدُ الْمُغْتَابِينَ))[(٣)] . وإنما كان كذلك لتركه لإنكارِ الغِيبةِ على قائلها .

وعنه ﷺ أنه قال:((مَا مِنْ قومٍ يُعْملُ فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأَكثَـــرُ ممـــن يَعْمَلُه ولا يُغَيِّرُونَه إلا عَمَّهُم الله بعقابه))[(٤)] . وعنه ﷺأنه قال:((سيكُونُ أُمَـــرَآءُ يَمْلِكُونَ رِقَابَكم، يُحَدِّثُونكم فَيَكْذِبُونكم، ويَعْمَلُون فَيُسيئُون، ولا يَرْضَون عـــنكم حتى تُحَسِّنُوا قبيحَهم، وتُصَدِّقُوا كَذِبَهم. فأَعطُوهم الحقَّ ما رَضُوا به، فإذا تجاوزوه إليكم فَقَاتِلُوهم، فمن قُتِلَ على ذلك فهو شَهيدٌ)).

وعن مالك بن دينار قال:أوحى اللهُ إلى ملآئكته:أنْ أَهْلِكُـــوا قريَـــةَ كـــذا. قالوا:يارب إنَّ فيهم فُلانًا العابد! قال:أسْمِعُوني ضجيجَه فيهم، فإنَّ وَجْهَهَ لم يَتَغَيَّرْ غضبًا لِمَحَارمي. وعنه ﷺ أنه قال:((لَمَقَامُ أحدِكم في الدنيا يَتَكَلَّمُ بَكَلِمَةٍ يَرُدُّ بها

---

(١) أمالي أبي طالب ٢١٤. والمرشد بالله ١/٣٥، أوحى الله إلى يوشع بن نون (ع) أني مهلك من قومك مائة ألفا وأربعين ألفا من شرارهم فما بال خيارهم؟ قال:إنهم يواكلونهم ويشاربونهم لا يغـــضبون لغـــضبي، ولا يرضون لرضاي.

(٢) أخرجه المرشد بالله في أماليه ١/٣٥. وأبو طالب في أماليه ص٢٩٣. والطبراني في الأوسط ٢/٩٩ رقـــم ٣١٧٩ بلفظ:أو ليسلطن الله عليكم..إلخ . ودرر الأحاديث ص١١٠ باختلاف يسير.

(٣) الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ٧/٥٤٣. وتهذيب ابن عساكر ٣/١٤٣ كمـــا في أطـــراف الحـــديث ٨/٦٧٢.

(٤) أخرجه أبو طالب ص٢٩٧ . وأحمد بن حنبل برقم ١٩٢٥٠ . ١٩٢١٣ . ١٩٢٣٦ عـــن جريـــر بـــن عبدالله . وأبو داوود ٤ / ٥١١ برقم ٤٣٣٩.

باطِلاً ويُحِقُّ بها حقًّا أفضلُ من هِجْرَةٍ مَعي))[1]. **وعنه** ﷺ أنه قـال:((أفـضل الجهاد كَلِمَةُ حَقٍّ بين يَدَيْ سُلْطَانٍ جائرٍ))[2]. وعنه ﷺ أنه قال:((مَـنْ أَمَـرَ بالمعروفِ، ونهى عن المنكـرِ[3]، فهـو خليفـةُ الله في الأرضِ، وخليفـةُ كتابِـه ورسوله))[4]. إلى غير ذلك من الأخبار.

وأما الإجماع فذلك ظاهر لا خلاف في وجوبهما بين المسلمين متى تكاملت شرائطهما.

وأما الفصل الثالث:

فهو في تعيين شرائطهما. وهي خمس شرائط:

أحدها:أن يكون الآمِرُ بالمعروف والناهي عن المنكر عالما بأنَّ ما أمر به فهـو حَسَنٌ غيرُ قبيح، وأنَّ ما نهى عنه فإنه قبيح[5] مختص بوجهٍ من وُجُوهِ القُبح. فيدخل في ذلك أنْ يكونَ المأمورُ به حَسَنًا والمنهيُّ عنه قبيحًا؛ لأنه متى لم يكن كـذلك لم يأمَنْ أن يكونَ آمِرًا بِقَبِيحٍ، وناهيًا عن حَسَنٍ وذلك قبيح لا يجوزُ فِعْلُه. **وثانيها**:أن يَعْلَمَ أو يَغْلِبَ على ظنه أنَّ لأَمْرِهِ ونهيِه تأثيرًا؛ لأنَّ الأمـر والنـهيَ لا يُـرَادَانِ إلاَّ

---

(١) أخرجه السيوطي في جامع الأحاديث ١٠٨/٥ رقم ١٧٤٩٢، بلفظ:((لمقام أحدكم في الدنيا يتكلم بحـق يزيل به باطلا، أو ينصر به حقا أفضل من هجرة معي)).

(٢) المرشد بالله ٢٢٨/٢ من حديث:((أي الجهاد أفضل، قال:كلمة حق عند إمام جائر)). والطبراني ٢٩٢/٨ رقم ٨٠٨١ بلفظه، وص٢٨١ رقم ٨٠٨٠ بلفظ:أحب الجهـاد. وابـن ماجـة ١٣٢٩/١ رقـم٤٠١١ بلفظ:أفضل الجهاد كلمة عدل. وأبو داوود ٥١٤/٤ رقم٤٣٤٤.

(٣) في الأحكام:من ذريتي.

(٤) الأحكام ٥٠٥/٢.

(٥) في (ب): فهو قبيح مختص بوجه.

لِحُصُولِ المأمورِ به، وامتناعِ المنهيِّ عنه.

وثالثها: أن لا يؤديَ الأمرُ والنهيُ إلى مثل ما نُهِيَ عنه أو أعْظَمَ منه من المناكير؛ لأنَّ الأمْرَ والنهي -والحالُ هذه- لا يجوزان؛ لأجل الْمَفْسَدة التي فيهما، وهذا مما لا خلاف فيه، إلاَّ في وجه واحد، وهو أنه إذا غلب على ظنه أنَّ أَمْرَه ونهيه يؤديـــان، أو المفعول من أحدهما إلى قَطْعِ عضو من أعضائه، أو إلى قتله -وكان في ذلك إعزازٌ للدِّينِ- هل يكونُ حسنًا مندوبًا، أو قبيحًا محظورًا؟. مِنَ العلماء مَنْ ذهب إلى جواز ذلك -والحال هذه- وعليه دَلَّتْ أفعالُ العِتْرَةِ كالحسين بن علي، وزيد بن علـــي، ومَنْ طابقهما من أهلهما سلام الله عليهم أجمعين. وعلى ذلك يَدل سير[1] الصحابة (رض). وإليه ذهب الشيخان أبو عبدالله الحسن البصري، وأبو الحسن الكرخي[2].

وأما الشيخ أبو هاشم فَجَوَّز ذلك عند إظهار كلمةِ الحق عند الظَّلَمةِ، وإظهارِ الإسلام عند الكَفَرة دونَ ما عدا ذلك. والأول هو الأولى عندنا لِمَا تقدم ذِكْره من أفعال الصحابة (رض)، وأفعالِ العترة.

ورابعها: أن يَعْلَمَ أو يغلب على ظنه أنه متى لم يأمر بالمعروف الواجب، أو لم يَنْهَ عن المنكر أدَّى ذلك إلى تضييع المعروف ووقوع المنكر؛ لأنه متى لم يعلم ذلك أو يغلب على ظنه لم يَكُنْ للأمر ولا للنهي وَجْهٌ.

---

(١) في (ب): تدل سيرة

(٢) هو عبيدالله بن الحسين بن دلال بن دَلْهَم ، قيل: إنه ولد سنة ٢٦٠هـــ، وإليه انتهت رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وكان معتزليا ، كثير العبادة، صبورا على الفقر والحاجة. توفي في ١٥ شعبان سنة ٣٤٠هـــ. ينظـــر طبقات المعتزلة ص١٣٠. وتاريخ بغداد ٣٥٣/١٠. وسير أعلام النبلاء ٤٢٦/١٥.

وقلنا: المعروف الواجب؛ لأن المعروفَ على ضربين: فَرْض، وَنَـدْب؛ فـالأمرُ بالفرض فَرْضٌ متى تكاملت شرائطُه، والأمرُ بالندب نَدْبٌ وليس بفرض؛ لأنَّ الأمر به تَبَعٌ له، فإذا لم يَجِبْ في نفسه فأولى وأحَقُّ أن لا يجبَ الأمرُ به[1].

وأما الفصل الرابع: وهو في مراتبهما

فاعلم أنه يجب أن يَبْدَأ في ذلك بالوعظ والقول اللين؛ لقولـه تعـالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات:٩] فأمر بالإصـلاح أَوَّلاً؛ ولأن الله تعالى أمر موسى وهارون (ع) أن يبدءا في الأمر لفرعون المدَّعي للربوبيه بالقول الليِّن، فقال عز قائلاً: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوَاْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦]. وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ كان آمرًا بمعروفٍ فليكنْ أمْرُه ذلك بمعـروف))[2] أي بلطـفٍ ولين، فإن أثَّرَ ذلك إلا انتقل إلى القول الْخَشِن والوعيد والإغلاظ في الكلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم:٩]؛ فإن نَجَـعَ [أي نفع] وإلا انتقل إلى الضرب بالسوط والعَصَى، فإن أثَّر ذلك وإلا انتقل إلى الضربِ بالسيفِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات:٩] وإنَّمَا لزم ترتيبهما [أي الأمر والنهي] هذه المراتب؛ لأن الانتقال إلى الأعلى مع حصول الغرض بدونه يكون عبثًا فلا يجوز فعله[3].

(١) لم يذكر إلا أربعة شروط فلعل الخامس التكليف. اهـ السيد عبدالرحمن شايم.
(٢) شمس الأخبار ٢/١٦٠. وشعب الإيمان ٦/٩٩ رقم ٧٦٠٣.
(٣) قال صاحب الأزهار: ولا يخشن إن كفى اللين.

فإن قيل:فهل يجوز جميعُ ذلك لغير الإمام أوْ لا[1]؟، قلنا:أما النهي عن المنكرات فَمِمَّا لا يَخْتَصُّ به[2] أئمةُ المسلمين، بل يَجِبُ ذلك على جميع المــؤمنين، وكافــة المسلمين، على الشرائط المتقدمة، والْمُرَاتَّب الْمُرَتَّبة، وعلى ذلك إجماع المــسلمين كافة.

وأما الأمر بالمعروف فلا يجوز الضربُ بالسوط والسيف فيه على الإطــلاق، ولو تكاملت شرائطه إلا في زمان الإمام، فأما الأمر بالمعروف باللسان فهو جــائز لغير الإمام ومندوبٌ إليه، وهو واجِبٌ-متى تكاملت شرائطُه-باللــسان لعمــوم المسلمين على ما فَصَّلْنا ذلك في:((الرسالة الْمُفْصِحَة بالبراهين الموضحة)).

مسألة :ونعتقد وجوب الموالاة لأوليآء الله

وهم المؤمنون، ووجوبَ المعاداة لأعدآء الله وهم المجرمون، كفــارًا كــانوا أو فاسقين، وسوآء كانوا من الأباعد أو من الأقربين، وسأضرب لك مثالاً[3] يكشف عن الحال، ثم أُتْبع ذلك بالاحتجاج والاستدلال بمشيئة ذي الجلال. فنقول وبــالله التوفيق:إن ملكًا من الملوك لو كان له عَبْدَانِ فأنعمَ على كل واحدٍ منهما بــالعتق وَفَكَّه من رِبَقِ الرق، ثم علَّمه الدين، وهداه إلى الصراط المستبين حتى صار عارفًــا بفروع الدين وأصوله، عالِمًا بالإسلام مسموعه ومعقوله، ثم زوَّجه ابنتــه المؤمنــةَ التقيةَ الرضية المرضيةَ الكاملة خَلْقًا وخُلُقًا، ثم سَلَّم له القصورَ العالية ومَلَّكه القناطيرَ

---

(١) في (ب) بحذف ((أَوْ لا)).

(٢) في (ب) بحذف ((به)).

(٣) في (ب): مثلا.

المقنطرة من الذهبِ والفضةِ واللآلِيء والجواهر ونحو ذلك، من كل صنف قنـــاطيرُ كثيرة ، وأنعم عليه بصنوف الأموالِ كلها من المواشي السائمة، والمراعي الوسيعة ، والبساتين الحسنة الكثيرة ، والخِلَع والملابس الحسنة، والزرائع الجيدة على الأنهـــار الجارية الدائمة، وجعل له الخدم، وخوَّله النعم ، ومكَّنه من كل ما يمكن[1] الإشارة إليه من نعم الدنيا ، ثم إن أحَدَهما عصى مولاه في كل وجه من الوجوه، فقال الملكُ للثاني:إن هذا قد عصاني، وخرج عن أمري، وكفر نعمتي، وأنا أحـــبُ منـــك أن تَهْجُرَه وتَقْلِيَه، وتُبْعِدَه وتُقْصيَه، فإن فعلت ذلك خَوَّلتك نعمًا أكثر من نعمك هذه بألفي ألف ألف ضِعْف، فعند ذلك بادر هذا العبدُ إلى تقريـــبِ العبـــد العاصـــي، وإتْحافِه وإنصافِه، والإنعامِ عليه بالأموال الجليلة والنعمِ الكثيرةِ معانـــدةً لمـــولاه، واتباعًا لهواه، مع استمراره على الالتزام بأوامر سيده كلها، إلا ما كان منـــه مـــن موالاته لمن عصى مولاه، وخروجه في ذلك عن رضاه–ما حكمُ هذين العبدين عند أولي الأحلام والنُّهَى؟! أليس يشهد جميعُ العقلآء بأنهما كافران لنعم سيدهما الـــتي ذكرناها، وأياديه التي وصفناها، وأن حكمهما قد صار واحدًا عند العارفين، فـــإذا كان يُسْتَقْبَحُ من هذا العبد موالاةُ عدو مولاهُ الذي أنعم عليه من النعم بما ذكرناه– وإنما قَبُحَ ذلك لكونه كفرًا لنعمة مولاه–فكيف بنعم الله تعالى؟ إذ كل النِّعم مـــن جهته، قال[2] تعالى:﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحـــل:٥٣] ولا سَوآء؛ فإن نعمَ الله تعالى تُمْطَرُ على عبيده كلهم، في كل حركَةٍ وسكون، وجِـــدٍّ ومجـــون، ولا

---

(١) في (ب): تمكن ويمكن بالتآء واليآء.
(٢) في (ب): قال الله.

تفارقهم في حال معصيةٍ يرتكبونها، ولا في حالِ طاعةٍ يفعلونها، بَلْ لا يَقْدر العبـــدُ على معصيةِ الله إلا بنعمة الله، ولا يقدرُ على القيام بما يَلْزَمُه من شكر الله إلا بنعمةِ الله، فإنه لولا تعريفُه للعبد كيفيةَ الشكر، وإقدارُه له[(١)] على الاعتراف بنعمه[(٢)] –لما ذَكَرالله تعالى ذاكرٌ، ولا شَكَره شـــاكرٌ.﴿وَإِن تَعُدّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٤]. **وعلى الجملةِ** أيها المسترشد فانظر في نفـــسك فما[(٣)] لا تستحسنُ لعبدك من مخالطَةِ عدوكِ–فلا تَسْتَحْسِنْها لعدو مولاك تبـــارك وتعالى، فإنك لا تستحسن من عبدك[(٤)] مخالطة عـــدوك بالمناصـــرِة، والمعاضـــدةِ، والملاينةِ، والمساعدةِ، والموادةِ، والمشاورةِ، والمعاونـــةِ، والمظـــاهرةِ، والمـــصاحبةِ، والمجاورةِ، ونحو ذلك. ثم أقلُّ حقوقِ الله سبحانه وتعالى عليك أن تُنَزِّلَه منزلةَ نفسك ، وتُنْزِلَ نَفْسَكَ فيما يَحِلُّ لها من عدو الله منزلةَ عبدك فيما تستحسنه له في عقلك من عدوك، ولا سَوآء، فإن لله المثلَ الأعلى، وهو أجلُ وأعلى، ونِعَمُـــه عليـــك لا تحصى. وأما ما وعدناه من إيضاح الدلالة فهذا حينُ إيضاحِ السبيل وإقامةِ الدليل.
فنقول وبالله التوفيق:دَلَّ على وجوب موالاةِ أوليآء اللهِ، ووجوبِ عداوةِ أعدآء الله الكتابُ والسنةُ والإجماعُ.

أما الكتاب:فقوله تعالى:﴿لاّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاَخِرِ يُوَآدّونَ مَنْ

(١) بحذف ((له)) من (ب).
(٢) في (ب): بنعمة الله.
(٣) في (ب): فيما، وفي الهامش: فكما.
(٤) في (ب): وتعالى علوا كبيرا، فإنك لا تستحسن لعبدك .

حَآدّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوَاْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ الأيـة [المجادلة:٢٢]. وقال عز قائلا:﴿وَالّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُمْ مّن وَلاَيَتِهِم مّن شَيْءٍ حَتّىَ يُهَاجِرُواْ ﴾ [الأنفال:٧٢]، وقال سبحانه:﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدّةِ ﴾ [الممتحنة:١] وإنما أراد بذلك مكاتبَتَهم بسر رسول الله ﷺ.

وقصةُ حاطب بن أبي بلتعة ظاهرةٌ[1] والغرضُ الإختصارُ وقال الله سبحانه يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ للّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مّبِيناً ﴾ [النسآء:١٤٤]. وقال سبحانه:﴿يَأَيّهَا النّبِيّ جَاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم:٩]. وقال سبحانه:﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الّذِينَ يَلُونَكُمْ مّنَ الْكُفّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوَاْ أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ ﴾ [التوبة:١٢٣]. ونظائرُ ذلك في القرآن كثيرٌ، ثم حكم الله سبحانه بأنَّ حُكْمَ من والاهم كحكمهم[2] فقال:﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنّصَارَىَ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلّهُمْ مّنكُمْ فَإِنّهُ مِنْهُمْ إِنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

---

(١) فقد كتب لأهل مكة يخبرهم أن الرسول ﷺ يريد غزوهم، فأعلم الله نبيه بذلك فأرسل عليًا والمقداد والزبير وعمارًا وطلحة وأبا مرثد إلى روضة خاخ، فوجدوا ظعينة معها كتاب حاطب، وقد أخفته بين شعر رأسها، وقد كانت أنكرته لولا أن عليًّا هددها قائلا:والله لنكشفنك، فوالله ما كذبنا ولا كُذبنا. فطُلب حاطب، واعتذر بأنه ما نافق، وإنما أراد أن يقدم يدا لمشركي مكة؛ ليحفظوا له عياله؛ لأنه لصيق بهم لا عشيرة له، فقال ﷺ:((لقد صدقكم)، ونزلت الآيات. ينظر أسباب النزول للواحدي ص٣٤٧.

(٢) في (ب): حُكْمُهم.

وأما السنةُ:فكثيرٌ، نحو قول النبي ﷺ لأبي ذر:((أَتَدْرِي أيُّ عُرَىَ الإســـلام أوثق؟ قال:الله ورسولُه أعلم. قال:الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في اللهِ، والحـــبُّ في الله، والبغضُ في اللهِ))[1]. **وعنه** ﷺ أنه قال:((لو أنَّ عبدًا قام ليله وصام نهارَه وأنفق مالَه في سبيل الله عِلْقًا عِلْقًا[2] وعَبَدَ اللهَ بين الركنِ والمقامِ حتى يُذْبَحَ بينهما مظلومًا، لَمَا صعد إلى الله من عمله وزنُ ذرةٍ حتى يُظْهِـــرَ المحبـــةَ لأوليـــآء الله والعـــداوةَ لأعدائِهِ))[3].

وقد علمت أيها المسترشدُ شفقةَ الوالدِ على ولده، وفُرْطَ محبته له، فلما عصى الله تعالى ابنُ نوحٍ قال له نوح عليه السلام:﴿يَبُنَيّ ارْكَبَ مّعَنَا وَلاَ تَكُن مّعَ الْكَافِرِينَ ❖ قَالَ سَآوِيَ إِلَىَ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَآءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاّ مَن رّحِمَ﴾ [هود:٤٢-٤٣]، ثم ظن نوحٌ عليه السلام أنه ممن وعده الله نجاتَه، ﴿إِنّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنّ وَعْدَكَ الْحَقّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]. فأجابه الله ســـبحانه:﴿قَالَ يَنُوحُ إِنّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] فعند ذلك تاب نـــوحٌ عليه السلام واعتـــرف واستعاذ بالله عز وجل:﴿قَالَ رَبّ إِنّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيَ أَكُن مّنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَنُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مّنّا وَبَرَكَاتٍ

---

(١) شمس الأخبار ١٦١/٢. والطبراني في الكبير ١٧١/١٠ رقم ١٠٣٥٧ ورقم ١٠٥٣١ ص٢٢٠. وحليـــة الأولياء ١٩٦/٤.

(٢) العِلْقُ:النَّفْسَ.

(٣) رواه الناصر الأطروش في البساط ص٦٩.

عَلَيْكَ وَعَلَىَ أُمَمٍ مّمّن مّعَكَ ﴾ [هود:٤٧-٤٨].

وهكذا قد عرفت عِظَمَ حرمةِ الوالد وحقه الذي ألزمه الله تعالى وَلَدَه وافترضَه عليه فقال:وبالوالدين إحسانا، وقال:﴿إِمّا يَبْلُغَنّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لّهُمَآ أُفّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ وَقُل رّبّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسرآء:٢٣-٢٤] ولو علم الله أدنى من ((أُفٍّ)) لذكره، وقال:﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىَ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾ [لقمان:١٥]، ولا أَقْوَمَ بفرض الله ولا أعرفَ بحق الله تعالى في الآدميين من الأنبيآء المرسلين سلامُ الله عليهم أجمعين.

فكان[(١)] من قصة آزَرَ ما هو ظاهرٌ، فإنه كان ينافقُ إبراهيمَ عليه السلام على ما ذكره بعضُ المفسرين حتى وعده أنه يستغفر الله له، فاستغفر الله له سبحانه، فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرَّأَ منه، قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إِلاّ عَن مّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أَنّهُ عَدُوّ للّهِ تَبَرّأَ مِنْهُ إِنّ إِبْرَاهِيمَ لأوّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٤] واتَّبعه على ذلك أصحابُه المؤمنون في التبري من قومهم المجرمين.

وأمرنا[(٢)] الله تعالى بالتأسي بهم والإقتدآء بصنيعهم فقال[(٣)] عز قائلا:﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيَ إِبْرَاهِيمَ وَالّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنّا بُرَءآؤاْ مّنْكُمْ وَمِمّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتّىَ

---

(١) في (ب):وكان.
(٢) في (ب):فأمرنا.
(٣) في (ب):قال.

تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، وَتَوَعَّدَ اللهُ على موالاة أعدائه، فقال عَزَّ قائلا: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُوٓاْ آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إَنِ اسْتَحَبّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة:٢٣]، وفي اجتماع المؤمنين في العقائد الصحيحة الدينية والأفعالِ الزكيةِ المرضيةِ جعلهم الله إخوةً وأولياء، فقال عز قائلا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، فواخى بذلك بين الملائكة والأنبيآء والصديقين وسائر المؤمنين. وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١] وهكذا حَكَمَ تعالى على المتوافقين في العقائد السقيمة، والأفعال الذميمة، بأن بعضهم من بعض فَقَالَ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧]، وغير ذلك من الآيات كثيرٌ.

وأما الإجماع: فذلك مما لاخلاف فيه بين المسلمين؛ بلى قد سوغ اللهُ سبحانه التَّقِيَّةَ إذا خشي المؤمنُ على نفسه، وكذلك لدعاةِ الحق ما يقتضي ظاهرهُ الموالاة؛ لإستدعآئِهم إلى الدين، أو التألُّف لهم؛ لنصرة المحقين؛ وتكثير سواد المتقين، أو تخذيل الْمَرَدَةِ الفاسقين على ما بينَّا ذلك في؛ كتاب ثمرة الأفكار في أحكام

الكفار)). وهذا[1] ثابتٌ في الشاهد؛ فإنك تستحسنُ من عبدك، إذا خشي على نفسه الهلاكَ من عدوك أن يعامله بالْمُدَارَاةِ والمجاورةِ والموالاة حتى يَتَخَلَّصَ من مكره، ويَسْتَنقِذَ نفسَه من شرِه، ثم يُظْهِرَ له عداوتَه بعد ذلك لِيُرْضِيَ بها المولى المالك، وكذلك تستحسنُ له[2] موالاةَ عدوك ومقاربتَه ومحاورته ومشاورته ليرده إلى طاعتك، ويَنْظِمَه في سلك إرادتك، ويُخرِجَه من عداوتك.

وكذلك تستحسنُ منه أن يُفَرِّقَ بين أعدآئِك بأن يواليَ بعضَهم ويعَاديَ بعضًا، ويحاربَ ببعضهم بعضًا حتى يَذِلَّ أعدآؤُك كلهم، ويصيرَ أعزهُم قبل ذلك أذلَّهم. وكذلك تستحسن منه أن يفرق بين أعدآئِك الْمجتمعين على عداوتك، المحاربين بجمعهم لك، حتى يَخْذُلَ بعضُهم بعضًا فيقف بعضُهم عن حَرْبِك، ويفترقَ جمعهم، وتَشَتَّتَ كلمتُهم، وَيَقِلَّ عددُهُم، فكذلك يحل لك من عدو الله مثلُ ذلك، فاسلك هذه المسالكَ فالأعمال بالنيات، وأنت تعامل باريءَ البَرِيَّات، الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى، ويَعْلَمُ خآئِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخفِي الصُّدُورُ، وَهُوَ على مَا يَشآءُ قَدِيرٌ.

---

(١) في (ب): وذلك.
(٢) في (ب): منه.

مسألة:

ونعتقد صِدْقَ الله عز وجل في وعده ووعيده

وفي ذلك فصول عِدَّتُها خمسةَ عَشَرَ فَصْلاً:

الفصل الأول:أنه لا بد لكل مخلوق من الحيوان من الموت والفنا، وإنه لابد من فنآء العالم كله وهلاكه

أما الموتُ:فهذا[(١)] معلوم ضرورةً بالمشاهدةِ فيما حَضَرَنَا، وبالأخْبَارِ المتـــواترةِ فيما غابَ عَنَّا فيما مضى، ومنتظرٌ في المستقبلِ بالأدلة المعلومة قال تعالى:﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعـراف:٣٤]، وقـــال:﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]، وقال:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥] ونظائرها في القرآن كثيرٌ. وفي شدة الموت ما روي عن الحسن رحمه الله أنه قال:الموتُ أشد من ضَرْبِ أَلْفِ سيفٍ يَقَعْنَ جميعًا، وأشد من طَبْخٍ في القدور، وقَطْعٍ بالمناشير. وعـــن الحسن:إن الأنبياء قالوا لإبراهيم بعد الموت:كيف وجدتَ الموتَ؟ قال:شديدًا كأنما أُدْخِلَ في كُلِّ عِرْقٍ مني وعَظْمٍ ومَفْصِلِ السُّلاء، ثم استُلَّ استلالاً، قالوا:أما إنه قـــد يُسِّرَ عليك[(٢)].

وأما الفناء:فهو معلومٌ على الجملة قال تعالى:﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص:٨٨]، وقال:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، وغير ذلك مـــن الـــسنة

---

(١) في (ب): فهو .

(٢) أخرج ما يوافق ذلك في شمس الأخبار ٢/٣٣٣.

المعلومة تركناه للاختصار.

والفصل الثاني:في عذاب القبر وثوابه

أهلُ البيت (ع) مختلفون فيه. منهم مَن يُثْبِته، ومنهم مَنْ يَنْفِيه، وكذلك علمآءُ سآئِر العَدْلِيَّة مختلفون فيه كما تقدم. والعقلُ يُجَوِّزُه؛ فإنه مقدورٌ لله تعالى، وجآئِزٌ في الحكمةِ؛ إذ لا وَجْهَ يقتضي قُبْحَهُ، فجاز وقوعُه. وقدا حتج مَن يُثبته بآيات وأخبار؛ فالآياتُ محتَمِلَةٌ، تَرَكْنَا إيرادَها، وإيرادَ الأجوبة عنها للاختصار. وأما الأخبار فنورد طَرَفًا منها.

فنقول وبالله التوفيق:روي عن النبي ﷺ أنه قال:((القَبْرُ أوَّلُ رَوْضَةٍ من رياض الجنة، أو حفرةٍ من حُفَرِ النار))[1]. **وعنه** ﷺ أنه مَرَّ بقبرين، فقال:((إنَّهما لَيُعَذَّبانِ وما يُعَذَّبان في كبير:أحدهما كان لا يَستبري، أو قال:لا يستتره من البول. والآخَرُ كان يمشي بالنميمة))[2]. وقوله:وما يعذبان في كبير يعني عندَ كثير من الناس لكثرة لَهَجِهِم به، وإلا فالعذابُ لا يُسْتَحَقُّ إلا على الكبآئِر. وعنه ﷺ أنه قال:((ليس مِنْ يوم إلا يُعْرَضُ على أهل القبور مقاعدُهم من الجنة والنار غُدوةً وعشيةً))[3]. رواه ابن عمر. **وعن** ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يتعوذ من عذاب

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٢٣١/٣ رقم٤٦٨٢ . بلفظ:((القبر روضة من رياض الجنة..إلخ)). والكنز ٦٠٣/١٥ رقم ٤٢٣٩٧.

(٢) أخرجه المرشد بالله ٣٠٣/٢. والبخاري ٨٨/١ رقم٢١٣. والترمذي ١٠٢/١ رقم٧٠. والنسائي ١٠٦/٤ رقم٢٠٢٩. وابن ماجة ١٢٤/١ رقم٣٤٧١.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٥٦/٧ عن ابن عمر.

القبر[1]. ورواه[2] عمر بن الخطاب.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:((المعيشةُ الضَّنكا عــذابُ القــبر))[3].

وعن عآئِشة قالت:قال النبي ﷺ:((عذابُ القبر حَقٌّ))[4]. والأخبار في هذا كثير، ربما يَبْلغُ حدَّ التواتر في المعنى .

والفصل الثالث:من حالات القيامة

النفخ في الصُّوْر:وهو معلوم ضرورة على الجملة، قال تعالى:﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأرْضِ ﴾ [الزمر:٦٨]، وقال سبحانه:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنــون:١٠١]، والآياتُ في هذا كثير.

وعن ابن عباس وقد سئل عن الــصُّور[5] فقــال:سمعــت رســول الله ﷺ يقول:((هو قَصَبَةٌ لها أربعُ شُعَب، تَدْوارُفَمِ القَصَبة كتَدْوَارِ الدنيا كلِّها، شــعبةٌ في أقصى مشارق الأرض، وشعبةٌ في أقصى مغاربها، وشعبةٌ في أقصى تُخُــوم الأرض السابعة السفلى، وشعبةٌ أخرى فوق السمآء السابعة)). والأخبار أكثــرُ مــن أن

---

(١) أخرجه المرشد بالله في أماليه ٢/٣٠٦. والنسائى ٤/١٠٣ وقد ثبت من طرق كثيرة أنه كان يتعوذ منه.

(٢) في (ب): وروي عن.

(٣) ينظر الدر المنثور ٤/٥٥٧ فقد ساق ذلك من طرق عديدة. ومجمع الزوائد٣/٥٥.

(٤) أخرجه المرشد بالله في أماليه عن عائشة ٢/٣٠٦.

(٥) المراد به كل الصُّور؛ لأنه جمع صورة، مثل الصوف جمع صوفة، وهو مجاز. والنفخــة الأولى تكــون في الصور والأبدان؛ لإفنائها. والثانية تكون في الصور والأبدان المتناثرة للنشور والحياة. ينظر في ذلك المجموعــة الفاخرة ص١٦٦.

نُحْصِيهَا في ذلك.

الفصل الرابع: البعث وبعثرة القبور لإعادة الموتى

وهو معلوم من الدين ضرورة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٦]، وقال: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧]. وقال: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، وقال: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:٤]، وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ [المجادلة:٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]. إلى غير ذلك من الأيات.

الفصل الخامس: تغير العالم وحشر الحيوانات

أما السمآء: فقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَآءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ونظآئرها كثيرةٌ[1].

وأما الأرض، فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ [الفجر:٢١]، وقال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً﴾ [الواقعة:٤]، ونظآئرها كثير.

وأما الجبال: فقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، وقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ❖ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ❖ لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلآ أَمْتاً﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

وأما القمران: فقال: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩]، وقال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ

---

(١) في (ب): كثير.

كُوِّرَتْ ﴾ [التكوير:١]، وقال:﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾ [القيامة:٨].

وأما النجوم:فقال تعالى:﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير:٢]، وقال:﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الإنفطار:٢]. **وأما البحار**:فقال سبحانه:﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الإنفطار:٣]. وفي آية:﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير:٦]. **وأما الحيوان**:فالملآئكة، قال[(١)] تعالى:﴿وَانشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ❖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَآئِهَآ ﴾ [الحاقة:١٦-١٧]، يعني على أطرافها وأقطارها. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ [الفجر:٢٢].

وأما الروح:فقال سبحانه:﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ﴾ [النبأ:٣٨]، قِيْلَ:الرُّوحُ خَلْقٌ عظيم، أعظم من الملآئكة. **وأما الناس**:فقال سبحانه:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة:٤]. **وأما الوحوش**:فقال عز قآئلا:﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير:٥].

الفصل السادس :السؤال، وشهادة الشهود

أما السؤال:فقال سبحانه:﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات٢٤]، وقال:﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف٦]، قيل:يَسْأَلُ الرسلَ هل بلغوا، ويَسْأَلُ الأمم هل قبلوا؟. وقال:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ❖ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣][(٢)].

---

(١) في (ب):قال الله.

(٢) يقال:كيف التوفيق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى:﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ ﴾ ، وكذلك سؤال المرسلين؟ . **والجواب** عن الأول إضافة إلى كلام المؤلف من وجوه:**أحدها** إن السؤال سؤال

وعلى الجملة فهو معلوم من الدين ضرورة. فأما قوله تعالى:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١]، وقوله:﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص:٧٨] ونحو ذلك في القرآن فإنه لا ينافي ما تَقَدَّم؛ لأن هناك مواقف كثيرة، قيل:هي خمسون موقفا. وهناك حالات كثيرة، ففي بعضها يقع السؤال كما تقدم وفي بعضها لا يقع سؤال، كما في هذه الآيات، وإذا كانت الحالُ هذه سَلِمَ كلامُه عز وجل من التناقض والتعارض؛ لاختلاف الوقتين، وليس في آيات إثبات السؤال وآيات نَفْيِه أنَّ ذلك كلَّه في وقت واحد، ومن شروط[1] التناقض والتعارض أنْ يكون الوقتُ واحدا.

كذلك قوله تعالى:﴿ثُمّ إِنّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر:٣١]. وقوله تعالى:﴿هَـَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ ❖ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات:٣٥-٣٦]. فإن ذلك كله في وقتين فصاعدا، وليس في الآيتين أنَّ ذلك في وقت واحد، فَيَنْبَغِي حِفْظُ هذا الأصل فيما هذه حالُه. فإنَّ الجاهل بمقاصد القديم سبحانه في خطابه يَظُنُّ

تبكيت وتقريع، وليس سؤال استعلام واسترشاد؛ لأن المجرم معروف بدون سؤال لقوله سبحانه:﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾. **الوجه الثاني** أنهم يسألون حتى تنفرد عقوبتهم ثم ينقطع السؤال كما قال سبحانه:وقفوهم إنهم مسؤولون ؛ فلا تنافي بين الآيات. الوجه الثالث أن في القيامة عدة مواقف:ففي بعضها يسأل، وفي بعضها لا يسأل. وأما الجمع بين قوله تعالى:﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ ﴾، وقوله:﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ فهو أن الأول معناه:لا يسأل بعضهم بعضا سؤال استخبار لتشاغلهم عن ذلك، ﴿لِكُلّ امْرِىءٍ مّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ . **والثاني** معناه:يسأل بعضهم بعضًا سؤال تلاوم وتوبيخ، كما قال سبحانه في موضع آخر:﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىَ بَعْضٍ يَتَلاَوَمُونَ ﴾. **أما سؤال الرسل** فالمراد به أيضا التهديد للمرسل إليهم مثل قوله تعالى:﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ فالسؤال لها توبيخ، وتهديد. **ينظر الطبرسي** ٤/٢١٨. والكشاف ٤/٤٥٠.

(١) في (ب):لأن من شروط .

أنَّ بعض ذلك ينقُضُ بعضًا لجهله بشروط التناقض والتعارض وحـالاتِ القيامـة ومواقفها. وفي هذه الزُّبدةِ إشارةٌ إلى هداية المسترشدين والله الهادي.

وأما شهادة الشهود:فمن ذلك شهادةُ الأرض، قال تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة:١] ، إلى قوله:﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة:٤]. وعن النبي ﷺ أنه قال:((أَتَدْرُون ما أخبارُها))؟ قالوا:اللهُ ورسولُه أعلم. قال:((أخبارُها أن تَشْهَدَ على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بِمَا عَمِل على ظَهْرِهَا[(١)]، تَقُولُ:عَمِلَ كَذَا وكَذَا، يومَ كذا وكذا))[(٢)].

وقال تعالى:﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة:٥] ، أي أَذِنَ لها أن تخبر بما عُمِل عليها[(٣)]. وفي آخر حديثٍ عن النبي ﷺ:((وَتَحَفَّظُوا من الأرض فإنها أمكم، وليس أحد يعمل عليها خيرا أو شرًا إلا وهي مخبرة به))[(٤)].

ومنها شهادة الجوارح وهي معلومةٌ على الجملة ضرورة، وذلك يوم ختم الأفواه. قال تعالى:﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ❖ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا اللَّهُ

---

(١) في (ب):ظاهرها .

(٢) أخرجه أحمد ٣١٠/٣ رقم٨٨٧٦. والترمذي ٥٣٥/٤ رقم٢٤٢٩ وصححه. والنسائي في تفسيره ٥٤٤/٢. والحاكم ٥٣٢/٢ وقال صحيح ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٣) جامع البيان ٣٣٨/١٥، وتفسير الخازن البغوي ٤٧٧/٦.

(٤) الطبراني في الكبير ٦٥/٥ رقم٤٥٩٦ باختلاف يسير بلفظ:((استقيموا ونِعِمَّا إن استقمتم، وحافظوا على الوضوء، فإن خير أعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض...الحديث

الّذِي أَنطَقَ كُلّ شَيْءٍ ﴾ الآية[(١)] [فصلت:٢٠-٢١]. وقال تعالى:﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىَ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥]. قال النبي ﷺ في قوله:وقالوا لجلودهم قال:((هي فروجهم))[(٢)]، وقال النبي ﷺ:((أَوَّلُ ما ينطِقُ من ابن آدم فَخْذُه الشِّمال))[(٣)].

الفصل السابع:أَخْذُ الكتب وهي صحف الأعمال

وهو معلوم على الجملة ضرورة، قال تعالى:﴿وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لِهَـَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً ﴾ [الكهف:٤٩]. وقال:﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ ﴾ ونظآئرها كثير ومنهم من يأخذه بيمينه[(٤)]، قال تعالى:﴿فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ [الانشقاق:٧]، وهذا هو المؤمن.

وأما المجرمون:فمنهم من يأخذ الكتاب بشماله، قال تعالى:﴿وَأَمّا مَنْ أُوتِيَ

---

(١) تمام الآية:﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوّلَ مَرّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، وفي (ب) ذكر الآية الثانية ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـَكِن ظَنَنتُمْ أَنّ اللّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مّمّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

(٢) قال الإمام زيد بن علي في غريب القرآن ص٢٧٩:إن معناها الفروج ولكن الله كنى عنها، وهناك من قال:المقصود بالجلود الفروج. ينظر الماوردي ١٧٦/٥.

(٣) أخرجه أحمد ١٣٤/٦ رقم١٧٧٦ بلفظ: إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال. والطبراني في الكبير ٣٣٣/١٧ رقم٩٢١ عن عقبة بن عامر.

(٤) قال الإمام الهادي عليه السلام:معنى ﴿بِيَمِينِهِ ﴾ فهو اليمن والبركة، وما يتلقى به الملائكة أهل الدين والتطهرة من البشارة من ربهم والتبشير والتطمين لهم عند توقيفهم ومحاسبتهم. ينظر عدة الأكياس ٣٤٩/٢.

كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾[1] [الحاقة:٢٥] ، ومنهم من يأخذه وراء ظهره، قال تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق:١٠] ، قيل:تُغَلُّ شمالُه ورآء ظهره، ثم يأخذ بها كتابَه[2] . فأما المؤمن فقال النبي ﷺ:((إذا قال الله للعبد يوم القيامة:﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ [الإسراء:١٤]، يَخْرَسُ لسانه، فيقول الله:عبدي اقرأ كتابك؛ فتأخذه الرعدة، فيقول:يارب، نارُ جهنمَ أحبُّ إليَّ مِنْ قرآءةِ كتابي، فيقول الله:فاذهب إلى الجنة فقد غَفَرْتُ لك))[3]

الفصل الثامن :الحساب

وهو معلوم على الجملة من الدين ضرورة. قال تعالى في المؤمن:﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ﴾ الآية [الانشقاق:٨]. وقال:﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق:٩]، قيل:يحاسبه الله فيظهر كل سِرٍّ مكتوم[4] . وفي حديث ابن عمر:((يحاسب اللهُ المومنَ بينه وبينه))[5] ، فيقول:يا عبدي ألم تَفْعَلْ كذا؟ فيقول:يارب بلى، فيقول:قد سترتُها

(١) قال الإمام الهادي عليه السلام:هو مثل من الله عز وجل مثله الله لعباده ، وضربه لهم، يريد بالشمال: العسر والشدة في كل حال. ينظر عدة الأكياس ٢/٣٤٩.
(٢) تفسير الخازن والبغوي ٦/٣٩٢.
(٣) السفينة ٢/٣١٨.
(٤) مجمع البيان ١٠/٣٢٤.
(٥) سئل الإمام الهادي عليه السلام عن الحساب فقال:إذا كان يوم القيامة ويوم الحشر والندامة أتى به ملكاه إلى من أمر الله من الملائكة لمحاسبة العباد ومحاسبتهم، فتوقيفهم على أفعالهم وتعريفهم على ما كان من أعمالهم ، ثم شهد حافظاه عليه ووقفاه على ما كان من أمره، وبكتاه بمعاصيه لربه، ووقفاه على جرأته على خالقه، فلم يذرا مما تقدم منه شيئا إلا أوقفاه عليه حرفا حرفا فهذا معنى محاسبة الرب لعباده. ينظر المجموعة الفاخرة ص١٦٢.

في الدنيا، وغفرتُها في الآخرة[1]. وأما الكافر والمنافق فينادى عليهم:هؤلآء الـــذين كذبوا على ربهم. وعن النبي ﷺ في المهاجرين الأولين:((هُمُ السَّابقون الشافعون الْمُدِلُّون على ربهم، والذي نفسي بيده إنهم ليأتون يوم القيامة وعلـــى عـــواتقهم السلاح، فيقرعون بابَ الجنة، فيقول الْخَزَنَةُ مَنْ أنتم؟ فيقولون:هـــل حُوسِـــبْتُم؟ فيجثون على رُكَبِهم وينشرون ما في جعابهم، ويرفعون أيديَهم، ويقولون:أَيْ رب أبهذا نحاسبُ؟ وقد خرجنا وتركنا الأهل والولد. فَتُمثَّل لهم أجنحة مـــن ذهـــب، فيطيرون إلى الجنة، فذلك قولـــه:﴿الْحَمْدُ للّهِ الّذِيَ أَذْهَبَ عَنّا الْحَزَنَ﴾ الآيـــة [فاطر:٣٤][2].

الفصل التاسع :الميزان[3]

وهو معلوم من الدين على الجملة، قال الله تعـــالى:﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبيـــاء:٤٧]، وقـــال:﴿فَأَمّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعـــة:٦]، وقال:﴿وَأَمّا مَنْ خَفّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعـــة:٨]. والأخبـــار فيـــه كـــثيرة تركناهـــا للاختصار.

الفصل العاشر :ظهور العلامات في الوجوه

قال تعالى:﴿يَوْمَ تَبْيَضّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]. وقـــال:﴿وُجُوهٌ

---

(١) السفينة ٣١٧/٢.

(٢) أخرج الحديث الحاكم في المستدرك ٣٩٩/٣ وزاد السيوطي في الدر المنثور ٤٧٥/٥ عن ابن مردوية وأبي نعيم.

(٣) المراد به الحق من إقامة العدل والإنصاف . ينظر عدة الأكياس ٣٤٩/٢.

يَوْمَئِذٍ مّسْفِرَةٌ ❖ ضَاحِكَةٌ مّسْتَبْشِرَةٌ ❖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ❖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ❖ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس:٣٨-٤٢] والأخبار في ذلك كثير تَجَنَّبْنَاها خوفًا للإطالة.

الفصل الحادي عشر: الانتصاف والمقاصة بين المخلوقين

وذلك ظاهر، قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبّةٍ مّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىَ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال: ﴿وَإِنّ رَبّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل:١٢٤]، وقال: ﴿إِنّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً ﴾ [النبأ:١٧]، وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأرْضُ بِنُورِ رَبّهَا ﴾، معناه بعدله[1]، ﴿وَجِيءَ بِالنّبِيّيْنَ وَالشّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٦٩]، ونظآئِر ذلك كثير، وقد قدمنا تفصيل ذلك.

الفصل الثاني عشر: الصراط[2]

قال تعالى: ﴿وَإِن مّنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىَ رَبّكَ حَتْماً مّقْضِيّاً ❖ ثُمّ نُنَجّي

---

(١) السفينة ٢/٣٣١.

(٢) المراد بالصراط دين الله القويم، وإن كان مجازًا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنّنِي هَدَانِي رَبّيَ إِلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مّلّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾، وحجة على أنه لا جسر فوق جهنهم يمرون عليه قوله تعالى في صفة دخول العصاة النار ﴿يَوْمَ يُدَعّونَ إِلَىَ نَارِ جَهَنّمَ دَعّا ﴾، والدع: الدفع العنيف، فيدفعهم خزنة النار إلى النار دفعًا عنيفًا على وجوههم، وزجًا في أقفيتهم من غير جسر يتهافتون من فوقه، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الّذِينَ كَـفَرُوَاْ إِلَىَ جَهَنّمَ زُمَراً ﴾ .. إلى قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلُوَاْ أَبْوَابَ جَهَنّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾، فهاتان الآيتان نص صريح في أهم لم يمسكوا على جسر فوقها. كما أن الإجماع منعقد من الأمة أنه لا تكليف في الآخرة، والقول بالمرور على الصراط تكليف للمؤمنين، كما أن ورود جهنم ليس المرور على الجسر، بل ورودها يعني حضورها؛ لأن الورود بمعنى الحضور. ينظر في ذلك كتاب عدة الأكياس ٢/٣٥٣.

الّذِينَ اتّقَواْ وّنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ [مريم:٧٢]. عن النبي ﷺ:((إن الصراط بين ظَهْرَيْ جهنم، دَحْضٌ مُزَلَّةٌ. والأنبيآءُ يقولون:سَلِّمْ سَلِّمْ، كَلَمْعِ البرقِ، وكَطَرْفِ العين، وكأجاويد الخيلِ، والبغال، والرَّاكب، والشَّدِّ على الأقدام:فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخدوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوشٌ في جهنم))[1]. وعنه ﷺ قال:((يُمَدُّ الصراطُ فيكون أوَّل من يمر به أنا وأمتي، والملآئِكة بَجَنَبَتَيْهِ، أكثرُ قولِهم:سَلِّمْ سَلِّمْ، وإنَّ عليه لكلاليبَ وحَسَكًا، يقال لها:السَّعْدَانِ-ينبُتُ بنجد -، وإنه لدحْضٌ مَزَلَّةٌ، فيمُرُّون عليه كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والرجال، فنَاجٍ مُسَلَّم، ومخدوشٌ مُكْلَمٌ، ومكدوش في النار))[2]. والأخبار في ذلك كثير.

الفصل الثالث عشر:الشفاعة

وذلك ظاهر عند علمآء الأمة قال تعالى:﴿عَسَىَ أَن يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقَاماً مّحْمُوداً ﴾ [الإسراء:٧٩]، قيل:الشفاعة[3]. وعنه ﷺ قال[4]:((أنا أَوَّلُ شَفِيعٍ))[5]. وعنه ﷺ أنه قال:((لكل نبيٍّ دعوةٌ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة))[6]. وعنه ﷺ أنه قال:((أَوَّلُ من أشفعُ له من أُمتي أَهلُ بيتي، ثم الأقربُ فالأقربُ، ثم

---

(١) كنز العمال ٣٨٢/١٤.
(٢) مسلم ١٦٩/١ رقم١٨٣ فقد ذكر ما يوافق ما ذكره الأمير حول الصراط.
(٣) تفسير الرازي ٣٢/١١.
(٤) في (ب):أنه قال.
(٥) تيسير المطالب ص٤٤٣. ومسلم ١٨٨/١.
(٦) تيسير المطالب ص٤٤٣. والبخاري٥/ ٢٣٢٣ رقم ٥٩٤٦. ومسلم ١٨٨/١، ١٨٩.

الأنصارُ، ثم مَنْ آمَنَ بي، واتبعني من أهل اليمن، ثم سآئِرُ العرب، ثم الأعاجمُ))[1].

وعندنا أن شفاعةَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تكون لأهل الكبآئِر المصرين عليها حتى يأتِيَهُمُ الموتُ، وإنما تكونُ لأهل الكبآئِر الذين تابوا وماتوا على التوبة، ولمن اسْتَوَتْ حسناته وسيئآته فيبقى غيرَ مستَحِقٍّ للثواب ولا للعقاب؛ فَيَشْفَعُ له؛ ليرقى درجةً أعلا من درجاتِ الصبيانِ والمجانينَ، ويُرفَعَ إلى مترلةٍ عاليةٍ لم يكن لينالها إلا بالشفاعةِ. فأما العصاةُ المصرون على معاصيهم حتى يأتيهم الموت على غير توبة فلا شفاعة لهم، وتصديقُ ذلك قول الله سبحانه:﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨].

ومعلومٌ أنَّ من مات مُصِرًّا على الكبآئِر فإنه غير مُرْتَضًى عند الله تعالى، وقوله تعالى:﴿مَا لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، والمصِرُّ على الكبيرة حتى مات عليها ظَالِمٌ لنفسه، قال تعالى:﴿وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:١]، وقوله عزوجل:﴿وَمَا لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((من كذَّب بالشفاعة لم ينلها يوم القيامة))[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((رجالٌ من أمتي لا تنالهم شفاعتي:ذو سلطان ظَلومٌ غَشومٌ، ومارِقٌ من الدين خَارِجٌ منه))[3]، فأما ما يحتَجُّ به المخالفون من قولهم، في رواياتهم

(١) ظاهر القرآن أنه لا فرق بين الناس، ولا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، والأولوية لأكثر الناس عملاً، وعليه يحمل الحديث فإن أهل البيت المجاهدين الذين قدموا نفوسهم ونفيسهم في سبيل الله، كذلك الأنصار وأهل اليمن الذين ناصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته.
(٢) شمس الأخبار ٢/٣٨٨.
(٣) شمس الأخبار ٢/٣٨٧. والشافي ٣/٢٦٣.

عن النبي ﷺ:((شفاعتي لأهــل الكبــآئر مــن أمــتي))[1] ، فهــو مُعَــارَضٌ

(١) والحديث الذي رُوي ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) مكذوبٌ. وقد جزم بذلك الــذهبي في ميزانــه [٤٦٦/١] حيث قال في ترجمة صديق بن سعيد الصُّونَاخي التركي عن محمد بن بصير المروزي عن يحــيى عن مالك عن نافع عن ابنِ عمر مرفوعًا: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) هذا لم يَرْوِهِ هؤلاء قط، لكــن رواه عن صديق من يُجْهَلُ حاله:أحمد بن عبدالله السرسي فما أدري مَنْ وَضَعَهُ. رقم الترجمة٣٨٢٨.
ومع حكم الذهبي بوضعه، ودلالة الحديث بمتنه وسنده على عدم صحته؛ فقد ورد في كتب الحديث المشهورة كالترمذي ٥٣٩/٤. وأحمد بن حنبل ١٣٢٢١/٤. وسنن أبي داوود ١٠٦/٥ رقم ٤٧٣٩. والحــاكم في المستدرك ٣٨٢/٢، وقال:هذا حديث صحيح وعلى شرط الشيخين و لم يخرجاه،وقد خرجه غــيره بــنفس اللفظ، وألفاظ أخرى متعددة. والحديث الصحيح هو:((شفاعتي ليست لأهل الكبائر من أمتي)) وقــد رُوي عن الحسن البصري (مرسلاً، ومراسيلُه عن الإمام علي عليه السلام كما ذكره المزي في تهذيب الكمــال ٦/ ١٢٤ حيث قال عن يونس بن عبيد، قال: سألت الحسن قلت يا أبا سعيد إنك تقــول: قــال رســول الله ﷺ وإنك لم تُدركه ؟ قال: يابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أَحَدٌ قبلَكَ ولولا منزلُتــك منِّــي لمــا أخبرتُك، إنيِ في زمان كما ترى-وكان في عَمَل الحجاج-كل شيءٍ سمعتني أقول:قال رسول الله ﷺ فهو عن علي عليه السلام، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًا). والقولُ بالشفاعة للمجرمين من أهــل الكبــائر هدمٌ للإسلام جملة وتفصيلا، فافعل ما شئت، فأنت على موعد مع الشفاعة أيُّ كذب هذا؟. وها أنا أسوق جملة من الأحاديث الشريفة تُحَرِّم الشفاعة على كثير من مرتكبي الكبائر؛ فقد رُوي عَن ابن عباس رضــي الله عنهما أنه قال:قال رسول الله ﷺ:((لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا عاقّ، ولا منان)) . رواه الطبراني في الأوسط ١٨/١برقم ٢٣٣٥ . وعن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ:((ثلاث حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مدمن خمر والعاق والديوث الذي يُقِرُّ في أهله الخبيث)). رواه أحمــد ٣٥١/٢ رقــم ٥٣٧٢. والنسائي ٨٠/٥ برقم ٢٥٦٢. وعن أبي موسى قال:قال رسول الله ﷺ:((ثلاثة لا يدخلون الجنة مــدمن خمر ، وقاطع رحم، ومُصَدِّق بالسحر)) ، رواه أحمد ج٧ رقم ١٩٥٨٦. وعن عمار بن ياسر رضــي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:((ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا:الديوث، والراجلة من النسآء، ومدمن الخمــر)) ، رواه الطبراني في الأوسط ٥/٣ رقم ٢٤٤٣ . وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قــال:قــال رســول الله ﷺ: ((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة))، أخرجه البخاري ٣ / ١١٥٤ برقم ٢٩٩٥ . وقال رسول الله ﷺ:((لا يدخل الجنة قاطع رحم)). رواه الطبراني في الأوسط ٤ / ٣٢ برقم ٣٥٣٧. والطــبراني في الكبير ص٣٠٢ رقم ١٣١٨٠ . وعن عبدالله بن عمر قال:قال رســول الله ﷺ:((ثلاثــة لا يــدخلون الجنة:العاق لوالديه ، والديوث، والمرأة المترجلة تشبه بالرجال...إلخ)). وعن أبي هريرة قال:قال رســول الله ﷺ:((من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبــدًا))...إلخ . رواه البخاري ٥/ ٢١٧٩ برقم ٥٤٤٢ . ومسلم ١ / ١٠٣. وقوله ﷺ:((صــنفان مــن أمــتي لا تنــالهم شفاعتي:إمام ظلوم غشوم ، ومارق غال)). رواه الطبراني في الأوسط ج١ ص٢٠٠ رقــم٦٤٠. وقــال في

لوجهين:**أحدهما**-قوله ﷺ:((لَيْسَتْ شفاعتي لأهل الكبآئِر من أمتي))[1]، يريد الْمُصِرِّين عليها حتى الموت. فإن صَحَّ خبرُهم، فالمرادُ به التآئِبُون قبل الموت. الوجه الثاني أنه مُعَارِضٌ لأدلةٍ معلومةٍ نحو ما تقدم وما أشبهه؛ فيجب سقوطُه أو تأويلُه على ما ذكرناه. وبعد فإن هذا الخبرَ أكثرُ ما يمكن أن يقال:إنه من أخبار الآحاد وهي لا يُحْتَجُّ بها في مسألتنا هذه، فإنَّ طريقها الاعتقادُ، وإنما يؤخذ بها في باب الأعمال، وهذا ظاهر عند علمآء الرجال.

الفصل الرابع عشر:الجنة والنار

وهما معلومتان من الدِّين ضرورة. ولْنذكر طرفا من نعيم أهل الجنة فيها، وعذاب أهل النار فيها، ولْنقتصر على بعض ما جآء في ذلك في القرآن دون ما عداه.

أما الجنةُ فَحَياتُهم كما قال تعالى:﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة٧]. وسَعَةُ الجنةِ

مجمع الزوائد ٥ / ٢٣٥: رجاله ثقات. وعن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يدخل الجنة جسدٌ غُذِّيَ من الحرام)) ، رواه الطبراني في الأوسط ٦ / ١١٣ برقم ٥٩٦١. وقال ﷺ:((لا يدخل الجنة قتَّات)) ، والقتات:النمام.
رواه الطبراني في الأوسط ٤ / ٢٧٨ رقم ٤١٩٢. وقال الرسول ﷺ:((لا يدخل الجنة سَيِّئُ الْمَلَكة، ملعون من ضارَ مسلمًا، أو غره)). رواه الطبراني في الأوسط ٩/١٢٤ برقم ٩٣١٢. والقرآن الكريم حاسم في هذا الشأن . قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ ، [الفرقان:٦٨]. وقال سبحانه:﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، [النسآء:١٤]. وقال تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾، [الزلزلة:٧،٨]. فلماذا لم يقل:ومن يعص الله يشفع له النبي ﷺ؟!.

(١) الشافي ٤/٤٥، عن الحسن البصري.

وصِفَتُها. قال تعالى:﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد:٢١]. فأما طولها فلا يعلمه إلا الله ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ [الإنسان:١٣]، ودُورُهم. قال تعالى:﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة:٧٢]، وقال:﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، وقال في مجالسهم:﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة:١٥]، وقال:﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور:٢٠] وقال تعالى:في مأكلهم:﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت:٣١] وغير ذلك. وقال عزوجل في إدامهم:﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١]، وغير ذلك، وقال سبحانه في بساتينهم:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، وقال:﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢]، وقال في فواكههم:﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وقال:﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، وقال:﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان:١٤]، وقال في أنهارهم:﴿فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد:١٥] الآية. وقال في شرابهم:﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً﴾ [الإنسان١٧]، ونحو ذلك من الآيات نحو قوله تعالى:﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ❖ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ [الإنسان:١٧-١٨]، وقوله:﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين:٢٥-٢٦]، وقال في لباسهم:﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣]، وقال:﴿يَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف:٣١]، وقال:﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان:٢١]. وقال في حليهم:﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾ [فاطر:٣٣]، وقال تعالى:﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾

[الإنسان:٢١]، وقال في زوجاتهم:﴿وَحُورٌ عِينٌ ❖ كَأَمْثَالِ اللّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة:٢٣]، وقال:﴿عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ [الواقعة:٣٧]، ونحو ذلك. وقال في زيارة الملائكة لهم وسلامهم عليهم:﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مّن كُلّ بَابٍ ❖ سَلاَمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]. وقال في سلام المؤمنين عليهم:﴿إِلاّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً ﴾ [الواقعة:٢٦]. وقال في سلام الله تعالى عليهم:﴿سَلاَمٌ قَوْلاً مّن رّبّ رّحِيمٍ ﴾ [يس:٥٨]. وقال في فرشهم:﴿وَفُرُشٍ مّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة:٣٤]، وقال:﴿مُتّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الرحمن:٥٤]، وقال:﴿مُتّكِئِينَ عَلَىَ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن:٧٦]. وقال في خدمهم:﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مّخَلّدُونَ ﴾ [الواقعة:١٧]، وقال:﴿غِلْمَانٌ لّهُمْ ﴾ [الطور:٢٤]. وقال في كيزانهم:﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مّن مّعِينٍ ﴾ [الواقعة:١٨]. وقال في ظلهم:﴿وَظِلّ مّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة:٣٠]، وقال في من يسقيهم:﴿وَسَقَاهُمْ رَبّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾ [الإنسان:٢١]، وقال في رفقائهم:﴿فَأُوْلَـَئِكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مّنَ النّبِيّينَ وَالصّدّيقِينَ ﴾ [النساء:٦٩] الآية. وقال:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مّنْ غِلّ إِخْوَاناً عَلَىَ سُرُرٍ مّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧]. وقال تعالى في مناظرتهم لأعدائهم في النار:﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبّنَا حَقّاً ﴾ [الأعراف:٤٤] الآية. وهذه شماتةٌ. وقال في استهزائهم بأعدائهم:﴿فَالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين:٣٤]، وهذا مكافأة لهم بما كانوا يستهزئون بهم في الدنيا. وقال في مثل ذلك من الإستهزآء بهم والشماتة عليهم:﴿فَاطّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٥٥] الآية. وقال في حمدهم لله تعالى:﴿الْحَمْدُ للّهِ الّذِيَ أَذْهَبَ عَنّا الْحَزَنَ ﴾

[فاطر:٣٤] الآية. وقال في دوام ثوابهم أبد الآبدين:﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلّهَا ﴾ [الرعـد:٣٥]، وقال تعالى:﴿لاّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة:٣٣]، وقال:﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ﴾ [البينة:٨]، وقال تعالى:﴿لاَ يَمَسّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجـر:٤٨]. وذلك معلوم ضرورةٌ من الدين. والكلامُ في وصفِ الْجَنَّة ونعيمِ أهلِها فيها، مذكورٌ بكماله في آيات كثيرةٍ من القرآن لم نتمكن من إيرادِ كُلِّها لِمَا قَصَدْنَاه من الاختصار، فمن رام استقصآء ذلك، فليتأمل كتاب الله سبحانه. **فأما الآثارُ** في هذا المعنى فكثيرة[1] أعرضنا عنها للاختصار.

أما النار فهي أيضا معلومةٌ من دين النبي ﷺ ضرورة، وكذلك المعلومُ ضرورةً دخولُ من مات كافرا مصرا على كفره في نار جهنم وخلودُه فيها، وأنه لا يخرج منها أبدا. هذا كله معلوم ضرورة لا خلاف فيه. **وإنما الخلاف** في فُسَّاق أهل الصلاة، هل يدخلون النار أو لا؟، وهل يخرجون منها بعد دخولهم فيها أو لا؟ **ونحن** نعتقد أهم إذا ماتوا مُصِرِّين على الكبائر دخلوا النار، وأهم لا يخرجون منها أبدًا، بل يُخَلَّدُون فيها كخلود الكفار سوآء سوآء. هذه هي عقيدتنا أهل البيت.

وهذا القول هو قولُ مَنْ عدا المرجئة. وذهبت المرجئة من اليهود[2]. وسائر فرق الإسلام إلى خلاف ذلك:فمنهم مَن جَوَّز أن يخرجوا من النار، ومنهم من قطع على الدخول والخروج[3]. والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه وبطلان ما ذهبوا

(١) في (ب): فهي كثيرة.
(٢) يشير إلى قوله تعالى حكايةً عنهم:﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسّنَا النّارُ إِلاّ أَيّاماً مّعْدُودَةً ﴾.
(٣) رووا أحاديث غريبة تشبه السرد القصصي وتصوير الله سبحانه بصورة المخلوق يتجلى ويتغير ويكشف

إليه وجوه:منها أن العترة (ع) أجمعوا على دخول الفُسَّاق من أهل الصلاةِ النــارَ، وعلى خلودهم فيها أبدا. وإجماعُهم حجة كما تقدم. ومنها الآيات العامــة لهــم وللكفار نحو قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنّ لَـهُ نَـارَ جَهَنّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ﴾ [الجن:٢٣]، والفاسق عاصٍ بالإجماع، لا يُطْلَقُ عليه اسمُ الإيمان لكونه اسم مدح. ولا خلاف أن الفاسق يستحق الذَّمِّ والتحقير وأنــه لا يــستحق الإجــلال والتعظيم.

ومما يدل على أنه لا يطلق عليه اسم الإيمان قوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون:١] إلى آخر الآيات التي أتى فيها على وصف المؤمنين. والفاسقُ لم تكمل فيه هذه الصفات. وكذلك قوله تعــالى:﴿إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] الآية. والفاسق ليس كذلك. وقولُه تعالى:﴿قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنّا قُل لّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُوَاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:١٤]. لَمَّا لم يعملوا بالإيمان. وقال النبي ﷺ:((الإيمانُ قولٌ باللسان، وَعَمَلٌ بالأركان، ومعرفةٌ بالقلب))[1]. وقال الـنبي ﷺ:((لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمن، ولا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حين يَشْرَبُها وهو مؤمن. الإيمانُ أكرمُ علــى اللهِ مــن

عن ساق ويضع قدمه في النار فتقول:قط قط قط، وهذا لا يليق بالله أبدا . وإذا صحح المحــدوثون ســند الحديث فليس باستطاعتهم تصحيح الغرابة والشذوذ في المتن. ينظر الأحاديث رقم ((٧٠٠٠))وما بعده من صحيح البخاري.

(١) أخرجه المرشد بالله في أماليه الخميسية ١ / ١٠ ، ٢٤ . وابن ماجه ١ / ٢٦ رقــم ٥٦ ، والخطيــب في تاريخه ١ / ٢٢٥، عن علي عليه السلام، وكنز العمال ١ / ٢٣ .

ذلك))[1].

وإذًا ليس بمؤمنٍ دَخَلَ[2] مع الكفار في وعيدهم، وإنما خالف حُكْمُهُ في الدنيا حَكَمَهُمْ في الدنيا[3]؛ لكون ذلك من باب التكاليف، ونحو قوله سبحانه:﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ❖ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ❖ وَمَا هُمَ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار:١٤-١٦]. والاحتجاجُ فيه على نحوما تقدم. وقوله تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مّهِينٌ ﴾ [النساء:١٤] والاحتجاج به كما تقدم. ومنها الأدلة[4] الخاصة لفساق أهل الصلاة، وذلك في الكتاب وفي السنة.

أما الكتاب فقوله سبحانه:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مّتَعَمّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣]، وهذا نَصٌّ على خلودِ القاتل في النار، وَهو غرضنا وقوله تعالى:﴿وَلاَ يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ❖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]. فدَلَّ ذلك على خلود العصاة من أهل الصلاة، وذلك يقضي بصحة مذهبنا، ونحو ذلك من الآيات إذا تأمله المتأمل.

---

(١) أخرجه الكثير من المحدثين منهم البخاري ٢ / ٨٧٥ برقم ٢٣٤٢، ومسلم ١ / ٧٦ رقم ٥٧. وأبو داوود ٥ / ٦٥ برقم ٤٦٨٩. والترمذي ٥ / ١٦ برقم ٢٦٢٥.

(٢) في (ب):وإذ ليس بمؤمن مَنْ دخل.

(٣) ((في الدنيا)) محذوفة في (ب).

(٤) في (ب):الدلالة.

وأما السنة فكثيرٌ:نحو قول النبي ﷺ:((لا يَدخُلُ الجنَّة مَن في قَلْبِـهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من كِبْرٍ))[(١)]، وقوله ﷺ:((لا يَدْخُل الْجَنَّةَ خمسةٌ:مؤمنٌ بسحر، ومدمنُ خَمْرٍ، وقاطعُ رَحِمٍ، ولا كاهنٌ، ولا منَّانٌ))[(٢)] ونحو ذلك في الأخبار كثير[(٣)] وإذا لم[(٤)] يدخلوا الجنة دخلوا النار؛ لأنه لا دار إلا الجنة أو النار[(٥)].

تصديق ذلك قوله تعالى:﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]، ومما يدل على دخول الفساق من أهل الصلاة النارَ وخلودِهم فيها من السنة قولُ النبي ﷺ:((مَن قَتَلَ نَفْسَه بحديدةٍ فحديدتُه في يده يَجَأُ بها بطنَه في نار جهنَّم خالدا فيها مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسَّى سُمًّا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدًا))[(٦)]. والأخبار في ذلك مما يطول ذكرها والغرض التنبيه. وأما وصف عذاب أهل النار فهو في كتاب الله تعالى مذكورٌ، ونحن نشير إلى بعضه؛ فالغرض الاختصار، قال تعالى في مكانهم:﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ❖ لاَ

---

(١) أخرجه مسلم ١ . ٩٣ رقم ٩١ . والحاكم ١ / ٢٦ . وابن ماجة ١ / ٢٣ رقم ٥٩ . وأبو داوود ٤ / ٣٥٠ برقم ٤٠٩١ . والترمذي ٤ / ٣١٧ رقم ١٩٩٩.

(٢) مجمع الزوائد ٥/٧٤. ومسند أحمد رقم ١١١٠٧ ، ١١٧٨١.

(٣) مثل قوله ﷺ:((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه))، مسلم ١ / ٦٨، ((ولا يدخل الجنة نمام)) مسلم ١ / ١٠١ ، ولا مجال للحصر.

(٤) في (ب): وإذ لم .

(٥) في (ب):والنار.

(٦) البخاري ٥ /ص ٩٧١٢ رقم ٢٤٤٥ في باب شرب السم والدواء به. **بلفظ**:((مَنْ تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن تَحَسَّى سُمًّا فقتل نفسه فَسُمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن قَتَل نفسَه بحديدة فحديدتُه في يده يجأُ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا)). والترمذي / ٤ /ص ٣٣٨ رقم ٢٠٤٤ . ومسلم /١ /ص ٣٠١ رقم ٩٠١.

يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٢٣]. وقال تعالى في بيوتهم: ﴿لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف:٤١]، وقال: ﴿لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦]، وقال تعالى في طعامهم: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ❖ لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية:٦-٧]، وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ❖ طَعَامُ الأَثِيمِ ❖ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ❖ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ [الحاقة:٣٦]. وقال في مياههم: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ ﴾ [الكهف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ [إبراهيم:١٧]، وقال تعالى في ثيابهم: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج:١٩]، وقال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم:٥٠]، وقال في وكلاء عذابهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر:٣٠]، وقال: ﴿سَنَدْعُو الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق:١٨]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ [غافر:٤٩]. وقال في عذاب أعضائهم: قال في الجلود: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾[1] [النساء:٥٦]، وقال في وجوههم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [الأحزاب:٦٦]، وقال في رؤسهم: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٨]، وفي آنافهم: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ [القلم:١٦]. وقال في

---

(١) قال في الكشاف ٥٣٢/١: المراد أبدلناهم إياها، فإن قلت: كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعصي؟ قلت: العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت الله لا الجلد.

جباههم وظهورهم وجنوبهم:﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة:٣٥] الآية. وقال في أيديهم:﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ❖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ❖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]، وقال في قلوبهم وأفئدتهم:﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام:١١٠] الآية، وقال في بطونهم:﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الحج:٢٠]، وقال في أمعائهم:﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥]، وقال في أرجلهم:﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً﴾ [المزمل:١٢]، يعني قيودًا[(١)]. وفي القرآن من وصف العذاب ما هو أكبر[(٢)] من قوله:﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً﴾ [الجن:٢٣]، ونحو ما تقدم.

الفصل الخامس عشر:في التوبة

وفيها تسعة مباحث:**أحدها**:ما التوبة؟ والتوبة[(٣)]:هي الندم على ما مضى، ولكن لا يكون نادمًا على ما مضى من فعله للقبيح وتَرْكِه للواجب-وهو ذاكرٌ لحال ما تاب منه-إلا بشرط أن يكون عازمًا على أن لا يعود إلى مثل ما تاب منه، فهو من شروطها على ما نبينه، وليس يدخل في حقيقتها.

المبحث الثاني:في وجوبها[(٤)]، وقد دلَّ على ذلك العقلُ والسمعُ .

أما العقل:فلما تقرر في عقل كلِّ عاقلٍ من وجوب دفْعِ الضرر عن النفس،

---

(١) الكشاف ٤/٦٤٠.
(٢) في (ب) ، (ج): أكثر.
(٣) في (ب): التوبة، بحذف الواو.
(٤) في (ب):المبحث الأول.

وهي تَدفعُ[1] ضررَ الذنبِ الذي يؤدي إلى العقاب الدائم، فلا مـــضرة في العقـــول أعظم من ذلك. **وأما السمع**:فالكتاب:نحو قوله تعالى:﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، وقوله تعالى:﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزمر:٥٤] ونحو ذلك.

والسنة:قوله ﷺ:((أيُّها الناسُ توبوا إلى الله قبلَ أن تموتوا))[2]، ونحو ذلــك.

والإجماع:وهو ظاهر بين المسلمين.

المبحث الثالث[3]:بيان فضلها ومنفعتها، وعلى الجملة فلا أفضل في الطاعات بعد أصول العقيدة منها؛ لأن المكلفَ لا ينجو في أثناء تكليفه من الـــسيئات. إمـــا الكبائر، وإما الصغائر، وقد بيَّنَّا أنه لا مضرةَ أعظمُ من مضرة الذنوب المفـــضية إلى العذاب الدائم، فمنفعةُ التوبة حَسْمُ تلك المضرة بالكلية، مَنْفَعَةٌ أخـــرى، وهـــي[4] حصول الثواب الدائم على فعل التوبة، فقد دَفَعَتْ أَعْظَمَ الضررِ وجَلَبَـــتْ أعظـــمَ النفع، فلا ينبغي للعاقل أن يَغْفَلَ عنها طَرفَةَ عين.

وفي حديث النبي ﷺ:((التائبُ من الذنبِ كَمَن لاَّ ذَنبَ لَهُ))[5]، وفي حديثه عليه السلام:((إذا تاب العبدُ أنسَى اللهُ الحفظةَ ما عَلِمُوا من مساويه، وأَمَرَ الْجَـــوارحَ أن

---

(١) في الأصل:بدفع، ولا معنى لها ولذلك أثبتنا ما في (ب).

(٢) سلوة العارفين ٤٣٣، وأخرجه ابن ماجه ١ / ٣٤٣ رقـــم ١٠٨١ . والبيهقـــي في الـــسنن ٣ / ١٧١ . والقرطبي في تفسيره ١٨ / ٧٧ .

(٣) في (ب):المبحث الثاني في بيان، وهو الصواب ؛ لأن الثالث سوف يأتي .

(٤) في (ب):وهو.

(٥) أخرجه المرشد بالله ١ / ١٩٨. وابن ماجه في سننه ٢ / ١١٤ رقم ٤٢٥٠ . والبيهقـــي في الـــسنن ٥ / ٣٨٨ رقم ٧٠٤٠، والهيثمي في مجمع ١٠/ ٥٠ .

يكتموا ما عَلِمُوا من مساويه))[1].

المبحث الثالث[2]:في شروطِهَا وصِفَتِها ولها شرطان:**أحدهما** أن يتوب عن القبيح لقبحه فقط، لا لمخافة الناس، ولا لخوف الفضيحة، ولا لطلب نفع من أحد، ولا لغير ذلك من الأغراض، فإنَّ مَنْ أسآء إلى الغير واعتذر إليه لأجل قُبْحِ ما فعله معه–قَبُحَ منه تَرْكُ قبولِ عذره، ويسقطُ اللومُ عن المعتذر، ومتى كان ذلك لغرض–لم يحصل ما ذكرناه من سقوط اللوم عنه، ولزوم القبول. **والشرط الثاني** أن لا يتوب عن قبيح مع استمراره على قبيح آخر؛ لأنه إنما تاب لِقُبْحِهِ، فمتى كان مقيمًا على قبيح مِثله–انتقض الغرض بالتوبة، وجرى مَجْرَى من يَتَجَنَّبُ العسل لحلاوته، فإنه متى استعمل السُّكَّر–انتقض عليه غرضه باجتناب العسل؛ لاشتراكهما في الحلاوة. وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ:((والْمُسْتَغْفِرُ من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزي بربه))[3].

وأما صفة التوبة:فروي عن علي ((:أنه سمع رجلاً بحضرته يقول:أَسْتَغْفِرُ اللهَ، فقال له:ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، أَتَدْرِي ما الاسْتِغْفَارُ؟ إنَّ الإستغفارَ دَرَجَةُ العلِّيِّين وهو اسمٌ واقع على ستة معانٍ:**أولها**:الندم على ما مضى. **والثاني**:العزم على ترك العود إليه أبدًا. **الثالث**:أن تُؤَدِّيَ إلى الْمَخْلُوقين حُقُوقَهُم حتى تَلْقَى الله وليس عليك تَبِعَة.

---

(١) أخرجه المرشد بالله في أماليه ١ / ١٩٨ ، المنذري في الترغيب ٤ / ٩٤ ، وعزاه الأصبهاني . والمتقي الهندي في الكتر ٤ / ٢٠٩ رقم ١٠١٧٩ ، وعزاه إلى ابن عساكر.

(٢) في (ج): المبحث الرابع.

(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٤ / ٩٧.

والرابع:أن تَعْمِدَ إلى كل فريضة عليك ضيَّعتَها فتؤدي حقها، **والخامس**:أن تَعْمِـدَ إلى اللَّحم الذي نبت على السُّحت فتذيبه بالأحزان حتى تُلْحِقَ[(١)] الجلـد بـالعظم وينشأُ بينهما لحمٌ جديد. **والسادسُ**:أن تُذيق الجسمَ ألم الطَّاعةِ كما أذقته حَـلاَوَةَ المعصية فعند ذلك تقول:أَسْتَغْفِرُ الله)).[(٢)] وعن ابن عباس رضى الله عنه في قولـه تعالى:﴿تَوْبَةً نّصُوحاً﴾ [التحريم:٨]، قال:التوبة النصوح النَّدَمُ بالقلب والإقـلاع بالبدن، والإضمار على أَلاَّ يعود، والاستغفار باللسان[(٣)]. وعن النبي صلى الله عليه ﷺ:((التَّوبَةُ مِنَ الذنب أن يَتوبَ العبْدُ ثُمَّ لا يَعُودُ))[(٤)].

المبحث الرابع:في قبول التوبة:وقد دل على قبولها العقل والسمع، متى وقعـت على شروطها وصفتها. **أما العقل**:فهو أنَّ من أسآء إلى غيره بإساءةٍ ثم اعتذر إليـه لكونها إساءةً لا لغرضٍ؛ لزمه[(٥)] قبولُ عذره؛ لأن ذلك هو نهاية ما في وسعه، وقـد بذله لمن أسآء إليه، فكذلك التوبة. والعلة الرابطة بينهما أن كل واحدٍ منهما هـو بذلُ الْجُهدِ في تلافي ما فَرَّطَ.

وأما السمع فالكتاب نحو قوله تعالى:﴿وَهُوَ الّذِي يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾

---

(١) في (ب): يَلْحَقُ، وفي النهج تُلصِقُ.

(٢) النهج ص٧٧٤ رقم ٤١٧ ، وسقط الرابع والخامس من النهج وجعـل الخـامس الرابـع. والكـشاف ٤/٥٦٩، في تفسير:﴿تُوبُوَاْ إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نّصُوحاً﴾ وآية ((٨)) من سورة التحريم باختلاف يسير .

(٣) هو قول محمد بن كعب القرطبي كما ذكره القرطبي في تفـسيره ١٨ / ١٢٩ ، والبغـوي ٦ / ٢٣٥، والخازن ٦ / ٢٣٥ .

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل ٢ / ١٥٧ ، برقم ٤٢٦٤ ، عن عبدالله بن مسعود.

(٥) في (ب): لزم.

[الشورى:٢٥]. ونحو ذلك في القرآن.

وأما السنة:فقوله ﷺ:((إنَّ العَبْدَ إذَا أذنبَ ذنبًا فاعترف به وتاب غُفِرَ له))[١]، وقوله ﷺ:((التائبُ من الذنب كمَنْ لا ذَنبَ له))[٢]، وقيل للحسن رحمه الله:المؤمِنُ يُذْنِبُ ثم يَتُوبُ، ثم يُذنب ثم يتوب، ثم يُذْنِبُ ثم يتوب، إلى متى؟ قال:ما أَعْرِفُ هذا إلاَّ أخلاقَ المؤمنين[٣]. **وأما الإجماع**:فلا خلاف فيه.

المبحث الخامس فيما يُفْسِدُ التوبة، وما يمنع من التوبة:أما ما يفسدها ففسادُها على وجهين:**أحدهما**:ما معه لا تصح التَوبةُ ولا تكون مُزِيلةً للعقاب، وذلك إذا اختل بعضُ شروطها المتقدمة.

والثاني:أن يعودَ إلى مثلِ ما تابَ عَنْه من القبائح، فإنَّ التوبةَ الأُولى تَبْطُل، والعقابَ يُسْتَحَقُّ، ويعود عليه وبالُ إفسادِها بإبطال الثواب، واستحقاق العقاب. وأما ما يمنع منها فأمور:

منها أن يكون الإنسانُ معتقدا لصحة ما هو عليه من البدعة، مصوبًا لنفسه فيما هو فيه مُخْطٍ، وهذا دآءٌ مُسْتَحْكِمٌ لا يزولُ أبدا، ولا يكون لصاحب البدعة توبةٌ ما دام معتقدًا لصحة ما هو عليه[٤]. وقد مات على ذلك الطِّبْقُ الأكثرُ، قال

---

(١) أخرجه المرشد بالله في أماليه ١ / ٢٠٠ ، بلفظ:يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي ؛ فإن التوبة من الذنب الندمُ والاستغفارُ؛ فإن العبد إذا استغفر الله من ذنب غفر له ، والبخاري ٢ / ٩٤٤ رقم ٢٥١٨ . والحاكم ٤ / ٢٤٣ ، وغيرهم بلفظ:((إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه))، في ذكر حادثة الإفك.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ١٥٤/١٠. ومجمع الزوائد ١٩/٨.

(٣) سلوة العارفين ٤٣٨.

(٤) قال أبو هاشم فيمن دعا غيره إلى الضلال فقبله، أنه مع التوبة يلزمه أن يعرفه بطلان ما دعاه إليه؛ إن ظن

تعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾[1] [الكهف:١٠٣-١٠٤]. وعلى هذا قولُ النبي ﷺ:((أعوذُ باللهِ مِنْ ذِنْبٍ لا أستغفرُ الله منه))، قيل:يا رسول الله ويكونُ هذا؟ قال:((نَعَمْ أَقْوامٌ في آخر الزمان يَبْتَدِعُون البِدَعَ، يَدِينُونَ اللهَ بها، لا يستغفرون الله منها حتى يموتوا)). وقال ﷺ:((إنَّ اللهَ حَجَرَ التوبةَ عن كلِّ صاحبِ بدعةٍ))[2]. وإنما يتوبُ مَنْ هذه حالُه متى تغير اعتقادُه، وعرف خطأه، فأما في حال اعتقاده لصحةِ ما هو عليه فلا يتوب.

ومنها:استحكامُ الذنب وكثرةُ اللَّهَجِ به، والاعتيادُ له من دون تَخَلُّلِ طاعَةٍ، ولا تَوْبَةٍ، قال تعالى:﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤]، قيل:هو الذنب على الذنب حتى يَسْوَدَّ القلبُ[3].

ومن موانع التوبة:كَثْرَةُ الجهل، وتَرْكُ العلم، حتى لا يدريَ بمضرة الذنب، ولو

أن ذلك يؤثر؛ لأنه المختص بأن أضر به، فإذا علم أو ظن صحة إزالة ذلك لزمه، فأما إن لم يظن، فسبيله سبيل سائر الناس إذا أرادوا النهي عن هذا المنكر. ينظر المغني ١٤/٣٣.

(١) وروى الطبري في تفسيره مج٩ ج١٦ ص٤٣ ، والقرطبي ١١ / ٤٤ وغيرهما:أن ابن الكوَّاء سأل عليًّا عليه السلام عن الأخسرين أعمالاً. فقال:أنت وأصحابك. وكان ابن الكواء من الخوارج.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٤/٢٨٠ رقم٤٢٠٢ بلفظ:إن الله حجب التوبة..الحديث. وابن ماجه ١/١٩ رقم٤٩ بلفظ:لا يقبل الله لصاحب بدعة صومًا ولا صلاة ولا صدقة ولا حجًّا ولا عمرةً ولا جهادًا ولا صرفًا ولا عدلاً يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين، وقال في رقم ٥٠: أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته.

(٣) هو قول الحسن كما في النكت والعيون للماوردي ٦ / ٢٢٩بمعناه. ويؤكد ذلك قوله ﷺ:((إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتةٌ سوداءُ ، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الرَّان الذي ذكر في قوله:﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ ﴾ . رواه الترمذي ٥ / ٤٠٤ رقم ٣٣٣٥.

عرف مضرة الذنب فإنه لا يدري كيفية المخرج منه، ومِنْ هاهنا يموت أكثَرُ الخلق من غير توبَةٍ؛ لجهلهم وقلة تمييزهم، وهم العامة، وقد شبههم الله بالأنعام، فقال: ﴿أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ ﴾ [الأعراف:١٧٩]. وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((إنَّ الله يَغْفِرُ للعالِمِ أربعين ذنبا قبل أن يَغْفِرَ للجاهل ذنبا واحدًا))[١]. **ومن موانع التوبة** للعارفين التسويفُ للتوبة وتأخيرُها، فإنه ربما هَجَمَهُ الموتُ وهو مُصِرٌّ على الكبائر، فَخَسِرَ الدنيا والآخرة. **ومن موانع التوبة:** إغفالُ النَّظر في الحسابِ والجزآء، وقلةُ التفكر في الموت، والمصيرِ إلى القبر ونحو ذلك. **ومن موانع التوبة:** الإياسُ والقنوطُ من رحمة الله ونحو ذلك.

المبحث السادس: وبالُ تأخيرِها، ولا شبهةَ في أنَّ وبالَه عظيمٌ؛ فإنه يؤدي إلى بقآءِ الضرر العظيم وهو العقاب الدائم؛ لأنَّ الموت ربما هجم عليه في حالةِ تركه للتوبة وهذا خطر عظيم، لا خَطَرَ أعظمُ منه. قال علي عليه السلام: ما أطال رجل الأمل إلا أسآء العمل[٢]. وقال عليه السلام: التسويفُ شُعاعُ إبليس.

المبحث السابع: متى تنقطع منفعة التوبة: وهي تنقطع عند معاينة الموتُ وتنقطعُ عند ظهور علاماتِ القيامةِ التي معها ينقطعُ التكليفُ، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ ﴾

---

(١) قال رسول الله ﷺ: ((خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها خيارها، ألا وإن الله..الحديث)). وتمامه: ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشي فيه ما بين المشرق والمغرب كما يسري الكوكب الدري. المرشد بالله ١/٥٢، ٦٢، وتاريخ بغداد ١/٢٣٨، وحلية الأولياء ٨/٢٠٢.

(٢) نهج البلاغة ٤/٦٨٨.

[النسآء:١٨]، وقال تعالى:﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ [الفرقان:٢٢]. أي حَرَامًا مُحَرَّمًا[1]. وقال تعالى:﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا ﴾ الآية [الأنعام:١٥٨]. وقال النبي ﷺ:((مَن تَابَ قبل أن يُغَرْغِرْ بالموت تاب الله عليه))[2]، وقال ﷺ:((التوبةُ مقبولةٌ ما لم يَنْزِلْ سُلْطَانُ الموت))[3]. وقال ﷺ:((التوبةُ مقبولةٌ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من المغرب، فإذا طَلَعَتْ طُبِعَ على كُلِّ قَلْبٍ بما فيه، وكُفَّ الناس عن العمل))[4]. والأخبار في ذلك كثيرة.

المبحث الثامن:في سبب التوبة:ولها سببان:**أحدهما:**الخوف من وبال الذنب. **والثاني:**الرجاء لثواب التوبة. ولا يحصلان إلا بذكر الأمر الْمَخُوْف والمرجو، وهو العقابُ والثوابُ، وجميع ما يكون في حال الموت وبعده، وفي القبر، وعند النشر والحشر، وعند المواقف، والصراط، والميزان، ونحو ذلك.

وقد يكون سَبَبُ هذا الذِّكْرَ الْمُوَلِّدَ للخوف والرجا من قِبَل النفس[5] بالفكر الْمُوَلِّدِ لذلك. وقد يكون من قبل الله تعالى، وقد يكون من بعض عبيده الواعظين الْمُذَكِّرِينَ ونحو ذلك.

---

(١) الماوردي ٤/١٤٠ . والألوسي مج١١ ج١٩ ص١٠. وفي (ب): حَرَمًا محرمًا.
(٢) المستدرك ٤ / ٢٥٧ ، والخطيب في تاريخه ٨ / ٣١٧.
(٣) سلوة العارفين ٤٣٤، بلفظ:((التوبة مبسوطة ما لم يترل سلطان الموت)).
(٤) سلوة العارفين ٤٣٣، ومسلم ٤ / ٢٠٧٦ . وأحمد بن حنبل ج٣ برقم ٩١٤١ ، بلفظ: ((من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه)).
(٥) في (ب):من شغل النفس.

المبحث التاسع:في[1] طَرَفٍ مما جاء في الاستغفار، وذكر كيفية[2] ما جاء من التلفظ به عن النبي ﷺ أنه قال:((ما مِنْ عبدٍ ولا أمة يستغفرُ الله كل يوم سبعين مرة إلا غُفِرَ له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبدٌ أو أمةٌ عمل في ليلته أو يومه أكثر من سبعمائة ذنب))[3].

وعنه ﷺ أنه قال:((من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفِرَتْ له ذنوبُه وإن كان[4] فَرَّ مِنَ الزحفِ. ومن قالها خمسَ مراتٍ غُفِرَ له وإن كان عليه مِثْلُ زَبَدِ البحر))[5]. وقال ﷺ:((إن في القرآن لآيتين ما من عبد يذنب ذنبا فَيَقْرَأُهما ثم يستغفر الله إلا غفر له:قوله:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]. والآية الأخرى:﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوَءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رّحِيماً﴾[6] [النساء:١١٠]. والأخبار في ذلك كثيرٌ[7]. وإذ قد فرغنا من الكلام في العقيدة فلنتكلم فيما طلبه السائلُ من الكلام في فروض الصلوات الخمس،

---

(١) في (ب):في ذكر طرف.

(٢) في (ب):كيفية بعض.

(٣) أخرجه الديلمي في مسنده ١٧/٤ رقم ٦٠٤٩. والمتقي الهندي في الكتر ٤٨٢/١ رقم٢١٠٥ وعزاه إلى الحسن بن سفيان. والبيهقي في شعب الإيمان ٤٤٢/١ برقم٦٥٢، وفيه الزيادة:وقد خاب وعيد..))

(٤) كان ساقطة في (ب).

(٥) أخرجه الإمام زيد في المجموع ص٤١٨. والترمذي ٥ / ٥٣١ رقم ٣٥٧٧ . وأبو داوود ٢ / ١٧٨ رقم ١٥١٧.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر والبيهقي عن ابن مسعود كما في الدر المنثور ٢ / ١٣٧ بلفظ:((إن في كتاب الله لآيتين..)).

(٧) في (ب): كثيرة.

وسننِها الداخلة فيها وهيئاتِها، والتمييز بين فروضها وسُنَنها وهيئاتها.

[الأذان والإقامة]

فنقول وبالله التوفيق والتسديد والمعونة والتأييد:ينبغـــي أن نـــتكلم في الأذان والإقامة أَوَّلا، وإن لم يكن من فروضٌ الصلوات الخمس بل هو فـــرض مـــستقل بنفسه[(١)]، فإنه لا بد لكل مُصَلٍّ منه، ولا بد من تَقَدُّم الكلام فيه لأجـــل ذلـــك، ولوقوع الخلاف فيه بيننا وبين مَنْ في جهتك من المخالفين.

وإذا كان كذلك قلنا:إن الأذانَ أصلُه من الله تعالى، أَمَر اللهُ مَلَكًا من ملائكـــة الله تعالى ليلةَ أسْرِي برسول الله ﷺ فَعَلَّمَهُ رسول الله ﷺ، هكذا روينا عـــن الأئمة الفضلاء:الباقر محمد بن علي السجاد زين العابدين[(٢)]، والعالم ترجمان الـــدين أبي محمد نجم آل رسول الله القاسم بن إبرهيم الغَمْر، والهادي إلى الحق أبي الحسين يحيى بن الحسين، والناصر للحق أبي محمد الحسن بن علي صـــلوات الله علـــيهم، وأنكروا ذلك على من جعله مأخوذا من رؤيا[(٣)] الأنصاري[(٤)]. وقد ذكرنـــا فيمـــا تقدم طرفا من فضائل هؤلاء الأئمة (ع)، فيكون ما ذكرناه من فضائلهم مُرَجِّحًـــا

(١) ذكر المؤلف في الشفآء ١ / ٢٤٧ أنه فرض على الكفاية وهو قول القاسم والهادي والناصر والمؤيد بالله.

(٢) الباقر:ولد سنة ٥٧هـــ وقيل ٥٦هـــ ، كان عابدًا زاهدًا ناسكًا ولقب بالباقر؛ لأنه بقر العلم، وعـــرف أصله واستنبط فرعه وتوسع فيه. والبْقَرُ التوسع، توفي١١٤هـــ ، وله كتاب التفسير، رواه عنه أبوالجـــارود زياد بن المنذر. ينظر أعيان الشيعة ١/٦٥٠ والأعلام ٦/٢٧٠.

(٣) في (ب):من رؤيا بعض الأنصار.

(٤) أنظر الأحكام ١/ ٨٤ . والاعتصام ١ / ٢٧٧ . وشرح التجريد. وقد أخرج الطـــبراني في الأوســـط ٩ /١٠٠ رقم٩٢٤٧. لَمَّا أسري به إلى السماء أوحى الله إليه بالأذان فنزل به، فعلمه جبريـــل. والأذان بحـــي على خير العمل ص٥٧ ، وعلي بن موسى الرضى في صحيفته ص٤٤٨ ، وقد احتج للقول بأن الأذن شرع ليلة الإسراء غير واحد ووسع في ذلك الشهيد محمد بن صالح السماوي في الغطمطم الزخار ٤ / ٤٣٥ وما بعدها .

طرفا من فضائل هؤلاء الأئمة (ع)، فيكون ما ذكرناه من فضائلهم مُرَجِّحًا لروايتهم على روايةِ غيرهم، فلا يَعْدِلُ عن روايتهم مَنْ طلب الاحتياطَ لنفسه، والأخْذَ بالقوي من الأسانيد.

وإذا ثبت ذلك قلنا:إن الأذانَ الذي ذكره هؤلاء الأئمةُ المذكورون ورووه عن رسول الله ﷺ هو قولُ المؤذن:الله أكبر، اللهُ أَكْبَرُ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ، أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حيَّ على الصلاةِ، حي على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حي على الفلاح وحي على خير العمل، حي على خير العمل، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله[1].

والإقامةُ مثل ذلك، إلا أنك تقول بعد قولك:حي على خير العمل، حي على خير العمل، قد قامت الصلاة، قَدْ قامتِ الصلاةُ، ألله أكبر، الله أكبر، لاإله إلا الله. فهذا هو لفظُ الأذان ولفظ الإقامة. والنطقُ بذلك واجبٌ؛ لأنه قولٌ، والقولُ يَحْصَلُ بالمخافتة. والجهرُ بِه سُنَّةٌ. ولا يصح أذَانُ الْجُنُب، ولا أذانُ الفاسقِ أيّ فِسْقٍ كان:من سُكْرٍ أو غيره، ولا أذانُ الكافر [كافر تأويل] سواء كان مُجْبِرِيًّا قَدَرِيًّا أو غيره، ولا أذانُ المجنون. واللاحن في أذانه لا يصح أذانه، وكذلك أذان المرأة، وكذلك الصبي الذي لم يَبْلُغْ، لا يجب عليه الأذانُ، ولا شيءُ من الشرائع فلا يُعْتَدُّ بأذانه.

ويصح أذانُ الْمُحْدِثِ [حدثًا أصغر] ولا تصح إقامتُه. ولا يقيم للغيرُ غيرُ

---

(١) الأحكام ١ / ٨٤ . وكتاب الأذان بحي على خير العمل . وشرح التجريد (خ)، والتحرير ١ / ٨٤ . وأصول الأحكام (خ).

مؤذِنِهِم، إلا عَنْ عُذْرٍ. فإنْ أعاد الأذانَ غيرُ المؤذن الأول جاز أن يقيم، كما فعل أبو محذورة مؤذنُ النبي ﷺ فإنه جاء وقد أذَّن إنسانٌ فأعاد الأذان ثم أقام[(١)].

ويجوز أن يؤذنَ مؤذنانِ و ثلاثةٌ وأكثر في وقتِ صلاةٍ واحدةٍ لصلاةٍ واحدةٍ، سواء أذَّنوا في وقت واحد، أو أذَّن كل واحد منهم وحده. وقد رُوينا أن بلال ابن حمامة[(٢)]، وابن أم مكتوم، وصهيبًا الرومي. ورابعُ[(٣)]، ذَهَبَ عَمَّن رَوَى لنا اسمُه فلا يدري[(٤)] أهو عبدُ الله بنُ زيدٍ أو أبو محذورة رحمةُ الله عليهم-أذِّنوا في وقت واحدٍ لصلاةٍ واحدةٍ في مسجدِ رسول الله على عهد رسول الله ﷺ[(٥)].

وروى في الوافي[(٦)] عن السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني رحمه الله أنه قال:إذا كثر المؤذنون أذن واحد بعد واحد، والخبر الذي ذكرناه يقضي بخلاف ذلك، وهو أنه يجوز أن يؤذن المؤذنون في وقت واحد، فأما في الإقامة فتحتمل[(٧)] أن يقال:إنهم يقيمون. وفي كلام الناصر الحسن بن علي (ع) ما يقتضيه فإنه ذكر في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام (خ) بلفظ:جاء وقد أذن إنسان فأذن هو وأقام. والمؤلف في الشفاء ٢٥٣/١.

(٢) قيل:إنه بلال بن رباح وحمامة أمه ، نسب إليها، كما ذكر ذلك في أسد الغابة. شهد بدرا والمشاهد كلها ، وكان من السابقين إلى الإسلام وعذب من أجل ذلك. وهو مؤذن رسول الله توفي بدمشق سنة ٢٠هـ ، وقيل ١٧ هـ وقيل ١٨هـ ، وقيل:بحلب. أنظر أسد الغابة ١ / ٤١٤ .

(٣) في (ب) كانت ((رابع)) وصلحها ((رابعا)) توهما للعطف والرفع على أنها ابتداء كلام، والمعنى: ورابع ذهب اسمه عن الراوي. وسوغ الابتداء به، وهو نكرة التقسيم.

(٤) في (ب):فلا ندري.

(٥) المؤلف في الشفاء ٢٥٦/١.

(٦) هو للعلامة علي بن بلال الآملي.

(٧) في (ب):فيحتمل .

الإبانة في آخر كلام له[1] ما لفظه:حتى يفرغ المؤذنون من الإقامة، فأما إن سبق واحد منهم بالأذان فإنه أولى بالإقامة؛ لسبقه لهم بفضيلة الأذان؛ ولأن الواجب قد سقط بأذانه فكانت متوجهة إليه، فإن أقام غيره ممن أذن بعده جاز، كما فعل[2] أبو محذورة وقد ذكرناه. ولا يجوز الأذانُ لشيء من الصلوات قبل دخول أوقاتها، خلافًا في الفجر[3]، وإجماعا بين العلماء فيما عدا صلاة الفجر. قال زيد بن علي (ع):مَنْ أَذَنَّ قبل الفجر فقد أحلَّ ما حرم الله وحرم ما أحل الله[4].

وروي أن بلالا أذن قَبلَ طلوع الفجر، فأمره النبي ﷺ أن يرجع فينادي:إن العبد نام، أي سها وغفل[5]. وعن علي عليه السلام أنه قال:من أذن قبل الفجر أعاد، ومن أذن قبل الوقت أعاد[6].

وعن علقمة رحمه الله أنه سمع مؤذنًا في مكة يؤذنُ قبل طلوع الفجر فقال:أمَّا هذا فقد خالف سنةَ أصحاب محمد ﷺ، ولو كان نائما لكان[7] خيرا له، فإذا طلع الفجرُ أذَّن[8]. فأخبر علقمةُ أن ذلك خلافُ سنة أصحاب محمد ﷺ، فَدَلَّ ذلك على أنهم أجمعوا على خلافه. فأما ما احتج به المخالفون

(١) ((له)) محذوفة في (ب) .
(٢) في (ب):فعله .
(٣) الخلاف للشافعي ومالك. ينظر الأم ٦٢/٢. والمدونة ١٥٩/١.
(٤) المجموع ص٩٤. والأحكام ١ / ٨٦.
(٥) الأحكام ١ / ٨٦ . وأبو داوود ٣٦٣/١ رقم ٥٣٢. والترمذي ٣٩٤/١. وابن أبي شيبة في المصنف ١ / ٢٠١.
(٦) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ١ / ٨٦.
(٧) في (ب): كان.
(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١ / ١٩٤.

على أنهم أجمعوا على خلافه. فأما ما احتج به المخالفون

من أذان بلال قبل الفجر فإن ذلك على وجه التذكير فقط، بدلالة ما روي عن النبي ﷺ أنه قال:إن بلالاً يؤذن ليوقظ نائمَكم ويَرْجِعَ قائمَكم[(١)]، وَيَتَسَحَّرَ صائمُكم فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم[(٢)].

وعنه ﷺ أنه قال:((لا تُؤَذِّنْ حتى يستبينَ الفجرُ هكذا ومَدَّ بيده عرضًا))[(٣)]، وروي عن عمر بن الخطاب أنَّ مؤذنًا يقال له:مسروح أذَّن قبل الفجر فَغَضِبَ عُمَر، وأمر أن ينادى أن مسروحا وَهِمَ[(٤)].

والآذان بحي على خير العمل:من جملة الأذان بإجماع أهل البيت عليهم سلام رب العالمين، ورووه عَن جَدِّهم خاتَمِ النبيئين صلوات الله عليهم أجمعين، وإجماعُهم حجةٌ يَجِبَ اتباعُها، ويَقْبُح خلافها، وروايتُهم أولى من رواية غيرهم لما ذكرناه[(٥)] من الأدلة التي ضمناها فضائلهم فيما تقدم.

---

(١) أي يرد المتهجد لينام قليلا حتى يصبح نشيطا لصلاة الفجر.

(٢) أخرجه البخاري ١ / ٢٢٤ برقم ٥٩٦-٥٩٧ عن عبدالله بن مسعود بلفظ:لا يَمْنَعَنَّ أحدَكُم أو أحَداً منكم أذانُ بلالٍ من سُحُوره؛ فإنَّه يُؤَذِّنُ أو ينادي بلَيْلٍ لِيَرْجعَ قَائِمَكُمْ وَلِيُنَبِّهَ نَائِمَكُمْ، وَلَيْسَ أن يقول الفجر أو الصبحَ. وقال بأصابعه ورفعها إلى فوق وطأطأ إلى أسفل:حتى يقول هكذا. وقال زهير [راوي الحديث] بسبابتيه إحداهما فوق الأخرى، ثم مدها عن يمينه وشماله. ومسلم في كتاب الصيام ٧٦٨/٢ رقم ١٠٩٢-١٠٩٣.

(٣) أخرجه أبو داوود ١ / ٣٦٥ رقم ٥٣٤ . ويقال:إن هذه الرواية تفرد بها أبو داوود. وينظر عون المعبود ٣١١/١ طبعة حَجَري.

(٤) ينظر سنن أبي داوود ٣٦٥/١ رقم٥٣٣ ولفظه:أن مؤذنًا يقال له:مسروح أذن قبل الصبح فأمره عمر أن يرجع فيناديَ ألا إن العبد قد نام، ألا إن العبد قد نام.

(٥) في (ب):لما ذكرنا .

وَرَوَوْاعن أبيهم يعسوب الدين أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:أنه أمر بلالا بأن يؤذن بحي على خير العمل[(١)]، ورُوِي عن أبي محذورة أنه قال:أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقول في أذاني:حي على خير العمل، وهو أحد مؤذني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ورُوِي بأن الأذان بحي على خير العمل كان ثابتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى عهد أبي بكر، وصَدْرًا من خلافة عمر، ثم أمر عمر بالكف عنها، وقال:أخشى إذا سمعها الناس ضيعوا الجهاد، واتكلوا عليها[(٢)].

وإذا كان كذلك دل على أن تَرْكَهَا بدعَةٌ؛ لأنه لا نَسْخَ فيما ثبت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في حياته، فأما بعد موته فذلك مما لا سبيلَ إلى زواله، والأمر في ذلك ظاهر. ولو كان تَرْكُ حي على خير العمل من جملة الدين-لبيَّنَه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولَمَا فَوَّتَ مصلحة العباد بموت محمد عليه السلام قبل كمال المصلحة مع قوله تعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣]، فلما لم يبينه لرسوله عليه السلام، ولا أمره بتركه وإزالة حكمه دَلَّ ذلك على أنَّ تَرْكَها ليس من جملة الدين. ولَمَّا أمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم دل على أنها مشروعة من الله تعالى، ومأمور بالأذان بها لقوله تعالى:﴿وَمَا

(١) ينظر مجموع الإمام زيد ص٩٣. وكتاب الأذان بحي على خير العمل كتاب مطبوع حديثا من إصدارات مركز بدر العلمي، رواية للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن العلوي المتوفي سنة ٤٤٥هـ، وفيه ١٩٢ رواية حول حي على خير العمل؛ فاطلبه لزاما. ورواه عبدالرزاق الصنعاني في المصنف ١/٤٦٠ رقم١٧٨٦ بلفظ:أن ابن عمر كان إذا قال في الأذان:حي على الفلاح قال:حي على خير العمل. وص٤٦٤ رقم١٧٩٧ بلفظ:عن نافع عن ابن عمر أنه كان يقيم الصلاة في السفر، يقولها مرتين أو ثلاثا يقول:حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على خير العمل.

(٢) ينظر الأذان بحي على خير العمل فقد رواه من عدة طرق، وأخرج ذلك ابن أبي شيبة في المصنف ١ / ١٩٥.

يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىَ ❖ إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَىَ ﴾ [النجم:٣-٤].

وقال تعالى فيما أمر محمدا ﷺ بقوله:﴿إِنْ أَتّبِعُ إِلاّ مَا يُوحَىَ إِلَيّ ﴾ [الأنعام:٥٠]. والعجبُ من جهال من ينتسبون إلى مذهب الشافعي رحمه الله، ينكرون على مَنْ يؤذنُ بحي على خير العمل، ويرون من تَلَفَّظَ[(١)] بها في الأذان قد أتى أمْرًا كبيرًا، وربما يرون أنه قد خرج من الدين، وذلك من كثرة جهلهم وقلَّةِ تمييزهم[(٢)]؛ لأنا قد بينا أن ذلك مروي عن رسول الله ﷺ. وعن علي عليه السلام، وهو مذهب أسباط الأئمة (ع). فكيف يُنْكَرُ على فاعله لولا الجهلُ وضلالُ العقلِ، وسَفَهُ الرأي، وقلة العلم؟ فإنه متى كان حي على خير العمل مأخوذًا من[(٣)] رسول الله ﷺ وبه كان يُؤذِّنُ مُؤَذِّنُوهُ ﷺ على عهده حتى مات، ثم أجمع أهلُ البيت (ع) على التأذين به، لم يَسُغْ خلافُ ذلك. فإن ساغ لهم خلافه، وقالوا:بأن المسألة اجتهاديّةٌ- لم يَسُغْ لهم الإنكار في مسائلِ الاجتهاد، مع قول النبي ﷺ:((كُلُّ مُجتهدٍ مُصِيبٌ)). والأمر في ذلك أظهرُ من أن يَخْفَى، إلا أنا أتينا بهذه الجملة لِتُنَبِّهَ الغافلين وتُذَكِّر المؤمنين وتهدي[(٤)] الجاهلين.

---

(١) في (ب): يلفظ.

(٢) لعل هذا كان في أيام المؤلف، أما في أيامنا فلا يظهر منهم إلا كل خير، والحرب على حي على خير العمل، إنما جاء من أتباع محمد بن عبدالوهاب أصحاب نجد، وقد رصدوا لهذا الغرض ونحوه من محو المذهب الزيدي أموالا طائلة، وساعدهم الجهلة والمحتاجون من اليمنيين؛ لأن الفقر كاد أن يكون كفرا وقد عمت بلواهم، وانتشرت فتنتهم كفانا الله الفتن والأهواء.

(٣) في (ب): عن.

(٤) في (ب): لنُنَبِّه ...ونُذكر... ونهدي.

والتثويب في أذان الفجر ليس من جملة الأذان[1]

وهو قول المؤذن:((الصَّلاةُ خَيْرٌ من النَّوم)). وإنما أَحْدَثَهُ عُمَرُ، وأمر به في أذان الصبح[2]، وهو عندنا بِدْعَةٌ لما روى مجاهدُ رحمه الله قال دخلت مع عبدالله بن عمر إلى مسجدٍ فثوَّبَ المؤذنُ فقال ابن عمر:أخرِجْنَا من هذه البدعة[3].

والأذان فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر، وكذلك الإقامةُ. وذكر بعضُ أئمتنا (ع):أنه إذا أُذِّنَ في بعضُ المساجد في بلدٍ أو قرية سقط فرض الأذان عن الباقين في سائر المساجد، والمذكورُ هو السيدُ أبو طالب عليه السلام[4].

---

(١) وقد قال الإمام الشافعي في الأم ٢ / ٦٩ رقم ١١١٥:ولا أحب التثويب في الصبح ولا غيره ؛ لأن أبا محذورة لم يحك عن النبي أنه أمر بالتثويب، فأكره الزيادة في الأذان وأكره التثويب بعده.

(٢) ينظر الأحكام ٨٤/١. وشرح التجريد ١٠٥/١. وأصول الأحكام -خ- والمصنف ١٨٩/١عن إسماعيل قال:جاء المؤذنُ عمرَ بصلاة الصبح، فقال:((الصلاة خير من النوم))-فأعجب بها عمر، فقال للمؤذن:إقرأها في أذانك. ومالك في الموطأ ٦٩/١. وقال:بلغني أن المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح، فوجده نائمًا، فقال:الصلاة خير من النوم، فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح. قال الإمام القاسم بن محمد في الإعتصام ٢٨٣/١ بعد ذكر رواية مالك:وكفى بهذا جرحًا لمن رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن إنكارهم متضمن لتكذيب ما رفعه.

(٣) أخرجه الترمذي ١ / ٣٨١ ، وأبو داوود ١ / ٣٦٧ . والمؤلف في الشفاء ٢٦٢/١.

(٤) ذكره في التحرير ٨٢/١ وهو الإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني شمس العترة وقمر الأسرة ((السادة الهارونيين)) ، مولده سنة ٣٤٠هـ ، كان عالِمًا فاضلاً ورعًا ومن أئمة أهل البيت المشاهير ، قال الإمام عبدالله بن حمزة: لم يبق فن إلا طار في أرجائه ، وسبح في أفنائه ، وقال في الحدائق:كان عليه السلام في الورع والزهادة والفضل والعبادة على أبلغ الوجوه وأسناها ، وقال ابن حجر في لسان الميزان: كان إمامًا على مذهب زيد بن علي عليه السلام وكان فاضلا غزير العلم مكثارا ، عارفا بالأدب وطريقة الحديث ، ، وقال ابن طاهر:كان من أمثل أهل البيت المحمودين في صناعة الحديث ، بويع له سنة ٤١١هـ ، **وله** فِيْ أصول الدين شرح البالغ المدرك مطبوع بمركز بدر ، وتيسير المطالب ، والمبادي ، وزيادات شرح الأصول ، . **وله** كتاب الدعَامة فِيْ الإمَامة طبع بعنوان ((نصرة مذاهب الزيدية))، ومنسوب إلى الصاحب بن عباد. **وله** فِيْ أصول الفقه جوامع الأدلة. وله المجزي فِيْ أصول الفقه مجلدان. وله فِيْ فقه الهادي عَلَيْهِ

وذكر المنصور بالله عليه السلام أن الأذان يَتَقَدَّرُ سقوطُه إذا وقع فيما دونَ الميلِ، فَمَنْ كان في الميل سَقَطَ عنه فَرْضُ الأذان إذا أذَّن فيه المؤذنُ، ويكفي في سقوط فرضه العِلْمُ بأن الأذانَ قَدْ وَقَعَ؛ لأنَّ سماعه لا يَجِبُ، قال القاسم عليه السلام ومن صلى بغيرِ أذانٍ ولا إقامةٍ صَحَّتْ صلاتُه[1].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي ذر:((يا أبا ذر، إذا كان الرجلُ في أرض فتوضأ أو تيمَّم، ثم أذَّنَ ثم أقامَ ثم صلى–أمر اللهُ الملائكةَ فَصَفُّوا خلفَه صفًّا لا يُرى طرفاه فَيَركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده ويُؤَمِّنُون على دعائه، ومَنْ قَامَ ولم يُؤَذِّنْ لم يُصَلِّ معه أحد إلا مَلَكَاهُ اللذان معه))؛ وإذ قد ذكرنا هذه الجملة في الأذان والإقامة فَلْنَعُد إلى الكلام فيما طلبه السائلُ من فروض الصلواتِ الخمس وسُنَنِها وهيئاتها، والتمييز بين هذه الأمور فنقول وبالله التوفيق:

بابٌ:فروض الصلاة وسننها الداخلة فيها وهيئاتها

فصل:في الاستعاذةِ وما يَحْسُن ذكره معها

فإذا فَرغتَ أيها المسترشد من الإقامة فاستقبلِ القبلةَ ثم قل:أعوذ بالله السميعِ العليمِ من الشيطان الرجيم، قل ذلك وأنت مستقبل القبلة قائمًا مُزَاوِجًا لقدميك

السَّلاَمُ التحرير –مطبوع بمركز بدر– وشرحه مجلدات عدة تبلغ ستة عشر مجلدا . **ت**:٤٢٤هـ، بالديلم أنظر الحدائق الوردية –خ–، لسان الميزان ٢٤٨/٦، والأعلام للزركلي ١٤١/٨، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٩٢/٤.

(١) لفظ الأزهار:ويكفي السامع ومن في البلد أذانٌ في الوقت من مكلف ذكر مُعْرِب عدل طاهر من الجنابة. والظاهر أن سماع الأذان في غير المدينة يكفي ولو خارج الميل، ولو بواسطة مكبِّر الصوت. أما في المدينة أو القرية فيكفي أذانٌ واحد ولو لم يُسمع الأذان. أما الإقامة فلا تكفي إلا إذا أقيمت في مسجد لمن صلى فيه تلك الصلاة. ينظر شرح الأزهار ٢١٨/١، ٢١٩.

بحيث لا تَضُمُّهُمَا، وأرسل يديك إرسالا، واضرب ببصرك إلى موضع قدميك، وإنما أُمِرْتَ بالاستعاذة من الشيطان لِعِظَمِ اعتراضه للآدمي عند الصلاة.

ولهذا قال النبي ﷺ:((ركعتان خفيفتان في ذِكْرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ والقلبُ ساه. وإن القوم يكونون في صلاة بينهم من الفضل كما بين السماء والأرض؛ لأن الخاشع يُقْبِلُ؛ فإذا دخل الرجل في الصلاة أتاه الشيطان يُذَكِّرُهُ حوائجه[1] فيقول[2] له الْمَلَكُ:أَقْبِلْ على صلاتك وياديه في أذنه اليمنى، والشيطان يناديه في أذنه اليسرى وقلبه يُنَازِعُ الأَمْرَيْنِ فإن أطاع الْمَلَكَ ضَرب الْمَلَكُ الشيطانَ بجناحه، وإن أطاع الشيطانَ قال له الملك:أما إنك لو أطعتني لم تقم من صلاتك إلا وقد غُفِر لك))[3]. صدق ﷺ.

ولكن أيها المسترشدُ لن تُكْفَى شَرَّهُ إلا متى صدق تعوُّذُك باعترافك بجلال الله وعظمته وأنه لا يتعاظمه عظيم، واعتصامُك بحوله وقوته لا بحول نفسك وقوتها، وعليك بالخشوع في جميع صلاتك، والخضوع لله تعالى والتفكر بقلبك في معاني حروف ألفاظ[4] الصلاة؛ فإن التفكر في الصلاة من جملة الواجبات فيها على ما ذكره السيد أبو طالب عليه السلام. وقد قال النبي ﷺ:((لا يَنْظُرُ اللهُ إلى صلاة عبد لا

---

(١) روي أن رجلا أتى أبا حنيفة رحمه الله فقال:يا إمام إني دفنتُ مالاً ونسيت المكان الذي دفنته فيه. فقال أبو حنيفة:هذه ليست مسألة فقهية، ولكن توضأ وصل فلعلك تذكر ضالتك، فما صلى إلا قليلا حتى جاء وقال:قد تذكرت، قال أبو حنيفة:قد علمتُ أن الشيطان لن يدعك تصلي فهلاَّ أكملتَ ليلتكَ شكرا لله.

(٢) في (ب): ويقول.

(٣) الحاكم في السفينة ٣/٦٩.

(٤) ((ألفاظ)) ملحقة في ((أ))، ومشطوبة من (ب).

يُحْضِرُهَا قلبَه مع بدنه))[1]. وفي (الوافي) عن القاسم عليه السلام أنه يجب على المصلي الإقبالُ بجهده عليها-يعني الصلاة-وتفريغُ فِكْرِه لها حتى يتمها كلها خاشعا في جميعها)). تم كلامه.

ووجه ذلك قول الله تعالى في صفة المؤمنين:﴿الّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٢]، ويمكن أن يقال:إن تَرْكَ الخشوع فيها لا يفسدها لِمَا[2] روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا يعبثُ بلحيته في الصلاة، فقال:أما هذا فلو[3] خَشَعَ قَلْبُه لَخَشَعَتْ جَوارِحُه))[4]، ثم قال[5]:((لا يقطع الصلاة شيءٌ، وادْرَؤُوا ما استطعتم))[6]، يعني به من جنس ما تقدم ذِكْرُه، فاستَعْمِلْ ذلك في جميع صلاتِك أَوَّلِهَا وآخِرِها.

فصل:في التوجه

ثم تقول بعد الاستعاذة:((وَجَّهتُ وَجْهيَ للذي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ حنيفًا مُّسلمًا ومَا أنا من المشركين، إنَّ صلاتِيْ ونُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، لا شريكَ لهُ وبذلك أُمِرتُ وأنا من المسلمين، الحمدُ لله الذي لم يَتَّخذْ ولدًا، و لم يكن له شريكٌ في الْمُلْكِ و لم يكن له وَلِيٌّ من الذُّلِّ)). هذا كله سنة

(١) الحاكم ٣/٦٩.
(٢) في (ب):كما .
(٣) في (ب):لو خشع .
(٤) المجموع ص١١٨. والأحكام ١/١٠٦. وكنز العمال ٨/١٩٧ برقم٢٢٥٣٠.

(٥) في (ب):وقال .
(٦) المجموع ص١٢٠. وأبو داوود ١/٤٦٠.

وليس بواجب، وإن اقْتَصَرْتَ-على الاستفتاح الصغير وهو من قولــك:الحمــدُ للهِ الذي لم يتخذْ ولدًا إلى آخره، فلا بأس في ذلك. نص عليه القاسم عليه السلام[1] .

فصل:في نِيَّةِ الصَّلاة

لا خلاف بين العلماء في وجوب نيةِ الصلاة، وتجوز نية الصلاة عند القيام إلى الصلاة عند القاسم عليه السلام وفي الوافي حكايةً عن السيد أبي العباس عن القاسم عليه السلام ما لفظه:ويجب[2] أن ينويها قبل أن يقوم إليها[3] تم كلامه. ويجوز عند القاسم وعند[4] الهادي إلى الحق (ع) تقديْمُها قبل التوجه، وفي حال التوجه، وقبلَ تكبيرة الإحرام، وفي أولها، ويجوز أن تخالط التكبيرة من أولها إلى آخرها عندهما جميعا (ع)[5] .

واعلم أيها المسترشد أنه يجزيك في النية أن تنوي الصلاة بقلبك، وتميزها بمــا تَتَميزُ[6] به عن غيرها، ولن ينفعك إلا ما كان بقلبك دون لسانك. ومما يقــع بــه التمييز أن تنويَ عينَ الفرضِ ظُهرًا كان أو عصرًا أو غيرَهما، فإن كنت إماما لجماعة نويت الإمامة لهم، وإن كنت مؤتما نويت الإئتمام بالإمام المتقدم لإمامة الــصلاة، وإن كنت تقضي نويتَ القضاءَ ونويتَ مِنْ أول ما فاتك أو من آخره، ومِنْ آخره أولى، وذلك لأجل التعيين والترتيب، ويكره التلفظ بالنية لكراهة الكلام بين الإقامة

---

(١) ذكره الإمام الهادي في الأحكام ١ / ٩١ ، التحرير ١ / ٨٥.

(٢) في (ب):يجب .

(٣) ذكر الرواية عن القاسم في التجريد ١/ ١٤٧ . والوافي ص١٨ مخطوطة مكتبة الجامع الكبير .

(٤) في (ب) بحذف عند .

(٥) التجريد ١٤٧/١. والمنتخب ٣٦. والتحرير ٨٥/١.

(٦) في (ب):تَّميَّز.

والصلاة[1]، وإن صليت صلاة من صلوات الأسْبَابِ قَيَّدْتَها بسببها[2]؛ ليقع التمييز به كصلاة الجنازة، والعيدين، والاستسقاء، والخسوف، والكسوف، ونحو ذلـــك؛ لأنه لا بد من تعيين الصلاة، ولا يقع التعيين إلا بذلك، فهذا من فروض النِيَّة.

ومن جملة ما يستحق به الثواب أن تُخطِرَ بِبَالِكَ أن تصلي الصلاة لوجوبهـــا، ولوجه وجوبها إن كانت واجبة، وإن كانت سنة، فلكونها سنة ونحو ذلـــك مـــن كونها عبادةً لله وإرغاما للشيطان ونحوَ ذلك، وليس ذلك بواجب بل هو فـــضيلة وهيئة.

فصل: في تكبيرة الإحرام

ثم قل: اللهُ أَكْبَرُ -بضم الراء أو بسكونها والوقف عليها- وهذه التكبيرةُ عندنا من الصلاة وهي فرض واجب[3]، والجهر بها سُنَّة على المنفرد والمأموم، والجهـــرُ بهـــا واجبٌ على الإمام، وحدُّ الواجب من الجهر بها على الإمام مقـــدارُ مـــا يَـــسْمَعُه المؤتمون فيكبروا التكبيرة.

فصل: في القراءة

---

(١) أفتى ابن تيمية بقتل من جهر بالنية، وذلك عندما سئل عن رجل، قيـــل لـــه: لا يجـــوز الجهـــر بالنيـــة، فقال: صحيح ما فعله النبي، ولا آمر به، ولكن ما نهى عنه، ولا تبطل صلاة من جهر بها، ثم قال: إن لنا بدعة حسنة وبدعة سيئة، واحتج بصلاة التراويح فإنها بدعة حسنة، فأجاب ابن تيمية: يستتاب قائل هـــذا، فـــإن تاب وإلا عوقب بما يستحقه!!، أقول: إن الإستتابة والقتل لا تكون إلا للمرتد عن دينة ليس للـــذي يقـــول بالجهر بالنية فعديد من المسلمين يجهر بها فهل يستتابوا ثم يقتلوا كما قال ابن تيمية، نعوذ بالله من التعـــصب والذميم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. مجموع فتاويه مج٢٢/٢/٢٣٣.

(٢) قال في الأزهار: ويضاف ذو السبب إليه.

(٣) خلافًا للمؤيد بالله، وأبي حنيفة، وقول للشافعي. ذكره الجلال في ضوء النهار ١/٤٨٢.

ولا خلافَ بين أئمتنا (ع)، وإن اختلفوا في مقدار الواجب منها ، فقال القاسم عليه السلام:وليس للقراءة عندي حدٌّ محدود من سورةٍ أو غيرِها، وما قــرأ المــصلي في صلاته من قليل أو كثير فقد أغنى. يعني مع الفاتِحة. وقال الهادي إلى الحق عليه السلام:أقلُّ ذلكَ ثلاثُ آياتٍ مع الفاتِحةِ أو سورةٍ[1] ، وقال الناصر للحق عليه السلام:يجــب قــراءة الفاتحة في الأربع الركعات[2] ، وإذا ثبت ذلك فعند القاسم والهادي جميعا (ع) أنــه تجب القراءةُ لهذا القدر المذكور على الخلاف بينهما مرةً واحــدة في الــصلاة، في ركعة لا بعينها. والسُّنَّةُ أن يَجْعَلَ ذلك في الركعة الأولى، وأن يقرأ مرة ثانيــة في الركعة الثانية. والجهر واجب في القدر الواجب من القــراءة في صــلاة المغــرب والعشاءِ الآخِرَة والفجر[3] . وَالْمُخَافَتَةُ واجبةٌ في القدر الواجب من القراءة في صلاة الظهر والعصر. ومَنْ نسي القراءة في صلاته ثم تَذَكَّر قبل التسليمِ فعليــه أن يــأتي بركعةٍ كاملةٍ يقرأُ فيها بفاتحة الكتاب وسورة، ذكره السيد أبو طالب في فتاويــه تخريجا على المذهب، فإن نسي الجهر في القراءة فيما يُجْهَرُ به أو المخافَتَــةَ فيمــا يُخَافَتُ فيه[4] - فعليه أن يأتي بركعة كاملة يجهر فيها بالقراءة-إن كانت الصلاة مما يجهر فيها بالقراءة، أو يخافت فيها إن كانت مما يُخَافَتُ فيها، ذكره المنصور بــالله عليه السلام تخريجا على مذهبِ مَنْ يقول بوجوب ذلك. واجْتَهِدْ أيهــا المــسترشد أن لا

---

(١) التحرير ١ / ٨٥ . والأحكام ١ / ٩٢.
(٢) الناصريات ٢١٨
(٣) في هامش (ب):والجمعة.
(٤) في (ب) و (ج): به.

تُخِلَّ بشيء من التشديد في سورة الفاتحة، وأن لا تَدَعَ شيئا من آيِ الفاتحة.

وبيانُ ذلك:إنَّ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** آيةٌ من الفاتحة عندنا، وهـي الآيـة السابعة، رُوِيْنَا ذلك عن ابن عباس رحمه الله[1]. والجهر ببسم الله الرحمن الـرحيم واجبٌ في مواضع الجهر، والمخافتةُ بها واجبة في موضع المخافتـة. والتـشديدُ في

---

(١) ينظر أمالي أحمد بن عيسى ١/١١٤، وقد ذكر أنه إجماع أهل البيت (ع)، وذكر روايات كـثيرة حـول ذلك. والكشاف ١/١. والأحكام ١/١٠٥. وتفسير الرازي مـج١ ج١ ص٢٠٢. وروى في ص٢٠٤:أن معاوية قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر فيها فقرأ أم الكتاب، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الـرحيم، فلمـا قضى صلاته ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية أنسيت؟ أين بسم الله الرحمن الرحيم حين اسـتفتحت القرآن؟ فأعاد معاوية الصلاة ، وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وقال:وهذا الخبر يدل على إجمـاع الـصحابة رضي الله عنهم على أنها من القرآن ، ومن الفاتحة وعلى الأولى الجهر بقراءتهـا . **وروى** في ١/٢١٢ عـن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ بسم الله الرحمن الـرحيم. وكـان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص ، وقال الشيخ أبو حامد الاسفرايني:روي عن أنس في هذا البـاب سـت روايات [أي في بسم الله الرحمن الرحيم]. أما الحنفية فقد رووا عنه ثلاث روايات:أحدها قولـه:صـليت خلف رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر وعمر وعثمان ، فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين، وثانيتها:أنهم ما كانوا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم، وثالثها:قوله: لم أسمع أحد منـهم قـال:بـسم الله الرحمن الرحيم؛ فهذه الروايات الثلاث تقوي قول الحنفية، وثلاث أخر تناقض قولهم؛ أحدها:ما ذكرنـا أن أنسًا روى أن معاوية لما ترك بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والأنصار، وهذا يـدل على أن الجهر بهذه الكلمات كالأمر المتواتر فيما بينهم. ثانيتها:روى أبو قلابة عن أنس أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. وثالثتها:أنه سئل عن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والإسرار به، فقال:لا أدري هذه المسألة؛ فثبت أن الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيهـا الخطـب والاضطراب، فبقيت متعارضة فوجب الرجوع إلى سائر الدلائل. وأيضًا ففيها تهمة أخرى وهـي:أن عليـا عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سـعيًا في إبطال آثار علي عليه السلام؛ فلعل أنسًا خاف منهم، فلهذا السبب اضطربت أقواله فيه. ونحن وإن شككنا في شيء فإننا لا نشك أنه مهما وقع التعارض بين قول أنس وابن المغفل وبين قول علي بن أبي طالب الذي بقي عليه طول عمره، فإن الأخذ بقول علي أولى، فهذا جواب قاطع في هذه المسألة .. إلى آخر كلامـه . ينظر تفسير الرازي ١/٢١١. ومن أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى المـصابيح للـشرفي ١/١٤٦. وتفـسير الرازي فقد أوسعا في ذلك.

الفاتحة في أربعةَ عشرَ موضعا؛ فلا تُخِلَّ بواحدة منها، وافْرُقْ بين الضاد والظاء فيما تتلوه من كتاب الله تعالى، فإن المغضوب والضالين، بالضاد، فإنْ قَرَأْتَهُمَا أو أحدهما بالظاء بَطَلَتْ صلاتُك، وكذلك في سائر آي القرآنِ، إن قرأتَ ما هو بالظاء بالضاد، أو قرأت[1] ما هو بالضاد بالظاء بَطَلَتْ صلاتُك، إلا في لفظةٍ واحدة في كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى:﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[2] [التكوير:٢٤] فإنه يجوز قراءتها بالضاد والظاء جميعا.

وإن كنت أيها المسترشد أُمِّيًّا لا تُحْسِنُ القراءة وجب عليك تَعَلُّمُ الفاتحةِ وثلاثِ آيات. فإن أتى عليك آخر الوقت ولم تحفظ هذا القدر فإنك تقف في إحدى الركعات قائما ساكتًا[3]، مقدار ما يمكنك أن تقرأ فيه ثلاث آيات لو كنت ممن يعرف القراءة.

فصل: في الركوع

(١) في بقية النسخ: قَرَيْتَ .

(٢) لأنك إذا قرأت بالظآء فهي على قراءة ابن كثير وأبي عمر والكسائي. وإن قرأت بالضاد فهي على قراءة غيرهم . قال الزمخشري في كشافه ٧١٣/٤ ﴿بِضَنِينٍ ﴾:بمتهم من الظنةِ وهي التهمة ، وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي:لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه؛ أو يُسأل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبدالله بن مسعود بالظاء وفي مصحف أُبَيّ بالضاد، وكان رسول الله ﷺ يقرأ بهما ، وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب، ومعرفة مَخْرَجَيْهِمَا مما لا بد منه للقارئ؛ فإن أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين ،إن فرقوا ففرقًا غير صواب وبينهما بون بعيد، فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره. وهي أحد الحروف الشجرية أخت الجيم والشين. وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهي من الحروف المذلقة أخت الذال والثاء.

(٣) في (ب) و (ج):ساكنًا.

ثم لا تَصِلِ القراءةَ بتكبيرة الركوع[1]، إن كنت ممن يقرأ؛ بل افْصِلْ بينهما بمقدار النَّفَسِ، فإن ذلك من الهيئات، ثم كبر للركوع فابْتَدِءْ بالتكبيرة قائما وَطَوِّلْهَا حتى تُتِمَّها راكعًا؛ لأن تَشْغَلَ بالذكر جميعَ الركن؛ فإن ذلك هيئةٌ حسنة، ومن الهيئات في الركوع أن تضع رَاحَتَيْك على ركبتيك، وأن تمد ظهرك وعنقك ورأسك مستويًا[2] كالصَّفْحَة، وأن تجافيَ مرفقيك عن جنبيك، فالركوع في نفسه واجبٌ، والطمأنينةُ فيه واجبة، ثم قل:سبحان الله العظيم وبحمده ثلاث مرات،وإن زدتَ إلى خمس فلا بأس، ذكره الهادي إلى الحق عليه السلام في المنتخب [ص٤٠]. والْخَمْسُ في النوافل أفضل، وهذا كله سنة، أعني التسبيح وعدَدَه. عند القاسم والهادي (ع). قال زيد بن علي (ع):إن شئتَ قلتَ ذلك سبعًا أو تِسعًا أو ثلاثًا[3]، ذكره عنه في الوافي [ص١٦]، وروى محمد بن القاسم عن أبيه القاسم (ع) في كتاب الفرائض والسنن:أنَّ مَنْ أكثر في التسبيح فله إكثاره، ومن أَقَلَّ أجزاهُ إقْلالُه.

فصل :في القيام من الركوع

ثُمَّ ارْفَعْ رأسَك من الركوع، وقل:سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَهُ، إن كنت إمامًا أو منفردًا، وإن كنت مؤتما قلتَ:رَبَّنَا لك الحمدُ، مجيبا للإمام في قوله سمع الله لمن حمده، وهذا اللفظ سنة، وَفِعْلُه بَعْدَ قول الإمام هيئةٌ. ومن الهيئات أيضًا أن تبتدئَ بذلك وأنت راكع، وتُتِمَّها وأنت قائم لتكون قد شغلت جميع الرَّكن بالذِّكْرِ، ثم

---

(١) في (ب):ثم لا يصل القراءة بالركوع.

(٢) في (ب): متساويًا.

(٣) المجموع ص١٠٦ قال:إن شئت قلت ذلك تسعًا، وإن شئت خمسًا، وإن شئت ثلاثًا.

تبتدئ بالتكبير للسجودوأنت قائم وتُتِمَّه وأنت ساجد؛ لتكون قد شغلت جميع الرُّكن بالذِّكْرِ. فالتكبير سنة وما عداه، من الهيئات.

فصل: في السُّجُودِ

فإذا سجدتَ فلا تَبْرُك كما يبرك البعير، بل ضَعْ يديك قبل رُكْبَتَيْكَ على الأرض، واسْجُد بباطن كَفَّيْكَ دونَ ظَاهرهما وحروفهما، كذلك كان يسجد رسولُ الله ﷺ، وقد قال: ((صَلوا كما رأيتموني أصلي))، ثم ضَعْ ركبتيك، ثم جبهتَك وأَنْفَكَ، وخَوِّ في سجودك، ومُدَّ ظهرك وَسَوِّ آرابك، وضَعْ يديك حِذَا خَدَّيْكَ، وبالقُرب من أُذُنَيْك، وانصِبْ قدميك، ثم لِيَكُنْ سجودُك على أطراف أصابعهما، ولا تَسْجُدْ بظاهرهما ولا بحروفهما؛ فإن ذلك يُفْسِدُ صلاتَك، وفرِّج إبطَيْكَ، وأَبِنْ عَضُدَيْكَ ومَرْفِقَيْكَ عن جَنْبَيْكَ، واطْمَئِنْ ساجدًا، ولا تَنْقُرْ نَقْرَ الديك، واضرب ببصرك إلى أنفك، وَسَبِّحْ ثلاثا، وإن شئتَ خمسًا، فقد ذكره في المنتخب [ص٤٠]، فقل: سبحانَ اللهِ الأعلى وبحمدِه.

وذكر الهادي عليه السلام في المنتخب [ص٤٠]: أن وَضْعَ الأنفِ في السجود ليس بفرض. فالسُّجُودُ واجبٌ والطُّمَأْنِيْنَةُ فيه واجبة، والسُّجودُ على أطراف الرِّجلين[1] وعلى الجبهة وباطن الكفين واجبٌ.

وظاهرُ كلام القاسم عليه السلام[2] أنه لا يجب كَشْفُ الجبهة والكفين في حال السجود، وذلك لقول النبي ﷺ: ((أُمِرْتُ أن أسجدَ على سبعة أعظُمٍ، ولا أَكُفَّ

---

(١) في (ب): أصابع الرجلين.

(٢) في (ب) بعد القاسم بزيادة: والهادي، بخط جديد.

ثوبًا، ولا شَعَرًا))[1]. وإن سجد المصلي بظاهر كفيه أو بحروفهما لم يُجْزِهِ، وكذلك في القدمين. والتسبيحُ سُنَّةٌ، وما عدا ذلك من الهيئات[2].

فصل: في القعود بين السجدتين

فإذا فرغتَ من التسبيح فارفع رأسك، وأنت تقول: اللهُ أكبرُ، تبتدي بها ساجدا وتُتِمُّها قاعدا؛ لأن تَشْغَلَ جميعَ الرُّكن بالذِّكْرِ، واجلس على رِجْلك اليسرى بعد وضَعِ ظَاهِرِ قَدَمِهَا على الأرضِ، وانصِبْ رجْلَك اليمنى على أطراف الأصابع بحيث تكون الأرضُ مماسةً لباطن الأصابع[3] اليمنى. هذا كلُّه واجبٌ مع الطمأنينة في القعود، على ظاهر فِعْل النبي ﷺ. وذكر الشيخ علي خليل[4] رحمه الله أنَّ ذلك هيئةٌ غيرُ واجبٍ على مذهب الهادي والمؤيد بالله (ع) إلا التكبير فهو سنة، وتطويلُه هيئة. ومن الهيئة أيضا في القعود أنْ تضعَ يديك على فَخْذيك، وأصابعَهما على أسافل الفخذين مما يلي الركبتين وأنْ تبسطَهما وتُفَرِّقَهما، وأن تضربَ ببصرك في قعودك إلى حَجِرك

فصل: في السجدة الثانية

ثم ابْتَدِئْ بالتكبيرة قاعدا، ثم أتمها ساجدا وافعلْ في سجودك الثاني، وفي سائر

---

(١) التجريد ١/١٥٨ ، ١٥٩.

(٢) ينظر في شرح التجريد ١/١٥٨-١٥٩. وكأن كلام الأمير مأخوذ منه.

(٣) في (ب): أصابع.

(٤) هو علي بن محمد الخليلي الزيدي، الجيلي، من أتباع المؤيد بالله في أوائل المائة الخامسة، وهو يروي كتب الزيدية وشيعتهم بالسند المعروف عن القاضي يوسف الجيلي. له المجموع المسمى بمجموع علي خليل، والجمع بين الإفادة والإفادات. ينظر لوامع الأنوار ١/٢٩٦. وتراجم الرجال ص١٥.

السجدات المستقبلةِ مِثْلما فعلتَ في سجودك الأول، فالحكمُ في الجميع واحد، فإذا فرغتَ من ذلك كَبَّرتَ للقيام وطَوَّلتَ التكبيرة لِتُتِمَّها وأنت قائم، وإذا انتصبتَ فانتصبْ على يديك في موضعهما الذي هما فيه ولا تَسْحَبْهُمَا، فإن سحبتَهما أو رفعتَ إحدَاهما قبلَ الأخرى أورفعتَ كلاهما خالفتَ في الهيئة، فإنَّ جميعَ ذلك هيئةٌ، إلا التكبيرَ فهو سُنَّة، ثم افعلْ في الركعة الثانية كما فعلتَ في الركعة الأولى. فإن كنتَ في صلاة الفجر قَنَتَّ بعد رَفْعِكَ رَأسَك[1] من الركوع في الركعة الثانية، وبعد قولك:سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه. ولا تَقْنُتْ إلاَّ بِشيء من آيات القرآن التي فيها الدعاء[2].

[التشهد الأوسط]

فإذا جلستَ بعدَ السجدة الثانية من الركعة الثانية، قلتَ:بِسْمِ اللهِ وبِاللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، والأسماءُ الْحُسْنَى كلُّها للهِ. أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه[3]. وإن شئتَ قلتَ:التحياتُ[4] والصلواتُ والطيباتُ، أَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدهُ ورسولُه[5]. فإن كنت في صلاة الفجر أتممتَ التَّشَهُّدَ وسلَّمت. وسنذكره بلفظه فيما بعدُ إن شاء الله تعالى:وكذلك إن كنتَ في صلاة الظهر أو العصر أو العشاء

---

(١) في (ب) ، (ج): رفع رأسك.
(٢) عملا بالأحوط فانظر استدلال الهادي للقنوت بالقرآن في الأحكام ١/١٠٨.
(٣) الأحكام ١/١٠٢. والمجموع ص١٠٨. والتحرير ١/٨٧. ورأب الصدع ١/٢٦٧.
(٤) في (ب):التحيات لله . وهو الأظهر .
(٥) التجريد ١/١٦١.

الآخِرَة[1] وأنتَ قاصرٌ أتممتَ وسَلَّمتَ، وإن كنت في صلاة الظهـــر أو العـــصر أو العشاء الآخرة وأنت غيرُ قاصرٍ بل مُتِمٌّ، وكذلك إن كنتَ في صلاةِ المغرب قُمْـــتَ عند بلوغك هذا الحدَّ من التشهد. وهذا التشهد سُنَّة، وكذلك القعودُ فيـــه غـــيرُ واجبٍ بل سُنَّةٌ.

[القيام إلى الركعة الثالثة]

فإذا انتَهَضْتُ للقيام ابتدأتَ بالتكبيرة وأنتَ قاعدٌ وطَوَّلْتَها حتى تنتصبُ قائمـــا وأتممتَ التكبيرةَ وأنت قائم كما تقدم، فهو من الهيئات، ثم قلـــت:ســـبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ. تقول ذلك ثلاث مرات.

قَدْ رواه في كتاب الفرائض والسنن محمدُ بن القاسم بن إبراهيم (ع) قال:وهو قولُ كثيرٍ من علماء آلِ محمدٍ. وتُخَافِتُ في جميع التسبيح في الـــصلاة وفي جميـــع التوجه، وفي التشهد الأول، والتشهد الآخِرِ[2]، فإن ذلك من الـــسنة. وإن قـــرأت الفاتحةَ وحدها في الركعتين الآخرتين من الظهر أو العصر أو العـــشاء الآخِـــرَةِ أو الثالثةِ من المغرب[3] أجزاكَ إلا أن التسبيحَ أفـــضلُ عنـــد القاســـم والهـــادي (ع) وأسباطهما السادة، ورووه جميعا عن أمير المؤمنين علي (ع)[4].

وذكر محمدُ بنُ القاسم (ع) في كتابِ الفرائضِ والسنن ما لفظه:قال أبي رحمه

---

(١) في (ب) ، (ج): والعصر والعشاء.
(٢) في (ب): الأخير.
(٣) في (ب) كلها بغير أو. بل بالواو.
(٤) الأحكام ٩٤/١. والمجموع ص١٠٤. والتجريد ١٦٠/١. والتحرير ٨٧/١. والمنتخب ص٤٥.

الله:فَمَنْ أكثرَ من التسبيح فَلَهُ إكثارُه، ومن أقل أجزأه إقلالُه، قال:وكـان يُـسَبِّحُ كثيرًا، ويقول:التسبيحُ أيضًا حَسَنٌ جميلٌ، وليس لقائل أن يقول[1]:الفاتحةُ في هـذا الموضع أولى؛ لأن كلامَ اللهِ أفضلُ من كلام غيره؛ لأنا نقولُ:لا شَكَّ أنَّ كلامـه[2] تعالى أفضلُ الكلامِ، إلا أنه ينبغي اتباعُ السنةِ[3].

ولا خلافَ أنه لو قرأ في الركوع والسجود الفاتحةَ بدلا من التسبيح، لكـان مخالفا مُبْتَدِعًا، ولا خلافَ أن التسبيحَ فيهما أفضلُ من قرآءة القرآن فيهما مع كون ذلك من كلام الله تعالى، فكذلك في التسبيحِ في الركعتين الأخيرتـين؛ لأن ذلـك مأخوذٌ من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الناصرُ للحق أحمدُ بنُ الهادي (ع):والذي صَحَّ لنا عن رسـولِ الله عليه السلام أنه كان يُسَبِّحُ في الركعتين الأخيرتين بما ذكرناه، وفي الثالثةِ من المغرب، ولأنَّ المصلي مَتَى سَبَّحَ في هذا الموضعِ كان قَدْ جَمَعَ في صـلاته بـين قـراءة القـرآن والتسبيح، الذي فيه من الفضائل ما لا يُحصى. والتسبيحُ غير واجبٍ في شيءٍ مـن الصلواتِ الْخَمْسِ عند أئمتنا (ع)، وهو قولُ جميعهم، إلا ما ذكره المتوكلُ على الله عليه السلام[4]، فإنه ذكر وجوبَه. واحتج على ذلك بأنَّ اللهَ تعالى أمر بالتسبيح في كتابـه نحو قوله:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر:٣]، وقولـه:﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾

---

(١) في (ب):لقائل يقول إنّ الفاتحة.

(٢) في (ب):كلام الله .

(٣) قد يقال:والقنوت بغير القرآن من السُّنةّ، ولا سيما ما صح منها عند أهل البيت (ع) .

(٤) الإمام أحمد بن سليمان عليهما السلام.

[الأعلى:١]، ونحو ذلك.

وظاهرُ الأمر يقتضي الوجوبَ، ولا خلاف أنه لا يجبُ في غير الصلاةِ، فلم يَبْقَ إلا أن يجبَ في الصلاةِ. ويمكن أن يقالَ بأن إجماع متقدمي أهلِ البيت (ع) يَخُصُّ عموماتِ الكتابِ، فيكون ذلك رافعًا حكمَ الوجوبِ. وتفعل في القيامِ والسجودِ والركوعِ والقيامِ بعدَ الركوع والإنحطاطِ من القيام والقعود بين السجدتين. وفي التشهد الأخير مِثْلَ ما ذكرناه أَوَّلاً

[التَّشَهُّدُ الأخيرُ]

فإذا جلستَ بعد آخر سجدةٍ من صلاتك جلستَ كما تَجْلِسُ بين السجدتين في الهيئة، وقلتَ ما قلتَ أولا في التشهد الأوسط، ثم قلت:اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صَلَّيْتَ وباركتَ على إبرهيمَ وعلى آلِ ابرهيمَ إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ.

وفي الوافي [ص١٩]:إنْ تَرَكَ التَّشَهُّدَ والصلاةَ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم- لم يُجْزِهِ. وروى ابنُ مرداس عن القاسم عليه السلام:أن التشهدَ لازمٌ لا يَحِلُّ تركُه.

[وجوب الصلاة على النبي في الصلاة]

والذي يدلُّ على وجوبِ الصلاةِ على النبي في الصلاةِ:قولُ الله سبحانه:﴿إِنَّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ صَلّواْ عَلَيْهِ وَسَلّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب:٥٦]، فأمرَ بالصلاةِ عليه، والأمرُ يقتضي الوجوبَ، ولا خلافَ في أنَّ الصلاةِ عليه لا تجب في غير الصلاة، فلم يبق إلا أن تجب في الصلاةِ، وإلا أدى إلى سقوطِ

فائدة الخطابِ، وذلك لا يجوزُ؛ لأنه كلامُ حكيمٍ لا يَعْرَى عن الفائـــدةِ، فثبَـــتَ وجوبُ الصلاةِ عليه في الصلاةِ.

[وجوب الصلاة على آله معه في الصلاة]

والذي يدلُّ على وجوبِ الصلاة على آله معه في الـــصلاة. قولـــه:ﷺ:((لا تُصَلُّوا عليَّ الصلاة البتراء، وَلَكِن صَلُّوا عَلَيَّ وعلى آلي معي؛ فـــإن الله لا يقبـــل الصلاة عَلَيَّ إلا مع آلي))[1]. ولما رُوي عن ابن مسعود، قال:قلت يا رســـول الله! كيف الصلاةُ عليك في الصلاة؟ فقال:ﷺ:((قولوا:اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، إلى قوله[2]:وبارك على محمد وعلى آل محمد))[3]. والاســـتدلال بـــه مـــن وجهين:**أحدهما**:أنَّه بَيَّنَ أن الصلاةَ على آله من جُمْلَةِ الصلاة عليه، والصلاةُ عليـــه واجبةٌ فكذلك الصلاةُ على آله. **والوجه الثاني**:أنه أمر بالصلاة عليه وعلـــى آلـــه، والأمرُ يقتضي الوجوبَ.

[وجوب التسليم بالألف واللام وكيفيته والنية فيه والتشديد عليها]

فإذا فرغت أيها المسترشد من ذلك سَلَّمتَ عن يمينك، فقلت:السلامُ علـــيكم

---

(١) الشافي ٩١/٤، والدار قطني ٣٥٥/١، بلفظ:من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ ولا على أهل بيتي لم تقبل منه. وفيه أيضًا ٣٥٦/١:عن أبي مسعود الأنصاري لو صليت صلاة لا أصلي فيها على آل محمد، ما رأيت أن صلاتي تتم.

(٢) في (ب) بحذف إلى قوله.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٣/٣ رقم ٣١٩٠ عن كعب بن عُجزة . و١٨٠٢/٤ رقم ٤٥١٩ عنـــه أيـــضًا. وبرقم ٤٥٢٠ عن أبي سعيد الخدري، وأيضا برقم ٥٩٩٦ ، ٥٩٩٧ عنهما. وأحمد بن حنبل ٣١٧/٨ رقم ٢٢٤١٥ عن أبي مسعود الأنصاري ، وغيرهم كثير. ونكتفي بذلك.

ورحمةُ اللهِ، ثم كذلك تقول عن يسارك، وتقصد بالسَّلام الحَافِظَيْنِ-إن كنت منفردًا، وإن كنت في جماعة قَصَدتَ به الحَفَظَةَ ومن معك من المسلمين المؤمنين. هذا كله واجب عندنا. وذكر السيد أبو طالب وجوبَ التسليم بالألف واللام، وأنه إذا سلَّم بغير ألف ولام بطلت صلاته. وذكر المنصور بالله عليه السلام أن الجهر بالتَّسْلِيم واجب على الإمام؛ لأنَّ السلام على الملائكة وعلى المؤمنين لا يتم إلا بإسْمَاعِهِم. والجهر به سنة على المنفرد وكذلك المؤتم.

واعلم أيها المسترشد أن من الهيئات في التسليم أن تَنْحَرِفَ عند التَّسْلِيمِ على اليمين حتى يكونَ خُدَّكَ الأيسرُ مستقبلاً للقبلة، وعند التسليم على اليسار بحيث يكون خَدُّكَ الأيْمَنُ مستقبلا للقبلة، فإن نَسِيْتَ نِيَّةَ السلامِ على الملكين حال التسليم فعليك إعادة الصلاة في الوقت، ولا إعادة عليك بعده، قد ذكر ذلك أبو طالب رحمه الله.

وقد رَوَى أبو مضر عن القاضي يوسف أنه قال:كان السيد أبو طالب يقول بوجوب نِيَّةِ السَّلامِ على الْمَلَكَيْنِ ثم رجع إلى أنها لا تجب. ورُوِيَ عن الشيخ علي خليل أنه قال:من ترك نِيَّةَ التَّسْلِيم على الملكين لم تفسد صلاته، فعليك بالمحافظة على نِيَّةِ السَّلام على الملكين لَتَخْرُجَ من موضع الخلاف بين أهل المذهب. ويُصَلِّي المريضُ على قدر ما يُمْكِنُهُ:إنْ أَمْكَنَهُ قائمًا فقائمًا وإن لم يُمْكِنْه صلى جَالسًا ويجعل جُلوسَه في موضع القِيَام في صلاته تَرَبُّعًا، ويفعلُ في سائِرِها كما كان يفعل من التَوَرُّكِ وغيرِهِ، وإن لم يقدر على الركوع والسُّجُود أَوْمَأَ لَهُمَا إيماءً، يكونُ إيمَاؤُه لسجودِه أَخْفَضَ من إيمائه لِرُكُوعِهِ، ولا يُقَرِّبُ وَجْهَه من شيء يسجد عليه ولا

يقرب إليه شيئا، من وسادة أو حَجَرٍ أو غيرهما، إنما عليه أن يسجد إنْ أَطَــاق، أو الإيماء[1] إن لم يُطِقْ. ويُصَلِّي الأخْرَسُ راكعا وساجدا ويجزيه ما في قلبه. ذكره زيد بن علي، قال:والأمي يسبح الله ويَذْكُره.

قيل للسيد أبي طالب:إن كان الأخرسُ يُحْسِنُ القراءة قبل حصول هذه الآفــة هل يلزمه التفكر في القرآن، وإمرارُ الفاتحة وســورة أخــرى علــى قلبــه أو لا؟ فقال:يُحْتَمَلُ أن يلزمَه ذلك. ويكون هو المرادُ بقوله عليه السلام ويجزيــه مــا في قلبــه، ويُحْتَمَلُ أن يقالَ:إنه[2] لا يلزمه. وقيل له:هل ما ذَكَره زيدُ بنُ علي في الأمي على الوجوب أو لا؟ فقال:الظاهر أنه على الوجوب. وإذا عَجِزَ المريضُ عــن الإيمــاء للركوع والسجود برأسه سقط عنه وجوب الصلاة، قد ذكره أبو العباس والــسيد أبو طالب وحَصَّلاهُ من مذهب القاسم ويحيى (ع). والمومِيْ والقاعدُ يُــصَلِّيَانِ في آخر الوقت، ويَفْسُقُ المريضُ إذا ترك الصلاةَ وهو يقدر عليها بالإيمــاء والطهــارة ولاخلاف فيه.

فصل:

وقد أَوْصَيْتُكَ في استحضار قلبِكَ واستعمال فِكْرِك في الــصلاة، وفي الــتفهم لمعانيها وحقائق ألفاظها، فعليك بذلك في كل صلاة تصليها، فإنا رُوِيْنَا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((إن العبد لَيُصَلي الصلاةَ لا يُكْتَب له منها سدسُها ولا عشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها. فإن وقعت معك الخَواطِرُ في صَــلاتِك

(١) في (ب): والإيماء.
(٢) في (ب): إن هذا.

وأتيت بما ذكرناه من فروضها أسقطتَ عنك الفرض و لم يَلْزَمْكَ القضا، وَقَلَّ لِذلك ثَوابُك؛ لأنه إذا استولى عليك فيها الوَسْوَاسُ قَلَّ انتفاعُك بها إلا سقوطَ الفــرض، وَفَقْدَ لُزُوْمِ القضآء فاعْرِفْ ذلك راشدًا.

فصل :في صلاة المرأة

قال القاسم عليه السلام:والمرأةُ في هذا كُلِّهِ كالرجل، غير أنها تُضَمِّمُ بـين فخـذيها، وإذا ركعت انتصبت قليلا ولا تَنْكَبّ انكبابًا شديدًا، ولا تتفجج إذا سـجدت ولا تَجَافَا[1] وتُلْصِقُ بالأرض ما أَمْكَنَها، ولا ترفع عجيزتها مـن الأرض. و لم يـذكر القاسم والهادي (ع) أنها تَتَوَرَّكُ تَوَرُّكًا مخالِفًا لتورُّكِ الرَّجُلِ، فظاهرُ قولهمـا أنهمـا على سواء. وقال المنصور بالله عليه السلام:والمرأةُ تَعْزِلُ قَـدَمَيْهَا إلى الجانـب الأيمـن، وتنعطفُ من غير أن تُقِلَّ عَجِيْزَتَها، وتسجُد عند رُكْبَتَيْهَا. وذِرَاعاهـا[2] حِيـَالَ فخذيها، مبسوطتان على الأرض، وعَضُداها يَلْصَقَانِ بإبطيها، قال وإن خالفت في شيء من ذلك لم تَفْسُدْ صلاتُها. وذكر بعض أسباط الهادي عليه السلام[3]:أن المرأة تقول في تَوَجُّهِهَا حنيفةً مُسْلِمَةً، و لم أَظْفَرْ بذلك لغيره من آبائه (ع). وظاهر قولهم أنهـا تقول:حنيفًا مسلِمًا وهو أَوْلَى؛ لأن يكون لفْظُهَا مطابقا للفظ القرآن.

فصل:

(١) في (ب) ، (ج): تتجافا.
(٢) في (ب): ذراعيها . والأصوب بالألف ؛ لأنه مبتدأ .
(٣) هو محمد بن المحسن أخو الإمام الداعي يحيى بن المحسن.

وإذا قد فرغنا من الكلام في كيفية الصلاة فقد بينا لك أيها المسترشد ما هـــو منها فرض واجب، وما هو سنة ماضية، وما هو هيئةٌ حَسَنَةٌ، فكأنها اشتملت على ثلاثة أمور:فرضٌ واجبٌ، وسُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، وهيئةٌ حَسَنَةٌ، فاعرف كل شيء منـــها في موضعه فإن في ذِكْر ذلك وتمييز بعضه من بعض فائدةٌ عُظْمَى.

وَغَرَضُنَا إسْنَادُ ذلك، أن السهو إذا اعتراك في صلاتك:فإن كان في زيادة زِدْتَهَا فيها فعليك سجودُ السهو بعد التسليم، ولا نقص في صلاتك، وإن كان في نُقْصَانٍ نَقَّصْتَهُ من صلاتِك:فإن نَقَّصتَ من مفروض الصلاة وذكرت قبل التسليم، أعدتـــه على الصِّحَّةِ والثَّبَات، ووجب عليك سجودُ السهو بعد التسليم، وإن ذكرت بعد التسليم بَطَلَت صلاتُك، ولزمتْك الإعادةُ للصلاة كُلِّها، وإن نَقَّصْتَ من مـــسنون الصلاة وجب عليك سجود السهو بعد التسليم وصحت صلاتك وأَجْـــزَتْ، وإن نقصت من الهيئات فلا نَقْصَ عليك في صلاتك فَتَجْبُرُهُ بالسهو، فلا يجب عليـــك سجود السهو لأجل ذلك، وذكر الشيخ علي خليل ما معناه:إن المصلي إن تـــرك نفس الفعل المسنون كالجلسة الأولى، وكوضع اليدين على الأرض في السجود،-إذا قلنا:إن ذلك ليس بواجب فإنه يُسْتَدْعَي سُجُودَ السَّهْوِ بالإجماع، وإن كان المتروكُ صِفَةَ الفعل وهيئتهَ وحليتَه كالقعود على الفخذ اليسرى في التشهد وافتراش القـــدم اليسرى ونَصْبِ اليمنى ووضع اليدين على الركبتين في الركوع، والإبتداء بوضـــع اليدين عند الإهواء للسجود وما أشبه ذلك،- لم يدخل في ذلك سجودُ السهو. قال ذكره المؤيد بالله قدس الله روحه في الإفادة.

قال الشيخ علي خليل رحمه الله:وهو قول الهـــادي عليه السلام وَذَكَـــر في عَـــرْضِ

الاحتجاج:أنَّ تغيير هيئة التشهد الأول والثاني لا يَتَعَلَّقُ به سجودُ السهو لأنه من الهيئات.

فصل :وسجدتا السهو واجبتان

وَفُرُوضُهُمَا:نيَّةُ السجود للسهو الواقع في الصلاة، وتكبيرُ الإحرام لهما، والسَّجدتان في أنْفُسهما، والقعودُ بينهما وبعد[1] الثانية، والتسليمتان على اليمين واليسار كتسليم الصلاة.

والسَّنَّةُ فيهما تكبيرُ النقل، والتسبيحُ في السجود، والتشهدُ بعد السجدة الأخيرة كما يُفعل في التشهد الأخير في الصلاة من التشهد، والصلاةُ على محمد وعلى آله كما تقدم ذِكْرُه.

وروى لي القاضي جلالُ الدِّينِ محمدُ بن عبدالله بن مُعَرِّف أيده الله[2] عن حَي والدي وسيدي بَدْرِ الدين عمادِ الإسلام محمدٍ

بن أحمد ﷺ:أن المصلي إن رفع يديه في حال سجوده بعد وضعه لهما على الأرض بَطَلَت صلاتُه، قال:فإن سحبهما في حال السجود فإنه يَقْرُبُ بطلانُ صلاته، ورواه عن القاضي شمس الدين ﷺ.

فصل:

---

(١) في (ب) ، (ج): وبين .

(٢) هو من علماء الزيدية الأعلام، عاصر الإمام أحمد بن الحسين (أبو طير)، وامتد عمره إلى زمان الإمام الحسن بن بدرالدين وبايعه في سنة ٦٥٦، أخذ عليه المؤلف، ويعد من المذاكرين، وقبره بالقرب من الفندق من محافظة صعدة. وله البيان المشهور ببيان ابن معرف، ومذاكرة التحرير، والمنهاج المنير في فوائد التحرير. ينظر طبقات الزيدية ١١٤/٢، ولوامع الأنوار ٥٤/٢. وتراجم الرجال ص٣٦. والحبشي ص١٧٩.

فإن كنت أيها المسترشد مسافرًا وذلك بأن تنويَ سَفَرَ بريدٍ، والبريدُ أربعةُ فراسخَ، والفرسخُ ثلاثَةُ أميالٍ، والميلُ ثلاثة آلاف ذراع، بالذراع الهاشمي، وأحسَبُ أنه الْمُعَبَّرُ عنه في زماننا هذا بذراع الحديد[١]- فإذا نويت سَفَرَ هذا القَدْرِ، وخرجت من ميل بلدك-وجب عليك القصر في الصلاة الرباعية، فَتُصَلِيهَا[٢] ركعتين تخفيفا من الله تعالى على عباده. وسواء كان السفر في طاعة الله أو معصية له تعالى، وسواء كان السفرُ في بَرٍّ أو بَحْرٍ، وسواء كان في خوف أو أَمْنٍ. كذلك قَصَرَ رسول الله ﷺ في سفر بريدٍ، وهو آمِنٌ غيرُ خائف، وقَصَرَ في خُرُوجه من مكةَ إلى عرفاتٍ وهو بريد. وقد قال ﷺ:((صَلُّوا كما رأيتموني أصلي))[٣]، فأمر بذلك، والأمر يَقْتَضِيْ الوُجُوبَ. وإن كُنْتَ في سفر؛ فالجمع رُخْصَةٌ للمسافرِ بَيْنَ الصلاتين، ويجوز لك أن تَجْمَعَ بينهما في أول وقتِ الأُوْلَى بأذانٍ واحدٍ وإقامتين.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يجمع بينهما في السفر إذا كان نازلا في أول الوقت، وإذا كان سائرًا جَمَعَ بينهما في آخر الوقت. و لا يجوز الجمعُ بين الصلاتين في سفر الْمَعْصِيَة؛ لأن الجمعَ رخصةٌ بالإجماع فيما أعلمه، وهذه الرخصة مأخوذةٌ من فعل النبي ﷺ، والمعلوم أنه لم يكن سَفَرُهُ في معصيةٍ، والإجماع قَدْ خَصَّ الْجَمْعَ فلا يقاس عليه الْقَصْرُ؛ لأنه لا دلالةَ على أن القصر رخصة.

فصل :في طرفٍ من الكلام في إمامة الصلاة

---

(١) الظاهر أنه ٢١ كيلو بمقياس اليوم.

(٢) في (ب): فتصليهما.

(٣) البخاري ٢٢٦/١ رقم ٦٠٥. والبيهقي في سننه ٣٣٥/٢. والدارقطني ٢٧٣/١.

اعلم أيها المسترشد أيدك الله أنه لا يصح إمامةُ الكافر، ولا إمامةُ الفاسقِ لمؤمن ولا لفاسق، ولا إمامةُ الصبي والمجنون، ولا إمامةُ اللاحن، ولا إمامةُ ناقصِ الطهارة أو الصلاة بكاملها، ولا إمامةُ الأُمِّي للقارئ، ولا إمامةُ المرأة للرجال، ولا إمامةُ الرجل لنساءٍ لا رجلَ معهن، ويجوزُ أن تَؤُمَّ المرأةُ النساء إذا كانت بالغة عاقلة مؤمنة كاملَةَ الطهارة والصلاة. والذي تجوز إمامتُه على الإطلاق:هو الحرُّ الذكرُ البالغُ العاقلُ المؤمنُ الذي هو كامل الطهارة والصلاة بشرطين:**أحدهما:**أن لا يصلي بنساءٍ لا رَجُلَ معهن، فإن صلى بهن ونوى أن يَؤُمَّهُنَّ ونَوَيْنَ الإتمامَ به بَطَلَتْ صلاتُه وصلاتُهن. **والثاني:**أن لا يختلف فرض المؤتم وفرض الإمام، فإن اختلفا لم تصح صلاةُ المؤتم.

وَأَوْلَى الناس بالتقديم العلماءُ العاملون؛ وَأَوْلاَهُمْ الأَفْقَهُ لِمَسَاسِ الحاجة إلى الفقه في الصلاةِ إذا كان الأفقَهُ صحيحَ الاعتقاد وكان ظاهره السِّتْرَ، فإن اسْتَوَوْا في جميع ما تقدم فالأقرأُ، فإن اسْتَوَوْا فأكبرُهُم سِنًّا. والأب أولى بالتقدم من الابن إذا استويا في جميع ما تقدم. فإن تقدم الابن برضاه جاز. والحر أولى بالتقدم من العبد. والشِّرِيفُ أولى بالتَّقَدُّمِ متى كان جَامِعًا لهذه الخصال؛ لقول النبي ﷺ في عترته:((قَدِّمُوهُم ولا تقدموهم))، وهذا أمر، والأمر يقتضي الوجوبَ. قال المنصور بالله عليه السلام:وتصح إمامةُ من لا يرى بوجوب المضمضة والاستنشاق، أو لا يستنجي من خروج الريح أو النوم-بمن يوجب ذلك، وإن علم بذلك المأموم، ولا نص للقاسم ولا للهادي إلى الحق (ع) في ذلك فيما أَعْلَمُ وفَوقَ كل ذي علمٍ عليم، إلاَّ أن هذا القول قويٌّ من جهة النَّظَرِ لقول النبي ﷺ:((كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ)). فإذا

كان مصيبًا فالمقتدي به مُصيبٌ؛ ولأنه متى دَخل معه في الصلاة كان دُخُولُه فيهــا مؤتمًا بِهِ كالْحُكْمِ عليه بالمتابعة؛ فإن في الحديث:((لا تختلفوا على إمامكم فَيُخَالفَ اللهُ بين أفئدتكم، أو قال بين قلوبكم)) وهذا نهيٌ يقتضي الْحَظْرَ؛ لاقتران الوعيد به، فدل على وجوب المتابعة على المأموم، فالظاهرُ صحةُ الصلاةِ[1].

وصفة صلاة الجماعة ظاهرة فلا نحتاج فيها إلى بيان، إلا في وجه واحد وهــو أن عندنا أن المأمومين لا يتقدمون على إمامهم بل يتقدم عليهم.

والاعتبار بذلك التَّقَدُّمِ بالأَقْدَامِ، فإن تَقَدَّمَ بقدميهِ علــى أَقْــدَامِهِم وتَقَــدَّمُوا برؤوسِهِم على رأسه صحت صلاتهم، وكذلك إن استوى قدما المؤتم وقدما الإمام صحت الصلاة. ويجب أن يصلي المؤتمون خلفه، فإن صلوا أمامَ إمــامِهِم بَطَلَــتْ صَلاتُهُمْ سواء كانوا متوجهين بوجوههم إليه أو لا[2]. وأما اللاحقُ فإذا لحِقَ الإمامَ وقد فاتَهُ بعضُ الرَّكَعَات جعل ما لَحِقَه فيها أَوَّلَ صلاتِه وَيُصَلِّي معه باقي صــلاته يقوم بقيامه ويقعد بقعوده، وإذا سَمِعِ الإمامَ يقرأُ قَدْرَ الواجب مــن القــراءة في الصلاة المجهورِ بالقراءة فيها أَجْزأهُ ذلك عن فرضه.

وإن لم يسمع القدر الواجب من القراءة وجَبَ عليه أن يقرأ، فــإن لم يُمْكِنْــه لَعَجَلَةِ الإمام قرأ بعد أن يسلم الإمامُ، وكذلك حُكْمُ المخافتة إن سَبَقَه الإمــامُ و لم

---

(١) قال صاحب الأزهار:إذا اختلف الإمام والمأموم في المذهب فالإمام حاكم، وهو كلام يــشهد بــسماحة أئمة المذهب الزيدي شرفه الله.

(٢) أقول:إن صلاة المسلمين دائرة في الحرم المكي متقدمين على الإمام صحيحة إن شــاء الله، ولــو بحكــم الضرورة؛ لأن الحجاج أصبحوا بالملايين ولا تسعهم جهة واحدة، والله أرحم وأكرم من أن يــرد عبــاده خائبين، ولكن الأولى من باب التحري أن يقف الملتزم باجتهاد المذهب وراء الإمام، والله أعلم.

يُكْمِلِ القدرَ الواجبَ من القراءة بالْمخَافَتَةِ قَرَأَ فيما يَسْتَأْنِفُ، ولا يخالفُ الإمامَ في شيءٍ من ذلك، فإذا سَلَّمَ الإمامُ قامَ اللاحقُ فأَتَمَّ لنفسه ما بقي عليه، ويَسْجُدُ[1] لسهو الإمام إذا كان إمَامُهُ سَهَى في صلاتِه، سواء سجد الإمام لسهو نفسه أَوْ لاَ، ولكن لا يقومُ اللاحقُ لتمام ما بقي عليه حتى يَفْرُغَ الإمامُ من التسليمتين جميعا.

ولا بَأْسَ بالقعود مع الإمام فيما لا يَقْعُدُ فيه الْمُؤْتَمُّ اللاحق من الصلاة لو كان وحده، إلاَّ أنه يَتَشَهَّدُ فيما ينبغي له التَّشَهُّدُ فيه، ويسكت فيما ليس التشهد بمشروع عليه في ذلك الموضع في صلاته، نَصَّ الهادي إلى الحق عليه السلام على معنى ذلك[2].

وإذا حَدَثَ على الإمامِ حَدَثٌ في صلاته فلذلك[3] أمورٌ: **منها** أن يَنْتَقِضَ وضوءُه، فإذا كان كذلك بَطَلت صلاتُه وصلاةُ من خَلْفَه صحيحةٌ، وله أن يستخلف عليهم إمامًا آخرَ من المؤتمين به بأن يَجُرَّهُ إلى القبلة من الصف، فإذا جَرَّهُ فعليه أن يَنْوِيَ الإمامة، وعلى المؤتمين أن يَنْوُوا الإتمامَ به، وإن لم يُقَدِّمِ الإمامُ رَجُلاً جاز لهم أن يُقَدِّمُوا على الفور رجلاً منهم، وإن أَتَمَّ كلٌّ واحد من المؤتمين صلاتَه وَحْدَه صَحَّتْ صلاتُهم. **ومنها** أن يَلْحَنَ الإمامُ في القراءةِ، فإذا كان كذلك فصلاتُه فاسدةٌ، وكذلك صلاةُ المؤتمين، ذكره المؤيد بالله عليه السلام.

---

(١) في (ج) و (ب): وليسجد

(٢) قال المهدي صاحب الأزهار:ولا يتشهد الأوسط من فاتته الأولى من أربع.

(٣) في (ج) ، (ب): فذلك.

ومثله ذكره القاضي زيد بن محمد رحمه الله، قال عليُّ بنُ الخليل[1]:وهذا إذا لم يَعْزِلِ المؤتمُ صلاتَه عن صلاة الإمام [بعد اللَّحن، بل تابعه فإنها تفسد، وأما إذا عزل المؤتمُ صلاته][2] فيجب أن لا تفسد، كما لو أحدث الإمامُ فَعَزَلَ المــؤتمُ صَــلاتَه. **ومنها** أن يُحْصَرَ الإمامُ عن القراءة، فإذا أُحْصِرَ وكان قد قرأ حَدَّ الواجــبِ مــن القراءة أَجْزَتِ الصلاةُ-وإن تمكنوا من الفتح عليه وَجَبَ على المؤتمين أن يفتحــوا على الإمام، بأن يقرءوا الآيةَ التي تركها الإمامُ؛ لأنه من المعاونة على البر والتقوى التي فرضها العَلِيُّ الأَعْلَى، وفي الحديث:((إذا اسْتَطْعَمَكَ إمامُكَ فَأَطْعِمْهُ))، وإن لم يَتَمَكَّنوا من الفَتْحِ عليه صَلَّواْ فرادى؛ لأن ذلك كالعــذر في خــروجهم، ذكــره المنصور بالله عليه السلام، وذكر أبو العباس رحمه الله:أن الإمام إذا أُحْصِرَ فَقَــدَّمَ رجــلا يصلي بهم جازت الصَّلاة. **ومنها**:أن تَنْكَشِفَ عورةُ الإمام، فإنهــا إذا انكــشفت بمقدار تَأْدِيَةِ رُكْنٍ فَسَدت صلاتُه وصلاةُ المؤتمين، وإن[3] كان دون ذلــك فَــستَر العورةَ لم تَفْسُد عليه ولا عليهم، ذكره المنصور بالله عليه السلام. وَمَنِ انكشفت عورتُــه ولم يتمكن من سَتْرِها فليس له أن يستخلف، ذكره بعض فقهاء العامة. قال السيد أبو طالب عليه السلام وهذا لا يَبْعُد. وأقول:إن مذهب الهادي وجــده القاســم (ع) أنَّ عورة المصلي إذا انكشفت بَطَلَت صلاتُه، سواء انكَشَفَ منها قليلٌ أو كثيرٌ، وسواء كان قد أدَّى من الرُّكن قَدْرَ الفرض أو لا، وبه قال المؤيد بالله عليه السلام.

---

(١) في (ب) و (ج): خليل . وفي هامش (ب) تنويه بأن الأصل الخليل.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

(٣) في (ب): فإن كانت.

ومنها أن يُقْعَدَ الإمامُ فإن له أن يَسْتَخْلِفَ أحدَ المؤتمين يصلي بهـــم-وصـــلاةُ الإمام لنفسه صحيحةٌ، فلا يلزمه[1] الاستئناف؛ لأنه إذا استأنفها أتى بها كلها، من قعود، وإن بنى عليها كان بعضها من قيام فكان البناء أولى، ذكره في تعليق الأفادة. وإن أَتَمَّ المؤتمون صلاتهم مُنفردِين صحت صلاتُهم. ومنها أن يُغْمَى على الإمـــام، ففي كتاب الوافي:ولو أن رجلا صلى ركعةً ثم غُلِبَ على عقله فَسَدَت صلاتهم[2].

واعلم أن الإمام إذا سلم على الركعة الثالثة من الظهر أو العـــصر أو العـــشاء الآخرة، أو على الركعة الأولى من الفجر فإن المؤتم يقوم وَيُتِمَّ صـــلاته، وتجزيـــه، وكذلك إذا سَجَدَ الإمامُ سجدةً واحدةً، و لم يَسْجُدْ السجدةَ الثانيةَ بل قـــام فـــإنَّ الموتمَّ لا يتابعه، بل يَسْجُد السجدةَ الثانية. قال المنصور بالله عليه السلام:وإذا ترك الإمـــامُ الجهرَ-وَهْوَ والمؤتمُّ يَرَيَانِ وجوبَه-وانتظره لعله يتذكر جاز، فإن بَلَغَ الرَّكعةَ الرابعةَ و لم يذكر جَهَرَ المأمومُ، فإن تَيَقَّظَ الإمام فقرأ كان على المأموم الامساكُ وسَـــمِعَ، وما لم يركع فله أن يقرأ[3]. قال:وإذا نسيَ الإمامُ والمأموم الجهرَ في الركعـــات ثم ذكرا كان لهما أن يقوما فيأتيا بركعةٍ يَجْهَرُ الإمامُ فيها، وكذلك حكمُ المخافتـــه يقومان فَيُخَافِتَان في ركعةٍ. قال:وهذا عند مَنْ يقولُ بأنَّ تركَ الجهـــر والمخافتـــة يُفْسِدُها. ويجوز الجمعُ بين الصلاتين في أَوَّلِ وقتِ الأولى منهما مع الإمام، وهـــو

---

(١) في (ب): يلزم.

(٢) في (ب): صلاته.

(٣) سواءٌ الإمام والمأموم؛ لأنه إذا ركع فقد خرج من ركن القراءة فيلزمه إما إعادة الصلاة، وإما العود مـــن الركوع للقراءة، وإما الإتيان بركعة؛ ليقرأ فيها القدر الواجب جهرًا في الجهرية، وسرًّا في السريَّة.

أفضلُ من تأخيرها إلى وقت الأخرى ثم يصلّي منفردًا[1]، ذكره المنصور بالله عليه السلام.

وإذا قَدْ فَرَغْنَا من الكلام مما طلبه صاحبُ الكتابِ فَلْنُتْبِعْ ذلك بفصولٍ خمسةٍ نُضَمِّنُهَا طرفًا مما جاءِ من التحذير عن الظلم، والزنا، واللواط، وشـــرب الخمـــر، والمسكر، واستعمال المغاني، فإن هذه المعاصي مما كَثُرَ استعمالُ أهل جهته[2] لهـــا، حتى أفرطوا فيها، فرجونا أن ينفعَ اللهُ تعالى بِمَا نذكرُه في ذلك وبالله التوفيق.

---

(١) أي إن الصلاة جماعة جمعًا في أول الوقت أفضل منها فرادى في وقتها. ولقائل أن يقول:إنهـــا في وقتـــها أفضل ولو فرادى. لما في ذلك من مشقة وانتظارٍ للوقت، وتأسٍّ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والله أعلم.
(٢) في (ب): جهتنا.

الفصل الأول: في النهي عن الظلم

قال الله تعالى:﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر:٥٢]، وقال عز من قائل:﴿وَيَوْمَ يَعَضّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ❖ يَوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٨]. إلى غير ذلك من الآيات، وقال اللهُ تعالى في الزبور:((يا داودُ مَنْ أتى يومَ القيامةِ وعليه خردلةٌ من ظُلْمٍ لم يُبَارِحْ عَرْصَةَ القيامةِ حتى آخذَ منه حَقَّ المظلوم، ومَنْ ظَلَمَ أجيرًا أُجْرَتَه أَطَلْتُ حبسَه في عَرْصَةِ القيامة، وعِزَّتي وجلالي لاخليتُ[(١)] مظالِمَ العباد)).

وروينا عن نبينا محمد صلوات الله عليه وآله أنه قال:((مَن ظَلَمَ أجيرًا أُجْرَتَه أحبط اللهُ عملَه وَحَرَّمَ عليه ريحَ الجنةِ، وإن ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ خمسمائة عامٍ، ألا وإنَّ اللهَ عزوجل لا يجاوره ظالمٌ، وهو بالمرصاد لِيَجْزِيَ الذين أسآؤا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى))[(٢)]. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((يُؤتَى بالجبابرة يومَ القيامة في الحديدِ فيقولُ:سُوقُوهم إلى النَّارِ)).

وعن الباقر عليه السلام أنه قال:إذا كان يومُ القيامة جُعِلَ سرادقٌ من نارٍ وجُعِل فيه أعوانُ الظلمةِ، وجُعِلَ فيه كلاليبُ من حديدٍ يَحُكُّونَ بها أبدانَهم حتى تبدوا أَفْئِدَتُهم[(٣)]؛ فإذا كان هذا في أعوانهم، فكيفَ حُكْمُ أعيانِهم. وقال الله

---

(١) في (ب) مصلحة:لا أخليتُ.
(٢) شمس الأخبار ٢/٢٦٤.
(٣) الأحكام ٢/٥٣٨. وأمالي أحمد بن عيسى ٣/٣٥٢.

تعالى:﴿احْشُرُواْ الّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾..الآية [الصافات:٢٢].

جاء في الحديث:((أَنَّهُم يُحْشَرون حتى من بَرَا لهم قَلَمًا، فيؤمرُ بهم إلى النَّارِ)).

وعن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال:((إذَا كَانَ يـــومُ القيامـــة نـــادى منادٍ:أَيْنَ الظلمةُ وأعوانُ الظلمةِ، وأشباهُ الظلمةِ حتى مَن بَرَا لهم قَلَمًا، أو لاقَ[1] لهم دَوَاةً، فَيُجْمَعونَ في تَابُوتٍ من حَدِيدٍ، ثم يُرمَى بهم في جهنم)).

وعن ابن عمر عنه ﷺ أنه قال:((لَرَدُّ دانِقٍ من حرامٍ يعدل عند الله ســـبعين حَجَّةً مبرورةً))[2].

وعنه ﷺ أنه قال:((يُؤتَى بالظالمِ يومَ القيامةِ–ويَدَاهُ مَغْلُولَتَانِ حتى يكونَ عَدْلُه الذي يَفُكُّهُ، وجَوْرُه الذي يُوبِقُه)). وقال ﷺ:((وَمَنْ مَطَلَ غريمَه وهو يَقْدِرُ على أداءِ حَقِّهِ فعليه عن كُلِّ يومٍ مَطَلَهُ لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعـــين)). وقـــال الله سبحانه في الزبور:يا داودُ ما يُؤَمِّنُ الظَّالِمُ أن أقْصِمَهُ في الساعة التي ظَلَم فيها، فإذا رأيت مُنْكَرًا فَغَيِّرْهُ. ياداوودُ مَن عَظَّمَ فاسقًا أو قَرَّبَ من فاسق حـــشرتُه معـــه إلى سِجِّيْنٍ.

وقال نبينا محمد ﷺ:((ألا[3] من مدح فاسقا ذهب ماءُ وجهه، ألا وَمَنْ مَشَى مع ظالِمٍ–وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الدِّينِ، ألا ومن كَثَّر سَوادَ قـــوم فهـــو منهم، ألا ومن تَشَبَّهَ بِقومٍ فهو منهم)). وقال ﷺ:((مَن سَوَّدَ علينا فقد شَرَكَ في

---

(١) لاق:هَزَّ.
(٢) أبو طالب في أماليه ص٣٩٧.
(٣) في (ب) بحذف ألا.

دمائِنا))[1]. وقال ﷺ:((إذا مُدِحَ الفاسقُ اهتزَّ العرشُ))[2].

وقال ﷺ:((ومَنْ عَظَّمَ صاحبَ دنيا ومَدَحَهُ لطمعٍ دنيا يرجوها منه سَخِطَ اللهُ عليه، وكان هو وقارونُ في الدرك الأسفل من النار، ومَنْ حَفَّ سلطانًا جائرًا في حاجةٍ كان قرينُه في النار، ومَنْ عَلَّقَ سوطًا بين يدي سلطانٍ جائرٍ جعل اللهُ ذلك السوطَ حَيَّةً طولُها سبعون ذراعًا فتُسَلَّطُ عليه في نارِ جهنم خالدًا فيها وله عذابٌ مقيم)).

فصل: وهذا لا يَخْرُجُ عنه إلا دعاةُ الحقِ، فإنه يجوزُ لهم أن يفعلوا من الأفعال ما ظاهرُه الموالاةُ للظَّلمةِ والكَفَرَة، للتَّأَلُّفِ لهم، والاستدعاءِ لهم إلى الحق، أو الاستنصار بهم[3]، والاستعانةِ بهم على نُصْرَةِ الدِّين، ولا يجوزُ لغيرِ دُعاةِ الحقِّ إلا على وجه التَّقِيَّة فقط على ما فصَّلنا ذلك في كتاب ((ثمرة الأفكار في أحكام الكفار))، وعلى ما فصلناه أيضا في ((الرسالة الحاسمة في الأدلة العاصمة)).

فصل: وأما حُكْمُ المالِ الحرامِ فرُوينا عن النبي ﷺ أنه قال:((إنَّ اللهَ حرم الجنة أن يدخلها جَسَدٌ غُذِّيَ بحرام))[4]. وقال ﷺ:((لا يَكْسِبُ عَبْدٌ مالاً مِنْ حرَامٍ فيتصدقَ به فيؤجرَ عليه ولا يُنفِقَ منه فيُبَارَكَ فيه، ولا يَتْرُكَه خلف ظهره إلا كان زادَهُ إلى النار))[5]. وقال ﷺ:((مَن أصابَ مالاً من حرامٍ وتَلَبَّسَ جلبابا قميصًا[1]

---

(١) أمالي أحمد بن عيسى ٣/٣٥٣.
(٢) السفينة ٣/٩٤.
(٣) في (ب) و (ج): أو الانتصار بهم .
(٤) شمس الأخبار ٢/٢٦٤. والكنز ٤/١٤ رقم ٩٢٦١.
(٥) السفينة ٣/٢٦١. وفي الكنز ٤/١٧ رقم ٩٢٨٠ ما يوافق ذلك.

لم تُقْبَل صلاتُه حتى يَنْخَرِقَ ذلك الجلباب عنه. إن الله تعالى أكرمُ وأجــلُّ مـــن أن يتقبَّل عملَ رجلٍ أو صلاتَه وعليه جلبابٌ من حرام))[2]. وقال ﷺ:((مَنِ اكْتَسَبَ مالا حرامًا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ منه صدقَةً ولا حَجًّا ولا عُمْرَةً ولا صياما، وكتب ما أنفــق عليه وِزْرًا[3] في عنقه، وما بقي كان زادَه إلى النار))[4]. وتصديقُ ذلك كله قول الله سبحانه وتعالى:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧]، وقوله تعالى:﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[التوبة:٥٣]، وقـــال الله في الزبور:مَثَلُ الصَّدَقَةِ مَعَ الحرامِ كَمَثَلِ الذي يغسل القَذَرَ ببوله عن ثوبه. وقال أمـــير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:العاملُ بالظلم والمعينُ عليه والراضي به شُرَكَاء.

ومما يدل على عِظَمِ أمْرِ الظُّلم أن النُّمرود بن كنعان مع ادَّعائـــه للربوبيـــة لم يرضَ لنفسه بالظلم، ولا اسْتَحْسَنَ لنفسه أن يفعل ما يَتَّهِمُ[5] به الناسُ كونَه ظالما؛ فإن إبراهيم الخليل صلوات الله عليه لَمَّا كسر الأصنام رفعوا خبره إلى النُّمرود فقال لهم:فأْتُوا به على أعينِ الناس لعلهم يشهدون، فأمرهم بالإشهاد على كسر الأصنام؛ لِيُظْهِرَ للنَّاس أنه إنَّما يعاقب إبراهيم عليه السلام لأجله فيخرج بذلك عن الظلم، فلم يرض لنفسه بالظلم، ولا بما يوهمه، مع كفره وَعُتُوِّه، وادعائه للربوبية. ثم لا أعدلَ من الله تعالى، ولا أجلَّ ولا أعظمَ، فإذا كان يومُ القيامة جاءَ بالشهود. قال تعالى:﴿فَكَيْفَ

---

(١) في (ب): أو قميصًا.
(٢) شمس الأخبار ٢/٢٦٥.
(٣) في (ب) و (ج): وكتب عليه ما أنفق منه.
(٤) الحاكم في السفينة ٣/٢٦٢.
(٥) في (ب): ما يَتهمه به الناسُ .

إِذَا جِئْنَا مِن كُلّ أمّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء:٤١] ليظهر تنزيهه تعالى عن الظلم قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الزخرف:٧٦].

وروي أن رجلا من ملوك الصين أصابه الصمم في أذنيه فبكى يوما ثم قال إني لا أبكي للبلية[1] التي نزلت بي ولكن أبكي لصارخ مظلوم على الباب لا أسمع صوته، ثم قال:فإن كان سمعي قد ذهب فإن بصري لم يذهب فلا يلبس ثوبا أحمر إلا من كان مظلوما حتى أعرف المظلوم إذا رأيتُه، وكان يركب الفيل طرفي النهار بكرة وعشية لينظر إلى المظلوم-وهو مشرك بالله فلم يرضَ بالظلم[2]؛ لكونه مخرِّ با لبلاده، وحَافَظَ على العدل ليدوم سلطانه، ويَعْمُرَ بلدانَه.

وَيَجُوزُ عندنا قَتْلُ الظالم دفعا لظلمه، ويجب ذلك متى تكاملت شروط وجوب النهي عن المنكر. وإذا ظهر إمام الحق فله أن يأخذ جميعَ ما في أيدي الظلمة تَضْمِينًا لهم لِمَا استهلكوه من أموال الناس، وأموال الله التي أخرجوها في غير موضعها، ومنعوها أهلَها إلا أمهاتِ أولادهم فإنه لا يجوز لهُ أَخْذُهُنَّ على ما فصلنا ذلك في الرسالة المفصحة، وفي الرسالة الحاسمة.

وعلى الجملة فالآيات والأخبار في التحذير عن الظلم أكثر من أن نأتي عليه في هذا المختصر.

الفصل الثاني :في التحذير عن الزنا والنهي عنه

(١) في (ب):لبليتين.

(٢) في (ب):الظلم.

قال الله تعالى:﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء:٣٢]، وقال عزوجل ﴿وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ❖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩]، وقال سبحانه:﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ❖ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٥-٧]. وعن علي عليه السلام أنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((في الزنا سِتُّ خصَالٍ:ثلاثٌ في الدنيا، وثلاثٌ في الآخرة. فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق من السماء، وَيُسْرِعُ الفَنَاءِ. وأما اللواتي في الآخرة فَغَضَبُ الرَّبِّ، وسوء الحساب، والخلود في النار))[(١)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((الزنا يُورث الفقر في الدنيا، وشِدَّةَ الحساب والعقوبة في الآخرة))[(٢)]. رواه أبو هريرة. وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((لا يجتمع الزنا والغِنَى في بيت، ولا الفقرُ وقراءةُ القرآن في بيت))[(٣)]. وعن علي عليه السلام أنه قال:أتَدْرُون أيُّ الذنب أَعْظَمُ؟ قالوا:لا. قال:أعظم الذنوب عندالله تعالى بعد الشرك الزنا؛ لأنه يزني بحليلة أخيه فيصير زانيًا، ويُفْسِدُ على أخيه زوجته[(٤)]. وعن المقداد بن الأسود رحمه الله قال:سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الزنا فقال:حرام حرمه الله ورسوله،

---

(١) أخرجه أبو طالب في أماليه ص٤٠٣. والخطيب في تاريخه ٤٩٣/١٢ باختلاف يسير. وشعب الإيمان ٣٨١/٤ عن حذيفة بن اليمان، بلفظ:يا معشر المسلمين إياكم والزنا.. إلخ. وشمس الأخبار ١٩٣/٢، عن جابر بن عبدالله، وعزاه إلى الحسن بن بدرالدين في أنوار اليقين.

(٢) السفينة ١١١/٣ بلفظه. والديلمي ٣٠٢/٢. وابن عدي ٤٣٢/٦ بلفظ:((الزنا يورث الفقر)).

(٣) السفينة ١١١/٣.

(٤) الحاكم في السفينة ١١٠/٣.

ثم قال:((لأنْ يَزْنيَ الزاني بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عليه مِنْ أن يزنيَ بامرأةِ جَارِه))[1]. وعنه ﷺ أنه قال:((لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ))، وقد ذكرنا تمام الخبر أولاً.

فائدة:ويجبُ الحد على الزاني بأن يُقِرَّ أربع مرات في أربعة مجالس، أو يَشْهَدَ عليه أربعةٌ شهودٍ رجالٌ، أهلُ عدالةٍ، وأمانةٍ، وطَهارةٍ، وديانةٍ. ولا تُقْبَلُ شهادتُهم حتى يشهدوا بالجماع كالميل في المكحلة.

ويجوز لهم النظر إلى عورة الزَّانِيَيْنِ لإقامة الشهادة عليهما متى كانوا أربعةً، ولا يجوز النظر لمن دون الأربعة؛ لأنه لا يقام الحد بشهادتهم، فإذا كملت الشهادة، وحصل للحاكم ثبوتُ عَقْلِ الشهود، وصحة عدالتهم، وصحة أبصارهم-أقام عليهم الحد[2]:فإن كان الزاني بِكْرًا فَحَدُّه الجلدُ مائةُ جلدة، إن كان حرًا ذكرًا كان[3] أو أنثى متى كان الزاني عاقلاً بالغًا، وإن كان الزاني مُحْصَنًا فَحَدُّه أن يُجْلَدَ مائةَ جلدة، ذكرًا كان أو أنثى، ويُرجَمُ بالحجارة حتى يموت، ويكون الرجم عقيب الجلد، ــولا بد من الجمع بينهما. والإحصانُ يثبت بأن يكون الزاني حرًا بالغا عاقلا ذكرا كان أو أنثى، وأن يكون الزاني قد تزوج بامرأة عاقلةٍ يُجَامَعُ مِثْلُها في الفرج، وأن يكون نكاحُه لها نكاحا صحيحًا، وأن يكون قد جامعها.

قال الهادي عليه السلام:وكذلك إن خلا بها خلوة صحيحة توجب كمال المهر:وسواء

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٦/٢٥٤ رقم ٦٣٣٣. والترغيب والترهيب ٣/٢٧٤.

(٢) الظاهر عليهما أي الزانيين .

(٣) في (ب):بحذف كان.

كانت الزوجة حرة أو أمة[1]. وذكر المرتضى لدين الله محمد بن الهادي (ع):أن امرأةً حرة لو تزوج بها صبي لم يبلغ، ودخل بها، ثم زنت أنه إن كان مثلُه يأتي النساء فهو يُحَصّنها، وكذلك إن تزوج بالغٌ بصبيةٍ لم تَبْلُغْ ودخل بها، ومثلُها يُؤْتى فهو مُحْصَنٌ، ذكره في النوازل[2].

ويمكن أن يُخَرَّج ذلك على أصل الهادي إلى الحق (عليه السلام). وليس من شرط الإحصان الإسلامُ. وحُكْمُ الزانية في شرائط الإحصان حُكْمُ الزاني بلا خلاف في ذلك. ولا يثبت الإحصان إلا بشهادة شاهدين عدلين على ما مضى. ويسألهما الحاكم عن معنى الإحصانِ وتَفْسيره.

فائدة: وكان الأصل في حد الزنا[3] هو الحبس في النساء الزواني. قال الله تعالى ﴿فَأَمْسِكُوهُنّ فِي الْبُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنّ سَبِيلاً ﴾ [النساء:١٥]. وكان قوله تعالى:﴿أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنّ سَبِيلاً ﴾ إشعارًا منه بالنسخ لهذا الحكم، وهو وجوبُ إمساكهن في البيوت.

ثم نسخ الله تعالى ذلك بالجلد والتغريب في البكر، وبالجلد والرجم في الثَّيِّبِ؛ فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):((خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قد جعل الله لَهُنَّ سبيلا:البكرُ بالبكرِ جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عامٌ. والثيب بالثيب رَجْمٌ بالحجارة))[4]، ثم نسخ الله التغريب

---

(١) الأحكام ٢/٢٢٦.
(٢) هو لصاحب القول المرتضى بن الهادي (ع).
(٣) في (ب): الزاني.
(٤) مسلم ٣/١٣١٦ رقم١٣١٦. وأبو داوود ٤/٥٧١ رقم٤٤١٥. والترمذي ٢/٣٢ رقم١٤٣٤. ومسند أحمد ٨/٣٩٢ رقم٢٢٧٢٩، وغيرهم.

بأية الجلد، فقال[1] تعالى:﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور:٢]. وروي عن علي عليه السلام:كفى بالنفي فتنة[2]. وروي أنَّ عمر بن الخطاب نَفَى واحدًا فارتد ولَحِقَ بِهِرَقْلَ الكافر، فقال عمر:لا أنفي بعده أحدًا، و لم ينكره أحدٌ من الصحابة، فكان ذلك دليلا على أنهم عَلِمُوا أن النفي منسوخٌ؛ لولا ذلك لأنكروا عليه قوله:لا أنفي بعده أحدًا[3].

وبَيَّنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرجم–فَرَجَمَ مَاعِزَ بنَ مالكٍ بالحجارة حتى مات[4]. ورجم امرأة من جهينة كذلك[5]. وكان الرجم ثابتا على عهد الصحابة (رض)؛ فقال علي عليه السلام لَمَّا جَلَدَ الْهَمْدَانيةَ وَرَجَمَهَا:جَلَدْتُها بكتاب الله ورَجَمْتُها بِسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم[6]. والرجمُ إنما يختص بالأحرار دون المماليك فإنَّ حَدَّ الأَمَةِ والمملوك على النصف من حد الْحُرِّ؛ لقوله تعالى في الإمَاءِ:﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء:٢٥]، وحُكْمُ ذُكْرَانِ المماليكِ حُكْمُ الإماءِ في ذلك بلا خلاف بين المسلمين.

وروي عن علي عليه السلام أنه قال:حَدُّ الْعَبْدِ نِصْفُ حد الحر[7]. وهذا إنما يُتَصَوَّرُ في

---

(١) في (ج) ، (ب): قال.
(٢) الحاوي ١٧/٢٠. وعبدالرزاق ٧/٣١٤.
(٣) النسائي ٨/٣١٩ . وعبدالرزاق ٧/٣١٤.
(٤) مسلم ٣/١٣٢٢ رقم١٦٩٥.
(٥) مسلم ٣/١٣٢٤ رقم١٦٩٦.
(٦) المجموع ص٣٣٤. ورأب الصدع ٣/١٣٨٣. والبخاري ٦/٢٤٦٨ رقم ٦٤٢٧. وأحمد بن حنبل ١/٣٤٧ رقم ٩٤١ ، ٩٤٢.
(٧) المجموع ص٣٣٥.

الجلد. فأما الرجم فإنه لا يتبَعَّض؛ فلهذا إنَّ المماليك لا يُرْجَمُون. ولا خلاف بين أئمتنا (ع) في ذلك، وحكم أم الولد والمدبر والمدبرة[1] في ذلك حكم العبد والأمة.

فَأَمَّا الْمُكَاتَبُ:فإن كان لم يؤدِّ شيئا من مال الكتابة فحكمه في الحدود حكم العبد، وإن كان قد أدى شيئًا من مال الكتابة؛ فإنه يُقَام عليه الحد بقدر ما عَتَق[2]، وهذا في الجلد دون الرجم، فإن المكاتب لا يُرْجَم أبدًا؛ لأنه عبد. قال النبي ﷺ:((الْمُكاتَبُ عَبْدٌ ما بقي عليه درهم))[3]، وإنما خصصناه في الجلد وفي الميراث .بما روي عن النبي ﷺ أنه قال:((إذا أصاب المكاتَبُ ميراثا أو حَدًّا فإنه يرث على قدر ما عتَقَ منه، ويقام عليه الحد على قدر ما عتق منه))[4].

وروي عن علي عليه السلام أنه جلد عبدًا قد أَعْطَى نصف مال الكتابة خمسا وسبعين جلدة[5]:نصفُه حَدُّ الحر، ونصفُه حدُّ العبد. وإذا ثبت ذلك؛ فإن إقامة هذه الحدود إلى الأئمة دون غيرهم من سائر الأمة إلا حَدَّ المماليك فإنه في وقت الأئمة إليهم كما تقدم مثله في الأحرار، وفي غير زمان الأئمة إلى موالي المماليك؛ لقول النبي ﷺ:((أقيموا الحدود على ماملكت أيمانُكم))[6]. **وقوله** ﷺ:((إذا زَنَتْ أَمَةُ

---

(١) أم الولد:الجاريةُ التي ولدت لسيدها واعترف بهم. والمدبَّر والمدبّرة هو مَن يقول له سيده:اعتَقْتُكَ بعد موتي.

(٢) في (ب):ما قد عتق، وفي قد مثبتة بعد ما من الحديث التالي.

(٣) الترمذي ٣/٥٦١ رقم ١٢٦٠.

(٤) الترمذي ٣/٥٦٠ رقم ١٢٥٩. وأبو داوود ٤/٧٠٦ رقم ٤٥٨٢. والبيهقي في السنن ١٠/٣٢٥. والدار قطني في السنن ٤/١٢١. والحاكم ٢/٢١٩.

(٥) المجموع ص٣٣٦.

(٦) أبو داوود ٤/٤١٧ رقم ٤٤٧٣. والدار قطني في السنن ٣/١٥٨. والبيهقي في السنن ٨/١٢٢٩.

أَحَدِكُم فَلْيَجْلِدْها، فإن عادَتْ فَلْيَجْلِدْهَا، فإن عادت فَلْيَبِعْهَا))[1]. فإن قيل:فهل حد الزاني والزانية عقوبة أو لا؟ قلنا:نعم؛ لقول الله تعالى:﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٢] فإن قيل:فما تقولون فيمن يتوب بعد الزنا وَقَبْلَ إقامة الحد عليه، أليس التوبةُ تُسْقِطُ العقوبة؟ قلنا:التوبة تسقط العقاب بلا خلاف بين المسلمين، وعلى ذلك يدل دليل العقل والكتاب والسنة والإجماع.

ومع ذلك لا يسقط الحد؛ فإن النبي ﷺ رجم امرأة من جهينة أَقَرَّتْ بالزنا وتابت وصلى عليها، فقال له عمر بن الخطاب:تصلي عليها وقد زنت،؟ فقال ﷺ:((لقد تابت توبة لو قُسِّمَتْ على سبعين من أهل المدينة لَوَسِعَتْهُم))[2]. فإن قيل فكيف ترجم بعد التوبة، والتوبة تسقط العقاب؟ قلنا:يكون ذلك على وجه الابتلاء والامتحان، يُعِيضُهم عليها الرحمن، كما نقوله في أمراض المجانين والصبيان، فإنهم لا يستحقون العقاب ولكن يبتليهم بذلك رب الأرباب ويعوضهم بأضعاف ذلك مضاعفة كما بينا ذلك في ((كتاب النظام))، والله الهادي.

الفصل الثالث :في التحذير عن اللواط وما أشبهه

قال الله سبحانه ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ❖ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ﴾ [الأعراف:٨٠-٨١] الآية ونظائرها في القرآن كثير وقال الله تعالى:﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩].

---

(١) الترمذي ٣٧/٤ رقم ١٤٤٠. وأحمد بن حنبل ٣٣٣/٩ رقم ٢٤٤١٥ باختلاف يسير.

(٢) أبو طالب ص٤٠١. ومسلم ١٣٢٤/٣ رقم١٦٩٦ باب الحدود. وأبو داوود ٥٨٧/٤ رقم٤٤٤٠. والترمذي ٣٣/٤ رقم١٤٣٥. ومسند أحمد ٢٢٠/٧ رقم ١٩٩٧٤. والنسائي ٦٣/٤ رقم١٩٧٥.

جاء في تفسيره أن ذلك عشر خصال:اللواط، والخذف بالحصى، والرمي بالبندق، والصفير[(١)]، وسيأتي ذكر سائرها في فصل اللهو والمغاني .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((مَنْ قَبَّلَ غُلامًا شَهْوَةً حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة، وَأَوْجَبَ له النَّارَ))[(٢)] . **وعن عائشة** عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((ثلاثةٌ لا يَقْبَلُ اللهُ لهم شهادةَ أن لا إله إلا الله:الراكبُ والمركوبُ، والراكبةُ والمركوبةُ، والإمام الجائر))[(٣)] .

وعن علي عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((ثلاثةٌ لا تنالُهم شفاعتي:ناكحُ البهيمة، ولاوي الصَّدَقَةِ، والْمُنكَحِ من الذكور مثلُ ما تُنْكَحُ النِّسَاءُ))[(٤)] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم:((لا تُمِلُّوا[(٥)] أعينَكم من أولادِ الأَغْنياءِ فإنَّ فِتْنَتَهُمْ أَشَدُّ من فِتْنَةِ العَذَارَى))[(٦)] .

يريد بذلك مع اقتران الشهوة بالنظر؛ لأنه إذا لم يقع عند النظر إليهم شهوةٌ لهم جاز نَظَرُهم بالإجماع. **وقال** صلى الله عليه وآله وسلم ((احْذَرُوا الملوكَ وآبناءَ الملوكِ؛ فإن لهم شهوةً كشهوةِ العَذَارَى))[(٧)] . **وعن سعيد** بن المسيب أنه قال ((إياكم ومجالسةُ كُلِّ غلام، فإنه أعظمُ فتنةً من فتنةِ النساءِ))[(٨)] . **وقال** النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((مَنْ قَبَّلَ غلاما لشهوة فكأنما نكح أُمَّه سبعين مرةً، ومن نكح أُمَّه مرةً فكأنما افتضَّ سبعين عَذَرَاءَ بغير مَهْرٍ، ومَنِ

---

(١) الدر المنثور ٥/٢٧٦.

(٢) الحاكم في السفينة ٣/١١٤.

(٣) شمس الأخبار ٢/٢٠٠، وعزاه إلى السمان في أماليه.

(٤) رأب الصدع ٣/١٥٩١. وشمس الأخبار ٢/١٩٩، وعزاه إلى السمان في المجالس.

(٥) في بعض النسخ:لا تملأوا.

(٦) الحاكم في السفينة ٣/١١٤. والبيهقي في شعب الإيمان ٤/٣٥٨، عن الحسن بن ذكوان مرسلا.

(٧) السفينة ٣/١١٢.

(٨) السفينة ٣/١١٤.

افْتَضَّ سبعين عذراء بغير مهر، فكَأنما زنا بسبعين ثَيِّبًا، ومن زنى بامرأة مــسلمةٍ أو غيرِ مسلمةٍ حرةٍ أو أمة فَتَحَتْ عليه في قبره ثُمانمائِة ألفِ بابٍ من النار، تخرج إليــه حياتٌ وعقاربُ وشُهُبٌ من النار، فهو يُعَذَّبُ بها إلى يوم القيامة))[١].

وروي عن عبدالله بن العباس ﵄ أنه قال:قال رسول الله ﷺ:((من وجدتموه يعمل عملَ قومِ لوط فَاقْتُلُوهُ))[٢]. **وروي** أنَّ عبدالملك بن مروان لعنــه الله ســأل قاضي حمص عن ذلك فقال:يُرْمَى بالحجارة كما رُجِــمَ قــومُ لــوط. قــال الله تعالى:﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾، فقتله عند ذلــك. وقــال ﷺ:((سِتَّةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يجمعُهم مع الناس:الفاعــلُ بيــده، والفاعلُ بحليلةِ جاره، وشارب الخمر إلا أن يتــوب، والفاعــلُ، والمفعــولُ بــه، والضاربُ والديه حتى يستغيثان اللهَ))[٣]. **وسئل** إبليس لعنه الله عن أي شيء أحبَّ إليه، وأبغضَ إلى الله؟ فقال:الذَّكَرَانِ يَعلُو أحدُهما الأخَرَ[٤]. وفي الحديث:وإذا رأى الشيطانُ ذَكَرًا يعلو ذكرا فَرَّ منه مخافة أن يترل هم العذاب[٥]. وفي الحديث:((يأتي يومَ القيامة قوم، بطونُ أيديهم كبطون الحوامل، يريد بذلك الفاعل بيده حتى يترل ماؤُه))[٦]. وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال:((لَعَنَ اللهُ ناكِحَ البهيمة، وناكح اليد)).

---

(١) الحاكم في السفينة ١١٥/٣.
(٢) الترمذي رقم ١٤٥٦. وأبو داوود رقم ٤٥٦١. وابن ماجه رقم ٢٥٦١. والحاكم ٣٥٥/٤، وغيرهم.
(٣) أخرج في شعب الإيمان ٣٧٨/٤ ما يوافق ذلك.
(٤) السفينة ١١٣/٣.
(٥) السفينة ١١٣/٣.
(٦) أخرج في شعب الإيمان ما يوافق ذلك ٣٧٨/٤.

واعلم أيها المسترشدُ أنَّ إتيانَ النساء في أَدْبَارهن حرام؛ **لقول** النبي ﷺ:((لا تأتوا النساءَ في أدبارهن))[1]. وقال:((هي اللوطيةُ الصغرى))[2]. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:((مَنْ أتى حَائِضًا، أو امرأةً في دُبُرِها فقد كَفَر بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ))[3]. **وعن جابر** عنه ﷺ أنه قال:إن اللهَ لا يَسْتَحْيِي من الحق، لا تأتوا النساءَ في مَحَاشِّهِنَّ[4]. وقال الله سبحانه:﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، أي كيف شئتم، والحرث موضع الزرع، ولا يطلب الزرع إلا في القُبُل. **وروي** عن جابر أنه قال:إن اليهود كانت تقول:إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قُبُلِها جاء ولده أحول[5]؛ ثم فسر النبي ﷺ كيف يجوز للزوج أن يجامع زوجتَه فقال النبي ﷺ:((أمَّا مِنْ قُبُلِهَا في قُبُلِهَا فَنَعَم، وأما من دبرها في قبلها فنعم، وأما في دبرها فلا. إن الله لا يستحيي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن))[6]. **وعنه** ﷺ أنه قال:((ومن نكح امرأة في دبرها، أو رجلا، أو غلامًا، حشره الله يوم القيامة أَنْتَنَ من الجيفة، يتأذى منه أهلُ الْجَمْعِ حتى يدخل جهنم، ولا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ))[7]، وحَبِطَ كُلُّ عَمَلٍ عَمِلَه في الدنيا، وإذا دخل جهنم

---

(١) البيهقي في السنن ١٩٦/٧. والدارمي ٢٦٠/١.
(٢) البيهقي في السنن ١٩٨/٧. وأحمد بن حنبل ٦٠٢/٢ رقم ٦٧١٨ ، ورقم ٦٩٨٥، ورقم ٢٩٨٦.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣٧٨/٣ رقم ٩٣٠١.
(٤) أخرج في الدر المنثور ٤٧١/٢:إن الله لا يستحيي من الحق لا يحل مأتى النساء في حشوشهن.
(٥) ينظر الدر المنثور ٤٦٩/٢.
(٦) السنن الكبرى للبيهقي ١٩٦/٧. والدر المنثور ٤٧١/٢.
(٧) الصرف:التوبة، وقيل:النافلة. والعدل:الفدية، وقيل:الفريضة.

أُمِرَ به فَأُدْخِلَ في تابوت من نار، ولو وُضِعَ أَلَمُ عِرْقٍ من عروقه على سَبْعَمائة أُمَّةٍ لَماتوا جميعا. وهو من أشد أهل النار عذابًا))[1].

والأخبار في هذه الأمور أكثر من أن نحصيها في هذا المختصر، فلنقتصر على هذا القدر منها، ونتكلم في حد من فعل شيئا من ذلك، فنقول وبالله التوفيق:فنقول:أما الْمُخَنَّثُ فإنه يُقْتَلُ؛ لإجماع الصحابة (رض) على ذلك، وإجماعهم حجة. وروي أنهم أجمعوا على تحريق مُخَنَّثٍ[2]. واختص أمير المؤمنين علي عليه السلام بالقول بأنه يُلْقَى عليه حائط فيموت[3]، وإليه ذهب عثمان بن عفان. واختار بعضهم أنه يُلقَى من أعلى بناءٍ في قرية فيموت[4]. ومنهم من قال:يُحَرَّقُ[5]. فحصل من هذا الخلاف إجماعٌ منهم على جواز قتله، ولم يفصلوا بين أن يكون محصنا أو غير محصن، وهو قول القاسم بن إبراهيم [الرسي]، والناصر للحق الحسن بن علي [الأطروش] (ع)، وهو قول الشافعي ومالك[6].

وهكذا حُكْمُ الفاعل بالمخنث فإنه يُقْتَلُ عندنا؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((اقْتُلوا الفاعلَ والمفعولَ به))[7]. قال القاسم بن إبراهيم (ع) من أتى البهيمة فحكمه حكم

---

(١) شمس الأخبار ٢/١٩٩.
(٢) ينظر الإعتصام ٥/٧٧. والتجريد ٥/٩٨. والحاوي ١٧/٦١.
(٣) التجريد ٥/٩٨.
(٤) هو قول ابن عباس كما في الحاوي للماوردي ١٧/٦١، ٢/٦١. والإعتصام ٥/٧٧.
(٥) هو عبدالله بن الزبير ، ينظر الحاوي ١٧/٦١.
(٦) ينظر الماوردي ١٧/٦٢. والتجريد ٥/١٠٠.
(٧) مسند أحمد بن حنبل ٤/٦٤٤ رقم ٢٧٣٣. وكنز العمال ٥/٣٣٩ رقم ١٣١٢٥.

من أتى الرجل[1]. قال المؤيد بالله عليه السلام كلام القاسم عليه السلام يدل على أنه يُرْجَمُ بِكْرًا كان أو ثَيِّبًا.

والذي يدل على ذلك مارواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:((مَنْ وُجِدَ على بهيمة فاقتلوه مع البهيمة))[2]. قيل لابن عباس:ماشأن البهيمة؟ قال:إنها تُرْمَى، فيقال:هذه وهذه، وقد فعل بها ما فعل. فدل ظاهر الخبر على وجوب قَتْلِ مَنْ يفعلُ هذا الفعلَ؛ فإذا ثبت وجوب القتل ظهر بذلك صحة مذهب القاسم عليه السلام، وهو أحد قولي الشافعي رحمه الله، والقول الآخر، أنه لايقتل إلا أن يكون محصنا. وذكر أصحاب الشافعي فيمن أتى بقرةَ الغير فَقُتِلَتْ فإنه لا يُؤْكَلُ لحمُها وَيُضْمَنُ الواطي قيمتَها.

ومثله ذَكَرَهُ الإمام السيد أبو طالب رضي الله عنه في وجوب قيمتها على الواطي. قال المؤيد بالله رضي الله عنه فإن اشتبهت عليه البقرة، فلا شيء عليه .

وأما ناكح اليد فإنه يُعَزَّرُ. وكذلك من أتى امرأته وهي حائض. وكذلك من أتى امرأته في دبرها فإنه يعزَّر على قَدْرِ ما يقع بمثله الانزجارُ عن مثل هذا الصنيع القبيح، والتعزير في مثل ذلك دون حد الزنا[3] بسوط أو سوطين. وإقامة ذلك إلى الأئمة في وقتهم، فإن لم يكن إمام وَقَتَلَ الْمُخَنَّثَ قَاتِلٌ فلا قَوَدَ عليه ولا دية.

---

(١) التجريد ٥/١٠٠، والتحرير ٢/٥٦١.
(٢) أخرجه أبو داودد في الجامع الصحيح ٤/٤٦ رقم ١٤٥٥. وسنن أبي داوود ٤/٦٠٩ رقم ٤٤٦٤. وكنز العمال ٥/٣٣٥ رقم ١٣١٢٣ كما أخرجه في المستدرك ٤/٣٥٥.
(٣) في (ج)، (ب): الزاني.

وكذلك ذكر أصحاب الشافعي رضي الله عنه فيمن يرى[1] رجلا يزني بامرأة -وكان الزاني محصنًا- جاز له قتله[2]. وإنْ كانا جميعًا محصنين جاز له قتلهما. قال السيد الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين عليه السلام وهذا يجبُ أن يكون صحيحًا على أصل يحيى بن الحسين الهادي عليه السلام؛ لأن إقامة الحدود-وإن كانت إلى الإمام،-فإنَّ قَتْلَ من هو مستحق للقتل مباحُ الدم كالمرتد-لا يوجب على القاتل القَوَد. وأقول أنا:ولا خلاف في أنه لا يجب عليه الدية. قال المؤيد بالله قدس الله روحه:ويجوز التعزير لمن نصبه المسلمون، إذا لم يكن في العصر إمامٌ، فإن كان فيه إمامٌ لم يجز إلا بإذنه، إلا أن يكون ذلك في بلدٍ لا يجري للإمام فيها حكم. ومثل ذلك ذكره القاضي زيد في باب اللعان، فقال:حكاه المؤيد بالله عن السيد أبي العباس عليه السلام.

الفصل الرابع

في التحذير عن شرب الخمر والمسكر

فصل:الإثمُ:هو الخمر عند العرب. قال شاعرهم:

شربتُ الإثمَ حتى ضَلَّ عقلي		كذاك الإثمُ يفعل بالعقول[3]

وقد حرمه الله تعالى؛ لقوله:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ﴾ [الأعراف:٣٣]، وقال تعالى:﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة:٩٠]، فوصفها الله بأنها رجس، وكل

(١) في (ب) ، (ج): رأى.
(٢) من هنا سقطت صفحة من الأصل ، واعتمدنا (ب)، (ج) ، (د)، (هـ) .
(٣) اللسان ٦/١٢، وفيه تذهب بالعقول.

رجس محرم بدلالة قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ولأنه وصفها بأنها من عمل الشيطان، أي الدعاء إلى شرابها، وهذا يقتضي تحريمها، ولأنه قال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، فأمَرَ، والأمْرُ يقتضي الوجوب باجتنابها، وما يجب اجتنابه من الأشربة فإنه محرم، وقال النبي ﷺ: ((الْخَمْرُ جِمَاعُ الإثم)) [(١)]. وعن النبي ﷺ أنه قال: ((وَحَلَفُ اللهُ بعزته أن لا يشربَ أحد في الدنيا الخمرَ إلا سُقِيَ مثلَها من الحميم يوم القيامة، ولا يَدَعَها أحد في الدنيا إلا سقاه الله منها في حظيرةِ الفِرْدَوْس)) [(٢)].

وعن عبدالله بن العباس وأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: ((وَمَن شَرِبَ الخمرَ في الدنيا سقاه الله يومَ القيامة من سُمِّ الأسَاوِدِ، وسُمِّ الحيات والعقارب، فيشربُه فيتساقط لحمةُ وجهه [(٣)] في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها انفسخ منها لحمه وجلده، وصار على جلده كالجيفة، يتأذى منها أهل الجمع. ألا وإن ساقيَها وشاربَها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وآكلَ ثَمَنِها، فهم فيها سواء في إثمها. ومن سقاها يهوديا أو نصرانيًا أو صابيا أو امرأة أو صبيا أو من كان من الناس، فعليه وِزْرُ من شربها. ألا ومن باعها أو اشْتَراها لغيره أو اعتصرها لغيره لم يقبل الله منه صلاة ولا صياما ولا حجا ولا اعتمارًا حتى يتوب

---

(١) شمس الأخبار ٢/١٩٠. والترغيب والترهيب ٣/٢٥٧.

(٢) رأب الصدع ٣/١٥٨٥ بلفظ:أقسم ربي لا يشرب عبة في الدنيا خمرًا إلا سقاه يوم القيامة حميمًا. وفي مسند أحمد ٨/٢٨٦ رقم ٢٢٢٨١:ولا يدعُها عبدُ من عبادي من مخافتي إلا سقيتُها إياه من حظيرة الفردوس.

(٣) في (د):لحم وجهه . وفي الهامش:لحم جلده.

منها، فإن مات قبل أن يتوب كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة شرب منها في الدنيا من صديد جهنم في الآخرة. ألا وإن الله لعن الخمر بعينها؛ فقليلها وكثيرها حرام، والمسكر من كل شراب. ألا وإن كل مسكر حرام ولوجرعة واحدة))[1].

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:((لَعَنَ اللهُ الخمر وشاربها وساقيهَا وبائعَها ومبتاعَها وعاصرَها ومعتصرَها وحاملَها والمحمولة إليه))[2]. وعنه ﷺ أنه قال:((ومَنْ سَكِرَ لم يَقْبَلِ اللهُ صلاتَه أربعين ليلة، فإن مات في سُكْرِه مات مثلَ عابد وَثَنٍ))[3].

وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ إنه قال:((لا يدخلُ الجنة صاحبُ مَكْسٍ[4]، ولا خَمْرٍ، ولا مؤمنٌ بسحر، ولا قاطعُ رَحِمٍ ولامَنَّانٌ))[5]. وروت عائشة عن النبي ﷺ أنه قال:((مَنْ أَطْعَمَ شاربَ الخمر فكأنما قَتَل مؤمنًا متعمدًا، ومن أعانه بشيء فكأنما هَدَمَ الإسلام))[6]. وروى عمر بن الخطاب عنه ﷺ أنه قال:((لا تُسَلِّمُوا على شارب[7] الخمر، ولاتَعُودُوا مرضاهم، ولا تُصَلُّوا على جنائزهم، وكأني[8] أنظرُ إلى شارب الخمر يوم القيامة-وعيناه زرقاوان، شفتُه مائلةٌ[1]، يدلع لسانه،

(١) شمس الأخبار ٢/١٩٠، وعزاه إلى أصول الأحكام.

(٢) أخرجه أبو داوود ٤/٨٢ رقم ٣٦٧٦. وابن ماجه ٢/١١١٢ برقم ٣٣٨٠ب، بلفظ:((لعن رسول الله في الخمر عشرة..)).

(٣) مجمع الزوائد ٥/٧٠، وقال:رواه البزار.

(٤) مَكَسَ في البيع من باب ضرب. والمَكْسُ الجباية وما يأخذه العشَّار. المختار ص٦٣٠.

(٥) أخرجه المرشد بالله ١/٣١ وغيره. وفي أحمد بن حنبل ٤/٣٠ رقم ١١١٠٨:عن أبي سعيد: ((لا يدخل الجنة صاحب خمس:مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، وقاطع رحم ,ولا كاهن، ولا منان)).

(٦) الحاكم في السفينة ٤/١٠٧.

(٧) في هامش (ب)، و (د):شاربي، وهو الأولى بدليل ما بعده.

(٨) في جميع النسخ غير (ب):فكأني.

إلى شارب الخمر يوم القيامة–وعيناه زرقاوان، شفتُه مائلةٌ[1]، يدلع لسانه، ويجـــرى دماغُ رأسه على صدره يستقذره أهلُ الموقف، يسألون ربهم العافيـــة ممـــا ابـــتلاه به))[2].

وعن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:((ما أسكر كثيره فقليلُه حـــرام))[3]، وعن أم سلمة قالت:نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كل مسكر[4]. وعن عائشة أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن قَلِيلِ ما أَسْكَرَ كثيرُه. وقال:((كُلُّ شَرَابٍ مُسْكرٍ فهو حَرَامٌ))[5]. إلى غـــير ذلك من الأخبار، فإنها أكثر من أن نحصيها في هذا المختصر، ولـــيس عرضـــنا إلا الإشارة إلى الغرض فقط.

وأما حَدُّ شاربها فإنه يُجْلَدُ الحد. فأما الخمر فلا خلاف بين أمة محمد (عليه السلام) في تحريمها، وفي وجوب الحد على من شربها، وسواء شرب منها قليلاً أم كثيرًا، وإنما الخلاف في المسكر، فإن عندنا[6] أن حكمَهُ في التحريم وفي وجوب الحـــد حُكْـــمُ الخمر، وعلى ذلك إجماع العترة (ع)، وإجماعهم حجة. والأصل في وجوب الحـــد

---

(١) في (د):وأن شفته.

(٢) أخرج ابن حجر ٤١/١١ حديث:لا تصلوا على شارب الخمر، ولا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا. والحاكم في السفينة بلفظه ١٠٨/٤.

(٣) رأب الصدع ١٥٨٣/٣. والمجموع ص٣٣٨. وأبو داوود ٨٧/٤ رقم ٣٦٨١. وابن ماجـــه ١١٢٥/٢ رقم ٣٣٩٣. والترمذي ٢٥٩/٤ رقم ١٨٦٩. والنسائي ٣٠٠/٨ رقم ٥٦٠٧.

(٤) أبو داوود برقم ٣٦٨٦. وأحمد بن حنبل ٢٠٥/١٠ برقم ٢٦٦٩٦.

(٥) النسائي ٢٩٨/٨. وابن ماجة ١١٢٣/٢. والترمذي ٢٥٧/٣ رقم ١٨٦٣ بلفظ:كل شراب أسكر...

(٦) في (ج): فعندنا. وفي (د):فالسكر عندنا.

قول النبي ﷺ ((إذا سكر فاجلدوه ، ثم إذا سكر[1] فاجلدوه، ثم إذا سكر فاجلدوه، ثم إذا سكر فاضربوا عُنُقَه))[2] . رواه أبو هريرة. وروى عمرو ابن الشريد[3] عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال:((إذا سكر أحدكم فاضربوه، ثم إن عاد فاضربوه، ثم إن عاد فاضربوه، ثم إن عاد الرابعة فاقْتُلُوه))[4] . وعن الهادي إلى الحق عليه السلام أنه قال:بلغنا أن عليًا عليه السلام كان يَجْلِدُ في قليل ما أسكر كثيرُه كما يَجْلِدُ في الكثير، وأنه كان يقول:لا أجد أحدًا يشرب خمرًا ولا نبيذًا إلا جلدته الحد [ثمانين][5] .

فإن قيل:فكم حَدُّ الشارب؟ قلنا:حَدُّه ثمانون جلدة، وعلى ذلك إجماع العترة فيما أعلمه.

والأصل فيه ما روى عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ:أنه أمر بأن يُحَدَّ شاربُ الخمر ثمانين، ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة تَحَيَّرَ في حد شارب الخمر، واستشار عليًا عليه السلام في ذلك، فأشار عليه بأن يَضْرِبَ شارب الخمر ثمانين جلدة، فعمل به عمر. وقال علي عليه السلام إذا شَرِبَ سَكِرَ، وإذَا سَكِرَ هَذَى، وإذَا هَذَى

---

(١) في (ج) و (د):إذا سكر أحدكم.

(٢) النسائي ٣١٤/٨ رقم ٢٠٦٦٣. وسنن أبي داوود ٦٢٤/٤ رقم ٤٤٨٤. وابن ماجه ٨٥٩/٢ رقم ٢٥٧٢ باختلاف يسير.

(٣) تابعي، وثقه ابن حبان. ينظر تهذيب الكمال ٦٣/٢٢.

(٤) في (د):ثم إذا سكر في الموضعين ما عدا الرابعة.

(٥) ينظر الأحكام ٢٦٦/٢، وما بين القوسين من الأحكام.

افْتَرَى، وحَدُّ المفتري ثمانون[1]، فجرى هذا مجرى الإجماع في كونه حجة؛ لأنـــه لم ينكره أحد من الصحابة مع وَفَارَهم.

وروي أن الوليد بن عقبة لَمَّا شرب الخمر في ولاية عثمان-ولم يُقِمْ عثمـــان عليه الحد، قال علي عليه السلام:لا يضيع[2] حد وأنا حاضرٌ، فأمر عبدالله بن جعفر فأقام الحد عليه[3]، فجلده، وعلي عليه السلام يعد حتى بلغ أربعين، فقال علي عليه السلام:حـــسبك، وكان لسوطه رأسان[4]. رواه الباقر محمد بن علي السجاد (ع)؛ فيكون ثمانين، فإن قيل:من يُقِيمُ الحد على الشارب؟ قلنا:الإمام، فإن لم يكن إمام عـــزره المـــسلمون، والتعزير دون حده بسوط أو سوطين كما تقدم، فإن قيل:فكم حَـــدُّ المماليـــك؟ قلنا:على النصف من حَدُّ الأحرار، فيكون أربعين جلدة وهذا مما لا خلاف فيه.

وأما الفصل الخامس:

وهو في التحذير عن استعمال المغاني والنهي عن اللهو والرقص والتـــصفيق وما أشبه ذلك، فقال الله ســـبحانه:﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان:٦].

ذكر بعض أهل العلم من المفسرين أنه الغناء[5]. وفي قصة أنهـــا في جـــاريتين

(١) الجامع الكافي كما في أنوار التمام ٩٧/٤. ومعرفة السنن والآثار ٤٥٧/٦. والموطأ ١٩٥/٢.
(٢) في (ج): لا يضيع لله حد.
(٣) في (ج):بإقامة الحد .
(٤) الكافي ٢١٥/٧، وبلفظ:فجلد بسوط له شفتان. والأحكام ج٢. ذكر أنه جلده ثمانين جلدة.
(٥) غريب القرآن ص٢٥٠. ورأب الصدع ١٥٨١/٣. والغنى-بكسر الغين مع قصر الألف- ضـــد الفقـــر. والغناء-بفتحها مع المد- جمع أغنية. المختار ص٤٨٣. وفي (ج):وذكر.

اشتراهما بعضُ قريش ليشغل سفهاء قريش عن سماع القرآن[(١)] وبمثل ذلك فسر قوله تعالى:﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر:٤٥] يريد[(٢)] سماع اللهو[(٣)]. وقال الله سبحانه:﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩] هو اللهو واللعب[(٤)]. وقال تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ [المؤمنون:١١٥]. والملاهي هي[(٥)] أقبح أنواع العبث. وقال الله تعالى:﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً﴾ [الأنعام:٧٠]، وعن النبي ﷺ أنه قال:((كُلُّ لَهْوِ الدنيا باطلٌ إلا ثلاثةً:ملاعبةَ الرجل لأهلِهِ، ومناضلتَه بقوسه، ورياضتَه لفرسه))[(٦)].

وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال:((يَكُونُ في أمتي خَسفٌ وقَذْفٌ وَمَسْخ))، فقيل:يا رسول الله متى؟ قال:((إذا ظَهَرَتِ المعازفُ والقِيَانُ، واسْتُحِلَّتِ الْخَمْرُ))[(٧)]. **وعن** الحسن أنه قال:((ما اجتمع قومٌ قط قَلُّوا أو كَثُروا على لهو ولعب وباطل إلا أُغْلِقَتْ عنهم أبوابُ الرحمة، ونزلت عليهم اللعنة)). ومثل هذا لا يكون إلا عن النبي ﷺ؛ لأنه لا يَعْلَمُ أحكام الأفعال إلا الله تعالى، فَيُعَلِّم بها رسله (ع)

---

(١) ينظر أسباب النزول للواحدي ص٢٨٨. والدر المنثور ٥/٣٠٧. والقرطبي ١٤/٣٧. والطبري مج ١١ ج٢١ ص٧٤.
(٢) في (ج): يريد به.
(٣) الحاكم في السفينة ٣/١١٧.
(٤) الحاكم في السفينة ٣/١١٧.
(٥) في (ب):بحذف هي.
(٦) مجمع الزوائد ٥/٢٦٩٠.
(٧) المرشد بالله ٢/٢٥٩. وأبو طالب في أماليه ٤٠١. والترمذي٤/٤٢٩رقم٢٢١٢. وكتر العمال ١٤/٢٨١ رقم ٣٨٧٣٤ عن ابن حميد وابن أبي الدنيا، وذكره من طريق غيرهم ١٤/ ٢٧٧.

وفي معنى قول الله تعالى:﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ نزلت في الجواري المغنيات[1]. وقيل:هو اتخاذ المعازف. **وعن** أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:يُمسخُ قوم من هذه الأمة في آخرِ[2] الزمان قردةً وخنازير، قيل:يا رسول الله، يشهدون[3] أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ قال:((بلى؛ ويصومون وَيُصَلُّونَ ويَحُجُّون))، قال:فما بالهم؟ قال:((اتَّخَذُوا المَعَازِفَ والدفوف، والقينات، وباتوا على شرابهم ولهوهم، فأصبحوا قردة وخنازير))[4].

واللهو أنواع جميعها حرام:**فمنها** شراء المغنية. روى أبو أمامة أن النبي ﷺ نهى عن بيع المغنيات وعن[5] شرائهن، وعن كسبهن[6].

وعن علي عليه السلام أنه قال:كَسْبُ المغنية سُحْتٌ، وكَسْبُ الزانية سُحْتٌ، وكَسْبُ المرابي[7] سُحْتٌ، وحَقٌّ على الله أن لا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نبت من

---

(١) الترمذي ٥٧٩/٣. وأسباب النزول ١٩٧، ١٩٨. والسفينة للحاكم١١٧/٣ مصور من مكتبة المصطفى ﷺ.

(٢) من هنا نواصل اعتماد الأصل ؛ لانتهاء السقط.

(٣) في (ب)، (ج):أليس تشهدون؟.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٤١/٣.

(٥) في (ب) بحذف عن . وأخرج الحديث أبو طال في أماليه ص٣٨٢. والترمذي ٥٧٩/٣ رقم ١٢٨٢، بلفظ:((لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن، ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام)).

(٦) أخرجه أبو طالب في أماليه ص٣٨٢. والترمذي ٥٧٩/٣ رقم ١٢٨٢ بلفظ:لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في التجارة فيهن ، وثمنهن حرام. وفي مثل هذا أنزلت:﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾.. الآية.

(٧) في (ب):الزاني .

سُحْتٍ[1] . **ومنها** استماع الغِنَاء. عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال:((مَنِ استمع إلى لهو غناء؛ حرم الله عليه استماع صوت داود إذا قرأ الزبور في بُطْنَان الجنة))[2] . وعن نافع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:((من استمع إلى لهو وغناء حرمه الله مرافقة الصديقين والشهداء والصالحين))[3] . عن نافع قال:كنت أمشي مع ابن عمر فسمع صوت مزمار فوضع أصبعيه في أذنيه حتى مَرَّ، وقال:هكذا رأيت رسول الله ﷺ[4] .

ومنها أنواع الملاهي كلها:الدف، والمزمار، والعود، والرباب، وما أشبه ذلك، أو استعمل لهذا المعنى. قال النبي ﷺ:((لا تدخل الملآئكة بيتا فيه خمر أو دف أو طنبور أو نَرْد، ولا يستجاب دعاؤهم، ورفع الله عنهم البركة))[5] . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال:((الدف حرام، والمعزاف حرام، والكَوْبُ[6] حرام، والمزمار حرام))[7] .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال:((إن الله بعثني رحمةً وهدىً للعـــالمين، بعثني لأمحق المعازف، والمزامير، وأمْرَ الجاهلية، والأوثان))[8] . فإذا كان رسول الله

---

(١) أبو طالب في أماليه ص٤٠٠. والمتقي في الكتر ١٥/٢٢٦ رقم٤٠٦٨٩.
(٢) الحاكم في السفينة ٣/١١٨.
(٣) الحاكم في السفينة ٣/١١٨.
(٤) أخرجه الزمخشري في ربيع الأبرار ٣/١٣٠.
(٥) الحاكم في السفينة ٣/١١٨.
(٦) بعض النسخ:الكوبة.
(٧) رأب الصدع ٣/١٥٨٢.
(٨) رأب الصدع ٣/١٥٨٥. وأحمد بن حنبل ٨/٢٨٦ رقم ٢٢٢٨١ ، ورقم ٢٢٣٧٠ بما يوافق ذلك.

ﷺ بُعِثَ لمحق هذه الملاهي-وأهلُ جهتك أيها المسترشدُ يعكُفُون عليهـا لـيلا ونهارا، ويفعلونها سرًا وجهرًا[1]، ويقول قائلهم:هاتي جُبَّـةَ الْمُـصَادَمة لا ثيـابَ المنادمة، وربما يجهرون باستحلال ذلك، ويُنشِدُ منشدهم بغير محاشمة، يجوز علـى مذهب الشافعي تُقبِّلُ حبيبك في الجامع[2]، ويقول أيضا:ما أنزه كتابي عن سـطره فيه. كيف[3] يُشِكُّ في كفرهم، أو يُعْتَقَدُ جوازُ مجاورهم، وهذا كالخارج عما نحن فيه، إلا أن الحديث ذو شجون[4]. وعن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال:((مـن أدخل بيته مزمارا أو لَهْوًا[5] فقد شمت بأبيه آدم؛ لأن إبليس اتخذ المزامير والـسرور والطرب حيث وقع آدم في الخطيئة))[6]. وعن أبي أمامة وجابر:من مات وله جارية مغنّية لم يُصَلَّ عليه[7].

ومنها اللعب بالنرد، ومن لعب به فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه. وعـن النبي ﷺ أنه قال:((مَن لَعِبَ بالنَّرْدِ فقد عصى الله ورسوله))[8].

---

(١) في (ب): جهارا.
(٢) في (ب): المجامع.
(٣) في (ب): فكيف.
(٤) المؤلف رحمه الله شاهد عصره، وربما كان هناك أصحاب مجون استحقوا ما قاله فيهم والله أعلم.
(٥) في (ب): أو لهى.
(٦) الحاكم في السفينة ١١٩/٣
(٧) ذكر ذلك القرطبي ٣٧/١٤ عن عائشة قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:من مات وعنـده جارية مغنية فلا تصلوا عليه.
(٨) أخرجه أحمد بن حنبل ١٣٠/٧ رقم ١٩٥٣٨، ورقم ١٩٥٣٩ عن أبي موسى.

وعنه ﷺ أنه قال:((من لعب بالنرد ثم يقوم يصلي لا يقبل الله صلاته))[1].

وعن علي عليه السلام أنه مر بقوم يلعبون بالنرد فضربهم بِدِرَّتِه حتى فَرَّقَ بينهم، ثم قال ألا إن الملاعبة بهذه قمارٌ[2] -كأكل لحم الخنزير، والملاعبة بها غيرَ قمار- كالمتلطخ بشحم الخنزير. ثم قال علي عليه السلام:هذه كانت مَيْسِرَ العجم، والقداح كانت ميسر العرب، والشطرنج مثل النرد[3].

ومنها اللعب بالشطرنج: عن علي عليه السلام أنه مر على قوم يلعبون بالشطرنج، فأمر رجلا من فرسانه فحرق رُقْعَتَها، وأمر بكل رجل منهم فَعَقَلَ له رجلا وأقامه عليها، فقالوا لا نعود، فقال:وإن عدتم عُدْنَا[4]. وعن النبي ﷺ أنه قال:((من لعب بالشطرنج فقد عصى الله ورسوله))[5]. وروي واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال:((إن لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، لا ينظر الله فيها إلى صاحب الشاة))[6]. يعني الشطرنج، ويريد بالنظرة الرحمة. وروي أنه ﷺ مَرَّ بقوم يلعبون بالشطرنج فقال:؛ما هذه الصور؟ أَلَمْ أَنْهَ عن هذه، ألا لعنةُ الله على من لعب بها))[7].

---

(١) الحاكم في السفينة ٣/١٢١. وفي الكنز ١٤/٢١٧ رقم ٤٠٦٤٩ بلفظ:((من لعب بالميسر ثم قام يصلي فمثله كمثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ، فيقول الله: لا تقبل له صلاة))، والنرد من جملة الميسر.

(٢) في هامش (ب):قمارا وهو الأولى لتنصب على الحال. وخبر إن كأكل لحم الخنزير.

(٣) المجموع ص٤٢٠. ورأب الصدع ٣/١٥٧٣.

(٤) الأحكام ج٢. ورأب الصدع ٣/١٥٨٨. والحاكم في السفينة ٣/١٢٠.

(٥) القرطبي ٨/٢١٦.

(٦) كنز العمال ١٤/٢١٨ رقم ٤٠٦١٤، وعزاه إلى الديلمي . والعلل المتناهية ٢/٧٨٣.

(٧) الحاكم في السفينة بلفظه ٣/١٢٠. والعلل والمتناهية ٢/٧٧٣ بلفظ:ما هذي الكوبة ألم أنه.

وعن سمرة بن جندب أنه قال:كنت ألعب بالشطرنج فمر بي رسول الله ﷺ فلم يُسَلّم عليَّ، ومَرَّ بقوم يلعبون بالشطرنج؛ فقال–و لم يُسَلِّمْ عليهم –:ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟[(١)]. وعن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال:((إياكم والغناء فإنه ينبت النفاق في القلب كما يُنْبِتُ الماء الشجر))[(٢)].

ومنها ما نذكره فيما رويناه عن علي عليه السلام أنه قال:سمعت النبي ﷺ يقول:((عشرة من فعل قوم لوط فاحذروهن:إسبال الشارب، وتصفيف الشعر، وتمضيغ العِلْك، وتحليل الأزْرَار، وإسبال الإزار، وإطارة الحمام، والرمي بالجُلاَهِق[(٣)]، والصفير، واجتماعهم على الشراب، ولعب بعضهم ببعض))[(٤)].

ومنها التصفيق:قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٥]. والمكاء:طائر بالحجاز، وأصل المكاء جمع الريح، يقال:مكا يمكو إذا صفر. والتصديةُ هي:التصفيقُ يقال:صدى تصديةً، ومنه الصدى صوتُ الجَبَل، قال أبو علي:كان بعضُهم يتصدى البعضَ بذلك الفعل، يعني التصفيق ليراه، وكان يُصَفِّر له. وقيل:كانت قريش تطوفُ بالبيت عراة، يصفقون، ويصفرون، يُخَلِّطُون على النبي ﷺ طوافه

---

(١)الحاكم في السفينة ١٢٢/٣. والأجري تحريم النرد والشطرنج والملاهي ص٤. والبيهقي في السنن ٢١٢/١٠.

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه ١ / ٢٢٣ برقم ٤٩٢٧.

(٣) الْجُلاهق:جسم صغير كروي من طين يُرمى به ، وهي كلمة فارسية. المنجد ص٩٥.

(٤) الإمام زيد في المجموع ٤٢٤. والكنز ١٩/١٧ رقم ٤٤٠٥٨.

وصلاته[1]. فإذا كان التصفيق والصفير من جملة أفعال الكافرين وجب تركه، وحرم فعله؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((من تشبه بقوم فهو منهم))[2].

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:((عشرة من أفعال قوم لوط فاحذروهن وذكر فيها الصفير)). فحذر[3] صلى الله عليه وآله من أفعال الكافرين، وهم قوم لوط عليه السلام؛ ولأن الله سبحانه قد عاب الصفير والتصفيق على الكافرين ووبخهم به، فكيف لا يعيبه على المسلمين؟ وقد قال سبحانه:﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم:٣٥]، وقال تعالى:﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة:١٨]، ولأن ذلك من جملة اللعب واللهو، وقد قال الله سبحانه:﴿اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [الأعراف:٥١].

فاحذر أيها المسترشد أن تغتر بأقوال الصوفية، أو تنخدع بزخارف الحشوية، أو أن تصطادك حبائل الأشعرية، أو أن تستمسك بمعاذير القدرية الجبرية؛ فترمي بنفسك في كل بلية، وتوقعها في الظلمات السفلية، حيث لم تُرْتَعْ في رياض العدليَّة، واطَّرَحَتْ الأدلة العقلية، والأثار النبوية، والسِّيَر[4] والأحكام الصحابية.

وَقَد أَوْقفناك أيامَ وَصَلْنا إلى تلك الجهات على إبطال مذاهبهم، إذْ قَطَعْنَا بمحضرك من نَاظَرَنَا منهم، وتصدينا لابن الأسدي فاختفى منا، ولم يقدر على

(١) مجمع البيان ٤/٤٦٣. والدر المنثور ٣/٣٣٢. والكشاف ٢/٢١٨.
(٢) أبو داوود ٤/٣١٤ رقم٤٠٣١. وأحمد من حديث طويل ٢/٣٠٩ رقم٥١١٤.
(٣) في (ب): النبي.
(٤) في (ب): والسنن.

مواجهتنا، وخشي أن نفضحه على أعيان الملا، وأن نبين عَوار[1] مذهبه الذي اختدع به الجهلاء، ولو علم صحة قوله، وقوة حوله-لحضر وناظر، ولأقدم وما تأخر، ما ضره لو حضر مجلسنا، وسمع كلامنا، وافتقد أحوالنا، فإن رأى رشدا اتَّبَعَهُ مع المتبعين، وخرج عن رِبْقَةِ المبتدعين، وغسل دَرَن الشك[2] بماء اليقين ونجا وفاز ببرد علم اليقين، ودخل في زمرة المحققين[3].

وإن رأى-والعياذ بالله-غيا فارق مع المفارقين. فأما ادعاؤه كونه من الهداة المهتدين، وأنَّ خُصَمَاهُ من جُمْلَة المعتدين، فَإِنَّ الدعاوى متساويةٌ من المدعين، ولكن أين الثَّمَدُ من الْمَعِين؟[4] وأين السلسبيل من الغسلين؟ وأين الشك من اليقين؟ دعوناه للإبانة فبان، ولوأجاب لوقف على البيان. يا عجبا! مِمَّن يَتَّبِعهُ مع جهله، ويَسِمُه[5] بالفضل وليس من أهلِه كيف فضل الجمَّا على الْجَمَّا؟ وكيف ينقاد الأعمى للأعمى؟[6] إنما الفضل لعلماء آل[7] الرسول، وأسباط ابنته الطاهرة البتول، الذين قضى بفضلهم الكتاب، وأمر بسؤالهم رَبُّ الأرباب فقال

---

(١) في (ب): أعوار.
(٢) في (ب): الشك والشرك.
(٣) في (ب): المحقين.
(٤) الثمد والثمد:الماء القليل الذي لا مادة له. المختار ٨٦.
(٥) في (ب): ويسميه.
(٦) **أقول**:لقد أنصف من دعا للمناظرة، واستعد للمناقشة والمحاورة؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وها نحن في زمن نواجهه فيه صما وبكما وعما. لم يملكون من العلم سوى الدعوى ولا يصدر عنهم إلا الداء العيا. قوم فاقوا خوارج الماضي بحب الدنيا.
(٧) ((آل)) محذوفة في الأصل، ولا يصح المعنى إلا بها؛ فأثبتناها كما في (ب).

تعالى:﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣]، ﴿أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَىَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس:٣٥].

وقال النبي ﷺ:((أهلُ بيتي فيكم كسفينة نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عنها غَرِقَ وَهَوَى))، فكما أنه لم يَنْجُ من أمة نوح إلا من ركب في السفينة كذلك لا ينجو من أمة محمد ﷺ إلا من تمسك بأهل بيته، واستن بأفعالهم ونسج على منوالهم.

وقال النبي ﷺ:((إنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إن تَمَسَّكْتُم به لن تَضِلُّوا أبدًا[(١)]: كتاب الله وعِتْرَتِي أهلَ بيتي، إنَّ اللَّطِيفَ الخبير نَبَّأني أنهما لن يَفْتَرِقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوضَ))، فَكَمَا أنَّ مَنْ تمسَّك بالكتاب، وفعل بما يقتضيه–فإنه لا يَضِلُّ كذلك لا يضل عن الصواب والهُدَى مَنْ تمسَّك بأهل الكِسَا وأبنائِهم العلماءِ، السادةِ[(٢)] الْحُكَمَاءِ، أعلامِ الهدى، ومصابيحِ الدُّجَى، وحَياةِ الورى، أئمةِ أهلِ الدُّنيا، وَشُفعاءِ أهل الأخرى، الذين بهم يُفْتَحُ ويُخْتَمُ، وَيُنْقَضُ وَيُبْرم، وَيُوْصَلُ وَيُصْرَمُ، وَيُخْمَدُ وَيُضْرَمُ، وَيُهَانُ وَيُكْرَمُ. قال جدي المنتصر لدين الله محمد بن الإمام المختار لدين الله (ع)[(٣)] في أبيات له:

---

(١) في (ب): من بعدي أبدا .

(٢) في (ب): السادات.

(٣) والمختار هو القاسم ابن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى عليهم السلام، وهو الذي ثأر لأبيه من قاتليه ، فقتلهم وشفى الغليل، وقال بعد أن قتلهم القصيدة المعروفة بالحماسة الهاشمية والشجاعة العلوية، منها هذه الأبيات التي ذكرها المؤلف. ت ٣٦٩هـ. ينظر التحف شرح الزلف ص١٩٩.

فَمَـــا إنْ زَالَ أَوَّلُنَـــا نَبِيـــا		ولا يَنْفَـــكُّ آخرُنـــا إمَامَـــا
يُصَلِّي كُـــلُّ مُحْـــتَلمٍ عَلَيْنَـــا		إذا صَـــلَّى وَيُتْبِعُهـــا الـــسَّلامَا
فَحَسْبُك مَفْخَرًا أَنَّـــا جُعِلْنَـــا		لِكُلِّ هُدًى وَمُفْتَـــرَضٍ تَمَامَـــا

وقال المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ع) في أبيات له:

وَهَلْ تَجِبُ الصلاةُ عَلَى أَبِيكُمْ؟		كَمَا تَجِبُ الصلاةُ علـــى أَبِينَـــا
وَهَلْ تَمَّتْ لَكُمْ أَبَـــدًا صـــلاةٌ		إذَا مَـــا أنـــتُمُ لم تَـــذْكُرُونَا

وهذا أوَانُ فراغنا من غرضنا بهذا الكتاب، والحمدلله ربِّ الأرباب، ومُسَبِّبِ ما شاءِ مِنَ الأسباب، ونحن نسأل الله سبحانه أن ينفَعنا به وكآفَّـــةَ المـــؤمنين، وأن لا يجعلَه حُجَّة علينا يومَ الدين، وأن يُنَوِّرَ به أفئدةَ الْمُتَّـــبعين، ويَكْبِـــتَ بـــه قلـــوبَ الْمُبتَدعين، وأن يصليَ على مُحَمَّدٍ المختار الأمين، وآلَه الهداةَ الأكرمين. آمين اللهم آمين.

* * *